الفتوحات السبحانية
في شرح
نظم الدرر السنية في السيرة الزكية

لزين الدين محمد عبد الرؤوف ابن المناوي الشافعي
رحمه الله
(٩٥٢ - ١٠٣١)

حققه، وخرّج أحاديثه، وضبط نصّه، وعلق عليه
أبو عبد الله عمر بن أحمد بن علي الأحمد آل عباس
غفر الله له ولوالديه

طُبع على نفقة
للأستاذ ناصر بن عوّاد السبيله
رجاء ثواب الله

الجزء الأول

دار التوحيد للنشر

الفتوحات السبحانية

في شرح

نظم الدرر السنية في السيرة الزكية

①

ح دار التوحيد للنشر والتوزيع ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المناوي، الحافظ
الفتوحات السبحانية شرح نظم السيرة الزكية . / الحافظ المناوي ؛
عمر أحمد علي الأحمد آل عباس - الرياض ١٤٣٣هـ
١٤٢٤ص ، ١٧ x ٢٤ سم
ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٢٩-٢٧-٥
١- المناوي، محمد عبدالرؤوف، ت ١٠٣١هـ ٢- السيرة النبوية
٣-الشمائل المحمدية أ-آل عباس،عمر أحمد علي الأحمد(محقق) ب-العنوان
ديوي ٢٣٩،٦ ٢٩٤١/ ١٤٣٣

رقم الإيداع: ٢٩٤١/١٤٣٣
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٢٩-٢٧-٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار التوحيد للنشر

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤
darattawheed@yahoo.com

الفتوحات السبحانية

في شرح

نظم الدرر السنية في السيرة الزكية

لزين الدين محمد عبد الرؤوف ابن المناوي الشافعي
رحمه الله
(٩٥٢ - ١٠٣١)

حققه، وخرّج أحاديثه، وضبط نصّه، وعلق عليه
أبو عبد الله عمر بن أحمد بن علي الأحمد آل عباس
غفر الله له ولوالديه

طُبع على نفقة
الأستاذ ناصر بن عوّاد السبيله
رجاء ثواب الله

الجزء الأول

دار التوحيد للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الكَلام كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ؛ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكَلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

ثم أما بعد:

فَإِنَّ أَوْلَى مَا تُصْرَفُ فِيْهِ الأَوْقَاتُ، وَخَيْرُ مَا يَعْمَلُهُ الإِنْسَانُ: هُوَ الاهْتِمَامُ بِتَوحِيدِ اللهِ وَإِخْلاصِ الدِّينِ لَهُ عِلْماً وَعَمَلاً وَدَعْوَةً وَبَيَاناً.

ومن رام ذلك كله: فعليه بالسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام؛ إِذْ هي التطبيق العملي للإسلام عقيدة وشريعةً ومعاملات:

فهي أولاً: تطبيقٌ للقرآن الكريم وأحكامه، أصولاً وفروعاً، على حَدِّ قول أم المؤمنين عائشة ﵂ عن النبي ﷺ: «كان».

وهي ثانياً: تطبيقٌ للسُّنَّة النبوية الشريفة؛ إِذْ المنبع للسُّنَّة والسيرة واحدٌ، وهو النبي ﷺ.

ثم هي بعد ذلك: أصلٌ في استنباط الأحكام والوقوف على المقصود من النصوص الشرعية، بشكل عمليٍّ واضحٍ.

فيكون الوقوف على التطبيق العملي للإسلام: هو أحد العناصر التي يستفيدها المرء من خلال دراسته للسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

أضف إلى ذلك ما يورثه الوقوف على سيرته ﷺ، والتشبُّه به ﷺ في أقواله وأفعاله؛ من محبَّته ﷺ، وتثبيت الانتماء له ﷺ في قلوب محبِّيه وأتباعه ﷺ.

فمحبة الرسول ﷺ «تنشأ عن معرفته، ومعرفة كماله وأوصافه وعظم ما جاء به، وينشأ ذلك في معرفة مُرْسِلِه وعظمته، فإنّ محبة الله لا تتم إلا بطاعته، ولا سبيل إلى طاعته إلا بمتابعة رسوله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران] ومحبة الرسول على درجتين أيضاً:

إحداهما: فرض، وهي ما اقتضى طاعته في امتثال ما أمر به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات والرضى بذلك، وأن لا

يجد في نفسه حرجاً مما جاء به ويسلم له تسليماً، وأن لا يتلقى الهدى من غير مشكاته ولا يطلب شيئاً من الخير إلا مما جاء به.

الدرجة الثانية: فضل مندوب إليه، وهي: ما ارتقى بعد ذلك إلى اتباع سُنَّته وآدابه وأخلاقه والاقتداء به في هديه وسمته وحسن معاشرته لأهله وإخوانه، وفي التخلق بأخلاقه الظاهرة في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وفي جوده وإيثاره وصَفْحِه وحِلْمه واحتماله وتواضعه، وفي أخلاقه الباطنة من كمال خشيته لله ومحبته له وشوقه إلى لقائه ورضاه بقضائه وتعلق قلبه به دائماً وصِدْق الالتجاء إليه والتوكل والاعتماد عليه، وقطع تعلق القلب بالأسباب كلها ودوام لهج القلب واللسان بذكره والأنس به والتنعم بالخلوة بمناجاته ودعائه وتلاوة كتابه بالتدبر والتفكر.

وفي الجملة: فكان خُلُقه ﷺ القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، فأكمل الخلق من حقق متابعته وتصديقه قولاً وعملاً وحالاً وهم الصديقون من أمته الذين رأسهم: أبو بكر ـ خليفته بعده ـ وهم أعلى أهل الجنة درجة بعد النبيين».اهـ(١).

ولسنا نعني بالكلام على محبَّتِه ﷺ ذلك الادِّعاء الذي يُثَرْثِر به أُناسٌ ثم لا نجد له أثراً في حياتهم؛ إنَّما نعني المحبة القائمة على أحكام إيمانية تصل بصاحبها إلى درجة من الإيمان يرتقي في جنباتها إلى رضوان الله والجنة، تلك المحبة التي تدفع صاحبها إلى سلوك الطريق المستقيم، صراط الله الذي شرعه لعباده، وسنَّه له نبيهم ﷺ، يفعل ذلك رهبةً مِن مغبة المخالفة والعصيان، ورغبة في الزُّلْفى والاقتراب من الواحد الديان.

ثم إنَّ تلك المحبة ليست نافلة، بل هي مِن واجبات الإسلام التي لا ينفك عنها المسلم، وقد وردتْ بذلك الأحاديث.

---

(١) «فتح الباري» لابن رجب (١/ ٥٣)، وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٧٨).

فمن ذلك:

حديث أنس عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»⁽¹⁾.

ومن ذلك:

حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»⁽٢⁾.

وفي حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»⁽٣⁾.

وقال عَبْدُ اللهِ بن هِشَامٍ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه: فَإِنَّهُ الْآنَ واللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»⁽٤⁾.

فمقصود عمر رضي الله عنه ـ والله أعلم ـ حب الاختيار، لا حب الإجبار.

قال الخطابي: «لم يرد به حُبَّ الطبع، بل أراد به حب الاختيار؛ لأن حُبَّ الإنسان نفسه طبعٌ، ولا سبيل إلى قَلْبه⁽٥⁾، فمعناه: لا تصدق في حُبِّي حتى تُفْنِي في طاعتي نفسَك، وتُؤْثِر رضاي على هواك وإنْ كان فيه هلاكك»⁽٦⁾.

---

(١) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣). (٢) رواه البخاري (١٣).

(٣) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤). وقد ذكر البخاري الحديثين تحت باب: «حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ».

(٤) رواه البخاري (٦٦٣٢). (٥) أي: قَلْب الطَّبْع وتغييره.

(٦) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٥١)، «شرح مسلم» للنووي (٢/ ١٥).

قال أبو الزناد: «هذا من جوامع الكلم الذى أُوتِيه ﷺ؛ لأنه قد جمع في هذه الألفاظ اليسيرة معاني كثيرة؛ لأن أقسام المحبة ثلاثة(١): محبة إجلالٍ وعظمةٍ كمحبة الوالد، ومحبة شفقةٍ ورحمة كمحبة الولد، ومحبة استحسانٍ ومشاكلة كمحبة سائر الناس؛ فحصر صنوف المحبة»(٢).

قال ابن بطال: «ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ أن من استكمل الإيمان عَلِمَ أنَّ حق الرسول وفضله ﷺ آكد عليه من حقِّ أبيه وابنه والناس أجمعين؛ لأن بالرسول ﷺ استنقذ الله أُمته من النار وهداهم من الضلال، فالمراد بهذا الحديث بذل النفس دونه ﷺ، وقال الكسائى فى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال]؛ أي: حسبك الله ناصراً وكافياً، وحسبك من اتبعك من المؤمنين ببذل أنفسهم دونك»(٣).

قال القاضي عياض: «ومن الإشفاق في محبته ﷺ نصرة سُنَّته، والذَّبُّ عن شريعته، وتَمَنِّي حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه، واذا تَبَيَّنَ ما ذكرناه؛ تَبَيَّنَ أنَّ حقيقةَ الإيمانِ لا تتم إلا بذلك، ولا يصحُّ الإيمان إلا بتحقيق إِنَافَة(٤) قَدْر النبي ﷺ ومنزلته على كلِّ والدٍ وولدٍ،

---

(١) نَسَبَ النووي في «شرح مسلم» (٢/ ١٥) هذه الأقسام الثلاثة لـ«ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما»، وإنما هي في «شرح البخاري» لابن بطال منقولةً عن أبي الزِّناد، وهو أبو الزِّناد بن سِراج، سمَّاه ابن بطال في موضع سابق من كتابه (١/ ٣٢).

(٢) «شرح البخاري» لابن بطال (١/ ٦٦).

(٣) المصدر السابق، «شرح مسلم» للنووي (٢/ ١٥).

(٤) في «شرح مسلم» للنووي (٢/ ١٥) نقلاً عن القاضي عياض: «إعلاء» بدل «إِنافة». وقال الأبي في «إكمال الإكمال» (١/ ١٤٦) تعقيباً على كلام القاضي عياض: «إنْ أراد بإنافة القَدْر: الرفع في المنزلة؛ فمن لم يعتقد ذلك فليس =

ومُحْسِنٍ ومُفَضَّلٍ، ومَنْ لم يعتقد هذا واعتقدَ سواهُ فليس بمؤمنٍ»(١).

قال ابن حجر: «فعلى هذا؛ فجواب عمر أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب بقوله: «**الآن يا عمر**»؛ أي: الآن عرفتَ فنطقتَ بما يجب»(٢).

وقد تمثَّلَتْ صور المحبة للرسول ﷺ واقعاً حيّاً عند محبيه من الصحابة والتابعين، فترجموا هذا الحب ترجمة صادقة، وهذه السيرة النبوية قلِّب طرفك فيها تجد مصداق هذا الحب الصادق من الصدِّيق رضي الله عنه، وعمر الفاروق رضي الله عنه، حيثُ ضربا أصدق الأمثلة في محبته ﷺ، وكذا عثمان وعلي وسائر الستة أصحاب الشورى وباقي العشرة المباركة رضوان الله عليهم جميعاً، وهكذا في قافلة طويلة في محبة النَّبيِّ ﷺ تمتد عبر الزمن إلى عهد التابعين.

= بمؤمنٍ كما ذكرَ، وإنْ أراد الرفع في المحبة؛ فالأظهر في قوله: (فليس بمؤمنٍ) أنه لنفي الكمال؛ فإنَّ محبة الأب والابن جبليَّة لا تندفع، فإنْ وُجِدَ على سبيل الفرض مَن لم تكن محبته لرسول الله ﷺ أكثر فلا نقدر أنْ نجزِمَ بكفره» فتعقَّبه السنوسي في «مكمل إكمال الإكمال» (مطبوع بحاشية إكمال الإكمال) بقوله: «قال بعض الشيوخ معترضاً عليه: يلزم من رفع المنزلة رفع المحبة، ومن لم يحب فداء الرسول عليه السلام من المكاره بنفسه وأبيه وابنه أو يحب أن يكون لواحد منهم أو لجميعهم من الخير ما لا يكون لرسول الله ﷺ فليس بصحيح الإيمان، وقد قال عمر رضي الله عنه: لَإسلام أبي طالبٍ كان أحب إِلَيَّ من إسلام الخطاب؛ لأن ذلك أقرّ لعين رسول الله ﷺ. وعن القرطبي: لا بد من ترجيح محبته ﷺ على كلِّ أحدٍ لما خصَّه الله تعالى به وفضَّله به على جنسه ونوعه من المحاسن الظاهرة والباطنة».

(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٢٨٠).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٥٢٨، ط: دار المعرفة).

وحسبنا أن نضرب هنا مَثَلاً واحداً فقط مِن محبة الصحابة وتعظيمهم للنبي ﷺ، وقع بينما كانوا في الحديبية عندما أرسلتْ قريشٌ عروةَ بن مسعود إلى النبي ﷺ ليتفاوض معه، فلما رجع عروة إلى قريش قال لهم بعدما: «جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ قَالَ: فواللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ! واللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، واللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً، واللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ»(١).

وقد انتقل هذا التعظيم وهذا الأدب مع النبي ﷺ إلى التابعين بعد الصحابة؛ فهذا أبو سلمة الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدِّثُ؛ توضأ وضوءه للصلاة، ولَبِسَ أحسن ثيابه، ولبس قلنسوته، ومشَّط لحيته، فقيل له في ذلك فقال: أوقِّر به حديث رسول الله ﷺ»(٢).

بل إنهم يؤدِّبون طلبة العلم على ذلك أيضاً؛ فهذا عبد الرحمٰن بن مهدي لا يُتَحَدَّثُ في مجلسه ولا يُبرى فيه قلم ولا يتبسَّم أحد، فإن تحدَّثَ أحدٌ أو برى قلماً؛ صاح ابن مهدي ولبس نعلين ودخلَ. وكذا

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٢).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» للخطيب البغدادي (١/ ٦١٠).

كان يفعل ابن نمير، وكان من أشد الناس في هذا. وكان وكيع أيضاً في مجلسه كأنَّهم في صلاة، فإن أنكر من أمرهم شيئاً انتقل ودخل، وكان ابن نمير يغضب ويصيح، وكان إذا رأى من يبري قلماً تغيَّر وجهه(١).

وضحك رجل في مجلس عبد الرحمٰن بن مهدي، فقال: من ضحك؟ فأشاروا إلى رجل. فقال: تطلب العلم وأنت تضحك؟! لا حدَّثتكم شهراً(٢). إلى غير ذلك من الصفحات المشرقة في حياة سلفنا المبارك، من المحبة والتعظم والإجلال والتأدُّب مع الرسول الكريم ﷺ لما جبلت قلوبهم على حبِّ حديثه وإدامة النظر في سيرته.

ففي عهد الصحابة يسيرون معه حيث سار، تستقلُّ ركائبهم مع ركائبه، وينزلون حيث نزل.

وفي عهد من بعدهم بقراءة أخباره، ومعرفة سيرته ما قبيل ولادته إلى أن وُلِدَ، ومعرفة اسمه ونسبه، ونشأته وأموره الخاصة في بادية بني سعد، وبين قومه في قريش، وزواجه من خديجة إلى أن انعطفت وجهة الكون بنزول جبريل عليه السلام ونزل عليه بـ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ ومن ثم حمل أعباء هذه الأمانة وتأديتها على أكمل وجه، والصبر على الأذى في سبيلها، حدّثت الصدِّيقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وعن والدها وعن جدها قالت: يا رسول الله! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ فقال: **«لقد لقيت من قومك، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلَّا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال،**

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٩١).

(٢) المصدر السابق.

فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً»(١).

وقالت قريش عنه ﷺ: ساحر ومجنون، وتآمرت على قتله، حتى أذن الله ﷻ له بالهجرة إلى المدينة؛ فهاجر؛ إلّا أنّه لم تهدأ نفوس إلّا بصدّه أو قتله ووضعوا لذلك الجوائز، ولكن الله سلَّم، ودخل عليه الصلاة والسلام المدينة ضحى وقومها في أكمل زينة وأحسنها لاستقبال هذا القائد العظيم والرسول الكريم، وقد كانوا من قبل بايعوه بمِنًى على العزّ والنصر والمنعة، فهاهم بعد تلك البيعة يستقبلونه بالمدينة وقد جاء إليهم بعدما أخرجه قومُه، استقبله الأنصار وعلى وجوههم أسارير المحبة، وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم فما أمر أمراً إلّا أطاعوه، ولا أشار إلّا كانت إشارته أمر، وانطلقت راية الإسلام، وراية لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ﷺ تخد الأرض خداً وتشقها إلى قلوب العباد شقاً.

ولمَّا حانت ساعة الرحيل، ولا تسل عن تلك الساعة، فقد تفطرت قلوب أصحابه ومحبيه من مشاهديه، حتى أظلمتْ المدينةُ بموته بعدما كانت أضاءت عندما هاجر إليها.

فتلك نبذ من سيرته عليه الصلاة والسلام، التي تتبعها العلماء وألّفوا فيها المؤلفات ما بين منثور ومنظوم.

ومن تلك المؤلفات: نظم العراقي، وهو من أجمع من ألف في ذلك، واهتمَّ به العلماء قراءة وحفظاً ومقابلة وشرحاً.

وكان من تلك الشروحات: ما أنجزه المناوي في كتابين:

---

(١) رواه البخاري (٣١٢٣)، ومسلم (١٧٩٥).

الأول: سمَّاه **«العجالة السنيّة على ألفية العراقي في السيرة النبوية»**، وقد منَّ الله ﷻ عَلَيَّ بنشره قبل فترة من الزمن.

والثاني: «الفتوحات السبحانيَّة»، وهو كتابنا هذا الذي نقدِّم، وكتابا «العجالة» و«الفتوحات» شرح فيهما المناوي سيرة النَّبيِّ الأعظم ﷺ، كما وردت عند العراقي في النَّظْم، فوضعها بين أيدينا نرد إليها فننهل منها ثم نصدر عنها، وتكون قراءتنا لها، كما أراد عليه الصلاة والسلام، ونفهمها كما فهمها السلف الصالح، لا مدخل لآرائنا فيها، ولا نلوي ما ورد عنه فيها على ما تهوى أنفسنا، إِذْ يتنافى ذلك مع المحبة الحقيقية التي تستلزم أن نفعل ما أراد ﷺ، وأن نفهم أقواله وأفعاله ﷺ كما فهمها الصحابة رضوان الله عليهم.

أما أن نُقصي سيرته وسُنَّته ونفهمها كما تمليه علينا أفهامنا السقيمة، أو ربما تمليه علينا أفهام الكفار من حيث لا نشعر، فهذا خلل ربما قاد الأمة إلى ما هي فيه وعليه الآن.

ومما شاع وذاع في هذه الأيام ـ وقت كتابه هذه المقدمة ـ ما حصل من الكافر في محاولة التطاول على الجناب النبوي، سخريةً واستهزاءً وتطاولاً وتهكماً، فشَلَّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا وتطاولوا. وإِنْ كان هذا ليس غريباً على الكافر؛ إِذ ليس بعد الكفر ذنب؛ فهو غريبٌ عجيبٌ عندما يقع التساهل في دول المسلمين، ممن يزعم محبته ﷺ، ثم يتساهل فيعصيه ﷺ إما ظاهراً، وإما اعتقاداً ودعوة.

فأما عصيانه ﷺ ظاهراً: فظاهرٌ جداً، وليس هذا محل بسطه وتفصيله، وإنما المقصود الإشارة إليه.

وأما عصيانه ﷺ اعتقاداً فبصور شتى، ولا يكاد يسلم منها أحد إلّا من رحم الله، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ الاحتفال بمولده ﷺ:

وقد جرت عادة بعض المسلمين في بعض الدول في شهر ربيع الأول أن يقوموا باحتفالٍ يدعونه الاحتفال بمولده ﷺ، رغم ما امتلأت به كتب أهل السُّنَّة والجماعة من إنكار هذا الاحتفال، لكونه لم يُرْوَ عن النَّبيِّ ﷺ لا أمراً ولا فعلاً ولا إقراراً. وأيضاً لم يفعله أصحابه ﷺ، فما الذي يجعلهم يتركون هذا الاحتفال ونأتي نحن بعدهم بقرون لنفعله؟! هل هذه محبة للرسول ﷺ؟ كلا؛ إذ المحب يفعل ما يريده المحبوب لا ما يكره... إلى غير ذلك من الأدلة التي ذكروها في إنكار مثل هذه الاحتفال(١).

ب ـ الولاء والبراء:

إنَّ من عقيدة المؤمن عقيدة الولاء والبراء، الولاء لأولياء الله المحبين لرسول الله ﷺ المتبعين لسُنَّته، الداعين لمنهجه ودعوته، والبراء ممن يدَّعون المحبة بالقول والادعاء، ويخالفونه، شعروا أم لم يشعروا، خالفوه في مسائل الاعتقاد، وخالفوه في دعوته ومنهجه، وارتسموا لهم طريقةً ومنهاجاً في الدعوة إلى الله ساروا عليه وكوّنوا لهم أحزاباً وجماعات، ثم بعد ذلك إذا أنكر عليهم أحدٌ لم يجد عندهم أُذُناً صاغية، واستبدلوا الولاء للنبي ﷺ والبراء من أعدائه بالولاء لحزبهم وجماعتهم، فترى الغلاة في النَّبيِّ ﷺ المخالفين لسُنَّته، يتمسكون ببدعتهم، ويوالون عليها ويعادون، ينصرونها بكل ما قدروا عليه من الأقاويل والأفاعيل، ويحذرون من كل أحدٍ يدعوهم للحق الوارد في الكتاب والسُّنَّة، وفهمهما على ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصّراط المستقيم» (٢/١٢٣) أنه يؤجر على محبة النَّبيِّ ﷺ ولكنه مُؤَاخَذٌ على هذه البدعة.

فإن سلم بعض المسلمين من بدعة الاحتفال بالمولد، لم يسلم في عقيدة الولاء والبراء.

ج ـ ومن الصور أيضاً:

عبادة القبور والطواف بها:

وهي صورة واضحة جداً في بعض بلاد المسلمين بل أكثرها إلّا من رحم الله، تراهم يعظِّمون القبور ويطوفون بها ويفعلون ما يخالف فعل محبِّهم ﷺ، وقد اشتدَّ نكيره عليه الصلاة والسلام على الذين يعبدون القبور ويطوفون بها ويدعونها من دون الله، وربما قصدوا قبره للزيارة وشدّ الرّحل إلى قبره، وقد نهى عنه عليه الصلاة والسلام بقوله: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**»(١). فالمسنون شد الرحل إلى المسجد النبوي، لكن إن دخل إليه نقول له: سَلِّم على النَّبيِّ ﷺ وعلى صاحبيه، لكن لا يُشرع لأحدٍ شد الرحال إلى القبور مهما كانت منزلة أصحابها، لمخالفة ذلك لسُنَّتِه وقوله في حديثه ﷺ.

د ـ ومن الصور أيضاً:

التَّوسُّل بذاته وجاهه:

فلا يشكُّ عاقل أنَّ ذلك لا يجوز، وهو محرَّم في شريعة رب الأرض والسماء، ومع ذلك يفعله بعضُ من يزعم محبته ﷺ، وهو مخالف لما أراده منهم، واستدلّوا على ذلك بأحاديث لا تصح؛ كحديث: «سَلُوا اللهَ بِجَاهِي فإنَّ جَاهِي عندَ الله عظيمٌ». فهذا حديثٌ لا يصح، وقد تناوله صيارفة الحديث بالنقد والدفع والرد(٢).

---

(١) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) بل قال الآلوسي: في «روح المعاني» (٦/ ١٢٧): «لم يروه أحد من أهل العلم =

فالتّوسّل قد ذكره العلماء، وقسّموه إلى أقسام:

الأوَّل: توسّلٌ بأسماء الله وصفاته، وهو ثابت بالكتاب والسُّنَّة.

والثَّاني: توسّلٌ بالأعمال الصالحة، واستدّلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران]، وغير ذلك من الآيات، وكذلك حديث الغار. المتَّفق عليه(١).

والثَّالث: أنْ يُتوسّل بالنَّبيِّ ﷺ بتصديقه على الرسالة، والإيمان بما جاء، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسننه ﷺ.

والرَّابع: التوسُّل بدعاء النَّبيِّ ﷺ في حياته، وكذلك التوسّل بدعاء الصالحين كما فعل عمر رضي الله عنه في استسقائه بالعباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ(٢).

والخامس: أن يدعو الرب بإضافة اسمه الشريف إلى أسماء ملائكته وعباده الصالحين كما في حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم: «**اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل..**»(٣).

= ولا هو شيء في كتب الحديث». وقد سبقه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى الحكم عليه بأنه لا أصل له. وانظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للشيخ الألباني رحمه الله (٢٢).

(١) أعني: حديث الثلاثة الذين دخلوا غاراً فانسد عليهم بصخرة كبيرة، فتوسلوا إلى الله عز وجل بأعمالهم الصالحة حتى كشف الله غمتهم وفرج عنهم ما هم فيه، وقد رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) والحديث عند البخاري (١٠١٠) من حديث أَنَسٍ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»؛ قَالَ: فَيُسْقَوْنَ.

(٣) رواه مسلم (٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والسادس: التوسل بالصلاة على النَّبيِّ ﷺ(١).

هـ ـ ومن الصور أيضاً:

الغلو في النَّبيِّ ﷺ:

وهذا الغلو يكون بطلب العون منه والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلّا الله، وطلب الشفاعة منه في هذه الحياة الدنيا، وهذا كله يخالف أمره قولاً وفعلاً، فمن قوله ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(٢). وأما فِعْله ﷺ: فهذه سيرته العطرة في قيامه بأمر التوحيد وتحقيق لا إلـٰه إلا الله، ونبذ الغلو والتنطُّع في الدين.

و ـ ومن الصور أيضاً:

عدم محبة أصحابه رضوان الله عليهم:

قال الله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) انظر: «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دخلان» لمحمد بن بشر السهسواني (ص١٩٩، ط: الثالثة)، وفيه قوله: «وأما ما قال الإمام الشوكاني من أنَّ التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسَّل إليك بالعالم الفلاني، فهو باعتبار ما قام به من العلم..». اهـ.
وقال السهسواني في «الصيانة» (ص٢٠٢): «فيه نظر»، ثم ردَّه بالدليل والحجة والبيان.

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

فكيف بعد ذلك يدعي أحدهم محبته ﷺ؛ ثم يطعن في أصحابه ووزرائه ومستشاريه، ونَقَلَةِ الدين لنا من بعده ﷺ؟.

فالكلام في الصحابة: كلامٌ في النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّهم محل سرّه عليه الصلاة والسلام.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الرافضة فيطعنون في الصحابة، وباطن أمرهم الطعن في الرسالة. ولهذا قال الإمام مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»(٢).

والرافضة لم يقف أمرهم عند الصحابة؛ بل تعدَّاه إلى زوجته المصون عائشة الصديقة بنت الصديق المبرَّأة من فوق سبع سماوات رضوان الله عليها، فاتهموها بما ليس عندها ولا فيها.

وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بل أجمع العلماء ـ رحمهم الله ـ قاطبة على أن من سبَّها بعد هذا الذي ذكره في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنَّه معاند للقرآن»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٣/ ٤٦٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٠/ ١٩٨).

ولذا شبَّه الإمام النسائي: الإسلامَ بدارٍ بابها الصحابة ﷺ، عندما سُئِلَ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ عن مُعاوية بن أبي سُفْيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال الإمام النسائيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما الإسلام كدارٍ لها باب، فباب الإسلام: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمَنْ آذى الصحابة إنما أرادَ الإسلامَ؛ كمَن نَقَرَ البابَ إنما يريد دخول الدار. قال: فمَنْ أرادَ مُعاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنما أراد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»⁽¹⁾.

ويقول أبو زُرْعَةَ الرازيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيتَ الرجلَ ينتقص أحداً مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ؛ فاعْلَمْ أنَّهُ زنديق؛ وذلك أَنَّ الرسولَ ﷺ عندنا حَقٌّ، والقرآنَ حَقٌّ، وإنما أَدَّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدونَ أَنْ يَجْرَحوا شهودَنا لِيُبْطِلُوا الكتابَ والسُّنَّةَ، والجرح بهم أَوْلَى، وهم زنادقة»⁽²⁾.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «.. وذلك أنَّ أولَ هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقاً وعِلْماً وعَملاً وتبليغاً، فالطعن فيهم طعنٌ في الدين؛ مُوجبٌ للإعراض عما بعثَ الله به النبيين، وهذا كان مقصود أول مَن أظهر بدعة التشيع؛ فإنما كان قصده الصّدّ عن سبيل الله، وإبطال ما جاءت به الرسل عن الله، ولهذا كانوا يُظْهِرُونَ ذلك بحسْبِ ضعفِ الملة»⁽³⁾.

ومن كان هذا حاله فلا يُتَصَوَّر فيه محبة النبي ﷺ وتوقيره وإنْ ردَّد

---

(١) «مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر» للإمام ابن منظور (٣/ ١٠٣)، «تهذيب الكمال» للإمام أبي الحجّاج المِزِّيِّ (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) «الكفاية» للخطيب (ص٩٧).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٨)، وانظر: مقال: «الصحابة ضرورة لا اختيار» صلاح بن فتحي هَلَل، نشرته مجلة «الجندي المسلم» السعودية، السنة الثامنة والثلاثون ـ العدد (١٣٤) ذو الحجة ـ محرم ـ صفر ١٤٢٩/ ١٤٣٠هـ.

ذلك طوال حياته؛ فإنَّه لا يُتَصَوَّر المحبة لرجلٍ يكره من أحبهم محبوبه ومات عنهم وهو راضٍ ﷺ.

ز ـ ومن الصور أيضاً:

المظاهرات:

ونعود إلى ما أشرنا إليه آنفاً بخصوص تطاول الكافر على مقام النبي ﷺ.

حيثُ اختلفَ الناس في معالجة هذا الأمر والرد عليه، فكان مما فعله أُناسٌ كثيرون أَنْ قاموا بحملات ودعوات تحث على مقاطعة البضائع التي جاءت من تلك الدويلات، وقاموا بعددٍ من المظاهرات، ووصل الحال ببعضهم إلى الكذب لتبرير هذه التصرفات، ولنا وقفة مع ما ذُكِرَ من المظاهرات وذلك من خلال السيرة النبوية الشريفة:

فالمظاهرات لم تكن معروفة في عهد الرسول ﷺ، ولا في عهد أصحابه رضوان الله عليهم، ولا في عهد التابعين، ولم يُفْتِ بذلك أحدٌ من الأئمة العارفين من عصر التابعين إلى هذا العصر.

فقد سُئِلَ سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المظاهرات؛ فقال السائل ما نصه:

هل المظاهرات الرجالية والنسائية ضدّ الحكام والولاة تعتبر وسيلة من وسائل الدعوة؟ وهل من يموت فيها يعتبر شهيداً في سبيل الله؟

فأجاب: لا أرى المظاهرات النسائية والرجالية من العلاج، ولكن أنا أرى أنها من أسباب الفتن، ومن أسباب الشرور، ومن أسباب بغض الناس، والتعدِّي على بعض الناس بغير حق، ولكن الأسباب الشرعية: المكاتبة والنصيحة والدعوة إلى الخير بالطرق الشرعية..

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما أُوصي العلماء وجميع الدعاة وأنصار الحق أن

يتجنبوا المسيرات والمظاهرات التي تضر الدعوة ولا تنفعها وتسبب الفرقة بين المسلمين»⁽¹⁾.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، أو إثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات، ويلحق بهذا الباب ما يفعله بعض الناس من المظاهرات التي تسبب شراً عظيماً على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والهتافات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن فتنصح الرئيس، والأمير، وشيخ القبيلة بهذه الطريقة، لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر بالدعوة والدعاة، ويمنع انتشارها ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضادتها بكل ممكن، فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب، ولكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم، ولو طالت المدة أولى به من عمل يضر بالدعوة ويضايقها، أو يقضي عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله»⁽²⁾. اهـ.

وقال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا نؤيد المظاهرات والاعتصامات، أو ما أشبه ذلك، لا نؤيدها إطلاقاً، ويمكن الإصلاح بدونها، لكن لا بدّ أنَّ هناك أصابع خفية داخلية أو خارجية، تحاول بثّ مثل هذه الأمور⁽³⁾.

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٢٤٦).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية العدد ٣٨ (ص٢١٠).

(٣) جريدة المسلمون عدد (٥٤٠) (ص١٠) الجمعة (١١/ ١/ ١٤١٦هـ).

وسئل الشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله؛ فقال السائل: أحسن الله إليكم، قرأت عبر شبكة الإنترنت مقالة، قال صاحبها: إنَّ المظاهرات من السنن الشرعية، وأنّ النبي ﷺ وصحابته قد سبق أن قاموا بهذه المظاهرات، وأنَّ الذين لا يرون المظاهرات إنما يحرمونها من أجل الخوف على مصالحهم وبلادهم فقط، فهل هذا صحيح؟

فأجاب الشيخ الفوزان، بقوله: هذا كلام كذَّاب، هذا كذب على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه رضي الله عنهم، ما كانوا يستعملون المظاهرات، هذه من أعمال الكفار، ثم أيضاً ماذا تجدي هذه المظاهرات، لا تحق حقاً ولا تبطل باطلاً، وإنما هي فوضى، وليس فيها إحقاق حق ولا رد باطل، وأما نسبتها إلى النَّبيِّ ﷺ وأصحابه فهذا كذب، وأما قوله: إن من يمنعونها يخافون على مصالحهم، فحسبه الله، حسبنا الله ونعم الوكيل(١).

وهذا سؤال وُجِّه له أيضاً حفظه الله:

هل من وسائل الدعوة القيام بالمظاهرات لحلِّ مشاكل ومآسي الأمة الإسلامية؟

فأجاب: «ديننا ليس دين فوضى، ديننا دين انضباط، ودين نظام، ودين سكينة، والمظاهرات ليست من أعمال المسلمين، وما كان المسلمون يعرفونها، ودين الإسلام دين هدوء، ودين رحمة، لا فوضى فيه ولا تشويش ولا إثارة فتن، هذا هو دين الإسلام. والحقوق يتوصل إليها دون هذه الطريقة، بالمطالبة الشرعية، والطرق الشرعية. هذه المظاهرات تحدث فتناً كثيرة، تحدث سفك دماء، وتحدث تخريب أموال، فلا تجوز هذه الأمور»(٢).

---

(١) فتاوى الأئمة في النوازل (ص١٦٥). (٢) المصدر السابق.

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «صحيح أن الوسائل إذا لم تكن مخالفة للشريعة، فهي الأصل فيها الإباحة، هذا لا إشكال فيه، لكن الوسائل إذا كانت عبارة عن تقليد لمناهج غير إسلامية، فمن هنا تصبح هذه الوسائل غير شرعية، فالخروج للتظاهرات أو المظاهرات، وإعلان عدم الرضا، أو الرضا وإعلان التأييد أو الرفض لبعض القرارات أو بعض القوانين، هذا نظام يلتقي مع الحكم الذي يقول: الحكم للشعب، من الشعب وإلى الشعب، أما حينما يكون المجتمع إسلامياً فلا يحتاج الأمر إلى مظاهرات، وإنما يحتاج إلى إقامة الحجة على الحاكم الذي يخالف شريعة الله».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أقول عن هذه المظاهرات ليست وسيلة إسلامية تنبئ عن الرضا، أو عدم الرضا من الشعوب المسلمة؛ لأنه هناك وسائل أخرى باستطاعتهم أن يسلكوها».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأخيراً، هل صحيح أن هذه المظاهرات تغير من نظام الحكم إذا كان القائمون مصرين على ذلك؟ لا ندري كم وكم من مظاهرات قامت، وقتل فيها قتلى كثيرون جداً، ثم بقي الأمر على ما بقي عليه قبل المظاهرات، فلا نرى أن هذه الوسيلة تدخل في قاعدة أن الأصل في الأشياء الإباحة؛ لأنها من تقاليد الغربيين». اهـ.

وقال أيضاً(٢): «لا تزال بعض الجماعات الإسلامية تتظاهر بها، غافلين عن كونها من عادات الكفار وأساليبهم التي تتناسب مع زعمهم أن الحكم للشعب، وتتنافى مع قوله ﷺ: **«خَيْرُ الهدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ»**». اهـ.

فالمظاهرات كما علمتَ من فتاوى العلماء، وإذ لا دليل على

---

(١) في «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٢١٠).

(٢) في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١٤/ ٧٤).

جوازها؛ فدلَّ ذلك على أنَّها بدعة لا تجوز في شرع الله.

كما أَنَّ جور الحكام قد يكون بسبب ذنوب المحكومين، والذنوب لا ترفع إلا بالتوبة والاستكانة إلى الله لا بالمظاهرات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وكان الحسن البصري يقول: إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون]. وكان طلق بن حبيب يقول: اتقوا الفتنة بالتقوى». اهـ.

وأختم هذا الأمر بكلام ابن خلدون حين قال: «ومن هذا الباب أحوال الثّوّار القائمين بتغيير المنكر مِن العامّة والفقهاء؛ فإِنَّ كثيراً مِن المنتحلين للعبادة وسلوك طُرق الدّين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلى تغيير المنكر والنّهي عنه، والأمر بالمعروف رجاء في الثّواب عليه من الله؛ فيكثُر أتباعُهم والمتشبهون بهم من الغوغاء والدّهماء، ويعرّضون أنفسهم في ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون في هذا السّبيل، مأزورين غير مأجورين؛ لأنّ الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم، وإنّما أَمَرَ به حيثُ تكون القدرة عليه؛ قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه**»». اهـ(٢).

ح ـ ومن الصور أيضاً:

فيما يخص الدعوة:

إذ الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ هي وظيفة الأنبياء والرسل، ولكن هل هناك في بداية دعوة النَّبيِّ ﷺ دعوة سرية؟

---

(١) في «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٣١٥).

(٢) «مقدمة ابن خلدون» (٢٨٠، ٢٨١).

سيأتي لهذا مزيد تفصيل في موطنه.

ط ـ ومن الصور أيضاً:

الرؤى والمنامات:

الرؤى لغة: جمع رؤية، والرؤية بالعين، وتتعدى إلى مفعول واحد، وتأتي بمعنى العلم فتتعدى إلى مفعولين. والرؤية النظر بالعين والقلب(١).

أما في الاصطلاح: فلعلَّ أقرب ما يُذكر هو ما ذكره أبو بكر ابن العربي كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في «الفتح»: الرؤيا: إدراكات علّقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك أو شيطان، إما بأسمائها؛ أي: حقيقتها، وإما بكناها؛ أي: بعبارتها.

وإما تخليط ونظيرها في اليقظة الخواطر، فإنها قد تأتي على نسق في قصة، وقد تأتي مسترسلة غير محصلة(٢). وهي أنواع سيأتي ذكرها.

فقد ورد في السيرة النبوية أكثر من قصة أو حديث في موضوع الرؤى والأحلام، منها على سبيل المثال: رؤيا آمنة أم النَّبيِّ ﷺ، ورؤيا عاتكة... ورؤيا عائشة الصديقة عندما أخبرت بأنها رأت ثلاثة أقمار.

والطبيعة البشرية اهتمت قديماً على اختلاف أديانها بالرؤى، وفسَّروه تفاسير أملته أديانهم إن كانت مرتبطة بكتاب أو بفلسفة، أو عقلية أو هرطقة... إلخ. ومن ذلك الاهتمام القديم: اهتمام الكفار بهذه المنامات، وأنها كانت تهمُّهم وتؤرقهم، فمن رأى منهم رؤيا، بحث بحثاً جاداً عن تفسير لتلك، فمن ذلك مثلاً ما قصه الله ﷻ عن ملك مصر.

---

(١) «لسان العرب» (٥/ ٨٤) مادة: (الرأي).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١٢/ ٣٦٢).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف].

بل إنَّ المشركين لما جادلوا في القرآن، قالوا عنه كما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء]. فذِكْرهم الأحلام مما يعني اهتمامهم بها كاهتمامهم بالشِّعْر.

بل ولا زال اهتمامهم بها إلى وقتنا الحالي.

وقد جاء في مقدمة الشيخ مشهور حسن على كتاب «تعبير الرؤيا» لابن قتيبة(١) ما يبيِّن أنَّ أصل هذا العلم من يهود: زعم رجل يهودي هو م. ج. كيسر أنَّ أصل هذا العلم من اليهود.

وجاء نحو ذلك من قبلُ في «نظم الدرر» للبقاعي(٢).

فالمقصود هو بيان أهمية الأحلام والرؤى، وشدة اهتمام البشرية بها إذ إنَّها أنواع:

فمنها: ما يكون من قبل الشيطان، وهو ما كان من الأضغاث والتخليط الذي لا ينضبط.

ومنها: ما يكون من حديث النفس، وهو ما يشتغل به المرء في اليقظة فيراه في النوم من خوف عدوّ أو لقاء حبيب، أو خلاص من خوف أو نحو ذلك.

ومنها: ما يكون من قبل الطبع؛ كرؤية من غلب الدَّم: للأنوار، والزُّهور، والخمرة، والسرور.

---

(١) (ص٤٦) وما بعدها.

(٢) (١٠/٩٦).

ورؤية من غلبت عليه الصَّفراء: للنيران.

ورؤية صاحب البلغم: للثَّلوج، والمياه.

وكرؤية من غلبت عليه السَّوداء: للكهوف وللظُلَم، والمخاوف.

ومنها: ما يريه الله ﷻ نفس الحالم إذا صفت من أكدار الجسد وخلصت من الأفكار الفاسدة؛ فيشرف الله ﷻ به على كثير من المغيَّبات التي لم تأت بعد على قدر تفاصيل النفس في النقاء والصفاء، يكون تفاضل ما تراه في الصِّدق، وقد جاء عن النَّبيِّ ﷺ أنه لم يبق بعده من النبوة إلّا المبشرات، وهي الرؤيا الصالحة، يراها الرجل أو تُرى له، وأنّها جزء من ستة وعشرين من النبوة، إلى جزء من سبعين جزءاً من النبوة⁽¹⁾.

والعرب من جملة أولئك المهتمين بالأحلام، والرؤى أيضاً، وسيأتي معنا رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب، وكذلك رؤيا جهيم بن الصلت وكيف أن هاتين القصتين فيما حوتاه من أمور الرؤيا أهمَّت قريش وخوَّفتهم، وكذلك ما أورده ابن إسحاق، وابن الأثير، وابن الجوزي، وغيرهم⁽²⁾ عن ربيعة بن نصر اللخمي ـ ملك اليمن ـ وأنَّه رأى رؤيا هالته، فلم يدع كاهناً ولا منجّماً إلّا جمعه إليه، حتى قال لهم: إنّي رأيت رؤيا هالتني، فأخبروني بتأويلها. فقالوا: اقصصها علينا. فقال: إنّه لا يصدق تأويلها إلّا من عرفها، قبل أن أخبره بها!! قالوا: فإن كنت تريد ذلك فابعث إلى سطيح وشق ـ اسم كاهنين ـ فبعث إليهما. فقدم

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٥/ ١٤، ط: مكتبة السلام العالمية). وحديث المبشرات عند البخاري (٦٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»**.

(٢) «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٧٠)، «الكامل» لابن الأثير (١/ ٣٢٠).

على سطيح، فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني، فإن أصبتها أصب تأويلها... إلخ.

وغيرها من الرؤى.

ولا يزال الناس يهتمون للمنامات ويعرفون لها قدرها ويعترفون أنها أحياناً لا يستهان بها.

وقد اعتنى بها الإسلام وضبطها وجعلها أقساماً، وهي الحلم والرؤيا، وأضغاث الأحلام.

واستمر الأمر إلى ما بعد ظهور البدع، وخاصة الصوفية وغيرهم الذين يعتمدون في تشريعاتهم على المنامات واعتبروها مصدر إلهام.

مع أنَّ قول العلماء أصحاب القول الحق: أنه لا يقوم بالمنامات حكم ولا تشريع ولا حجة، وأنها فقط من المبشرات أو المحذرات.

وكتب الصوفية طافحة بهذا الاعتبار والاعتماد عليه.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأضعف هؤلاء احتجاجاً، قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلاناً الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا واعملوا كذا، ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة»(١).

وجاء في كتاب «الصوفية في حضرموت» لأمين السعدي(٢): «جاء

---

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٦٠، ط: السعادة بمصر)، وانظر: «المقدمات والتمهيدات السلفيات» لمشهور حسن مع غيره (ص٢٤٩)، و«الصوفية في حضرموت» لأمين السعدي (ص٣٠٧).

(٢) (ص٣١١).

في كتاب «تذكير الناس» ص (٢٥٠): «وبلغنا أن شهر شوال ثبت في بعض السنين عند القاضي بتريم، فاجتمع السادة أهل البلد لصلاة العيد وتأخر بعض أهل السادة من أهل العيدروس عن الخروج، فسار الخطيب إلى بيته، وسأله عن سبب تأخره، فقال الحبيب: إنّي رأيت النبي ﷺ البارحة، وقلت له: هذه الليلة من ليالي شوال؟ قال: لا وأن لا أفطر هذا اليوم». وذكر نصوصاً أخرى ثم قال: «وفي هذا النص تصريح واضح من أحد كبارهم في عدم التعويل على الكتب المعتمدة على علوم الشرع، وإنما الاعتماد على الأحلام والرؤى بما تحمله من مخالفات شرعية».

ولئن كان هناك من غلا في أمر المنامات كالصوفية، ومنهم من أنكرها فإِنَّ أهل السُّنَّة وسط بين هؤلاء وأولئك.

قال الإمام أحمد بن حنبل: «والرؤيا من الله حق، إذا رأى صاحبها في منامه ليس ضغثاً، فقصَّها على عالم، وصدق فيها تأويلها على أصل تأويلها الصحيح، ولم يحرِّف، فالرؤيا تأويلها حينئذٍ حق، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحياً، فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا؟ ويزعم أنها ليست بشيء، وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام!»(١).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عبارة الرؤيا علم صحيح، ذكر الله في القرآن، ولأجل تأويلها؛ لأنَّها من أقسام الوحي. اهـ(٢).

وكلام السلف في إثبات الرؤيا كثيرٌ مشهورٌ عن غير واحدٍ؛ كأبي الحسن الأشعري(٣) وغيره.

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٨).

(٢) «مجموع مؤلفاته» (٥/ ١٤٣).

(٣) نقل عنه ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» (ص١٦٢).

ومما ابتُلِينا به في هذا الزمان شباب تَسَوَّروا المحراب فجرّبوا أنفسهم في تأويل الأحلام، فأصبحوا يصنعون لهم عناوين، ولبعضهم مواقع في الإنترنت، وبعضهم أصبح يعمل فيما يسمَّى ببيع الوهم، أو لطلب الشهرة، وأن يشار إليه بالبنان، كما يقول بعضهم في بعض القنوات الفضائية: اترك رسالة ويأتيك الرد، ويكون هذا الربح متقاسم بين الشركة المسهلة وبين صاحب القناة، والله المستعان.

عودٌ على بدْءٍ:

والمقصود مما سبق:

الإشارة إلى بعض ما يلزم المحبين تجاه الحبيب ﷺ، والإشارة إلى بعض ما ينافي محبته ﷺ، وما لا يستقيم فِعْله مع ادعاء المحبة له عليه الصلاة والسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من تقرَّب إلى الله بما ليس من الحسنات المأمور بها أمر إيجاب ولا استحباب، فهو ضال متبع للشيطان، وسبيله من سبيل الشيطان، كما قال عبد الله بن مسعود: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: «**هذا سبيل الله، وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام](١).

فهذا أصل جامع يجب على من آمن بالله ورسوله أن يتَّبعه، ولا يخالف السُّنَّة المعلومة، وسبيل السابقين الأولين من المهاجرين

---

(١) حديث حسن: أخرجه الطيالسي (٢٤١)، والدارمي (٢٠٨)، وأحمد (٤٤٣٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٠٩، ١١١١٠)، وله شاهد من حديث جابر رضي الله عنه: رواه أحمد (١٥٢٧٧).

والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان؛ باتباع من خالف السُّنَّة والإجماع القديم. . . ». اهـ(١).

وبعد هذا. . فلا أظنُّ عاقلاً تبيَّن له بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة وأقوال العلماء الجامعة؛ لا أظنه بعد ذلك سيستمر في دعواه في فعل ما يخالف محبوبه ﷺ؛ وإلَّا لبقيت دعوى المحبة دعوى عارية عن الدليل.

ومن الواضح أنَّ من نظر في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ودرس هذه السيرة المباركة، ابتعد كلَّ البُعد عما يشوب المحبة الصحيحة من شبهات أو يعطّلها، وهذا أعظم مقصود من إدمان النظر في السيرة النبوية على المنهج السلفي لا المنهج الحركي. والله المستعان.

---

(١) «الفتاوى» (١/ ١٦٢).

كتاب «الفتوحات السبحانيَّة في شرح نظم الدرر السنيَّة في السيرة الزكيَّة» ومنهج المؤلف فيه

بعد أن كتب المناوي: «العجالة السنية»، أتبعه بشرح آخر مطول، هو «الفتوحات السبحانية»، وكانت «العجالة» شرح أقوال، يذكر الأبيات مقطَّعة ثم يشرحها، أمَّا «الفتوحات السبحانية» فكانت شرح مزج، مزج النظم بالشرح.

وهذا الشرح جاء على الضعف من «العجالة» تقريباً، وقد أتى فيه المناوي الشارح بالفوائد والفرائد التي قد لا توجد إلّا عنده، وحاله حال غيره من الشراح، فقد فاته أشياء ووقع في أوهام أذكرها في محالها مع بيان ذلك.

وقد بيَّن: سبب تأليفه لهذا الكتاب فقال: «لما منَّ عليَّ شرحها، وكان في غاية الوجازة، ونهاية الاختصار، سألني بعض عباد الله الأخيار أن أردفه بشرح متوسط بين الإقلال والإكثار، يكون في معنى الشرح لشرحي الأول، فأُلْهِمْتُ إجابة السؤال، وعلقت هذا الشرح باستعجال وطويت به ما تشتت وتفرَّق في الكتب الطوال».

فمن هذا النص نجد أنَّ الشرح الحالي أطول من الأول، وهو كذلك فعلاً، وأنه رَحِمَهُ اللَّهُ طالت يده كتب لم تكن متيسّرة لغيره؛ بل إنه يذكر كتباً مفقودة الآن.

والمناوي رَحِمَهُ اللَّهُ أطال بتأنٍّ، فقد فتح طريقاً للشرح كاشفاً عن ساعد

الجد والاجتهاد، ملتمساً العذر فيما قصَّر فيه البحث.

فبدأه بشرح المنظومة والتي بدأت بالبسملة، فأطال فيها وأورد الروايات المذكورة مع نقد لها وسكوت عن بعضها، ثم تابع شرح الأبيات وسار على موضوعها، فأتى بالعجائب والنكات العلمية بتوسع في العبارة وتفنن.

إلّا أنّ هذا الشرح كغيره من الشروح التي تنتقد نقداً بناءً.

وأبرز ما يلاحظ وينقد على هذا الشرح، هو ما جاء فيه من أخطاء عقدية نبَّهتُ عليها كما سيمر معك.

وكذا ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الأحاديث وسكت عنها، أضف إلى ذلك الأوهام التي وقع فيها المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ضبطه لبعض الكلمات، أو تحديد الأماكن، فوجدتُ خير من نَبَّهَ على ذلك تلميذه الأجهوري في شرحه على الألفية، فكنتُ أذكر تعقيبه عليه لتكتمل الفائدة.

لكن يُلاحظ على هذا الكتاب الماتع عدم توسع المناوي في بعض المباحث اللغوية، خاصة، وكذلك عدم عزوه في كثير من الأحيان كما ستراه.

كما يُلاحظ عليه الاقتضاب في بعض المباحث الخاصة بالغزوات وما تلاها من مباحث السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

فليس الكتاب فيما أرى في بداياته مثله في نهاياته، من حيثُ طول النَّفَس في الشرح والتعليق على الأبيات.

ومن الملاحظات على هذا الكتاب أيضاً: عند ذكر الصحابي علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإنه يقول: كرم الله وجهه، إضافة إلى المصطلحات الصوفية المذكورة في أثناء الكتاب.

* * *

ولأهمية هذا الشرح وحاجة شُرَّاح الألفية إليه، أتشرف بإخراجه مع التعليق عليه بما يسَّره الله لي من تنبيهات أو تعليقات.

الكلام على الألفية وشروحها

تقدَّم الكلام على الألفية في مقدمة تحقيقي لـ «العجالة» فالحمد لله رب العالمين.

ترجمة المناوي(١)

سبق وترجمتُ للمناوي أثناء تحقيقي كتاب «العجالة السنية»، وأنا أنقل ما ذكرتُه هناك مع بعض الزيادات؛ فأقول:

نسبه:

هو (محمد)(٢) عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين

---

(١) **مصادر ترجمة المؤلف:** «إعلام الحاضر البادي بترجمة عبد الرؤوف المناوي الحدادي» لولده تاج الدين، و«خلاصة الأثر» للمحبي، و«فهرس الفهارس» للكتاني، و«الأعلام» للزركلي، و«معجم المؤلفين» لكحالة و«كشف الظنون» لحاجي خليفة، و«البدر الطالع في أعيان القرن التاسع». و«عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ٦٦)، وذكر فيه أنه توفي سنة (١٠٣٢هـ).

إلى جانب الدراسات الموجودة في مقدمات كتب المناوي، التي حُقِّقَتْ وطُبعت؛ منها: مقدمة «الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي» لأحمد مجتبى عالم، وكذلك مقدمة كتاب «النقود والمكاييل والموازين» للدكتور رجاء السامرائي.

وكذلك كتاب «النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية»، وكذلك مقدمة «اليواقيت والدرر في شرح شرح نخبة الفكر» لحسن محمد. وكذلك حقق هذا الكتاب وعمل له دراسة مرتضى أحمد، وقد أفدت منها في الترجمة.

(٢) قال في كتابه «الكواكب الدرية» كما في «الأعلام» (٦/ ٢٠٤): وأنا محمد المدعو عبد الرؤوف.

وقال الزركلي: في المؤرخين من يسمّيه عبد الرؤوف بن علي وسمّاه المحبي: عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي.

العابدين بن يحيى⁽¹⁾ بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام الحدادي ثم المُناوي أو المنوي القاهري الشافعي، الملقب بزين الدين.

والحدادي: نسبة إلى حدادة، قرية من أعمال تونس بالمغرب، انتقل منها جدّه شهاب الدين أحمد إلى منية بني خصيب في الصعيد بمصر⁽²⁾، ونسبته إليها.

وأما من جهة أمهاته:

فإنه يتّصل نسبه بالحافظ العراقي (ت٨٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قال في مقدمتي شرح السيرة: . . نظم جدنا الأعلى من قبل الأم. اهـ.

وذكر هذا أيضاً في «فيض القدير» (١/ ٧٦).

ولذلك يعرف بالسبط المناوي.

بل قال المحبِّي في «خلاصة الأثر» (٢/ ٤١٤): «وشرح ألفية السيرة لجده العراقي».

مولده ونشأته:

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في القاهرة سنة (٩٥٢هـ)، ونشأ وتربَّى في حجر والده، وحفظ القرآن قبل بلوغه، كما حفظ بعض الكتب في مختلف العلوم التي كانت مقرّرة في ذلك الوقت، مما كان له الأثر الواضح في شخصية المناوي فحفظ «البهجة»، أقول: لعلّه «البهجة الوردية»، وهي نظم الحاوي الصغير في الفروع للقزويني (ت٦٦٥هـ)، وهي من نظم عمر بن

---

(1) ترجمته في «الضوء اللامع» و«الإعلام» (١٦٧/٨).

(2) «فهرس الفهارس» للكتاني (٥٦٠/٢) و«إعلام الحاضر والبادي بترجمة عبد الرؤوف المناوي الحدادي» لابنه توجد منه نسخة في (عارف حكمت) برقم (٣٧٥٨).

مظفر الوردي الشافعي (ت٧٤٩هـ) كما في «كشف الظنون» (١/ ٦٢٧).

وحفظ ألفية ابن مالك في النحو، وألفية السيرة للعراقي، وألفية الحديث له أيضاً، ثم بعد ذلك بدأ بتحصيل العلوم النافعة في التفسير والحديث والأدب وغير ذلك.

مشايخه:

تقدم أنّ المناوي نشأ في حجر والده تاج العارفين، فربّاه التربية الصالحة، حتى حفظ القرآن قبل بلوغه، وهذه الأسرة أسرة المناوي أسرة علمية، فلا غرابة أن ينشأ فيها هذ العالم ويهتمّ بتحصيل العلوم، فأول معلم للمناوي هو والده، الذي علّمه بالإضافة إلى حفظ القرآن علوم العربية.

والمصادر لا تكاد تسعف الباحث بتفاصيل شيوخ المناوي، وبمعرفة أثر والده عليه فيما بعد، فهل أرسله إلى حلقات العلم شَأْنَ كثير من الآباء الذين لهم اعتناء بذلك؟! أم أنها رغبة ذلك العالم في تحصيل تلك المعارف والعلوم، ولذلك نجد أن المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حصّل الكثير منها، ولكنه شأن من ينجمع على علم معين فيتخصّص فيه، فقدّر له أن يكون مهتماً بالحديث وعلومه.

فهل هذا التخصّص في هذا الفن كان نتيجة توجه المناوي، أم أنّ والده رَغَّبَه وشجَّعه على ذلك؟! فمن المشايخ الذين استفاد منهم المناوي الشمس الرملي الذي تفّقه به، وكان أكثر اختصاصه به وعلى يديه برع، ومنهم أيضاً: النور علي بن غانم المقدسي، أخذ عنه التفسير والحديث والأدب.

وأخذ التفسير أيضاً والتصوّف وبعض الدروس للأستاذ محمد البكري، وأخذ الحديث عن النجم الغِيطِيّ السكندري المصري، والشيخ قاسم، والشيخ حمدان الفقيه والشيخ الطبلاوي.

وأخذ التصوف عن جمع، ومن أولئك وعنه تلقن الذكر شيخه عبد الوهاب الشعراوي، وقد توغَّل المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى أخذ الطرق الصوفية!! عن جمع من مشايخه في ذلك الوقت.

تلاميذه ومؤلفاته:

لقد كان المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ موصوفاً بأوصافٍ علمية، فقد وصفه المُحِبِّيُّ الحموي في «خلاصة الأثر» (٢/ ٤١٢) قائلاً: الإمام الكبير الحجة الثبت القدوة صاحب التصانيف السائرة، وأجل أهل عصره من غير ارتياب، وكان إماماً فاضلاً زاهداً عابداً قانتاً لله خاشعاً له..

وقال عنه الكتاني في «فهرس الفهارس» (٢/ ٥٦٠): هو الإمام.. وصفه بالحافظ جماعة.. ولا شك أنّه كان أعلم معاصريه بالحديث، وأكثرهم فيه تصنيفاً، وإجادة وتحريراً..

ووصفه أبو مهدي الثعالبي كما في «فهرس الفهارس»: بخاتمة الحفاظ، ووصفه الحافظ المقري في «فتح المتعال»: بالعلّامة محدّث العصر، علامة مصر، وقال عنه: لقيته بالقاهرة، وزرته في بيته، وجاءني إلى منزلي..

ووصفه الزركلي في «الأعلام» (٦/ ٢٠٤) بأنّه من كبار العلماء بالدين والفنون، ولما كان هذا الوصف لهذا الإمام الذي قد عرفه به من عاصره، ومن جاء بعده، جعل من المناوي كعبة تؤمّ وقبلةً تقصد، فقصده الكثير من طلبة العلم ليأخذوا عنه.

فممن أخذ عنه العلم:

شيخ المالكية في عصره الشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمٰن الأجهوري المالكي، أبو الإرشاد نور الدين (ت١٠٦٦هـ)، وقد شرح الأجهوري ألفية السيرة للعراقي وتعقّب فيها شيخه المناوي، وأخذ عنه

ولداه تاج الدين، ومحمد زين العابدين، والشيخ سليمان البابلي، والسيد إبراهيم الطاشكندي، وأحمد الكلبي، . . وغيرهم.

وكان للمناوي العديد من المصنفات، فلم يشغله المنصب والتدريس عن ذلك، بل إنّه كان في أخريات حياته يستملي منه التآليف ويسطرها.

فتآليفه كثيرة منها:

١ ـ الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية، ط.

٢ ـ فيض القدير في شرح الجامع الصغير، ط.

٣ ـ العجالة السنية على ألفية العراقي في السيرة النبوية، وقد طُبع، ولله الحمد، بتحقيقي.

٤ ـ الفتوحات السبحانية في شرح ألفية العراقي في السيرة النبوية، وهو هذا الكتاب.

٥ ـ الروض الباسم في شمائل المصطفى أبي القاسم ﷺ، ط.

٦ ـ اليواقيت والدرر في شرح شرح نخبة الفكر، ط.

٧ ـ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ط.

٨ ـ كنز الحقائق في حديث خير الخلائق (خ).

٩ ـ الآداب.

١٠ ـ تخريج الأحاديث الأربعين (خ).

وغير ذلك من الكتب التي ألّفها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي كثيرة جداً.

عقيدته:

إن شخصيَّة علميّة كشخصيّة المناوي، حقيق بأن يعرف معتقد صاحبها، خاصة وأنّ الرجل مشتغل بعدّة فنونٍ علمية، فهل الرجل سلفي المعتقد أم أنّه شابته شائبة في مجال الاعتقاد؟

فقد ذكر أحمد مجتبى في مقدمة كتاب «الفتح السماوي. .» (١/ ٢٠): أنّه كان متصوّفاً بمعنى التصوّف البدعي، الحائد عن طريقة السلف الصالح، وأنّه انتسب لعددٍ من الطرق الصوفية كالطريقة النقشبندية والشاذلية وغيرهما، وأنّه ألف عدداً من المؤلفات في نصرة التصوف والمتصوفة.

ثم بيّن هو ومرتضى أحمد محقق «اليواقيت والدرر» أنّ المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان أشعرياً(١)، واستدلَّ على ذلك بأمور صرَّح بها المناوي نفسه. وكذلك ما نقله محقق «اليواقيت» في آخر الكتاب من كلام السبكي في طعنه لشيخه الذهبي، والمعروف أنّ الذهبي ينصر عقيدة السلف الصالح، والسبكي ينصر عقيدة الأشاعرة، فلمّا نقل المناوي كلام السبكي لم يتعقّبه.

مناصبه ووفاته:

من مناصبه التي تولاها: النيابة الشافعية وبعض المجالس، فسلك فيها الطريقة الحميدة وكان لا يتناول منها شيئاً، ثم رفع نفسه عنها، وانقطع عن مخالطة الناس، وانعزل في منزله، وأقبل على التأليف.

وبعد هذا العمر المديد، قرابة السبعين عاماً وزيادة، قضى منها ما يقارب الخمسين عاماً في العلم، تعلُّماً وتعليماً، حتى وافته المنيَّة صبيحة يوم الخميس في شهر صفر سنة (١٠٣١هـ).

---

(١) انظر ص(٨٣) من هذا الكتاب.

وصف النسخ الخطية

١ ـ النسخة المعتمدة هي نسخة محفوظة في مكتبة الحرم المدني، أوقفها محمد المنوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عدد أوراقها: **٢٧٦** ورقة. وكل ورقة تحتوي على وجهين، في كل وجه **٢٣** سطراً تقريباً. وفي كل سطر ما يقارب (١٠ ـ ١٣) سطراً.

وخطها جميل وواضح، إلا أن فيها نقصاً كثيراً مقارنة بالنسخة (ك) الآتية هنا. وقد صرح ناسخها بكونها منقولة من خط المؤلِّف، وسيأتي قوله في (ص١٠٦): «بلغ مقابلة على خط مؤلفة المنقول منه مع مؤلفه».

وفي نسختنا هذه حواش كثيرة، أكثرها شرح وتفسير لمعنى الكلمات، أو بيان لضبطها بالكلمات.

وقد رمزت لها بالرمز (غ).

ومما يلاحظ على هذه النسخة أنها احتوتْ على أبيات الألفية مفرقة في أعلى صفحات النسخة، أعلى شرح المؤلِّف لها، مكتوبة بخط أندلسي جميل، ولكن أصابت الأكلة مواضع هذه الأبيات في عدد من صفحات النسخة، مما اضطرني إلى وضع أبيات الألفية قبل شرح المؤلف لها على الصفة التي سأذكرها بعد قليل في منهج العمل في الكتاب.

٢ ـ نسخة مغربية من محفوظات مركز الملك فيصل، العامر، وهي من محفوظات وقفيات خير الدين الزركلي.

عدد أوراقها: ١٩٠ ورقة. كل ورقة تحتوي على وجهين، كل وجه

فيه ٣٠ سطراً تقريباً. وفي كل سطر (١٥ ـ ١٧) كلمة تقريباً.

خطها ليس بذاك، وفيها أخطاء إملائية.

ومع هذا ففيها زيادات كثيرة على النسخة السابقة (غ) ومثيلتها الآتية (ف)، وبعض هذه الزيادات في (ك) لا يُستغنى عنها؛ لأهميتها، حتى إنَّ بعضها ربما أخلّ عدم إثباته والوقوف عليه بالمعنى، ومن هنا تبرز أهمية هذه الزيادات المشار إليها، وإنْ كانتْ بعض الزيادات أقل في أهميتها من بعض.

وقد كنتُ أُنَبِّه صراحةً على زياداتها المذكورة في مواضعها من الكتاب، ثم بدا لي بعدُ أنْ أقتصر في الإشارة إليها بوضعها بين معكوفين؛ طلباً للاختصار.

ورمزتُ لهذه النسخة بالرمز (ك).

٣ ـ نسخة مغربية أخرى، من محفوظات جامعة الملك عبد العزيز.

وفيها زيادات ويظهر عليها العناية بها.

وقد وضعت ما جاء فيها من زيادات في حاشية كتابنا هذا.

ورمزت لها بالرمز (ج).

٤ ـ نسخة أخرى من محفوظات جامعة الملك عبد العزيز بجدة، رمزت لها بالرمز (ف).

وقد جرت العادة في هذه النسخة على كتابة اسم الحديث أو المواضع المهمة على هيئة عناوين جانبية، على حاشية النسخة الخطية أمام هذه المواضع، فلم أجد فائدة من نقل ذلك كله في هوامش هذه الطبعة؛ كون هذه العناوين لم تخرج عن متن الكتاب، وإنما هي اقتباسات من المتن للدلالة على ما فيه، فهي فهرسة خاصة بالناسخ، يُستغنى عنها بفهارس الكتاب الملحقة في آخر هذه الطبعة، فلا داعي للتكرار.

كما جرتْ العادة في نسخة (ف) أيضاً على ضبط أكثر الكلمات ضبط قلم بعلامات الإعراب، وقد اقتبسنا هذا الضبط في الكلمات المشكلة.

ومع هذا فقد توافقت هذه النسخة مع النسخة السابقة (غ) في كل ما فيها مِن أوجه السقط أو غيره؛ إلا نادراً جداً، ويظهر لي أن إحدى النسختين مأخوذة عن الأخرى بشكلٍ أو بآخر، فبدا لي لذلك أن أستفيد منها دون تكرار الإشارة كل مرة إلى موافقتها للنسخة (غ)، على سبيل التخفيف؛ إلَّا إذا اقتضت الضرورة البيان والتوضيح أحياناً.

٥ ـ نسخة محفوظة في الجامعة الإسلامية، خطها واضح مقروء، فيها فوائد في الحواشي.

لكنها كثيرة الأخطاء والتصحيف.

وقد أفدت من حواشيها.

ورمزت لها بالرمز (م).

٦ ـ نسخة أخرى محفوظة في الجامعة الإسلامية أيضاً. خطها مقروءة وقد أستفدتُ منها في مقابلة الكتاب، وليس فيها ما في سابقاتها مِن حواش وفوائد.

ورمزت لها بالرمز (هـ).

عملي في الكتاب

١ ـ قمت بنسخ المخطوط، ووضع علامات الترقيم.

٢ ـ ما كان في النسخة (ك) مِن زيادات؛ فإني أضفته بين معكوفتين، وكنتُ قد نبهتُ على هذه الزيادات صراحةً في أول الأمر ثم تركتُ ذلك بعدُ اقتصاراً على الإشارة لهذا بوضعه بين معقوفين، طلباً للاختصار.

بينما وضعتُ الزيادت التي في النسخة (ج) في الحواشي، وكذا ما في النسخة (م) من فوائد ذكرته في الحواشي كذلك، وأغفلت الفروق بين النسخ في الكلمات غير المخلة بالمعنى؛ من ذلك الصلاة والسلام على الأنبياء صلوات الله عليهم، وكذلك إذا وردت صيغة (عليه السلام) فأنا أتمها (عليه الصلاة والسلام)، أو أزيد (رضي الله عنه) دون الإشارة إلى ذلك.

وقد جرتْ عادة الكتاب في مواضع كثيرة على ترك الصلاة والتسليم على النبي ﷺ، فأضفتُ الصلاة والسلام عليه ﷺ، في هذه المواضع التي خلتْ من الصلاة والتسليم عليه ﷺ، واكتفيتُ بهذا التنبيه هنا عن تكرار التنبيه على ذلك في كل مرةٍ يرد ذلك في داخل الكتاب.

كما جرتْ عادة الناسخ في نسخة (غ) على وضع خطٍ فوق الكلمة المراد شرحها، فكتبنا هذه الكلمة الآن باللون الأكثر سواداً عن بقية الكلام، لتتميز بذلك؛ كبديلٍ عن الخط الذي اعتاده الناسخ.

٣ ـ وضعتُ أبيات ألفية الناظم العراقي في مناسباتها بداية كل

بابٍ، قبل شرح المؤلف، وجعلتُها في صفحةٍ منفردةٍ، ثم يبدأ بعد ذلك شرح المناوي، وهكذا دائماً، وعليه فالأبيات في أول كل باب من عندي نقلاً عن ألفية العراقي، وليستْ مِن كلام الشارح المناوي.

وإنما فعلتُ هذا لأمرين:

الأول: تسهيلاً على القارئ، مع التنبيه هنا على أن الأبيات في أوائل كل باب ليست من صلب كتاب المناوي وإنما شَرَحَ المناوي الأبيات في أثناء الشرح ولم يذكرها في أول الأبواب كما فعلتُ.

الثاني: أن الأبيات قد كُتِبَتْ في النسخة (غ) أعلى الصفحات بخط أندلسي جميل، كما ذكرتُ آنفاً عند الكلام عن النسخة (غ)، لكن أصابت الأكلة عدداً مِن مواضع هذه الأبيات، فنقلتُها عوضاً عن ذلك من نسخةٍ خطية للألفية بخط ناظمها الحافظ العراقي، ووضعتُها في الموضع المشار إليه آنفاً.

٤ ـ ترجمت للإعلام، ولم ألتزم بذِكْر مصادر تراجم الرواة الذين ترجمتُ لهم في أثناء تخريج الروايات، خاصة رواة الكتب الستة، طلباً للاختصار من جهةٍ، واعتماداً على شهرة تراجم رواة الستة في «تهذيب الكمال» وغيره من جهة أخرى، وقد أذكر المصدر بعد المصدر خصوصاً في غير المشهورين من الرواة.

٥ ـ وكذا عزوتُ الأحاديث لمصادرها، وأشرتُ لشيءٍ مِن حكم النقاد عليها، ولم أستطرد في هذا الباب أيضاً؛ طلباً للاختصار، اللَّهُمَّ إلا مواضع رأيتُ الأمر فيها يستدعي الاستطراد في تخريج الروايات والإشارة لما فيها، وبقيت مواضع يسيرة لم أستطع ـ لسببٍ أو لآخر ـ الوصول إليها فيما ذكره المؤلِّف مِن مصادر فخرَّجْتُها مِن مصدرٍ آخر بغية توثيق النص.

٦ ـ كما عزوتُ الأقوال والآثار لمصادرها التي نَقَلَ منها المؤلِّف،

واجتهدتُ في هذا الباب، وحرصتُ على العودة للمصادر الأصلية ما أمكنني ذلك، إلَّا أنْ يعزَّ عليَّ الوصول للمصدر الأصلي فأراجع النَّقْل على مصدرٍ آخر، بغية التأكد مِن سلامة النص، وبذلتُ في هذا الباب جهداً أسأل الله ﷻ أن يكون قد وفقني فيه.

٧ ـ كتبت مقدمة للشرح، وعرَّفت بالنظم، وذكر الشروحات عليه، وترجمت للمناوي بترجمةٍ نقلتُها من تحقيقي لكتاب «العجالة السنية».

٨ ـ وأخيراً فقد اقتصرتُ على فهارس موضوعاته وبعض فوائده، طلباً للاختصار.

هذا.. وبينما أنا أعمل على إخراج الكتاب؛ إذ أخبرني أحد الأفاضل بخروج طبعة أخرى له، سنة ١٤٢٨هـ، عن مكتبة الرشد.

ولا زالت ترد إلى مسامعي أنباء طبعات أخرى ستخرج. والله أعلم.

والله المولى ﷻ المسؤول أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل.

ولا أنسى أن أتقدَّم بالشكر لله ﷻ. ثم لكل من ساهم معي في إخراج هذا الكتاب بالمساعدة في تصوير مخطوطاته، أو بتوجيه أو إرشاد أو تصحيح أو نصح.

وأخص بالشكر أخي الدكتور جمال عزون الذي يسر الله على يديه الحصول على نسخة (غ). وأخي الطبيب فهد الحقباني الدوسري الذي يسر الله على يديه الحصول على نسخة (ج). وأخي تفاحة الجوف الدكتور فيصل بن عبد العزيز العقل الذي يسر الله على يديه الحصول على نسخة (ف). وأخي أبو عبد الرزاق محرز الجزائري الذي دلَّني على مكان وجود نسخة (ك) فقمتُ بتصويرها.

فأسأله سبحانه أن لا يحرمهم أجر خدمة العلم وأهله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمدٍ ﷺ.

✍ كتبه
عمر بن أحمد ابن الشيخ علي الأحمد آل عبّاس
ص. ب ٧٠٠
دومة الجندل في منطقة الجوف
وقاها الله شر لباس الجوع والخوف

صور المخطوطات

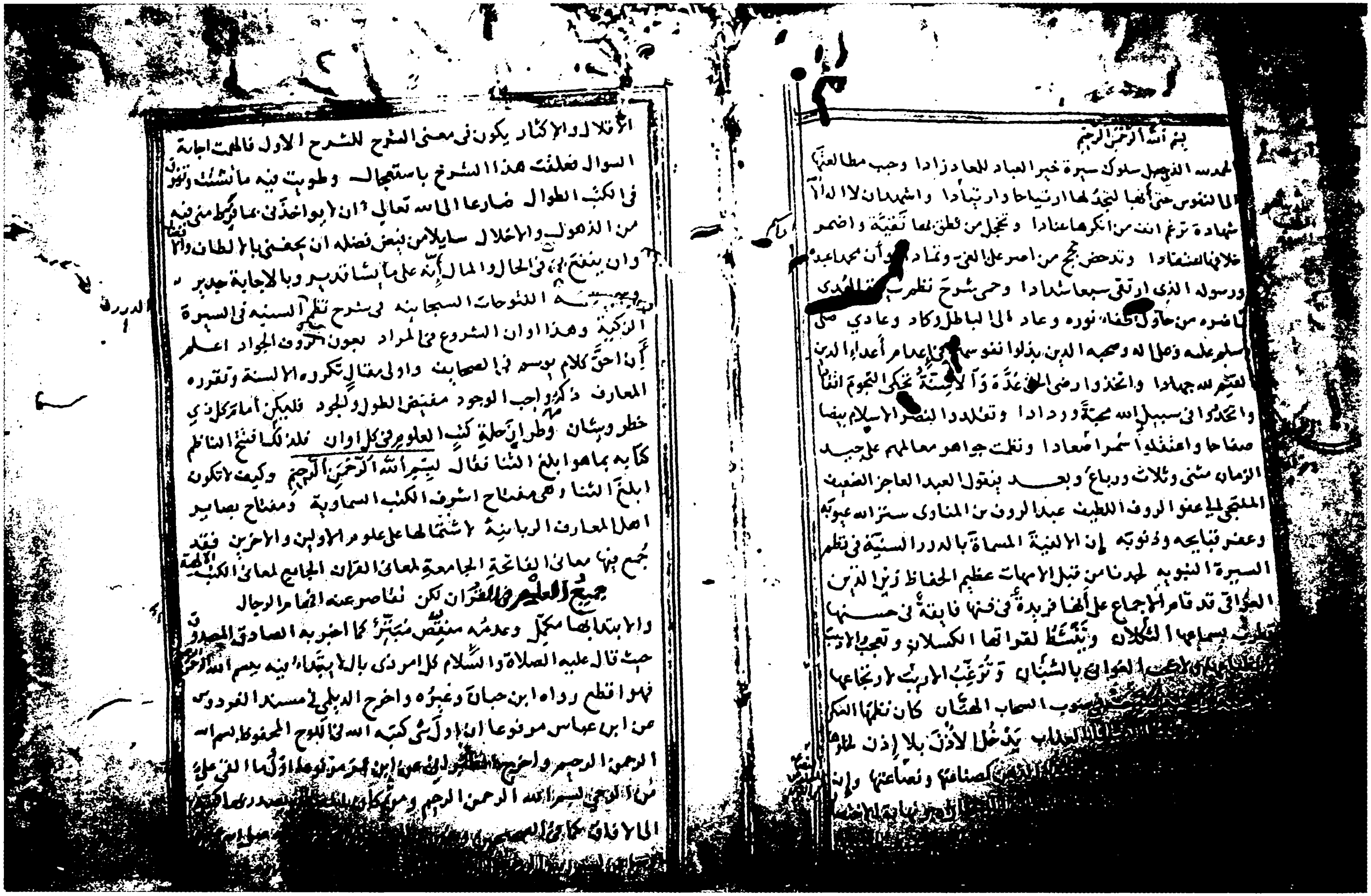

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل سلوك سيرة خير العباد للمعاد زادا وجب مطالعتها
الى النفوس حتى انها لتجد لها ارتياحا وارتيادا واشهد ان لا اله الا
شهادة ترغم انف من انكرها عنادا وتجل من نطق لها تقية واضمر
خلافها اعتقادا وتدحض حجج من اصر على الغي وتمادى واشهد ان محمدا عبده
ورسوله الذي ارتقى سبعا شدادا وحمى شرح نظم [illegible] الهدى
ناصره من حاول اطفاء نوره وعاد الى الباطل وكاد وعادي صلى
الله عليه وعلى اله وصحبه الذين بذلوا نفوسهم في اعدام اعداء الدين
[illegible] لله جهادا واتخذوا رضى الحق عدة وآلاتهم الاسنة تحكي النجوم انتقادا
واجتهدوا في سبيل الله محبة ووددادا وتقلدوا لنصر الاسلام بيضا
صفاحا واعتقلوا سمرا صعادا ونظمت جواهر معالمهم على جيد
الزمان مثنى وثلاث ورباع وبعد فيقول العبد العاجز الضعيف
الملتجي الى عفو الرؤوف اللطيف عبد الرؤوف بن المناوي ستر الله عيوبه
وغفر قبايحه وذنوبه ان الالفية المسماة بالدرر السنية في نظم
السيرة النبوية لمحدث من قبل الامهات عظيم الحفاظ زين الدين
العراقي قد قام الاجماع على انها فريدة في فنها فايقة في حسنها
[illegible] بسماعها الثكلان وينشط لقراءتها الكسلان وتعجب الاديب
[illegible] العواتق بالشبان وترغب الاريب لرجاحها
[illegible] صوب السحاب الهتان كان نظمها المحكم
[illegible] يدخل الاذن بلا اذن لما
[illegible] لصنائعها ونصاعتها وانه
[illegible]

الاقلال والاكثار يكون في معنى الشرح للشرح الاول فالهمت اجابة
السؤال فعلقت هذا الشرح باستعجال وطويت فيه ما نشر ونثر
في الكتب الطوال ضارعا الى الله تعالى ان لا يؤاخذني بما فرط مني فيه
من الذهول والاخلال سايلا من فيض فضله ان يجعلني بالالطاف [illegible]
وان ينفع به في الحال والمآل انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير
وسميته الفتوحات السبحانية في شرح نظم الدرر السنية في السيرة
الزكية وهذا اوان الشروع في المراد بعون الرؤوف الجواد اعلم
ان احق كلام يوسم في الصحايف واولى مقال تكرره الالسنة وتقرره
المعارف ذكر واجب الوجود مفيض الطول والجود فلم يكن امام كل ذي
خطر وشان وطراز حلة كتب العلوم في كل اوان فلذلك افتتح الناظم
كتابه بما هو ابلغ الثنا فقال بسم الله الرحمن الرحيم وكيف لا تكون
ابلغ الثنا وهي مفتاح اشرف الكتب السماوية ومفتاح بصاير
اهل المعارف الربانية لاشتمالها على علوم الاولين والاخرين فقد
جمع فيها معاني الفاتحة الجامعة لمعاني القران الجامع لمعاني الكتب الالهية
جميع العلم في القران لكن تقاصر عنه افهام الرجال
والابتدا بها مكمل وعدمه منقص مبتر كما اخبر به الصادق المصدوق
حيث قال عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن [illegible]
فهو اقطع رواه ابن حبان وغيره واخرج الديلمي في مسند الفردوس
عن ابن عباس مرفوعا ان اول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ بسم الله
الرحمن الرحيم واخرج الطبراني عن ابن عمر مرفوعا اول ما القي علي
من الوحي بسم الله الرحمن الرحيم ومن كان [illegible]
الى الاذان كما في [illegible]

الصورة رقم (١) من نسخة (غ)

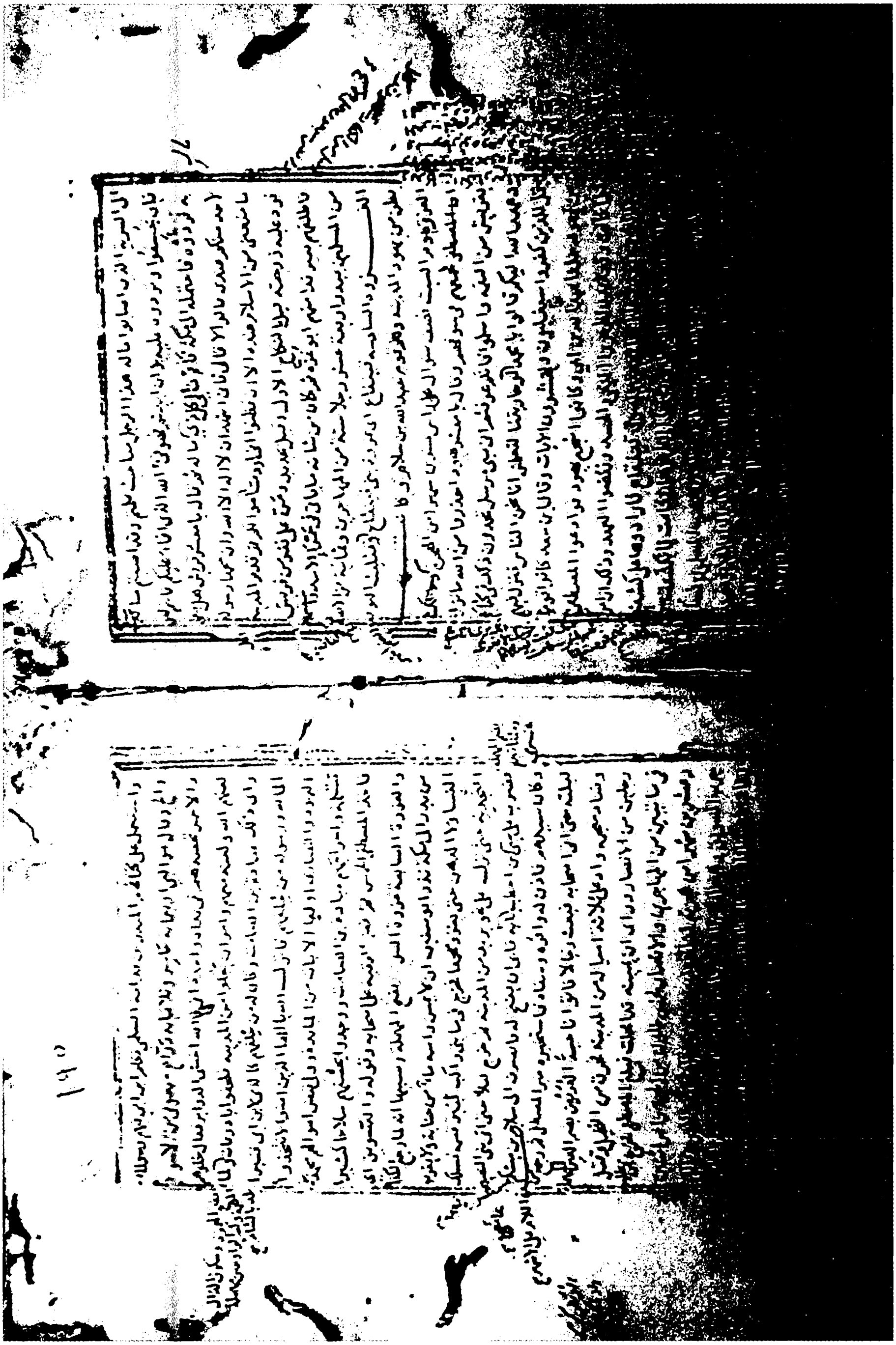

الصورة رقم (٢) من نسخة (غ)

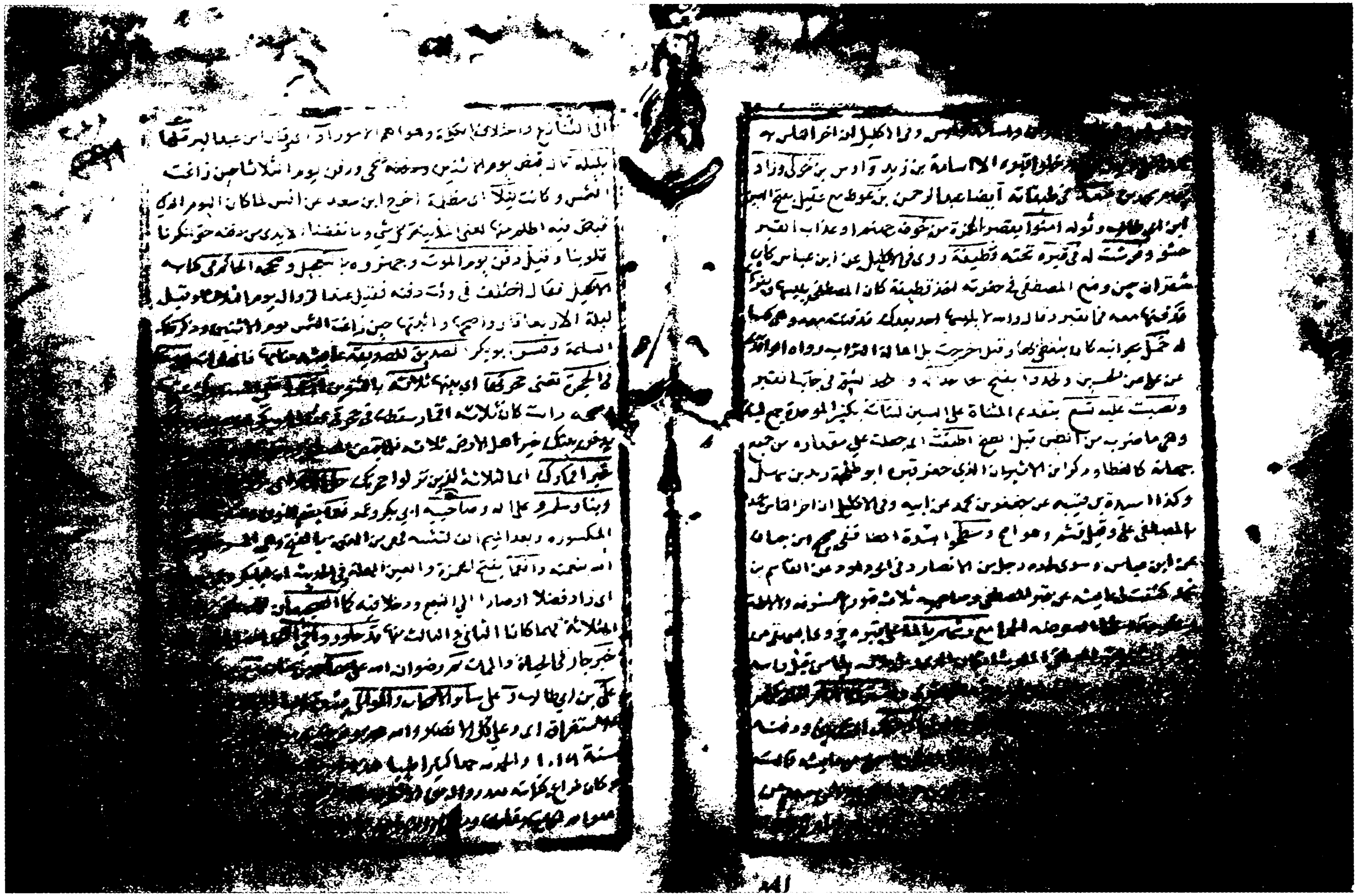

الصورة رقم (٣) من نسخة (غ)

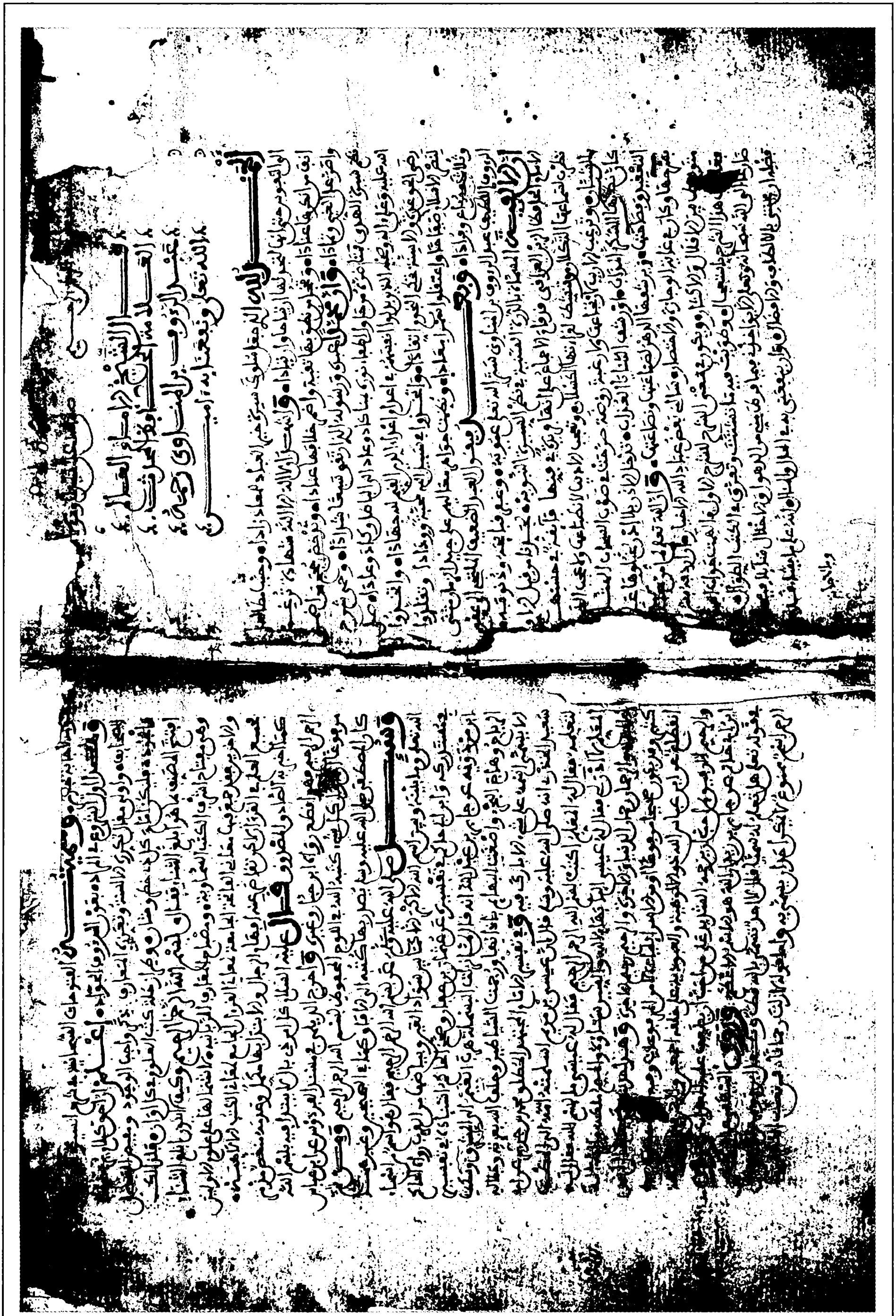

الصورة رقم (١) من نسخة (ك)

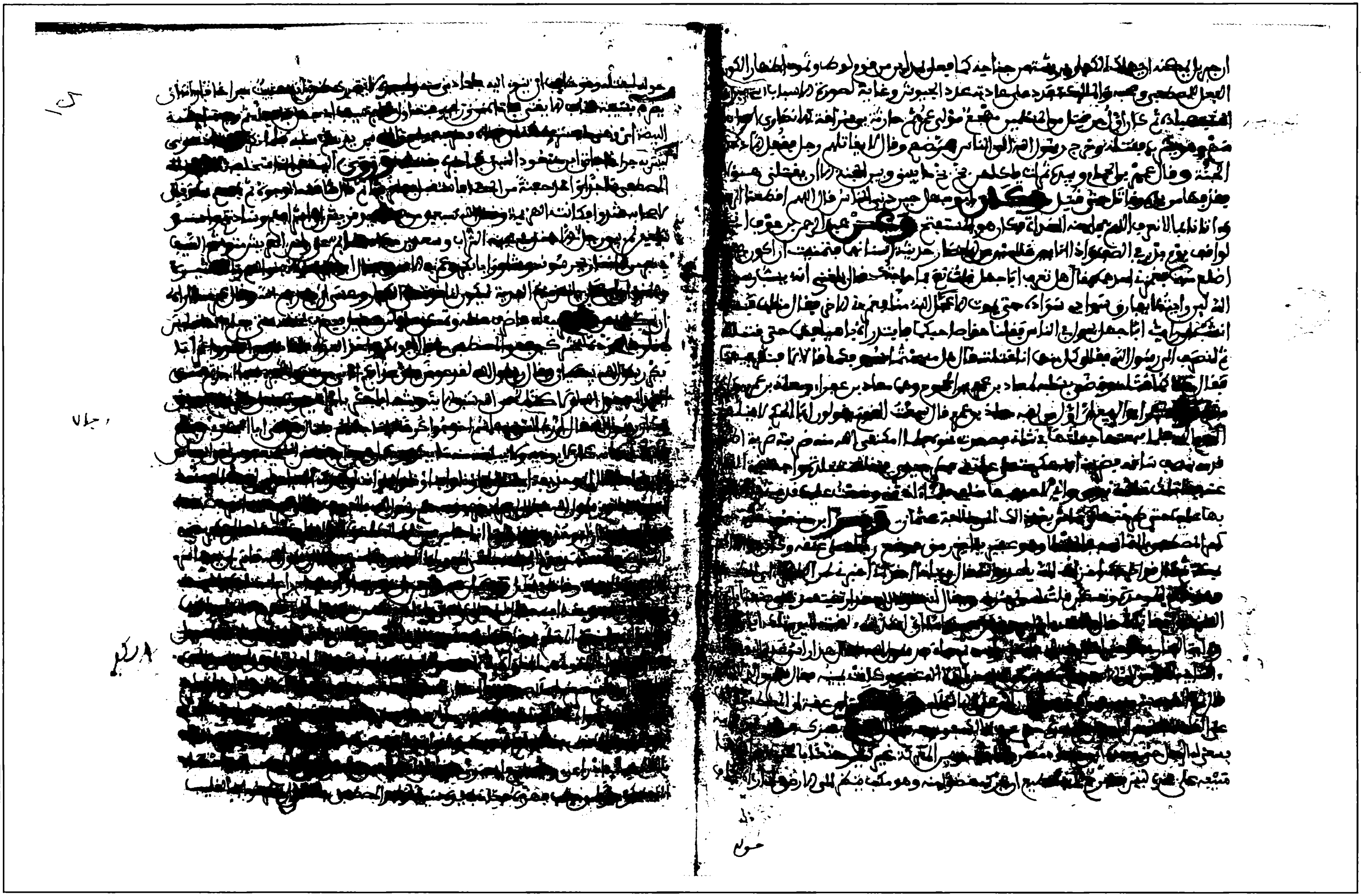

الصورة رقم (٢) من نسخة (ك)

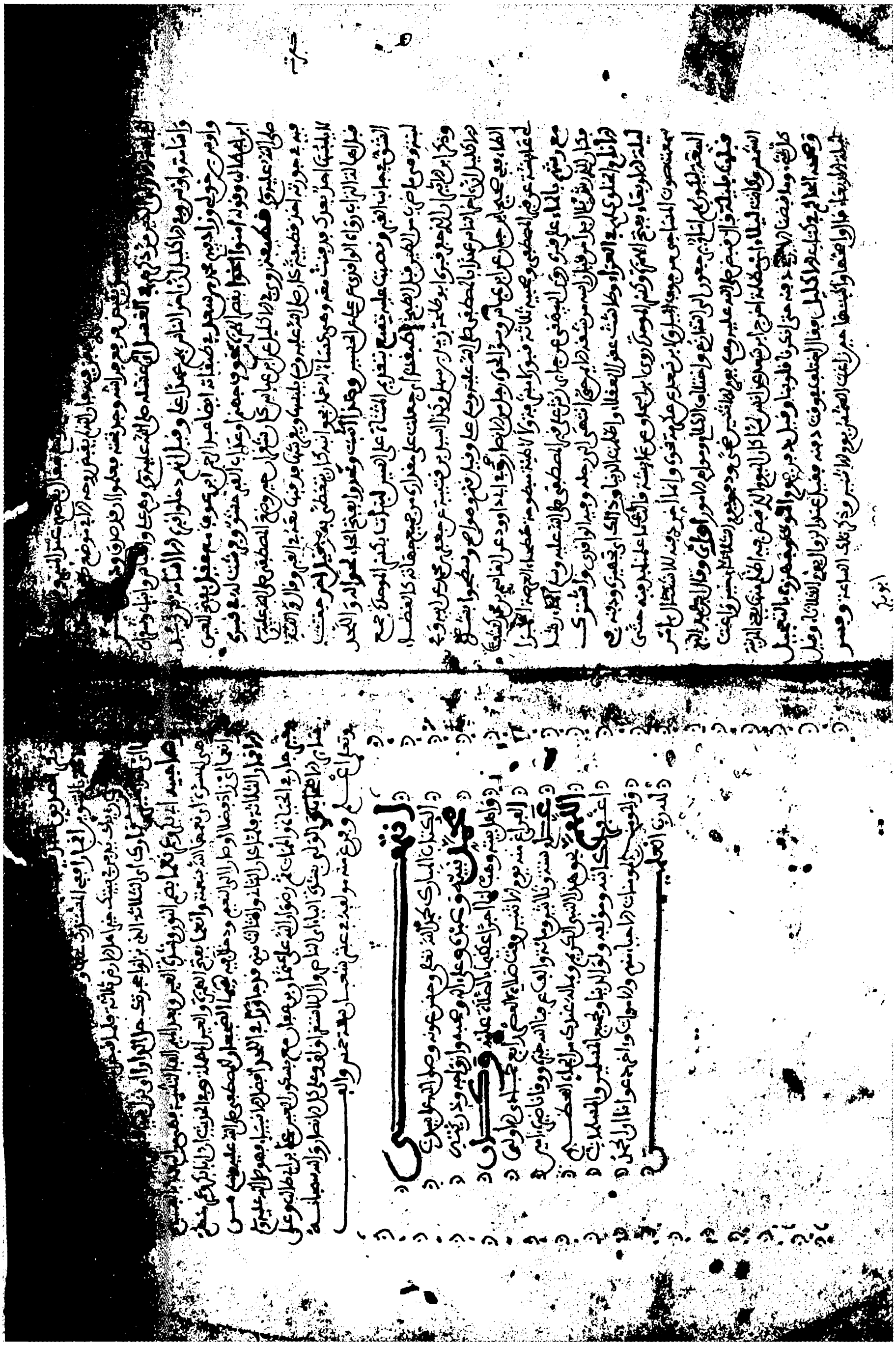

الصورة رقم (٣) من نسخة (ك)

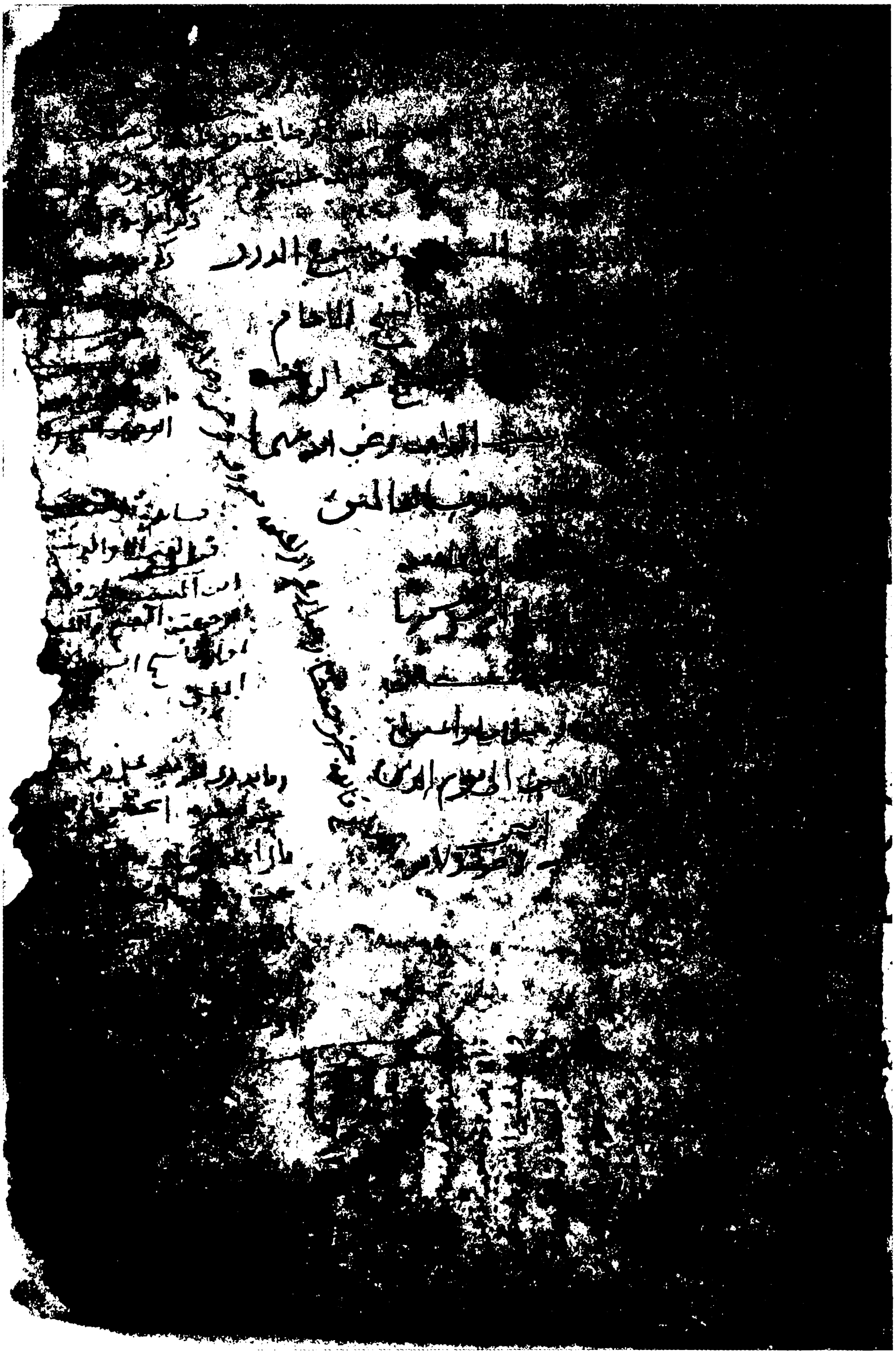

الصورة رقم (١) من نسخة (ف)

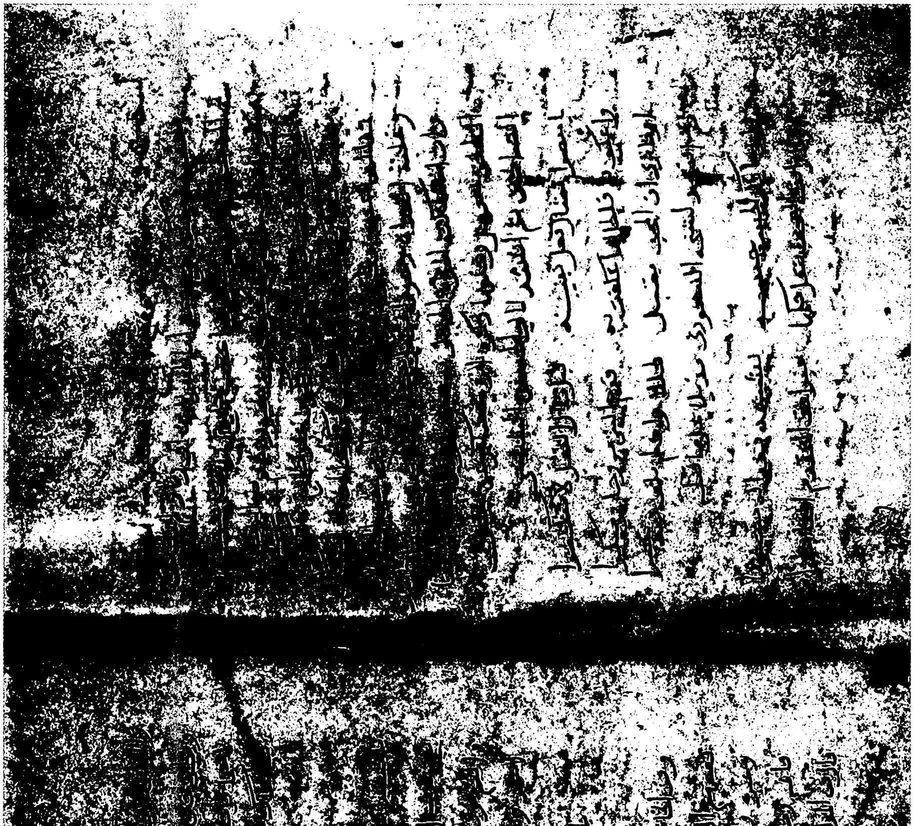

الصورة رقم (٢) من نسخة (ف)

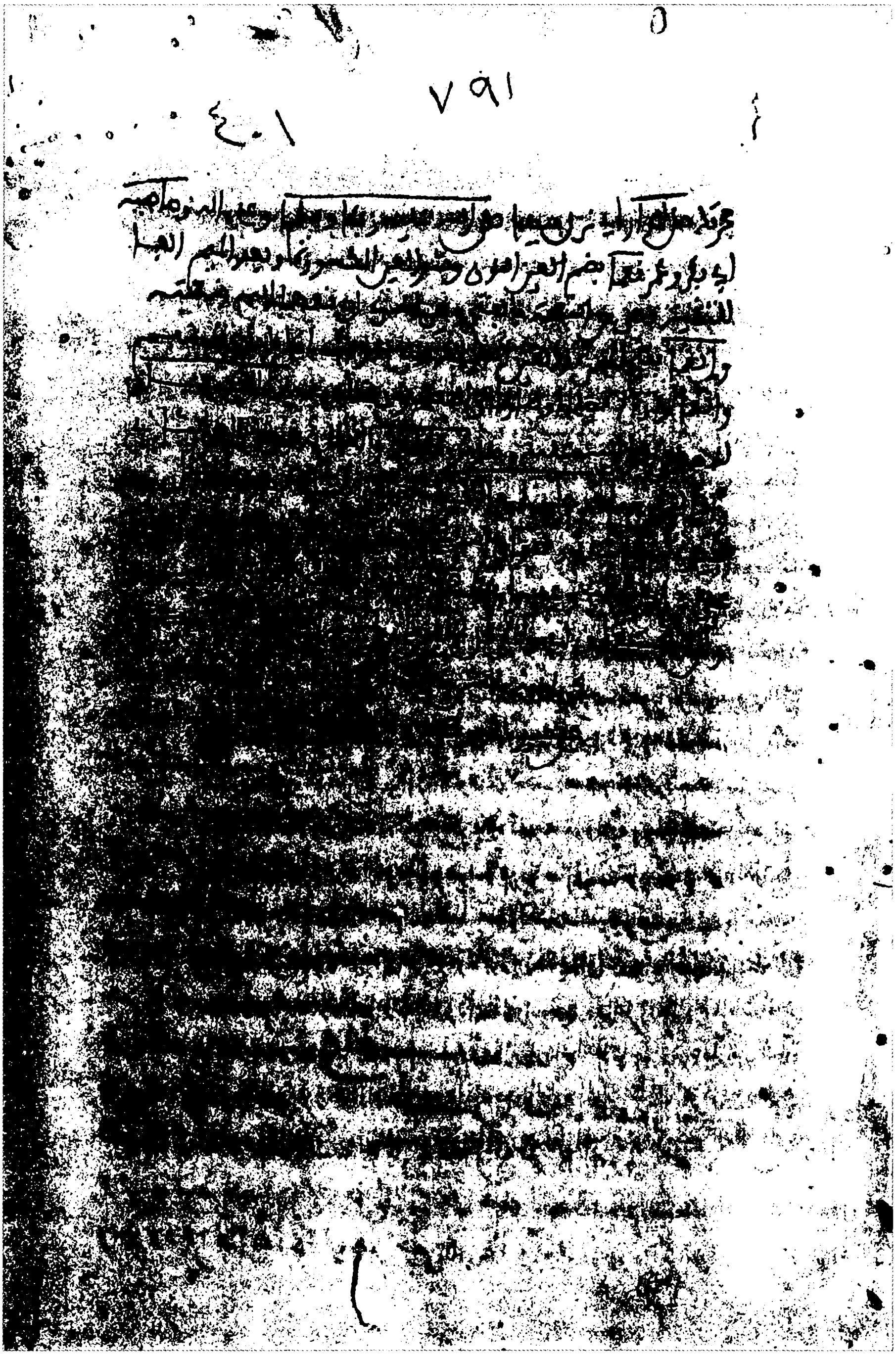

الصورة رقم (٣) من نسخة (ف)

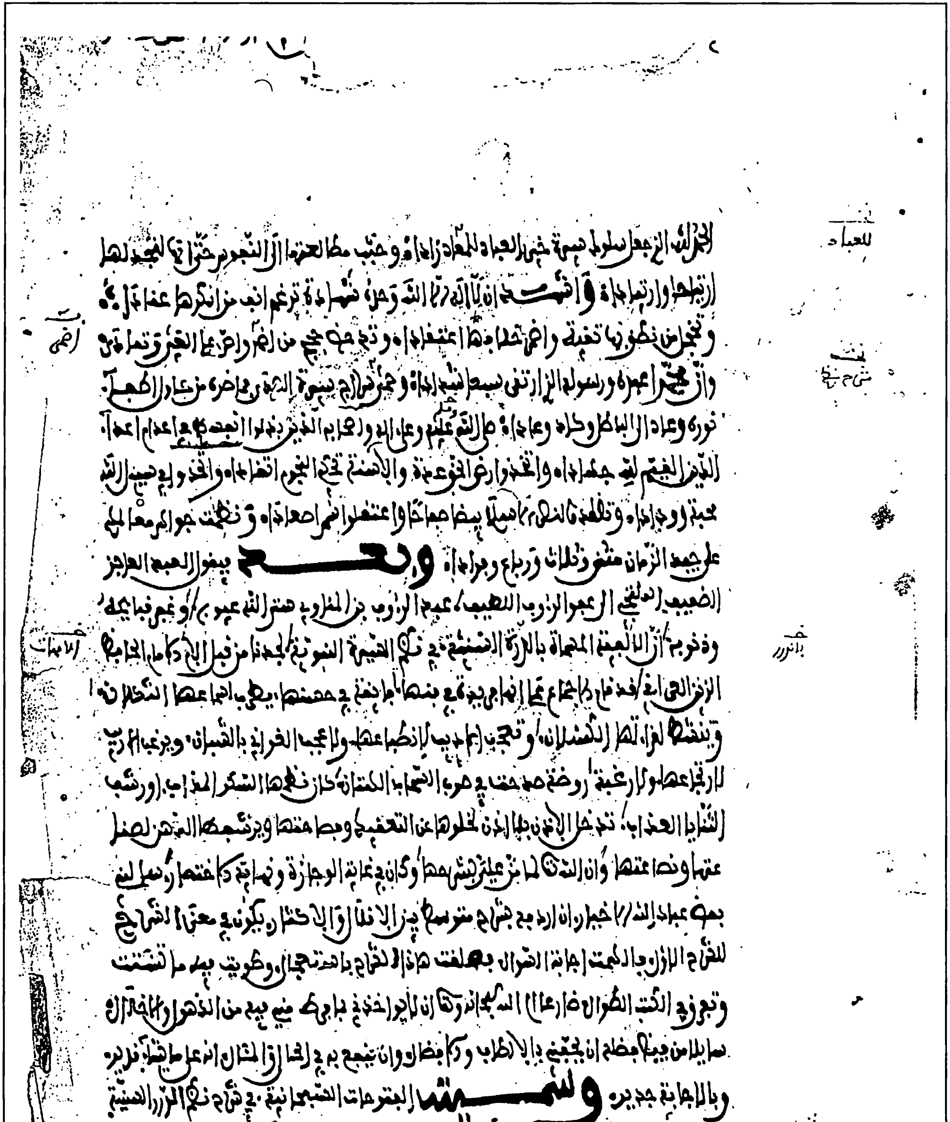

الصورة رقم (١) من نسخة (ج)

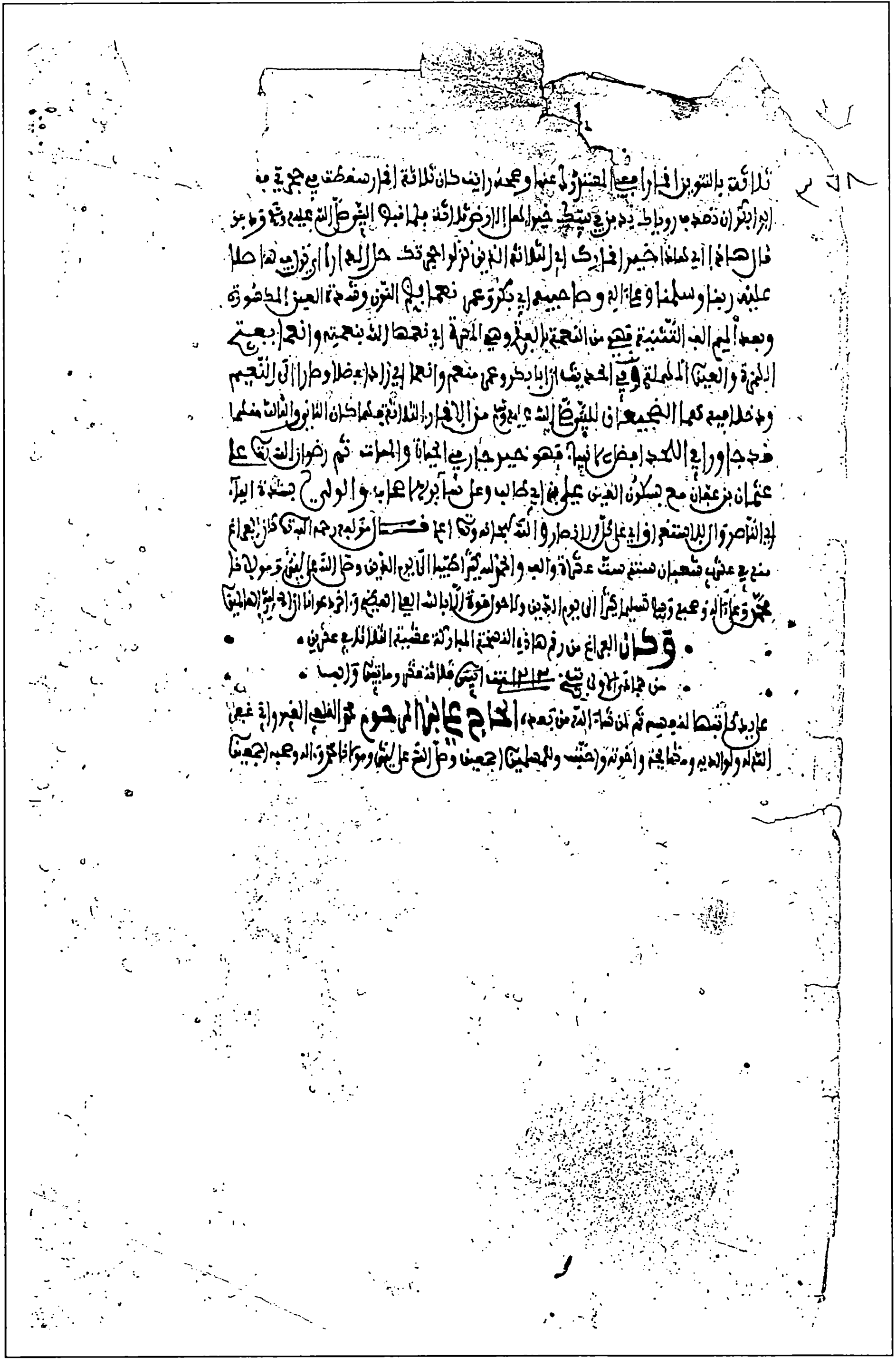

ثلاثة بالتنوين أقمار بيان للعشرة رضي الله عنها وعنهم رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطت في حجرتي فـ
أبي بكر أن تصدق رؤياك يدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ودفن
قال لها أبو بكر هذا خير أقمارك أي الثلاثة الذين نزلوا في تلك الحجرة أي نزلوا فيها صلى
عليه ربنا وسلما وعلى آله وصاحبيه أبي بكر وعمر نعما بضم النون وسكون العين المضمومة
وبعد الميم ألف التثنية فعل من النعمة بالكسر وهي المنة أي نعمهما الله بنعمته وأنعما ببعثه
الهمزة والعين المهملة وفي الحديث إن أبا بكر وعمر منهم وأنعما أي زادا فضلا وصارا إلى التنعيم
ودخلا فيه كما الضجيعان للنبي صلى الله عليه وسلم إذ هو من الأقمار الثلاثة فكما كان الثاني والثالث معهما
في جوار في اللحد أيضا كانا فهو خير جار في الحياة والممات ثم رضوان الله تعالى على
عثمان بن عفان مع سكون الفاء علي بن أبي طالب وعلى سائر الصحابة والولي بشدة الياء
أي الناصر والذي لا ينتفع أو أي على كل الأنصار والله سبحانه وتعالى أعلم فصل قال مؤلفه رحمه الله تعالى كان الفراغ
منه في عشرة شعبان سنة ست عشرة والحمد لله كثيرا طيبا إلى يوم الدين وصلى الله على النبي محمد ولا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكان الفراغ من رقم هذه النسخة المباركة عشية الثلاثاء عشرين
من جمادى الأولى التي هي عام ١٢١٣ ثلاثة عشر ومائتين وألف

على يد كاتبه لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده الحاج علي بن [illegible] غفر
الله له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه وأحبته وللمسلمين أجمعين وصلى الله على نبينا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين

الصورة رقم (٢) من نسخة (ج)

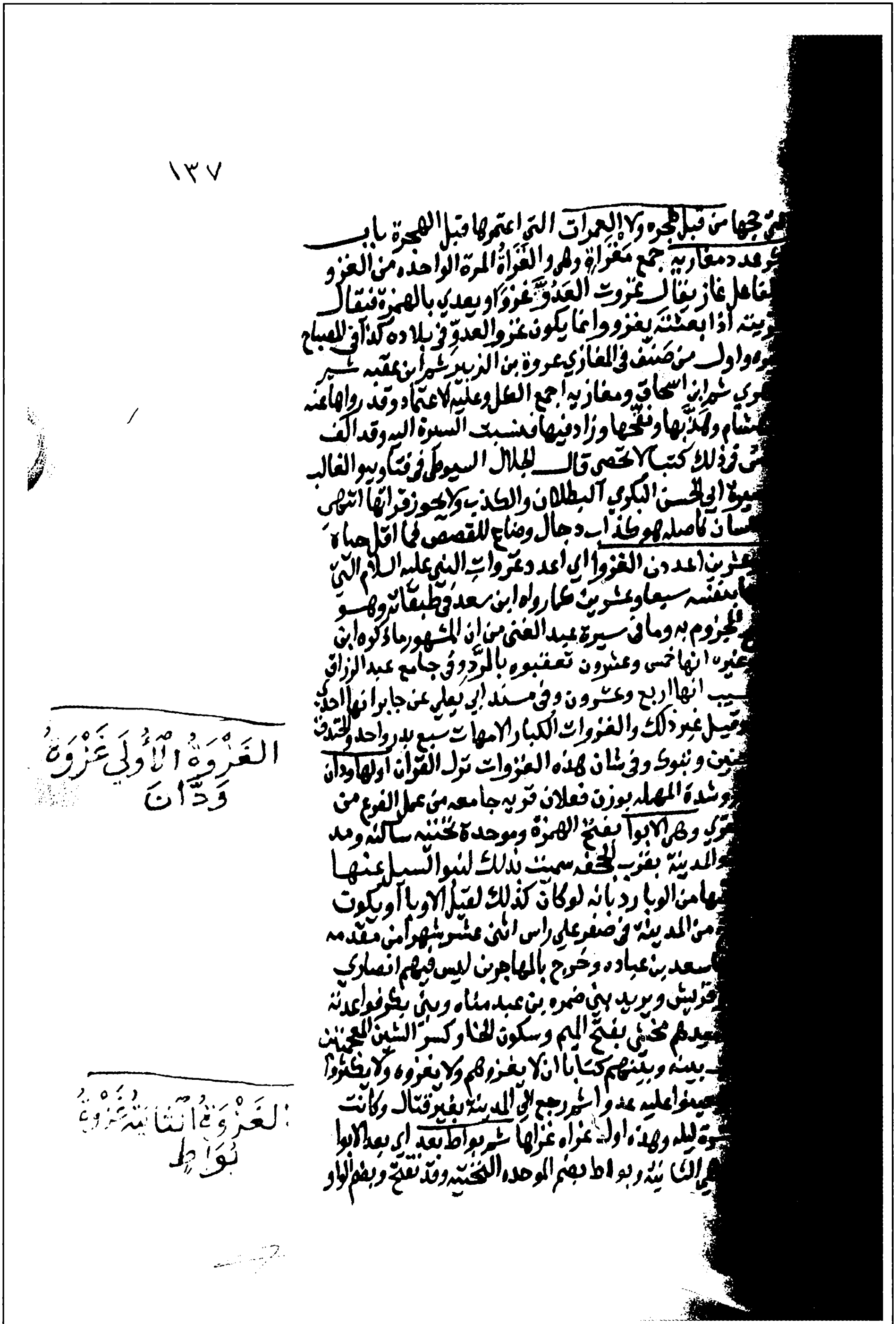

١٣٧

حجها من قبل الهجرة ولا العمرات التي اعتمرها قبل الهجرة باب
محمد ومغازيه جمع مغزاة وهو والغزاة المرة الواحدة من الغزو
فاعل غاز يقال غزوت العدو غزوًا ويعدى بالهمزة فيقال
غزيته اذا بعثته يغزو وانما يكون غزو العدو في بلاده كذا في المصباح
واول من صنف في المغازي عروة بن الزبير ثم ابن عقبة ثم
هري ثم ابن اسحاق ومغازيه اجمع العلماء وعليه الاعتماد وقد رواها عنه
هشام وهذبها ونقحها وزاد فيها فنسبت السيرة اليه وقد الف
في ذلك كتب لا تحصى قال الجلال السيوطي في فتاويه والغالب
سيرة ابي الحسن البكري البطلان والكذب ولا يجوز قراءتها انتهى
سان فاصله هو كذاب دجال وضاع للقصص لم اقف على حياة
عشرين اعدد من الغزو اي اعدد غزوات النبي عليه السلام التي
بنفسه سبعا وعشرين كما رواه ابن سعد في طبقاته وهو
المجزوم به وما في سيرة عبد الغني من ان المشهور ما ذكره ابن
غيره انها خمس وعشرون تعقبوه بالرد وفي جامع عبد الرزاق
سيب انها اربع وعشرون وفي مسند ابي يعلى عن جابر انها احدى
قيل غير ذلك والغزوات الكبار الامهات سبع بدر واحد والخندق
ونبوك وفي شان هذه الغزوات نزل القرآن اولها ودان
وشدة المهملة بوزن فعلان قرية جامعة من عمل الفرع من
قرب وهو الابوا بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ومد
المدينة بقرب الجحفة سميت بذلك لنبو السيل عنها
فيها من الوبا رد بانه لو كان كذلك لقيل الاوبا او يكون
من المدينة في صفر على راس اثني عشر شهرا من مقدمه
سعد بن عبادة وخرج بالمهاجرين ليس فيهم انصاري
قريش ويريد بني ضمرة بن عبد مناة وبني بكر فوادعته
سيدهم مخشي بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمة
بينه وبينهم كتابا ان لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثروا
يعينوا عليه عدوا ثم رجع الى المدينة بغير قتال وكانت
لله وهذه اول غزاة غزاها ثم بواط بعده اي بعد الابوا
الثانية وبواط بضم الموحدة المخففة وقد تفتح وبضم الواو

الغزوة الأولى غزوة ودان

الغزوة الثانية غزوة بواط

الصورة رقم (١) من نسخة (م)

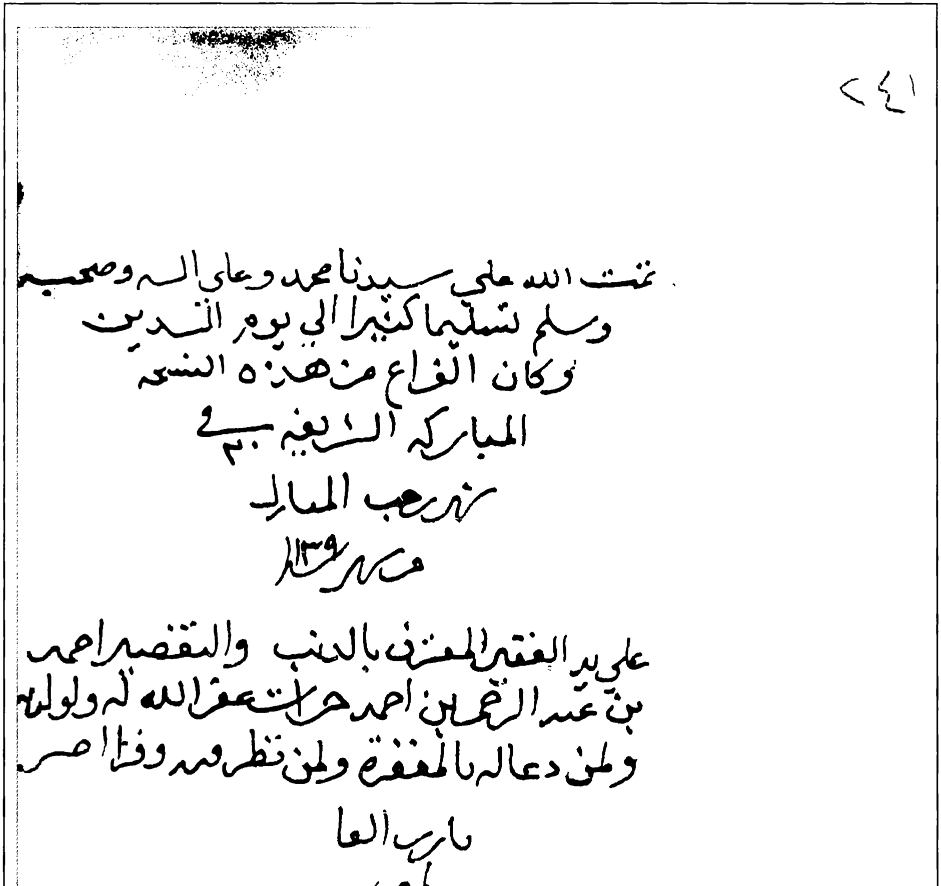

تمت الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين
وكان الفراغ من هذه النسخه
المباركه الشريفه بـ ٣٠
شهر رجب المبارك
سنه ١٣٩

على يد الفقير المعترف بالذنب والتقصير احمد
بن عبد الرحمن بن احمد حراث عفر الله له ولوالديه
ولمن دعا له بالمغفرة ولمن نظر فيه وقرا امين

يا رب العا
لمين

الصورة رقم (٢) من نسخة (م)

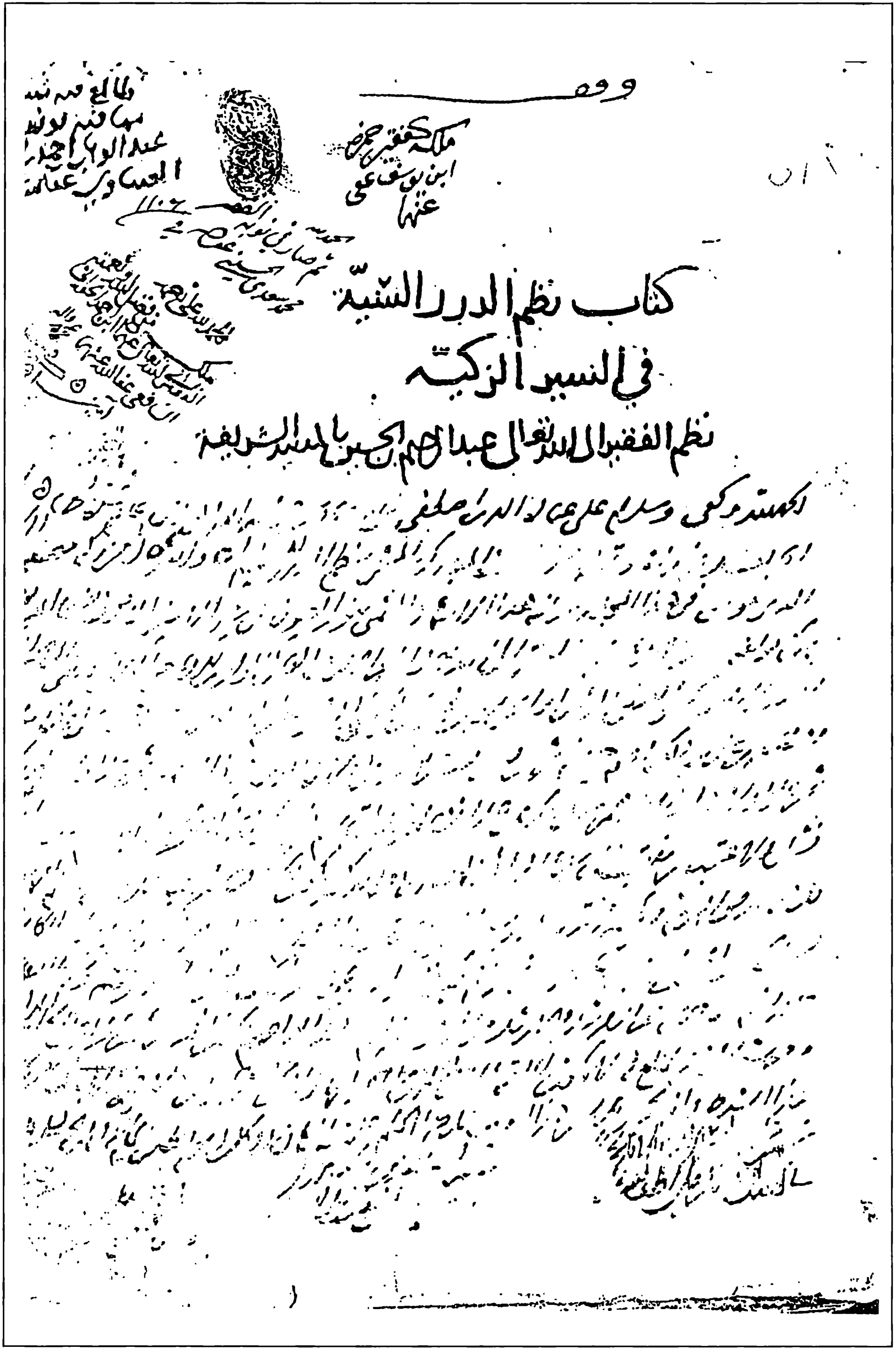

كتاب نظم الدرر السنية
في النسب الزكية
نظم الفقير الى الله تعالى عبد الرحيم بن الحسين ... الشريفة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى [illegible]

عنوان النظم

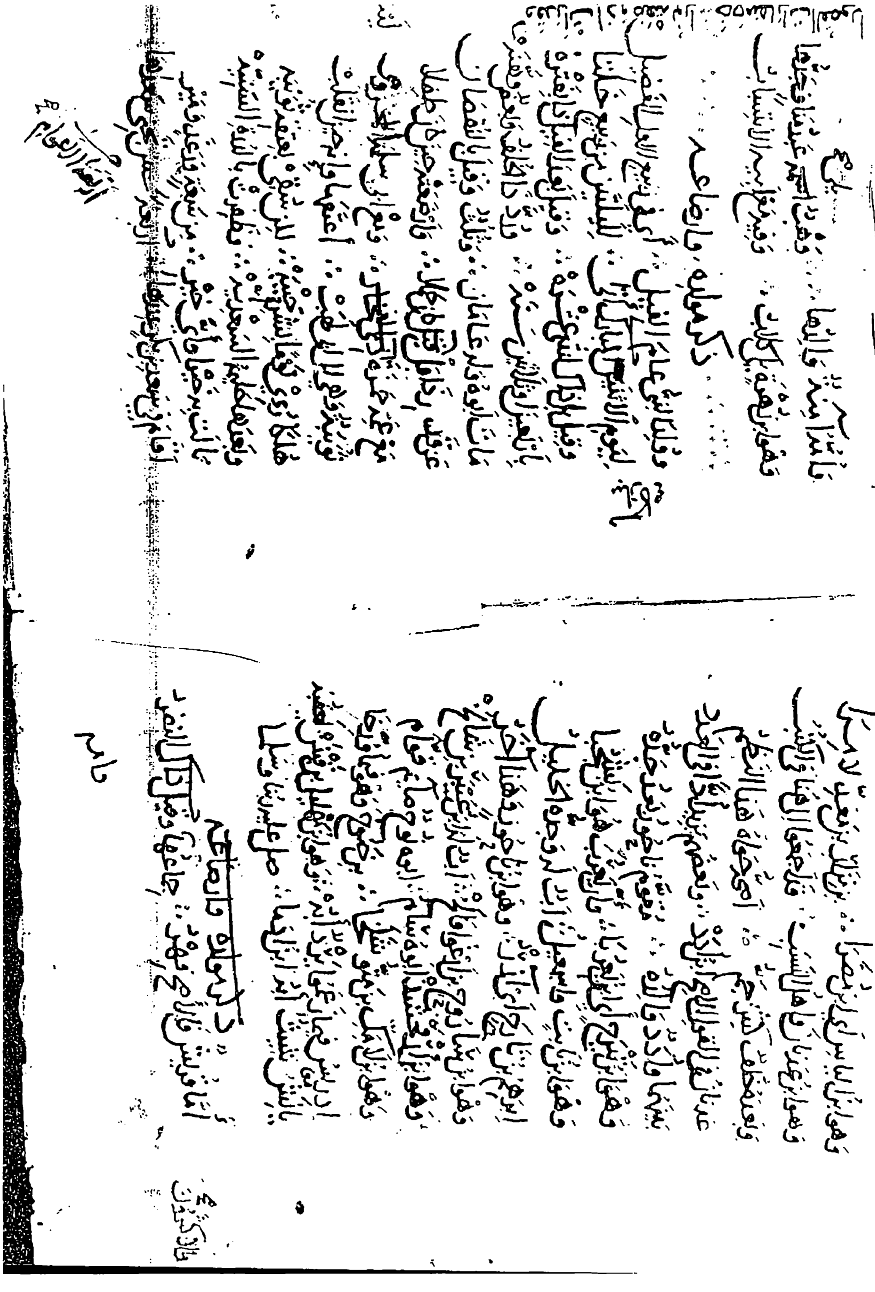

وهو ابن الياس أي ابن مضرا ∴ بن نزار بن معد لا مرا
وهو ابن عدنان وأهل النسب ∴ قد أجمعوا إلى هنا في الكتب
وبعد مختلف كثير جم ∴ أصح ما حواه هذا النظم
عدنان في القول الأصح ابن أدد ∴ وبعضهم يزيد أدا في العدد
بينهما وأدد والده ∴ مقوم ناحور يعد جده
وهو ابن تيرح أي ابن يعربا ∴ وأن يعرب هو ابن يشجبا
وهو ابن نابت وإسمعيل أب ∴ له وجده الخليل
ابرهم بن تارح أي آزر ∴ وهو ابن ناحور وهذا آخر
وهو ابن ساروح بن راعوا فالخ ∴ أب له ابن عيبر بن شالخ
وهو ابن أرفخشذ ابوه سام ∴ ابوه نوح ما به قوام
وهو ابن لامك بن متوشلحا ∴ بن خنوخ وهو فيما رجحا
ادريس فيما زعموا يرد أبه ∴ وهو ابن مهليل بن قينن عقبه
يانش بن شيث ابن ابن آدما ∴ صلى عليه ربنا وسلما

ذكر مولده وإرضاعه

أما قريش فالأصح فهر ∴ جماعها وقيل كل النضر

فالاكثرون

٣/ب

فأمه آمنة والدها ∴ وهب اسمه عبد مناف جدها
وهو ابن زهرة بن كلاب ∴ وفيه مع أبيه الانتساب

ذكر مولده وإرضاعه

ولد النبي عام الفيل ∴ أي في ربيع الأول الفضيل
ليوم الاثنين [illegible] ∴ لليلتين من ربيع خلتا
وقيل بل ذا لثنتي عشره ∴ وقيل بعد الفيل ذا بعشره
بأربعين أو ثلاثين سنه ∴ ورد ذا الخلف وبعض وهنه
مات أبوه وله عامان ∴ وثلث وقيل بالنقصان
عن قبل ذا وقيل قبل أن حملا ∴ وأرضعته حينئذ طفلا
مع عمه حمزة ذي الفخار ∴ ومع أبي سلمة المخزومي
ثويبة وهي لأبي لهب ∴ أعتقها وانه حين انقلب
هلكا رئي نوما بشر حيبه ∴ لكن سقي بعتقه ثويبه
وبعدها حليمة السعديه ∴ وظفرت بالدرة السنيه
نالت به خيرا وأي خير ∴ من سعة ورغد ومير
أقام في سعد بن بكر عندها ∴ أربعة [illegible] سعدها

أربعة أعوام

الصورة الثانية من النظم

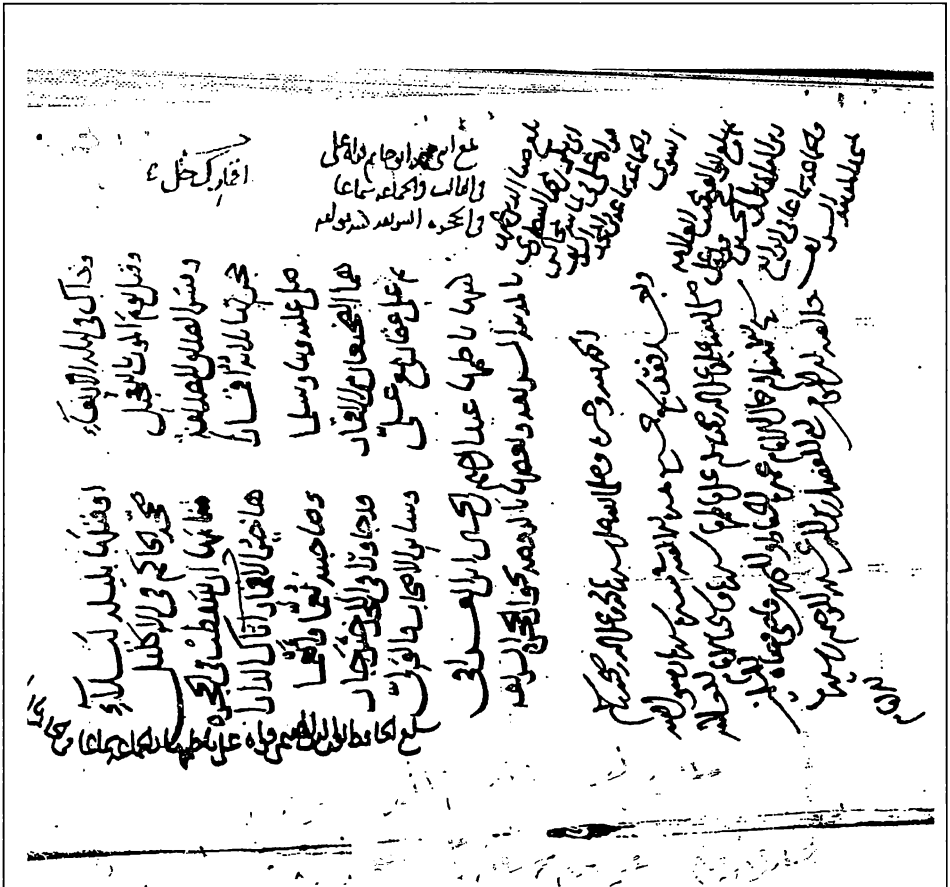

الصورة الثالثة من النظم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الشَّارِح

١ ـ يَقُولُ رَاجِي مَنْ إِلَيْهِ المَهْرَبُ   عبْدُ الرَّحيمِ بنُ الحُسينِ المذنِبُ:
٢ ـ أَحْمَدُ رَبِّي بِأَتَمِّ الحَمْدِ   وَلِلصَّلاةِ والسَّلامِ أُهْدِي
٣ ـ إِلَى نَبِيِّهِ وَأَرْجو اللَّهَ   فِي نُجْحِ مَا سأَلْتُهُ(١) شِفَاهَا
٤ ـ مِنْ نَظْمِ سِيْرَةِ النَّبِيِّ الأمْجَدِ   أَلْفِيَّةً حَاوِيَةً لِلْمَقْصِدِ
٥ ـ وَلْيَعْلَمِ الطَّالِبُ أَنَّ السِّيَرَا   تَجْمَعُ مَا صَحَّ وَمَا قَدْ أُنكِرَا
٦ ـ وَالقَصْدُ ذِكْرُ مَا أَتَى أَهْلُ السِّيَرْ   بِهِ وَإِنْ إِسْنَادُهُ لَمْ يُعْتَبَرْ
٧ ـ فَإِنْ يَكُنْ قَدْ صَحَّ غيرُ مَا ذُكِرْ   ذَكَرْتُ مَا قَدْ صَحَّ مِنْهُ وَاستُطِرْ(٢)

---

(١) في «نظم الدرر السنيّة في السيرة الزكية» (ق/ ٢أ): «سُئلته».

(٢) ذكر الخليلي في شرحه للألفية أنّ في بعض النسخ: «استتر»، وعند التَّرْمَسي: «ذكر» بدل «ذكرت».

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

[وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وصحبه وسلّم.

قال الشيخ الإمام العالم، العلامة الحافظ المحدِّث، عبد الرؤوف ابن المناوي رحمه الله تعالى ونفعنا به. آمين].

* الحمد لله الذي جعل سلوك سيرة خير العباد للمعاد(١) زاداً، وحبَّب مطالعتَها إلى النُّفوس حتَّى أنَّها لتجد لها ارتياحاً وارتياداً(٢)، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله شهادةً تُرغم أنفَ من أنكرها عناداً، وتُخجل مَن نطق بها تَقِيَّةً وأضمر خلافها اعتقاداً(٣)، وتَرْحَضُ(٤) حجج من أصرَّ(٥) على الغي وتمادى.

وأنَّ محمداً عبده ورسوله الذي ارتقى سبعاً شداداً(٦)،

---

(١) في هامش (ج) في نسخةٍ: «للعباد».

(٢) كتب في الحاشية الارتياد: هو الطلب.

(٣) في (ك): «عتاداً».

(٤) «رَحَضَهُ كمَنَعَهُ: غَسَلَهُ كأرْحَضَهُ فهو رَحيضٌ ومَرْحُوضٌ». «القاموس» (ص٨٢٩).

(٥) في (ج) و(ك): «أضمر».

(٦) يشير إلى معراج النبي ﷺ وصعوده السموات السبع، والقصة مشهورة، وردتْ مِن غير وجهٍ: من ذلك حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عند البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

وحَمَى(١) سِراجَ(٢) الهُدى فما ضرَّه من حاول إطفاء نوره، وعاد إلى الباطل وكاد وعادى، صلَّى [الله] وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه الَّذين بذلوا نفوسهم(٣) في إعدام أعداء الدِّين القيِّم لله جهاداً، واتَّخذوا رضى الحق عُدَّةً؛ والأسنَّةُ تحكي النُّجوم اتِّقاداً، واتَّحَدُوا في سبيل الله محبةً ووداداً، وتقلَّدوا لنصر الإسلام بِيَضاً صفاحاً(٤)، واعتقلوا(٥) سُمراً

---

(١) هكذا في سائر النسخ الخطية، ومعناه أنَّه ﷺ قد حَمَى سراجَ الهُدى ومَنَعَهُ فلا يُقْرَب، ولا يستطيع أحدٌ أنْ يُطفأه أو يتعرَّض له، والمقصود أنه ﷺ قد أضاء سراج الهُدَى وأشعله ولا يمكن لأحدٍ أنْ يُطْفأه. و«حَمَى الشيءَ يَحْمِيهِ حَمْياً وحِمايَةً بالكسر ومَحْمِيَةً: مَنَعَهُ. وكَلأٌ حِمىً كرِضىً: مَحْمِيٌّ... وحَمَى المريضَ ما يَضُرُّهُ: مَنَعَهُ إيَّاهُ فاحتَمَى، وتَحَمَّى: امْتَنَعَ... والحِمْيَةُ بالكسر: ما حُمِيَ من شيءٍ. والحامِيَةُ: الرجلُ يَحْمِي أصحابَهُ والجماعةُ أيضاً: حامِيَةٌ. وهو على حاميةِ القوم؛ أي: آخِرُ مَنْ يَحْمِيهِمْ في مُضِيِّهِمْ. وأحْمَى المكانَ: جَعَلَهُ حِمىً لا يُقْرَبُ أو وجَدَهُ حِمىً... وهو حامِي الحُمَيَّا: يَحْمِي حَوْزَتَهُ وما وَلِيَهُ. وحَامَيْتُ عنه مُحاماةً وحِماءً: مَنَعْتُ عنه.. وتَحاماهُ الناسُ: تَوقَّوْهُ واجْتَنَبُوهُ». «القاموس المحيط» (١٦٤٧).

(٢) في سائر النسخ الخطية عدا (ج): «شرح نظم سيرة» عوضاً عن «سِرَاج»، والمثبتْ مِن (ج)، وهو يتناغم مع قوله بعده: «فما ضرَّه مَن حاول إطفاء نوره»؛ والله أعلم.

(٣) في (ك): «أنفسهم».

(٤) «الصَّفْحُ: الجانِبُ... ومن الوَجْهِ والسَّيْفِ: عَرْضُهُ ويُضمُّ: صِفاحٌ». «القاموس المحيط» (٢٩٢).

(٥) اعتقل الرجل: حبَسَهُ، والمقصود أنهم قد حبسوا وربطوا سمراً صعاداً؛ و«التسمير: إرسالُ السَّهْم بالعَجَلة.. سَمّرت الإبل ليلَتها إذا رعتْ فيها لأنّها تكون مُرْسلة مُخَلّاة في ذلك وكأن معنى سمره جعله كالسّامر من الإبل في إرساله وتَخْليته» «الفائق» (٢/ ١٩٨)، «وناقةٌ صُعادِيَّةٌ؛ كغُرابِيَّةٍ: طويلةٌ» «القاموس المحيط» (٣٧٤). وفي «تاج العروس» (٨/ ٢٨٠): «الصَّعُود: (النّاقَةُ) تُلقِي وَلَدَها بعْدَ ما يُشْعِرُ، ثم تَرْأَمُ وَلَدَها الأَوْلَ، أَو وَلدَ غيرِهَا، فَتَدِرُّ =

صِعاداً[١]، ونظمتْ جواهر معالمهم[٢] على جِيد الزَّمان مثنى وثلاث ورباع وفرادا.

وبعد:

فيقول العبد العاجز الضَّعيف، الملتجئ إلى عفو الرَّؤوف اللَّطيف، عبد الرَّؤوف ابن المناوي ستر اللهُ تعالى عيوبه، وغفر قبائحه وذنوبه:

إنَّ الألفيَّة المسمَّاة بـ «الدُّرر[٣] السَّنيَّة في نظم السَّيرة النَّبويَّة»؛ لجدِّنا من قِبل الأمَّهات، [الإمام] عظيم الحفاظ، [زين الدِّين] العراقي؛ قد قام الإجماع على أنَّها فريدةٌ في فنِّها! فائقةٌ في حُسنها! تُطرب[٤] بسماعها الثَّكْلان[٥]، [وينشط] لقراءتها الكسلان، وتعجب الأديب

= عليه. وقال اللَّيْث: هي ناقةٌ يَمُوت حُوَارُهَا فتَرْجِعُ إلى فَصِيلِها فتَدِرُّ عليه. ويقال: هو أَطْيَبُ لِلَبَنِها، وأَنشدَ لخالِدِ بن جَعفَرِ الكِلابِيّ، يصف فَرَساً:

أَمَرْتُ لـهـا الـرِّعَـاءَ لِيُكْـرِمُـوهـا   لـهـا لَـبَـنُ الـخَـلِـيَّـةِ والـصَّـعُـودِ

قال الأَصمعيُّ: الصَّعُودَ من الإِبلِ: التي (تَخْدِجُ) لِستّةِ أَشهُرٍ أَو سبعة (فَتُعْطَفُ على وَلَدِ عام أَوَّلَ)، ولا تكون صَعُوداً حتّى تكون خادِجاً، والخَلِيَّةُ: النّاقَةُ تَعْطِفُ مَعَ أُخْرَى على وَلَد وَاحِدِ، فتَدهرَّانِ عليه فيتَخَلَّى أَهْلُ البيتِ بواحدة يَحلُبونها. والجمع: صَعائدُ وصُعُدٌ. فأَمَّا سيبويه فأَنكر الصُّعُدَ... (وقد أَصْعَدَت) النّاقَةُ (وأَصْعَدْتُها أَنا)، بالأَلف، وصَعَّدْتُها أَيضاً: جَعلْتُها صَعُوداً، عن ابن الأَعرابيِّ».

(١) في (ك): «معاداً».   (٢) في (ك): «معاليهم».

(٣) في (ج) و(ك): «الدرة»، وفي هامش (ج): «الدرر».

(٤) الضبط من «ف» بضم المثناة في أولها.

(٥) «الثُّكْلُ بالضم: الموتُ والهَلاكُ وفِقْدانُ الحَبيبِ أَوِ الوَلَدِ ويُحَرَّكُ وقد ثَكِلَهُ كفرِحَ فهو ثاكِلٌ وثَكْلانٌ وهي ثاكِلٌ وثَكْلانَةٌ قَليلَةٌ وثَكولٌ وثَكْلَى» «القاموس» (١٢٥٧). والمقصود يطرب لسماعها الثكلان الذي فَقَدَ محبوبه، فكأَنَّه أراد أنها هي المحبوب الغائب لهذا الثكلان.

لانطباعها! ولا عجب الغواني بالشُّبَّان! وتُرغِّبُ الأريبَ لارتجاعها؛ ولا رغبةَ روضة صُوِّحت(١) في صَوْب السَّحاب الهتَّان!(٢) كأنَّ نظمها السّكَّر المُذاب، أو رشف الثنايا العِذاب! تدخل الأُذنَ بلا إذن لخلوِّها عن التعقيد وفصاحتها، ويرشفها الذِّهن لصناعتها ونصاعتها(٣).

وإنَّ الله تعالى لمَّا منَّ عليَّ بشرحها، وكان في غاية الوجازة ونهاية الاختصار(٤)؛ سألني بعض عباد الله الأخيار، أنْ أُردفه بشرحٍ متوسِّطٍ، بين الإقلال والإكثار، يكون في معنى الشَّرح للشَّرح الأوَّل، فأُلْهِمْتُ إجابةَ السُّؤال، فعلَّقت هذا الشَّرح باستعجال، وطويت فيه ما تشتَّت وتفرَّق في الكتب الطِّوال، ضارعاً إلى الله ـ تعالى ـ أن لا يؤاخذني بما فرط منِّي فيه من الذُّهول والإخلال، سائلاً من فيض فضله أن يحفَّني بالإلطاف والإفضال، وأن ينفع به(٥) في الحال والمآل، إنَّه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

---

(١) في (ك): «صدحت».
وأصلُ «الصَّوحُ بالفتح والضم: حائِطُ الوادِي وأسْفَلُ الجَبَلِ أو وَجْهُهُ القائِمُ كأَنَّهُ حائِطٌ. والتَّصَوُّحُ: التَّشَقُّقُ كالانْصِياحِ وتناثُرُ الشَّعْرِ كالتَّصَيُّحِ» «القاموس» (٢٩٤).

(٢) «يقال: هتنَ الدَّمع: قطرَ فهو هاتنٌ» «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٧٢)، و«هَتَنَتِ السَّماءُ تَهْتِنُ هَتْناً وهُتُوناً وهَتَناناً وتَهْتاناً وتَهاتَنَتْ: انْصَبَّتْ أو هو فَوْقَ الهَطْلِ أو الضَّعيفُ الدائِمُ أو مَطَرُ ساعةٍ ثم يَفْتُرُ ثُمَّ يَعُودُ. وسَحابٌ هاتِنٌ وهَتُونٌ (ج): ككُتُبٍ ورُكَّعٍ» «القاموس» (١٥٩٩).

(٣) في هامش «غ»: «النصاعة: الخلو من اللون».
وفي «القاموس» (٩٩١): «الناصِعُ: الخالِصُ من كلِّ شَيءٍ: نَصَعَ كمَنَعَ نَصاعةً ونُصوعاً: خَلَصَ، والأمرُ نُصُوعاً: وضَحَ، ولَوْنُه: اشْتَدَّ بَياضُه».

(٤) يعني بذلك: شرحه «العجالة السنية» وقد منَّ الله عليَّ بتحقيقه وإخراجه، أسأله القبول بمَنِّه وكرمه.

(٥) في (غ): «بي»، وفي (ك): «ينفعني به».

وسمَّيته «الفتوحات السُّبحانيَّة في شرح نظم الدرر السَّنيَّة في السِّيرة الزكيَّة». وهذا أوان الشُّروع في المراد بعون الرَّؤوف الجواد.

اعلم أنَّ أحقَّ كلامٍ يُرسم في الصحائف(١)، وأولى مقالٍ تُكرِّره الألسنة، وتُقرِّره(٢) المعارف: ذِكْر واجب الوجود(٣)، [و] مفيض الطَّول(٤) والجود؛ فليكن أمامَ كلِّ ذي خطرٍ وشأنٍ، وطرازَ حُلَّة كتبِ العلوم في كلِّ أوان، فلذلك افتتح الناظمُ(٥) كتابه بما هو أبلغ الثناء، فقال:

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم.

وكيف لا تكون أبلغ الثناء، وهي مفتاح أشرف الكتب السَّماويَّة، ومفتاح بصائر(٦) أهل المعارف الربَّانية؛ لاشتمالها على علوم الأوَّلين والآخرين، فقد جُمع فيها معاني الفاتحة الجامعة لمعاني القرآن، الجامع لمعاني الكتب الإلهيَّة.

** جميعُ العلْمِ في القرآنِ لكنْ   تَقاصَرَ عنهُ أفهامُ الرِّجالِ(٧)

---

(١) في حاشية (ج): «المصاحف».

(٢) في حاشية (ج): «تبرزه»، وفي (ك): «وتعززه».

(٣) تسمية الله تبارك وتعالى بهذا الاسم لم يثبت في الكتاب ولا في السُّنَّة، وأسماء الله توقيفية على الصحيح من أقوال أهل العلم، فلا يجوز تسميته بما لم يثبت بدليل شرعي، وما ذكره المؤلف هنا يشبه تعبيرات المناطقة الذين يتكلمون عن واجب الوجود بنفسه وواجب الوجود بغيره، ولهم في ذلك كلام مشهورٌ، لم تَجْرِ به ألسنةُ وأقلام أئمة السنة والدين.

(٤) في (ك): «الفضل».   (٥) في (ك): «المصنف».

(٦) سقطت من «ف»، وفي (م) و(ك): «ومصباح المعارف» سقطت منهما «بصائر أهل».

(٧) كتب أمامه في حاشية «ف»: «بيت مفرد»، وقد ذكره في «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٥، ط: دار الفكر) و«جمع الوسائل في شرح الشمائل» (٢/ ٣٥، ط: البابي)، ونسباه لابن عبَّاس.

والابتداء بها مُكمِّل، وعدمه مُنقِّص مُبَتِّر، كما أخبر به الصَّادق المصدوق، حيث قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبْتَدَأُ فيه ببسم الله الرحمٰن الرحيم فهو أقطع**» رواه ابن حبَّان وغيره⁽¹⁾.

---

(١) لم يروه ابن حبان بهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف، كما سيظهر من تخريجه، وإنما رواه الخطيب في «الجامع» (٢/ ٦١) ومن طريقه السمعاني في «أدب الإملاء» (ص٥١)، والحافظ الرهاوي ومن طريقه السُّبكيُّ في «طبقات الشافعية الكبرى» (١/ ١٢)، من رواية أحمد بن محمد بن عمران أنا محمد بن صالح البصري نا عبيد بن عبد الواحد بن شريك نا يعقوب بن كعب الأنطاكي نا مُبَشِّر بن إسماعيل عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمٰن الرحيم أقطع**».

وبهذا اللفظ أيضاً: قد عزاه النووي في «شرح مسلم» (١/ ٤٣) ثم السيوطي في «تدريب الراوي» (١/ ٥٥) و«الدر المنثور» (١/ ٤٥) إلى الحافظ عبد القادر الرهاوي في «الأربعين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه النووي وحسَّنه السيوطي، وليس كذلك، بل هي رواية شاذة وأصل الحديث ضعيف مختلف فيه على الأوزاعي في لفظه وإسناده.

فأما الخلاف فيه من جهة اللفظ: فقد رواه عنه مُبَشِّر بن إسماعيل بإسناده ولفظه السابق في البسملة، وفي إسناده أحمد بن محمد بن عمران وهو المعروف بابن الجندي: قال الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٦/ ٢٤٤): «وكَانَ يُضَعَّفُ فِي روايته، ويُطْعَن عليه في مذهبه، سألتُ الأزهريَّ، عَن ابْن الجندي، فَقَالَ: ليس بشيء، وَقَالَ لي الأزهري أيضاً: حضرت ابْن الجندي وَهُوَ يقرأ عَلَيْهِ كتاب ديوان الأنواع الذي جمعه فَقَالَ لي أَبُو عَبْد اللهِ ابْن الآبنوسي: ليس هذا سماعه، وإنما رأى نسخة عَلَى ترجمتها اسم وافق اسمه فادَّعى ذلك».

وقد خُولف ابن الجندي في لفظه، فرواه جماعة الرواة (الآتي ذِكْرُهم) عن الأوزاعي فقالوا فيه: «بالحمد» أو «بحمد الله» بدلاً من البسملة.

وأما الخلاف في إسناده فقد وصله ابن الجندي بإسناده المذكور إلى مُبَشِّر عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وخالفه ابن أبي العشرين فرواه عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة =

= عن أبي هريرة ﵁. زاد فيه قرة في إسناده. ومن هذا الوجه أخرجه ابن حبان (١) بلفظ «لا يُبدأ فيه بحمد الله».

وقد توبع ابن أبي العشرين على إسناده هذا، تابعه: الوليد بن مسلم: ومن طريقه أبو داود (٤٨٤٠) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٥٥) والدارقطني في «السنن» (٨٨٣)، وعُبيد الله بن موسى: ومن طريقه ابن ماجه (١٨٩٤) والبيهقي في «الشُّعب» (٤٠٦٢)، وشعيب بن إسحاق: ومن طريقه ابن حبان (٢)، وموسى بن أَعْيَن: ومن طريقه الدارقطني في «السنن» (٨٨٤)، وأبو المغيرة: ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٠٨)، جميعاً عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﵁.

وقد توبع الأوزاعي على روايته عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﵁، تابعه: سعيد بن عبد العزيز: ومن طريقه النسائي في «الكبرى» (١٠٢٥٦).

وخالفهم: عُقَيْل، فرواه عن ابن شهاب الزهري عن النبي ﷺ، مرسلٌ: ومن طريقه أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٢٥٧). وتابعه على إرساله: الحسن بن عمر عن الزهري مرسلاً ولكن بلفظ «بذكر الله»: ومن طريقه رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٢٥٩).

وقال الإمام الدارقطني في «السنن»: «تَفَرَّدَ بِهِ قُرَّةُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَرْسَلَهُ غَيْرُهُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عن النبي ﷺ، وَقُرَّةُ لَيْسَ بِقَوِيٍّ فِي الْحَدِيثِ. وَرَوَاهُ صَدَقَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَا يَصِحُّ الْحَدِيثُ، وَصَدَقَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ضَعِيفَانِ، وَالْمُرْسَلُ هُوَ الصَّوَابُ».

وحكى الدارقطني الخلاف فيه في كتابه «العلل» (٨/ ٢٩) أيضاً، ثم قال: «والصحيح عن الزهري المرسل».

قلتُ: ورواية صدقة التي أشار إليها الدارقطني في كلامه: قد أخرجها الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٧٢) وقال الدارقطني ـ كما في «أطراف الغرائب» لابن طاهر (٤٢٥٠) ـ: «تفرد به صدقة بن عبد الله بن السمين أبو معاوية (٢) عن محمد بن سعيد وهو الوصيف عن الزهري عنه».

وقال الإمام البيهقي: «ورواه يونس بن يزيد وعُقيل بن خالد وشُعيب بن =

وأخرج الدَّيلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عبَّاس مرفوعاً: «**إنَّ أوَّل شيء كتبه الله في اللَّوح المحفوظ: بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم**»(١).

= أبي حمزة وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلاً».

والخلاصة: أولاً: أن الحديث ضعيفٌ موصولاً، وأن الصواب فيه الإرسال، والمرسل من أقسام الحديث الضعف. ثانياً: أن الحديث أن اللفظ الذي ذكره المؤلف شاذٌ منكرٌ شديد الضعيف، وأن أكثر الرواة ذكروا الحديث (رغم ضعفه) بلفظ الحمد، ولم يذكروه بلفظ البسملة. ثالثاً: أن الذي عند ابن حبان بلفظ الحمد لا البسملة كما عزاه المؤلف. وقد أطلتُ في هذا لما نُقِل من تصحيح أو تحسين بعض العلماء لهذا الحديث.

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» ـ كما في «الغرائب الملتقطة» لابن حجر (١/ ج١/ ق٣، ٤ ـ مخطوط) ـ من رواية إسماعيل بن بشر، حدثنا حماد بن قُريش، حدثنا سليمان ابن عمرو، عن جُوَيْبِر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أولُ شيءٍ كتبَ اللهُ ﷻ في اللوح المحفوظ: بسم الله الرحمٰن الرحيم إنَّه مَن استسلم لقضائي، ورَضِيَ بحكمي، وصَبَرَ على بلائي؛ بَعَثْتُه يومَ القيامة مع الصِّدِّيقين**» ثم قال ابن حجر عقبه: «جُوَيْبر: ضعيفٌ، ولم يسمع من ابن عباس، والراوي عنه... وفي السند أيضاً...». ومكان النقط بياضٌ في المخطوط، لكن نقل الشيخ الألباني رحمه الله، كلامَ ابن حجرٍ رحمه الله، فقال: «قال الحافظ.... والراوي عنه تالف. وفي السند أيضاً...»! كذا بياض بخط الحافظ. قلت [الألباني]: والتالف: هو سليمان بن عمرو، وهو أبو داود النخعي الكذاب؛ كما وصفه الذهبي، وذكر أن أحمد قال: كان يضع الحديث. وقال يحيى: كان أكذب الناس. وفي «اللسان»: «قال ابن المديني: كان من الدجالين. وقال ابن راهويه: لا أدري في الدنيا أكذب منه»! قال الحافظ ابن حجر: «قلت: الكلام فيه لا يحصر؛ فقد كذبه ونسبه إلى الوضع من المتقدمين والمتأخرين ممن نقل كلامهم في الجرح والعدالة فوق الثلاثين نفساً».

ورُوِيَ ما يمكن أنْ يدل على نفس المعنى، لكن في أثرٍ مقطوع من قول سعيد بن أبي هلال: رواه ابن وهب في «الجامع في الحديث» (١٢٣) قال: وأخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال أنَّه بلغه «أن أول شيء نزل من الله على موسى: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب الله في الألواح بيده لعبده موسى».. فذكر خبراً فيه عدة وصايا. وسعيد بن أبي هلال يروي عن =

وأخرج الطَّبراني عن ابن عمر مرفوعاً: «**أولُ ما أُلْقِيَ**(١) **عَلَيَّ من الوحي: بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم**»(٢).

ومِن ثَمَّ كان المصطفى ﷺ يُصَدِّر بها كتبه إلى الآفاق، كما في «الصَّحيحين»(٣) وغيرهما.

= طبقة التابعين كالزهري وغيره، وقد مات بعد سنة (١٣٠)، وأرسلَ عن أنس بن مالكٍ وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ولعله قد بلغه ذلك عن أهل الكتاب.

(١) هكذا في النسخ الخطية لهذا الكتاب، وفي مصادر التخريج: «يُلْقِي».

(٢) رواه الطَّبراني في «المعجم الأوسط» (٣٤٨٠) والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٨٤) والدارقطني في «السنن» (١٠٠٥) من رواية إسماعيل بن محمد الطلحي، قال: نا داود بن عطاء المدني، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ، فذكر الحديث بنحوه. وقال الطبراني عقبه: «لم يروه عن موسى بن عقبة إلا داود بن عطاء». وقال العقيلي: «الرواية في هذا الباب فيها لين وضعف».
قلتُ: وإسناده واهٍ، داود بن عطاء: واهي الحديث، بل قال أحمد: ليس حديثه بشيءٍ، وقال البخاري وأبو زرعة: منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك.
والراوي عنه إسماعيل الطلحي: قال أبو حاتمٍ ضعيف، بينما ذكره ابن حبان في «الثقات».
وللحديث شاهدٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما: رواه الطبراني في «الأوائل» (٤٣) وفي «المعجم الأوسط» (٢٨٦٩) ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٣٣٩) من رواية سعد بن زُنْبُور، قال: حدثنا سليم بن مسلم، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس قال: «كان جبريل عليه السلام إذا أتى النبي ﷺ بالقرآن كان أول ما يُلْقِي عليه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فإذا قال جبريل: بسم الله الرحمٰن الرحيم؛ الثانية؛ عَلِمَ النبيُّ ﷺ أنْ قد ختم السورةَ».
وإسناده ضعيف جدّاً لا يسوى شيئاً، سُليم بن مُسلم: قال الإمام أحمد: ليس يسوى حديثه شيئاً، ليس بشيءٍ، كان يُتَّهم برأي جَهْمٍ، وقال ابن معين: كان جهميّاً خبيثاً. «المؤتلف» للدارقطني (٢/ ١١٩٢).
فالحديث ضعيفٌ من سائر وجوهه.

(٣) وهذا مشهور متواترٌ عنه ﷺ، من ذلك كتابه ﷺ إلى هرقل، وهو عند البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

وسُئل ﷺ عن بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم؟ فقال: «**هو اسم من أسماء الله تعالى، وما بينه وبين اسم الله الأكبر، إلَّا كما بين سواد العين وبياضها من القُرب**». رواه الحاكم في «مستدركه»، وابن أبي حاتم في «تفسيره» عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، وصحح الحاكم إسناده(١).

وفي «تفسير ابن مردويه» عن جابر بن عبد الله: «أنَّه لما نزلت البسملة، هرب الغيم من المغرب إلى المشرق، وسكنت الرِّياح وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورُجمت الشَّياطين، وحلف الله بعزَّته وجلاله أَنْ لا يُسمَّى اسمه على شيء إلا بارك فيه»(٢).

وفي تفسير الإمام مطلقاً، المجتهد المطلق: ابن(٣) جرير الطبري، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**إنَّ عيسى ابن مريم أسلمته أمُّه إلى الكُتَّاب ليعلِّمه، فقال له المُعلِّم: اكتب بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم، قال له عيسى: وما بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم؟ قال المعلِّم: لا أدري، فقال له عيسى: الباء بهاء الله، والسِّين سناؤه، والميم مملكته، والله إلـٰه الآلهة، والرَّحمٰن رحمٰن الدُّنيا والآخرة، والرَّحيم رحيم الآخرة**»(٤). وهذا حديث غريب.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٥٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٣٧، ط: دار الكتب العلمية) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفي إسناده: سلَّام بن وهب الجندي. قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢/ ١٨٢): أتى بخبر منكر بل كذب. ثم ذكر هذا الحديث.

(٢) رواه ابن مردويه ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ١٨٥) و«تدريب الراوي» (١/ ٥٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩١) من رواية عُمر بن ذَرٍّ عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، من قوله موقوفاً عليه، وإسناده صالحٌ لا بأس به.

(٣) في (ك): «محمد بن». وهو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العالم المجتهد، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة. توفي سنة (٣١٠هـ). «السير» (١٤/ ٢٦٧).

(٤) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ١٢١)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٤٩٣)، =

قال ابن كثير(١): وقد يكون صحيحاً موقوفاً أو من الإسرائيليات لا من المرفوعات(٢).

وفيه(٣) أيضاً بسندٍ فيه انقطاع عن ابن عبَّاس: الله ذو الألوهيَّة والعبوديَّة على خلقه أجمعين، والرَّحمٰن فعلان من الرَّحمة، والرَّحيم الرَّفيق بمن أحبَّ أن يرحمه(٤).

= وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٥١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٣٧٣، ٣٧٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٠٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩٣)، وفي إسناده عطية العوفي، وابن عدي وابن عساكر أيضاً من حديث ابن مسعود، وفي إسناده جهالة، ومدار الحديثين أيضاً على إسماعيل بن يحيى: قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٢٦): «كان ممن يروى الموضوعات عن الثقات وما لا أصل عن الاثبات لا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال» ثم ذكر له هذا الحديث. وقال ابن عدي: «وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد لا يرويه غير إسماعيل»، وذكر ابن عدي عدة أحاديث بنفس الإسناد ثم قال: «وبهذا الإسناد أحاديث، حدثنا إسحاق بها فتركتها لأجل التطويل، وكلها بواطيل عن مسعر لا يرويها غير إسماعيل». وقال أبو نعيم بعد الحديث: «غريب من حديث مسعر تفرد به إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى». ولهذا قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٧٥): «هو موضوع كما قال ابن الجوزي وفي إسناده إسماعيل بن يحيى كذاب».

(١) هو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء القرشي. العَلَم المشهور، صاحب الكتب المفيدة. توفي سنة (٧٧٤هـ).

(٢) «التفسير» (١/ ١٨٥)، ونصه هناك: «وهذا غريب جِدّاً وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليَّات لا من المرفوعات والله أعلم».

(٣) يعني: في «تفسير الطبري» (١/ ١٢٨) وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٥، ٨/ ٢٦٨٣)، من رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله. وقال السيوطي في «تدريب الراوي» (١/ ٥٦): «وبشر ضعيف والضحاك لم يسمع من ابن عباس».

(٤) في (ك) بعدها: «الشديد على من أحب أن يضعف عليه العذاب»، وضرب =

وروى ابن أبي حاتم عن جابر بن زيد: أنَّ الله هو الاسم الأعظم(١).

وروى البيهقي عن ابن عبَّاس ﵄ في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] قال: لا أحد تسمَّى بالله قط(٢).

ونقل ابن جرير عن الحسن: الرَّحمٰن اسم ممنوع(٣).

أي: لا يمكن أحد أن يتسمَّى به.

وأما قوله: وأنت غيث الورى لا زلت رحماناً؛ فمن تعنّت الكفرة وعنادهم(٤).

= عليها في (غ)، وزاد في أولها: «والبعيد» وهو مثبت في تفسير الطبري وابن أبي حاتم.

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٤٨٦، ٥٨٥، ٣/ ١٠٢٢، ٩/ ٢٨٦٩) وفي إسناده مجهول، وله إسناد آخر عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضاً (١/ ٢٥، ٦/ ٢٠٣٣) وفيه أبو هلال الراسبي وفيه لين.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٢) عن ابن عباس ﵄ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُسَمَّى الرَّحْمَنَ غَيْرَهُ». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، قلتُ: مداره على رواية سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﵄، ورواية سماك عن عكرمة خاصة مضطربةٌ؛ كما قال يعقوب بن شيبة وغيره.

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ١٣٤) من رواية عوف ـ وهو الأعرابي ـ عن الحسن، ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٧٦٥) من رواية أبي الأشهب عن الحسن في «سبحان الله» قال: «سبحان الله اسم ممنوع لم يستطع أحدٌ من الخلق أن ينتحله». وهو أثرٌ صحيحٌ عن الحسن ﵀. وقال ابن جرير عقبه: «وقد كان الحسن البصري يقول في (الرحمٰن) مثل ما قلنا: إنه من أسماء الله التي منع التسمي بها لعباده». ثم روى ابنُ جريرٍ أثر الحسن المذكور، وقال بعده: «مع أن في إجماع الأمة من منع التسمي به جميع الناس ما يغني عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بقول الحسن وغيره».

(٤) انظر: «فيض القدير» (١/ ١٦٨، ٢/ ٤١٢).

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن: الرَّحمٰن(١) اسم لا يستطيع النَّاس أن ينتحلوه، تسمَّى به تبارك وتعالى.

وعن ابن مسعود: أنَّ من أراد أن ينجِّيه الله من الزَّبانية التِّسعة عشر(٢)، فليقرأ البسملة ـ أي: يواظب قراءتها ـ فيجعل الله [له] بكل حرف منها جُنَّة من كلِّ واحد منهم، فإنَّهم يقولونها في كُلِّ أفعالهم فبها قوَّتهم(٣)، وذلك موافق(٤) لعدد حروفها الرسميَّة(٥).

واعلم أنَّ الإتيان بالبسملة حمدٌ تامٌّ كامل، وذِكْرٌ مرفوعٌ شامل،

---

(١) في (غ) و(ف): «الرحيم» وكذا نقله السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٠)، والمثبت من النسخ الأخرى وهو الموافق لما في «التفسير» لابن أبي حاتم (١/ ٢٦، ٢٨) وكذا نقله ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٠٠) وكذا في إحدى النسخ الخطية لـ «الدر المنثور» كما أشار محققوه في حاشيته (ط: هجر)، وهو عند ابن أبي حاتم بإسنادٍ جيدٍ.

(٢) في (ك): «عشرة».

(٣) بعدها في (ك): «وبها استطاعوا».

(٤) في (ك): «موافقة».

(٥) الأثر عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٤) لوكيع والثعلبي. قلتُ: وهو عند الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩١) من رواية عبد الله بن هاشم أخبرنا وكيع بن الجراح عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال، فذكر الأثر، وإسناده من وكيع لابن مسعود صحيح، رجاله ثقات مشاهير. وقد وجَّهَهُ ابنُ عطيّة في «المحرَّر الوجيز» (١/ ٨٣) عند كلامه على البسملة بالحديث الذي رواه البخاري (٧٩٩) وغيره من حديث رفاعة بن مالك الزُّرقي، قال: كنا نصلِّي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة، قال: «**سمع الله لمن حمده**» قال رجل وراءه: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف، قال: «**من المتكلم؟**» قال رجل: أنا. قال الرسول ﷺ: «**رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيُّهم يكتبها أولاً**». قال ابن عطية: «فإنها بضعة وثلاثون حرفاً»، قال ابن عطية: «وهذا من ملح التفسير وليست من متين العلم».
والمُلَح: «هي التي تستحسنها العقول، وتستملحها النفوس، إذ ليس يصحبها منفِّر، ولا هي مما تعادي العلوم». «الموافقات» للشاطبي (١/ ١٢١).

لاشتمالها على اسم الله الأعظم الجامع المتضمِّن لجميع الأسماء الحسنى، فإنَّه الدَّال على الذَّات المقدَّسة المتَّصفة بالإلـٰهيِّة، التي مَن اتَّصف بها وجب له الكمال الحقيقي المطلق⁽¹⁾، موصوفاً بالاسم الرَّحمٰن المختصُّ به تعالى، فإنَّه ذو الرحمة الحقيقيَّة التي وسعت كلَّ شيء، بما لها من الإحاطة والشَّمول، وبذلك سبقت رحمته غضبه.

وبالرَّحيم⁽²⁾ الدالِّ على تخصيصها⁽³⁾ بالذين يتَّقون ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياته ورسله يؤمنون، حتى كان ورودهم على دار الجحيم عبُوراً إلى دار النعيم؛ إظهاراً لكمال تحققُّهم بنور الإيمان بآيات الله؛ المكتوب⁽⁴⁾ في قلوبهم باتِّباع النَّبيِّ الرَّسول⁽⁵⁾ الأُمي ﷺ، وذلك هو أثر الرحيميَّة الذي⁽⁶⁾ يظهر في الآخرة، حيث تقول النار: جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي⁽⁷⁾.

---

(١) نعم يجب لله ﷻ الكمال المطلق، لكن قول المؤلف: «مَن اتصف بها» لا أراه جيداً، فقد يُفهم منه أن ثمة مَن تثبت له هذه الصفات لمجرد اتصافه بهذه الصفات، وليس الأمر كذلك، فكان الأولى الابتعاد عن هذه اللفظة في مثل هذا المقام، والله تعالى أعلم.

(٢) كتب فوقها أعلى السطر في «ف»: «أي: وموصوفاً بالرحيم».

(٣) كتب مقابلها في «ف»: «أي: الرحمة».

(٤) يعني: الإيمان. (٥) في (ك): «الرسول النبي».

(٦) في (ك): «التي».

(٧) يشير المؤلف إلى حديث يَعْلَى بن مُنَبِّهٍ قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ النَّارَ تَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا مُؤْمِنُ جُزْ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي**». وهو حديثٌ ضعيفٌ، وقد رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٥٨)، وابن عدي في «....» (٨/ ١٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٣٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٢٩)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٠/ ٣٢١) (١٣/ ٥٩٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٣٢)، وقال البيهقي عقبه: «تَفَرَّدَ به سُلَيْمُ بن منصور، وهو منكَرٌ»، وأشار ابن الجوزي إلى وجهٍ آخر في إسناده ثم قال: «والظاهر أن هذا التخليط من سليم بن منصور». =

ويدلُّ على أنَّ رحمة الاختصاص المكتوبة للمؤمنين هي الرَّحمة الواسعة؛ قوله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ أي: أثبتها أو أوجبها [للذين يتقون]، فهو سبحانه رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما، كما ورد(١) في رواية(٢)، فإنَّه خصَّ المؤمن في الدُّنيا بالإسلام والإيمان، وفي الآخرة بالفضل والإحسان، أو قل: و(٣)رحيمهما كما في رواية(٤) لتوقُّف تحقّق الاختصاص بالرَّحمة في الدُّنيا؛ على ما يكون من عاقبة الأمر فيها؛ أي: الآخرة(٥).

وبما تقَّرر استبان وجه تقديم الرَّحمٰن على الرَّحيم، فإنه اسمٌ للذات الإلٰهية من حيث اتِّصافها بصفات الرَّحمة(٦) التي وسعت كل شيء، وهي

= وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٠/ ٩٧): «وهذا حديثٌ غريبٌ جدّاً».

(١) في (ك): «وردة».

(٢) يشير المؤلف إلى حديث عائشة ﵂ قالت: عن عائشة ﵂ قالت: دخل عَلَيَّ أبو بكر الصديق ﵁ فقال: هل سمعتِ من رسول الله ﷺ دعاء عَلَّمَنِيه؟ «ذَكَرَ أنَّ عيسى بن مريم ﵇ كان يُعَلّمه أصحابه ويقول: لو كان على أحدكم جبل ذهب دَيْناً ثم دعا بذلك قضاه الله عنه: اللهم فارج الهمّ؛ كاشف الغمّ، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما؛ أنْ ترحمني رحمة تُغنيني بها عن رحمة من سواك» قال أبو بكر ﵁: وكان عَلَيَّ ثقلة من دينٍ وكنتُ أدعو بذلك الدعاء فقضى الله ما كان عَلَيَّ من الدَّيْن. اهـ. وقد أخرجه أحمد بن علي المروزي في «مسند أبي بكر» (٩٣)، وابن عدي في «الكامل» (٤٨١)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٣٠٤)، وفي إسناده الحكم بن عبد الله الأَيْلِيُّ وهو متروك الحديث؛ بل قال ابن معين: ليس بثقة ولا مأمون، وختم ابن عدي ترجمته بقوله عن أحاديثه: فكلها مما لا يتابعه الثقات عليه وضعْفه بَيِّنٌ على حديثه.

(٣) في (ك): «وقيل» بدل: «أو قل: و».

(٤) تقدَّم.

(٥) كذا العبارة في النسخ الخطية، وفيها ما فيها.

(٦) في (ك): «بالرحمة».

من أخصِّ أوصافه تعالى، فلا يصحُّ اتِّصاف غيره بها، ولذلك أُجري مجرى العَلَم؛ كالاسم الأعظم: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فامتنع إطلاقه على غيره⁽¹⁾، كما أنَّ معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرَّحمة غايتها.

هذا.. والأمور النفسانيَّة إذا وُصِفَ الحقُّ تقدَّس بشيءٍ منها؛ حُمل على غايته، التي هي فعل دون بدايته التَّي هي انفعال، وغاية الرَّحمة: إفاضة النعمة، فتُحمل عليها في جانبه تعالى⁽²⁾، دون الشَّفقة والحنو والرَّأفة التَّي هي مبدؤها⁽³⁾، وقيَّد المنعم في تفسير الرَّحمٰن بالحقيقي لوجوبها له من ذاته واقتداره على كلِّ نعمةٍ دون غيره، ولذلك لم يتسمَّ به لفظاً عربياً مبيَّناً معرَّفاً غيره، فاندفع النقض بمجيئه في كتاب سليمان إلى بلقيس⁽⁴⁾؛ لأنّ التعريف

---

(١) في (م) و(ك): «خلافه».

(٢) في (ك) و(م) و(ج): «في جانب الحق تقدَّس».

(٣) لقد حرف المؤلف المعنى الحقيقي لهذا الاسم العظيم لله تعالى وصرفه عن حقيقته؛ لأوهام عقلية تصور من خلالها وجود نقص في وصف الله تعالى بحقيقة هذا الاسم، وهو متماثل في ذلك مع الأشاعرة الذين يقدِّمون العقل على النَّقل في فهم معاني هذه الصِّفات، ولو أنّهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه على حقيقته دون أن يتصوروا مشابهة لصفات المخلوقين؛ لوافقوا الأدلة الشرعية ولم يخالفوا العقل الصحيح، هذا.. والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما لا يُشبهه سبحانه أحدٌ في ذاته؛ كذلك لا يُشبهه أحدٌ في صفاته ﷻ.

(٤) يشير المؤلف إلى أثر الشَّعْبِيِّ، قال: «أولُ ما كَتَبَ النبيُّ ﷺ؛ كتب: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] كَتَبَ: بِسْمِ اللهِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النمل] كَتَبَ: «بسم الله الرَّحْمَن الرحيم». رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٦٤)، وابن أبي شيبة (٣٧٠٤٠)، والقاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (٣١٠). وهو أثرٌ مرسلٌ غير موصولٍ إلى النبي ﷺ، وقد رُوِيَ موصولاً من وجهٍ لا يصح ذكره الدارقطني في «العلل» (١٢/ ١٠٣) ثم قال: والصواب عن عاصم عن الشعبي مرسلاً.

هناك واقعٌ على المعنى، لا من حيث هذه اللفظة(١) العربية، كما أفاده(٢) بعض المحقِّقين من أهل اللُّغة(٣)، وذلك لأنَّ التَّسمية في [ذلك](٤) المحل من سورة النَّمل، جاءت على جهة الترجمة عمَّا في ذلك الكتاب، فإنَّه لم يكن كتابه عربيّاً، كيف والتَّسمية بهذه الألفاظ على هذا التَّرتيب خصَّ الله به النبي الأُمِّي وأمَّته(٥)، وكذا اندفع به التعقُّب بما جاء مضافاً؛ كرحمٰن اليمامة، وهو تعنُّتٌ كفريٌّ جاهلي، وحقُّ العَلَمِ وما كان أعرفَ = التَّقديمُ.

وأمَّا الرَّحيم: فمعناه المختصُّ برحمته من تولَّاه، وبالرَّحيميَّة المختصَّةِ بالمؤمن: أُرسلت الرُّسل وتُنُزِّلَتْ(٦) الكتب وشرعت الشَّرائع وتبيَّنت الآيات(٧) لقوم يعقلون، وتُلِيَتِ البينات لقوم يسمعون، وتميَّزت الحقائق(٨) لقوم يبصرون، ووضعت العلامات لعلهم يهتدون، ونصبت الموازين لعلَّهم يرجعون، وطُبع على قلوب الَّذين لا يعلمون، صمٌّ بكم عمي فهم لا يبصرون، قال ابن برَّجان(٩): ولمَّا كانت هذه الكلمة ـ يعني:

---

(١) وقع رسمها في «ف»: «اللقطة».

(٢) في (ك): «ذكره».

(٣) في (ج): «الغه» كذا هي، ولعله أراد بها: النقد، ولم يتمها. والله أعلم.

(٤) من «ك» و«ف».

(٥) كيف وقد وردتْ صراحة في كتاب سليمان ﵇ لملكة سبأ، كما قال تعالى في سورة النمل: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل]. فهذا صريحٌ في وجود التسمية في كتاب سليمان ﵇ بهذه الصيغة التي يعرفها المسلمون، وتأويل المؤلف بأن التعريف في كتاب سليمان ﵇ واقعٌ على المعنى غريبٌ جدّاً؛ وصرفٌ لظاهر القرآن الكريم الواضح بغير بيِّنةٍ.

(٦) في (ك): «ونزلت».

(٧) في (م): «البينات».

(٨) في (ك) و(ج): «بينت الآيات.. وتميزّت المعاني».

(٩) في (م): «مرجان»، وابن برَّجان هذا هو عبد السلام بن عبد الرحمٰن بن أبي الحكم بن برَّجان أبو الحكم الإشبيلي. مقرئ لغوي. له تعليقات على كثير من أهل اللغة. توفي سنة (٦٢٧هـ)، «معجم المؤلفين» (٢/ ١٤٧، ط: الرسالة)، =

(بسم الله) ـ معناها العلو وهو يعمُّ جميع السُّبحات، وكانت سبحاته لا تُحصى ولا تتناهى قرنها باسمه العظيم الدال على جميع الأسماء، ثم أمر أن يُتبرَّك بها عند بداية(١) أمورنا، [ونلوذ بعصمتنا](٢) في جميع أعمالنا(٣)، وحكم على تاركها بالتفسيق(٤)، وعلى ما ترك عليه ذكرها بالتحريم بقوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وفي اختصاصها بالأسماء الثلاثة إيماءٌ إلى أنَّه المستحقُّ لأن يُلجأ إليه، ويُستعان في جميع الأمور به، ويُعول عليه، واجب الوجود المعبود الحقيقي مُولي النعم كلِّها، جليلها وحقيرها دنيويِّها وأخرويِّها، فيتوجَّه بِشَراشِرِه(٥) إليه، ويعتمد في جميع أموره عليه.

= وفي «الإعلام» أنَّ وفاته سنة (٥٣٦هـ)، وذكر أن له تفسيراً في القرآن مخطوط.

(١) في (ك): «ابتداء».

(٢) المثبت من «ف»، وفي (غ): «وتلوذ بعصمتنا»، وفي «ك»: «ونلوذ بعصمتها»، والمراد ـ والله أعلم ـ أننا نعتصم ونتحصَّن بها ونفر إليها لتحصل لنا العصمة في جميع أعمالنا ببركتها، يقال: لاذ الرجل بالجبل؛ أي: اعتصم به، ولاذ بالصمت؛ أي: سكت وتحصَّن بالصمت وفي «القاموس المحيط»: «اللَّوْذُ بالشيء: الا ستتارُ والا حتصانُ به».

(٣) في (ك): «أحوالنا».

(٤) بل الظاهر من سياق الآية الكريمة التي سينقلها المؤلف هنا أن التفسيق راجعٌ إلى الأكل مما لم يُذكر اسم الله عليه، وليس المقصود تفسيق مَن ترك التسمية، بل قال ابن عادل: «وأجمع المسلمون على أنه لا يفسق آكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية». انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٣٩١)، «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل (٨/ ٤٠٤)، «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ١٦١)، «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٤٦).

(٥) في (ك) و(م): «بشر أشرّه»، ومعنى الشراشر: النفس والأثقال والمحبة وجميع الجسد «القاموس المحيط» مادة: (الشر).

[﴿١﴾] **يقول راجي** اسم فاعل من الرَّجا ضد الخوف، وهو تعلُّق القلب بمحبوب ممكن الحصول، أو الثقة بالجود من الكريم الموجود، أو سرور الفؤاد بحسن الميعاد أو غير ذلك.

من؛ أي: الذي **إليه المهرب**، وهو الله تعالى لا غيره إذ لا ملجأ منه إلَّا إليه، وأتى بالموصول هنا لقاعدةٍ هي أنه يتوصَّل بالذي ونحوها؛ لوصفه تعالى بما ثبت له ولم يرد به توقيف، لكن كان الأولى العدول عن ذلك لإطلاق بعض المتكلِّمين، أنه لا يجوز وصفه تعالى بالمبهمات(١).

والراجي له معنيان: المؤمِّل نحو: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، والخائف نحو: ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]، ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح]؛ أي: لا تخافون عظمته(٢)، وهو هنا صالح للمعنيين معاً(٣)، فيكون خائفاً من ذنبه، ومُؤَمِّلاً عفو ربه، جرياً على سنن ما هو المحبوب المطلوب(٤) من الجمع بينهما، قال ﷺ: **«أَقْسَمَ الخوفُ والرَّجاء أَنْ لا يجتمعا في أحدٍ في الدنيا فيُرَيِّح رائحةَ النارِ، ولا يفترقا في أحدٍ في الدنيا فَيُرَيِّح رائحةَ الجنةِ»**(٥)؛ ولذلك قالوا: الرَّجاء والخوف كالجناحين للسير إلى الله تعالى(٦).

---

(١) كلام المؤلف عن المقصود مِن إتيان العراقي بمن (الموصولة) مماحكة غريبة، وكلام العراقي لا يحتمل هذا كله. والله أعلم.

(٢) في (ك): «تخافونه».

(٣) بعده في (م) و(ك): «لكن الأول أولى»، وفي (ج): «فيكون الأول أولى؛ لأنَّه يكون»، ومضروب عليها في (غ).

(٤) في (ك): «المطلوب المحبوب».

(٥) كتب في هامش (ك): في نسخةٍ: «فيزحزح الجنة، فيحزحح النار»، والحديث رواه البيهقي في «الشعب» (٩٧٣) وفي إسناده ضعفٌ وانقطاعٌ، وقال الشيخ الألباني ﷺ في «السلسلة الضعيفة» (٦١٤٩): «منكرٌ».

(٦) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٣٦).

عبد الرحيم بن الحسين المذنب يجوز أن يكون راجي فاعلاً ليقول، وعبد الرَّحيم بدل منه أو عطف بيان، وأن يكون **عبد الرحيم** فاعلاً، وراجي حالاً مقدَّماً سكِّن للضرورة؛ كقوله:

ولو أنَّ واشٍ باليمامة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا(١)

وجاء في السعة(٢): أعط القوس باريها(٣).

والنَّاظم(٤) هو [جدّي](٥) الشيخ الإمام الحبر الهمام، جمال الحُفَّاظ الفخام، زين الدين عبد الرحيم ابن الشيخ الإمام العابد الزاهد، القدوة السَّالِك(٦)، حسين بن بدر الدين بن أبي بكر بن إبراهيم، الكردي الرازياني الأصل، ثم المصري الشافعي، المعروف بالزين العراقي، نسبة

---

(١) جزء من قصيدة لقيس مجنون ليلى مطلعها (وهي من الطويل):

إذا ظنَّت الأذنان قلت: ذكرتني أو اختلجتْ عيني رجوت التلاقيا

انظر: «خزانة الأدب» (١/ ٤٢٤)، و«شرح ابن عقيل» (١/ ٨٢)، وفيه قال: «من العرب من يعامل المنقوص [واش] في حالة النصب معاملته إياه في حالتي الرفع والجر، فيقدِّر فيه الفتحة على الياء أيضاً إجراء للنصب مجرى الرفع والجر.. فسكن الياء ثم حذفها مع أنه منصوب لكونه اسم إن».

(٢) كذا ولم أتبين هذه اللفظة؛ فالله أعلم.

(٣) وانظر: «المزهر في اللغة» للسيوطي (١/ ٣٧٦).

(٤) مصادر ترجمة العراقي ناظم الألفية: «إنباء الغمر بأبناء العمر» (٥/ ١٧٠)، «المجمع المؤسس» (٢/ ١٧٦)، «حسن المحاضرة» (١/ ٣٦٠)، «الضوء اللامع» (٤/ ٢٧١)، «شذرات الذهب» (٧/ ٥٥)، «ذيل طبقات الحفاظ» (٢٢٠)، «غاية النهاية» (١/ ٣٨٢)، «الأعلام» (٣/ ٣٣٤)، وقد وهم مؤلِّفُه رَحِمَهُ اللَّهُ حيث رجّح أن ولادة عبد الرحيم كانت في رازيان من أعمال إربل، وأنّه تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر، و«فهرس الفهارس والأثبات» (٢/ ٨١٤)، و«معجم سركيس» (١٣١٧)، و«معجم المؤلفين» (٢/ ١٣٠)، وغير ذلك. وللدكتور أحمد معبد دراسة حول العراقي، نشرتها مكتبة أضواء السلف في الرياض.

(٥) ليست في «غ» و«ف» والمثبت مِن «ك».

(٦) في (غ): «المسلك».

إلى عراق العرب(١).

قال جدُّنا(٢) شيخ الإسلام، قاضي القضاة(٣)، شرف الدين يحيى المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ: ونسبه متَّصل بالفاروق ﵁ لكن الشيخ لا يذكر ذلك تورُّعاً، وكانت إقامة أسلافه ببلدٍ يقال لها: رازيان من أعمال إرْبَل، ولهم هناك مناقب ومآثر مشهورة، وكراماتٍ مأثورة، ومنهم جماعة من العلماء وجماعة من الصلحاء.

وسبب وفود والده إلى مصر: أنَّ عمَّيه انجفلا(٤) في وقعة غازان ملك التَّتار إلى مصر، فلمَّا استقرَّا بها أرسلا إليه، فأحضراه إلى مصر وهو طفل، فنشأ بها على الاشتغال بالعلم والإقبال على شأنه، فولد له بها هذا الإمام في حادي عشريِّ جمادى الأولى، سنة خمس وعشرين وسبع مئة، فحفظ القرآن وهو ابن ثمان، و«التنبيه» و«الإلمام»(٥) وأكثر «الحاوي»، وحفظ نصفه في خمسة عشر يوماً، وأراد حفظه كلَّه في شهر واحد فملَّ، وكان يحفظ في كل يوم أربع مئة سطر، ثم أخذ الفقه وأصوله عن(٦) ابن عدلان والسبكي والإسنوي والعلائي وابن كثير.

وتوغَّل في القراءات؛ فقال له العزُّ ابن جماعة(٧): إنَّه علم كثير التعب قليل الجدوى، وأراك متوقِّد الذِّهن جيِّد القريحة، فاصرف نفسك إلى الحديث، فأقبل عليه حتَّى برع ومهر فيه وفاق أهل عصره(٨)، حتَّى وصفه مشايخه بأنه حافظ الوقت، ونقل عنه شيخه في «المهمَّات»

---

(١) ينظر: «العجالة السنية» بتحقيقي.

(٢) في (ك): «حدثنا».

(٣) الأولى أن يقول رئيس القضاة.

(٤) في (ك): «ارتحلا»، وفي حاشية (غ): «أي: هربا».

(٥) في (ج): «الإتمام».

(٦) في (ك): «على».

(٧) هو الحافظ عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله، أبو عمر ابن جماعة، ترك الكثير من الكتب النافعة، مات، سنة (٧٦٧هـ).

(٨) في (ك): «زمانه».

وغيرها، وترجمه في «طبقات الشَّافعيَّة»، ولم يذكر فيها أحداً من الأحياء غيره، وامتنع السُّبكي من التَّحديث حين قدم القاهرة إلَّا بحضرته، وولع بتخريج أحاديث «الإحياء»، ووافق الزَّيلعي(١) في تخريج أحاديث «الكشَّاف» وأحاديث «الهداية». فكانا يتعاونان، كذا ذكره ابن شهبة(٢)، وكان مفرط الذكاء جدّاً، بحيث يضرب به المثل في ذلك، وله تآليف كثيرة ذكرت أكثرها(٣) في الشَّرح المتقدِّم(٤).

مات في شعبان سنة ست وثمان مئة، عقب(٥) خروجه من الحمَّام، ودفن في تربة خارج باب البرقية(٦).

قال الحافظ نور الدين الهيثمي: رأيت المصطفى ﷺ في النوم، وعيسى عليه السلام عن يمينه، وشيخنا الحافظ الزين العراقي عن يساره.

[﴿٢﴾] **أحمد** [أي]: صدَّر نظمه بعد البسملة الشريفة، بالحمدلة الكريمة المنيفة، سلوكاً على جادة منهاج(٧) الأمة، وعملاً بالكتاب والسُّنَّة، وغير خافٍ أنَّ الإتيان بالتسمية على قصد الاتِّباع تبركاً وتيمناً، حمدٌ تامٌّ، وذِكْرٌ عام، لكن المقتصر عليها لا يُسمَّى حامداً عُرْفاً، فأتى به لذلك، وامتثالاً لقوله ﷺ: «**إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يحب أن يحمد**». رواه الطبراني وغيره(٨)، وأخرج الدَّيلمي [وغيره] عن الأسود بن سريع مرفوعاً:

---

(١) وفي (ك): «الديلمي».

(٢) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤/ ٣٤) أثناء ترجمة العراقي.

(٣) في (ك): «ذكرتها».

(٤) يعني: «العجالة».

(٥) في (ج): «عند».

(٦) في (ك): «الكوفة».

(٧) في (م): «مفتاح».

(٨) رواه الطبراني في «معجمه الكبير» (١/ ٢٨٢، ٢٨٣) من حديث الأسود بن سريع المجاشعي، وكذا رواه ابن سعد (٧/ ٤١)، وأحمد (١٥٥٨٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٤٢، ٨٥٩، ٨٦٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٥٩)، وابن أبي خيثمة في السفر الثاني من «تاريخه» =

«إنَّ الله عز وجل يحبُّ الحمد يحمد به؛ ليثيب حامده، وجعل الحمد لنفسه ذكراً، ولعباده ذخراً»(١).

وروى البيهقي وغيره بإسنادٍ رجاله ثقات، لكن فيه انقطاع عن ابن عمرو أنه ﷺ قال: **«الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبداً لا يحمده»**(٢).

= (١٤٨٣)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ١٨)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٤/ ٢٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٥٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٦) وفي «المعرفة» (١/ ٢٧٠، ٢٧١)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١١٥): «رواه أحمد بتمامه، والطبراني بنحوه، وفي رواية الطبراني: «إن ربك يحب الحمد» بدل (المدح)، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح». قلتُ: نعم رجاله رجال الصحيح غير أنه منقطع لأنه مشهور من رواية الحسن عن الأسود بن سريع والحسن لم يسمع من الأسود رضي الله عنه، كما ذكر علي بن المديني، لكن له وجه آخر ذكره ابن قانع والحاكم وأبو نعيم وغيرهم من رواية عبد الرحمٰن بن أبي بكرة عن الأسود رضي الله عنه، ولا يصح من هذا الوجه أيضاً، فقد ورد عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة من طريقين في أحدهما علي بن زيد بن جدعان وهو واهٍ، وفي الثاني معمر بن بكار وبه تعقَّب الذهبي على الحاكم فقال الذهبي: معمر بن بكار له مناكير، فلا يصح الحديث من هذا الوجه أيضاً والله أعلم. لكن الحمد نوعٌ من المدح أو قريبٌ من ذلك فعسى أن يغني عنه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ فَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ فَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»**، رواه البخاري (٤٦٣٧)، ومسلم (٢٧٦٠).

(١) أخرجه الديلمي في كتاب «الفردوس» (١/ ١٩٥، ط: دار الريان)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٥) مختصراً.

(٢) أخرجه البيهقي ـ كما قال المؤلف ـ في «شعب الإيمان» (٤٣٩٥)، وكذلك أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٢٤)، والبغوي في كتابيه «معالم التنزيل» (٥/ ١٢٩، ط: دار طيبة) و«شرح السنة» (٥/ ٥٠)، والديلمي في «الفردوس»، كلهم من طريق معمر عن قتادة أن ابن عمرو رضي الله عنه؛ فذكره.

وروى الطبراني في «الأوسط» بسند فيه ضعف، عن النوَّاس(١) بن سمعان، قال: سرقت ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء، فقال: **«لئن ردَّها الله عليَّ لأشكرنَّ ربِّي»**، فرُدَّت، فقال: **«الحمد لله»** فانتظروا هل يحدث صوماً أو صلاةً، فظنّوا أنَّه نسي، فقالوا له ذلك، فقال: **«ألم أقل: الحمد لله»**؟(٢).

وروى ابن أبي حاتم(٣) عن ابن عباس: الحمد لله كلمة الشكر، فإذا قال العبد: الحمد لله، قال الله: **«شكرني عبدي»**(٤).

وفي «صحيح مسلم»(٥) عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً: **«الحمد لله تملأ الميزان»**.

وروى أبو داود والنَّسائي وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعاً: **«كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع»**(٦).

وقوله: ربي؛ أي: مالكي ومصلح أمري، وهو من الألفاظ المشتركة، يطلق على السيِّد والصَّاحب والمصلح، والمربِّي؛ وعند الإطلاق؛ المراد به: هو الله تعالى، ولا يطلق على غيره إلَّا مقيَّداً، وربوبيَّته تعالى بمعنى الخالقيَّة والمالكيَّة والمعبوديّة عامَّة، وبمعنى التَّربية والإصلاح خاصَّة، تتفاوت بحسب أنواع الموجودات، فهو مربِّي الأشباح بأنواع نعمه، ومرِّبي الأرواح بأصناف كرمه، ومربِّي نفوس العابدين

---

(١) في حاشية (غ): «بتشديد النون».

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٠٧١)، وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن النواس إلا بهذا الإسناد، تفرد به النفيلي.

(٣) في (غ): «عن ابن حاتم»، والصواب ما أثبت.

(٤) رواه في ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٣)، وأوله: «الطهور شطر الإيمان..».

(٥) (٢٢٣).

(٦) الحديث تقدّم تخريجه في أول الكتاب.

بأحكام الشريعة، ومربِّي قلوب العارفين بآداب الطريقة، ومربِّي أسرار الأبرار بأنوار الحقيقة(١).

واعلم أنَّ وجود تربيته تعالى لخلقه لا يحيط بها غيره، فمنها: تربية النُّطفة إذا وقعت في الرَّحم حتَّى تصير علقة، ثم مضغة ثم يصير منها عظام وغضاريف، ورباطات وأوتار وأوردة وشرايين، ثم يتَّصل بعضها ببعض، ثم يصير في كلٍّ قوة خاصة؛ كالنَّظر والسمع والنطق، فسبحان من بصَّر بشحم! وأسمع بعظم! وأنطق بلحم! ومنها: أنَّ الحبة إذا دفنت بالأرض وحصل لها نداوة انتفخت! ثم لا تنشق مع عموم الانتفاخ لها إلَّا من أعلاها وأسفلها! فيخرج من الأعلى الجزء الصاعد وهو السَّاق، ويتفرَّع عنه أغصان كثيرة، ثمَّ منها نوْر، ثمَّ ثمر مشتمل على أجزاء كثيفة كالقشر، ولطيفة كاللبِّ والدُّهن، والجزء الغائص من الحبِّ يتفرَّع إلى عروق أطرافها، وهي في غاية اللطافة كأنَّها مياه منعقدة، ومع غاية لطافتها تغوص في الأرض الشَّديدة الصُّلبة، وأودع فيها قوةً جاذبه، تجذب الأجزاء اللَّطيفة من الطِّين إلى نفسها، فسبحان مربِّي كل شيء بلطفه الحكيم العليم!!(٢).

وقوله: **بأتمِّ الحمد**؛ أي: بأبلغه إجمالاً بقدر(٣) الطَّاقة البشريَّة لا تفصيلاً؛ لأنَّ له صفات كماليَّةٍ غير متناهية، ولا يفي بحصرها التفصيلي قُوانا الماديَّة الحادثة، بل ولا القوى القدسيَّة الملكيَّة، وإن فرضت غير متناهية. ونبَّه بأتميَّة الحمد على أتميَّة المحمود عليه وجلالته وعظمته،

---

(١) هذا الكلام فيه ما فيه، وليت المؤلف رحمه الله مشى فيه على سنن السَّلف الصَّالح.

(٢) هنا كتب في (غ): «بلغ مقابلة على خط مؤلفة المنقول منه مع مؤلفه». وسقط من (ك) من قوله (ق١٨): «وقوله: ربي؛ أي: مالكي ومصلح أمري..» إلى هنا.

(٣) في (ك): «على قدر».

وهو الإنعام بهذا النظم العجيب الذي هو موهبة من المواهب السُّبحانيَّة، وفيض من الفيوض الرحمانيَّة.

وللصلاة والسلام أهدي [﴿٣﴾] **إلى نبيِّه محمَّد**، [أتى به كغيره لما أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**من صلَّى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة تصلِّي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب**»](١).

والصَّلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين والجن(٢) دعاء على المشهور المأثور(٣). والسلام كالسلامة، التعرِّي من الآفات الظَّاهرة والباطنة المنافية للكمالات، وحقيقة ذلك وكماله لا يكون إلَّا في الجنة؛ لأنَّ فيها بقاءً بلا فناء وغنىً بلا فقر، وعزّاً بلا ذل، وصحةً بلا سقم، وجمع بينهما خروجاً من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر.

والنبي بالهمز ودونه، وهو بالهمز من النبأ، وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به العلم، ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمَّن هذه الأشياء

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٨٣٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦/ ٨١)، وفي لفظ الطبراني: «تستغفر» بدل «تصلّي»، وقال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن أبي هريرة إلّا بهذا الإسناد، تفرد به: إسحاق».
وأخرجه أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٦٩٩) من طريق أحمد بن جعفر الهاشمي عن سليمان بن الربيع بن كاج بن رحمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلَّى عليَّ في كتاب، لم تزل الصلاة جارية ما دام اسمي في ذلك الكتاب» قال ابن كثير في تفسيره (١١/ ٢٣٧): «وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة، وقد رُوِيَ من حديث أبي هريرة، ولا يصح أيضاً، قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا: أحسبه موضوعاً». وانظر: «القول البديع» (ص٢٤٧، ط: دار الريان).

(٢) في (ك): «غيرهم».

(٣) في البخاري (٨/ ٥٣٢ ـ فتح): قال أبو العالية: «صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء».

الثلاثة. والنبوة سِفارة بين الله وبين ذوي العقول لإزاحة عللهم في معاشهم ومعادهم، وسُمِّي النبي نبياً لكونه منبئاً بما تسكن إليه العقول [الذكية] الفاضلة الزكية، والأخلاق الشريفة العالية [الراضية] المرضيَّة، ويصحُّ كونه فعيلاً بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول، ذكره بعض المحقِّقين، وهو مستمدٌّ من قول الحافظ أبي نُعيم⁽¹⁾: النبؤه سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خليقته، ويقال: النبوة: إزاحة علل ذوي الألباب فيما تقصر عنه عقولهم من مصالح الدارين، ولهذا يوصف دائماً بالحجة والهداية ليزيح بها عللهم.

قال: ومعنى النَّبي: ذو النبأ؛ أي: الخبر؛ أي: يكون مخبراً عن الله بما أوحي إليه⁽²⁾، أو من النَّبْوة ـ بفتح فسكون ـ المكان المرتفع، وهو أن يُخصَّ بضرب من الرفعة، فيجعل سفيراً بين الله وبين خلقه، ومن جعل النبوة من الإنباء الذي هو الإخبار لم يفرِّق بين النبوة والرِّسالة⁽³⁾.

ومعنى الرَّسول: المرسل، وإرساله أمره بالإبلاغ، قال: ثم النَّبوَّة الَّتي هي السَّفارة لا تتمُّ إلا بخصائص أربعة يهبها الله له، وهي الفضيلة النوعيَّة، والفضيلة الإكراميَّة، والإمداد بالهداية والتثقيف⁽⁴⁾ عند الزَّلَّة.

---

(١) «دلائل النبوة» (١/ ٣٣، ط: دار النفائس). وانظر: «بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (٥/ ١٥).

(٢) في (ك): «تعالى بالوحي».

(٣) سيأتي مزيد إيضاح من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «النبوات» بعد قليل.

(٤) من (غ، ف) وفي حاشية (غ) وكذا في (ج، ك): «التثبيت»، ولم ترد «و» قبلها في (ج، ك)، وفي «الدلائل» لأبي نعيم (١/ ٣٥): «ومعنى التثقيف عند الزلة: فما بعث مَلِك واحداً يحبّب به الرعية إلى طاعة فيرى طبيعه مائلاً في حال الإبلاغ، إلا زجره عند أدنى هفوةٍ بأبلغ مزجرة، يثقِّفه بها حياته لمحلّه وحفظاً لحراسته واستقامته».

والآفات الأربعة التي يعصم الله منها الأنبياء: الكفر، والكذب على الله تعالى، والفسق، والجهل بأحكام الله.

ومعنى الفضيلة النوعيَّة: أنَّ الملوك لا تُرسل [رسولاً] مبلِّغاً عنهم، إلا مزيَّناً بكمال العقل(١) محلًّى بجميع المناقب، ولهذا لم يوجد نبي قطُّ فيه عاهة في بدنه؛ كعمًى وجُذامٍ وبرصٍ ونحو ذلك، واختلاط في عقله، أو دناءة في نسبه، أو خنأ في أصوله أو رداءة في خلقه، وإليه يرجع قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. اهـ(٢).

---

(١) في (م): «العصمة».

(٢) هل هناك فرق بين النَّبيِّ والرَّسول؟ هناك خلاف في هذا، بيَّنه شيخ الإسلام في كتابه «النبوات» (٢٨١، ط: دار الكتاب العربي). فقال:

«فالنَّبيُّ هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأمَّا إذا كان إنما يعمل بالشَّريعة قبلة، ولم يُرسل هو إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالة، فهو نبيّ وليس برسول...

قال ابن عبَّاس: كان بين آدم ونوح، عشرة قرون كلُّهم على الإسلام، فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين لكونهم مؤمنين بهم.. فالأنبياء ينبّئهم الله، فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر والنهي». اهـ كلامه رحمه الله.

وهذ التفريق مهم لمعرفة أحوال دعوة الرَّسول ﷺ في أوَّل مبعثه، وسيأتي مزيد توضيح في التعليق عند بداية دعوته. وهل هناك سنوات ثلاثة كانت فيها دعوة سريّة؟ أم كانت دعوة على خوف من قريش ومن جاورها؟ فنقول: إنّ حياة الرَّسول ﷺ مرَّت بمراحل.

الأولى: مرحلة ما قبل النُّبوَّة، ومدَّتها أربعون سنة بمثابة الإعداد للنبوَّة.

الثَّانية: مرحلة النُّبوَّة، وتبدأ من نزول الوحي عليه في غار حراء، إلى أن جاءت مرحلة الرّسالة، وفي هذه الفترة نزل عليه جبريل بسورة العلق، ومدَّة هذه المرحلة ثلاث سنوات، فقد ورد عنه الإمام أحمد في «مسنده»، وصحح إسناده إلى الشعبي ابن كثير رحمه الله في «البداية» (٣/ ٥) عن عامر الشعبي =

وأرجو الله؛ أي: أؤمّله في **نُجح** بضم النون وزان نصح؛ أي: قضاء.

ما سألته؛ أيها الطالب لنظم السِّيرة النبوية، والخصائص والمعجزات المصطفويَّة، ويصحُّ بناؤه للمفعول؛ أي: ما سُئلته أنا من تأليف ذلك النظم، يقال: أنجحت الحاجة إنجاحاً، وأنجح الرجل أيضاً إذا قُضيت له الحاجة، والنجاح ـ بالفتح ـ: الظفر بالحاجة، وأنجح الحاجة: قضاها، ونجحت الحاجة: انقضت، ونجح أمره: سهل وتيسَّر؛ فهو ناجح، والاسم النُّجح بوزن فُعل⁽١⁾، والسؤال طلب الأدنى من الأعلى.

وقوله: **شفاها** بكسر المعجمة؛ أي: مشافهة، وهي المخاطبة من فيك إلى فيه، يقال: شافهته بحديثي خاطبته به، وهذا حشو كمَّل به الوزن.

[﴿٤﴾] **من نظم سيرة النبي**؛ أي: من جعلها مقفَّاةٍ موزونة على

= أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن.

الثَّالثة: مرحلة الرِّسالة، وقد بدأت منذ أن أنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر]، فتكون هذه السّورة أول شئ نزل من القرآن بعد فترة الوحي، فيكون جبريل نزل بسورة العلق في فترة النُّبوَّة، وبالمدثّر في فترة الرّسالة. ثم بعد ذلك مرحلة الإنذار عندما أمر بقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، وكانت من أشد المراحل عليه الصلاة والسلام.

فمن هنا يتضح بجلاء زيف ادعاء أنَّ هناك دعوة سريّة، وسيأتي مزيد إيضاح في التعليق على هذا الكتاب إن شاء الله ﷻ.

وانظر: «فقه الواقع بين الدَّعاوى والبينات» لسعود العقيلي (ص١٤٥)، و«دعوة النبي ﷺ في مرحلة الاستخفاء دراسة تحليلية» لأخينا الدكتور علي الأحمد.

(١) «القاموس المحيط» مادة: (النجاح).

بحر الرجز، إذ النَّظم(١) كلام مقفًّى موزون قصداً، فيميل الطبع إليه لا سيَّما إن تحلَّى بالفصاحة والبلاغة.

وقد اشتمل هذا النظم عليهما كما يقضي به العارف المنصف.

والسِّيرة ـ بالكسر ـ: الحالة التي عليها الإنسان، غريزيَّة كانت أو مكتسبة(٢).

وقوله: **الأمجد** أفعل التفضيل من المجد وهو السَّعة(٣) في الكرم والجلالة والعزِّ والشَّرف، ولا أحد من البشر يساوي المصطفى ﷺ في ذلك، وإن كان مجيداً وعلى ربه كريماً.

ألفيَّة؛ أي: في ألف بيت، بناءً على المختار من عدِّ مصراعي الرجز بيتاً واحداً، وهي على مقابلة ألفان، والألف اسم للعقد الثالث من عقود العدد المخصوص، سُمِّي به لكون الأعداد فيه مؤتلفة، فإنها آحاد وعشرات ومئات وألوف، فإذا بلغت الألف فقد ائتلفت وما بعده يكون مكرراً، وهو مذكَّر لا يجوز تأنيثه كما قال ابن الأنباري(٤) وغيره. وبيت الشِّعر ما يشتمل على أجزاء معلومة، وتُسمَّى أجزاء التفعيل، سُمِّي بذلك على الاستعارة، لضمِّ بعضها إلى بعض على نوع خاص، كما تُضمُّ أجزاء البيت في عمارته على نوعٍ خاص.

---

(١) لغة التأليف والجمع. وتعريف الشارح اصطلاحاً.

(٢) قال الأجهوري في «شرحه»: «وسيرة النبي طريقته، ويحتمل أن تكون بمعنى الهيئة؛ كالجلسة، قاله بعض الشارحين، وفيه نظر، إذ كل منهما لا يشمل أسمائه وأسماء أعمامه وعماته، وذكر آلاته ودوابه، ونحو ذلك.
والذي ينبغي: تفسير السيرة بالأخبار المتعلِّقة بذاته وبأحواله».

(٣) غير واضحة في (ك).

(٤) هو محمد بن القاسم، أبو بكر بن الأنباري. له العديد من المصنفات في اللغة والغريب. توفي سنة (٣٢٨هـ). «سير» (١٥/ ٢٧٥).

حاوية للمَقصِد بفتح الميم وكسر الصاد(١)؛ أي: مستولية مشتملة جامعة لجميع المقصود من ذلك، يقال: حويت الشيء أحويه حِوَاية، واحتويت عليه إذا ضممته واستوليت عليه(٢).

[﴿٥﴾] **وليعلم الطالب**؛ أي: الرَّاغب في فن السِّير من الطَّلب، وهو الفحص عن وجود الشيء عيناً أو معنًى، ويقال: طلبه طلباً ـ بفتحتين ـ وتطلَّبه حاول وجوده وأَخْذَه، وهو طالب إليَّ راغب فيما لديَّ(٣).

أن السيرا بألف الإطلاق، جمع سيرة كسدر وسِدِرْ، وقد غلب اسم السير في ألسنة الفقهاء والمحدثين على المغازي ونحوها.

تجمع؛ أي: تضمُّ من الجمع، وهو ضمُّ الشيء بتقريب بعضه من بعض.

ما قد صحَّ؛ أي: ما ورد بإسنادٍ صحيح من الأخبار والآثار

وما قد أُنكرا بالبناء للمفعول وألف الإطلاق؛ أي: وما أنكر جهابذة المحدثين ورودَه(٤)، بأن لم يقفوا عليه بعد التتبع والفحص(٥) في حديثٍ ولا أثر صحيح ولا حسنٍ ولا ضعيفٍ، فأهل السير يوردون في كتبهم(٦) ما لم يوقف له على إسناد أصلاً، وما ورد من طرقٍ واهية [بل باطلة]، ولا يتحاشون عن ذلك.

---

(١) تعقبه الأجهوري في «شرحه»، فقال: «لأنه حينئذٍ يكون اسم زمان أو مكان لا مصدراً ولا يصح إرادته هنا، فالواجب كونه بفتح الصاد مصدراً بمعنى اسم المفعول، لكن إنه من المصادر التي شذ ورودها بالكسر صح ما ذكره الشارح، ثم رأيت شرح اللامية للبهي فلم أر فيه التعرّض لذلك. ورأيت فيه ما يفيد أن المقصد تارة يكون بالفتح مطلقاً، وتارة يكون بالفتح إن كان مصدراً وبالكسر إن كان اسم زمان أو مكان.. وعلى كل كلام الشارح غير صحيح».

(٢) «القاموس المحيط» مادة: (حواه).

(٣) «القاموس» مادة: (طلب).

(٤) في (ج): «وردُّوه».

(٥) في (ك) و(م): «التفتيش».

(٦) في (غ): «كتبها»، والصواب ما أثبت.

[﴿٦﴾] **والقصد ذكر ما أتى أهل السير به**؛ أي: ومقصودي في هذا النظم، إيراد ما أتى به أهل السير في كتبهم.

وإن كان **إسناده لم يعتبر**؛ أي: غير معتبر لوجود قادح فيه، كإن كان فيه نكارة أو إعضال أو انقطاع، أو أحد رجاله ضعيف أو وضَّاع(١) أو كذَّاب، أو متَّهم بذلك أو غير ذلك من القوادح جرياً على طريقة أهل هذا الفن.

[﴿٧﴾] **فإن يكن قد صحّ**؛ أي: جاء في طريق من الطرق. **غير ما ذكر**؛ أي: ما ذكره أهل السير. **ذكرت ما قد صحَّ منه**، وتركت ما ذكره فيه أهل السِّير مما لم يرد في الأثر.

فالحاصل: أنّه إن كان ورد في ذلك شيء ذكره، وإن ذكر أهل السِّير ما يخالفه وإن لم يرد فيه شيء متماسك أورد ما ذكره أهل السِّير، وإن كان إسناده غير معتبر.

واستُطر، بالبناء للمفعول؛ أي: سُطر بمعنى(٢) رقم في الكتب، وهذا حشو كمَّل به الوزن. وعُلم مما تقرَّر أنه أراد بما صحَّ، ما له أصل ولو ضعيفاً متماسكاً، وليس مراده(٣) الصَّحيح اصطلاحاً كما هو بيِّن [والله الموفق].

○ *فائدة:*

قال الصَّفدي في «تاريخه»، وغيره: أول من صنَّف في السِّير: ابنُ إسحاق(٤)، وأول من صنَّف في المغازي عروة بن الزبير، ثم موسى بن

---

(١) في (ك): «متهم بالوضع».

(٢) في (ك): «يعني».

(٣) في (ك): «المراد».

(٤) في (ك): «ابن الجوزي»، وابن إسحاق هو محمد بن يسار المطَّلبي، أبو عبد الله المدني، صاحب السيرة. توفي سنة (١٥٠هـ). «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٣).

عقبة(١)، ثم ابن كعب [وهب الجورني، وبشر بن عقبة ثم كعب](٢).

وقد ابتدأ الناظم(٣) بذكر نسبه الشريف مقدِّماً منه ذكر أسمائه ﷺ، فقال:

---

(١) قال الترمسي في شرحه على الألفية المسمَّى «تهيئة الفكر بشرح ألفية الحافظ العراقي في السير» يسَّر الله إخراجه بخير وعافية: «وذكر شيخ شيوخنا أنَّ سيرة ابن سيِّد الناس، وسيرة ابن هشام من أصح الكتب المؤلفة في هذا الشأن، وأنَّ الإمام ابن شهاب الزهري قال في علم المغازي: خير الدنيا والآخرة، وهو أول من ألف في السير. والله أعلم».

(٢) في (غ): «ابن كعب»، وفي (ك): «كعب».

(٣) في (م) و(ج): «المؤلف»، وفي (ك): «المصنِّف».

أسماؤه الشريفة ﷺ

٨ ـ مُحَمَّدٌ مَعَ المُقَفِّي أَحْمَدَا   الحَاشِرُ العَاقِبُ وَالماحِي الرَّدى
٩ ـ وَهْوَ المُسَمَّى بِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ   فِي مُسْلِمٍ وَبِنَبِيِّ التَّوْبَةِ
١٠ ـ وَفِيْهِ أَيْضاً بِنَبِيِّ المَلْحَمَهْ   وَفِي رِوَايَةٍ نَبِيِّ المَرْحَمَهْ
١١ ـ طَهَ وَيَس مَعَ الرَّسُولِ   كَذَاكَ عَبْدُ اللَّه فِي التَّنْزِيلِ
١٢ ـ وَالمُتَوَكِّلُ النَّبِيُّ الأُمِّي   وَالرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ أيُّ رُحْمِ
١٣ ـ وَشَاهِداً مُبَشِّراً نَذِيرَا   كَذَا سِرَاجاً صِلْ بِهِ مُنِيرَا
١٤ ـ كَذَا بِهِ المُزَّمِّلُ المُدَّثِّرُ   وَدَاعِياً لِلَّهِ وَالمُذَكِّرُ
١٥ ـ وَرَحْمَةٌ وَنِعْمَةٌ وَهَادِي(١)   وَغَيْرَهَا تَجِلُّ عَنْ تَعْدَادِ
١٦ ـ وَقَدْ وَعَى ابْنُ العَرَبِيِّ سَبْعَهْ   مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ وَقِيلَ: تِسْعَهْ
١٧ ـ مِنْ بَعْدَ تِسْعِينَ وَلابْنِ دِحْيَةِ   الفَحْصُ يُوفِّيهَا ثَلاثَ مَئةِ
١٨ ـ وَكَوْنُهَا ألفاً فَفِي «العَارِضَةِ»   ذَكَرَهُ عَنْ بَعْضِ ذِي الصُّوفِيةِ(٢)

---

(١) في الترمسي: «والهادي».

(٢) في الترمسي: «عن بعض الصوفية».

أسماؤه الشريفة ﷺ

أي: هذا باب ذِكْرها، ولو أخَّر هذا الباب عن باب ولادته(١) ومتعلِّقاتها كما فعل أكثر أهل السِّير والأنساب(٢)؛ كان(٣) أنسب، والأسماء(٤) جمع اسم، وهو كلمة وُضعت بإزاء شيء، متى أُطلقت فُهم منها المسمّى، فلا بدّ من رعاية أربعة أمور(٥): الاسم والمسمَّى والمسمِّي والتَّسمية.

فالاسم: لفظٌ وُضِعَ على الذَّات لتعريف(٦) أو تخصيص(٧)، والمسمَّى ـ بالفتح ـ: الذَّات المقصود تمييزها بالاسم، والمسمِّي ـ بالكسر ـ: واضع اللفظ.

والتَّسمية: اختصاصه اللفظ بالذات(٨).

---

(١) في (ج) و(ك): «وصفه».

(٢) يعني: أنَّ أكثر أهل السير والتاريخ والنسابة العرب يقدمون ذِكْر ولادته ﷺ على اسمه الشريف، ولعلَّ الناظم هنا قد آثر أن يقدم اسمه ﷺ على ولادته اتباعاً لشهرة اسمه وذِكْرِه في البشارات الواردة به ﷺ في التوراة والإنجيل، فلعله بدأ باسمه الشريف انطلاقاً من هذا المعنى؛ والله أعلم.

(٣) في (ك): «لكان». (٤) في (ك): «وهي».

(٥) تأخرت في النسخة (ك) إلى ما بعد قوله الآتي قريباً: «وللمصطفى أسماء».

(٦) في حاشية (غ): «كالعلم». (٧) في حاشية (غ): «كاللقب».

(٨) كتب في حاشية النسخة (ك): «الشيخ من عبارته في حاشيته على البخاري، في باب السؤال بأسماء الله تعالى. قال ابن بطال: غرضه في هذا الباب أن يثبت أنَّ الاسم هو المسمَّى في [حق] الله تعالى على ما ذهب إليه أهل السُّنَّة، ومن أبين دليل عليه ما ذكر من قوله ﷺ: «باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وبِكَ أَرْفَعُهُ»، =

والوضع: تخصيص لفظ بمعنًى إذا أُطلق فُهم ذلك المعنى(١).

وللمصطفى ﷺ أسماء كثيرة، ذكر الناظم منها ثلاثين، واقتصر عليها تبعاً للقاضي عياض، لكونها مأخوذة من الأسماء الحسنى.

ولا ينافيه حديث البخاري(٢): «**إنَّ لي خمسة أسماء**»؛ لأنَّ مراده: خمسة خُصِّصت بها، لم يتسمَّ بها أحد قبلي، أو معظَّمة أو مشهورة عند السَّامعين، أو بين الأمم الماضين(٣)، [أو] مسطورة في الكتب المتقدِّمة(٤) [وأسماؤه وإن كانت فيها لكن هذه بين أولئك الأمم أشهر]، فليس المراد الحصر فيها، بدليل ما في رواية أبي نعيم(٥) في «الدلائل»

= فلما أضاف الوضع إلى الاسم، والرفع إلى الذات، دلَّ أنَّ الاسم هو الذات، وهل يستعملان وضعاً ورفعاً لا باللفظ؟.اهـ.
وانظر: «شرح البخاري» لابن بطال، عند شرحه لحديث: «**لا تحلفوا بآبائكم**» (١٠/ ٤٢٣).

(١) من قوله: «فلا بد من رعاية أربعة أمور» إلى هنا، تأخر في (ك) بعد قوله: «فليس المراد الحصر فيها».

(٢) في «صحيحه» (٣٥٣٢) (٤٨٩٦) من حديث جُبَيْر ابن مُطْعِمٍ رضي الله عنه. وكذا مسلمٌ (٢٣٥٤).

(٣) في (ك): «الماضية».

(٤) وقال النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ١٠٦): «قال العلماء: وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أن له ﷺ أسماء غيرها كما سبق لأنها موجودة في الكتب المتقدمة وموجودة للأمم السالفة»، وقد ذكر هذه الأقوال القطب الحلبي في «المورد العذب الهني» وعزاها لأبي الخطاب بن دحية «والمورد» سيصدر قريباً بتحقيقي إن شاء الله ﷻ.

(٥) هو أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب «حلية الأولياء» وكتاب «دلائل النبوة» وغيرهما من الكتب، كان من الأعلام المحدثين والأكابر الحفاظ الثقات. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٩٢ _ ١٠٩٨)، و«السير» للذهبي (١٧/ ٤٥٣ _ ٤٦٤)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣/ ٧).

من عدة طرق عن أبي موسى الأشعري(١) وغيره: سمَّى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء، منها ما حفظناه ومنها ما لم نحفظ، قال: «**أنا محمد...**» إلى آخره.

على أنَّ من قواعد الأصول: أنَّ العدد لا يُخصَّص [فيه]، وكم جاء في حديثٍ ذِكْر عدد(٢) لم يُقصد به الحصر؛ كخبر: «**سبعة يظلِّهم الله...**»(٣) وغيره.

---

(١) في (ج): «سعيد» بدل «نعيم» ـ خطأ.
والحديث في «الدلائل» لأبي نعيم (١/ ٦١ رقم ١٩ ت: رواس قلعه جي) من حديث جُبَيْر ابن مُطْعِم رضي الله عنه مرفوعاً، وليس فيه محل الشاهد المذكور. والمطبوع من «الدلائل» ليس كاملاً والله المستعان. ولعل المؤلف إنما عنى بكلامه البيهقي في «الدلائل» فقد رواه كما سيأتي.
وإنما رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وفيه الشاهد المذكور: «مِنْهَا مَا حَفِظْنَا وَمِنْهَا مَا لَمْ نَحْفَظْ». ومن هذا الوجه رواه الطيالسي (٤٩٢)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (١٦/ ٤٣٥)، وأحمد في «المسند» (١٩٥٢٥)، وأبو يعلى الموصلي (٧٢٤٤)، والبزار (٣٠٢٢)، وابن حبان (٦٣١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٤)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٥٦) وفي «الشعب» (١٣٣٦) وغيرهم من طرقٍ عن أبي عبيدة عن أبي موسى رضي الله عنه. منهم من يذكر محلّ الشاهد ومنهم من لا يذكره، وأرى الطرق التي ذكرت الشاهد المذكور ليست بذاك في الصحة، وأقوى الطرق في هذا الحديث ليس فيها هذه العبارة المذكورة، وهكذا أخرجه مسلم (٢٣٥٥) من نفس الوجه من رواية أبي عُبيدة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ». ولم يذكر مسلمٌ في روايته العبارة التي استشهد بها المؤلف.

(٢) في (ك): «ذكره عدداً».

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فقد أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، وقال الأجهوري في «شرحه» بعد ذكر الحديث: «هذا.. مبني على قول من قال إنَّ مفهوم العدد لا يحتج به كالحنفية، ويصح بناؤه أيضاً على =

وأعظم أسمائه [وأشرفها] وأشهرها: محمد(١)، لإنبائه(٢) عن كمال الحمد المُنْبِئ عن كمال ذاته(٣)، [لكون ذِكْر محمد في القرآن](٤).

= القول بحجيته بالنسبة إلى عدم النقصان لا الزيادة.

وأجيب.. أن الحديث مروي بالمعنى، وأن العدد من الراوي لا منه عليه الصلاة والسلام. ومنها: وهو للعكبري أن تخصيص هذه الأسماء بالذكر لمعنى ما، إما لعلم السامع بما سواها، أو لغير ذلك، قال: وهو الأظهر.

ومنها: ما ذكره القرطبي، فقال: إنما خصصت هذه بالذكر؛ لأنَّها هي الموجودة بالذكر؛ لأنّها هي الموجودة في الكتب، وجزم بهذا الجواب النووي في شرح مسلم، وحكاه عن العلماء.

ومنها: أنّها في الوقت الذي أوصي إليه في ذلك الوقت غيرها. وجوَّز هذا القرطبي أيضاً». اهـ.

قلتُ: والأولى الاقتصار على الأسماء الواردة المعروفة بين أهل العلم وترك المبالغة في سرد أسمائه الشريفة ﷺ؛ والله أعلم.

(١) قال البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٢٥): «قال الحليمي: من تَأَمَّلَ عَلِمَ أنه ليس مِن أسماء الناس اسمٌ يجمع مِن الْحُسْنِ والفضل ما يَنْتَظِمُهُ مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ؛ لأَنَّ مُحَمَّداً هو الْمُبَالَغُ في حَمْدِهِ، والحمد في هذا الموضع: الْمَدْحُ؛ وَأَحْمَدُ هو الأَحَقُّ بالحمدِ وهو المَدْحُ أيضاً».

(٢) في (ك) و(م) و(ج): «لأنبائهما».

(٣) قال ابن القيم في «جلاء الأفهام» (١/ ١٧١ ت: الأرناؤوط): «هَذَا الاسم هُوَ أشهر أَسْمَائِهِ ﷺ، وَهُوَ اسْم مَنْقُول من الْحَمد، وَهُوَ فِي الأَصْل اسْم مفعول من الْحَمد، وَهُوَ يتَضَمَّن الثَّنَاء على الْمَحْمُود ومحبته وإجلاله وتعظيمه هَذَا هُوَ حَقِيقَة الْحَمد، وَبني على زنة مفعل مثل مُعظم ومحبب ومسود ومبجل ونظائرها لِأَن هَذَا الْبناء مَوْضُوع للتكثير فَإِن اشتق مِنْهُ اسْم فَاعل فَمَعْنَاه من كثر صُدُور الْفِعْل مِنْهُ مرّة بعد مرّة كمعلم ومفهم».

(٤) قال السهيلي في «الروض» (١/ ٢٨٠): «وَهَذَا الِاسْمُ مَنْقُولٌ مِنْ الصّفَةِ، فَالْمُحَمّدُ فِي اللّغَةِ هُوَ الّذِي يُحْمَدُ حَمْداً بَعْدَ حَمْدٍ، وَلا يَكُونُ مُفَعّلٌ مِثْلُ: مُضَرّبِ وَمُمَدّحِ إلا لِمَنْ تَكَرّرَ فِيهِ الْفِعْلُ مَرّةً بَعْدَ مَرّةً».

فلذلك ابتدأ الناظم كغيره به، فقال: [﴿٨﴾] **محمد**. . .

وأما أحمد(١) فذكر فيه حكاية عن قول عيسى، ذكره ابن حجر وغيره.

قال ابن القيِّم(٢): هو عَلَمٌ وصِفَةٌ اجتمعا في حقِّه عليه الصَّلاة والسَّلام، وإن كان علماً محضاً في حق من تسمَّى به غيره، وهذا شأن أسماء الله [تعالى]، فأسماء نبيه أعلامٌ دالة على معانٍ هي أوصاف مدح، فلا تضادَّ فيها العلمية الوصفيَّة بخلاف غيره. . . وهو في الأصل(٣) اسم مفعول من التَّحميد، وهو المبالغة(٤) في الحمد، يقال: حمدت فلاناً أحمده إذا أثنيت على جميل(٥) خصاله وكريم فعاله، [وحمد الرجل إذا كثرت خصاله الحميدة.

وأنشد في «الصحاح» للأعشى(٦):

---

(١) وفي «الروض» (١/ ٢٨١): «أَحْمَدُ فَهُوَ اسْمُهُ ﷺ الّذِي سُمّيَ بِهِ عَلَى لِسَانِ عِيسَى وَمُوسَى ﵉ فَإِنّهُ مَنْقُولٌ أَيْضاً مِنْ الصّفَةِ الّتِي مَعْنَاهَا التّفْضِيلُ فَمَعْنَى أَحْمَدَ؛ أَيْ: أَحْمَدُ الْحَامِدِينَ لِرَبّهِ وَكَذَلِكَ هُوَ الْمَعْنَى؛ لِأَنّهُ تُفْتَحُ عَلَيْهِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ مَحَامِدُ لَمْ تُفْتَحْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ فَيَحْمَدُ رَبّهُ بِهَا؛ وَلِذَلِكَ يُعْقَدُ لَهُ لِوَاءُ الْحَمْدِ».

(٢) هو الفقيه المتفنن النحوي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزُّرعي الدمشقي الحنبلي، صاحب التصانيف النافعة (ت سنة ٧٥١هـ) عن ستين سنة. انظر: «الوافي بالوفيات» (٢/ ٢٧٠)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤)، وللشيخ بكر أبي زيد: ترجمة ماتعة لابن القيم، وهي مطبوعة متداولة. وقول ابن القيم المذكور هنا: في «جلاء الأفهام» له (ص١٧١، ط: دار العروبة).

(٣) من قوله: «قال ابن القيم» أُخِّر في (ك) بعد قوله: «ذكرتم فعاله».

(٤) في (ك): «من المبالغة». (٥) في (ك): «جميع».

(٦) «ديوان الأعشى» (ص١٨٩) برقم (٢٨) وهو بيت من قصيدة يمدح فيها الأعشى النعمانَ بن المنذر، وانظر: «لسان العرب» مادة: (حمد)، و«تاج العروس» =

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ كَلالُهَا   إلى المَاجِدِ القرم(١) الجوادِ المحمَّدِ](٢)

ويقال: فلان محمود، فإذا بلغ النهاية وتكاملت فيه المحاسن، فهو محمد، لكن ذكر بعض المحقّقين أنَّه إنَّما هو من صيغ المبالغة، باعتبار ما قيل فيه من معنى الكثرة بخصوصه، لا من جهة الصِّيغة، إذ لا يلزم من زيد مفضل على عمرو المبالغة في تفضيله عليه، بل معناه له جهة تفضيل عليه، وبفرض كونه للتكثير لا يلزم منه المبالغة؛ لأنها تجاوز حدِّ الكثرة، ولحصرهم صيغ المبالغة في عدد مخصوص.

وكونه أفضل من حَمِد وأشرف من حُمد لا يستلزم وضع الاسم للمبالغة؛ لأنَّ ذاك ثابت له لذاته وإن لم يسمٍّ به.

نعم المناسبة قائمة به، مع ما سبق من دلالة البناء(٣) عرفاً على بلوغ النهاية في ذلك الوصف، ثم إنه سُمِّيَ بذلك مع كونه لم يُؤلف قبل، إمَّا لكثرة خصاله الحميدة، وإمَّا لأنه تعالى وملائكته حمدوه حمداً كثيراً بالغاً غاية الكمال. والمسمِّي له به جدُّه عبد المطلب.

فقد روى البيهقي(٤) ....

= مادة: (حلقه). والذي في «الصحاح» (٢/ ٤٦٧) مقتصراً على شطره الثاني دون الأول.

(١) في الديوان «الفَزْعِ» بدلاً من الفَزْعِ «الفَزْعِ».

(٢) في (ك) بدل ما بين المعقوفتين: «وأسماؤه وإن كانت فيها، لكن هذه بين أولئك الاسم أشهر».

(٣) في (ك): «الثناء».

(٤) الحافظ البيهقي هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي النيسابوري الإمام الحافظ المحدث الفقيه الأصولي الزاهد، وهو ينسب إلي بيهق، وهي قرى مجتمعة ناحية نيسابور، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شعبان.
وطلب البيهقي العلم في بلاد كثيرة منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره =

في «الدلائل»(١): أنَّ عبد المطلب لمَّا ولد المصطفى ﷺ عمل له مأدبةً، فلمَّا أكلوا، سألوه: ما سمَّيته؟ قال: محمداً، قالوا: فلم رغبت فيه عن أسماء أهل بيته؟! قال: رجاء أن يحمده الله في السماء، وأهل بيته في الأرض.

وروى الحافظ محمد بن أحمد الدَّوْلابي(٢) عن يونس، والسهيلي(٣) عن ابن زيد(٤): أنه أُلقيت عليه جفنة ليلة ولادته لئلا يراه أحد قبل جدِّه، فجاء والجفنة قد انفلقت عنه، فقيل له: ما سمَّيتَ ابنك؟ قال: محمداً، فقيل له: كيف سمَّيته باسم لم يكن لأحد من آبائك [ولا قومك]؟! قال: إني أرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم.

وذلك لرؤية رآها جدُّه المذكور فيما ذكره البطليوسي(٥) في كتاب

= فرحل إلى العراق، ونيسابور، والكوفة، ومكة، والحجاز، وغيرها كثير.
من تصانيفه كتاب «إثبات الرؤيا»، و«الآداب»، و«السنن الكبرى»، و«السنن الصغرى»، وكتاب «أحكام القرآن»، و«الاعتقاد»، و«الزهد الكبير»، و«مناقب الشافعي»، وغيرها كثير. توفي: سنة ثمان وخمسين وأربعمائة في نيسابور، ودفن في بيهق.
انظر: ترجمته: في «السير» (١٨/ ١٦٣)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٤/ ٣٠٤).

(١) «الدلائل» للبيهقي (١/ ١١٤)، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣/ ٨٠) عن أبي الحكم التنُّوخي.

(٢) كما في «المورد العذب الهني» للقطب الحلبي.
والحافظ الدولابي هو محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد، أبو بشر الدولابي الرازي الورَّاق، مات بالعرج (٣١٠هـ). «السير» (١٤/ ٣١٠)، و«لسان الميزان» (٥/ ٤١).

(٣) «الروض الأنف» (١/ ١٧٩، ٢٨٠).

(٤) في (م): «ابن دريد بالدال»، وفي (ج): «أبي زيد»، وفي (ك): «عن يونس عن ابن دريد».

(٥) الذي في «المورد العذب الهني شرح مختصر سيرة عبد الغني» (مخطوط) =

«الاشتمال» والقيرواني⁽١⁾ في «البستان»: أنه رأى سلسلة من فضة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء، وطرف في الأرض، وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كلِّ ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق وأهل المغرب، كلهم متعلِّقون بها، فأُوِّلت له بمولود من صلبه يتبعه أهل المشرق و[أهل] المغرب، ويحمده أهل السماء⁽٢⁾ و[أهل] الأرض. فسمَّاه به رجاءً لذلك⁽٣⁾، وقد حقَّق الله رجاءه كما سبق في علمه.

* ومن مزايا هذا الاسم الشريف⁽٤⁾: أنه لا يصحُّ إسلام كافر حتى يتلفَّظ به، فلا يكفي⁽٥⁾ أحمد رسول الله خلافاً للحليمي⁽٦⁾، وأنه يتعيَّن

= أنَّ الذي ذكره هو حديث أنك قد حملت بسيِّد هذه الأمة، فإذا وضعته، فسمِّيه محمداً... الحديث. والله أعلم. واسم البطليوسي عبد الله بن محمد، أبو محمد الغلَّاظي، ولم أقف له على ترجمة مفردة، ولا وقفتُ على كتابه هذا؛ إلّا أن يكون البطليوسي النحوي المتوفي سنة (٥٢١).

(١) القيرواني هو علي بن أبي الرجال، الكاتب، أبو الحسن القيرواني، عاش في بداية القرن الخامس الهجري. وأما كتابه فهو «نوْر البستان وربيع الإنسان» في التعبير.
انظر: «عمدة القاري» (٢٤/ ١٤٤)، و«تغليق التعليق» (١/ ٢٤٧) و(٥/ ٢٧١)، و«فتح الباري» (١٢/ ٤٢٦)، و«نور البستان» مخطوط في الخزانة الملكية الحسنية بالرباط في المغرب، تحت رقم (٥٥٩٦) باسم «مسائل تعبير الرؤيا».

(٢) في (ك): «السموات». (٣) في (ك): «لرجاء ذلك».

(٤) انظر: «السبل» (١/ ٥٠١). (٥) في (ك): «فلا يصح».

(٦) أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني؛ ولد بجرجان سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، وحمل إلى بخاري. وتوفي في جمادى الأولى ـ وقيل في شهر ربيع الأول ـ سنة ثلاث وأربعمائة، رحمه الله تعالى، ونسبته إلى جده حليم المذكور.
له «المنهاج» أشار الزركلي إلى أنه مخطوط، وقال الذهبي: له مصنفات نفسية.
وللحافظ أبي بكر البيهقي اعتناء بكلام الحليمي، ولا سيما في كتابه «شعب الإيمان». =

الإتيان به في التشهد والخطبة، ولا يكفي فيهما أحمد.

وموافقته الحميد [والمحمود] من أسمائه تعالى في الاشتقاق؛ ولذلك قال حسَّان(١):

وَشَقَّ لهُ مِنْ اسمِهِ ليُجِلَّه   فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهذا مُحَمَّد

ومنها: أنه يخرج منه بالضرب مع الكسر(٢) والبسط، عدد المرسلين وهو ثلاث مئة وثلاثة عشر.

وأنَّ آدم يكنى به في الجنَّة دون جميع بنيه(٣).

وأنَّ الشَّياطين سخِّرت لسليمان عليه السلام بذكره كما في «كشف الأسرار»(٤)، وفي رواية لأبي نعيم: أنَّه سُمِّي بهذا الاسم قبل خلق الخلق بألفي عام.

وروى المهرواني من طريق عمرو بن دينار عن جابر(٥) مرفوعاً:

= انظر: «السير» (١٧/ ٢٣١)، و«طبقات الشافعية» (٤/ ٣٣٣ ت: طناحي)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ١٣٧)، و«الأعلام» (٢/ ٢٣٥).

(١) حسان هو ابن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري يكنى أبا الوليد. وقيل: يكنى أبا عَبْد الرحمٰن. وقيل: أبا الحسام، سيّد الشُّعراء المؤمنين المؤيد بروح القدس. شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه. اتهم رضي الله عنه بأنه جبان وهو منه براء، فقد قال ابن عباس عنه: ما هو بلين، قد جاهد مع رسول الله ﷺ بنفسه ولسانه.
انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١/ ٣٤١)، «السير» (٢/ ٥١٢). وهذا البيت في ديوان حسان (ص٥٤، ط: دار الكتب العلمية) وهو من بحر الطويل.

(٢) مضروب عليها في (غ)، ومثبتة في باقي النسخ.

(٣) انظر: «السبل» للصالحي (١/ ٥٠٢).

(٤) اسم الكتاب: «كشف الأسرار عن ما خفي على الأفكار» للعماد الأقفهسي. وهو مخطوط، منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم (٣٨١٤ ٢ ب)، وقوله: وأن آدم.. إلخ؛ لا دليل عليه.

(٥) اعلم أن من يقال له جابر بن عبد الله في الصحابة أربعة أشخاص: =

«إنَّ نقشِ خاتمِ سليمان بن داود كان: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله»(١).

وروى الحاكم وغيره [عن كعب وغيره]: «أنَّ اسم محمد مكتوب على ساق العرش، وفي السَّمٰوات السَّبعِ، وفي قصورِ الجنَّة وغرفها، وعلى نحور الحور وورق شجرِ طوبى وسدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب وبين أعينِ الملائكة»(٢).

= جابر بن عبد الله العبدي. وجابر بن عبد الله الراسبي نزل البصرة، وجابر بن عبد الله بن رياب بن النعمان بن سيان الأنصاري السلمي، وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد العقبة مع أبيه وهو صبي وشهد أُحُداً فيما قيل، وفي «صحيح مسلم» من حديثه أنه لم يشهد بدراً ولا أُحُداً؛ قال: «منعني أبي»، وشَهِد ما بعدها، وشَهِد صفين مع علي رضي الله عنه توفي سنة (٧٣) وقيل غير ذلك والله أعلم. والمقصود هنا الأخير، وهو جابر بن عبد الله بن عمرو حرام الأنصاري رضي الله عنه.

(١) ذكره القطب في «المورد العذب»، وعزاه للمهرواني. وقد رواه العقيلي في «الضعفاء» أثناء كلامه عن شيخ بن أبي خالد (٧٢١، ط: دار الصميعي)، وابن عدي (٤/ ٤٧، ترجمة ٩٠٧ شيخ ابن أبي خالد الصوفي)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٥٢) بإسنادٍ واهٍ، شيخ ابن أبي خالدٍ: أحاديثه مناكير كما قال ابن عديٍّ، بل قال الذهبي في كتاب «الميزان» (٢/ ٢٨٦): متهمٌ بالوضع. قلتُ: ولهِ شاهد بنحوه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٧٠٣) وإسناده منقطع؛ لأنه من رواية خالد بن معدان عن عبادة رضي الله عنه، ولم يصح سماع خالد منه رضي الله عنه.

(٢) عزاه الصالحي في «السبل» (١/ ١٠٤) لابن عساكر من قول كعب الأحبار، وهو في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢٨١). وله شاهد: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٢٦) من حديث أبي الحَمْراء خادم النبي ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي سَاقِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ أَيَّدْتُهُ بِعَلِيٍّ وَنَصَرْتُهُ»**. وفيه أبو حمزة الثمالي واهي الحديث. وقد ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» =

وفي «مستدرك» الحاكم عن ابن عباس: أوحى الله إلى عيسى «أنْ آمن بمحمد، ومر به من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار. . .»(١)

وأخرج الدَّيلمي(٢) عن عليٍّ مرفوعاً: **«أوَّل ما في التوراة مكتوب: محمد رسول الله»**.

ووجد مكتوباً على ورد بالهند: محمد رسول الله(٣).

= (١/ ١٤). وللحديث شواهد بنحوه: ذكرها السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/ ٢٧٢).

(١) «المستدرك» (٢/ ٦١٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: أظنه موضوعاً على سعيد.
قلت: والله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته وطاعته، ولم يخلقهم لأحدٍ كما ذكر ذلك في كتابه الكريم، وجعل الجنة لإثابة من أطاعه، والنار لعقابه. والله أعلم.

(٢) الديلمي هو شهردار بن شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الحافظ المحدث الشافعي أبو منصور، أبوه أبو شجاع الديلمي شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الهمذاني الحافظ صاحب كتاب «الفردوس» و«تاريخ همذان».
قال ابن السمعاني عن الديلمي الابن: «كان حافظاً عارفاً بالحديث فهماً عارفاً بالأدب ظريفاً سمع أباه وعبدوس بن عبد الله وطائفة، وأجاز له أبو بكر بن خلف الشيرازي، وعاش خمساً وسبعين سنة، خرّج أسانيد لكتاب والده المسمى بالفردوس في ثلاث مجلدات، ورتبه ترتيباً حسناً وسماه الفردوس الكبير».
توفي سنة ٥٥٨هـ.
ترجمته في «السير» (٢٠/ ٣٧٥)، و«العبر» (٣/ ٢٩)، و«شذرات الذهب» (٤/ ١٨٢).
أما ترجمة الديلمي الأب: فله ترجمة في «تذكرة الحفّاظ» (٤/ ١٢٥٩)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٧/ ١١١)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ٢١١)، «شذرات الذهب» (٤/ ٢٣).

(٣) في «السبل» (١/ ٥٠٨): ونقل ابن مرزوق: قال: عصفت بنا ريح، ونحن في =

وأخرج الخطيب في «تاريخه»(١) عن عبد الرحمٰن بن هارون، قال: كُنَّا بالبحر مسافرين(٢) إلى إفريقية، فأرسينا(٣) فصاد صبيٌّ سمكة طولها شبر، فكان على صنفتها(٤) اليمنى مكتوباً(٥): لا إلـٰه إلا الله، وعلى قذالها وصنفة(٦) أذنها اليسرى(٧): محمد رسول الله، وكان أبين من نقش على حجر، والسَّمكة بيضاء والكتابة سوداء كأنَّها حبر.

قال ابن قتيبة(٨): ومن أعلام نبوته، أنه لم يُتسمَّ به [أحد] قبله صيانةً لهذا الاسم، كما صين يحيى عن ذلك(٩)، خوفاً من وقوع لبس، لكن لما قرب زمانه، وبشَّر أهل الكتاب بقربه سمَّى قومٌ أولادهم بذلك،

= لجج بحر الهند، فأرسينا في جزيرة، فوجدنا فيها ورداً أحمر ذكي الرائحة وفيه مكتوب بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(١) «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٣٤ ت: بشار).

(٢) في (ج): «مسافرين بالبحر»، وفي «تاريخ بغداد»: «سائرين».

(٣) بعد هذه الكلمة عند الخطيب ما نصه: «إِلَى موضع، يقال لَهُ: البرطون، وكان معنا صبي صقلبي، يقال له: أيمن، وكان معه شص يصطاد به السمك، قَالَ».

(٤) في حاشية (غ): «إلى جانبها، خدها»، وفي «تاريخ بغداد»: «صنيفة أذنها».

(٥) الصواب: «مكتوب».

(٦) في (ج): «ضفه»، والصواب ما أثبت، وانظر: «التاريخ» للخطيب (٨/ ٢٣٤، ط: دار الغرب الإسلامي).

(٧) أسقط المؤلف هنا قوله: «مكتوب».

(٨) هو عبد الله بن مسلم، أبو محمد الدينوري علامة ذو فنون، صاحب التصانيف.
قال أبو بكر الخطيب: «كان ثقة ديناً فاضلاً». توفي سنة (٢٧٦هـ). ترجمته في «السير» (١٣/ ٢٩٧).
ولم أقف على قوله هذا في كتبه، ولكن نقله عنه عليٌّ القاري في كتابه «جمع الوسائل في شرح الشمائل» (٢٢٨).

(٩) يعني: عن السَّمِيِّ؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم].

رجاء أن يكون هو، وغفلوا عن كونه تعالى أعلم حيث يجعل رسالاته.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر(١)، أنهم خمسة عشر، وزاد غيره، ولعلَّ المراد أن الخمسة عشر أشهر.

قال بعض الحفَّاظ: ولم يصحَّ في فضل التسمية به حديث(٢)، بل قال ابن تيمية: كلُّ ما ورد فيه موضوع.

وخبر ابن عدي عن جابر مرفوعاً: «**ما أطعم طعام على مائدة، ولا جلس عليها وفيها اسمي، إلا [و]قُدِّسُوا كل يوم مرتين**»(٣).

قال في «اللسان» كـ«الميزان»(٤): حديث مكذوب.

قال السخاوي(٥) [رحمه الله] في «فتاويه»: لم يرد في المرفوع: من أراد أن يكون حمل زوجته ذكراً، فليضع يده على بطنها، وليقل: إن كان ذكراً فقد سمَّيته محمداً، فإنَّه يكون ذكراً.

وإنما رواه أبو(٦) شعيب الحراني عن عطاء ورفعه بعضهم، فأورده ابن الجوزي في «الموضوع»(٧).

---

(١) انظر: «الفتح» (٦/ ٦٤٢).

(٢) انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ١٥٤، ط: المكتبة السلفية)، وانظر: «السبل» (١/ ٥٠٩).

(٣) في النسخة (ك) و(م) حصل تقديم وتأخير، والمثبت من (غ)، والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ١٦٨، ط: دار الفكر) وقال: «هذا الحديث ليس محفوظاً».

(٤) من طريق أحمد بن كنانة الشامي. انظر: «لسان الميزان» لابن حجر (١/ ٢٥٠، ط: مؤسسة الأعلمي)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ١٢٩).

(٥) وقول السخاوي هذا في «السبل» (١/ ٥١١).

(٦) في (ك): «ابن».

(٧) من قوله: «قال السخاوي» إلى هنا تقدم بعد قوله: «كما في كشف الأسرار» (١/ ٢٣٨) في سنده: عثمان بن عبد الرحمٰن كذبه ابن معين. وانظر: «اللآلي =

مع المقفِّي بكسر الفاء المشدَّدة، بصيغة اسم الفاعل؛ أي: التَّابع للأنبياء(١)، فكلٌّ من تبع شيئاً فقد قفاه(٢)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: ٢٧] فكان هو آخرهم، وقافية كل شيء آخره، [والمفعول؛ أي: جعله الأنبياء عقبهم وسبقوه بالزمان] أحمداً: أخَّره عن المقفِّي لضرورة الوزن، وإلّا فحقُّه التَّقديم، إذ محمد وأحمد أعظم أسمائه وأشهرها وأبلغها، وإليهما ترجع(٣) جميع صفاته؛ لأنَّ صيغة المبالغة تؤذن بالتَّضعيف والتَّكثير إلى غير نهاية، وصيغة أفعل تنبئ عن الوصول إلى غايةٍ ليس وراءها غاية.

قال [بعض] العلماء(٤): ولم يتسمَّ به أحد(٥) قبله منذ خلقت الدُّنيا، ولا تسمَّى به أحد في حياته، وأوَّل من تسمَّى به والد الخليل بن أحمد(٦).

قال ابن دحية: وهو علم منقول من صفة لا من فعل، وتلك الصفة

= المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي (١/ ١٠٣)، (١/ ٩٢، ط: دار الكتب العلمية).

(١) من قوله: بصيغة اسم إلى هنا أخِّر في (ك) بعد قوله: «قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾».

(٢) «تهذيب اللغة» الأزهري مادة: (قفا)، «الصحاح» الجوهري مادة: (قفا).

(٣) في (ك): «وإليها مرجع».

(٤) في «السبل» (١/ ٥١٢): قال المبرِّد: فتَّش المفتِّشون فما وجدوا بعد نبينا ﷺ من اسمه أحمد قبل؛ أي: الخليل بن أحمد.

(٥) في (ك) بعد: «بهذا الاسم».

(٦) هو الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي أبو عبد الرحمٰن البصري اللغوي، والفراهيدي نسبة إلى بطن من الأزد، وكذلك اليحمدي.
صاحب العروض والنحو صدوق عالم عابد من السابعة مات بعد الستين، وقيل سنة سبعين أو بعدها.
انظر: «تقريب التهذيب» (١/ ٢٧٤)، «إنباه الرواه» للقفطي (١/ ٣٤١).

أفعل التي يراد بها التفضيل(١).

وقال في «الزاد»(٢): «اختُلف هل هو بمعنى فاعل أو مفعول؟ فقال قوم: بمعنى فاعل؛ أي: حمد الله أكثر من غيره، فمعناه أحمد الحامدين لربِّه، وقال آخرون: بمعنى مفعول؛ أي: أحق الناس وأولاهم بالحمد فيكون كمحمَّد في المعنى، لكن الفرق بينهما أنَّ محمداً هو المحمود حمداً بعد حمد، فهو دال على كثرة حمد الحامدين له، وهذا يستلزم كثرة الخصال الَّتي يحمد عليها، وأحمد هو الذي يحمد أفضل(٣) مما يحمد غيره، فمحمد في الكثرة والكميَّة(٤)، وأحمد في الصفة والكيفيَّة، والاسمان واقعان على المفعول، قال: وهذا هو المختار، ولو أريد بمعنى الفاعل سُمِّي الحمّاد؛ أي: الكثير الحمد؛ لأنَّه كان أكثر الناس حمداً لربّه، فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربِّه كان الأولى به الحماد، كما سُمِّيت به أمته، قال: وسُمِّي بمحمد وأحمد لما اشتمل عليه من سيماهما، وهو الحمد، فإنه محمود عند الله وعند الملائكة وعند الأنبياء، وعند أهل الأرض، وإن كفر به بعضهم فهو عناد».

وقال عياض و(٥)السهيلي(٦): كان المصطفى ﷺ أحمد قبل أن

---

(١) نقله عنه الصالحي في «السبل» (١/ ٥١٢).

(٢) أي: «زاد المعاد» لابن القيِّم: (١/ ٨٧، ط: مؤسسة الرسالة) وقد نقل المؤلف هنا كلام ابن القيم بتصرف، وانظر: «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص١٧١).

(٣) في (ك): «أكثر». (٤) في (ك): «والكيف».

(٥) من قوله في الصفحة قبل هذه: «قال بعض العلماء ولم يتسم به أحد قبله..» إلى هنا؛ أخر في (ك) بعد الكلام على نبي التوبة، وقال في الحاشية: «لعل هذا الكلام زحلق عن محله، والصواب ذكره عند ذكر اسم أحمد، والله أعلم».

(٦) «الروض» (١/ ٢٨٠، ٢٨١)، وانظر: «السبل» (١/ ٥١٤). وفي «ك»: «عياض والسهيلي وغيره».

يكون محمداً كما وقع في الوجود؛ لأنَّ تسميته أحمد وقعت(١) في الكتب القديمة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن، وذلك أنَّه لما حمده ربُّه قبل أن يحمده الناس، وكذا في الآخرة يحمده ربه فيشفِّعه فيحمده الناس، وقد خُصَّ بسورة الحمد وبلواء الحمد، وبالمقام المحمود، وشُرع له الحمد بعد نحو أكل(٢) وشرب ودعاء وقدوم من سفر، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه، ولذلك قال موسى أو عيسى عليه السلام: اللَّهُمَّ اجعلني من أمة أحمد.

وذكر الواحدي(٣): أنَّ النّعمان السّبائي، وكان من أحبار اليهود باليمن لمَّا سمع [بذكر] المصطفى ﷺ قَدِم عليه، وقال له: كان أبي يختم على سِفْر ويقول: لا تفتحه حتَّى تسمع بنبيٍّ خرج من يثرب، فإذا سمعتَ به فافتحه، فلمَّا سمعتُ بك فتحتُه، فإذا صفتك كما أراك وأنَّك خير الأنبياء، وأمَّتك خير الأمم واسمك أحمد.

○ *تنبيه:*

قال بعض الأئمة: اعلم أنَّ لهذه الحقيقة المحمديَّة، أسماء نورانيِّة وصفات ربَّانيِّة، منها ما هو بمنزلة الأصول الكلية(٤)، ومنها ما هو بمنزلة الفروع الجزئيَّة وينشأ بعضها عن بعض، ويقال فيها من وجه

---

(١) في (ك): «وقع». (٢) في (ك): «الأكل».

(٣) ذكره في «المورد» يسَّر الله نشره.

علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (أبو الحسن) (٤٦٨هـ) مفسر، نحوي، لغوي، فقيه شاعر، إخباري. أصله من ساوه، ومن أولاد التجار. توفي بنيسابور في جمادى الآخرة، وقد شاخ. من تصانيفه: «البسيط» في نحو ١٦ مجلداً في التفسير، «المغازي»، «شرح ديوان المتنبي»، «الإغراب في الإعراب»، و«نفي التحريف عن القرآن الشريف». «السير» (١٨/ ٣٣٩).

(٤) في (ك): «للكلمة».

أنَّها متناهية، ومن وجه أنَّها غير متناهية، وترجع من غير تناهيها بوجه إلى تسعةٍ وتسعين، وبوجه آخر إلى أكثر، وأوسعها حيطة وأشملها جمعاً: اسمه محمد، وأسبقها(١) حكماً وأرفعها حضرة(٢) [اسمه] أحمد، فمحمد بمثابة اسم الله [تعالى] من اشتماله وجمعيته، وأحمد بمثابة الرحمٰن في عمومه وسبقيته(٣)، ولمَّا كانت الأسماء الحسنى تدخل بوجه(٤) ما تحت حيطة اسمين سابقين، وهما الواحد والأحد، من حيث إن الواحد أصل، ومنشأً لجميع الاعتبارات الغير متناهية، فيدخل تحته جميع الأسماء السلبيَّة، فكان اسمه محمد لأسمائه بمثابة الاسم الواحد، وأحمد بمثابة [الاسم] الأحد، ولمَّا كانت بوجه آخر تدخل تحت حيطة اسمين عامَّين شاملين، وهما الظَّاهر والباطن، كان محمد بمثابة الاسم الظَّاهر وأحمد بمثابة [اسمه] الباطن، ولذلك كان اشتماله من حيث ظهوره في عالم الأمر، وعلى هذا النَّمط الأوَّل والآخر(٥).

واعلم أنَّ لكلٍّ من هذين الاسمين بحكم جمعيَّته ثبوتيَّة اشتمالاً على الآخر، مع رجوع جميع(٦) الأسماء إليه سلبيَّة كانت أو ثبوتيَّة، فأيُّهما دَعَوْته به منهما، فقد دعوته بجميع أسمائه قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠](٧).

---

(١) في (ك): «وأسبغها».

(٢) في (ك): «نُصره».

(٣) في (ك): «وسبغيَّته».

(٤) في (ك): «بوجهها».

(٥) في هذا الكلام غلو لا يخفى فتنبه!!. ويُنظر: كتاب «الحقيقة المحمدية» لعائض الدوسري.

(٦) في (ك): «سائر».

(٧) لكن الآية خاصة في أسماء الله تبارك وتعالى، ولا مدخل لها بالنبي ﷺ، وهذا على كل حال من مذاهب الصوفية وعقائدها التي تأثر بها المؤلف، والله المستعان.

تنبيه:

لم يصح في فضل التسمية به حديث، وأمَّا خبر أنس مرفوعاً: «**يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما إلى الجنة، فيقولان: ربنا بما استأهلناها ولم نعمل؟! فيقول: إني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد**»، فقال الذَّهبي: حديث باطل موضوع(١).

الحاشر؛ أي(٢): الَّذي يُحشر النَّاس على قدمه.

والحاشر في الحقيقة هو الله تعالى، لكن لمَّا كان رسوله كالسَّبب للحشر سُمِّيَ به.

وفي حديث التِّرمذي: «**وأنا الحاشر، الَّذي يحشر النَّاس على قدميَّ**»(٣)، روي بتخفيف الياء على الإفراد، وبشدِّتها(٤) على التَّثنية.

وفي رواية: «**على عقبي**»(٥)؛ أي: [على] أثري وزمن نبوَّتي [ورسالتي] إذ لا نبي بعدي؛ أي: يقدمهم وهم خلفه، أو على أثره في

---

(١) من قوله: «قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ...﴾» إلى هنا سقط من (غ) و(ف).
والحديث المذكور رواه ابن بكير في «جزء من اسمه محمد وأحمد»، وقال السيوطي في «الآلئ» (١/ ٩٧): «موضوع»، وقال الذهبي: «الآفة فيه من شيخ ابن بكير»، وانظر: «تلخيص الموضوعات» للذهبي (ص٣٤)، و«تنزيه الشريعة» لابن عراق (١/ ١٧٣).

(٢) انظر: «شرح الشفا» للقاضي عياض (١/ ٤٩٠، ط: دار الكتب العلمية)، وقال المطرزي في «المغرب في المعرب»: «حاشر وهو الذي يجمع الغنائم من الحَشْر الجمع» (١/ ٢٠٣ ت: محمود فاخوري).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٤٠) من حديث جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه، وقال: «حسن صحيح». قلتُ: الحديث عند البخاري (٣٥٣٢، ٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤) فالنقل منهما أولى.

(٤) في (ك): «وبتشديدها».

(٥) هذه الرواية أخرجها مسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

الحشر، إذ هو أوَّل من تنشقُّ عنه الأرض كما في عدَّة أخبار(١).

قال الحافظ ابن حجر(٢): ويحتمل أنَّ المراد بالقدم الزَّمان، أو وقت قيامه على قدمه بظهور علامات الحشر، إشارة إلى أنه ليس بعده نبي ولا شريعة. لا شرع له ولا نبي، واستشكل التَّفسير به، باقتضائه أنَّه محشور، فكيف يفسَّر بأنه حاشر وهو اسم فاعل؟ وأجيب: بأنَّ إسناد الفعل إلى الفاعل إضافة، والإضافة تصحُّ بأدنى ملابسة، فلمَّا كان لا أمَّة بعد أمَّته، لكونه لا نبي بعده نُسب الحشر إليه؛ لأنه يقع عقبه.

وقيل: المراد على مشاهدتي قائماً لله شاهداً على الأمم.

[واستفيد من هذا عموم نبوته لجميع النَّاس، والحاشر في الحقيقة هو الله تعالى، لكن لمَّا كان رسوله كالسبب للحشر سُمِّي به].

والعاقب وهو الذي يخلف من [كان] قبله في الخير ومنه عقب الرجل(٣).

وفي حديث التِّرمذي وغيره: «**وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي**»(٤)؛ لأنَّ العاقب هو الآخر، ولو كان بعده نبي لكان هو العاقب دونه ولا نبي بعده، فثبت كونه عقب الأنبياء؛ أي: آخرهم.

---

(١) قال النبيُّ ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى**»، رواه البخاري (٢٤١٢).

(٢) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٥٥٧).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٥/ ١٠٦، ط: دار إحياء التراث)، وذكره القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٧/ ٣٢٢، ط: دار الوفاء). منسوباً إلى ابن الأعرابي.
قال ابن الأعرابي: «العاقب والعقوب، الذي يخلف في الخير من كان قبله، وسمّيت العقوبة: عقوبة؛ لأنَّها تكون بعد الذنب». «المورد العذب».

(٤) جزء من الحديث السابق: أخرجه الترمذي (٢٨٤٠).

والماحي الردى بفتح الرَّاء والدَّال منصوراً؛ أي: الكفر(١).

وفي «صحيح البخاري»: «**أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر**»(٢)؛ أي: أهله من الحرمين وبلاد المغرب، وما والاها(٣)، فهو محمول على الأغلب؛ لأنَّ الكفر لم يمح(٤) من جميع البلاد، لكن لما انمحى به منه ما لم يمح بأحد قبله من الأنبياء أطلق المحو، فإنَّه بُعث وجزيرة العرب وما والاها لا يعرفون ربّاً ولا معاداً، بل منهم من يعبد الحجر أو الكوكب أو النَّار، فظهر دينه على ذلك كله(٥).

وقال بعض الأعيان(٦): المراد أنَّه سيمحى شيئاً فشيئاً إلى أن يضمحلَّ بعد نزول عيسى، فإنه يرفع الجزية ولا يقبل إلَّا الإسلام أو السَّيف، وتُعقِّب بأنَّ السَّاعة لا تقوم إلَّا على شرار النَّاس، وأُجيب بإمكان أن يرتدَّ بعضهم بعد موت عيسى، ويرسل الريح فيقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقى إلَّا الأشرار(٧).

وفي رواية نافع بن جبير(٨): «**وأنا الماحي فإنَّ الله يمحو بي سيِّئات**

---

(١) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٣٠): «وأما الماحي، الذي يمحى به الكفر».

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، (٤٨٩٦).

(٣) في (ك): «والاهما».

(٤) في (ك): «امنحى».

(٥) «فتح الباري» (٦/ ٥٥٧)، وانظر: «السبل» (١/ ٦٢٢).

(٦) «فتح الباري» (٦/ ٥٥٧) وبنحوه قال أبو العبَّاس القرطبي في «المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ١٤٤ ـ ١٤٨).
وقال النووي: «قال العلماء: المراد محو الكفر من مكة والمدينة، وسائر بلاد العرب، وما زوي له ﷺ من الأرض، ووعد أن يبلغه ملك أمته، قالوا: ويحتمل أنّ المراد المحو العام، بمعنى الظهور بالحجة والغلبة كما قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٩]».
انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٥/ ١٠٤، ط: الأزهرية).

(٧) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٥٥٧).

(٨) نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب =

من اتَّبعني»(١)؛ أي: [من] آمن بي فيمحى(٢) عنه ذنب كفره وجميع(٣) عمله، قال [الله] تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال ﷺ: «**الإيمان يَجُبُّ**(٤) **ما قبله**»(٥).

قال الحافظ ابن حجر: وقوله: «**الذي يمحو الله**» إلخ. يشتبه كونه(٦) من قول الرَّاوي لا من المرفوع(٧).

[﴿٩﴾] **وهو المُسمَّى بنبي الرحمة: في «صحيح مسلم**(٨) **بن الحجاج**(٩)»، ....

= أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله القرشي المدني، روى عن أبيه، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والزبير بن العوام، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة وغيرهم، روى عنه الزهري وعمرو بن دينار وعبد الله بن الفضل وسعيد بن أبي سعيد المقبري وعبيد الله بن أبي يزيد وأبو الزبير المكي وحكيم بن حكيم وغيرهم. وفاته كانت بالمدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٨٢)، «تاريخ دمشق» (٦١/ ٣٩٦)، «تهذيب التهذيب» لابن حجر (١٠/ ٣٦١)، «تهذيب الكمال» للمزي (٢٩/ ٢٧٢).

(١) سبق تخريجها.

(٢) في (ك): «فيمحو».

(٣) في (ك): «سائر».

(٤) في (ك): «يهدم».

(٥) في (ك): «الإسلام يهدم». والحديث: أخرجه مسلم (٣٣٦). وانظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٥/ ١١٣، ط: دار القلم) (١٥/ ١٠٤، ط: الأزهرية) عند حديث: «**وأنا الماحي الذي يمحي بي الكفر**»، وفيه: «**الإسلام يهدم ما كان قبله**».

(٦) في (ك): «يشبه أن يكون».

(٧) «الفتح» (٦/ ٥٥٧).

(٨) «صحيحه» (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٩) قال الذهبي في «السير» (١٢/ ٥٥٨): هو الإمام الكبير، الحافظ المجوِّد، الحجة الصادق، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري صاحب الصحيح... قال عبد الرحمٰن بن أبي حاتم: كان مسلم ثقة من الحفاظ، وقال أبو قريش الحافظ: سمعت محمد بن بشار يقول: =

وفي «جامع الترمذي»(١) أيضاً؛ أيْ: نبي التَّراحم بين الأمَّة الحاصل ببركته ﷺ، كما قال تعالى: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

أو المراد أنَّه تعالى جعل ذاته نفس الرَّحمة، ولهذا أخبر عن نفسه بأنَّه رحمة مهداة، كما رواه البيهقي وغيره بلفظ: «**إنما أنا رحمة مهداة**»(٢).

فرحم الله [تعالى] به الخلق المؤمن والمنافق والكافر؛ لأمنهم به

= حفاظ الدنيا أربعة: أبو زُرعة بالرَّي، ومسلم بنيسابور، وعبد الله الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى. توفي مسلم في شهر رجب، سنة إحدى وستين ومئتين، بنيسابور عن بضع وخمسين سنة».

(١) يشير إلى حديث الترمذي (٣٥٧٨) بإسناده إلى عثمان بن حُنَيْفٍ، أَنَّ رجلاً ضريرَ البصرِ أَتَى النبيَّ ﷺ فقال: ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قال: «**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قال: فَادْعُهْ، قال: **فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ** وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**». ثم قال الترمذي: «حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ، لا نعرفُه إِلَّا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الْخَطْمِيُّ».اهـ.

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٥٧) و«الشعب» (٢/ ٥٢٧) وقال: «منقطع ورُوي موصولاً».
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦/ ٥٠٤)، وابن سعد (١/ ١٩٢)، والبزار ـ «كشف الأستار» (٢٣٩٦) ـ، وقال: «لا نعلم أحداً وصله إلا مالك بن سعير وغيره يرسله»، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٨١) و«الصغير» (٢٦٤)، والحاكم (١/ ٣٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال الحاكم: «صحيح على شرطهما، فقد احتجا بمالك بن سعير، والتفرد من الثقات مقبول». ومعناه كما نقل الزرقاني في شرحه على «المواهب» (٣/ ١٣١) والصالحي في «السبل» (١/ ٥٧٣) عن ابن دحية قال: «معناه أنّ الله بعثني رحمة للعباد لا يريد لها عوضاً؛ لأنَّ المهدي إذا كان هديته عن رحمة لا يريد لها عوضاً».

من الخسف والاستئصال، فبعثه رحمة لأمته ورحمةً للعالمين، ورحيماً بهم ومترحِّماً [و]مستغفراً لهم، وجعل أمَّته مرحومة، ووصفها بالرحمة وأمرها بالتَّراحم، وأثنى على ذلك، فقال: **«إن الله يحب من عباده الرحماء»**(١)، وقال: **«الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء»**(٢).

وهو المُسمَّى أيضاً **بنبي التوبة** في «صحيح» مسلم والترمذي(٣)؛ أي: نبي مخبر عن الله تعالى بقبوله للتَّوبة بشروطها المقرَّرة(٤) في الأصول والفروع، أو نبي يأمر بالتوبة، أو [نبي] كثير التَّوبة [أي: الرجوع] إلى الله، لقوله(٥): **«إنِّي لأستغفر الله في اليوم سبعين مرَّةً»**(٦)، أو **«مئة مرَّة»**، أو لكونه قبل من أمَّته التَّوبة بمجرَّد الاستغفار بخلاف الأمم الماضية(٧).

[﴿١٠﴾] وهو المسمَّى **فيه**؛ أي: في «صحيح مسلم» **أيضاً بنبي**

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢٤) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه بلفظ: **«وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»**.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٣٧) و«الكبرى» (١٨٣٦٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٣) تقدَّم.

(٤) في حاشية (ج): «المقيدة».

(٥) في (ك): «كثير الرجوع إلى الله».

(٦) أخرجه أحمد (٧٧٩٣)، والترمذي (٣٢٥٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٩٦ ـ ١٠١٩٩)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: «ويُرْوَى عن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ أنَّه قال: **«إنِّي لأستغفر الله في اليوم مئة مرة»**».
وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠١٩٤)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣٩٧) عن أنس رضي الله عنه.

(٧) في (ك): «السالفة»، وفي (ج): «السابقة».

الملحمة⁽¹⁾؛ وأي: الحرب لاشتباك الناس فيها؛ كاشتباك السَّدا باللُّحْمة ولكثرة لحوم القتلى فيها⁽٢⁾.

ولم يجاهد نبي وأمَّته قطُّ ما جاهد المصطفى ﷺ وأمَّته، كيف وهم يقاتلون الكفَّار في جميع الأقطار⁽٣⁾ على تعاقب الأعصار، حتَّى يقاتلوا الأعور الدجَّال، ومن معه من اليهود والأعوان. وفي «القاموس»: سُمِّي بنبيِّ الملاحم؛ لأنّه سبب لتلاحمهم واجتماعهم، وفي حديث: «**وجُعِلَ رزقي تحت ظل رُمحي**»⁽٤⁾.

وفي رواية: نبي المرحمة بفتح الميم وسكون الراء⁽٥⁾.

---

(١) عزاها المزِّي في «تحفة الأشراف» (٦/ ٤٧٢) لمسلم كما فعل الشارح من حديث أبي موسى، وليست في نسخ مسلم المطبوعة، وأخرج هذه اللفظة أحمد (١٩٥٢٥).

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ٢٤٠): «الملحمة في اللغة: الحرب والقتل، ومعركة القتال وموضعه، والجمع: الملاحم كما جاء في رواية، ونبي الملاحم. مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم؛ كاشتباك لحمة الثوب بالسَّدا».

(٣) في (ك): «أقطار الأرض».

(٤) لفظه: «**بُعِثْتُ بين يَدَي الساعة مع السيف، وجُعِلَ رزقي تحت ظل رُمحي، وجُعِلَت الذِّلة والصَّغَار على مَن خالَف أَمْري، ومَن تَشَبَّه بقوم فهو منهم**».
أخرجه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧)، وفي الإسناد أبو مُنيب الجرشي. قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ١١٦): «لا يعرف اسمه. وفي الإسناد عبد الرحمٰن بن ثابت أبو ثوبان مختلف في توثيقه. وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي ﷺ بتمامه». اهـ.
قلت: وعَلَّقَهُ البخاري في «صحيحه» فقال: «باب مَا قِيلَ فِي الرِّمَاحِ وَيُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي». انظر: «الصحيح» (٤/ ٤٠، ط: التركية). و«فتح الباري» (١/ ٤٦، ٦/ ٩٨، ١١/ ٣٠٦).

(٥) انظر: «فيض القدير» (٣/ ٤٥)، وقال عياضٌ في «الشفاء» (١/ ٤٩٧): «ويُرْوى المرحمة والراحة، وكُلٌّ صحيحٌ إن شاء الله».

أخرج أبو نعيم في «الحلية»: عن ابن عباس مرفوعاً: «**بُعثت مرحمة وملحمة، ولم أُبعث تاجراً ولا زرَّاعاً**»(١).

و[﴿١١﴾] **طه**(٢): [حكاه مكي وغيره، و]عدَّه كثيرٌ من أسمائه.

وفي تفسير ابن مردويه(٣): أنه المراد بقوله تعالى: ﴿طه ۝١﴾ [طه] على أحد الأقوال، فقيل: أراد يا طاهر من العيوب ويا هادي إلى كل خير(٤).

ويس: ذكره جَمْعٌ.

وورد في حديث أبي الطُّفيل، عند ابن مردويه بسند ضعيف جداً(٥)، وخرَّجه البيهقي(٦) عن محمد ابن الحنفيَّة(٧).

---

(١) «الحلية» (٤/ ٧٢، ط: دار الكتاب العربي)، وقال: هذا حديث غريب من حديث الثوري، تفرَّد به الحسن. وذكره في «السبل» (١/ ٦٣٢)، وعزاه لأبي نعيم في «الحلية».

(٢) في أسمائه في القرآن الكريم انظر: للأهمية: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣/ ١٧ ـ ٣٤).

(٣) هو أبو بكر، أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر، الأصفهاني، صاحب «التفسير الكبير»، و«التاريخ» وُلد سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة. مات لست بقين من رمضان سنة عشر وأربع مئة عن سبع وثمانين سنة. «السير» (١٧/ ٣٠٨).

(٤) ذكره في «السبل» (١/ ٥٩٩)، وقال: ذكره الواسطي، وانظر: «الدر المنثور» و«الدلائل» (١/ ١٥٨) للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وانظر: «العجالة السنيّة» (ص٣٤ بتحقيقي).

(٥) «السبل» (١/ ٥٩٩).

(٦) في «الدلائل» (١/ ١٥٨).

(٧) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، المعروف بابن الحنفية كانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي رحمه الله في أول المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة، وقيل سنة ثلاث وثمانين، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث =

قال السهيلي(١): ولو كان اسماً له لقال: يوسين بالضم، كما قال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦] وتعقَّبه تلميذه ابن دحية(٢)، فإنَّ الكلبي قرأ بالضم؛ أي: على حذف حرف النداء(٣). وجاء في بعض تفاسير ياسين: يا سيِّد، حكاه السلمي(٤) وغيره.

مع الرسول؛ أي: رسول الرحمة، كذا رواه ابن سعد(٥) عن مجاهد مرسلاً، ورسول الملاحم، كما رواه عنه أيضاً.

كذا وعبد الله(٦) هكذا وصفه به في التنزيل، حيث قال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا

= وسبعين بالمدينة. انظر: ترجمته في «وفيات الأعيان» (٤/ ١٦٩)، «حلية الأولياء» (٣/ ١٦٠)، «طبقات ابن سعد» (٥/ ٩١).

(١) هو عبد الرحمٰن بن الخطيب عبد الله بن الخطيب أبي عمر بن أصبع بن حبيب بن سعدون بن رضوان بن فتوح، الخثعمي، السهيلي الحافظ والسهيلي نسبة إلى قرية من القرب من مالقة اسمها سهيل؛ ولد السهيلي سنة ثمان وخمسمائة، وتوفي في شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ١٦٩)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ١٠١).

(٢) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بنبن دحية بن فروة الكلبي توفي ابن دحية الكلبي سنة (٦٣٣هـ) في، عن عمر ٨٩ سنة.
انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٤٨)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٩٥)، «الشذرات» (٥/ ١٦٠).

(٣) «الروض» (١/ ٦٦٣) بحروفه، والأثر عند البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٥٨).

(٤) في (ج): «السهيلي»، وفي «تهيئة الفكر»: أما «طه» فأورد النقاش خبراً مرفوعاً: «**لي في القرآن سبعة أسماء..**» فذكر منها «طه».
وأما «يس» فحكى أبو محمد مكي إنه ورد «لي عند ربي عشرة أسماء..» ذكر منها: «يس».. وللمفسِّرين في تأويل «طه» و«يس» تأويلات آخر.
قلت: الحديثان اللذان ذكرهما فإن في سندهما نظر. وإنما ذكرت قول الترمسي هنا؛ ليعرف أصل هذين الاسمين.

(٥) «الطبقات» (١/ ١٠٥) ذكر أسماء رسول الله.

(٦) في (ك): «كذاك عبد الله».

قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، [وهو العبد المطلق ولم يوصف به غيره إلا مضافاً](١)، وليس شيء أشرف من وصف العبودية، ولا اسم أتمُّ [منها]، ولهذا قال الشاعر(٢):

ولا تَدْعُنِي إلا بيا عَبْدِها فإنَّه أشرف أسمائي

ومن ثَمَّ ذكر ذلك في أشرف مقاماته، وأعلا(٣) أوقاته: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، فلو كان اسم أجلُّ من العبودية سمَّاه به فيه. وفي «مسند أحمد»(٤) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ ملكاً أتى المصطفى ﷺ، فقال: إنَّ الله أرسلني إليك، أفملكاً نبيّاً يجعلك أو عبداً رسولاً؟ فقال جبريل: «**تواضع لربك يا محمد**»، فقال: «**بل عبداً رسولاً**».

وقال العارف الدقَّاق: العبودية أتمُّ من العبادة، فأولاً عبادة وهي للعوام، ثم عبوديَّة وهي للخواص ثم عبودية لخواص الخواص(٥).

---

(١) ما بين المعقوفتين مضروب عليه في (غ) وليس في (ك).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٣٢) و(١٠/ ٢٠٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢١٦) عن قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]...، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٧٨، ط: دار الكتب العلمية)، وفيه: وفي معناه تنشد الصوفية وأورد أبياتاً تنشدها الصوفية.

(٣) في (ك) و(ج): «وأسمى».

(٤) أخرجه أحمد (٧١٦٠)، وأبو يعلى (٦١٠٥) من حديث أبي هريرة، وقال في «المجمع» (٩/ ١٨): رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال الأولين رجال الصحيح.

(٥) قول الدقاق ليس في (ك) و(م).

وهذه التقسيمات، من تقسيمات الصوفية، ولا يوجد مثلها عند السلف =

[﴿١٢﴾] **والمتوكل**؛ أي: الذي يكل أمره إلى الله، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقد امتثل الأمر فكان رأس المتوكِّلين، و[قد] سمَّاه بذلك في التَّوراة. قال الشَّافعي(١): نزَّه الله نبيَّه ورفع قدره بهذه الآية؛ لأنَّ النَّاس على أحوال، متوكلٌ على نفسه وعلى ماله، أو [على] جاهه، أو [على] سلطانه أو حرفته(٢)، أو [على] غلّته أو على النَّاس، وكلٌّ مستند إلى حيٍّ يموت وذاهب ينقطع، فنزَّهه الله عن ذلك كله، وأمره بالتوكل عليه وحده(٣).

والنبي الأمي؛ [أي]: الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب، فجعله الله بحيث لا يعرف الخط ولا يحسنه لتكون الحجة أثبت، فذلك في حقِّه مُعْجِزَة وفي حق غيره مَعْجَزَة، وفيه موافقة للقرآن(٤) في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ الآية(٥)

= الصالح، فلا تعرف هذه التقسيمات عندهم. فالصحيح أنه ليس هناك عبادة خاصة لأناس دون ناس. فمن كان لله أتقى فهو لله أخشى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

والدقاق: هو الحسن بن علي بن محمد، أبو علي الأستاذ الدقاق، الزاهد النيسابوري، شيخ الصوفية. (ت٤٠٦هـ). انظر: «الوافي بالوفيات» (١٢/ ١٠٣)، ط: دار إحياء التراث. «النجوم الزاهرة» (٤/ ٢٥٦).

(١) هو الإمام المطلبي أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، صاحب المذهب. مناقبه كثيرة وفضائله عديدة، وله مصنفات مفيدة «كالأم» وغيره توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٠٤هـ). «السير» (١٠/ ٥)، مقدمة كتابه «الرسالة» تحقيق الشيخ أحمد شاكر.

(٢) في (م) و(ك) و(ج): «صناعته».

(٣) قول الشافعي هذا ذكره الصالحي في «السبل» (١/ ٦٢٦).

(٤) في (ك): «للتنزيل».

(٥) زاد في (ك) بقية الآية الكريمة: «﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾».

[الأعراف: ١٥٧] وهذا أعلى درجات الفضل له، وأسماها وأرقاها، حيث كان أميّاً، أتى بما لم يأت به أحد ممن خطَّ وقرأ مما عجز عنه مصاقع الشعراء وصناديد البلغاء والكتَّاب(١).

والرؤوف الرحيم: بشهادة قوله ﷻ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] قال ابن فورك(٢): أعطاه الله هذين [الاسمين] من أسمائه، والرأفة شدة الرحمة وأبلغه الله، قال ابن دحية: وخاصّيتها دفع المكاره والشدائد، والرحمة طلب المحاب، ولهذا قُدِّمت الرأفة عليها(٣). والفرق بين الرأفة والرحمة: أنَّ الرأفة إحسان مبدؤه شفقة المحسن، والرحمة إحسان مبدؤه فاقة المحسن إليه(٤)، فهو شديد الرحمة على

---

(١) قال الأجهوري في «شرحه على الألفية»: «واعلم أن الشيخ مقتضى صنيعه، أنهما اسم واحد.. ومقتضى كلام غيره كالشامي أنهما اسمان، فعلى الأول لا يطلق عليه الأمي غير تابع للنبي كمحمد الأمي، وعلى الثاني يطلق عليه.

وأما إطلاق النبي بمفرده فهو سائغ. وما ذكرناه في معنى الأمي هو أحد أقوال ثلاثة [أي: الذي لا يكتب ولا يقرأ].

والثاني: أنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة.

الثالث: أنه منسوب إلى الأمة وهي الجماعة». اهـ.

قلت: يقصد الأجهوري بقوله: الشيخ؛ أي: المناوي الشارح.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، شيخ المتكلمين صنف التصانيف الكثيرة، كان أشعريّاً رأساً في فن الكلام كانت وفاته (٤٠٦هـ). انظر: «سير» (١٧/ ٢١٤)، و«فيات الأعيان» (٢/ ٣٥٦).

(٣) قول ابن فورك وابن دحية ذكرهما في «السبل» (١/ ٥٧٤).

(٤) قاله عبد الباسط البلقيني كما في «السبل» (١/ ٥٧٤).

المؤمنين⁽١⁾، كما أشار إليه بقوله:

أيُّ رُحْم بشدة الياء المضمومة، وضم الراء الساكنة وسكون الحاء المهملة، فكان الرَّحيم معناه المختصُّ برحمة من تولَّاه، ولا يخفى أنَّ لكل حيٍّ رحمة يختصُّ بها ممن يحنو عليه ويرقُّ له من يتولَّاه، فيقع ولاؤه عليه بحسب رقَّته له وحنوِّه بحسب إمكانه وتمكُّنه، فصحَّ إطلاق الرحيم على كل من الرحماء من عباد الله على قدر اتِّصافه بالرحمة المجعولة فيه بتقدير العزيز العليم، ولمَّا بُعث المصطفى ﷺ رحمة للعالمين كما في الكتاب المبين، وأخبر بأنّه إنّما بعث رحمة ولم يبعث عذاباً⁽٢⁾، وأنزل الحقُّ فيه مُقسِماً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم] فلا جرم أن قال: «**بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاقِ**»⁽٣⁾، فلذلك وصفه القرآن بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

[﴿١٣﴾] **وشاهداً**⁽٤⁾ على أمته، **ومبشراً** للمطيع، **ونذيراً** للعاصي، وهو فعيل بمعنى فاعل، وهو المخوِّف من عواقب الأمور، وبينه وبين الرسول عموم من وجه، لاجتماعهما في مخبر عن غيره بما يخاف منه، وفي انفراد الرسول في مخبر عن غيره بغير تخويف، وانفراد النذير في المنذر عن نفسه، بما يُخاف منه، وسُمِّي به؛ لأنه يخوِّف الناس من العذاب ويحذِّرهم من سوء الحساب، وقد يُسمَّى به كل مبلِّغ للأحكام الشرعية⁽٥⁾.

كذا سراجاً صل به منيراً؛ أي: صل بقولك: سراجاً قولك:

---

(١) في (ك): «المؤمن».

(٢) يشير إلى حديث: «**إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً**» أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢/ ١٤٤، ط: دار الكتب العلمية) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البزار (٢٤٧٠)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٩٢)، وانظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٤/ ٢٣٦).

(٤) في (ك): «شهيداً».

(٥) انظر: «الشفا» (٤٩٨، ٤٩٩).

منيراً، فالاسم مركَّب من الكلمتين، فاسمه سراج مضيء، دفع بذلك توهّم أنَّ المراد أنَّ[1] من أسمائه السراج.

ومن أسمائه: المنير، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب]، فهو ﷺ الشاهد على من بعث إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم؛ أي: المقبول قوله عند الله لهم وعليهم، كما يقبل قول الشاهد [العدل في الحكم[2]، وهو الشاهد] في الدنيا بأحوال الآخرة، من الجنَّة والنار والصراط وغيرها، والشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا من

---

(١) في (ك): «أي».

(٢) هذا قول الزمخشري في «الكشاف» (٣/٥٤٦، ٥٤٧، ط: دار الكتاب العربي) في تفسير الآية.

قلت: روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدعى نوح يوم القيامة، فيقال: هل بلَّغت؟** فيقول نعم، **فيدعى قومه، فيقال: هل بلَّغكم؟** فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، **فيقال النوح: من يشهد لك؟** فيقول: محمد وأمته، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، وقال ابن عادل في تفسيره «اللباب»: فصل في الكلام على الشهادة: اختلفوا في هذه الشهادة، هل هي في الدنيا وفي الآخرة؟ فالقائل بأنها في الآخرة، وهم الأكثرون لهم وجهان:

الأول: أنَّ هذه الأمة تشهد للأنبياء على أمتهم الذين يكذبونهم.

روي أنَّ الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبيِّنة على أنَّهم قد بلَّغوا، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته، فيزكيهم ويشهد بعدالتهم...

والثاني: قالوا معنى الآية: ليشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا الحق فيها.

كفرٍ وإيمانٍ وطاعةٍ وعصيانٍ⁽¹⁾، وفيه ترتيبٌ حسن؛ لأنَّه أرسل شاهداً بقول: لا إلـٰه إلا الله، ويرغب في ذلك بالبشارة فإن لم يقبل منه ذلك يُرهِّب بالإنذار. وإنما وصف بالسراج [المنير]؛ لأنَّه به جلَّى الله ظلمات الشرك، واهتدى به الضالون، كما يُجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به، وأمدَّ الله بنور نبوته نور البصائر كما تمد بنور السراج نور الأبصار. ووصفه بالإنارة؛ لأنَّ من السُّرج ما لا يضيء إذا قلَّ سليطه⁽²⁾ ودقت فتيلته. وفي كلام بعضهم: ثلاثة تضني، رسول بطيء وسراج لا يضئ، ومائدة ينتظر لها مَن يجئ.

وسئل بعضهم عن الموحِشَين؟ فقال: ظلام ساتر وسراج فاتر⁽³⁾.

ووُصِف بالسراج دون الشمس، مع كونها أشد إضاءة من السِّراج؛ لأنَّ الشمس لا يُقتبس منها شيء، والسراج يُقتبس منه أنوار كثيرة، إذا انطفأ الأول يبقى الذي أخذ منه، كذلك إذا غاب النبي كان كل مجتهد من الصحابة فمن بعدهم، سراجاً يقتبس منه ونوراً يهتدى به، كما قال: «**أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم**»⁽⁴⁾، وإنَّما شبَّه في الحديث أصحابه بالنجوم؛ لأنه لا يؤخذ منها نور والنُور لها في نفسها فإذا غربت لم يبق لها نور⁽⁵⁾، [كما في الشَّمس]، وكذا الصَّحابي إذا مات، فالتَّابعي

---

(١) في (ك): «من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان».

(٢) في حاشية (ك): «السليط: الزيت كما في «القاموس».

(٣) الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٤٧)، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي عند تفسير الآية الكريمة.

(٤) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٦٥، ط: دار الراية)، والآجري في «الشريعة» (٤/ ١٦٩٠) وغيرهم، وقال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٧٨، ط: دار الكتب العلمية): «هذا الكلام لا يصح عن النبي ﷺ».
وانظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ٤١٣).

(٥) العبارة في (م) و(ك): «لأنه لا يؤخذ منها نور، بل له في نفسه أنوار، إذا غرب لم يبق نوره».

يستنير بنور النبي، ولا يأخذ من الصَّحابي إلَّا قول النبي وفعله⁽¹⁾، وهكذا فأنوار المجتهدين والعلماء كلهم من نور النُّبوَّة، ولهذا امتنع العمل بقول الصحابي والمجتهد إذا وجد النصُّ النَّبوي⁽²⁾.

ومن أسمائه أيضاً: النور، قال جمع في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥]، هو محمد.

قال عياض: سُمِّي به لوضوح أمره وبيان نبوته، وتنوير قلوب العارفين بما جاء به⁽³⁾.

والنّور ضربان: مُدْرَك بعين البصيرة، وهو ما انتشر من النّور الإلٰهي؛ كنور العقل والقرآن والنبي. ومدرك بعين البصر، هو ما انتشر من الأجسام؛ كالشمس والقمر، قال في شرح «المواقف»⁽⁴⁾: والفرق بينه وبين الشُّعاع والبصيرة أنهما شيء يتلألأ على الأجسام المستنيرة، حتى كأنَّه يفيض منها، ويكاد يستر لونها بخلاف الضَّوء والنُّور.

فإنَّ الأوَّل: كيفيَّة قائمة بالجسم لذاته.

والثاني: كيفية قائمة به لغيره، ثم التلألؤ أو اللمعان إن كان ذاتيّاً للجسم؛ كالحاصل للشَّمس بالشُّعاع، أو غير ذاتي بل مستعار⁽⁵⁾ من غيره؛ كالحاصل للمرآة عند محاذاتها للشمس بالبريق، ثم الضياء أشد من النور، وإنما مثل تعالى هداه⁽⁶⁾ بالنُّور دون الضِّياء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]؛ لأنه لو شبَّهه به لم يضلَّ أحد من

---

(١) بل وفَهْم الصحابي أيضاً؛ فهو مقدَّم على فهم غيره، وقد دلَّت الأدلة الصحيحة على ذلك، وهذه قاعدة مشهورة في أنَّ فهم الكتاب والسنة لا يكون إلّا على فهم الصحابة ﷺ.

(٢) انظر: «السبل» (١/ ٥٨٠).

(٣) «الشفاء» (١/ ٤٩٨).

(٤) «السبل» (١/ ٦٥٨).

(٥) في «السبل»: «مستفاداً».

(٦) في (ك): «هذا».

العقلاء، وقد سبق في علمه أنَّ منهم شقيّاً وسعيداً، ألا ترى أنَّ النَّهار لا يضلُّ فيه أحد لضوء الشمس؟ وربَّما ضلَّ الطَّريق السائر ليلاً مع وجود القمر، وبه عرف حكمة تسميته المصطفى بالنُّور دون الضوء وإن كان أعلا(١).

[﴿١٤﴾] **كذا صل به المزمل**(٢) كما وصفه [الله] تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ①﴾ [المزمل]؛ أي: المتزمِّل، وهو الذي تزمَّل بثيابه؛ أي: تلفَّف بها بإدغام التاء في الزاي، ونحوه المدثر في المتدثر.

وسبب تسميته بذلك: أنَّه كان ﷺ نائماً(٣) بالليل متزمِّلاً في قطيفة، قال الزمخشري(٤): فنُبِّه ونُودي بما يُهجِّن إليه الحالة التي كان عليها من التزمّل في قطيفة(٥)، واستعداده للاستثقال في النَّوم، كما يفعل من لا يهمُّه أمر ولا يعنيه شأن، ألا ترى إلى قول ذي الرُّمَّة(٦):

وكائِنْ تخطَّت ناقتي من مفازة ... ومن نائم عن ليلها متزمِّل(٧)

يريد الكسلان المتقاعس، الذي لا ينهض في معاظم الأمور،

---

(١) من قوله: «قال في «شرح الموقف» إلى هنا سقط من (غ، ف).

(٢) انظر: «الشفا» (١/ ٤٩٦)، «السبل» (١/ ٦٣٣).

(٣) في (ك): «قائماً».

(٤) في حاشية (غ): «وهذا من الزمخشري...». ومكان النقاط غير واضحة في (غ).
وما نقله المؤلف من «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٦٣٣، ٦٣٤).

(٥) في (ك): «قطيفته».

(٦) هو غيلان بن عقبة بن بهيش، ويكنى أبا الحرث، وهو من بني صعب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة. انظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٥١٥، ط: دار الحديث).

(٧) ديوان ذي الرمة قصيدة مطلعها: [من الطويل]
قف العيسى في أطلال ميّة فاسأل ... رسوماً كأخلاق الرّداء المسلسل
انظر: ديوانه (ص٢٢٥)، ط: دار الكتب العلمية.

وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب. ومن أمثالهم:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل(١)

فعاتبه على الاشتمال بكسائه، وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس، وأمر بأن يختار على الهجود التهجُّد، وعلى التَّزمُّل التَّشمير(٢) والتحبُّب(٣) للعبادة، والمجاهدة في الله، لا جرم أنَّه ـ عليه الصلاة السَّلام ـ قد تشمَّر لذلك حقّ التشمير(٤)، وأقبل على إحياء ليله، ورفض آلة الرُّقاد والدَّعة(٥)، وجاهد فيه حتى انتفخت أقدامه واصفرَّ لونه، وظهر سيما ذلك في وجهه، وترامى أمره إلى حدٍّ أُمر فيه بالتَّخفيف، وقيل: كان متزمِّلاً في مُرطٍ لعائشة يصلِّي، فهو على هذا ليس معاتبة، بل ثناء عليه وتحسين لحالته التي كان عليها، وأُمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه.

وعن عائشة: أنها سُئلت ما كان تزمُّله؟ قالت: كان مرطاً طوله أربعة عشر ذراعاً، نصفه عليَّ وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي، فسئلت ما كان؟ قالت: والله ما كان خزّاً ولا قزّاً(٦) ولا إبْريسماً ولا صوفاً، كان سَدَاه شَعراً ولُحْمَتُه وَبَراً.

وقيل: معناه: يا أيها الذي زمِّل أمراً عظيماً؛ أي: حُمِّله والزمل الحمل(٧).

---

(١) هذا البيت لمالك بن زيد مناة. وهو سبط تميم بن مرة، وكان يتحمق إلّا أنه كان آبل أهل زمانه، ثم إنّه تزوَّج وبنى بامرإته، فأورد الإبل أخوه سعد، ولم يحسن القيام والرفق بها، فقال مالك... ثم ذكره. «مجمع الأمثال» للنيسابوري (٢/ ٣٦٤، ط: دار المعرفة).

(٢) في (ك): «التشمّر».

(٣) في (ك): «له».

(٤) في (ك) و(ج): «التشمُّر».

(٥) في حاشية (غ): «الراحة».

(٦) في «الكشاف»: المرعزي.

(٧) «الكشاف» عن تفسيره لسورة المزمل.

والمدثر⁽١⁾، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر]، والمدثِّر لابس الدِّثار، وهو ما فوق الشِّعار، وهو الثَّوب الذي يلي الجسد، ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسَّلام ـ: «**الأنصار شعار، والناس دثار**»⁽٢⁾.

وسبب تسميته به ما سيجيء في بدء الوحي، وقيل: سمع من قريش ما كرهه، فاغتمَّ فتغطَّى بثوبه مفكِّراً⁽٣⁾ كما يفعل المغموم، فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن آذوه.

وداعياً لله كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، استعير الإذن للتَّيسير والتَّسهيل⁽٤⁾؛ لأنَّ الدَّخول في حقِّ المالك متعذِّر، فإذا صودف الإذن تيسّر وتسهَّل⁽٥⁾، فلمَّا كان الإذن تسهيلاً لما تعذَّر من ذلك وضعه موضعه، وذلك أنَّ دعاء [أهل] الشرك إلى التَّوحيد والشرائع، في غاية الصَّعوبة والتعذُّر، فقيل: بإذنه للإيذان بأنَّ الأمر صعب لا يُستطاع إلا بتسهيله تعالى⁽٦⁾ وتيسيره.

روى الشيخان عن جابر⁽٧⁾: أنَّ الملائكة جاءت إليه وهو نائم، فقالوا: اضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله كرجل⁽٨⁾ بنى داراً فعمل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الدَّاعي دخل الدَّار فأكل من المأدبة، ومن لم يجب لم يدخل الدَّار ولم يأكل، والدَّار الجنَّة والدَّاعي محمد.

---

(١) انظر: «الشفا» (١/٤٩٦)، «السبل» (١/ ٦٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٥٩) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٣) في (ك): «منكسراً».

(٤) في (ك): «للتسهيل والتيسير».

(٥) في (ك): «تسهل وتيسر».

(٦) في (ك): «له».

(٧) أخرجه البخاري (٧٢٨١)، ومسلم (٢٣٤١).

(٨) في (ك): «كمثل رجل».

وفي بعض الشَّروح(١): الداعي من الدَّاع(٢)، وهو النِّداء أو أخصُّ؛ لأنَّه لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم؛ أي: المنادي، وسُمِّي به المصطفى ﷺ؛ لأنَّه يدعوا النَّاس إلى طاعته ويحثُّهم عليها(٣).

والمذكِّر بفتح الذال المعجمة المخفَّفة وكسر الكاف، المبلِّغ الواعظ، اسم فاعل من التَّذكرة، وهي التبليغ والموعظة(٤)، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية]؛ أي: ذكِّر عبادي بآياتي، وعظهم بحُجَّتي، وبلِّغهم رسالتي(٥).

[﴿١٥﴾] **ورحمة** كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

وفي حديث مسلم: **«إنَّما أنا رحمة»**(٦)، وفي خبر البيهقي والديلمي(٧): **«إنَّما أنا رحمة مُهْدَاة»**(٨)، قال بعضهم(٩): زيَّنه ربُّه بزينة الرَّحمة، فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق. بل الأنبياء كلُّهم خلقوا من الرَّحمة، والمصطفى ﷺ عين الرَّحمة(١٠)، فهو رحمة في الدّنيا

---

(١) في (ك): «التفاسير»، وفي «السبل» (١/ ٥٦٥): «الشرح».

(٢) في «السبل»، و(ك): «من الدعاء».

(٣) هذا الاسم في «السبل» (١/ ٥٦٥) العبارة عبارة الصالحي.

(٤) في (ك): «الموعظة والتبليغ».

(٥) «السبل» (١/ ٦٣١).

(٦) لفظ مسلم (٢٥٩٩): «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة».

(٧) في (ك): «الديلمي والبيهقي».

(٨) تقدَّم.

(٩) القائل هو أبو بكر بن طاهر رَحِمَهُ اللهُ كما في «الشفا» لعياض (١/ ٤٤)، و«السبل» (١/ ٥٧٣).

(١٠) هذا الكلام تجاوز من الشارح - غفر الله له - فهي نفحة صوفيَّة، ويخشى أن تكون شركاً. وحول هذا المعنى انظر: كلاماً ماتعاً لشيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (١٨/ ٣٦٧).

للمؤمن بالهداية إلى الإسلام، وتعليم الأحكام وغير ذلك مما لا يُحصى، وللكافر بتأخير العذاب، والأمن من الخسف [والغرق] والقذف والاستئصال، حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ولجميع الحيوانات؛ لأنّه بوجهه يُستسقى الغمام، وبدعائه ينزل قطر السماء، فينبت النبات ويكون لها سقياً ورعياً، وللمنافق.

قال ابن عباس: هو رحمة للبرِّ والفاجر؛ لأن كل نبي إذا كذب أهلك الله من كذَّبه، ومحمد ﷺ أُخِّر(١) من كذَّبه إلى الموت أو القيامة.

وكذا هو رحمة في الآخرة الَّتي هي دار الجزاء، ومحل التجلِّي، وكشف الغطاء، ونتيجة الأمر بالشفاعة العظمى، ثمَّ بتشفيعه في أمَّته وإجزال أجرهم ومثوبتهم ورفع درجتهم(٢)، وروي أنَّ المصطفى ﷺ قال لجبريل: «**هل أصابك من هذه الرَّحمة شيء؟ قال: نعم كنت خائفاً فأمنت**»(٣).

ونعمة روى(٤) ابن جرير وابن أبي حاتم(٥) عن السُّدِّي في قوله

---

(١) في (ك): «أمن».

(٢) في (غ): «درجات» والمثبت من (ك).

(٣) ذكره عياض في «الشفا» (١/ ٤٥) ونقل في «السيرة الحلبية» عن السيوطي قوله: «هذا الحديث لم نقف على إسناده». وانظر: «كشف الخفاء» (٢/ ٢٩٩).

(٤) من قوله: «وروي أن المصطفى قال لجبريل» إلى هنا؛ ليست في (ك) هنا؛ بل أخّرت بعد قوله: «النعمة هنا محمد»، والعبارة في (ك) هكذا: «روي أن المصطفى قال لجبريل: هل أهل مكة من هذه الرحمة بشيء؟ قال: نعم كنت خائفاً وأمنت».

(٥) عبد الرحمٰن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي الحافظ الثبت، يكنى: =

تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، قال: النعمة هنا محمد(١)، وهو نعمة على من آمن به في الدارين، وعلى من صدَّ عنه في الدنيا بما ذكر آنفاً، لا يقال: كيف هو رحمة ونعمة، وقد جاء بالسَّيف واستباحة الأموال، وسبي النِّساء والأطفال، وقتل الشُّجعان والأبطال؟ لأنا نقول: إنما ذلك لمن أدبر واستكبر، وشردَ على(٢) الله(٣) شراد(٤) البعير على(٥) أهله، فلم ينفع فيه وعظ ولا إرشاد ولا زجر. ومن أسمائه تعالى: [الرحمٰن] الرَّؤوف الرحيم الكريم، ومنها: الجبَّار والمنتقم.

وهادي كما قال تعالى: ﴿...وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الشورى: ٥٢، ٥٣]، فهو الهادي من شاء الله هدايته إلى الصِّراط المستقيم، بواضح الأدلة وساطع البراهين، وإسناد الهداية إليه مجاز، والهادي حقيقة هو الله [تعالى].

وغيرها؛ [أي: وغيرها] من الصفات. **تجل** بكسر الجيم، **عن تعداد**؛ أي: تعظم عن العدِّ لكثرتها، وكثرة الأسماء دالة على سموٍّ(٦) المسمَّى والاهتمام بشأنه.

قال ابن عساكر(٧): وإذا اشتُقَّت أسماؤه من صفاته، كثرت جداً.

= أبا محمد توفي ابن أبي حاتم في المحرم، سنة سبع وعشرين وثلاث مائة بالري، وله بضع وثمانون سنة. انظر: مقدمة تحقيق كتابه «العلل» بتحقيق الشيخين الحميد والجريسي.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٢)، وذكره في «الدر المنثور» (٥/ ١٥٦)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن السُّدّي.

(٢) في (ك): «عن».

(٣) في (ك): «ذكر الله».

(٤) في (ك): «شرود».

(٥) في (ك): «عن».

(٦) في (ك) و(ج): «رفعة».

(٧) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي. انظر: «معجم الأدباء» (٤/ ١٦٩٧)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٠٩)، «البداية والنهاية» =

وقال ابن القيم(١): أسماؤه إذا كانت أوصاف مدح، فله من كل وصف اسم، لكن ينبغي أن لا يُشتق له اسم إلَّا من وصف يختصُّ به أو غالبٌ عليه، وأكثر أسمائه لم يرد بلفظ الاسم، بل بصيغة المصدر أو الفعل. ولمَّا كانت الأسماء قوالب المعاني دالة عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينهما ارتباط وتناسب، فللأسماء تأثير في المسمَّيات، وللمسمَّيات تأثير في الأسماء في الحسن والقبح، والثَّقل واللَّطافة والكثافة(٢)، كما قيل:

قَلَّما أبصرت عيناك ذا لقب　　إلَّا ومعناه إن فكَّرت في لقبه

فاشتُقَّ للمصطفى ﷺ من صفاته، أسماء ومطابقة للمعنى(٣).

والتِّعداد بفتح الدال، وإنما آثر الناظم هذه الأسماء لورود(٤) أصلها في القرآن.

قال الحافظ ابن حجر(٥): ومن أسمائه المشهور: المختار والمصطفى والمشفِّع والشفيع، والصادق المصدوق وأحيد(٦)، كما في التوراة وغير ذلك(٧). انتهى.

= (١٢/ ٢٩٤، ط: بيروت ـ الرياض ١٩٦٦م)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ٧٧).

(١) وهذا النقل عن ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٨٦، ٨٧)، وانظر: «السبل» (١/ ٤٩٢).

(٢) في (ك): «والكتابة».

(٣) في (ك): «لمعناه»، ومن قوله: «قال ابن عساكر..» إلى هنا أخِّر في (ك) قبل الفائدة مباشرة.

(٤) في (ك): «بورودها».

(٥) «فتح» (٦/ ٥٥٨).

(٦) في (ك): «أحمد»، والمثبت من (غ)، وكتب في الحاشية: «أحيد» بالحاء المهملة وبالمثّناة التحتية مفتوحة، اسم عجمي للنبي ﷺ. انظر: «الشفا» (١/ ٥٠٤).

(٧) ذكرهم جميعا القاضي عياض في «الشفا» (الموضع السابق).

فائدة:

روى ابن الجوزي(١) في «التبصرة»(٢)، والدامغاني في «شوق العروس وأنس النفوس»(٣) عن كعب الأحبار: أنَّ اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة: عبد الكريم، وعند أهل النار: عبد الجبَّار، وعند أهل العرش: عبد الحميد(٤) وعند سائر الملائكة ﷺ: عبد المجيد، وعند الأولياء: عبد الوهاب، وعند الشياطين: عبد القهار، وعند الجن: عبد الرحيم، وفي الجبال: عبد الخالق، وفي البر: عبد القادر، وفي البحر: عبد المهيمن، وعند الحيتان: عبد الغفار(٥)، وفي الإنجيل: طاب طاب، وفي الصحف: عاقب، وفي الزبور: فاروق، وعند الله: طس(٦) ويس، وعند المؤمنين(٧): محمد ﷺ و[أحمد](٨).

[﴿١٦﴾] **وقد وعى**؛ أي: حفظ، يقال: وعيت الحديث وعياً، من باب وعيته حفظته، وأوعيت المتاع بالألف في الوعاء؛ [أي]: جمعته وحفظته فيه، ومراده: أنَّ القاضي أبا بكر محمد **ابن العربي**(٩) جمع من

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن علي بن جعفر، أبو الفرج ابن الجوزي. له العديد من المؤلفات. توفي سنة (٥٩٧هـ)، «العبر في خبر عن غبر» (٤/ ٢٦٧).

(٢) كتاب «التبصرة» مطبوع، ولم أجد هذه الرواية فيه.

(٣) الدامغاني هو حسين بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الدامغاني. فقيه حنفي. له كتب. توفي سنة (٤٧٨هـ). «الأعلام» (٢/ ٢٥٤)، وكتابه هذا مخطوط كما في «الأعلام»، وفيه أن اسمه: «سوق» بالسين المهملة بدل «شوق» بالمعجمة.

(٤) في (ج): «عبد المجيد».

(٥) في (ك): «عبد القهار».

(٦) كذا في (غ) وفي (ك): «طه».

(٧) طمست في (غ).

(٨) انظر: «السبل» (١/ ٦٠٣)، ثم قال الصالحي: «وكذا نقله في «القول البديع» [ص (٤٨)، ط: دار الريان] وهو غريب جداً، ثم رأيت ابن الجوزي نقله في «التبصرة» عن كعب أيضاً».

(٩) هو القاضي أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ عالم أهل =

أسمائه⁽¹⁾ **سبعه من بعد ستِّين**؛ أي: جمع للمصطفى ﷺ سبعة وستين اسماً، ذكر ذلك في كتابه المسمَّى بـ «عارضة الأحوذي⁽²⁾ في شرح الترمذي»⁽³⁾.

وقيل: تسعه [﴿١٧﴾] **من بعد تسعين** بتقديم التَّاء على السِّين فيهما؛ أي: وقال بعضهم⁽⁴⁾: إنَّ عددها يبلغ تسعةً وتسعين اسماً مئة إلّا واحد، موافقةً لعدد الأسماء الحسنى، **ولابن دحية**، بمهملتين كحلية، وقد يفتح أوله.

بل نقل الزّمخشري⁽⁵⁾ عن الأصمعي⁽⁶⁾: أنَّه لا يقال بالكسر، ثم قال:

= الأندلس؛ ولد في إشبيلية سنة (٤٦٨هـ) وتوفي في فاس (٥٤٣هـ).
انظر: «نفح الطيب» (٢/ ٢٦)، ط: دار صادر.

(١) من قوله: «أي: حفظ» إلى هنا سقط من (ك) إلّا: «الحافظ أبو بكر محمد بن العربي».

(٢) في حاشية (غ): «الأحوذي بالحاء المهملة والذال المعجمة».

(٣) «عارضة الأحوذي» لابن العربي (١٠/ ٢٨١)، وكذا في كتابه «أحكام القرآن» (٣/ ٥٨٠، ٥٨١) عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ الآية قال: «وأما أسماء النبي ﷺ، فلم أحصها إلا من جهة الورود الظاهر لصيغة الأسماء البيّنة، فوعيت منها جملة الحاضر الآن منها سبعة وستون أسماً» ثم ذكرها.

(٤) القائل هو أبو الحسين الحرَّاني المغربي، كما في «بهجة المحافل» للعامري (٢/ ١٧٤). ذكره في «تهيئة الفكر» يسر الله نشره قريباً إن شاء الله ﷻ.

(٥) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، الزمخشري ولد سنة (٤٦٧هـ) وتوفي سنة (٥٣٨هـ). «وفيات الأعيان» (٥/ ١٦٨)، «عبر الذهبي» (٤/ ١٠٦).

(٦) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، أبو سعيد الباهلي الأصمعي صاحب اللغة. توفي سنة (٢١٣هـ)، وقيل: غير ذلك. «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٩).

ولعلَّه من تغيِّرات الأعلام؛ كموهب والحجاج على الإمالة، وأصل دحية رئيس الجند، وبه سُمِّي هذا الحافظ، أبو الخطاب المحدِّث المشهور(١)، **الفحص** بفتح الفاء وسكون [الحاء] المهملة؛ أي: الاستقصاء والتتبع، يقال: فحصت عن الشيء إذا استقصيت في البحث عنه، وتفحَّصت مثله(٢).

يوفيها بكسر الفاء وتخفيفها.

ثلاث مئة اسم، ذكر ذلك في كتابه «المستوفى في أسماء المصطفى»(٣)، وذكر أماكنها من القرآن والأخبار والآثار، وضبط ألفاظها وشرح معانيها، [وفوائد حسنها، وألف السيوطي(٤) «الرياض المنيقة في أسماء خير الخليقة»، بسط الكلام عليه السخاوي(٥) في «القول البديع»،

---

(١) ابن دحية هو الحافظ أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي الأندلسي، له العديد من المصنفات. (ت٦٣٣هـ).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري مادة: (فحص)، «المصباح المنير» كتاب الفاء.

(٣) هذا الكتاب لابن دحية، ولا زال مخطوطاً توجد منه نسخة في مكتبة لكنو بالهند، وهي نسخة مبتورة الآخر، نهايتها حرف السين، وفيها تآكل شديد. أفاد ذلك الدكتور جمال عزون.

(٤) هو عبد الرحمٰن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان ابن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الحضيري الأسيوطي، ولد في ليلة الأحد من مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمان مئة (٨٤٩هـ). «البدر الطالع» للشوكاني (١/ ٣٢٨، ٣٣٥)، ط: مصر (١٣٤٨هـ)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٢٨٩)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨م، و«درة الحجال في أسماء الرجال» (٣/ ٩٢ ـ ٩٤) و«المقتبس من نور القبس» (٣/ ٥٧)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ٥١ ـ ٥٣).

(٥) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ـ نسبة إلى سخا شمال (وتقع الآن في أطراف مدينة كفرالشيخ إحدى محافظات دلتا مصر) الشافعي ولد شمس الدين السخاوي في ربيع الأول سنة (٨٣١هـ) مات سنة اثنتين وتسع مئة يوم الأحد الثامن والعشرين =

والقسطلاني(١) في «المواهب»](٢) وأوصلها بعضهم إلى أربع مئة، وبعضهم إلى خمس مئة.

[﴿١٨﴾] **وكونها ألفاً ففي «العارضة»**؛ أي: في «عارضة الأحوذي»(٣).

ذكره عن بعض ذي الصوفية(٤)؛ أي: وكون عدتها(٥) ألف اسم، قد نقله ابن العربي في شرح التِّرمذي عن بعض الصّوفيِّة، فقال: ذكر بعض الصوفية: أنَّ لله تعالى ألف اسم، ولرسوله ألف اسم(٦).

بل قال ابن فارس(٧): هي ألفان وعشرون(٨) غالبها كما قال النّووي: صفات(٩)، وكثيراً ما يطلق الاسم على الصفة، لاشتراكهما في تعريف الذات وتمييزها على غيرها.

= من شعبان ودفن بجوار مشهد الإمام مالك.

(١) هو أحمد بن محمد ابن أبي بكر ابن عبد الملك بن أحمد بن حسين بن علي القسطلاني المصري، العلامة الحافظ؛ ولد يوم الثاني عشر من ذي القعدة سنة (٨٥١هـ)؛ وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن المحرم سنة (٩٢٣هـ).

(٢) هذه الكتب التي ذكرها الشارح جميعها مطبوعة ما عدا المستوفى. من قوله: «وفوائد حسنها» إلى هنا سقطت من (غ).

(٣) مطبوع.

(٤) في شرح الأجهوري: «وأما بقاؤه على ظاهرة فيحتاج إلى تقدير؛ أي: ذي الطريقة الصوفية».

(٥) في (ك): «وكونها».

(٦) وكذا في «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ٥٨٠).

(٧) هو أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين الرازي. قيل: توفي سنة (٣٦٠هـ)، وقيل: غير ذلك.

(٨) من قوله: «اسم، ذكر ذلك في كتابه» إلى هنا أخّر في (ك) قبل التنبيه مباشرة، وحصل فيه تقديم وتأخير.

(٩) في (ك): «إنما هي صفات؛ ذكره النووي».

وقد أفرد ذلك جمع، منهم: ابن فارس وابن المليق(١) والقرطبي ثمّ الجلال السّيوطي، وجمع الحافظ السخاوي منها ما وقع عليه في كلام عياض، وابن العربي وابن سيِّد الناس، وابن سبع ومغلطاي(٢)، والشَّرف البارزي(٣)، والبرهان الحلبي(٤) وابن حجر وغيرهم، ورتَّبه على حروف المعجم في كتابه، «القول البديع»(٥)، [فبلغت أربع مئة وثلاثين(٦)].

---

(١) «ابن المليق: قاضي القضاة ناصر الدين أبو المعالي، محمد بن عبد الدائم بن محمد بن سلامة المصري الشاذلي. وُلد سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة، واشتغل وحصَّل، وتصوَّفَ وتزهَّدَ، وتكلَّم على الناس دهراً، ثم وَلِيَ قضاء الشافعية فبَاشَرَهُ بعفَّةٍ ونزاهة. مات سنة سبع وتسعين وسبع مئة». «حُسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٥٢٧).

(٢) هو مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري الحافظ المكثر صاحب التصانيف ذكر أنه ولد سنة تسع وثمانين وست مئة؛ كانت وفاته في الرابع والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين وسبع مئة رحمه الله تعالى. «لسان الميزان» (٦/ ٧٢).

(٣) هو هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن البارزي الجهني الحموي: قاضي، حافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية. توفي سنة (٧٣٨هـ).
انظر: «النجوم الزاهرة» (٩/ ٣١٥)، «الأعلام» للزركلي (٨/ ٧٣).

(٤) إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي ثم الحلبي، أبو الوفاء، برهان الدين: عالم بالحديث ورجاله، من كبار الشافعية. أصله من طرابلس الشام، ومولده، ووفاته في حلب سنة (٨٤١هـ).
«المنهل الصافي» لابن تغري بردي (١/ ١٣١)، ط: مصر، «الضوء اللامع» (١/ ١٣٨، ط: مصر)، «معجم المؤلفين» (١/ ٩٢).

(٥) ص (٨١) وقد ذكر (ص٨٤) أنَّ كتاب ابن المليق المذكور تلخيص لكتاب ابن دحية، وهو كراسي. وكتاب ابن فارس في «أسماء النبي ﷺ». وجمع أبو عبد الله القرطبي كتاباً في ذلك، نظمه أرجوزة وشرحها. وكتاب الشرف البارزي هو «توثيق عرى الإيمان».

(٦) انظر: «المدهش» لابن الجوزي (٤٩، ط: دار الكتب العلمية)، «المنتظم» لابن الجوزي (١/ ٢٠٩).

○ **تنبيه:**

نقل في «فتح الباري»(١) عن الغزالي وأقرَّه: أنَّه لا يجوز لنا أن نسمِّي نبيَّنا باسمٍ لم يسمِّه به أبوه، ولا سمَّى به نفسه](٢).

ونقل السيوطي عن البارزي: [أنَّ من خصائصه]: أن أسماءَه توقيفيَّة كأسمائه تعالى(٣).

○ **خاتمة:**

نقل الحافظ ابن حجر(٤) عن بعض شيوخه: أنَّ المصطفى ﷺ وإن كان ذا أسماء كثيرة، [وكنًى كثيرة]، لكن لا ينبغي أن يُنادي بشيء منها، بل يقال: يا رسول الله، ثم أشار إلى التَّوقّف فيه.

تنبيه(٥):

كما أنَّ له(٦) ﷺ أسماء كثيرة، فله كنى كثيرة كذلك، فأشهرها وأعرفها أبو القاسم(٧)، [روى الشيخان(٨) عن أنس: كان رسول الله ﷺ يمشي، فسمع قائلاً يقول: يا أبا القاسم، فرفع رأسه، فقال: لم أعنك، فقال رسول الله ﷺ: **«تسمَّوا باسمي ولا تكنَّوا بكنيتي»**](٩).

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢٢٣) في شرحه لحديث لي تسعة وتسعين اسماً.

(٢) من قوله: «فبلغت أربع مئة وثلاثين» إلى هنا؛ سقط من (غ).

(٣) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٢٢٣) وقد نسبه للقاضي أبي بكر والغزالي، وكذلك المنيني في «فتح القريب» وهو في الخصائص وأقوم على تحقيقه يسره الله.

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٥٦١).

(٥) في (ك): «فائدة».

(٦) في (ك): «للمصطفى».

(٧) «الشفا» (١/ ٥٠٤).

(٨) في (ك): «السخاوي».

(٩) أخرجه البخاري (٢١٢٠، ٢١٢١)، ومسلم (٢١٣١) من حديث أنس ﷺ. والبخاري (٣١١٤) من حديث سليمان ﷺ. وأحمد (٧٣٧٧، ٧٦٥٤، ٩٠٩٤، ١٠٧٢٦، ٩٨٩٤) من طريق محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ.

وروى الحاكم عن أبي هريرة ﵁ مرفوعاً: «**أنا أبو القاسم**»(١).

قال الإشبيلي في «الذخائر»(٢): كُنِّي به(٣)؛ لأنَّه يقسم الجنة بين الخلائق يوم القيامة(٤). انتهى.

والأشهر أنه إنَّما كُنِّي به لكونه أكبر أولاده(٥)، ويحرم على غيره التكنِّي به وإن لم يكن اسمه محمداً، كما قاله النووي(٦) مخالفاً للرَّافعي في تخصيصه التحريم بمن تسمَّى بمحمد، ولا يختصُّ التحريم بزمنه، كما صحّحه النووي أيضاً، لكن اختار من جهة الدليل الاختصاص.

ومن كُناه أيضاً: أبو إبراهيم(٧)، روى الحاكم عن أنس ﵁ قال: لما ولد إبراهيم ابن المصطفى ﷺ أتاه جبريل ﵇، فقال: «**السَّلام عليك يا أبا إبراهيم**»(٨).

---

(١) «مستدرك الحاكم» (٢/ ٦٠٤)، وقال: «هذا حديث على شرط مسلم، ولم يخرجاه» ولفظه: «**أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ اللهُ يُعْطِي وَأَنَا أَقْسَمَ**»، وقد أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٢٢٤).

(٢) ص (١٩٢). واسم الكتاب: «الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق»، والكتاب مطبوع قديماً، وطبعته دار ابن حزم سنة ٢٠١٠م، والمؤلف هو ابن الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الإشبيلي وصفه في «المورد العذب» بأنَّه وَرِعٌ أديبٌ.

(٣) في (ك): «بذلك».

(٤) هذا كلام لم يرد عليه دليل صحيح، بل قسمة الجنة بيد الله تعالى، ولم يفوض ذلك لأحد من خلقه، وقد حذرنا النبي ﷺ من الغلو، حتى لا نقع فيما وقع فيه اليهود والنصارى.

(٥) ذكر ذلك أبو نعيم، فقال: «القاسم ابن رسول الله ﷺ، بكر ولده، وبه كان يكنى». «المورد العذب».

(٦) انظر: «روضة الطالبين» (٥/ ٣٦٠، ط: دار عالم الكتب).

(٧) «الشفا» (١/ ٥٠٥).

(٨) «مستدرك الحاكم» (٢/ ٦٠٤)، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٦٤) بلفظ: =

ومنها: أبو المؤمنين(١)، كما ذكره بعض المعتبرين(٢).

ومنها: أبو الأرامل(٣)، ذكره في «الذَّخائر»(٤) أنه كنيته ﵇(٥) [في التوراة: أبو الأرامل](٦).

ولم يطَّلع عليه ابن جماعة، فعزاه في شرح البخاري لبعض مشايخه.

= «لما وُلد إبراهيم ابن النبي من مارية جاريته كان يقع في نفس النبي منه حتى أتاه جبريل ﵇ فقال: السلام عليك أبا إبراهيم»، وفي رواية: «يا أبا إبراهيم»، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٤١٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (٣٦٨٧)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦٨٥٩)، وابن منده ـ كما في «سبل الهدى والرشاد» (١١/ ٢١) ـ، كلهم من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، وعقيل عن ابن شهاب عن أنس ﵁ به.

وابن لهيعة متكلَّمٌ فيه.

وأخرجه ابن سعد (١/ ١٣٥)، وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي.

(١) «الشفا» (١/ ٥٠٥).

(٢) «القول البديع» (ص٨٤).

(٣) «الشفا» (١/ ٥٠٥)، ولم يقل القاضي عياض إنه اسمه في التوراة، وقال: «إنه لقب في المعنى، وإن كان كنية في المبنى فإن معناه مراعي الأرامل ومحافظ أحوالهن ومتفقد مالهن والله ﷻ أعلم».

(٤) ص (١٩٢)، وذكره ابن دحية كما في «القول البديع» (ص٨٤).

(٥) في (ك): «﵇ كنيته».

(٦) ما بين المعقوفتين غير واضح في (غ).

باب ذكر نسبه الزَّكي ﷺ

١٩ ـ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ المطَّلِبْ   أَبُوهُ وَهْوَ شَيْبَةَ(١) الحَمْدِ نُسِبْ
٢٠ ـ أَبُوهُ عَمْرٌو هَاشِم وَالجَدُّ   عَبْدُ مَنَافِ بْنُ قُصِيٍّ زَيْدُ
٢١ ـ ابْنُ كِلابٍ أَيْ حَكِيمٌ يَا أُخَيّ   وَهْوَ ابْنُ مُرَّةَ بْنُ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ
٢٢ ـ وَهْوَ ابْنُ غَالِبِ أي ابْنُ فِهْرِ   وَهْوَ ابْنُ مَالِكٍ أي(٢) ابْنُ النَّضْرِ
٢٣ ـ وَأَبُهُ كِنَانَةُ مَا أَبْرَكَهْ   وَالِدُهُ خُزَيْمَةُ ابْنُ مُدْرِكَةْ
٢٤ ـ وَهْوَ ابْنُ إِلْيَاسٍ أي ابْنُ مُضَرَا   ابْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ لا مِرَا
٢٥ ـ وَهْوَ ابْنُ عَدْنَانَ وَأَهْلُ النَّسَبِ   قَدْ أَجْمَعُوا إلى هُنَا فِي الكُتُبِ
٢٦ ـ وَبَعْدَهُ خُلْفٌ كَثِيرٌ جَمُّ   أَصَحُّهُ حَوَاهُ هَذَا النَّظْمُ
٢٧ ـ عَدْنَانُ فِي القَوْلِ الأَصَحِّ(٣) ابْنُ أُدَدْ   وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ أُدّاً فِي العَدَدْ
٢٨ ـ بَيْنَهُمَا وَأُدَدٌ وَالِدُهُ   مُقَوَّم نَاحُورُ بَعْدُ جَدُّهُ
٢٩ ـ وَهْوَ ابْنُ تَيْرَحِ أي ابْنُ يَعْرُبَا   وَإِنَّ يَعْرُبَ هُوَ ابْنُ يَشْجُبَا
٣٠ ـ وَهْوَ ابْنُ نَابِتٍ وَإِسْمَاعِيلُ   أَبٌ لَهُ وَجَدُّه الخَلِيلُ
٣١ ـ إِبْرَاهِم بْنُ تَارِحٍ أيْ(٤) آزَرْ   وَهْوَ ابْنُ نَاحُورٍ وَهَذَا آخَرْ

---

(١) في الترمسي: «أبوه يعني به: شيبة الحمد».

(٢) في الترمسي: «وهو».

(٣) في شرح الترمسي: «الأبر».

(٤) في شرح الترمسي: «مع» بدل «أي».

٣٢ ـ وَهْوَ ابْنُ سَارُوحُ(١) بْنُ أرْغُو فَالِخْ ... أبٌ لَهُ ابْن عَيْبَرَ بْنِ شَالِخْ
٣٣ ـ وَهْوَ ابْنُ أرْفَخْشَذْ أَبُوهُ سَامُ ... أبُوهُ نُوحٌ صَائِمٌ قَوَّامُ
٣٤ ـ وَهْوَ ابْنُ لامِكَ بْنِ مُتُّوْشَلَخَا ... ابْنِ خَنُوخَ وَهْوَ فِيمَا وُرِّخَا
٣٥ ـ إِدْرِيسُ فِيمَا زَعَمُوا يَرْدُ أبُهْ ... وَهْوَ ابْنُ مَهْليلِ بْنِ قَيْنَنْ يَعْقُبُهْ
٣٦ ـ يَانِشُ شِيثٌ أبُهُ ابْنُ آدَمَا ... صَلَّى عَلَيهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا
٣٧ ـ أمَّا قُرَيشٌ فَالأصَحُّ فِهْرُ ... جِمَاعُهَا وَالأكْثَرُونَ النَّضْرُ(٢)
٣٨ ـ وَأُمُّهُ آمِنَةٌ وَالِدُهَا ... وَهْبٌ يَلِي عَبْدُ مَنَافٍ جَدُّهَا
٣٩ ـ وَهْوَ ابْنُ زُهْرَةٍ يَلِي كِلابُ ... وَفِيهِ مَعْ أَبِيهِ الانْتِسَابُ

---

(١) في الترمسي: «شاروخ».

(٢) في الترمسي: «وقيل ذاك النضر».

باب ذكر نسبه الزَّكي ﷺ

أي: الطَّيب الطَّاهر، والنَّسَب بالتَّحريك واحد الأنساب، ومثله النِّسبة - بكسر النُّون وضمها - ونسبت الرجل، ذكرت نسبه، كذا في «الصحاح»⁽¹⁾. وفي «القاموس»⁽²⁾: النسب والنسبة القرابة، أو في الآباء خاصة، ونسبه ينسبه ذَكَرَ نَسَبَهُ، وزكى يزكوا إذا صلح، وزكَّاه [إذا] مدحه⁽³⁾.

وقد حاز المصطفى ﷺ قصب⁽⁴⁾ السَّبق في شرف النَّسب، وبلغ فيه أعلى المنازل والرُّتب، فهو النبي العربي الأبطحي الحرمي، المكّي الهاشمي القرشي المنتخب من خير بطون العرب وأعرقها في النَّسب، وأشرفها في الحسب وأنضرها عوداً وأطولها عموداً، وأطيبها أرومةً⁽⁵⁾، وأعزُّها جرثومه، وأفصحها لساناً، وأوضحها بياناً؛ وأرجحها ميزاناً وأصحُّها إيماناً، وأعزّها نفراً، وأكرمها معشراً من قبل أبيه وأمه، فنسبه أشرف الأنساب، وسببه إلى الله أفضل الأسباب، وبيته في قريش أوسط

---

(١) «الصحاح» للجوهري مادة: (نسب).

(٢) «القاموس المحيط» باب الباء فصل النون (١/ ١٣٧، ط: الرسالة).

(٣) من هنا بياض بالنسخة (ك).

(٤) كتب في حاشية (غ): اعلم أنَّ العرب كانت تغرس قصباً فارسيّاً في الأرض للسِّباق فالفارس عند انتهاء جريه يأخذ القصبة التي انتهى إليها، ثم الآخر، فكل من جاوز قصباً أكثر من صاحبه فهو الغالب، والنبي ﷺ: لم يجاوزه أحد، والله أعلم. اهـ.

(٥) في حاشية (غ): «أي: شرفاً».

بيوتها الحرميّة، وأعرق معادنها الكرميَّة، ولم تخل مكَّة قطُّ من سيِّد منهم أو سادات، لواؤهم على من ناوأهم منصور، وسؤدد البطحاء عليهم مقصور، ثم شيَّد الله أركان مجدهم العريق بهذا النَّبي، فجازوا المجد عن آخره، وفازوا⁽١⁾ من الشرف بما تعجز ألسن البلغاء عن وصف أدنى مفاخره.

روى التِّرمذي عن العبَّاس [بن عبد المطَّلب رضي الله عنه] مرفوعاً: «**إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم، ثم تخيَّر القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تخيَّر البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً**»⁽٢⁾.

وروى البيهقي في «الدلائل» عن أنسٍ مرفوعاً⁽٣⁾: «**ما افترق النَّاس فرقتين إلَّا جعلني الله في خيرهما، فأُخرجت من بين أبويَّ، فلم يصبني شيء من عهر⁽٤⁾ الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج مِن [سفاح]⁽٥⁾ من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً**».

وفي [صحيح] مسلم عن واثلة مرفوعاً: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»⁽٦⁾.

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**ما ولدتني بغيٌّ قط، منذ خرجت من صلب آدم، ولم تزل تتنازعني الأُمم كابراً عن كابر،**

---

(١) في هامش (ج): «وحازوا».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٢، ٣٦٠٧، ٣٦٠٨) وقال: «حسن صحيح غريب». وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (٧٣٩).

(٣) «دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ١٧٤).

(٤) في حاشية (غ): «أي: زنا». (٥) في حاشية (غ): «السفاح: الزنا».

(٦) «صحيح مسلم» (١٧٨٢).

حتى خرجت من أفضل حيَّين[١] من العرب هاشم وزهره»[٢].

وروى الطَّبراني عن ابن عباس مرفوعاً: «**ما ولدني من سفاح الجاهليَّة شيء**»[٣].

قال بعض الأئمة[٤]: إنَّما كان آباؤه فضلاء عظماء؛ لأنَّ النبوة ملك وسياسة عامة، والملك في ذوي الأحساب والأخطار، [وكلَّما كانت خصال الفضل أكثر، كانت الرعية أكثر انقياداً وأسرع طاعة]، وكلَّما كان في الملك نقيصه، نقصت أتباعه ورعاياه، فلذلك جعل من خير الفرق وخير البقاع.

[﴿١٩﴾] **وهو محمد بن عبد الله**، علم منقول عن مركب إضافي، ومعناه الخاضع لله، من قولهم: طريق معبَّد[٥]، إذا وطئها النَّاس[٦].

---

[١] في حاشية (غ): «حيين: بالحاء المهملة بعدها ياءان تحت ثم نون».

[٢] أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٤٠١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

[٣] أخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» (١٠/ ٣٩٩).

[٤] هو مغلطاي كما في «فيض القدير» للشارح في شرحه للحديث رقم (٢٦٨٢) (٣/ ٣٧، ط: دار المعرفة).

[٥] في حاشية (غ): «معبَّد بتشديد الموحدَّة التحتية بعد العين المهملة ودال مهملة بعدها، من وطئ الأرجل».
قال ابن دريد في «الاشتقاق» (ص١٠): «واشتقاق العَبْد من الطريق المعبَّد، وهو المذلَّل الموطوء. وقولهم: بعيرٌ معبّد يكون في معنى مذلَّل، ويكون في معنى مهنوء بالقَطِران. قال طَرَفة:

وأُفـرِدْتُ إفـرادَ الـبـعـيـرِ الـمـعـبَّـد

أي: الأجرب المهنوء، يتحاماه الناسُ مخافَةَ العَدْوَى. وربَّما كان المعبَّد في معنى الكرم. قال حاتم: أرى المالَ عند الباخِلِينَ معبَّداً؛ أي: معظَّماً».
وقول الجوهري في «الصحاح» مادة: (عبد): «عَبْدٌ بيِّن العُبُودَةِ والعُبودِيَّةِ. وأصل العُبودِيَّةِ الخضوعُ والذلُّ. والتعبيدُ: التذليلُ يقال: طريقٌ مُعَبَّدٌ».

[٦] قاله ابن الأنباري كما في «المورد».

قال الحافظ ابن حجر(١): ولم يختلف في اسمه أحد، وكنيته أبو قُثم(٢) أو أبو محمد أو أبو أحمد، ولقبه الذَّبيح، وسببه: كما أخرجه البيهقي وغيره(٣) عن ابن عباس: أنَّ أباه نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم، إن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا حتَّى يمنعوه، لينحرنَّ أحدهم لله عند الكعبة، فلمَّا بلغوها(٤) جمعهم وأخبرهم بنذره، ودعا بنيه إلى الوفاء لله بذلك فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كلٌّ منكم قِدْحاً؛ أي: سهماً، ثم يكتب فيه اسمه، ففعلوا فدخل بهم على هُبَل في جوف الكعبة، وكان أعظم أصنامهم، فقال عبد المطلب لصاحب القداح(٥): اضرب على بنيَّ بقداحهم، وأخبره بنذره، وأعطاه كلٌّ منهم قِدْحه الذي فيه اسمه، وكان عبدالله أصغرَهم؛ أي: أصغر بني أُمِّه، وإلَّا فالعباس وحمزة أصغر منه(٦).

وقول السُّهيلي(٧): أصغر بني أبيه.

غلَّطوه فيه، وكان أحبَّ ولده إليه، فقام يدعو الله فضرب صاحب

---

(١) الذي في «المورد» أنَّ هذا القول لابن الأثير. وهو في «الكامل» لابن الأثير (١/ ٦٠٨)، ذكر بعض أخبار آبائه وأجداده.

(٢) في حاشية (غ): «وقثم بالقاف ثم مثلثة بعدها».

(٣) «دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٩٨) عن محمد بن إسحاق، والخبر هناك بأطول مما هنا وأتمّ، ونحوه في «مختصر السيرة» لابن هشام (١/ ١٥١ ـ ١٥٧ ت: السقا)، وأخرجه ابن سعد (١/ ٨٨، ٨٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والحاكم (٢/ ٥٥٤) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٤) في حاشية (غ): «أي: بلغوا عشرة نفرٍ وصاروا يمنعوه».

(٥) القداح جمع قدح، وهو السهم بلا ريش ولا نصل.

(٦) قال الخشني في «شرح السيرة» (ص٥٣): أصغر بني أبيه في ذلك الوقت.
وقال السهيلي في «الروض» (١/ ٢٧١): «في قوله: وكان أصغر بني أبيه: هذا غير معروف، ولعل الرواية: أصغر بني أمه».

(٧) «الروض» (١/ ٢٧١).

القداح، فخرج القِدْح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب وأخذ الشفرة وذهب به إلى إساف⁽¹⁾ ونائلة ـ الصنمين اللذين ينحر النَّاس عندهما ـ ليذبحه، فقالت قريش: والله لا تذبحه أبداً حتى نَعْذر. وانطلق به إلى الحجاز فإنَّ فيه عرَّافة⁽²⁾ لها تابع⁽³⁾، واسمها قُطبة أو سجَاح، فإن أمرت بذبحه ذبحتَه، أو بأمر فيه فرج قبلته، فقدموا المدينة فوجدوها بخيبر⁽⁴⁾، فسألوها؟ فقالت: ارجعوا عنِّي اليوم.

فرجعوا ثم عادوا فقالت: قد جاءكم الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، قالت: ارجعوا إلى بلادكم وقرِّبوا صاحبكم وقرِّبوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا حتى يرضى ربكم، فإذا خرجت على الإبل فانحروها.

فرجعوا وفعلوا [ثم قرَّبوا عبد الله وعشراً من الإبل، ثم ضربوا] فخرج على عبد الله، فزاد عشراً بعد عشر والقداح تقع عليه حتى بلغت مئة، فخرج القدح عليها، فقالت قريش: [يا عبد المطلب]، قد رضي ربك فانحرها، قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاثاً، ففعل والقدح يقع على الإبل، فنحرها ثم تركت لا يُصدُّ عنها أحد وتأكل منها كل سائمة [. . . .]⁽⁵⁾.

ولذلك قال المصطفى ﷺ: **«أنا ابن الذَّبيحين»**⁽⁶⁾ ـ فمن ثَمَّ

---

(١) في حاشية (غ): «إساف بكسر الهمزة وفاء بينها وبين السين المهملة ألف، ونائلة بنون فألف فهمزة تحتيَّة فلام مفتوحة فألف».

(٢) في حاشية (غ): «كاهنة».

(٣) في حاشية (غ): «من الجن يخبرها الأمور».

(٤) انظر: «الروض الأنف» (١/ ٢٧٣).

(٥) كلمة غير واضحة في (غ) وأظنها «لا تمنع» فتصير العبارة: كل سائمة ولا تمنع.

(٦) بهذا اللفظ لم يرد في السنة كما قال الطرابلسي في «اللؤلؤ المرصوع» (٨١) والمالكي في «النخبة البهية» (٤٣).

=

خرجت السُّنَّة في الدية مئة من الإبل ـ ثم لمَّا مضى به أبوه مرَّ به على امرأة من بني أسد بن عبد العزَّى عند الكعبة، وهي أخت ورقة بن نوفل(١)، فقالت: أين تذهب يا عبد الله؟! قال: مع أبي، قالت: هل لك [أن تأخذ] مثل الإبل التي نحرت عنك وتقع عليَّ الآن؟ قال: أنا مع أبي ولا أستطيع فراقه، فخرج به حتَّى أتى وهب بن عبد مناف وهو يومئذ سيِّد بني زهرة، فزوَّجه بنته آمنة، وهي يومئذٍ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، فزعموا أنه [دخل عليها مكانه] ووقع عليها مكانه فحملت المصطفى ﷺ، ثم أتى المرأة التي [كانت] عرضت نفسها عليه، فقالت له: لا حاجة لي بك، فارقك النُّور الذي كان معك بالأمس، وكانت تسمع من أخيها ورقة أنه كائن في هذه الأمة نبي(٢).

= وأخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١، ط: المعرفة) في تفسيره لسورة (ص)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٤) من حديث معاوية أنَّ أعرابيّاً قال للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين، فتبسَّم ولم ينكر عليه.

وفي «المستدرك» (٢/ ٥٥٩) عن الواقدي قوله: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى مَشَايِخَ الْحَدِيثِ قَبْلَنَا وَفِي سَائِرِ الْمُدُنِ الَّتِي طَلَبْنَا الْحَدِيثَ فِيها وَهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلُ وَقَاعِدَتُهُمْ فِيهِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ» إِذْ لَا خِلَافَ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَأَنَّ الذَّبِيحَ الْآخَرَ أَبُوهُ الْأَدْنَى عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

(١) ذكر السهيلي في «الروض» (١/ ٢٧٤) أن اسمها رفيعة، وقال: «ذكر البرقي عن هشام بن الكلبي: إنما مرَّ على امرأةٍ من خثعم، وفي غريب ابن قتيبة هي ليلى العدويَّة». وانظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص١١٧).

(٢) ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (١/ ١٥٦)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٨٩، ط: دار صادر).

وقد تعدَّدت القصة واختلفت مما يدل على اضطرابها، ونُقِل عن السيوطي قوله: «إنَّ إسنادها معضل». وانظر: ما ذكره د. أكرم العمري في «السِّيرة النبويَّة الصحيحة».

وتزوَّج آمنة وعمره ثلاثون، وقيل: خمس وعشرون(١).

[ولم يولد له ولا لآمنة غير المصطفى ﷺ]، ولم يشرك المصطفى في ولادته من أبويه أخ ولا أخت(٢)؛ لانتهاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه، ليكون مختصّاً بنسب جعله الله للنُّبوة غاية ولتمام الشرف نهاية.

عبد المطلب أبوه؛ أي: وأبو عبد الله هو عبد المطَّلب، مفتعل من الطلب(٣)، سُمِّي به لأنَّ أباه تزوَّج امرأة من بني النَّجَّار(٤)، بشرط أن لا تلد إلَّا في أهلها فولدته، فنشأ بالمدينة حتى ميَّز، فخرج أبوه إلى الشام فمات بغزَّة، فاحتمله المطَّلب من المدينة فدخل به مكة، فرآه الناس وهو مردفه، فقالوا: عبد المطلب، فغلب عليه، وقيل غير ذلك(٥).

وهو شيبة(٦) بالنصب مفعول مقدَّم.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/٢٨) وقال فيه: «تزوّجها عبد الله ابن عبد المطلب، وهو ابن ثلاثين سنة، وقيل: بل كان يومئذ ابن خمس وعشرين سنة»، ونقله عنه اليعمري في «عيون الأثر في المغازي والسير» (١/٧٧، ط: مكتبة دار التراث).

(٢) نقل ابن سعد في «الطبقات» (١/٩٨) عن الواقدي قال: «لم تلد آمنة ولا عبد الله غير رسول الله ﷺ». ونقله ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/٢٤٣)، وذكر ابن حزم ـ كما في «المورد» ـ أنه لا عقب لعبد الله غير النبي ﷺ.

(٣) «المورد العذب».

(٤) هي سلمى بنت عمرو بن زيد بن عدي بن النجار. ذكره موسى بن عقبة كما في «المورد».

(٥) انظر في هذا الخبر وغيره: «تاريخ الطبري» (٢/٢٤٨)، «البداية والنهاية» (٣/٣٥٥)، «المنتظم» (٢/٢٠٥، ٢٠٦).

(٦) يقصد أن عبد المطلب جد النبي ﷺ اسمه شيبة الحمد.

الحمد **نُسب**؛ أي: سُمّي؛ يعني: سمَّته أُمُّه بذلك لمَّا ولدته(١)، وأبوه غائب، وكان قد أوصاها به.

وقيل: إنَّما سمَّته بذلك؛ لأنَّه ولد وفي رأسه شيبة(٢)؛ أي: شعرة بيضاء، وكانت ترى في ذؤابته(٣)، وفي بعض نسخ النَّظم:

وهو ابن عبد اللَّه والأب انتسب لشيبة الحمد اسم عبد المطَّلب

وكنيته أبو الحارث باسم أكبر أولاده، ويقال: أبو البطحاء، وكان مَفْزَع قريش وشريفهم وملجأهم في المهمَّات، وموئلهم في النَّوائب والملمَّات، وفيه قال النَّاشي(٤):

وشيبة ذي الحمد الذي فخرت به قريش على أهل العلا والمناصب(٥)

وكان يُعرف فيه نور النُّبوَّة وهيبة الملك، وحرَّم [على نفسه] الخمر في الجاهليَّة(٦)، وكان يرفع من مائدته للطير والوحش في رؤوس الجبال، ومن ثمَّ كان يقال له: الفيَّاض، [ويقال له]: ومطعم طير

---

(١) وهو الصحيح كما قرره الحلبي في «المورد». وقال ابن قتيبة في «المعارف» (ص١١٧): إنَّ اسمه عامر.

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٤٦)، «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٥) وذكر فيه سبباً آخر لتسميته شيبة الحمد، فقال: «ويقال له: شَيْبَةُ الْحَمْدِ لِجُودِهِ».
وانظر: «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٢٠٥).

(٣) انظر: «الروض الأنف» (١/ ٢٣)، و«السبل» (١/ ٣٠٨).

(٤) عبد الله بن محمد أبو العباس الأنباري المعروف بابن شرشير الأنباري الناشي الشاعر المتكلم. قدم دمشق، وله كتب ينقض فيها كتاب المنطق واشعار في ذلك وكان شاعراً وله قصيدة على روي واحد وقافية واحدة تكون أربعة آلاف بيت، قال المرزباني وكان أبو العباس الناشئ متهوساً شديد الهوس وشعره كثير وهو مع كثرته قليل الفائدة. «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٣٨٦).

(٥) الأبيات بطولها في «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٣٤٩).

(٦) ذكره في «نور النبراس»، وقال: وقد فعل جماعة مثله.

السَّماء(١)، والشيخ الجليل صاحب الطير الأبابيل(٢).

وجعل باب الكعبة من ماله ذهباً، وكانت له السِّقاية(٣) والسِّدانة والحجابة والإفاضة [والندوة].

وكان يفوح منه رائحة المسك، و[كان] نور رسول الله ﷺ يضيء في غرَّته.

وكان مجاب الدعوة استسقى به قريش، فصعد على أبي قبيس ودعا فسقوا(٤).

وكان جسيماً أبيض أهدبَ [طويلاً] مقرون الحاجبين، سهل الخدَّين رقيق العرنين، فصيحاً مفوَّهاً، ما رآه أحد [قطُّ] إلا أحبَّه.

وهو الذي حفر [بئر] زمزم؛ بئر إسماعيل لرؤيا رآها، وكانت جرهم قد طمَّتها حين خرجت من مكة.

وهو أول من خضب بالسواد، وأول من تحنَّث بحراء، فكان إذا

---

(١) ورد في «المنتظم» (٣/ ٢٢): «قالَ: فَمِنْكُمْ شَيْبَةُ الْحَمْدِ [عَبْدُ الْمُطَّلِبِ] [٨] مُطْعِمُ طَيْرِ السَّمَاءِ الَّذِي كان وجهه يضيء في الليلة الظَّلْمَاءِ». وذكره ابن قتيبة كما في «المورد».

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥١)، قال ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٠٧): «وكان إِلَى عَبْد المطلب بعد هلاك عمه المطلب ما كان إِلَى من قبله من بني عَبْد مناف من أمر السقاية والرفادة، وشرف فِي قومه، وعظم خطره، فلم يكن يعدل به منهم أحد، وكان إذا أهل رمضان دخل حراء فبقي فيه طول الشهر، وكان يطعم المساكين، ويعظم الظلم، ويكثر الطواف بالبيت».
وقصة الطير الأبابيل مشهورة ولا تحتاج منا إلى تعريف.

(٣) في حاشية (غ): «السقاية ما تجعل فيه العرب زبيباً تضعه في الأوثان أيام الموسم يشرب منها».

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٨٩، ط: دار صادر) عن هشام بن الطلبي إلى رقيقة بنت أبي صيفي.

دخل رمضان صعد حراء فأقام فيه وأطعم المساكين، وكبر وعمي.

ومات بمكة وعمره مئة وعشرون سنة، [وقيل: خمس وتسعون](١)، ودفن بمكة بالحُجُون(٢)، وقيل: بالسُّواد(٣)، وقيل: بريمان(٤) من أرض عراق(٥).

وكان عمر النَّبي ﷺ حين ذاك ثمان سنين وشهرين، وقيل: ثلاث، وقيل غير ذلك.

وظاهر قول المصطفى ﷺ لعمِّه أبي طالب عند موته: «قل:

---

(١) «الروض» (١/ ٣١٤).

(٢) في حاشية (غ): «الحجون بضم الحاء والجيم، محل تدفن فيه العرب أمواتهم»، ووفاه عبد المطلب في الحجون ذكره ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١١٧)، وابن قتيبة كما في «المورد».

(٣) ذكره أبو القاسم ابن عساكر.

(٤) في حاشية (غ): «بموحدة فمثناة تحتيتين فألف فنون». اهـ. كذا وفاته أنْ يذكر الراء.
وفي «مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (٢/ ٦٤٩) قال: «ريمان: بفتح أوله، وسكون ثانيه: مخلاف باليمن، وقيل: قصر، وقيل: قرية لعبد القيس بالبحرين». اهـ.
وفي «معجم ما استعجم» للبكري (٢/ ٦٨٩): «ريمان: بفتح أوّله، وبالميم، على وزن فعلان: حصن حصين له باب واحد». اهـ. ثم ذكر عِدَّةَ أبياتٍ عن رَيْمان.
وفي «معجم البلدان» لياقوت (٣/ ١١٤): «رَيْمَانُ: بفتح أوّله، وسكون ثانيه، وآخره نون: مخلاف باليمن وقيل قصر...، وقرية بالبحرين لعبد القيس، وهو فعلان من الريم، وهو القبر والفضل والدّرجة والظّراب، وهو الجبال الصغار...، وقال الأزدي بن المعلّى: ريمان أرض بين بحران والفلج، فبحران لبني الحارث بن كعب والفلج يسكنه قوم من جعدة وقشير». اهـ. وذكر ما وَرَدَ فيها مِن أبياتٍ أيضاً.

(٥) ذكره أبو الحسن ابن الأثير في «الكامل» (١/ ٦١٨) كما في «المورد».

لا إلـٰه إلا الله، [أشهد لك بها] فكان آخر كلامه: على ملة عبد المطلّب؛ أنَّه مات كافراً.

وقول الحلبي(١): إنَّ في كلام المسعودي عن بعضهم: أنَّه أسلم، لما رأى من الدَّلالة على نبوَّة محمد ﷺ وأنَّه سيبعث(٢)؛ رُدَّ بما رواه النَّسائي والدَّارمي عن ابن عمرو: أنَّ المصطفى ﷺ قال لفاطمة وقد عزَّتْ قوماً من الأنصار: «**لعلَّكِ بلغتِ معهم الكُدَى؟**»(٣) ـ وفي رواية: بالرَّاء؛ أي: القبور ـ قالت: معاذ الله وقد سمعتُك تنهى عن ذلك، قال: «**أَمَا(٤) إنَّكِ لو بلغْتِ ذلك ما رأيتِ الجنَّةَ حتى يراها جَدُّ أبيكِ**»(٥)، لكن عدَّه ابن السَّكن(٦) في «الصَّحابة»؛ لكونه ذكر أنه سيبعث كبحيرا الرَّاهب.

وقال في «الإصابة» بعد أن أورد قصَّة امتحان(٧) أهل الفترة(٨) يوم القيامة: نرجو أن يدخل عبد المطلب وأهل بيته في جملة من يدخلها طائعاً فينجو.

[﴿٢٠﴾] **أبوه عمرو هاشم**؛ أي: وأبو عبد المطلب اسمه عَمرو،

---

(١) في «المورد العذب الهني شرح مختصر سيرة عبد الغني».

(٢) ذكره السهيلي عن المسعودي في «الروض» (١/ ٣١٤).

(٣) في حاشية (غ): «بضم الكاف». (٤) في حاشية (غ): «بتخفيف الميم».

(٥) أخرجه أحمد (٦٥٧٤)، وأبو داود (٣١٢٣)، والنسائي في «المجتبى» (٤/ ٣٢٧) و«الكبرى» (٢٠١٩)، كلّهم من طريق ربيعة بن سيف المعافري، عن أبي عبد الرحمٰن المعافري عن ابن عمرو، به. وقال أبو عبد الرحمٰن النسائي: ربيعة ضعيف.

(٦) نقله السهيلي في «الروض» (١/ ٣١٥) عن ابن السكن.

(٧) في حاشية (غ): «وهو أن يؤمر من وافى القيامة بدخول النار فمن أطاع دخل الجنة، ومن لا؛ لا يدخلها».

(٨) في حاشية (غ): «هم الذين لم تبلغهم الدعوة».

منقول(١) من: العَمْرِ - بالفتح - الذي هو العُمر - بالضم - أي: البقاء.

أو العَمْرِ الَّذي هو عُمُور الأسنان وهو ما بينها من اللحم.

أو من العَمَر الذي هو طرف الكم، يقال: سجد على عَمرته؛ أي: كمِّه.

ذكره السُّهيلي(٢) [أو وغير ذلك](٣).

ولقبه هاشم [لُقِّب به] لكونه أوَّل من هشم الثَّريد للحاج أيَّام الموسم(٤)، وقيل: لكونه هشمه لقومه في الجدب، وذلك أنَّه أصابهم قحط، فرحل إلى فلسطين(٥) فاشترى دقيقاً فقدم به مكة، فكان يأمر بالخبز، فيخبز ثم يهشمه ويصبُّ عليه المرق، فيصير ثريداً(٦) [في الجفان] فذلك أعمُّ لجماعتهم [وأسدُّ لخلَّتهم] وأستر لهم، حتى لا يعلم أحد قدر ما يأكل صاحبه من الخبز، وكان جواداً [سخيّاً] لا تنقطع الأضياف من بيته، وهو أول من سنَّ الرّحلتين(٧): رحلة الشِّتاء إلى

---

(١) في حاشية (غ): «اسم مفعول».

(٢) في حاشية (غ): «الروض الأنف» (١/ ٣١٥).

(٣) أو العَمْر الذي هو القرط «الروض الأنف» (١/ ٣١٥).
وزاد أبو حنيفة وجهاً خامساً فقال في العُمُر الذي هو اسم لنخل السكر؛ ويقال فيه عَمْراً أيضاً، قال: يجوز أن يكون أحد الوجوه التي بها سمي الرجل عَمْراً وقال: كابن أبي ليلى بعَسيب العُمْرِ. والعسيب هو جريد النخل. «الروض الأنف» (١/ ٣١٥).

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٢).

(٥) في حاشية (غ): «بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين المهملة».

(٦) في حاشية (غ): «المورد».

(٧) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٢)، وذكر الرشاطي في قصة طويلة، وقد ذكرها الصالحي في «السبل» (١/ ٣١٦) منسوبة للرشاطي.

الحبشة ورحلة الصَّيف إلى الشَّام، وله من الأخوة(١): المطَّلب وعبد شمس وتماضر وقلابة(٢).

ويقال: إنَّ هاشماً وعبد شمس توأمان، ولدا [وأنَّ أحدهما ولد قبل الآخر وهاشم الأول]، وأصبع أحدهما ملتصقة بجبهة صاحبه فنُحِّيت فسال الدَّم، فقالوا: يكون بينهما دم فكان كذلك(٣).

وَلِيَ هاشم بعد أبيه ما كان إليه من سقاية ورفادة وغيرهما، فحسده أُميَّة بن عبد شمس، فتنازعا وتنافرا على خمسين ناقةٍ سوداء الحدق تنحر بمكة، وعلى جلاء عشر سنين، وتحاكما إلى الكاهن الخزاعي جد عمرو بن الحَمِق(٤)، فقال الكاهن: والقمر الباهر والكوكب الزَّاهر، والغمام الماطر، وما بالجوِّ من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغابر، لقد سبق هاشم أميَّة إلى المآثر، أوَّل منها وآخر(٥).

فلمَّا قضى لهاشم أخذ الإبل فنحرها، وغاب أميَّة بالشَّام عن مكَّة عشر سنين، فكانت أوَّل عداوة وقعت بين هاشم وأميَّة(٦)، وقال

---

(١) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٨): «ولهم أخٌ خامس ليس بمشهور، وهو أبو عَمْرو، واسمُه: عَبْدٌ، وأصلُ اسمِهِ: عَبْدُ قُصَيٍّ، فقال الناسُ: عَبْدُ بن قُصَيٍّ. دَرَجَ ولا عَقِبَ لهُ. قاله الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ وغيرُه. وأخواتٌ سِتٌّ؛ وهُنَّ: تُمَاضِرُ وَحَيَّةُ وَرَيْطَةُ وَقِلَابَةُ وَأُمُّ الْأَخْثَمِ وَأُمُّ سُفْيَانَ، كلّ هؤلاء أولاد عبدِ مَنَافٍ».

(٢) الخبر في: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٢)، «المنتظم» (٢/ ٢١٣)، «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٧)، وفيهم جميعا أن أمهم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح الأسلميَّة.

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٢)، «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٧) وفيه: «فكانت وقعةُ بني العباس مع بني أُميةَ بن عَبْدِ شَمْسٍ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين ومائةٍ من الهجرة»، وانظر: «المنتظم» (٢/ ٢١١).

(٤) في حاشية (غ): «بضمّ الحاء وكسر اللام».

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٣)، «المنتظم» (٢/ ٢١٤).

(٦) في حاشية (غ): «المورد».

النَّاشي⁽¹⁾:

وهاشم الباني مشيد افتخاره بغرِّ المساعي وابتذال المواهب

وله من الأولاد⁽²⁾: نضْلة وبه كان يُكنى، وعبد المطَّلب ولا عقب له إلَّا منه، وأسد والد فاطمة بنت أسد أمِّ عليٍّ أمير المؤمنين رضي الله عنه.

وأبو صيفي، والشّفاء، وخلدة، ورقيَّة، وحيَّة⁽³⁾.

وكان أبيض جميلاً في جبهته نور كالهلال، لا يمرُّ بشيء إلَّا سجد له⁽⁴⁾، ولا يراه أحد إلَّا أقبل نحوه وقبَّله، وكان يقال له: البدر⁽⁵⁾ وقدح النَّظار، وسأله قيصر لمَّا وفد إلى الشَّام أن يزوِّجه بنته لما رأى في الإنجيل من صفته، وأنَّه يولد له ولد يكون نبيَّ هذه الأمة⁽⁶⁾.

ومات بغزَّه⁽⁷⁾ وله عشرون أو خمس وعشرون سنة.

---

(١) سبق التعريف به، وذكر مكان قصيدته.

(٢) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص٧١)، «السبل» (١/ ٣١٩).

(٣) بالحاء والمثناة التحتية الظاهرة في النسخ الخطية، وفي (م): «حنَّه» بنون. وفي «السُّبل» (١/ ٣١٩): «حبيبة» بموحدتين، وهذا النقل الأخير في «المورد».

(٤) هذه تحتاج إلى دليل وهي من الأمور التي تذكر في كتب السيرة دون نقد.

(٥) وكان يقال له ولأخيه المطلب: البدران لجمالهما. «المورد».

(٦) «السَّبل» (١/ ٣١٩).

(٧) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٣)، وفيه: «أول من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم، مات بغزة من أرض الشام، ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجياد، ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق، ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن، وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب»، وانظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٧)، «المنتظم» (٢/ ٢١٥)، واتفقا على ما قاله الطبري ولم يذكرا عمره حين توفي.
وفي «السبل» (١/ ٣٢٠) قال الصالحي: «مات هاشم بغزة وله عشرون سنة ويقال خمس وعشرون سنة».

والجد، عبد مناف(١)؛ أي: وجد عبد المطّلب هو عبد مناف، [مفعل] من أناف ينيف إنافة إذا ارتفع، والإنافة الإشراف والزيادة والعلو(٢)، وسُمِّي به؛ لطوله من قولهم: مئة ونيف؛ أي: شيء زائد على المئة، واسمه المغيرة منقول من الوصف؛ أي: إنَّه مغير على الأعداء أو من أغار الحبل، إذا أحكمه، ودخلته الهاء للمبالغة كما في علَّامة ونسَّابة، وجوَّز السُّهيلي كونها للتَّأنيث، ويكون منقولاً من وصف المؤنَّث(٣).

وروى ابن السِّراج في «تاريخه» من طريق الإمام أحمد [بن حنبل]، سمعت الشَّافعي يقول(٤): اسم عبد المطلب: شيبة، واسم هاشم: عمرو، واسم عبد مناف: المغيرة، واسم قُصي: زيد.

وكنيته أبو عبد شمس، وكان يقال له: قمر البطحاء لجماله، [وكان] سيِّداً معظَّماً مطاعاً في قريش، ومنه ثلاث بطون: بنو المطّلب [وهو الفيض] وبنو عبد شمس، وبنو نوفل أولاد عبد مناف.

وسبب تلقيبه بعبد مناف: أنَّ أمه أخدمته مناة، وكان صنماً عظيماً

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٤)، «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٨)، «المنتظم» (٢/ ٢١٨).

(٢) انظر: «الاشتقاق» لابن دريد (ص١٦).

(٣) «الروض الأنف» (١/ ٢٤).

(٤) الخبر في «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٢٨) منسوباً للشافعي، وفيه: «قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السَّرَّاجُ، قال: أخبرنا عُبَيْدُ اللهِ بن سعْد الزُّهْرِيُّ، قال: أخبرنا أحمدُ بن محمد بن حنبل، قال: سمعتُ الشافعيَّ يقول: اسمُ عبدِ الْمُطَّلِبِ: شَيْبَةُ بن هاشمٍ. وهاشمٌ: اسمُه عَمْرو بن عبدِ مَنَافٍ، وعَبْدُ مَنَافٍ: اسمُهُ الْمُغِيرَةُ بن قصيٍّ، وقصيٌّ: اسمُه زيد بن كِلاب بن مُرَّةَ بن كعب بن لُؤَيٍّ. قال: وسمعتُ الشافعي يقول: أبو طالبٍ: اسمُه عَبْدُ مَنَافِ بنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

لهم فسُمِّي عبد مناة، ثم نظر قصي فرآه يوافق عبد مناة بني كنانة، فحوَّله عبد مناف⁽¹⁾، وفيه قال النَّاشي⁽²⁾:

وعبد مناف وهو علَّم قومه اشتطاط الأماني واحتكام الرَّغائب

وكان أبوه يقول: لي أربعة بنين سمَّيت اثنين بالإهي عبد مناف وعبد العزَّى، وواحداً بداري، وهو عبد الدار، وواحداً بأبي وهو عبد قُصي. وروي أنه وجد كتاب بخطه في حجر فيه: أنَّ المغيرة بن قصي أمر بتقوى الله وصلة الرحم، ثم عبد مناف هو **ابن قُصي** بضم القاف والصَّاد المهملة بصيغة التصغير، لُقِّب به لأنه بَعُد عن قومه في بلاد قضاعة مع أمّه، ويلقَّب أيضاً مُجمِّعاً بضم الميم الأولى وشدّة الثَّانية وكسرها، [ويقال: إنَّه كان يقال لقريش: بنو النَّضر فلمَّا جمعهم قُصي سُمِّي مجمعاً] واسمه **زيد**⁽³⁾.

وقال الحلبي: في «عيون السِّير»⁽⁴⁾ يزيد بمثنَّاة أوله. ونقله الحاكم⁽⁵⁾ عن الشَّافعي.

وكنيته أبو المغيرة، ملَّكه قومه عليهم، فإنَّ أباه تزوّج أمَّة، فولدته في قومها، فهلك أبوه، فاحتملها أخوه وهو معها رضيع ـ وقيل: فطيم ـ

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٤)، «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٨)، «المنتظم» (٢/ ٢١٨).

(٢) تقدَّم التعريف به وبقصيدته وأماكن وجودها.

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٤)، «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٨)، «المنتظم» (٢/ ٢١٨).

(٤) في حاشية «المورد»: «وحكى المؤلّف عبد الغني في (عيون السِّير) له عن الشَّافعي أنّ اسم قصي يزيد».

(٥) أبو أحمد الحاكم، انظر: شرح الزرقاني على «المواهب» (١/ ١٤٠)، وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٢٧): «واسم قصي زيد، هذا هو الأكثر. وقد قيل يزيد».

فنقلها إلى مكة فنشأ بها، فملَّكوه عليهم، فكان أوَّل بني كعب أصاب ملكاً، وذلك أنَّ خزاعة تولَّت أمر البيت ثلاث مئة سنة إلى أن كان آخرهم رجل يدعى أبا غَيْشان وهو ابن عمرو بن لحي، وهو خال قُصي [أخو أمه] وكان في عقله شيء، فخدعه قصي فاشترى منه أمر البيت بزقِّ خمر وقعود، فضربت به العرب المثل، فقالت: أخسر صفقة من أبي غيشان⁽¹⁾.

فغلب قصي حينئذٍ على أمر البيت، وجمع بطون بني فهر وحارب خزاعة، حتَّى أخرجهم من مكَّة واستولى عليها، وفيه يقول الشَّاعر⁽²⁾:

أبوكم قُصي كان يُدعى مجمِّعاً   به جمع اللَّه القبائل من فِهْرِ

فكانت إليه الحجابة والسِّقاية والرِّفادة والنَّدْوة واللّواء، وحاز شرف مكة جميعاً، فسمِّي لذلك مجمِّعاً لجمعه لقومه، واجتماعهم عليه، ولم يكن إذ ذاك بمكة بيوت، بل كانوا يكونون بها فإذا أمسوا خرجوا إلى الحل خوفاً أن يصيبوا في الحرم جناية، فقال قصي لقومه وكان أدهى العرب: هل لكم أن تصبحوا حول البيت فلا تستحلَّ العرب قتالكم، ولا يستطيعون إخراجكم فتسودوا ففعلوا.

وكان أمره في قومه كالدِّين⁽³⁾ المتبع في حياته وبعد مماته، وبنى دار الندوة، وجعل بابها في المسجد، فكان لا يعقد نكاح في قريش ولا يتشاور في حربٍ ولا أَمْرٍ إلَّا فيها⁽⁴⁾؛ برأيه.

وهو أوَّل من سقى اللبن بمكة، وأوَّل من احتفر بالأبطح سقاية يشرب منها الحاج والنَّاس، وهي في دار أمِّ هانئ، وجمع قومه فقال:

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٦)، «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٨)، «المنتظم» (٢/ ٢١٩).

(٢) قاله حذافة بن غانم العدوي لأبي لهب. «الطبقات» (١/ ٧١).

(٣) في (م): «النبي».

(٤) يعني: في دار الندوة.

يا معشر قريش إنَّكم جيران بيت الله وأهل حرمه، وإنَّ الحجاج زوَّار بيت الله وأضيافه، فهم أحق الأضياف بالإكرام، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيَّام الحج حتَّى يصدروا، ولو كان لي متَّسع لذلك قمت به دونكم، ففرض على قريش خَرْجاً تخرجه من مالها فتدفعه له، فيصنع به طعاماً وشراباً [ولبناً] للحاج بمنى وعرفة.

وهو أول من أحدث وقود النَّار بمزدلفة ليراها من دفع من عرفة.

ومن كلامه: من عظَّم لئيماً فقد شاركه في لؤمه، ومن استحسن مستقبحاً شركه فيه، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان، ومن طلب فوق قدره استحقَّ الحرمان(١). والعيُّ عيَّان: عيُّ إفحام، وعيُّ منطق، والحسود العدو الخفي، وفيه قال النَّاشي:

وإنَّ قُصيّاً من كرام غراسه لفي منهل لم يدن من كفِّ قاضبِ

ولم يزل مُطْلَقاً [مطاعاً] في قومه حتى مات، ودفن بالحجون(٢)، فتدافن الناس به بعده فيه، وكانوا يزورون قبره ويعظِّمونه ويتبرَّكون به.

وهو [﴿٢١﴾] **ابن كلاب** بكسر الكاف وخفَّة اللام.

قال السهيلي(٣): منقول من المصدر الذي بمعنى المكالبة، تقول: كالبت فلاناً مكالبة وكلاباً، أو هو بلفظه جمع كلب، لُقِّب به لمحبته كلاب الصَّيد، فكان يجمعها لذلك، فإذا مرَّ بقوم بكلابه قالوا: هذه كلاب ابن مرَّة(٤)، فبقي عليه هذا اللَّقب.

---

(١) انظر: «الطبقات» (١/ ٧١). (٢) «الطبقات» (١/ ٥٥).

(٣) «الروض الأنف» (١/ ٢٥) وفيه: «وأما كلاب فهو منقول: إما من المصدر الذي هو معنى المكالبة نحو: كالبتُ العدو مكالبة وكلاباً، وإما من الكلاب جمع كلب؛ لأنهم يريدون الكثرة، كما سموا بسباع وأنمار».

(٤) نقله في «المورد»، و«الفتح» (٧/ ١٦٣).

وقيل لأبي الدُّقَيْش⁽¹⁾: لم تُسمُّون أبناءكم بشرِّ الأسماء نحو كلبٍ وذئبٍ وعبيدكم بأحسن الأسماء كمرزوق ورباح؟ قال: نُسمِّي⁽²⁾ أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا؛ أي: أنَّ⁽³⁾ الأبناء عُدَّة للأعداء وسهام في نحورهم⁽⁴⁾.

وكان الرجل إذا تحارَب مع أكفائه يقول لولده: اخرج يا كلب أو يا سباع أو يا نمر أو يا علقمة أو غير ذلك، وقيل: إنما سمَّوا به لدفع

---

(١) في «الروض الأنف»: «الرقيش الكلابي الأعرابي» بالراء بدلاً من «الدقيش»، والصواب الدقيش بالدال المهملة، فقد ورد كذلك أيضا في «السبل» (١/ ٣٢٦)، والله أعلم.

(٢) في «الروض الأنف»: «إنما نسمي» بدلاً من «نسمي».

(٣) في «الروض الأنف»: «يريد أن» بدلاً من «أي: أن».

(٤) وفي «الاشتقاق» لابن دريد (ص٥، ت: عبد السلام هارون): «واعلمْ أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها، فمنها ما سمَّوه تفاؤلاً على أعدائهم نحو غالب، وغَلّاب، وظالم، وعارم، ومُنازِل، ومقاتل، ومُعارِك، وثابت، ونحو ذلك. وسمَّوْا في مثل هذا الباب: مُسهِراً، ومُؤرِّقا، ومصبِّحا، ومنبِّها، وطارقاً.

ومنها ما تفاءلوا به للأبناء نحو: نائل، ووائل، وناجٍ، ومُدرِك، ودَرَّاك، وسالم، وسُلَيم، ومالك، وعامر، وسعد، وسَعِيد، ومَسْعَدة، وأسعَد، وما أشبه ذلك.

ومنها ما سمِّي بالسِّباع ترهيباً لأعدائهم: نحو: أسد، وليث، وفرَّاس، وذِئب، وسِيد، وعَمَلَّس، وضِرغام، وما أشبه ذلك.

ومنها ما سمِّي بما غلُظ وخشُن من الشّجَر تفاؤلاً أيضاً نحو: طلحة، وسَمُرة، وسَلَمة، وقَتَادة، وهَراسة، كلُّ ذلك شجرٌ له شوكٌ، وعِضاهٌ.

ومنها ما سمي بما غُلظ من الأرض وخشُن لمسُه وموطِئُه، مثل حَجَر وحُجَير، وصَخْر وفِهر، وجَندل وجرْوَل، وحَزْن وحَزْم». اهـ.

وذكر ابن دريد غير ذلك، وقد تناول مذاهب العرب في تسمية أبنائهم الجاحظ في كتابه «الحيوان» فانظره إن أردته.

العين[١].

وكنيته أبو زُهْرة[٢]، واسمه حكيم كما [فسَّره] النَّاظم بقوله: **أي** بسكون الياء **حكيم**.

وقيل[٣]: حكيمه، وقيل: عروة[٤]، وقيل غير ذلك.

وذكر ابن سعد: أنَ اسمه المهذَّب[٥].

وقوله: **يا أخي**[٦] حشو كمَّل به الوزن، وفيه يقول الشَّاعر:

حكيم بن مُرَّة ساد الورى ... ببذل النوال وكفِّ الأذى

وهو أوَّل من جعل في الكعبة السَّيوف المحلَّاة بذهب وفضة، ومنه بطن واحدة سوى عمود النَّسب، وهم بنو زهرة[٧].

وفيه قال الناشي:

وحلَّ كلابٌ من ذُرى المجد مَعْقلاً ... تقاصَرَ عنه كلُّ دانٍ وغازب[٨]

وهو ابن مُرَّة بضم الميم وشدَّة الرَّاء، منقول من وصف الحنظلة والعلقمة، [وكثيراً ما يسمون بهما]، وجوَّز السُّهيلي[٩] كون الهاء للمبالغة، فيكون من الوصف بالمرارة.

---

(١) قاله ابن دحية، كما في «السبل» (١/ ٣٢٦).

(٢) «السبل» (١/ ٣٢٧). (٣) «السبل» (١/ ٣٢٧).

(٤) «الإشارة» (ص٥١) لمغلطاي.

(٥) حكاه ابن حجر عن ابن سعد في «الفتح» (٧/ ١٦٣)، ولم أقف عليه في مطبوع «الطبقات».

(٦) حاشية النسخة (م): وأصله أُخيّو، فالواو لام الفعل فلما اجتمعت الياء والواو، وسقطت إحديهما السكون قلبت الواو ياءً وأدغمت في ياء التصغير.

(٧) «السبل» (١/ ٣٢٧).

(٨) كذا في (غ)، ولعل الصواب: «وغائب».

(٩) «الروض» للسهيلي (١/ ٢٦).

وقيل(١): مأخوذ من القُوَّة والشّدَّة، قال تعالى في وصف جبريل: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم]؛ أي: ذو قوّة، ويقال: أَمِر الشّيء إذا أَحْكَمَ صَنْعَتَهُ.

وكنيته أبو يقظة(٢) بفتح القاف والظَّاء المعجمة، وفيه قال النَّاشي:

ومُـرَّة لـم يَـحْـلُـل مـريـرة عـزْمـه   سفاه سفيه أو محوبة(٣) حائب

ابن كعب من الكعب الذي هو قطعة من السَّمن، وهي الكتلة الجامدة في الوعاء، سُمِّي به للينه لقومه وستره عليهم، ومنه قول عائشة ﵂: وكان يهدي لنا كعب إهالة فنفرح به؛ أي: قطعة سمن [أو دهن]، أو من كعب القنا(٤) كما قاله ابن دريد(٥).

أو من كعب القدم وهو كما قال السُّهيلي(٦): أشبه؛ لقولهم ثبت ثبوت الكعب.

ولهذا اقتصر عليه جمع فقالوا: من كعب الإنسان، وهو ما أشرف وارتفع فوق رسغه، سُمِّي به لارتفاعه على قومه وعلوِّه عليهم وشرفه

---

(١) «الاشتقاق» لابن دريد (ص٢٢، ٢٣)، «ومُرّة: اسم شجرةٍ. والمُرار أيضاً: شجرٌ، الواحدة مُرارة»، وفيه أيضاً: «ومِرَّة الإنسان: قُوَّته. وقال النبي ﷺ: «**لا تحِلُّ الصدقة لغنِيٍّ، ولا لذي مِرَّة سَوِيٍّ**». ويقال: استمرَّ مريرُ فلانٍ على كذا وكذا؛ أي: جَدَّ فيه».

(٢) انظر: «السبل» (١/ ٣٢٨).

(٣) جاء في (غ): فوق كلمة محوبة تعليق نصه: «بالباء الموحدة».

(٤) في حاشية (غ): «. . . .» كلمة أو جملة غير واضحة.

(٥) «الاشتقاق» لابن دريد (ص٢٣).

(٦) «الروض الأنف» (١/ ٢٦)، وكذا قال ابن دريد في «الاشتقاق» (ص٢٣) ولكن اقتصر المؤلف على ما ذكره السهيلي.

فيهم، وكنيته أبو هُصيص(١) ـ بمهملتين مصغراً ـ والهصُّ شدَّة الوطي أو الغمز والقبض، وفيه قال النَّاشي:

وكعبٌ على عن طالب المجد كعبُه فنال بأعلى السَّعي أعلى المراتب

ومنه بطنان غير عمود النَّسب، وهما بنو عدي، ومنهم: عمرو سعيد بن زيد، ومنهم بنو جمح(٢) وبنو سهم، وكان عظيم القدر عند العرب فلذلك أرَّخوا بموته إلى عام الفيل، ثم أرَّخوا بالفيل وبين موته والفيل مئة وعشرون سنة، وكانت العرب تُسمِّي يوم الجمعة يوم العروبة.

قال السهيلي عن بعضهم(٣): ومعنى العروبة الرحمة، وأول من سمَّاها الجمعة كعب لاجتماع قريش فيه، فكان يخطب بهم فيه ويعظهم ويذكِّرهم ويخبرهم بأنَّه سيبعث فيهم نبي من ذرِّيته ويأمرهم باتباعه، كذا ذكره بعضهم(٤) واقتفاه ابن الهائم.

لكن قال ابن حزم: إنَّ يوم الجمعة إسلاميٌّ لم يكن في الجاهلية؛ وأيَّده في «المزهر» بما في تفسير عبد بن حميد عن ابن سيرين، قال: جمَّع أهل المدينة قبل هجرة المصطفى ﷺ، وهم الذين سمَّوها الجمعة(٥).

وقد يقال: إنَّ كعباً سمَّاها به، ثم هُجر ذلك لطول العهد، وإكباب العرب على عبادة الأوثان، فلمَّا جاء الإسلام سُمِّيت فيه بذلك بعد ما كان نُسي.

---

(١) «السبل» (١/ ٣٢٨). (٢) في (غ): «الجمح».

(٣) «الروض الأنف» (١/ ٢٦).

(٤) ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٩)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٢٤، ٢٢٥).

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٣٥٣)، وصحَّح إسناده الصالحي في «السُّبُل» (١/ ٣٢٩).

وهو أوَّل من قال: أمَّا بعد، فكان يقول: أما بعد فاسمعوا وافهموا حرمكم عظِّموه وتمسَّكوا به، واستقيموا وسيأتي له نبأٌ عظيم، وسيخرج منه نبيٌّ كريم، وينشد(١):

يا لَيْتَني شَاهِدٌ فَحواءَ دَعْوتهِ   إذا قريشٌ تبغِّي الحقَّ خِذْلانا

ابن لؤي بضمِّ اللام، وبالهمز وتركه، والهمز كما قال النَّووي(٢): أكثر.

وقال الجيَّاني(٣): تصغير لأي؛ وهو الثور الوحشي(٤).

وقال السُّهيلي(٥): [وهو] عندي أنّه تصغير لأي [بوزن عبد]، وهو

---

(١) «الروض» (١/ ٢٦)، «السُّبُل» (١/ ٣٣٠).

(٢) «تحرير ألفاظ التنبيه» للنووي (ص٣٠) وكذا في مخطوطه (ق/ ٣/ ب) مخطوط الأزهرية.

وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٤٧): «ولُؤَيُّ بن غالب: أبو قريش. ابن السِّكِّيت وغيره: هو عامر بن لؤيّ، بالهمز. وعوام الناس لا يَهْمزون».

(٣) أبو ذَرٍّ مُصْعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله الخُشَنِيُّ، الأندلسي، الجَيَّانِيُّ، النَّحْوِيُّ، اللُّغويُّ، العلامة، إمام النحو، وحامل لواء العربية بالأندلس، وصاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، وَلِيَ خطابة إشبيلية مدة ثم قضاء جَيَّان، ثم تحوَّل إلى فاس ومات بها في شوال سنة أربع وستمائة، وله سبعون سنة، وهو المعروف بابن أبي رُكَبٍ، له مصنف في شرح غريب السيرة لابن إسحاق. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٧٧)، «تاريخ الإسلام» (٤٣/ ١٦٣)، «العبر في خبر من غبر» (٥/ ١١). وقد اختُلِف في ضبط «رُكَبٍ» فضبطها الذهبي في «تاريخ الإسلام» بقوله: «جمع رُكْبَة»؛ يعني: بالضم، بينما ضبطها الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٩/ ١٣٤) في ترجمة عمه إسماعيل بن مسعود الخشني بـ «بفتح الراء وسكون الكاف». ولعل ما ذكره الذهبي أولى، والعلم عند الله تعالى.

(٤) انظر: «الروض الأنف» (١/ ٢٧)، «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٣٠) ففيهما منسوب للجياني.

(٥) «الروض» (١/ ٢٧).

البطء نقيض العجلة؛ كأنهم يريدون معنى الإناة وعدم العجلة.

قال ابن حجر(١): ويؤيِّده قوله:

فَدُونَكُمُ بنو لأيٍ أخاكم   فَدُونَكِ مالكاً يَا أُمَّ عَمْرِو

وهذا قد ذكره ابن الأنباري(٢) أيضاً.

وقال ابن دريد(٣) كالأصمعي: هو تصغير لواء الجيش زيدت فيه همزة. وأمّه عاتكة بنت مخلد بن النضر [بن كنانة](٤)، إحدى العواتك(٥) اللّاتي ولدن المصطفى ﷺ، وكنيته أبو كعب، وفيه قال النَّاشي:

وألوى لؤيٌّ بالعداة فطُوِّعت   لهم همم الشُّمُّ الأنوف الأغالب

لمَّا شبَّ لؤي قال لأبيه: يا أبة من ربَّ معروفه قلَّ خلافه ونَضَر ماؤه، ومن أخلقه أخمله، وإذا أخمل الشّيء لم يذكر، فقال له أبوه: إني

---

(١) «الفتح» (٧/ ١٦٣)، والبيت من قصيدة لأبي أسامة كما في «الروض» (١/ ٢٧).

(٢) في «الزاهر في معاني كلمات الناس» (٢/ ١٣١، ط: مؤسسة الرسالة) ونقله عنه السهيلي في «الروض» (١/ ٢٧).

وابن الأنباري هو: عبد الله بن محمد أبو العباس الانباري المعروف بابن شرشير الأنباري الناشي الشاعر المتكلم.

(٣) في «الاشتقاق» (ص٢٤).

ومما يلاحظ هنا أن ابن دُريد قد ذكر اشتقاق (لَأي) في موضع آخر مِن «الاشتقاق» (ص٢٥٦) مِن البُطْءِ واحتج بقول الشاعر:

فَلَأْياً بِلَأْيٍ ما حَمَلْنا وَلِيدَنا.

وهذا الشاعر المذكور في الموضع الثاني: هو نفسه امرئ القيس.

(٤) ما بين المعقوفتين طُمِسَ في (غ).

(٥) في حاشية (غ): «العواتك: اسم كل واحدة منهن عاتكة».

لأستدلَّ بما أسمع منك على فضلك، وأستدعي لك به الطَّوْل على قومك، فإن ظفرت بطول فَعُدْ على قومك بفضلك، وكُفَّ غَرْبِ جهلهم بحلمك، ولُمَّ شعثهم برفقك، فإنّما تفضل الرجالُ الرجالَ بأفعالها ومن قايسها على أوزانها أسقط الفضل، ولم تعل به درجة على أحد، وللعليا أبداً على السُّفلى الفضل(١).

وله(٢) من الأولاد: كعب وعامر وأسامة(٣).

[﴿٢٢﴾] **وهو ابن غالب** من الغلب أو الغلبة، يقال: غلبتُ غلباً فأنا غالب.

وكنيته أبو تيم. وله من الأولاد: لؤي وتيم ويقال له: الأدرم(٤) لكون أحد لحييه كان أنقص من الآخر، وكان كاهناً، وفيه قال [النَّاشي]:

وفي غالب بأسٌ أبى الناس دونهم ... يُدافع عنهم كُلَّ قرنٍ مغالب

وبنو الأدرم من أعراب قريش ليس بمكَّة منهم أحد، ومنهم أبو(٥) خطل

---

(١) ذكره البلاذري؛ كما في «السبل» (١/ ٣٣١).

(٢) قال ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٢٥): «وله أخوان من أبيه وأمه: تيم وقيس».

(٣) وفي «السبل» (٣٣٠، ٣٣١): «وكان له من الذكور سبعة: كعب المكنى به وعامر رهط سهيل بن عمرو وهما صريحاً لؤي. وسامة بسين مهملة بلا ألف قبلها وأمهم ماوية. وهم بنو ناجية في عمان وخزيمة بن لؤي بطن هم عائذة قريش، وسعد بن لؤي بطن وهم بنانه بموحدة مضمومة ونونين، والحارث وهم جشم، كان جشم عبداً للؤي حضنه فغلب عليه» ويؤيده ما جاء في «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٣٥٩)، حيث قال: «وَهُوَ أَخُو عَامِرٍ وَسَامَةَ وَخُزَيْمَةَ وَسَعْدٍ وَالْحَارِثِ وَعَوْفٍ، سَبْعَتُهُمْ أَبْنَاءُ لُؤَيٍّ أَخِي تَيْمِ الْأَدْرَمِ».

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦٢). وقاله ابن قتيبة أيضاً كما في «المورد». وانظر في غالب: «السبل» (١/ ٣٣١).

(٥) في (غ): «ومنه ابن»، وفي (م): «ابن».

وعمه عبد العزَّى أي: وغالب هو **ابن فهر** ـ بكسر الفاء وسكون الهاء ـ من قولهم: فاهَرَ الرجلُ المرأة [إذا] جامعها، فإذا قارب الإنزال تحوَّل إلى غيرها فأنزل فيها(١).

وقال ابن دريد(٢): الفهر الحجر الأملس يملأ الكف وهو مؤنث.

وقال الأصمعي: أخطأ من أنَّثه(٣).

وقال السُّهيلي(٤): الفهر من الحجارة الطويل.

واسمه قريش. نقل الزُّهري عن الزُّبير(٥): إنَّ أمَّه سمَّته بقريش وسمَّاه أبوه فهراً، وقيل: بالعكس(٦).

قال ابن دحية: وفي تسميته قريش وأوَّل من تسمَّى به عشرون قولاً(٧).

وكان فهر رئيس النَّاس بمكة وإليه يرجع الحلُّ والعقد(٨)، وفيه قال النَّاشي:

وكانت لفهرٍ في قريشٍ خطابة ... يعود بها عند استجار المخاطب

ولمَّا احتضر قال لولده: يا بني إنَّ في الحذر إقلاق النفوس قبل المصائب، وإذا وقعت المصيبة بَرَدَ حرُّها، وإنما القلق في غليانها، فإذا

---

(١) قاله أبو القاسم الزجاجي، كما في «المورد».

(٢) «الاشتقاق» لابن دريد (١/ ٢٥ ت: هارون).

(٣) انظر: «السبل» (١/ ٣٣١). (٤) «الروض» (١/ ٢٨).

(٥) هو الزبير بن بكار بن أحمد بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي. له كتاب «نسب قريش»، وهو كتاب كبير نفيس «سير» (١٢/ ٣١٢).

(٦) لم أقف عليه في «جمهرة النسب» له، لكني وجدت قول مصعب في كتابه «نسب قريش» (١/ ١٢) حيث قال: «فولد مالك بن النضر فهرا وهو قريش».

(٧) ذكره في «المورد».

(٨) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦٣)، «المنتظم» (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧).

أنا متُّ فبرِّد حرَّ مصيبتك بما ترى من وقع المنيَّة أمامك وخلفك، وعن يمينك وشمالك، وبما ترى من آثارها [في محيا الحياة]، ثم اقتصر على قليلك وإنْ قلَّت منفعته، فقليل ما في يدك أغنى لك من كثير ما أَخْلَقَ وجهكَ وإنْ صار إليك. والسَّلام.

وهو ابن مالك اسم فاعل من مّلّك يملِّك فهو مالك، وجمعه مُلَّاك ومُلَّك، وكنيته أبو الحارث(١).

قال ابن قتيبة(٢): والنَّضر أبو مالك والصَّلت(٣)، أمَّا الصلت، فصار(٤) إلى اليمن ويقال: إنه أبو خزاعة، ورجعت قريش إلى مالك(٥) فهو أبوها كلها.

ولا فخذ للنضر إلَّا فهر [لا غير] لم يلد غيره.

وأمُّه: عاتكة بنت عدوان(٦) وهو الحارث بن عمرو بن قيس غيلان(٧)، وفيه قال النَّاشي:

وما زال [فيهم](٨) مالكٌ خير مالك وأكرمَ مصحوب وأمجدَ صاحب

ومن حكمه: رُبَّ صورةٍ تخالف المخبر قد غُرَّت بجمالها، واختُبر قبيح فعالها، فاحذر الصورة واطلب الخبر(٩).

أي: **ابن النضر** بفتح النّون وسكون المعجمة، واسمه قيس(١٠)

---

(١) «السبل» (١/ ٣٣٥). (٢) «المعارف» (ص٦٧).

(٣) في «المعارف»: «فهو أبو قريش وولده مالك والصلت» بدلاً من «والنَّضر أبو مالك والصَّلت».

(٤) في «المعارف»: «فصاروا» بدلاً من «فصار».

(٥) في «المعارف»: «مالك بن النضر» بدلاً من «مالك».

(٦) في (ج) و(م): «غزوان».

(٧) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦٢)، «المنتظم» (٢/ ٢٢٥).

(٨) سقطت من (غ). (٩) «السبل» (١/ ٣٣٥).

(١٠) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦٥)، «المنتظم» (٢/ ٢٢٧)، و«السبل» (١/ ٣٣٥).

ولُقِّب به لنضارة وجهه وجماله وإشراق لونه، والنَّضر والنُّضارة الذهب الأحمر⁽¹⁾، وكنيته أبو مخلد.

ولا عقب له إلا من مالك⁽²⁾، وفيه قال النَّاشي:

وللنضر طَوْدٌ يقصر الطرف دونه بحيث التقى ضوء النجوم الثواقب

وأمُّ النضر برَّة بنت مر بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر أخت تميم⁽³⁾، خلف عليها بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر، وكان ذلك مباحاً في الجاهلية إذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها، [فنهى الله عنه بقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية [النساء: ٢٢]].

قال الكلاعي⁽⁴⁾ وغيره: ويقال: إنَّ برَّة هذه لمَّا أُهديت أولاً لخزيمة، قالت له: رأيت كأني ولدت غلامين، فإذا أحدهما أسد يزأر والآخر قمر ينير، فأتى كاهناً فقصَّ [عليه]، فقال: لتلدنَّ منك غلاماً يكون لولده قلوب باسلة، ثم تموت عنها فيخلف عليها ابنك، فتلد منه غلاماً، يكون لولده عدل وعدد، وقروم⁽⁵⁾ مجد وعز إلى آخر الأبد.

قال السُّهيلي⁽⁶⁾ ـ كابن العربي ـ: وكان [ذلك] مباحاً [في

---

(١) «شرح السيرة» للخشني (١/ ٣)، «الاشتقاق» لابن دريد (ص٢٧).

(٢) «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٣٥).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦٥)، «المنتظم» (٢/ ٢٢٧)

(٤) هو سليمان بن موسى بن سالم، أبو الربيع بن الكلاعي. توفي سنة (٦٣٤هـ)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٢٠٩).

(٥) قروم: قال في «الجمهرة»: «القرم من الإبل: الفحل لم يذلَّل بخطم ولا حمل ولازم وهو المقْرَم أيضاً والجمع قروم ومقارم وكثر ذلك حتى سمّى سيّدم القوم: قرْماً». «جمهرة اللغة» لابن دريد.

(٦) «الروض الأنف» (١/ ٣٨٠).

الجاهلية][1] بشرع متقدم، فنهى الله [تعالى] عنه بقوله: ﴿وَلَا[2] تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾ [النساء: ٢٢]؛ أي: إلّا ما كان من تحليل ذلك قبل الإسلام.

وفائدة الاستثناء: أنْ لا يعاب [نسب المصطفى ﷺ]، وليعلم أنَّه لم يكن في أجداده بغي[3]، ألا ترى أنَّه لم يقل في شيء من القرآن نهى عنه ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾، [نحو ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ [الإسراء: ٣٢] ولم يقل إلَّا ما قد سلف، ولا في شيء من المعاصي] إلَّا في هذه الآية، وفي الجمع بين الأختين؛ لأنه كان مباحاً وقد جمع يعقوب [عليه السلام] بين راحيل وأختها[4].

وقال الحلبي[5]: [و]قد تفكرت في ذلك ووقوعه في نسب المصطفى ﷺ، مع قوله [في حديث الطَّبراني]: **«ما ولدني من سفاح أهل الجاهليَّة شيء، [ما ولدني إلَّا نكاح كنكاح الإسلام»]**[6].

وقول [ابن][7] الكلبي[8]: كتبت للمصطفى ﷺ خمس مئة أم؛ أي: من قبل أبويه، فلم أجد فيها شيئاً ممَّا كان في الجاهليَّة؛ ثم رأيت[9]

---

[1] مضروب عليه في (غ).

[2] في (غ): «لا».

[3] في «السبل» (١/ ٣٣٥): «بغيّة».

[4] «الروض الأنف» (١/ ٣٨٠).

[5] في «المورد»: (مخطوط) أسأل الله عز وجل نشره قريباً بإذن الله عز وجل.

[6] أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٨١٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ١٩٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣/ ٤٠٠) من طريق المدني عن أبي الحويرث عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو حديثٌ حَسَنٌ مشهورٌ له طرق كثيرة، قام بتخريجها والكلام عليها مطولا الشيخ الألباني رحمه الله في «إرواء الغليل» (١٩١٤).

[7] سقطت من (غ).

[8] لم أقف عليه في كتاب «جمهر أنساب قريش» لابن الكلبي، لكنني وجدته منسوباً له في «نهاية الأرب» (١٦/ ١٢).

[9] القائل هنا هو القطب الحلبي.

الجاحظ(١) ذكر في كتاب «الأصنام»(٢) قال: خلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد موته وهي برَّة بنت أد بن [طابخة بن] إلياس بن النضر، وهي أمُّ النضر بن الهون بن خزيمة، ولم تلد لكنانة [ولداً] ذكراً ولا أنثى، لكن كانت بنت أخيها برَّة بنت مُرد(٣) بن أُد بن طابخة عند كنانة بن خزيمة، فولدت له النَّضر فاشتبها لاتّفاق الاسم، فغلط فيه كثيرون(٤).

قال في «المزهر»: وهذا هو الصّواب(٥).

[**﴿٢٣﴾**] **وأبه** بضم الموحدة والهاء على لغة النَّقص؛ كقوله:

بأبه اقتدى عدي في الكرم ... ومن يشابه أبهُ فما ظلم(٦)

---

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. توفي سنة (٢٥٥هـ). له تصانيف كثيرة. «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٧٠)، «الأعلام» (٥/ ٧٤).

(٢) لم أقف عليه مطبوعاً والله أعلم.

(٣) كتب في هامش النسخة (غ) و(ج): «مرداد»، وفي (م): «مر بن أُد». وفي (م): «مره زاد».

(٤) قال في «المورد»: (مخطوط): «وهذا الذي عليه مشايخنا، وأهل العلم والثَّبت. قال: ومعاذ الله أن يكون أصاب رسول الله ﷺ مقت نكاح».

(٥) قال الصالحي في «السُّبُل» (١/ ٣٣٧): وما ذكره الجاحظ من النَّفائس التي يُرحل إليها.. والسهيلي رحمه الله تعالى تبع في ذلك الزبير، والزبير كأنّه تبع الكلبي، والكلبي ذكر ذلك كما نقله عنه البلاذري، والكلبي متروك، ولو نقل ذلك ثقة لم يُقبل قوله في ذلك لبعد الزمان وعدم المشاهدة، ومخالفة الأحاديث السابقة في طهارة نسبه ﷺ. اهـ.

(٦) انظر: «شرح ابن عقيل» (١/ ٤٦، دار القلم).

كنانةُ(١) بكسر الكاف ونونين خفيفتين **ما أبركه** **سُمِّي** كنانة؛ **لأنه** كان ستراً، على قومه كالكنانة؛ أي: الجعبة السَّاترة للسِّهام.

وكان شيخاً مسنّاً عظيم القدر، تحجّ إليه العرب لعلمه وفضله وكان يخطب ويقول: قد آن خروج نبي بمكة يُدعى أحمد، يدعو إلى الله وإلى البرِّ والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتَّبعوه تزدادوا شرفاً إلى شرفكم وعزّاً إلى عزِّكم(٢).

وكان كريماً جواداً لا يأكل وحده حتَّى إنَّه إذا فقد من يواكله وضع بين يديه حجراً فيأكل لقمة ويُلقي عليه لقمة أنفة أن يأكل وحده، وفيه قال النَّاشي:

لعمري لقد أبدى كنانة قبله ... محاسن تأبى أن تُطَوَّعْ لغالب

ومن بني كنانة غير عمود النسب خمس(٣) قبائل: بنو عبد مناة بن كنانة، وبنو عمرو بن كنانة، وبنو عامر بن كنانة، وبنو مَلكان بن كنانة، [وبنو مالك بن كنانة].

وقال في الفتح(٤): وإلى النّضر تنتهي أنساب قريش، وإلى كنانة تنتهي أنساب أهل الحجاز كما أشار إليه ﷺ في حديث مسلم بقوله: «**إنَّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»(٥).

والده خزيمة(٦) مصغر خزمة بفتح المعجمة وسكون الزَّاي، المرَّة

---

(١) انظر: «الاشتقاق» لابن دريد (ص٢٨).

(٢) من قوله: وكان شيخاً مسناً.. إلى هنا. ذكره في «السبل» (١/ ٣٣٨). وعزاه لأبي الحسن سلام بن عبد الله الإشبيلي.

(٣) في (غ): «أربع»، وفي «المورد» عن الجوَّاني: خمس.

(٤) «الفتح» (٦/ ٥٢٩، دار الفكر).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٠٢) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٦) انظر: «الاشتقاق» (ص٢٩).

الواحدة من الخزم، وهي شدُّ الشَّيء، وإصلاحه(١)، أو من خزمته فهو مخزوم إذا أدخلت في أنفه الخزام، ذكره الزجاجي(٢).

ولهذا قال بعضهم(٣): هو من الخزامة وهي البرَّة في أنف الناقة يُشدُّ بها الزِّمام(٤)، وكنيته أبو أسد.

وفيه قال النَّاشي:

ومن قبله أبقى خُزيمةُ حمده تليد تراثٍ عن حميد الأقارب

وهو الَّذي نصب هُبل على الكعبة، فكان يقال هبل خزيمة. ذكره ابن الأثير(٥). وروي عن ابن عباس ﵄ أنه مات على ملَّة إبراهيم(٦).

ومن خزيمة غير عمود النسب قبيلتان: الهون بن خزيمة وأسد بن خزيمة(٧).

ابن مدركه(٨) بضم فسكونٍ فكسر، واسمه عمرو أو عامر(٩)،

---

(١) «الروض الأنف» (١/ ٢٨).

(٢) «السبل» (١/ ٣٣٩) ونسبه للزجاجي.

(٣) قاله أبو محمد عبد الله الغلَّاظي؛ كما في «المورد».

(٤) انظر: «غريب الحديث» لابن سلام (٣/ ٢١٣).

(٥) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/ ١١).

(٦) «السبل» (١/ ٣٣٩).
وقال عبد الملك بن حبيب: حدثني أبو معاوية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: مات أدد والد عدنان، وعدنان ومعد بن عدنان، وربيعة مضر وقيس عيلان، وتميم وضبة وأسد وخزيمة، على الإسلام على ملّة إبراهيم، ولا يذكروهم إلا بما يذكر به المسلمون. «المورد».

(٧) قاله الجوَّاني؛ كما «المورد».

(٨) أجمع أغلب العلماء على هذا ومنهم ابن سلام وابن دريد والمبرد، انظر: «الاشتقاق» (٣٠)، «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٤٠).

(٩) قاله ابن إسحاق، انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٢).

ويكنى أبا الهذيل أو أبا خزيمة، وأمه خندف⁽¹⁾ وهي ليلى بنت حلوان⁽²⁾.

سُمِّي مدركة؛ لأنَّ أباه إلياس خرج في نجعة⁽³⁾ فنفرت إبله من أرنب، فخرج [إليها] عمرو فأدركها فسُمِّي مدركة، فأخذها أخوه عامر فطبخها فسُمِّي طابخه، وانقمع عُمير في الخباء فسُمِّي قمعة، فخرجت أُمُّهم تمشي، فقال النَّاس: أين تُخندفين؟ فسُمِّيت خِنْدِف، والخندفة ضرب من المشي⁽⁴⁾.

وكان جواداً ممدَّحاً عالي الهمة⁽⁵⁾ وفيه قال النَّاشي:

ومدركة لم يدرك الناسُ مثلَه أعفَّ وأعلا عن دنيء المكاسب

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦٦)، «المنتظم» (٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر: «الدلائل في غريب الحديث» للسرقسطي (٢/ ٦٩٠، ط: العبيكان) حديث رقم (٣٦٩).

(٣) النجعة: طلب الكلأ في موضعه.

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦٧)، «نسب قريش لمصعب» (١/ ٧)، «سيرة ابن هشام» (١/ ٧٥)، «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٢٣١).
قال الفراهيدي: «والخندفة مشية كالهرولة للنساء قالت ليلى القضاعية لزوجها إلياس بن مضر بن نزار: ما زلت أخندف في أثركم، فقال لها: خندف، فصار اسمها إلى اليوم». انظر: «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي (ص٢٧٠، ط: دار إحياء التراث).
وفي سبب التَّسمية: انظر: «السبل» (١/ ٣٤٠).
ومن قوله: «سمّي مدركة إلى هنا»: ذكره في «المورد» عازياً له لابن السائب والزبير.
وقال البطليوسي: «مرَّ عامر الأرنب التي نفَّرت الإبل، فرماها فقتلها. فقال له أخوه عمرو: اطبخ صيدك، فطبخه».

(٥) قال النسَّابة الجوَّاني: ومن مدركة غير عمود النسب بنو هذيل من مدركة، وذكر السائب أنَّ لمدركة أيضاً من الأولاد: غالباً وسعداً وقيساً درجوا ولا أعقاب لهم.

[﴿٢٤﴾] **وهو ابن إلياس**(١) بكسر الهمزة وتفتح، ولامه للتَّعريف وهمزته للوصل عند الجمهور(٢) وهي ضد الرَّجاء، وقال ابن الأنباري(٣): [إفعال](٤) من قولهم: رجل أليس للشُّجاع الذي لا يفرُّ.

ولمَّا أدرك إلياس أنكر على بني إسماعيل ما غيَّروه من سنن آبائهم وسيرهم، وبان فضله فيهم وألان جانبه لهم، حتَّى جمعهم رأيه ورضوا به فردَّهم إلى سنن آبائهم، حتى رجعت سُنَّتهم تامة كما كانت، وهو أول من أهدى للبيت البدن، وأول من وضع الركن للنَّاس بعد غَرق البيت وانهدامه زمن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم تزل العرب تعظِّمه تعظيم أهل الحكمة كتعظيمهم لقمان وأمثاله(٥).

وهو وصيُّ أبيه، وكان ذا جمالٍ بارع وديانة تعظِّمه لأجلها قاطبة العرب، وهو أوَّل من مات بالسُّلِّ، وإنما سُمِّي السَّل داء ياس وداء إلياس؛ لكونه مات به، ولمَّا مات أسفت عليه أمرأته خندف [أسفاً] شديداً، وحلفت لا تقيم ببلدٍ مات فيه، ولا يظلُّها سقف، وحرَّمت الرّجال والطّيب، وخرجت سائحة في الأرض حتى هلكت حزناً، ومات يوم الخميس، فنذرت أن تبكيه كُلَّما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب [الشمس]، ففعلت، حتى هلكت(٦).

---

(١) انظر: «الاشتقاق» لابن دريد (ص٣٠).

(٢) قال الأجهوري: وفيه نظر، إذ كلامه يقتضي أنَّ الخلاف في فتحها وكسرها مع كونها همزة وصل، وحركتها حيث ثبتت حركة فتح لا غير، وإنما يختلف في كسرها وفتحها على القول بأنها همزة قطع. . .اهـ.

(٣) نسبه السهيلي في «الروض الأنف» (١/ ٢٨) لابن الأنباري.

(٤) سقطت من (غ)، وقول ابن الأنباري في «الروض» (١/ ٢٨).

(٥) «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٢٣٢).
من قوله: ولما أدرك إلياس إلى هنا من قول الزبير. نقله البطليوسي كما في «المورد». انظر: «الروض» (١/ ٣٠).

(٦) «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٢٣٢). وانظر: «الروض» (١/ ٣٠، ٣١).

قال السُّهيلي(١): ويذكر عنه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أنه قال: «**لا تسبُّوا إلياس فإنه كان مؤمناً**»(٢).

ويقال: إنه كان يسمع في صلبه تلبية المصطفى ﷺ بالحج(٣)؛ وفيه قال النَّاشي:

وإلياس كان اليأس منه مقارناً لأعدائه قبل اعتداد الكتائب

وقوله: **أي: ابن مُضرا** بألف الإطلاق؛ أي: وإلياس هو ابن مضر ـ بضم الميم وفتح المعجمة ـ معدول عن ماضر، أو لأنَّه كان يحب شرب اللبن الماضر(٤)؛ أي: الحامض(٥)، واعتراضه(٦) بأنَّه يستدعي أنَّه كان له اسم غيره قبل اتصافه بهذه الصفة؛ جوابه: أنه يمكن أن يكون هذا اشتقاقه، ولا يلزم أن يكون متَّصفاً به حال التسمية.

وقيل: سُمِّي به لبياضه.

وقيل له: مضر الحمراء؛ لأن أباه أوصى له بقبَّةٍ حمراء(٧).

وذلك أنَّه لـمَّا حضر نزار الموت قسم ماله بين بنيه، فقال: هذه

---

(١) «الروض الأنف» (١/ ٣٠).

(٢) «الروض» (١/ ٣٠، ٣١). الحديث قال عنه البرهان الحلبي في «نور النبراس»: ولا أدري أنا حال هذا الحديث.

(٣) ذكره بصيغة التمريض يدل على ضعفه، وزيَّفها محقّق «الروض الأنف» (١/ ٣٠) كان إلياس له أخ يقال له: الناسّ، وكان يلقب بقيس عيلان. قاله الوزير المغربي كما في «المورد»، وأم إلياس والناس: الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان.

(٤) «الاشتقاق» لابن دريد (ص٣٠). (٥) قاله ابن قتيبة؛ كما في «المورد».

(٦) في (م): «اعترض».

(٧) الخبر بطوله في: «الكامل لابن الأثير» (١/ ٦٣٣)، وكذا «المنتظم» (٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥)، و«سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٤٢/ ٣٤٤).
وانظر في معاني كلمة مضر: «الروض الأنف» (١/ ٣٠)، و«السبل» (١/ ٣٤٢).

القبَّة الحمراء وما أشبهها من المال لمضر، والخباء الأسود وما أشبهه من مال لربيعة، والخادم وما أشبهه من مال لإياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار، وإن أشكل عليكم واختلفتم في القسمة، فعليكم بالأفعى الجرهمي، فاختلفوا فذهبوا إليه، فبينما هم يسيرون رأى مضر كلاءً قد رُعي، فقال: البعير الذي رعاه أعور، فقال ربيعة: وهو أزور، فقال إياد: وهو أبتر، فقال أنمار: وهو شرود، فساروا قليلاً فلقيهم رجل، فسألهم عن البعير فقال مضر: هو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: أزور؟ قال: نعم، قال إياد: أبتر؟ قال: نعم، قال أنمار: شرود؟ قال: نعم، قال: دلُّوني عليه، فحلفوا ما رأوه! فلزمهم حتى قدموا نجران، فنزلوا على الأفعى، فطلب صاحب البعير بعيره منهم، فقالوا: لم نره، فقال الأفعى: كيف وصفتموه ولم تروه؟! قال مضر: رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعلمت أنه أعور، قال ربيعة: رأيت إحدى قدميه ثابتة الأثر والأخرى فاسدته، فعلمت أنه أزور، قال: إياد: عرفت بتره باجتماع بعره، ولو كان [له](١) ذنب لانفرق بعره، قال أنمار: عرفت أنه شرود؛ لأنه كان يرعى في مكان ملتفٍّ نبته ثم يجوزه، إلى أدقَّ منه(٢).

قال الأفعى: اطلب بعيرك فليسوا بأصحابه، ثم سألهم عن خبرهم، فأخبروه، فقال: تحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى! ثم دعا لهم بطعام وشراب وخرج عنهم، فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً أجود [منه](٣) لولا أنَّه نبت على قبر! وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً أطيب لولا أنه رُبِّي بلبن كلبة! وقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أسرى لولا أنَّه لغير أبيه الذي

---

(١) سقطت من (غ)، والصواب إثباتها.

(٢) في (غ): «أدق نبت منه» والمثبت من (ك) وغيرها. قلتُ: وهذا من المواضع النادرة التي خالفت فيها (ف) نسخة (غ) فوافقتْ (ف) ما في (ك) على خلاف ما في (غ).

(٣) سقطت من (غ).

يُدعى له! وقال أنمار: لم أر كاليوم كلاماً أنفع منه في حاجتنا! فسمع الأفعى كلامهم فقال للقهرمان: الخمر ما أمرها؟ قال: من شجرة غرستها على قبر أبيك، وسأل الراعي عن اللحم: [ما أمره؟] قال: شاة وضعت وماتت وليس بالغنم والد غيرها فأرضعناها كلبة، ثم سأل أمه فأقرَّت أنَّها كانت تحت ملك لا يولد له، فكرهت ذهاب ملكه، فأمكنت رجلاً فأتت به منه.

فأتاهم فقال: قصُّوا قصَّتكم، فقصَّوا ما أوصى به أبوهم [واختلافهم] فقال: ما أشبه القبَّة الحمراء من مال فهو الدنانير والإبل الحمر، فسُمِّيت مضر الحمراء، وما أشبه الخباء الأسود من مال فهو الدواب فصارت لربيعة، وكانت دهماً [فسُمِّيت ربيعة الفرس]، وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال البُلق من الغنم فصارت لإياد، وقضى لأنمار بالدراهم والأرض.

ذكره الماوردي في «أعلام النَّبوَّة»(١).

وذكر غيره أنَّ مضر قيل له: من أين عرفت ذلك؟ فقال: لأنَّ الكرم إذا نبت على قبر كان انفعاله أقلَّ من غيره. وقيل لربيعة: من أين علمته؟ قال: لأنَّ لحم الكلب يعلو شحمه بخلاف الشَّاة، وقيل لإياد: من أين علمته؟ قال: لأنَّه وضع الطعام ولم يجلس معنا، ورأيته يتكلَّف ما يعمله فأصله دني.

وكان مضر أوَّل من حدا، فإنَّه سقط عن بعيره فانكسرت يده، فجعل يقول: يا يداه يا يداه! فأنبه الإبل من المرعى، فلمَّا عوفي ركب وحدا(٢). وكان من أحسن النَّاس صوتاً. وفيه قال النَّاشي:

---

(١) «أعلام النبوة» للماوردي (١/ ٢١٥، ط: دار الكتاب العربي)، وانظر: «السبل» (١/ ٣٤٤).

(٢) «الكامل» لابن الأثير (١/ ٦٣٣)، «السبل» (١/ ٣٤٤).

وفي مضرٍ يستجمع الفخر كله   إذا اعتركت يوماً زحوف المناقب

وقال السُّهيلي⁽¹⁾: وفي حديث: «**لا تسبُّوا ربيعة ولا مضر، فإنهما كانا مؤمنين**»⁽²⁾.

وروى [عبد الملك] بن حبيب عن ابن المسيِّب مرسلاً: «**لا تسبُّوا مضر فإنه كان مسلماً على ملَّة إبراهيم**»⁽³⁾.

ومن كلامه⁽٤⁾: من يزرع شرّاً يحصد ندامة، وخير الخير أعجله فأجملوا واحملوا⁽٥⁾ أنفسكم على مكروهها فيما يصلحكم، واصرفوها عن هواها فيما أفسدها، فليس بين الصَّلاح والفساد إلَّا صبر فواق؛ أي: قدر ما بين الحلبتين⁽٦⁾.

ابن نزار بكسر النون خِفَّة الزاي، من النَّزر القليل⁽٧⁾، قال أبو

---

(١) في «الروض» (١/ ٣٠).

(٢) أخرجه الديلمي في «الفردوس» كما في «كنز العمال» (١٢/ ٨٩)، وذكره الحاكم في «تاريخه» عن جابر رضي الله عنه كما في «لسان الميزان» (٥/ ١٩٠، ط: دار الكتب العلمية).
وقال ابن حجر: «رواته ثقات إلَّا محمد بن زكريا هو الغلابي المذكور فهو آفته».
بينما قال البرهان الحلبي في «نور النبراس»: «ولا أدري أنا ما حاله».

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٠) مرسلاً، وجوَّد الصالحي إسناد ابن المسيب. «السبل» (١/ ٣٤٤).

(٤) في (م): «ومن حكم مضر».

(٥) في (غ): «فاحملوا»، والصواب ما أثبت.

(٦) «السبل» (١/ ٣٤٤)، والفواق ما بين الحَلَبتين من الوقت؛ لأنها تُحْلَب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لِتَدِرَّ ثم تُحلب؛ قاله الجوهري في «الصحاح» مادة: (فوق).

(٧) «الاشتقاق» لابن دريد (ص٣٠)، وانظر: «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٤٥).
وفي اللغة الفارسية نزار تعني مهزول، ولذلك قيل إنه سُمي نزاراً لِشَنٍّ فيه =

الفرج الأصبهاني⁽١⁾: سُمِّي به؛ لأنه كان فريد عصره، وقيل: لأنَّ أباه حين ولد نظر إلى نور النبوة بين عينيه، وهو [نور النبوة] الذي كان يتنقَّل في الأصلاب، ففرح [به] وأطعم كثيراً، وقال: هذا نزر في حق هذا المولود⁽٢⁾.

قال الماوردي في [«أعلام النبوة»]⁽٣⁾: واسمه خُلْدان وكان مقداماً وانبسطت له اليد عند الملوك، وكان هزيلاً، فقال له ملك الفرس: ما لك يا نزار؟ وهو بلغة الفرس يا مهزول [البدن]، فغلب عليه.

= وهزال أصابه. وفي «لسان العرب» لابن منظور (١٣/ ٢٤١): «والشَّنُّ الضعف وأصله من ذلك وتَشَنَّنَ جلد الإنسان تَغَضَّنَ عند الهَرَم والشَّنُونُ المهزول من الدواب وقيل الذي ليس بمهزول ولا سمين وقيل السمين وخص به الجوهري الإبل وذئب شَنُونٌ جائع». اهـ.

(١) صاحب «الأغاني».

(٢) في حاشية النسخة (ج)؛ أي: قليل فسمِّي نزار لذلك.
والخبر في «الروض الأنف» (١/ ٣٠، ٣١). وهذا كله كذب وافتراء ولم يصح بالرغم من أن كتب السيرة تناقلت هذا الخبر فيما بينها.

(٣) ص (٢٤٣)، والماوردي هو علي بن محمد بن حبيب النصري، أبو الحسن الماوردي الفقيه الشافعي، صاحب «الحاوي» وغيره. (ت٤٥٠هـ). «وفيات الأعيان».
نقل هذا السهيلي في «الروض» (١/ ٦٤). وقوله: كان ينتقل في الأصلاب... لعلَّ مستندهم في ذلك ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [الشعراء]؛ أي: من صلب نبي إلى صلب نبي، حتَّى أخرجه نوراً. والصحيح في تفسير هذه الآية. ما ذكره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤١١) عن ابن عباس، قال: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾، قال: يراك وأنت مع الساجدين تتقلَّب وتقوم وتقعد معهم.. ثم قال ابن جرير بعد أن ذكر الأقوال: وأولى الأقوال في ذلك بتأويله، قول من قال تأويله: ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد. .اهـ.
وانظر: ما قاله ابن تيمية في «الفتاوى» (١٨/ ٣٦٧).

وفيه قال [النَّاشي]:

وحلَّ نزار من رياسة أهله محلاً تسامى عن عيون الرَّواقب

وكنيته أبو إياد، وقيل: أبو ربيعة(١).

ابن معد بفتح الميم المهملة وتشديد الدَّال [المهملة] كما في «الفتح»(٢) وغيره(٣).

قال ابن الأنباري: [مفعل] من العَدِّ أو من مَعَد في الأرض إذا أفسد.

وقال الخشني(٤): من تمعدد إذا اشتدَّ أو إذا خطب، وتعبد أو تكلم(٥).

وقال قطرب(٦): من عددته أعدَّه عدّاً.

---

(١) ذكرهما ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» (١/ ٦٣٣، ط: دار الكتاب العربي).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ١٦٤). (٣) «السبل» (١/ ٣٤٦).

(٤) «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» للخشني (١/ ٤، ط: دار الكتب العلمية).

(٥) انظر في هذا: «غريب الحديث لابن سلام» (٣/ ٣٢٧، ط: دار الكتاب العرب)، «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ١٥٥، ط: العاني - بغداد)، «العين» للخليل الفراهيدي (٢/ ٦١، ط: دار ومكتبة الهلال).

(٦) نقله الصالحي في «السبل» (١/ ٣٤٦)، وقال: «حكاه ابن الأنباري والزجاجي عن قطرب»، ونقل ابن الأنباري في «الزاهر في معاني كلمات الناس» (٢/ ١٠٣، ط: مؤسسة الرسالة) قولَ قطرب.
وهو: محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. من الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النظامية.
وهو أول من وضع المثلث في اللغة. وقطرب لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه، وكان يؤدب أولاد أبي دلف العجلي. =

وكنيته أبو قضاعة، واسمه عمرو، وفيه قال النَّاشي:

وكان معدٌّ عُدَّة لوليه إذا خاف من كيد العدوِّ المحارب

قال الماوردي [في «الأعلام»][1]: ولمَّا غزا بخت نصَّر بلاد العرب أراد قتله، فأنذره نبي من أنبياء بني إسرائيل [كان في وقته] بأنَّ النبوَّة في ولده فاستبقاه وأكرمه.

وقال السُّهيلي[2]: أوحى الله إلى أرمياء[3]: احمله على البراق إلى أرض العراق فإنِّي مخرج من صلبه نبيّاً اسمه محمد، فحمله معه وهو ابن ثنتي عشرة سنة، فكان مع بني إسرائيل حتى كبر، وتزوج امرأة اسمها مُعانة، وقيل: المحمول عدنان، والأكثر على الأول، ويقال: إنه لمَّا بلغ بنو معد عشرين [رجلاً] أغاروا على عسكر موسى فدعا عليهم ثلاثاً، فقال: يا ربِّ دعوتك على قوم فلم تُجِب؟! قال: دعوت على قوم فيهم خيرتي في آخر الزمان.

وقوله: **لا مرا**؛ أي: لا شك [فيه، وهذا] حشو كمل به [الوزن].

[﴿٢٥﴾] **وهو ابن عدنان** بوزن فعلان من عدن إذا أقام[4]، ومنه المعدن ـ بكسر الدَّال ـ لأنه يُقام فيه طلباً لجواهره[5].

روى ابن حبيب[6] في «تاريخه» عن ابن عبَّاس ﵄: كان، وفي

= من كتبه «معاني القرآن» و«النوادر» و«الأزمنة» وغير ذلك توفي سنة ٢٠٦هـ. «تاريخ بغداد» (٤/ ٤٨٠، ط: دار الغرب)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٥/ ١٤٥)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٣١٢)، «الأعلام» (٧/ ٩٥).

(١) (ص٢٠٩). (٢) «الروض» (١/ ٣٣).

(٣) في حاشية (غ): «نبي».

(٤) «الاشتقاق» (ص٣١)، وانظر: «السبل» (١/ ٣٤٩).

(٥) «المورد».

(٦) عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان: عالم الاندلس وفقيهها في عصره. أصله من طليطلة، من بني سليم، =

رواية: مات عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة على ملَّة إبراهيم، [فلا تذكروهم إلَّا بخير](١).

وروى ابن بكَّار من وجه آخر مرفوعاً: «**لا تسبُّوا مضراً ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين**»(٢).

قال ابن حجر(٣): وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل [سعيد بن] المسيِّب، ولابن سعدٍ من مرسل عبد الله بن جفالة رفعه: «**لا تسبُّوا مضراً فإنه كان قد أسلم**»(٤).

وفيه قال النَّاشي:

وما زال عدنان إذا عُدَّ فضلُه توحَّد فيه عن قريب وصاحب

وأهل النسب قد أجمعوا إلى هنا؛ أي: إلى عدنان **في الكتب**؛ أي: أجمعوا في كتبهم على أنه لا يجاوز في نسبه عدنان، كما حكاه ابن دحية عنهم(٥).

قال في [كتاب] «التبيين [في أنساب الصحب القرشيين]»(٦): هذا لم يختلف فيه أحد.

وأخرج الطَّبراني بإسناد جيِّد عن عائشة ـ [رضي الله عنها قالت]: استقام نسب الناس إلى معدِّ بن عدنان(٧).

= أو من مواليهم.
ولد في إلبيرة، وسكن قرطبة. وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة. كان عالماً بالتاريخ والأدب. «الأعلام» (٤/ ١٥٧).

(١) جوَّد إسناده الصالحي في «السُّبل» (١/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٩/ ١١٠).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٥٢٩).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) قال في «نور النبراس»: «ولهذا لم يزد الإمام البخاري في النسب الشريف».

(٦) وهو لابن قدامة، وهو مطبوع، لا أطوله الآن.

(٧) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٢٤٩) قال في «المجمع» (١/ ٤٥٨): =

وأخرج الديلمي [في «الفردوس»] وابن سعد [في «الطبقات»] عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معدَّ بن عدنان بن أُدد، ثم يمسك، ويقول: «**كذب النسَّابون**»(١).

أي: أنهم يدَّعون علم الأنساب، ونفى الله علمها عن العباد، قال الله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

قال ابن عبَّاس: [و]لو شاء أن يَعْلمه لعلمه(٢).

قال ابن سيِّد النَّاس: ولا خلاف أنَّ عدنان من ولد إسماعيل الذَّبيح بن إبراهيم الخليل عليهما السلام(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها: ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلَّا تخرُّصاً(٤).

وقد روي ذلك عن عمر وعكرمة وغير واحد.

= وفيه ابن إسحاق وهو مدلس. وجوّد إسناده ابن حجر «فتح الباري» (٦/ ٥٢٩).

(١) عزاه الشارح في «فيض القدير» (٤/ ٥٥٠) للديلمي في «مسنده». وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٨)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣/ ٥٢)، والحاكم في «الكنى».
قال في «نور النبراس»: «فيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي متروك، وأبوه ضعيف، وأبو صالح واسمه باذام، لم يسمع من ابن عباس».

(٢) «الطبقات» (١/ ٣٨، ط: الخانجي).

(٣) «عيون الأثر في المغازي والسير» لابن سيد الناس (١/ ٧٣، ط: دار ابن كثير).
وقال ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٧١): «وإسماعيل الذَّبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين، ومن بعدهم ومن بعدهم. وأما القول بأنه إسحاق فباطل من أكثر من عشرين وجهاً». وقال: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ قدَّس الله روحه ـ يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنَّه باطل بنصّ كتابهم»...

(٤) في حاشية (غ): «.....» غير واضحة.

[﴿٢٦﴾] **وبعده**؛ أي: بعد عدنان؛ أي: فوقه إلى آدم، **فيه خُلْفٌ** بضم [الخاء] فسكون؛ أي: خلاف **كثير** بين العلماء بالأنساب وغيرهم⁽¹⁾، فقيل: بين عدنان وإسماعيل من الآباء سبعة، وقيل: تسعة، وقيل: خمسة عشر، وقيل: ثلاثون⁽²⁾، وقيل: أربعون وهو قول غريب عند الأكثر، وهو الأرجح عند من يقول: إنَّ معدَّ بن عدنان كان في زمن بخت نصَّر⁽³⁾.

قال ابن حجر: وقد وقع في ذلك اضطراب شديد، واختلاف متفاوت، حتَّى أعرض الأكثر عن سياق النَّسب بين عدنان وإسماعيل، لما فيه من التَّخليط، وقد جمعت من ذلك أكثر من عشرة أقوال⁽⁴⁾.

قال الكلبي⁽⁵⁾: وسمعت من يقول: إنَّ معدَّ بن عدنان كان على عهد عيسى [ابن مريم]، واستبعده بعضهم⁽⁶⁾.

[قال الجوَّاني⁽⁷⁾: وسبب كثرة الخلاف: أنَّ العرب لم يكونوا

---

(١) أخرج ابن عساكر في تاريخه عن ابن أبي خيثمة قال: «ما وجدنا في شعر شاعر ولا في علم عالم أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان بحق لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] وقد اختلفوا فيما بعد عدنان اختلافا كثيراً».

في «سيرة ابن إسحاق» (١/ ١) أنهم ثمانية، حيث قال: «عدنان ابن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمٰن».

وانظر: «فتح الباري» (٦/ ٥٣٨).

(٢) ممن روى أنهم ثلاثون ابن الكلبي في «أنسابه» (١/ ١).

(٣) في (غ): «بخت بن نصر»، والمثبت أصح.

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٥٣٨).

(٥) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن الكلبي (١/ ٧٠)، ففيه إفادة عظيمة في هذا الباب.

(٦) «فتح الباري» (٦/ ٥٣٨).

(٧) في «المقدِّمة الفاضلية» له؛ كما في «المورد». وقد طُبعت هذه «المقدمة» =

أصحاب كتبٍ يرجعون إليها، وإنَّما كانوا أُولِي حِفْظٍ، بعضهم من بعضٍ، فحَدَث الاختلاف، واضْطُرِبَ جدّاً.

وقال الحافظ عبد الغني: لستُ أقول بصحَّة ما وراء عدنان، وإنما ذكرته اتِّباعاً لجماعة من متقدِّمي السلف، ومتأخري المحقِّقين لا يصححونه][(١)].

وقوله: **جم** [بفتح الجيم] تأكيد؛ كأنه قال: كثير كثير، فإنَّ الجمَّ هو الكثير، يقال: جمَّ الشيء جمّاً من باب ضرب كثر، فهو جمٌّ تسميةٌ بالمصدر، ومال جمٌّ؛ أي: كثير.

وقال اليعمري: لا خلاف أنَّ عدنان من ولد إسماعيل [الذبيح] ابن إبراهيم [الخليل]، إنَّما الخلاف في عدد من بين عدنان وإسماعيل من الآباء، فمقلٌّ ومكثر، وكذا من إبراهيم إلى آدم لا يعلم حقيقته إلَّا الله [تعالى][(٢)].

وإنَّما هو من كلام المؤرِّخين ولا ثقة بقولهم، ولهذا أنكر مالك على من رفع نسبه إلى آدم، وقال: من أخبره به؟!.

وقال السُّهيلي: ما بعد عدنان من الأسماء مضطرب، فالذي صحَّ عن المصطفى ﷺ أنَّه انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه، بل ورد من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لمَّا بلغ عدنان، قال: «**كذب النَّسابون**»، مرتين أو ثلاثاً[(٣)].

ورُوي عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: إنما يُنْسب إلى عدنان؛ فما فوق

= ـ حسبما بلغني ـ بتحقيق تركي بن مطلق القداح العتيبي، ط: مطابع الحميضي ٢٠٠٦م. ولم أقف عليها بعدُ.

(١) زيادة مِن (ج).

(٢) «عيون الأثر» (١/ ٧٣).

(٣) تقدَّم تخريجه. وقال السهيلي في «الروض» (١/ ٣٢): «والأصح في هذا الحديث أنَّه من قول ابن مسعود رضي الله عنه».

ذلك لا ندري ما هو(١).

وأخرج ابن الأنباري عن عمرو(٢) بن العاص ﵁ حديثاً، ذكر فيه أنه قال ـ يعني: رسول الله ﷺ ـ: «**إنَّ الله اختار العرب على الناس، واختارني على مَن أنا منه، ثم أنا محمد بن عبد الله**»، حتَّى بلغ النضر بن كنانة، ثم قال: «**من قال غير هذا فقد كذب**»(٣).

وقال ابن دحية: «أجمع العلماء والإجماع حجة على أنَّ المصطفى ﷺ كان إذا انتسب، لم يجاوز عدنان».

أصحه؛ أي: أصحُّ الخلاف الواقع بين النسَّابين والمؤرخين، فيما بين عدنان إلى آدم على اضطرابه والطعن فيه.

حواه؛ أي: جمعه وضمَّه **هذا النظم** تبعاً للحافظ عبد الغني المقدسي(٤)

---

(١) «الروض» (١/ ٣٢) وفيه: «نَنْتَسب»، وفي «المواهب» (١/ ٦٢): «يَنْتَسب»، وفي «شرح الزرقاني» عليه (١/ ١٥٢): «يُنْسَب».

(٢) في «غ»: «عن ابن عَمْرِو بن العاص»، وهذا من المواضع التي اختلفتْ فيها (ف) مع (غ) فالذي في (ف): «عمرو» مثل البقية بدون لفظة «ابن»، وهو الصواب هنا؛ والله أعلم.

(٣) ذكر ابن سيد الناس إسناده في «عيون الأثر» (١/ ١٥٢) من طريق «ابن ناصرٍ، أَنْبَأَ أبو طاهر ابن أبي الصَّقْرِ الأَنْبَارِيُّ، أَنْبَأَ القاضي أبو البركات أحمد بن عبد الواحد بن الفضل الْفَرَّاءُ» فأورده بإسناده إلى «عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيّ، عن ابن أبي ذِئْبٍ، عَمَّنْ لا يَتَّهِم، عَنْ عَمْرِو بن العاص»، فذكره. وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن عمرو بن العاص ﵁.

(٤) هو العلامة الفقيه الحافظ الإمام محدث الإسلام عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر تقى الدين أبو محمد المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلى. ولد بجماعيل من أرض نابلس في سنة إحدى وأربعين وخمس مئة.

وذكر ابن النجار في تاريخه: أنه سأل الحافظ عبد الغني عن مولده؟ فقال: إما في سنة ثلاث أو في سنة أربع وأربعين وخمس مئة. =

لقول النسَّابة الجوَّاني(١): أنَّه أصحّ الطُّرق وأحسنها وأوضحها، وتبعه الدمياطي(٢) واليعمري، وابن جماعةٍ، وابن حبيب، والحلبي وغيرهم.

وهو أنَّ(٣) [﴿٢٧﴾] **عدنان في القول الأصح هو ابن أُدَدٍ** بضم الهمزة وفتح الدال الأولى؛ مصروفٌ. ذكره السُّهيلي.

وقال ابن السراج وغيره: من الود قلبت واوه همزة لانضمامها [وليس معدولاً؛ كعمر](٤).

أو من الأُد، وهو الأمر العظيم، ومنه: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩﴾ [مريم]، أو من أدَّت الإبل: إذا حنَّت، وفي أد قال النَّاشي:

فـي أُددٍ حـلـم تَـزَيَّـن بـالـحـجـا … إذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب

وبعضهم؛ أي: وبعض النسَّابين **يزيد أُدّاً** بضم الهمزة وشَدِّ الدال.

في العدد [﴿٢٨﴾] **بينهما**؛ أي: بين عدنان وبين أُدد، فيقول عدنان بن أد بن أدد.

روى [الحافظ] ابن عساكر(٥) عن إبراهيم بن المنذر [الخزاعي]، قلت لعبد الله بن عمر: املِ عليَّ النسب إلى آدم، فذكر النسب إلى معدٍّ، ثم قال: ابن عدنان بن أُد بن أدد.

= وقال الحافظ ابن رجب: والأظهر أنه سنة أربع. «السير» (٢١/ ٤٤٣).

(١) هو محمد بن سعد بن علي، أبو علي الشريف النسابة. له «الطبقات الطالبين»، وكان شيعياً. توفي سنة (٥٠٨هـ)، «الوفيات بالوفيات».

(٢) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن، أبو محمد الدمياطي. له السيرة النبوية (ت٧٠٥هـ).

(٣) في (غ): «ابن»، والمثبت هو الصواب، ورُسِمَتْ في (ف): «ابن» لكن على الباء آثار محوٍ لها، فلعل الناسخ نسخها من (غ) هكذا ثم انتبه فصحَّحَها، والله أعلم.

(٤) «الروض» (١/ ٦٥).

(٥) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥/ ٢٥٦).

وأشار ابن عبد البرِّ(١) إلى تضعيفه [ذلك]، وأنَّ الأكثر على الأول بقوله: كل الطوائف تقول: عدنان بن أدد، إلاَّ طائفة واحدة قالت: عدنان بن أُد بن أدد(٢).

قال ابن دريد(٣): وفيما بعد عدنان أسماء سريانية لا يوضِّحها الاشتقاق(٤).

وقد ذكر التوزري(٥): ضابطاً لذلك، فقال: ما كان من هذه الأسماء الأعجمية على أربعة أحرف فأكثر، فلا خلاف في منع صرفه للعُجمة والتعريف، وما كان [منها] على ثلاثة [أحرف] فإمَّا أن [يكون] يتحرَّك وسطه فكالأول، وإلّا [أن يكون ساكنة] كنوحٍ [وهودٍ] وبرد فحكمه صرف على المشهور.

○ **فائدة:**

كره بعضهم ذكر هذه الأسماء في السِّير واستحبَّه بعضهم؛ لما فيه

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن محمد، أبو عمر بن عبد البر. العالم المشهور. له «التمهيد» و«الاستذكار» وغيرهما. توفي سنة (٤٦٣هـ).

(٢) «الإنباه على قبائل الرواة» لابن عبد البر (١/ ١٧، ط: دار الكتاب العربي).

(٣) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر بن دريد من أئمة اللغة والأدب. من كتبه «الاستقامة» و«الجمهرة» و«الاشتقاق» توفي سنة (٣٢١هـ). انظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ٣٢٣).

(٤) «الاشتقاق» لابن دريد (ص٣٢)، «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٨٤٤).

(٥) محمد بن عمر بن محمد بن عمر التوزري القسطلاني المكي أبو عبد الله، ولد بتوزر بقسطيلية سنة (٥٩٨هـ)، كان والده عمر إمام مقام المالكية بالحرم الشريف. توفي في ٢٨ شوال (٦٦٣هـ).
وقوله هذا: مذكور في شرحه على القصيدة الشقراطيسيّة، واسمه: «صلة السمط، سمة المرط»، وهو في أربعة أجزاء كبيرة في الرباط، وقد جعله شرحاً لتخميس القصيدة الشقراطيسية في السيرة. «الوافي بالوفيات للصفدي» (٤/ ٣٥٤).

من معرفة العرب من غيرهم، وتنبني عليه أحكام كثيرة.

وأُدد **والده** اسمه **مُقَوِّم** بضم الميم وفتح القاف وشدة الواو؛ تكسر وتفتح عند الجمهور(١).

وقال العسكري(٢) بالفتح فقط، عند ابن دريد(٣).

وفي «شرح الشقراطيسية»(٤): بالكسر فقط.

والأرجح جوازهما، مفعل من [قولهم]: قوَّمت الرمح أقوِّمه فهو مقوِّم، وما جرى عليه الناظم من أنَّ والد أُدد اسمه مقوِّم تبع فيه الحافظ عبد الغني التَّابع لابن عبد البر، حيث قال: إنَّه الذي عليه أئمة هذا الشأن.

وقال الجوَّاني: والد أُدد اليسع واختاره الدمياطي، ورجَّح السُّهيلي(٥) أنَّه زند ـ بزاي معجمة ونون ـ، فقال: أصحُّ شيء روي فيما

---

(١) جزم السهيلي في «الروض الأنف» (١/ ٣٤) بالكسر فقط، وانظر: «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١/ ٣٥٦).

(٢) هو أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري.

(٣) انظر: «الاشتقاق» لابن دريد (ص٤٦) وفيه «والمقوم مُفَعَّل من قولهم: قوَّمت الشيء إذا سويته بعد اعوجاجه، أقومه تقويماً».

(٤) الشقراطيسية لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى الشقراطيسي، من بلاد الجريد بأفريقيا، (ت٤٦٦هـ). وهي قصيدة لامية في مدح النبي ﷺ أولها:

الحمد للَّه منّا باعث الرسل　　هدى بأحمد منا أحمد السبل

وتوجد منها نسخ في برنستون وشستربتي وغيرهما، وشرح هذه القصيدة غير واحد. هي قصيدة في مدح النبي ﷺ وقام بشرحها كثير من العلماء، من هؤلاء أبو شامة المقدسي، وقام بتحقيق هذا الشرح الدكتور مصطفى مسلوتي. أما الشرح المقصود والذي نقل منه المؤلف فهو شرح محمد التوزري والمسمى بـ «صلة السمط وسمة المرط» وما زال مخطوطاً حتى الآن، والله أعلم.
انظر: «جامع الشروح والحواشي» (١/ ١١٠١) لعبد الله الحبشي.

(٥) «الروض» (١/ ٣٢).

بعد عدنان، ما رواه [أبو بشر] الدُّولابي [بسنده] عن أمِّ سلمة مرفوعاً [عنه ﷺ أنَّه قال]: «**معدُّ بن عدنان بن أُدد بن زند**» بالنون.

قال الدارقطني: ولا نعرفه إلَّا في هذا الحديث(١).

ثم قال السُّهيلي(٢): و[قد] قيل في عدنان: أنه ابن ميدعة، وقيل: ابن يخْثُم وجرى عليه القتبي(٣).

ومقوِّم بن **ناحور** بنون وحاء مهملة. من النحر إن كان عربيّاً(٤).

قال السُّهيلي(٥): وهو الصَّحيح لقِّب به؛ لأنَّه كان ينحر الأعداء [نحراً]، وفيه يقول النَّاشي:

وناحور نحَّار العدا حُفظت له ... مآثر لم يحصها عدُّ حاسب(٦)

وتبع الناظم فيه عبد الغني، وقال الجوَّاني: أُدد ابن اليَسَع بن الهَمَيْسَع بفتح الهاء [كالسَّمَيْدَع]، قال: وأكثر النسَّابة يَرْوُونَه بضمها، والصَّواب الفتح(٧).

---

(١) «الروض» (١/ ٣٢). (٢) «الروض» (١/ ٣٢).

(٣) في «المعارف» للقتبي (ص٦٣): «هو عدنان بن ميدع».

(٤) «الروض الأنف» (١/ ٣٤)، وفيه «وتيرح فيعل من التَّرْحةِ إن كان أعرابياً. وكذلك ناحور من النحر»، وعند الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٦).

(٥) «الروض» (١/ ٣٥).

(٦) كتب في حاشية من نسخة «المورد»: الناشي لم يقل هذا إلا لناحور الأعلى وهو جد إبراهيم الخليل، وسيأتي.

(٧) قال الجوهري في «الصحاح» مادة: (همسع): «الهَمَيْسَع بالفتح: الرجل القوي».

[قال السُّهيليُّ: وتفسير السَّمَيْدَع: الصَّرَّاع][١].

وقوله: **بعد** بضم الدال؛ أي: وبعد ذلك **جدُّه**؛ أي: جد أُدد بن مقوِّم [المذكور].

[﴿٢٩﴾] **وهو ابن تيرح** بفتح المثنَّاة فوق والراء، فيعل من الترَّحة، [وهي] الحزن[٢]؛ كأنَّه حزن على الأعداء، وقيل: اسمه: تارح، وفيه يقول النَّاشي:

وتارح ما زالت له أريحيَّة　　تبيِّن منه عن حميد الضَّرائب[٣]

أي: وتيرح [هو] **ابن يعرُبا** بضم الرَّاء وفتحها وألف الإطلاق، من أعرب في كلامه إذا أفصح فيه وأبان، ومنه حديث: «**الأيِّم تعرب عن نفسها**»؛ أي: تُبيْن، وعُرب بالضم إذا لم يلحن، وعرب لسانه عروبة إذا كان عربيّاً فصيحاً، [وعرب يعرب من باب تعب فصح بعد لكنةٍ في لسانه]، والتعريب التكلُّم عن القوم، فكأنه سُمِّي به؛ لكونه كان عظيم قومه المتكلم عنهم في المحافل والمهَّمات[٤].

---

[١] زيادة من (ك). وقد نقله القطب الحلبي في «المورد» عن السهيلي، لكن الذي في المطبوع من «الروض الأنف» للسهيلي (١/ ٤٥): «وَتَفْسِيرُ الْهَمَيْسَعِ الصَّرّاعُ» ففيه: «الهَمَيْسَع» بدل «السَّمَيْدَع».

وقال ابن منظور في «لسان العرب» مادة: (همسع): «هو القوي الذي لا يُصرع جنبه من الرجال».

[٢] «الروض» (١/ ٣٤)، و«سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٦). وقاله التوزري؛ كما في «المورد».

[٣] في حاشية «المورد»: أنَّ هذا البيت في تارح والد إبراهيم.

[٤] انظر: «الاشتقاق» لابن دريد (ص٢١٧)، وفيه: «ولد قَحطانُ: يَعرُبَ، وهو يَفعُل من قولهم: أعرب في كلامه؛ أي: افصح فيه. أو من قولهم: أعرَبَ عن =

وإنَّ بفتح الهمزة وشِدَّة النون عطف على الأصحِّ.

يعرباً هو ابن يشجُبا بألف الإطلاق؛ أي: والأصحُّ أنَّ يعرب، هو ابن يشجب، من غير تكرار يعرب، ويشجب مرتين، بل هو مرَّة واحدة، كذا في «سيرة» ابن إسحاق من رواية ابن هشام وغيره.

ومقابل الأصحِّ ما في «سيرة» [الحافظ⁽¹⁾ عن] عبد الغني⁽²⁾ عن ابن إسحاق⁽³⁾ أيضاً أنَّه تيرح بن يشجب بن يعرب بن يشجب بن يعرب، فذكر يشجب ويعرب مرتين؛ وقد سأله⁽٤⁾ المخلِّص⁽٥⁾ عنه، وقال: عزوتم هذه المقالة لابن إسحاق، وقد طالعت «سيرته» فلم أجد فيها ذلك مكرراً، بل مفرداً؟ فقال: هذا النسب مختلف فيه جدّاً والنُّسخ مختلفة، والذي ذكرته عن ابن إسحاق هو ما رواه لنا الحافظ السِّلفي⁽٦⁾، في جزءٍ

= نَفْسه؛ أي: أوضحَ عنها. وفي الحديث: «**والأَيِّمُ تُعرِب عن نَفْسها**». والعرب العاربة: عادٌ وثمودُ في الدَّهر الأوّل. ويقال عَرَّبت على الرجُل، إذا ردَدتَ كلامَه عليه أو نهيتَه عنه. ويقال: عَرِبَتْ معدتُه، إذا فسَدَت»، «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٦).

(١) يقصد «السيرة النبوية» للحافظ ابن كثير، انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٠٦) يقول ابن كثير: «والذي عليه أئمةُ هذا الشأن في نَسَبِ عَدْنَانَ قالوا: عَدْنَانُ بْنُ أُدَدَ بْنِ مُقَوَّمِ بْنِ نَاحُورَ بْنِ تَيْرَحَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ، وهكذا ذَكَرَهُ محمد بن إسحاق بن يَسَارَ في «السِّيرَةِ»».

(٢) انظر: «مختصر السيرة النبوية» لعبد الغني المقدسي (ص٣٦، ط: دار بلنسية).

(٣) «سيرة ابن إسحاق» (١/ ٢).

(٤) يعني: سأل الحافظ عبد الغني.

(٥) هو عبد الكريم بن الحسن المعروف بابن المخلص.

(٦) الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد إبراهيم سلفة الأصبهاني الملقب صدر الدين؛ أحد الحفاظ المكثرين، رحل في طلب الحديث ولقي أعيان المشايخ وكان شافعي المذهب كانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تقريباً بأصبهان، وتوفي ضحوة نهار الجمعة ـ وقيل: ليلة الجمعة ـ خامس شهر =

من حديث [أبي](١) عمرو أحمد بن حازم [ابن أبي غَرَزَة] الغفاري الكوفي(٢)، بإسناد لا بأس به، ورواته أشهر من رجال المغازي، وليس ابن هشام بالثبت. انتهى [وزيادة بالمثبتين(٣) عندهم، إلى هنا كلامه](٤).

فصحَّح النَّاظم الأول لما قام عنده [في ذلك].

ويشجب وزان ينصر، بشين معجمة ساكنة وجيم مضمومة، من شجب [كنصر وفرح] يشجب بالضَّمِّ شجوباً وشجْباً بسكون الجيم وفتحها هلك، والشجب [الرجل الطويل، و] عمود من عمد البيت(٥) فسُمِّي به الرجل لطوله، أو لكونه رئيس قومه وعماد بيوتهم لا بقاء لهم بدونه(٦).

= ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الإسكندرية.
انظر: «مختصر الدبيثي» (٢٠٦)، «طبقات السبكي» (٤/ ٤٣)، «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ١٠٥ ت: إحسان عباس).

(١) في (غ، ف): «ابن»، والمثبت من البقية، وهو الأصح.

(٢) الحافظ أبو عمرو، أحمد بن حازم بن أبي غَرَزَة الغفاري، محدث الكوفة، في ذي الحجة، صنف المسند والتصانيف، وروى عن جعفر بن عون وطبقته. قال ابن حبان: كان متقناً. ولد سنة بضع وثمانين ومئة. سمع: جعفر بن عون، ويعلى بن عبيد، وعبيد الله بن موسى وغيرهم، حدث عنه: مطين، وابن دحيم الشيباني، وإبراهيم بن عبد الله بن أبي العزائم، وغيرهم، توفي سنة ست وسبعين ومئتين، في ذي الحجة.
ترجمته في «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٨)، «العبر في خبر من غبر» للذهبي (١/ ٣٩٧، ط: دار الكتب العلمية)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٣٩).

(٣) كذا ولم أتبين هذه اللفظة.

(٤) من قوله: «وقد سأله المخلِّص عنه» إلى هنا بتمامه في «المورد»، وما بين معقوفتين منه ومن النسخ عدا (غ، ف).

(٥) «المورد».

(٦) في «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٤٥): المشجب هو عيدان تضع رؤوسها ويفرَّج بين قوائمها، وتوضع عليها الثياب، وقد تعلَّق عليها، وانظر: «الروض الأنف» (١/ ٣٤)، «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٦).

[﴿٣٠﴾] ويشجب **هو ابن نابت** بالنُّون اسم فاعل من نبت الزَّرع وغيره نبتاً(١)، يقال: أنبت الغلام نبتاً وإنباتاً أشعر، والجارية مثله، [نبَّت الرَّجل الشَّجر بالتَّثقيل غرسه]، سُمِّي به تفاؤلاً بأنه يشيب ويكبر ويلتحي(٢).

وقيل: اسمه نبت [وما ذكر من أنَّ نابت هو ابن إسماعيل هو ما ذكره في النسب.

قال ابن إسحاق: وأم نابت(٣) زوجة إسماعيل بنت مُضَاضِ بن عمرو الجرهمي(٤).

قال الإسماعيلي عن الدارقطني: واسمها السيِّدة(٥)، وذكر غيره أنَّ اسمها هالة(٦) أو هامة، أو سلمى أو غير ذلك](٧).

---

(١) انظر: «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٧).

(٢) وقال ابن الأثير في معنى المشجب «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤٤٥، ط: المكتبة العلمية): «وقد تعلَّق عليها الأسقية لتبريد الماء».
وقال الجوهري في «الصحاح»، مادة: (شجب)، وفيه «شَجِبَ بالكسر يَشْجَبُ شَجَباً؛ أي: حَزِنَ أو هَلَكَ، فهو شَجِبٌ. وشَجَبَ بالفتح يَشْجُبُ بالضم شُجوباً، فهو شاجِبٌ؛ أي: هالكٌ. وشَجَبَهُ الله يَشْجُبُهُ شَجْباً؛ أي: أهلكه، يتعدّى ولا يتعدّى. يقال: مالَهُ شَجَبَهُ الله! وشَجَبَهُ أيضاً: حَزَنَهُ. وشَجَبَهُ أيضاً: شَغَلَهُ. وغرابٌ شاجِبٌ؛ أي: شديد النَعيق. وشجبه بِشجابٍ؛ أي: سَدَّهُ بسِدادٍ. والمِشْجَبُ: الخشبة التي تُلقَى عليها الثياب. والشُجوبُ: أعمدةٌ من أعمدة البيت».

(٣) في «سيرة ابن هشام» (١/ ٥) أن اسمها رعلة.

(٤) نسبه لابن إسحاق ابن هشام في «سيرته» (١/ ٥).

(٥) ذكره السهيلي في «الروض الأنف» (١/ ٤٢) ونسبه للدارقطني.

(٦) انظر: «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٥).

(٧) من قوله: «وما ذكر من أن نابت هو ابن إسماعيل» إلى هنا سقط من (غ).

وإسماعيل باللَّام وفي لغة بالنّون(١) **أب له** على الأصحّ، وحكى ابن ماكولا(٢) قولاً أنه نابت بن سلامان بن حِمْل بن قُندار بن إسماعيل(٣).

وتفسيره: مطيع الله(٤)، وكنيته أبو الفصاحة، وهو نبي أُرسل إلى أخواله من جرهم والعماليق الَّذين بأرض الحجاز، فآمن بعض وكفر بعض(٥).

وفي «مطلع [زواهر](٦) النَّجوم في لغات القرآن»(٧) لصاحب «القاموس»(٨): أنّه أوَّل من تسمَّى بإسماعيل من بني آدم، وأنَّ له خصائص منها: أنَّ لغته لغة العرب، وأنّه مركز نور المصطفى ﷺ، وأنَّه هو وأبوه ليس لهما شريك في بناء البيت، وأنَّ إليه ترجع أنساب العرب، وأنه استسلم للذبح عند الامتحان، وفاز بخلعة ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات للنووي» (١/ ١١٨) وانظر: «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٧).

(٢) هو علي بن هبة الله بن علي بن جعفر الأمير. له «الإكمال»، و«الوزراء»، قتله غلمان له من الترك بخوزستان خارجاً من بغداد طمعاً في ماله. «فوات الوفيات» (٢/ ٩٣).

وهذا القول الذي حكاه ابن ماكولا. ذكره القطب في «المورد»، وقال: وهو خلاف ما ذكره الجوّاني في النسب.

(٣) «الإكمال لابن ماكولا» (١/ ٥٥٠، ط: دار الكتب العلمية).

ونسبه الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٥) إلى ابن ماكولا.

(٤) «الروض الأنف» (١/ ٣٥)، ونسبه الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٧) إلى السهيلي.

(٥) «الروض» (١/ ٤٢).

(٦) في (غ) و(ف) تبعاً: «زاهر»، وهو خطأ.

(٧) نسبه الصالحي للفيروزآبادي في «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٧).

(٨) هو الإمام اللغوي الشَّهير أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن =

[الصافات]، واصطفاه الله من ولد إبراهيم، وافتخر به المصطفى ﷺ فقال: «**أنا ابن الذَّبيحين**»(١). [ذكره في «الروض»].

وأمه هاجر ويقال: آجر بإبدال الهاء ألفاً، قبطيَّة من أُمِّ العرب(٢)، قرية بمصر، قيل: كان أبوها من ملوك مصر(٣)، وقيل: إنها من حفن بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء، قرية بمصر أيضاً(٤).

قال ابن حجر(٥): وهي الآن كَفْر من [أعمال](٦) أنصنا(٧) بالبرِّ

= إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروزآبادي. له العديد من المصنفات النافعة منها: «سفر السعادة». مات سنة (٨١٧هـ)، «أبناء الغمر» (٧/ ١٥٩)، «شذرات الذهب» (٧/ ١٢٦).

(١) تقدَّم.

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦)، «تهذيب الأسماء واللغات للنووي» (ص١٠١، ط: دار الكتب العلمية).

(٣) في (م): «القبط».

(٤) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ٢٤٩): «وقال ابن لهيعة أم إسماعيل هاجر من أم العرب قرية كانت أمام الفرما من أرض مصر ورواه بعضهم أم العريك وقيل هي من قرية يقال لها ياق عند أم دنين وأما مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ التي أهداها إليه المقوقس فمن حفن من كورة أنصنا».
ذكرها أبو عبيد في كتابه «الأموال» (٣٥٧)، وأن الحسن بن علي رضي الله عنهما كلَّم معاوية رضي الله عنه أن يضع الخراج عن أهلها، ففعل معاوية ذلك حفظاً لوصية رسول الله ﷺ بهم، ورعاية لحرمة الصهر. وفي «الروض» (١/ ٤٤): قرية بالصعيد معروفة.

(٥) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٣٩٤).

(٦) في (غ): «عمل».

(٧) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١٢٦٥): «أنصنا بالفتح ثم السكون وكسر الصاد المهملة والنون مقصور مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل».
وفي «مراصد الاطلاع» (١/ ١٢٤): «أنها مدينة أزليَّة، بصعيد مصر»، وفي =

الشرقي من صعيد مصر مقابل الأشمونين وفيها آثارٌ [عظيمة] باقية. وقيل: جرهميَّة كانت للجبار الذي كان [بعين](١) (الحر) بقرب (بَعْلبك) فوهبها لسارة فوهبتها [سارة] لإبراهيم(٢)، وقيل: كانت لصارف ملك الأُردن(٣).

فالعرب كلها من إسماعيل وقحطان(٤)، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، وإسماعيل أبو العرب كلها.

وأخرج الطَّبراني في «معجمه»(٥) [عن ابن عبَّاس]، والشيرازي في «الألقاب»(٦) عن علي ﷺ مرفوعاً: **«أوَّل من فتق لسانه بالعربية المُبِيْنة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة»**(٧).

وأفاد بقوله: «المبينة»، أنَّ أوَّليته [في ذلك] بحسب الزيادة والبيان والإيضاح، لا الأولية المطلقة كما حرَّره بعض الحفاظ [المحقِّقين]، وإلَّا فأوَّل من تكلَّم بالعربيَّة جرهم، وتعلَّمها هو من جرهم، ثمَّ ألهمه الله العربيَّة الفصيحة المبينة فنطق بها، وعُلم منه أنَّ لسان أبويه لم يكن عربيّاً، وبه صرَّح ابن حجر(٨).

= «الروض» (١/ ٤٤): يقال: إنَّها كانت مدينة للسحرة.
قال أبو حنيفة: ولا ينبت اللَّبخ إلَّا بأنصنا، وهو عود تنشر منه ألواح للسفن. وانظر: «القاموس» مادة: (لبخ).

(١) في حاشية (غ): «في نسخة: بلدة». (٢) «المورد».

(٣) «الروض» (١/ ٤٥).

(٤) «سيرة ابن هشام» (١/ ٧)، ونسبه السهيلي في «الروض الأنف» (١/ ٤٥) للقتبي.

(٥) لم أقف عليه في المطبوع من «معاجم» الطبراني.

(٦) هذا الكتاب مفقود.

(٧) عزاه في «فيض القدير» (٢/ ٩٣) للطبراني والديلمي من حديث ابن عباس. ثم قال: وحسَّن إسناده ابن حجر.

(٨) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٤٠٣).

قال(١): ويحتمل أنَّ الأوليَّة في الحديث مقيَّدة بإسماعيل بالنسبة إلى بقيَّة إخوته [من ولد إبراهيم]، فإسماعيل أوَّل من نطق بالعربيَّة من ولد إبراهيم(٢).

وفي «البخاري»(٣) في قصة إسماعيل، أنَّ إبراهيم ذهب [به](٤) مع أمِّه هاجر وهي ترضعه، من الشام إلى مكة فوضعها تحت دوحة وليس معهما إلَّا شنَّة فيها ماء، وليس بمكة يومئذٍ أحد، ولا بها ماء ووضع عندهما جراباً فيه تمر، ثم رجع [إبراهيم] فنادته أمُّ إسماعيل: أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس [ولا عين، وكرَّرته]؟! فلم يلتفت إليها، فقالت: آلله أمرك؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيِّعنا، فانطلق [إبراهيم] حتَّى [إذا] كان بحيث لا يرونه، استقبل [بوجهه] البيت ورفع يديه ودعا بهذه الكلمات، وهي: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ الآية [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أمّ إسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء، حتَّى [إذا] نفد فعطشت وعطش، فجعلت تنظر إليه يتلوَّى، فانطلقت كراهة أن تنظر إليه،

---

(١) يقصد ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٠٣).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١٢/ ١٨) حيث ذكر ابن كثير كل الأقوال التي قيلت في أول من تكلم ونطق بالعربية، وفي «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٥٧) عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة**»، وفي «الجامع لأحكام القرآن للقرطبي» (١/ ٢٨٣) وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن عشر سنين**». وقد روى أيضاً: أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان، وقد روي غير ذلك. قلنا: الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام، والقرآن يشهد له قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته».

(٣) في «صحيحه» (٣٦٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) سطقت من (غ)، والصواب أثباتها.

فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه. . وذكر تمام الحديث. في نداء جبريل وبحث إسماعيل برجله الأرض حتى ظهرت زمزم، وقول جبريل لها: لا تخافي لا تخافي الضيعة فإنَّ هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه. وإنَّ جرهم جاؤوا إليها وطلبوا أن تأذن في النزول عندها فأذنت، وإن إسماعيل شبَّ وتعلَّم منهم العربية، فلمَّا بلغ زوَّجوه منهم وماتت أمه.

قال النَّووي(١): وله عشرون سنة ولها تسعون فدفنها في الحجر، وهي أول من ثقبت أذناها وأول من خفض من النساء، وأول من جرَّت ذيلها، وذلك أنَّ سارة وهبتها لإبراهيم فحملت منه بإسماعيل، فلمَّا ولدت غارت منها، فحلفت لتقطعنَّ منها ثلاثة أعضاء، فاتخذت هاجر منطقاً فشدَّت به وسطها، وهربت وجرَّت ذيلها ليخفي أثرها على سارة، فشفع فيها إبراهيم، وقال [لسارة]: حلِّلي يمينك بثقب أُذنيها وخفاضها» فصارت سنَّة في النِّساء.

وفي رواية ابن عُليَّة عند الإسماعيلي: أوَّل ما اتخذ العرب جرَّ الذيول عن أمِّ إسماعيل وذكر الحديث(٢)، ثم جاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل، فلم يجده لكونه خرج يتصيَّد، ووجد امرأته فشكت ضيق العيش، فأوصاها أن تأمره [إذا جاء] أن يغيِّر عتبة بابه، فأخبرته فطلَّقها، ثم جاء [مرَّة] أخرى، وقد تزوَّج غيرها، فلم يجده فسألها عنه وعن حالهم، فشكرت الله [تعالى] وأثنت بخير، فأوصاها أن تقول له: ثبِّت عتبة بيتك، فأمسكها.

وزاد في رواية عطاء بن السَّائب(٣): أنها قالت له: انزل فاطعم

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/١٠٢).

(٢) «فتح الباري» (٦/٤٠١) وقال: «وَوَقع فِي رِوَايَة بن علية عِنْد الْإِسْمَاعِيلِيّ».

(٣) هذه الرواية ذكرها ابن حجر في «الفتح» (٦/٤٠٥)، والحديث أخرجه النسائي =

واشرب، قال: لا أستطيع [النزول]، قالت: [فإني] أراك شعثاً ألا فاغسل رأسك وأدهنه، قال: بلى [إن شئت]؟ فجاءت بالمقام وهو يومئذ أبيض كالمها، فوضع قدمه اليمنى عليه، وقدَّم إليها شقَّ رأسه وهو على دابته فغسلته، فلمَّا فرغ حوَّلت المقام حتى وضع قدمه اليسرى فغسلت شقَّ رأسه الأيسر، فالأثر الذي في المقام من ذلك ظاهر فيه موضع العقب والأصبع.

وعند الفاكهي(١) عن ابن جريج عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أن سارة داخلتها غيرة(٢)، فقال لها إبراهيم: لا أنزل حتى أرجع إليك ثم ذكر نحو ذلك، قال: فلمَّا جاء إسماعيل وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، وذكرت ما قال لها، ثم جاء [مرَّةً] ثالثة فوجد إسماعيل، فقال [له]: **«إنَّ الله أمرني ببناء هذا البيت»**.

قال النَّووي: وإسماعيل أكبر من إسحاق، والأكثر على أنَّه الذبيح(٣). والقول بأنَّه إسحاق قال في «الهدي»: باطل من أكثر من عشرين وجهاً. ولم يخرج من نسله نبي غير المصطفى ﷺ(٤).

ودُفِن في الحِجْر مع أمِّه هاجر(٥).

= في «سننه الكبرى» (٥/ ١٠١، ط: دار الفكر) من رواية ابن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) في (م): «الفاكهاني».

(٢) في «أخبار مكة» للفاكهي (٥/ ٧٠): «عن حارثة بن مضرب عن عليّ رضي الله عنه قال: إن إبراهيم استوهب هاجر من سارة فوهبتها له وشرطت عليه أَنْ لا يسرها فالتزم ذلك ثم غارت منها فكان ذلك السبب في تحويلها مع ابنها إلى مكة».

(٣) عزاه في «تهذيب الأسماء» (١/ ١١٦) إلى الأكثرين. وانظر: «السبل» (١/ ٣٥٩).

(٤) «السبل» (١/ ٣٥٩).

(٥) «سيرة ابن هشام» (١/ ٥)، «المعارف» لابن قتيبة (ص٣٤).

○ **تنبيه:**

قال ابن حبَّان في «صحيحه»(١): كلُّ من كان من ولد إسماعيل(٢)، يقال له: ماء السَّماء(٣)؛ لأنَّ إسماعيل ولد هاجر، وقد رُبِّي من ماء زمزم وهي(٤) من ماء السَّماء.

وقيل: سُمُّوا به لخلوص نسبهم وصفائه فأشبه ماء السَّماء(٥) [وقيل: أراد بماء السَّماء: زمزم، فعاش ولدها بها، فصاروا كلهم أولادها].

وجدَّه؛ أي: وَجَدّ نابت. **الخليل**: فعيل بمعنى فاعل من الخُلَّة بضم المعجمة، [وهي] الصَّداقة والمحبة التي تخلَّلت القلب فصارت خلاله، وهذا صحيح بالنِّسبة لما في قلب إبراهيم من المحبَّة لله، وأمَّا إطلاقه في حقّه تعالى فعلى [سبيل] المقابلة، أو [من الخَلَّة](٦) ـ بفتح المعجمة ـ وهي الحاجة، سُمِّي به لانقطاعه إلى ربِّه، وقصره حاجته عليه(٧).

[﴿٣١﴾] **إبراهم** بحذف الياء لغة في إبراهيم، فإنَّ فيه لغات: إبراهام، وإبراهيم وإبراهوم وإبراهُم وإبراهَم وإبراهِم مثلثة الهاء، ست

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٣/ ٤٧، ط: مؤسسة الرسالة) عند حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاثاً**...».

(٢) في مطبوع «صحيح ابن حبان»: «من ولد هاجر» بدلاً عن «من ولد إسماعيل».

(٣) في «صحيح ابن حبان»: «ولد ماء السماء».

(٤) في «صحيح ابن حبان»: «وهو» عائد على الماء، ونص العبارة هناك بأكملها: «وهو ماءُ السماءِ الذي أكرمَ اللهُ به إسماعيلَ حيثُ ولدتُه أمُّه هاجرُ، فأولادُها أولاد ماء من السماء».

(٥) «فتح الباري» (٦/ ٣٩٤).

(٦) سقطت من (غ)، والمثبت من النسخ.

(٧) انظر: «الروض الأنف» (١/ ٣٥)، و«سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٦٢).

لغات والسَّابعة ابرهم بفتح الرَّاء والهاء وفيه غير ذلك، وتصغيره بُريه، وقيل: أبيره(١).

وقيل: بريهيم، والجمع أباره وأبارهة، وبراهم وبراهيم، وهو [اسم] سرياني ومعناه بالعربيَّة: أبٌ رحيم، وكثيراً ما يقع الاتفاق بين الإسرائيلي والعربي أو يتقاربا في اللفظ، سُمِّي به لرحمته بالأطفال، ولذلك جعل هو وزوجته [سارة] يكفلان أطفال المؤمنين إلى يوم القيامة، [كما قال ﷺ: «**أطفال المؤمنين في جبل في الجنة تكفلهم سارة حتى تردهم آبائهم يوم القيامة**»]. رواه الحاكم وغيره [عن أبي هريرة](٢).

وهو أفضل الأنبياء بعد محمد ﷺ؛ كما جزم به ابن كثير في «تاريخه»(٣).

وأخرج البزَّار واللَّفظ له وأحمد والحاكم، عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً: خيار بني آدم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وخيرهم محمد ثم إبراهيم(٤).

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٣ط: دمشق). وانظر: «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١/ ٣٦٣) فقد استقصى هناك كل ما قيل في لغات إبراهيم عليه السلام.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٨٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٧) مختصراً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وحسَّنه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١٦/ ١٤٠).

(٣) ابن كثير هو إسماعيل بن عمر، عماد الدين البعروي ابن كثير الشافعي، فقيه متفنن ومفسِّر. له تصانيف مفيدة. توفي سنة (٧٧١هـ)، «المعجم المختص» للذهبي (ص٧٤).
وقوله هذا في «البداية والنهاية» (١/ ٣٨٥، ط: هجر).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٤٦) بلفظ: «**سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ خَمْسَةٌ وَمُحَمَّدٌ ﷺ سَيِّدُ الْخَمْسَةِ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللهِ** =

ومثله لا يقال بالرأي، فهو كالمرفوع؛ وجزم بذلك الذَّهبي في «عقيدته».

وكان يكنى أبا الضِّيفان(١).

وقد أخرج ابن أبي الدّنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**كان أول**(٢) **من أضاف الضيف إبراهيم**»(٣).

و«هو أوَّل من اختتن»(٤).

= وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ»، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه».
وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٤٥٧) للبزار، وقال: «رجاله رجال الصحيح». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٨٧٦).

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ١٠١).

(٢) في «المعارف» لابن قتيبة (٣٠، ٣١): «قال وهب: كان إبراهيم عليه السلام أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأطعمه المساكين، وهو أول من قص شاربه واستحد واختتن وقلم أظفاره واستاك وفرق شعره وتمضمض واستنثر واستنجى بالماء. قال: وهو أول من شاب وهو ابن مائة وخمسين سنة».
وانظر: «السبل» (١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قرى الضيف» (١/ ١٨) (ط: دار أضواء السلف).

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨/ ٣٨٧) وفيه: عن يحيى بن سعيد؛ أنه سَمِعَ سعيدَ بن المُسَيِّبِ يقول: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلَ النَّاسِ أَضَافَ الضَّيْفَ، وَأَوَّلَ النَّاسِ اخْتَتَنَ، وَأَوَّلَ النَّاسِ قَصَّ شَارِبَهُ، وَأَوَّلَ النَّاسِ رَأَى الشَّيْبَ فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَا هَذَا فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَقَاراً يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: رَبِّ زِدْنِي وَقَاراً».
ورواه الطبراني في «الأوائل» (١/ ٣٦، ط: مؤسسة الرسالة) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢١/ ٥٦): «وأجمع العلماء على أنَّ إبراهيم أوَّل من اختتن».

و«أوَّل من قصَّ شاربه»(١).

و«أوَّل من قصَّ أظافره وعانته»(٢).

و«أوَّل من شاب»(٣).

و«أوَّل من تسرول»(٤).

و«أوَّل من [فرق]»(٥).

[و«أوَّل من استحدَّ»].

و«أوَّل من خضب بالحناء [والكتم](٦)».

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٤٢٨) وفيه: «عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: اختتن إبراهيم ﷺ وهو ابن عشرين ومائة، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة، قال سعيد: إبراهيم أول من اختتن، وأول من أضاف وأول من قص الشارب، وأول من قص الظفر وأول من شاب فقال يا رب ما هذا قال وقار قال يا رب زدني وقاراً».
وانظر: «الشعب» للبيهقي (٨/ ٣٨٧).

(٢) جزء من حديث أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨/ ٣٨٧).

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨/ ٣٨٧).

(٤) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٣٩٠): «ويقال: إنَّ الحكمة في خصوصية إبراهيم بذلك لكونه أُلْقِيَ في النار عُرْيَاناً، وقيل: لأنَّه أول مَن لَبِسَ السَّرَاوِيلَ».
وانظر: «الدر المنثور» (١/ ٦٠٠).

(٥) في حاشية (غ): «أي: جعل شعر رأسه فرقتين».
والحديث عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٠٠ ت: التركي) للبيهقي عن سفيان بن عيينة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في حاشية (غ): «الكتم: شئ أسود يجعل مع الحناء».
والحديث أخرجه الديلمي من حديث أنس رضي الله عنه (٤٧)، وعزاه في «فيض القدير» (٣/ ٩٣) لابن النجار في التاريخ عن أنس أيضاً رضي الله عنه. وفيه منصور بن عمار. قال العقيلي: فيه تجهم. وقال الذهبي: له مناكير. =

و«أوَّل من اتَّخذ المنبر وخطب عليه»(١).

و«أوَّل من اتَّخذ العصى»(٢).

و«أوَّل من رتَّب العسكر في الحرب ميمنة وميسرة وقلباً»(٣).

و«أوَّل من عانق»(٤).

و«أوَّل من ثرد الثريد»(٥).

و«أوَّل من راغم قومه إلى الله بالدعاء»(٦).

و«أوَّل من يُكسى يوم القيامة»(٧).

[و«أوَّل من يلبِّي يوم القيامة].

وُلِدَ بغوطة(٨) دمشق، وقيل: بإقليم بابل(٩)، وهاجر منه إلى

= وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢١٤٥)، وانظر: «الدر المنثور» (١/ ٦٠٢).

(١) «مصنف» ابن أبي شيبة (١٤/ ٦٩)، «مسند البزار» (٢٦٣٣)، وانظر: «الدر المنثور» (١/ ٦٠٢).

(٢) في «الدر المنثور» (١/ ٦٠٣): «عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله: «**إن أتخذ المنبر فقد اتخذه أبي إبراهيم، وإن أتخذ العصا فقد اتخذها أبي إبراهيم**». قال السيوطي قبله: «وأخرج البزار والطبراني بسندٍ ضعيفٍ» ثم ذَكَرَهُ. وانظر: «مسند البزار» (٢٦٣٢). وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٨١): «فيه محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، وهو ضعيف جداً».

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٠٣) لابن عساكر عن حسان بن عطية.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه «الإخوان» (١/ ١٨١، ط: دار الكتب العلمية). وقال ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٣٤١): «في إسناده عمر بن حفص بن محبر. لعل الآفة منه في رفعه».

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ٨٩) عن السدي قوله.

(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» عن مطرف. انظر: «الدر المنثور» (١/ ٦٠٧).

(٧) أخرجه البخاري (٤٦٢٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) في حاشية (غ): «الغوطة الوسط».

(٩) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ١٦٤).

الشام، وعاش نحو مئتي سنة، ودُفِنَ بالأرض المقدسة.

وقبره معروف بالبلد المعروف بالخليل مقطوع بأنّه هناك(١)، ولا يُقطع بقبر نبي ومكانه غيره ونبينا محمد ﷺ(٢).

وروى أبو السكن الهجري: أنّه مات وداود وسليمان عليهم السلام فجأة، وهو موت تخفيف على المؤمنين ورحمة للمراقبين(٣).

وفي البخاري(٤) أنّ المصطفى ﷺ أمر بقتل الوزغ؛ لكونه كان ينفخ النار على إبراهيم.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عند أحمد وابن ماجه: أنَّه لمَّا أُلقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلَّا أطفأت عنه إلا الوزغ، فإنَّها كانت تنفخ عليه، فأمر المصطفى ﷺ بقتلها(٥).

وهو **ابن تارخ**(٦) بمثناةٍ فوق وفتح الراء كما ذكره النووي(٧).

وبحاءٍ مهملة كما في «الفتح»(٨).

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٩٩).

(٢) انظر: «السبل» (١/ ٣٦٥). (٣) «المورد».

(٤) برقم (٣٣٥٩) من حديث أم شريك رضي الله عنها.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٢٥٨)، وأحمد (٢٤٥٤٣)، وابن ماجه (٣٢٣١)، كلهم من طريق نافع عن سائبة عن عائشة به.
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٧٠): «هذا إسناد صحيح».

(٦) هكذا وردتْ في نسخ الكتاب الخطية بالخاء المعجمة، وسيأتي كلام المؤلف هنا عن الاختلاف في ضبطها.

(٧) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٩٩) وقال فيه: «وهو تارح، بمثناة من فوق، وفتح الراء، وبحاء مهملة، قيل: آزر اسم، وتارح لقب، وقيل عكسه، والقولان مشهوران».
وفي «سيرة ابن هشام» (١/ ٢): «تارح».
وفي «المعارف» لابن قتيبة (ص٣٠): «تارخ».

(٨) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٣٨٩).

قال الشامي(١): ورأيتُه بخطِّ جَمْعٍ بإعجامها.

وفي «التّيجان»(٢): عاش مئتين وخمسين سنة.

[قال الجواني]: وله من الولد الذكر: هاران(٣)، وبه سُمِّيت مدينة حران؛ لأنَّ الحاء بلسانهم هاء.

---

(١) هو محمد بن يوسف الصالحي الشامي، أبو عبد الله، له العديد من المؤلفات ت (٩٤٢هـ). وقوله هذا في «السُّبُل» (١/ ٣٦٩).

(٢) «الروض» (١/ ٣٥)، و«السبل» (١/ ٣٦٩).

(٣) اضطربت النسخ الخطية في هذا الموضع، ففي (غ، م): «وله من الولد الدلوط وهران»، وفي (ف): «وله من الولد الدلول وهران»، وفي (ج، ك): «وله من الولد الذكر لوط وهران».
قلتُ: لعل الصواب هنا: وله من الولد الذكران: هاران؛ أو: وله من الولد الذكور: هاران؛ أو: وله من الولد والد لوط: هاران.
ويدل على هذا:
أولاً: أن النص قد ذكره القطب الحلبي في «المورد» (مخطوط، أجهزه الآن للنشر بإذن الله ﷻ) ونصه: «قال الجواني: ولتارح من الولد هاران بن تارح والد لوط ﷺ».
ثانياً: أن المعروف المشهور لدى أهل التاريخ والسيرة، أمثال الطبري، وابن قتيبة، وابن الجوزي، وابن خلدون، وابن كثير، والسهيلي، وغيرهم، أن لوطاً ﷺ هو ابن هاران، وأنَّ هاران هو أخو خليل الله إبراهيم ﷺ، وهذا هو المعروف عند أهل الكتاب، وهو مذكور في توراتهم.
انظر: «التاريخ» للطبري (١/ ٢٤٤، ٢٩٢)، «المعارف» لابن قتيبة (٣١)، «المنتظم» لابن الجوزي (١/ ٢٦٢)، «التاريخ» لابن خلدون (٣٨)، «البدء والتاريخ» لابن طاهر المقدسي (٣/ ٥١، ٥٦)، «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١/ ٩٠)، «البداية والنهاية» (١/ ٣٢٥)، «أعلام النبوة» للماوردي (٢٠٣).

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٤٠٨): «ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمور العظيمة قصة قوم لوط ﷺ وما حل بهم من النقمة العميمة، وذلك أنَّ لوطاً ابن هاران بن تارح، وهو آزر، كما تقدم، ولوط ابن أخي =

أي: وهو آزر اسمٌ أعجمي، وقيل: عربيٌّ؛ مِن آزَرَهُ: عاونه، فهما عَلَمان له كإسرائيل ويعقوب، وقيل: العَلَم: تارح، وآزر وصفٌ معناه الشيخ أو المعوَّج.

و[قال] في «العرائس»(١): اسمه الذي سمَّاه به أبوه: تارح، فلمَّا صار مع نمرود قيِّماً على خزانة آلهته سمَّاه: آزر.

وقيل: اسم صنم يعبده فلُقِّب به للزوم عبادته، أو أُطلق عليه محذوف المضاف(٢).

قال السُّهيلي(٣): وما بعد إبراهيم أسماء سريانية فَسَّر أكثرها بالعربية ابنُ هشام.

وتارح **هو ابن ناحور** بنون وراء وحاء مهملتين من النحر(٤) كما مرَّ [قال الناشي:

وناحور نحار العدى حفظت له مآثر لا يُحصيها عدُّ حاسبِ]

قال في «التّيجان»: عاش مئة وستة وعشرين سنة(٥).

= إبراهيم الخليل، فإبراهيم وهاران وناحور إخوة كما قدمنا، ويقال: إن هاران هذا هو الذي بنى حران، وهذا ضعيف لمخالفته ما بأيدي أهل الكتاب، والله أعلم». اهـ.
قلتُ: لكن الذي عند المؤلِّف هنا أنها سُمِّيَتْ به، وهذا لا يتعارض مع كلام ابن كثيرٍ؛ لأنَّها قد تُسمَّى به وإنْ لم يكن هو الذي بناها.
وقد صرَّح ابن كثير في موضعٍ آخر بما يفيد هذا المعنى عندما قال في «البداية والنهاية» (١/ ٣٤٧) عن سارة ﵍: «والمشهور أنها ابنة عمه هاران الذي تنسب إليه حران».

(١) للإمام الثعلبي.
وقد ذكره الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٠) منسوبا لصاحب العرائس.

(٢) انظر: «الروض» (١/ ٣٥)، و«السبل» (١/ ٣٦٩).

(٣) «الروض» (١/ ٣٥).

(٤) «السبل» (١/ ٣٧٠).

(٥) في (م): «عاماً».

وقيل: مئة وثمانية وأربعين(١).

وهذا ناحور آخر غير ناحور المذكور آنفاً(٢).

[﴿٣٢﴾] **وهو**؛ أي: ناحور **ابن شاروخ**.

قال النووي في «أماليه»(٣): بمهملات(٤).

وقال ابن حجر(٥): بشين معجمة فألف فراء مضمومة فواو فخاء معجمة.

وقال الجوَّاني وغيره(٦): شاروغ بغين معجمة، [وقال المؤيَّد صاحب حماة: بعين مهملة]، وفيه قال الناشي:

وشاروغ في الهيجاء ضيغم غابة(٧) يقدُّ الكلا بالمرهفات القواضب

[قال صاحب «التيّجان»]: عاش مئتين، وسبعة أعوام.

[ولعله من سرحة الإبل سرحاً أو سروحاً، إذا رعت بنفسها].

ابن أرغو(٨) قال النَّووي(٩): بضم العين المهملة.

وقال الجواني: معجمة، ومعناه بالعربية: قاسم(١٠).

---

(١) حكاه ابن حبيب كما في بعض النسخ.

(٢) قال الجوَّاني: ولآرز من الولد: هاران بن تارح والد لوط عليه السلام. «المورد».

(٣) نسبه الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٠) للنووي.

(٤) كذا ذكره ابن إسحاق في «سيرته» (ص١).

(٥) «فتح الباري» (٦/ ٣٨٩).

(٦) انظر: «السبل» (١/ ٣٧٠) حيث نسبه الصالحي للجواني.

(٧) ذكر هذا البيت في (م)، و«السُّبل» سارُع بمهلات.

(٨) في «السيرة» لابن هشام: «راعو» (١/ ٢) و«أرغو» (١/ ٤)، وعند ابن إسحاق (ص١): «راعو»، وفي «المعارف» لابن قتيبة (ص٣٠): «أرغو»، وفي «السبل» (١/ ٣٧٠): «راغو» و«رغو» و«أرغو».

(٩) لم أقف عليه فيما وقفتُ عليه مِن مؤلفات النووي.

(١٠) «المورد».

وقال عبد الغني(١) ومغلطاي: إنما هو راعوا براء وعين مهملتين.

وقال المصري(٢): راغُو بغين معجمة.

[قال ابن حبيب:](٣) عاش مئتين واثنتين وثلاثين سنة، وقيل(٤): مئتين وتسعة وستين سنة.

وفالخ أبٌ له؛ أي: أبٌ لأرغوا.

قال النَّووي(٥): وفالخ بالفاء وفتح اللام وبخاء معجمة.

[وقال الجوَّاني(٦) وصاحب التّيجان]: [فالغ] بغين معجمة [ويقال:

---

(١) في «سيرته» (ص٣٦).

(٢) الشريف محمد بن أسعد بن عليٍّ، أبو البركات الجَوَّانِيُّ، ثم المصريُّ، النَّسَّابَةُ، يُعرف بابن النَّحْوِيِّ، وُلِدَ سنة ٥٢٥، ومات سنة ٥٨٨. وكان قد وَلِيَ نقابة الأشراف بمصر، عالماً بالأنساب، غير أنَّه كانت له في مصنفاته مجازفات. ومِن مصنفاته «رحلة الشافعي» سَمِعه القطب الحلبي بإسناده إلى مؤلِّفه. والجَوَّانِيُّ، بفتح الجيم والواو المشدَّدة؛ كذا ضبطها ابن الصابوني في «تكملة الإكمال» (ص٣٩)، والصالحي في «سبل الهدى» (١/ ٢٨٠). وهي نِسْبَة إلى الجَوَّانِيَّة، قريةٌ كانت قُرب المدينة.
«تاريخ الإسلام» للذهبي (٤١/ ٣٠٧)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٦/ ٥٦٢)، «بُغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٤٤١).
وللجَوَّانِيِّ كتاب اسمه «المقدمة» نقل عنه الصالحي في أكثر مِن موضعٍ، لكن لم يذكره الصالحي في مقدمة كتابه «سبل الرشاد» ضمن مصادره؛ إنما ذكره القطب الحلبي في كتابه «المورد» [يسر الله نشره]، فلعل الصالحي قد نقل عن الجَوَّانِيِّ بواسطة القطب.

(٣) كما في «المورد». وانظر: «السبل» (١/ ٣٧٠) حيث نسبه لابن حبيب.

(٤) القائل هو الكلبي كما في بعض النسخ.

(٥) في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٧٦): «فالغ»، وانظر: «السبل» (١/ ٣٧٠) حيث نسبه للنووي.

(٦) في (غ): «وقال غيره»، والمثبت بعض النسخ.
انظر: «السبل» (١/ ٣٧٠).

بعين مهملة، وهو سرياني]، ومعناه بالعربية: القسام⁽¹⁾، وقيل: الوكيل.

وذكر السُّهيلي⁽²⁾: أنَّه أخو هود، [وحين تكلَّم أبوه بالعربيَّة بجبل الجودي لم يتكلم بها، وأنَّه] عاش مئة وسبعاً وستين سنة، وقيل غير ذلك.

وفالخ هو **ابن عيبر**⁽³⁾ بوزن جعفر، بعين مهملة فمثناة تحت ساكنة فموحدة مفتوحة⁽⁴⁾.

ذكره النَّووي⁽⁵⁾.

[و]قال المصري: ويقال عابر بالألف⁽⁶⁾.

قال الجوَّاني: وعابر من ولد هود، وقيل: هو هود [نفسه]، وقيل: ابن أخيه.

قال السُّهيلي⁽⁷⁾: والأصحُّ أنَّ هود هو ابن عبد الله بن رباح ابن عابر، [والقول الأول في العرب أظهر].

وهو جماع نسب قيس ويمن ونزار وخندف، ومن غير عمود النسب: [يقطن و] قحطان وهو أبو اليمن كلها، وولده العرب المتعرِّبة، فإنَّ العرب [ثلاث فرق]:

عرب عاربة⁽⁸⁾: وهم عاد وثمود وجرهم [وغيرهم].

---

(١) «الروض» (١/ ٣٥). (٢) «الروض» (١/ ٤٥).

(٣) في «سيرة ابن هشام» (١/ ٣)، (١/ ٥).

(٤) انظر: «السبل» (١/ ٣٧١).

(٥) عند النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٧٦): «عابر».

(٦) في «سيرة ابن هشام» (١/ ٣، ٤، ٧). وعند ابن الأثير في «الكامل» (١/ ١٤١).

(٧) «الروض» (١/ ٤٥).

(٨) في «البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ٢٨٣): «ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل ﷺ: العربُ العَارِبَةُ. وهم قبائلُ كثيرة؛ منهم: عادٌ، وثَمُودُ، =

وعرب متعرِّبة(١): وهم بنوا قحطان، الذين نطقوا بلسان العرب العاربة.

والعرب المتعرِّبة(٢): بنو إسماعيل بن إبراهيم.

وقيل: قحطان من ذريَّة إسماعيل، وأنه قحطان بن الهميسع بن تيم ابن بنت إسماعيل، وهو ظاهر كلام أبي هريرة رضي الله عنه(٣).

قال ابن حجر(٤): وهو الذي يترجَّح في نقدي.

ونقل السُّهيلي(٥) عن «تاريخ» الطَّبري(٦): أنَّ بين عابر وشالخ أباً

= وَجُرْهُمُ، وَطَسْمٌ، وَجَدِيسُ، وَأَمِيمُ، وَمَدْيَنُ، وَعِمْلَاقُ، وَعَبِيلٌ، وَجَاسِمٌ، وَقَحْطَانُ، وَبَنُو يَقْطُنَ، وغيرهم». اهـ.

وفي «تاريخ» الطبري (١/ ١١٦): «والثاني ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح، وهم كانوا العرب العاربة».

وفي «فتح الباري» (٦/ ٤٤٩): «وروى ابن حِبَّانَ في حديث أَبِي ذَرٍّ الطويل: أربعةٌ من العرب: هُودٌ وصالحٌ وَشُعَيْبٌ ومحمدٌ».

(١) في «تاريخ» الطبري (١/ ٢٠٤): «ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم: الْعَرَبُ الْمُتَعَرِّبَةُ؛ لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أَظْهُرِهِمْ».

وفي «فتح الباري» (٦/ ٥٣٧): «ويقال: إِنَّ قَحْطَانَ أولُ من تكلم بالعربية، وهو والد العرب الْمُتَعَرِّبَةِ، وأما إسماعيلُ: فهو والد العرب الْمُسْتَعْرِبَةِ، وأما العرب الْعَارِبَةُ: فكانوا قبل ذلك كَعَادٍ وَثَمُودَ وَطَسْمَ وَجَدِيسَ وَعَمْلِيقَ وَغَيْرِهِمْ».

وفي «البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ٢٨٣): «وأما العرب الْمُسْتَعْرِبَةُ: فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل».

(٢) في «المورد»: والعرب المتقرِّبة.

(٣) من قوله: «والقول الأول في العرب» إلى هنا بتمامه في «المورد العذب».

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٥٣٨). (٥) «الروض» (١/ ٣٥).

(٦) «تاريخ» الطبري (١/ ٢٠٥ ت: محمد أبي الفضل إبراهيم): ولا ذكر له في التوراة، وهو الذي قيل إنه لم يستحق أن يذكر في الكتب المنزلة؛ لأنه كان ساحراً، وسمَّى نفسه إلهاً. اهـ.

اسمه: قينان أو قنين، ترك ذكره في التوراة لكونه كان ساحراً(١)، لكن تعقَّبه ابن حزم بأنه ثابت فيها(٢).

ابن شالخ بمعجمتين بينهما ألف ولام مفتوحة ذكره النووي(٣)، قال السُّهيلي(٤): ومعناه الرسول أو الوكيل، [وأخوا شالخ مالك وقينان ابنا أرفخشذ، فزعموا أنَّ قينان أول من نظر في علم النجوم، واستنبط ذلك من تنُّور صفر كان كُتِبَ فيه عِلْمُها قبل الطوفان، ودُفِنَ في الأرض؛ فاسْتَخْرَجَهُ وعَلِمَ ما فيه(٥).

قال ابن الكلبي(٦): عاش شالخ أربع مئة وثلاثة وثلاثين سنة.

وقال ابن حبيب(٧): أربع مئة وثلاثة وتسعين سنة.

وفي «التيجان»(٨): عاش ثلاث مئة وثلاثاً وستين، وأوصى إلى ابنه غابر](٩).

[﴿٣٣﴾] **وهو**؛ أي: شالخ **ابن أرفخشذ** بفتح الهمزة فراء مهملة

---

(١) «الروض» (١/ ٧٦)، والذي في «تاريخ» الطبري (١/ ١٠٤): ولا ذكر له في التوراة، وهو الذي قيل إنه لم يستحق أن يذكر في الكتب المنزلة؛ لأنه كان ساحراً، وسمَّى نفسه إلهاً. اهـ.

(٢) نقل هذه العبارة الصالحي في «سبل الهدى» (١/ ٣٧١).
أي: أنَّ ابن حزم تعقَّب الطبري بأن قينان أو قين مذكور في التوراة. وقال في «نور النبراس»: «وقد رأيت في أصل جيد من (الروض) على حاشية لفظها: قال ذو النسبتين أيده الله: بل هو في التوراة بإجماعهم». وانظر: «السبل» (١/ ٣١).

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ١٧٦).

(٤) «الروض» (١/ ٣٥).

(٥) «سبل الهدى» (١/ ٣٧٢).

(٦) «السبل» (١/ ٣٧١) ونسبه لابن الكلبي.

(٧) «السبل» (١/ ٣٧١) ونسبه لابن حبيب.

(٨) «التيجان» لابن هشام (ص٢٨).

(٩) ما بين المعقوفتين من قوله: «وأخوا شالخ» إلى هنا ليس في (غ).

ساكنة ففاء مفتوحة فخاء معجمة ساكنة فشين مفتوحة فذال معجمات، ويقال: أنفخشذ بنون بدل الراء، وألفخشذ باللام(١).

قال السُّهيلي: معناه مصباح مضئ(٢).

وأمه من بنات الملوك(٣) عاش نحو أربع مئة عام [وثلاثة أعوام، وقيل: غير ذلك](٤).

أبوه؛ أي: أبو أرفخشذ، هو **سام** بسين مهملة مخففة.

قال النووي(٥): لما حضرت نوحاً الوفاة أوصى إلى سام، وكان ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، [ويقال: كان سام بكره]، وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك.

وفي «المستدرك» عن سمرة مرفوعاً: «**ولد نوح سام وحام، ويافث [أبو الروم]**»(٦).

وفي «التّيجان»(٧): أنَّه وصيُّ أبيه وأنَّه ولي [مصر و]أهل الأرض، وقال وهب: أتى الحواريون عيسى عليه السلام، فسار بهم إلى قبر سام، فقال: أجبني بإذن الله فقام بقدرة الله كالنخلة، فقال له عيسى: كم عشت؟ قال: [عشت] أربعة آلاف سنة، نبئت ألفين وعمرت ألفين، قال: كيف كانت الدنيا؟ قال: كبيت له بابان دخلت من هذا، وخرجت من هذا.

---

(١) «السبل» (١/ ٣٧١).   (٢) «الروض» (١/ ٣٥).

(٣) «السبل» (١/ ٣٧٢).

(٤) قال ابن هشام في «التيجان» (ص٢٧): «فعاش أرفخشذ أربعمائة وثلاثة وستين سنة».

(٥) «تهذيب الأسماء» النووي (٢/ ١٣٤).

(٦) «المستدرك» (٢/ ٥٤٦). وأخرجه الطبري في «تاريخه» (١/ ٢٠٩)، والطبراني في «معجمه الكبير» (٦٨٧٢) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، وقال الحاكم: هو حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٧) «التيجان» لابن هشام (٢٨).

وفي «طبقات» ابن سعد و«موفقيَّات» الزبير، و«بستان» أبي الليث [السمرقندي]: أنَّه كان نبيّاً.

وردَّه الناجي⁽¹⁾ في «كنز الرَّاغبين»⁽²⁾ وحذَّر منه⁽³⁾.

[و]قال ياقوت⁽⁴⁾: في «معجم البلدان»⁽⁵⁾: مادة (نوى) بفتح النُّون والواو بُليدة من أعمال حوران [بناحية دمشق]، وهي مدينة أيوب وبها قبر سام.

أبوه نوح اسم أعجمي المشهور صرفه لخفَّته، وقيل: يجوز صرفه وعدمه⁽⁶⁾.

وقيل: عربي من ناح ينوح نوحاً لكثرة نوحه على نفسه، أو [على] قومه؛ لكونهم غرقوا بلا توبة⁽⁷⁾.

و[قيل]: اسمه عبد الغفَّار⁽⁸⁾.

---

(١) الناجي هو برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشافعي الدمشقي. توفي سنة (٩٠٠هـ)، «كشف الظنون» (١/ ٨١).

(٢) واسمه «كنز الراغبين العفاة في الرمز المحمدي والوفاة» تحذيره هذا نقله الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٣): ليس سام بنبي خلافاً لما وقع لأبي الليث السمرقندي في «بستانه»، فاحذره، واحذر من قلَّده. انتهى.
قال الصالحي: وقد روى ابن سعد في «الطبقات»، والزبير بن بكار في «الموفقيات» عن الكلبي رحمه الله تعالى أن ساماً كان نبياً، لكن الكلبي متروك.

(٣) نسبه الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٣) للناجي.

(٤) ستأتي ترجمته.

(٥) «معجم البلدان» لياقوت (٥/ ٣٠٦).

(٦) «تهذيب الأسماء» للنووي (٢/ ١٣١).

(٧) «السبل» (١/ ٣٧٢).

(٨) «الروض» (١/ ٣٥)، «السبل» (١/ ٣٧٣).

وهو **صائم قوَّام** كثير العبادة والمجاهدة، وهو آدم الثاني؛ لأنه لا عقب له إلَّا منه، وكان نجاراً(١).

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً: «**بين نوحٍ وآدم عشرة قرون**»(٢).

أرسله الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة(٣)، فمكث فيهم [كما أخبر الله] ألف سنة إلَّا خمسين عاماً، والناس بعده من ذرِّيته، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ [الصافات: ٧٧](٤).

وفي «المستدرك»(٥) عن ابن مسعود ﵁ مرفوعاً: «**أنَّ نوحاً اغتسل فرأى ابنه وهو حام ينظر إليه، فقال: تنظر إليَّ وأنا أغتسل حاك الله لونك فاسودَّ فهو أبو السودان**».

صححه الحاكم وضعَّفه الذهبي(٦).

---

(١) «المعارف» لابن قتيبة (ص٢١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٣) و«الكبير» (٧٥٤٥) بلفظ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَبِيّاً كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: عَشَرَةُ قُرُونٍ. قَالَ: كَمْ كَانَ بَيْنَ نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: عَشَرَةُ قُرُونٍ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ كَانَتِ الرُّسُلُ؟ قَالَ: ثَلَاثُ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ».
قال الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٤): «رجاله ثقات».

(٣) «المعارف» لابن قتيبة (ص٢١).

(٤) أخرج الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٤٦) عن ابن عباس مرفوعاً: «**بَعَثَ اللهُ نُوحاً لِأَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً يَدْعُوهُمْ وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ سَنَةً حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَفَشَوْا**».
ثم قال الحاكم: «قد اتفق الشيخان على حديث أبي هريرة ﵁ وأنس ﵁، عن النبي ﷺ، في حديث الشفاعة: «**فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أُرْسِلَ إِلَى الْأَرْضِ**»».

(٥) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٤٦).

(٦) ضعفه الذهبي؛ لأنَّ في سنده محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي لبيبة، وقد =

وعاش بعد الطوفان خمس مئة عام. ذكره وهب⁽¹⁾، لكن في التوراة: عاش بعدها ثلاث مئة وخمسين سنة⁽²⁾.

وفي حديث الشفاعة: «**أنَّ الناس يأتون آدم ثم نوحاً، وإنَّ آدم يقول: ائتوا نوحاً فإنه أول رسول أرسل إلى أهل الأرض...**»⁽³⁾.

قال ابن عبَّاس: كانت بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السَّهل والآخر الجبل، ورجال الجبل صباحاً وفي النّساء دمامة، وأهل السهل بالعكس، فكثرت الفاحشة فيهم، فأرسل الله إليهم نوحاً⁽⁴⁾.

وقال ابن قتيبة: هو أوَّل نبي [نبأه الله] بعد إدريس⁽⁵⁾.

وأخرج ابن عساكر في «تاريخه» عن أنس مرفوعاً: «**أول نبي أُرسل نوح**»⁽⁶⁾.

وهو أحد أولي العزم الخمسة، الذين هم أفضل الأنبياء والرسل،

= ضعَّفوه، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/ ٢٧٨).

(١) في «المعارف» لابن قتيبة (ص٢٤) قال وهب: «كان عمر نوح ألف سنة؛ لأنه بعث إلى قومه وهو ابن خمسين سنة، ولبث فيهم يدعوهم إلى أن مات بعد تسعمائة وخمسين سنة».

(٢) في «المعارف» لابن قتيبة (ص٢٤): «وفي التوراة: إن نوحاً عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، فكان عمر نوح تسعمائة سنة وخمسين سنة».

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الطيالسي في «مسنده» (٢/ ٤٧٧)، وبنحوه عند البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٢٠) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/ ٢٧٩)، وانظر: «تهذيب الأسماء» (٢/ ١٣٢).

(٥) «المعارف» لابن قتيبة (ص٢١). وفي «التاريخ» لابن عساكر (١/ ٢٩) أن أول نبي بعث إدريس.

(٦) في «التاريخ» (٦٢/ ٢٤٣) عن أنس رضي الله عنه. وقال في «فيض القدير» (٣/ ٩٧): وهو عند مسلم [١٩٣] في أثناء حديث الشّفاعة، ولفظه: «**ائتوا نوحاً أوَّل رسول**».

ولما ساق الحافظ ابن حجر نسب إبراهيم إلى نوح على هذا الوجه، عقَّبه بقوله: لا يختلف جمهور أهل النسب، ولا أهل الكتاب في ذلك إلّا في النطق ببعض الأسماء، نعم ساق ابن حبان في أول «تاريخه» خلافاً، وهو شاذ(١). [انتهى].

[﴿٣٤﴾] **وهو ابن لامك** بفتح الميم وتكسر وكاف، ويقال: بخاء معجمة بدلها(٢).

وفي «التيجان»(٣): هو بالعبراني لامخ، وبالعربي لامك وبالسرياني لمخ، وتفسيره متواضع.

قال السُّهيلي(٤): وهو أوَّل من اتَّخذ العود والغناء، ومصانع الماء.

وفي «التّيجان»(٥) أنه تجَبَّر وأنَّ بنيه لمَّا رأوه فعل ذلك فعلوا مثله، وأنَّه عاش سبع مئةٍ وسبعين سنة ثم مات، ففرح النَّاس وهو وصيُّ أبيه.

ابن متّوشلخا بميم فمثنَّاةٍ فوقيَّة مشددة مضمومتان ويفتحان فواو ساكنة وتفتح، فشين معجمة مفتوحة [وتسكن] فلام ساكنة وتفتح وتكسر فخاء معجمة.

[قال السُّهيلي(٦) كابن هشام]: ومعناه مات الرسول؛ لأنَّ أباه [خنوخ]، وهو إدريس كان رسولاً، ومات [بعده](٧)، وهو [وصيُّه](٨).

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٣٨٩).

(٢) «السبل» (١/ ٣٧٦).

(٣) «التّيجان» (٢٢).

(٤) «الروض» (١/ ٣٥).

(٥) «التّيجان» (٢٢) والذي في التيجان: «فعاش لامخ تسعمائة سنة وسبعا وسبعين».

(٦) «الروض» (١/ ٣٥).

(٧) في (ك): «بعد أبيه».

(٨) في (ك): «وصي أبيه».

[قال ابن حبيب(١): عاش تسع مئة وتسعاً وستين سنة، وقيل(٢): ألفاً ونيّفاً.

ابن خنوخ بمعجمتين بعد الأولى نون [وقيل: بزيادة الألف أوله وسكون المعجمة الأولى](٣)، وقيل غير ذلك(٤).

قال مغلطاي: ويقال: أخنُخ [أي:] بضم النّون، وولد قبل موت آدم بمئة سنة.

ونقل(٥) الحاكم(٦) ـ بسند واه ـ عن وهب: أنه سئل عن إدريس، فقال: هو جد نوح الذي يقال له: خنوخ. ونقل بعضهم عليه الإجماع، قال الحافظ ابن حجر(٧): وفيه نظر.

[فقد أخرج ابن أبي حاتم وغيره ـ بسندٍ حسن ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إلياس هو إدريس، ويعقوب هو إسرائيل(٨)، فإذا كان إلياس هو إدريس لزم كونه من ذرية نوح.

قال ابن هشام: خنوخ اسمه في التّوراة، وهو اسم سرياني، وفي التّوراة: أنّه حي إلى أن يموت جميع الخلق، والملائكة، حكماً مقضيّاً، وأنّه عاش في الأرض مئة وخمساً وستين سنة، ثم رفعه الله إلى السماء الرابعة أو السّادسة، فهو مع الملائكة.

وقال السُّهيلي(٩): خنوخ هو إدريس](١٠)، **وهو**؛ أي: خنوخ،

---

(١) نسبه الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٧) إلى ابن حبيب.

(٢) ابن الكلبي كما في بعض النسخ.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك).

(٤) ذكر كل الأقوال الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٧).

(٥) في (ك): «وروى».

(٦) «المستدرك» (٢/ ٥٤٩)، وقال الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٧): إسناده واه.

(٧) «فتح الباري» (٦/ ٣٧٥).

(٨) «السبل» (١/ ٣٧٧).

(٩) «الروض» (١/ ٣٥، ٣٦).

(١٠) من قوله: «فقد أخرج ابن أبي حاتم وغيره بسند حسن عن ابن مسعود» إلى هنا =

فيما ورَّخا؛ أي: فما ذكره المؤرِّخون، يقال: أرَّخته بالتثقيل [في الأشهر](١) والتّخفيف لغة كما حكاه ابن القطَّاع(٢)، إذا جعلت له تاريخاً وهو معرَّب، وقيل: عربي، [وهي بيان انتهاء وقته](٣)، ويقال: ورَّخت على البدل، والتّوريخ قليل [الاستعمال](٤) وأكثر ما يقع في الضرورة كما هنا.

[﴿٣٥﴾] **إدريس ـ فيما زعموا** ـ أي: المؤرّخون وأهل الأنساب، وهو قول ابن إسحاق وطائفة(٥) وخالفه فيه جمع، منهم الحاكم في «مستدركه»(٦) فقال: أكثر الصَّحابة على أنَّ نوحاً ﷺ، قبل إدريس.

= سقط من (غ)، ومن قوله: «فإذا كان إلياس هو إدريس لزم. . .» إلى هنا سقط من (ك).

(١) زيادة من (ك).

(٢) هو العلَّامة شيخ اللغة أبو القاسم على بن جعفر بن علي السعدي الصقلي بن القطّاع. له مصنفات نافعة. توفي سنة (٥١٥هـ)، «السير» (١٤/ ٣٨٥، ط: دار الفكر).

(٣) زيادة من (ك).

(٤) «تاج العروس» مادة: (أرخ): «أَرَخَ الكتَابَ بالتخفيف وقَضِيّته أَنّه كنَصَرَ وأَرّخه بالتشديد وآرَخه بمَدِّ الهمزة: وَقَّتَه أَرْخاً وتأْريخاً ومُؤارَخة. ومثله التَّوْرِيخُ وزَعَمَ يعقوبُ أَنّ الواو بَدلٌ من الهمزة. وقيل إِنَّ التَّأْريخ الذي يُؤَرّخه الناسُ ليس بعربيّ محْض وإِنّ المسلمين أَخذوه من أَهْل الكتاب. قال شيخنا: وقد أَنكرَ جماعةٌ استعمالَه مخفّفاً والصّوابُ ورِدُه واستعماله مخففا، كما أَورده ابن القطّاع وغيره. والخِلاف في كونه عربيّاً أَو ليس بعربيّ مشهور وقيل هو مقلوب من التأْخير. وقال الصُّوليّ: تاريخ كلِّ شيْءٍ غايتُه ووَقْتُه الّذي ينتهِي إِليه يَنتهِي شَرَفُهم ورياستُهم».

(٥) «تهذيب الأسماء» (١/ ١٢٥) وفيه: «وفي صحيح البخاري في كتاب الأنبياء، قال: ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس».

(٦) «المستدرك» (٢/ ٥٤٥).

وجزم به ابن العربي وقال: إدريس هو إلياس، وأيَّده الحافظ ابن حجر(١) بما أخرجه ابن أبي حاتم ـ بإسناد حسن ـ عن ابن مسعود، قال: إلياس هو إدريس(٢).

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٣٧٣) وذكر قول ابن العربي.

(٢) وفي قولهم: «إلياس هو إدريس» شبهة كبيرة تتبعها النووي في «شرحه على مسلم» (٢/ ٢٢٠) رأيت نقلها لما فيها من الفائدة الكبيرة، قال النووي: «قال القاضي عِيَاضٌ: هذا مخالفٌ لما يقوله أهلُ النَّسَبِ والتاريخ من أَنَّ إِدْرِيسَ أَبٌ من آباء النبي ﷺ؛ وأنَّه جَدٌّ أعلى لنوح ﷺ، وأنَّ نوحاً هو ابن لَامكَ بْنِ متوشلخَ بْنِ خنوخَ، وهو عندهم ادريس بن يرد بْنِ مِهْلَايِيلَ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيثِ بْنِ آدَمَ! عليه السلام، ولا خلاف عندهم في عدد هذه الأسماء وسَرْدِها على ما ذَكَرْنَاه، وإنما يختلفون في ضبط بعضها وصورةِ لَفْظِهِ، وجاء جوابُ الآباء هنا ـ إبراهيمُ وآدمُ ـ: مَرْحَباً بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَقَالَ إِدْرِيسُ: مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ؛ كما قال مُوسَى وَعِيسَى وَهَارُونُ وَيُوسُفُ وَيَحْيَى، وليسوا بآباءٍ، صلوات الله وسلامه عليهم، وقد قيل عن إِدْرِيسَ: إِنَّهُ إِلْيَاسُ، وَأَنَّهُ ليس بِجَدٍّ لِنُوحٍ؛ فَإِنَّ إِلْيَاسَ من ذُرِّيَّةِ إبراهيم، وَإِنَّهُ من الْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّ أَوَّلَ الْمُرْسَلِينَ نُوحٌ عليه السلام؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ.

هذا كلام القاضي عياض رحمه الله، وليس في هذا الحديث ما يمنع كون إدريسَ عليه السلام أباً لِنَبِيِّنَا محمدٍ ﷺ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ: «**الْأَخِ الصَّالِحِ**» يَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ قالَهُ تَلَطُّفاً وَتَأَدُّباً، وهو أَخٌ وإِنْ كان ابْناً، فَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ والمؤمنون إِخْوَةٌ؛ والله اعلم».

وتكلم في هذه المسئلة ابن كثير في «تاريخه» (١/ ٢٣٦) حيث قال: «قال البخاري: وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ إِلْيَاسَ هُوَ إِدْرِيسُ، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزُّهْرِيِّ، عن أنس في الإسراء؛ أَنَّهُ لَمَّا مَرَّ بِهِ عليه السلام قَالَ لَهُ: «**مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ**». ولم يقل كما قال آدمُ وإبراهيمُ: «**مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ**». قالوا: فلو كان في عمود نَسَبِهِ لقال له كما قالا له. وهذا لا يدل ولا بدَّ على ذلك؛ لأنه قد لا يكون الراوي حَفِظَهُ جيداً؛ أو لعله قَالَهُ له على سبيل الهضم والتواضع، ولم =

قال ابن العربي: وإدريس ليس بجد نوح، ولا [هو] من عمود هذا النسب [تمسكاً]؛ لأنَّ المصطفى ﷺ أخبر في حديث الإسراء بأنَّه لقي آدم، فقال له: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، وكذا إبراهيم، وقال له إدريس: الأخ الصالح. فلو كان في عمود نسبه خاطبه بالبنوَّة، وتعقَّبه النَّووي(١) بأنّه يحتمل أنه قاله تلطفاً وتأدباً، وإن كان ابناً فالأبناء إخوة، والمؤمنون إخوة.

وقال المازري(٢): ذكر المؤرّخون أنَّ إدريس جد نوح، فإن قام دليل على أنَّ إدريس أُرسل، لم يصح قول النسَّابين أنّه قبل نوح؛ لقول المصطفى ﷺ في حديث الشَّفاعة: «**ائتوا نوحاً فإنَّه أوَّل رسول بعث إلى أهل الأرض**».

قال السُّهيلي(٣): وحديث أبي ذر الطويل، ينصُّ على أنَّ آدم وإدريس رسولان(٤)، [انتهى].

وإلى ترجيح العبريَّة(٥) وردَّ ما عليه المؤرخون أشار الناظم بتعبيره بالزعم الذي هو مظنَّة الكذب.

قال المرزوقي: الزعم أكثر استعماله في الباطل، أو فيما فيه شك.

= يَنْتَصِبْ له في مقام الْأُبُوَّةِ، كما انْتَصَبَ لآدَمَ أبي البَشَرِ، وإِبْرَاهِيمَ الذي هو خليلُ الرحمٰن، وهو أكبرُ أُولِي الْعَزْمِ بعد محمدٍ صلوات الله عليهم أجمعين».

(١) النووي في «شرحه على مسلم» (٢/ ٢٢٠).

(٢) نسبه الصالحي في «السبل» للمازري (١/ ٣٧٨).

(٣) لم أقف عليه في «الروض» ولكن نسبه الصالحي (١/ ٣٧٨) للسهيلي في «الروض».

(٤) انظر: «الروض» (١/ ٧٩).

(٥) في (ك): «الغيريَّة».

وإدريس أول من خطَّ بالقلم⁽¹⁾. وأول من نظر في علم النجوم والحساب⁽²⁾. وأول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود.

وفي حديث مسلم وغيره عن معاوية بن الحكم أنَّ المصطفى ﷺ قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط**»؛ أي: يضرب خطوطاً في الرمل يعرف منها الأمور⁽³⁾، فمن وافق خطه فذاك»⁽⁴⁾.

قال جمع: هو إدريس عليه السلام، ورفع الله عنه الإحساس بحرِّ الشمس بدعوته، وعبد الله تعالى حتى تمنَّت الملائكة المقربون صحبته، وأجابه ألف إنسان، ممن دعاهم⁽⁵⁾ إلى الله تعالى فلما رُفع إلى السماء، اختلفوا [بعد]⁽⁶⁾ وأحدثوا الأحداث إلى زمن نوح، [قال وهب]: ورُفع [إدريس]⁽⁷⁾ وهو ابن ثلاث مئة وخمس وستين سنة⁽⁸⁾.

---

(١) قاله ابن قتيبة في «المعارف» (ص٢١)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٤٢ت: عطا)، وابن الأثير في «الكامل» (١/ ٥٦) وفيه: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، مِنَ الرُّسُلِ أَرْبَعَةٌ سُرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، وَشِيثٌ، وَنُوحٌ، وَخَنُوخُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً**».

في «المورد»: روى ابن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أبي ذر عن النبي ﷺ فذكره.

وانظر: «الروض» (١/ ٣٦).

(٢) قلنا: إنهم اختلفوا في أول من تعلم النجوم والحساب وقد سبق ذكر هذا الاختلاف قريباً فانظره إن أردته.

(٣) في (ك): «الأحوال».

(٤) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه، وفيه: سؤال الجارية: «أين الله».

(٥) في (ك): «كان يدعوهم».

(٦) زيادة من (ك).

(٧) زيادة من (ك).

(٨) قاله ابن قتيبة في «المعارف» (ص٢١) ونسبه لوهب، وانظر: «السبل» (١/ ٣٧٩).

يرد بمثناة تحتيَّة مفتوحة وراء ساكنة ودال مهملة، ونقطها الجوَّاني(١) وجرى عليه المؤيد في «تاريخه».

أبه بضم الموحدة والهاء؛ أي: إدريس، أبوه يرد وهو على لغة النَّقص كما مَرَّ.

[وفي «التّيجان»](٢): اسمه في التوراة يارد(٣) عبراني، ومعناه ضابط، واسمه في الإنجيل بالسريانية يرد وتفسيره ضبط؛ أي: ضبط [في الآباء]، فعمل بأمر الله [تعالى]، [فلمَّا بلغ غاية الدعوة قبضه الله]، وعاش تسع مئة سنة ونيِّفاً(٤) وستين [سنة] وهو خليفة أبيه.

وهو؛ أي: ويرد هو **ابن مهليل** بفتح الميم وسكون الهاء وقيل(٥): مهلائيل بفتح [الميم] فسكون [الهاء] مهموز [وقد] يقال: بالياء(٦)، [قال ابن هشام]: وَلِي(٧) أهل الأرض بوصيَّة أبيه(٨).

---

(١) أي: يارذ، وقال: وله أخوة درجوا.

(٢) زيادة من (ك) ونسبه الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٩) لصاحب التيجان.

(٣) في (ك): «يحج بلد».
وفي «تاريخ الطبري» (١/ ١٦٩): «يردَ، وبعضهم يقول: يَاردَ».
وفي «الكامل لابن الأثير (١/ ٥٦): «يَارَدُ بياءٍ معجمةٍ باثنتينِ من تحتها، وراءٍ مهملةٍ، وذالٍ معجمةٍ».

(٤) في (ك): «وثنتين».

(٥) في (ك): «وقال التوزري المصري». (٦) «السبل» (١/ ٣٧٩).

(٧) في (ك): «هو لي».

(٨) في «تاريخ الطبري» (١/ ١٦٩): «فَوُلِدَ يردُ لمهلائِيلَ مِنْ خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخَ بْنِ قينَ، بَعْدَ مَا مَضَى مِنْ عمر آدم أربعمائة وَسِتُّونَ سَنَةً، فَكَانَ وَصِيَّ أَبِيهِ وَخَلِيفَتِهِ فِيمَا كَانَ وَالِدُ مهلائِيلَ أَوْصَى إِلَى مهلائيلَ، وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ».

قال السُّهيلي(١): وهو عبراني معناه ممدَّح أو ممدوح، وفي زمنه كان ابتداء عبادة الأوثان(٢).

وقال ابن هشام(٣): اسمه بالسّرياني في الإنجيل نابيل.

قال الحلبي(٤): [كذا في النسخ]، ولعله مهلاييل، وتفسيره مسيح الله، [فسار بأمر الله فلما بلغ غاية الدعوة] مات(٥) عن مئتي سنة وعشرين [سنة](٦)، وقيل: غير ذلك(٧).

ابن قينن بقاف مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فنونين أولاهما مفتوحة، وقال النووي(٨) كالسُّهيلي(٩): قينان بالألف عبراني تفسيره بالعربية المستوي، واسمه بالسرياني في الإنجيل: قانيان وتفسيره عيسى، وهو خليفة أبيه، [وفي «النّور»(١٠) عن بعض مشايخه]: [وهو](١١) الذي بنى أنطاكية.

---

(١) «الروض» (١/ ٣٦).

(٢) في (ك): «وفي وقته كان بدء».

(٣) نسبه الصالحي في «السبل» (١/ ٣٧٩) لصاحب التيجان.

(٤) القطب الحلبي صاحب «المورد»، وقوله هذا في «المورد» يسر الله نشره قريباً إن شاء الله ﷻ.

(٥) في (ك): «توفاه الله».

(٦) وقد ذكر هذا التاريخ في «التيجان» (ص٢١). وفي (م، ك): «وقيل: ثلاث مئة وخمسة وتسعين».

(٧) ذكر كل ما جاء هنا الصالحي في «السبل» (١/ ٣٨٠).

(٨) «تهذيب الأسماء» للنووي (٢/ ١٣٢).

(٩) «الروض» (١/ ٣٧).

(١٠) كتاب «النور»: هو «نور النبراس على سيرة ابن سيِّد الناس» لبرهان الدين الحلبي، والكتاب مخطوط، توجد منه نسخ في مكتبات متعدّدة منها مكتبة عارف حكمت بخط المؤلف، وفي النية إخراجه أسأل الله تيسير ذلك بمنّه وكرمه.

(١١) في (ك): «إنه».

يعقبه؛ أي: يتلوه في النسب.

[﴿٣٦﴾] **يانش** بمثنَّاة تحتيَّة ونون(١) مفتوحة وشين معجمة [ذكره محمد بن علي المصري، وذكر أنه رآه بخط بعض العلماء](٢) بكسر(٣) النون، وضبطه الناظم بخطِّه بالوجهين إشارة إلى جوازهما.

ويقال: أنوش ـ بفتح الهمزة وضم النون وسكون الواو ـ، ويقال: أنش ـ بنون و[شين] معجمة في الكل(٤).

[قال في «التّيجان»(٥)]: ولي أمر الله في الأرض يحكم فيها بما في صحف شيث، وهو خليفته [قال: واسمه بالعبراني: إنوش بكسر الهمزة](٦)، وتفسيره بالعربية إنسان، [وبالسرياني: آنوش ـ بهمزة ممدودة فنون مضمومة وشين معجمة ـ وتفسيره](٧) صادق فعمل بطاعة الله، حتَّى بلغ تسع مئةٍ وخمسين سنة فمات.

قال السُّهيلي(٨): وهو أول من غرس النخل، وبذر الحب وبوَّب الكعبة.

قال الحلبي(٩): لكنِّي رأيت بخط القاضي الفاضل(١٠): أوَّل من زرع الحب ـ الحنطة ـ آدم، [فإنَّه كان يحرث ويزرع](١١)، [ورُوِيَ] أنَّ

---

(١) في (ك): «وفتح نون».

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) ليس في (غ) ومكانها: «ويقال».

(٣) في (ك): «بسكون».

(٤) انظر: «الروض» (١/ ٣٧)، و«السبل» (١/ ٣٨٠).

(٥) «التّيجان» (ص٢١).

(٦) زيادة من (ك).

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) ومكانها في (غ): «وقيل».

(٨) «الروض» (١/ ٣٧).

(٩) «المورد» وتحرف اسم «الحلبي» في (ف) إلى «الحليمي».

(١٠) هو أبو الحسن بن الأشرف أبي العباس، أحمد؛ كما ذكر الحلبي.

(١١) قال ابن قتيبة في «المعارف» (ص١٧): «ولما هبط ـ يقصد آدم ـ إلى الأرض حرث».

الشعير من زرع حواء(١)، [وأنها تأمَّلَتْ في ذلك، وأنَّ ذلك ذكروه في كتب التاريخ](٢).

شيث بشين معجمة مكسورة فمثنَّاة تحت ساكنة، فمثلثة منونة، **أبُه** بضم الموحدة والهاء [على لغة النقص كما مر، ثم] هذا اسمه بالعبرانيَّة، واسمه بالسريانيَّة شياس وبالعربيَّة شثٌّ، وهو هبة الله وإليه أوصى آدم. ذكره ابن عبد البر.

[وقال السُّهيلي(٣): بالعبرانيَّة شيِّث، وبالسريانية شاث]، وقيل: تفسيره: عطية الله؛ لأنَّه خلف من هابيل، وُلِدَ بعده لمئتي سنة وخمس وثلاثين [سنة] من عُمْرِ آدم، فقال آدم: هذا عطيَّة(٤) من الله فسُمِّي به.

وقيل(٥): [و]تفسيره [بالعربيَّة] نصب؛ لأنَّ عليه وعلى بنيه نصبت الدُّنيا، فليس فيها غير ذريَّته، وجميع بني آدم أغرقهم الطُّوفان، وولدت حواء لآدم أربعين ولداً في عشرين بطناً، ووضعت شيثاً وحده كرامة له وكان أجمل ولد آدم وأفضلهم وأشبههم به وأحبِّهم إليه، وهو [وصيُّه و]ولي عهده [والمرجوع إليه من بعده، وهو أبو البشر كلِّهم]، وإليه انتهت الأنساب، وهو الذي بنى الكعبة بطين وحجر(٦)، وكانت هناك خيمة لآدم [وضعها الله له] من الجنة، وأنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعاش تسع مئة سنة وثنتي عشراً(٧).

ابن آدما وكنيته أبو البشر وأبو محمد، من أديم الأرض وهو ظاهر وجهها، سُمِّي به لخلقه منها، أو من الأُدمة وهي السُّمرة، ولا يشكل

---

(١) بعدها في (ك): «والحنطة من زرع آدم» وقد سبقت هذه العبارة هنا.

(٢) كذا وقعتْ هذه العبارة في (ك). (٣) «الروض» (١/ ٣٧).

(٤) في (ك): «هبة من الله».

(٥) في (ك): «وقال في «التيجان». وانظر: «السبل» (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

(٦) في (ك): «الطين والحجر». (٧) في (ج) و(ك): «ثنتي عشرة سنة».

ببراعة جماله، وأنَّ حسن يوسف ثلث حسنه؛ لأنَّ سمرته بين بياض وحمرة.

وهو أوَّل الرُّسل كما رواه الحكيم التِّرمذي في «نوادره» عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً [ولفظه: «**أوَّل الرُّسل آدم**»](١)، ولا تعارض بينه وبين حديث: «**أوَّل الرُّسل نوح**»؛ لأنَّ آدم أُرسل إلى بنيه وكانوا أربعين كما مرَّ وهم مؤمنون، و[أما] نوح أُرسل إلى الكفار من أهل الأرض، وأنزل [الله] على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير.

قال النَّضر بن شميل(٢): [و]اشتهى آدم قطف عنب، فانطلق بنوه ليطلبوه فتلقتهم(٣) الملائكة، فقالوا: أين تريدون؟ فذكروا لهم(٤)، قال: ارجعوا فقد كفيتموه، فانتهوا فوجدوه ميتاً فغسَّلوه وحنَّطوه وكفَّنوه وصلَّى عليه جبريل، والملائكة [خلف جبريل] وبنوه خلفهم(٥)، ودفنوه وقالوا: هذه سُنَّتكم يا بني آدم [في موتاكم](٦).

قال وهب(٧): حفر له في أبي قبيس في غار يُسمَّى غار الكنز،

---

(١) سبق تخريجه.
وهو جزء من حديث أخرجه الحكيم الترمذي، كما في «الفيض» (٣/ ٩٧)، وفيه عمرو بن أبي عمر؛ أورده الذهبي في «الضعفاء» وقال: قال ابن عدي: مجهول. وإبراهيم بن هشام: قال أبو حاتم: غير ثقة.

(٢) هو النضر بن شميل بن خرشة المازني، عالم معروف حمله عند جميع العلماء والحفاظ. وله في الشعر واللغة، كان ثقة، وقوله هذا ذكره القطب بتمامه في «المورد».

(٣) في (ك): «فلقيتهم».

(٤) في (ك): «قالوا: إن آبانا قد اشتهى قطفاً».

(٥) في (ك): «خلف الملائكة».

(٦) ذكره بطوله ابن قتيبة في «المعارف» (ص١٩).

(٧) نسبه ابن قتيبة في «المعارف» (ص١٩) لوهب.

فاستخرجه⁽¹⁾ نوح وجعله معه في تابوت في السفينة، فلمَّا نضب الماء ردَّه إلى مكانه.

وفي التوراة: [أنَّه] عاش تسع مئة وثلاثين سنة⁽²⁾.

[وفضَّله الله تعالى بأمور: خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، واصطفاه وكرَّم ذريته، وعلَّمه جميع الأسماء وجعله أوَّل الأنبياء].

صلَّى عليه ربنا وسلَّما أتى به لقوله ﷺ: «**صلُّوا على أنبياء الله ورسله فإنَّ الله بعثهم كما بعثني**» رواه البيهقي وغيره [عن أبي هريرة]⁽³⁾.

ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**صلُّوا على النبيين إذا ذكرتموني، فإنهم بعثوا كما بُعثت**». رواه ابن عساكر [عن وائل بن حجر]⁽⁴⁾. ولقوله ﷺ: «**إذا صلَّيتم عليَّ فصلُّوا على أنبياء الله، فإنّ الله بعثهم كما بعثني**» رواه الطبراني [عن ابن عباس] رضي الله عنهما⁽⁵⁾.

---

(١) في (غ): «فأخرجه».

(٢) قاله ابن قتيبة في «المعارف» (ص١٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣١١٨)، والقاضي إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٥٤)، والخطيب البغداي في «تاريخه» (٨/ ٦٣، ط: دار الغرب)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٠) وفي «كتاب الدعوات الكبير» (١٨٠، ط: دار غراس)، وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، قال أحمد: لا يكتب حديثه، وقال ابن عدي: الضعف على رواياته بيِّن. انظر: «الكامل» (٦/ ٢٣٣٣ ـ ٢٣٣٦)، و«الميزان» (٤/ ٢١٣). وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٨/ ٣٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه ضعف لجهالة شيخ الحسن بن علي المترجم له عنده.

(٤) في (ك): «ومثله». عزاه في «فيض القدير» (٤/ ٢٠٥) للشاشي وابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/ ٣٩١).

(٥) عزاه ابن حجر في «الفتح» (١١/ ١٦٩) للطبراني، وقال: وروّيناه في فوائد العيسوي سنده ضعيف. وانظر: مسألة اختصاص الصلاة والسلام على نبينا فقط فيه.

فالصَّلاة عليهم مندوبة ندباً مؤكداً.

وجمع الناظم بين الصَّلاة والسَّلام، ليفيد أنه كما اختصَّ الأنبياء ومثلهم الملائكة بالصَّلاة عليهم تمييزاً لمراتبهم⁽¹⁾ الرفيعة، فلا يُصلَّى على غيرهم إلَّا تبعاً، اختصُّوا بالسَّلام إلَّا إن وقع خطاباً أو جواباً.

قال في «الرَّوض»⁽²⁾: وأصل الصَّلاة: انحناء وانعطاف من الصلوين، وهما عرقان في الظَّهر، ثم قالوا: صلَّى عليه؛ أي: انحنى له رحمة له ثم سمُّوا الرحمة حنوّاً وصلاة إذا أرادوا المبالغة فيها، فقوله ﷺ أرق وأبلغ من رحمة في الحنوِّ والعطف، فالصَّلاة أصلها من المحسوسات، ثم عُبِّر بها عن هذا المعنى للمبالغة، ومنه قيل: صليت على الميت؛ أي: دعوت له دعاء من يحنو عليه⁽³⁾ ويعطف عليه، ولهذا لا تكون الصَّلاة بمعنى الدُّعاء على الإطلاق.

○ *تنبيه:*

قال في «الفتح»⁽⁴⁾ بعد سياقة نسب إبراهيم عليه السلام إلى نوح: لا يختلف جمهور أهل النَّسب ولا أهل الكتاب في ذلك كما مرَّ، [إلَّا في النُّطق ببعض هذه الأسماء، نعم ساق ابن حبَّان في أول «تاريخه» خلافه وهو شاذ].

وقال ابن دريد في «الاشتقاق»⁽⁵⁾: نسب إبراهيم إلى آدم صحيح لا خلاف فيه؛ لأنَّه منزَّل في التّوراة، [أي:] مذكور فيها نسبهم وأعمارهم، وكره مالك وجمعٌ رفع أنساب الأنبياء وغيرهم إلى آدم وذمُّوه، والجمهور على جوازه لما يترتَّب عليه من [كثير الفوائد]⁽⁶⁾.

روى أحمد والتِّرمذي [وغيرهما] عن أبي هريرة [رضي الله عنه مرفوعاً

---

(1) في (ك): «لدرجتهم».

(2) «الروض الأنف» (٢/ ٣ ـ ٤، ط: دار الكتب العلمية).

(3) مضروب عليها في (غ).

(4) «فتح الباري» (٦/ ٣٨٩).

(5) «الاشتقاق» لابن دريد (ص٥).

(6) في (ك): «الفوائد الكثيرة».

أنَّه ﷺ قال]: «**تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**»(١)، و[هذا] لا تعارض بينه وبين ما رواه أبو نعيم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**عِلْم النَّسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر**»(٢)؛ لأنَّ محل النَّهي إنما هو في التوغُّل والاسترسال فيه بحيث يشتغل [به] عمَّا هو أهمُّ [منه]، ولهذا قال ابن حزم: [و]علم النَّسب منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، ومنه ما هو مستحب(٣). وأطال في بيانه، [واندفع ما في تقريره بما تتعين مراجعته، وإتقانه على كل ذي لب].

[﴿٣٧﴾] **أمَّا قريش**(٤) **فالأصح** الذي عزاه البيهقي إلى جمهور

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٨٦٨)، والترمذي (١٩٧٩)، وقال: «غريب من هذا الوجه»، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٦٢) وصححه. وصححه الألباني.
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٣٠٨) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن أبي كثير إلا أبو الأسباط تفرد به حاتم». قال في «المجمع» (١/ ٤٥٦، ط: دار الفكر) بعده: «وفيه: أبو الأسباط، بشر بن رافع، وقد أجمعوا على ضعفه». ونحوه في «فتح الباري» (٦/ ٥٢٧).

(٢) عزاه الشارح في «فيض القدير» (٤/ ٣٢٦) لأبي نعيم في «رياض المتعلمين». قال الحافظ ابن رجب: وإسناده لا يصح، وبقية دلَّسه عن غير ثقة.

(٣) قول ابن حزم هذا في مقدمة كتاب «النسب» له. وذكره ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥٢٧) وقال: «وذكر ابنُ حزم في مقدمة كتاب النَّسَبِ له فصلاً في الرد على مَن زعم أنَّ علمَ النَّسَبِ عِلْمٌ لا ينفع وجَهْلٌ لا يَضُرُّ بأَنَّ في عِلْمِ النَّسَبِ ما هو فرضٌ على كل أحدٍ، وما هو فرضٌ على الكفاية، وما هو مُسْتَحَبٌّ. قال: فَمِنْ ذلك أنْ يعلمَ أنَّ محمداً رسولُ الله ﷺ: هو ابن عبد الله الهاشميُّ؛ فَمِنْ زَعَمَ أَنَّهُ لم يكُن هَاشِمِيّاً فهوَ كافرٌ». اهـ.

(٤) في سبب تسمية قريش بهذا الاسم انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ١٦٣ ـ ١٦٣) ففيه فائدة عظيمة.
وفي «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٣٠) ذكر أن هناك ستة أقوال حيث قال: «واختلف العلماء فِي تسمية [٥] قريش قريشا عَلَى ستة أقوال» وذكر الستة أقوال فانظرها إن أردتها.

العلماء **فهر** بكسر الفاء وسكون الهاء، ابن مالك بن النضر بن كنانة، [**جماعها**]؛ أي: جماع قريش الذي يجمعها هو فهر.

وقال **الأكثرون** من النسَّابة ـ كما حكاه الأستاذ أبو منصور البغدادي **النضر** بن كنانة، فقريش هم أولاد النَّضر(١)، وهذا هو الذي جرا عليه [الشَّيخان] الرَّافعي والنَّووي، فمن لم يلده النَّضر فغير قرشي وعليه التَّعويل(٢).

وأصل القرش: الجمع(٣)، يقال: قرَّشه يقرشه: جمعه من هنا ومن هنا، وضمَّ بعضه إلى بعض، ومنه سُمِّيت قريش لتجمُّعهم في الحرم(٤)، أو لأنَّهم كانوا يتقرَّشون البياعات فيشترونها(٥)، أو لأنَّ النَّضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً، فقالوا: تقرَّش، أو لأنَّه جاء إلى قومه، فقالوا:

---

(١) وجزم به في «الصحاح» (ص١٠١٦).

(٢) قال ابن دريد في «الاشتقاق» (ص٢٧): «ابن النضر: وهو أبو جميع قريش، فمن لم يكن من ولد النضر فليس بقرشي».
وفي «نسب قريش» لمصعب (١/ ١٢): «فولد مالك بن النضر فهرا وهو قريش».
قال الأجهوري: تظهر ثمرة هذا الخلاف في الوقف على القريش والوصية له، وفي الإمامة العظمى، ونحو ذلك.

(٣) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (٧٧٦) فصل القاف وانظر: «السبل» (١/ ٣٣٤).

(٤) ذكره ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٧١)، وابن عبد البر في «الإنباه» (ص٦٧) عن الواقدي، وبعده عندهما: «فقال عبد الملك: ما سمعتُ بهذا ولكني سمعتُ أنَّ قصيّاً كان يقال له القرشي ولم تُسَمَّ قريش قبلَه». وانظر: «القاموس المحيط» للفيروز أبادي (٧٧٦) فصل القاف.

(٥) في «الروض» (٣/ ١٥١): «التّقَرّشِ وَهُوَ التّكَسّبُ كَمَا سُمّيَتْ قُرَيْشٌ بِهِ قَالَهُ قُطْرُبٌ».

كأنَّه جمل قَرِيْش؛ أي: شديد(١)، أو لأنَّ قُصياً كان يقال له: القرش(٢)، أو سُمِّيت بمصغَّر القرش، وهو دابَّة بحريَّة تخافها دوابّ البحر [كلّها](٣)، أو سُمِّيت بقريش بن مخلد(٤) بن غالب بن فهر، وكان صاحب عيرهم، فكانوا يقولون: قدمت عير(٥) قريش وخرجت عيره(٦).

[والنِّسبة قرشي وقريشي]، وقريش نوعان: قريش البطاح وهم بنو كعب بن لؤي، وقريش الظَّواهر وهم بنو عامر بن لؤي(٧).

[﴿٣٨﴾] **وأمه**؛ أي: النَّبي ﷺ **آمنة** صرفه لضرورة النَّظم(٨).

والدها وهب بفتح فسكون.

ويلي وهباً في النَّسب: **عبد مناف جدُّها**؛ أي: جدُّ أبيها، [﴿٣٩﴾] **وهو ابن زُهرة** بضم الزاي، سُمِّي به لبياضه وجماله، والزهرة [لغة](٩): البياض والحسن كما في «القاموس»(١٠) وغيره، وهو غير منصرف، لكن صرفه [الناظم] للضرورة.

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦٤)، و«نهاية الأرب» للنويري (١٦/ ١٣).

(٢) في «نور النبراس»: وحكى بعض مشايخنا قولاً... أن قريشاً: قصي، وقال: حكاه الماوردي وغيره. انتهى. وكأنّه قول رافضي؛ لأنَّه يقتضي أن يكون أبو بكر وعمر ليسا من قريش، وإذا لم يكونا قريش فإمامتهما باطلة، وهذا خلاف إجماع المسلمين، والله أعلم. اهـ.

(٣) قال الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٦٤): «وقيل: إنما سميت قريش قريشا بدابة تكون في البحر تأكل دواب البحر، تدعى القرش، فشبه بنو النضر بن كنانة بها؛ لأنها أعظم دواب البحر قوة».

(٤) في (ك): «يخلد».

(٥) في حاشية (غ): «العير: الإبل القافلة».

(٦) انظر: «الصحاح» للجوهري (١٠١٦) مادة: (قرش). و«تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦٣). وقد ذكر ذلك كله القطب في «المورد»، والسبط في «نور النبراس».

(٧) «السبل» (١/ ٣٣٤).

(٨) انظر: «الاشتقاق» لابن دريد (ص٢١). (٩) في (ك): «في اللغة».

(١٠) «القاموس المحيط» (١/ ٤٠٣، ط: مؤسسة الرسالة)، وانظر: «الصحاح» مادة: (زهر).

ويلي زهرة في النَّسب: **كلاب** بن مرَّة بن كعب بن لؤي، **وفيه مع أبيه الانتساب**؛ أي: ويجتمع نسب المصطفى ﷺ من أمِّه، مع نسبه من أبيه في كلاب بن مُرَّة، فهي قسيمة أبيه(١) مِن هذا الأب(٢)، وكريمة قومها أُولِي المكان(٣) النبيه(٤) والحسب، وحَسْبُها من الشرف المتين والكرم المبين، والفخر الممكَّن غاية التمكين؛ أن كانت أمُّ خاتم النبيين، [فكيف ولها من قصافة الحسب المحتسب وعتاقة المنصب، وتعترف ما يقف عند البطاح وتعرف له قريش البطاح]، وقوله: مع بسكون العين، للضَّرورة.

قال الحلبي: أجمعوا(٥) على أنَّ زهرة هو ابن كلاب، وأنَّ عبد مناف ولد زهرة، وقول ابن قتيبة في «المعارف»(٦): وزهرة اسم امرأة نسب إليها ولدها دون أبيه ردَّه الرُّشاطي كغيره(٧) بأنَّه لم يعلم أحداً وافقه عليه، ومن ثمّ قال السُّهيلي: هذا منكر(٨).

وقال في «الفتح»(٩): المشهور عند جميع أهل النَّسب، أنَّ زهرة اسم الرَّجل وشذَّ ابن قتيبة [فقال: إنَّه اسم امرأة غلب عليهم النسبة إليها]، وهو مردود بقول إمام النَّسب ابن هشام الكلبي(١٠): أنَّ اسم زهرة المغيرة، فإن ثبت قول ابن قتيبة، فالمغيرة اسم الأب وزهرة اسم امرأته فنسب أولادهما إلى أمِّهم ثمَّ غلب ذلك، حتى ظُنَّ أنَّ زهرة اسم الأب، فقيل: زهرة بن كلاب. انتهى.

---

(١) في (غ): «ابنه» والمثبت من النسخ الأخرى، وهو الصواب.

(٢) في (ك): «الباب المكارم». (٣) في (ك): «المكارم».

(٤) في (ك): «البينة».

(٥) في (ك): «أجمع العلماء»، وقوله هذا في «المورد» (ق/ ٤٠).

(٦) «المعارف» (١/ ٧٠). (٧) في (ك): «على ذلك».

(٨) «الروض الأنف» (١/ ٢١٢).

(٩) «فتح» كتاب المناقب (٦/ ٥٣٥، ط: دار المعرفة).

(١٠) في (غ، ف): «هشام ابن الكلبي»، والمثبت من (ك).

[و]قال السُّهيلي(١): وذكر ابن سعد عن الكلبي، أنَّ أمَّ آمنة [هي] برَّة بنت عبد العزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصي، وأمّها أمّ حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصي، وأمها برَّة بنت عوف بن عبيد بن عوفج بن عدي بن كعب، وأمها قلابة بنت الحارث بن هذيل بن مدركة، وأمها أميمة بنت مالك(٢) بن غنم بن حَنْش بن غادية بن صعصعة، وأمها دُبَّة(٣) بنت ثعلبة بن الحارث بن غنم بن هذيل، وأمها عاتكة بنت غاضرة(٤) بن خطيط(٥) بن جشم بن ثقيف، وأمّها ليلى بنت عوف بن ثقيف، وهو قسي، وأم وهب بن عبد مناف قيلة، ويقال: هند بنت أبي كبشة بن غالب بن خزاعة، وهو الذي عبد الشِّعرى، كان يقول: هي تقطع السَّماء عرضاً، ولا أرى ما يقطع السماء عرضاً غيرها(٦)، وأبو كبشة جد المصطفى ﷺ لأمِّه، وكانت قريش تنسبه إليه؛ لمخالفته للعرب بعبادة الشِّعرى، فشبَّهوه(٧) ﷺ به لمخالفته لهم في دينهم.

○ *تنبيه:*

اختُلف في أبوي المصطفى ﷺ هل هما في الجنة، أو النار؟ فقال جمع: في النار، تمسُّكاً بخبر مسلم: «**إنَّ أبي وأباك في النار**»(٨)، وقال

---

(١) انظر: «الروض» (١/ ٢١٠ - ٢١٢).

(٢) في (ك): «خالد».

(٣) في (ك): «ديّة».

(٤) في (ك): «عامرة».

(٥) في (ك): «الخطيط».

(٦) في (ك): «شيئاً، غالب بن خزاعة وهو الذي عبد الشعري، كان يقول هي تقطع السماء عرضاً غيرها».

(٧) في (ك): «فشبَّهوا رسول الله ﷺ».

(٨) أخرجه مسلم (٢٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه. قال البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٩٢): وكيف لا يكون أبواه وجدّه عليه الصّلاة والسَّلام بهذه الصفة في الآخرة، وقد كانوا يعبدون الوثن، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام وكفرهم لا يقدح في نسبه عليه الصّلاة والسَّلام؛ لأن أنكحة الكفار صحيحة. ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم، فلا يلزمهم تجديد العقد =

آخرون: في الجنة؛ لأنَّهما لم تبغلهما الدعوة، وأهل الفترة يمتحنون يوم القيامة، فيقولون: يا رب ما جاءنا رسول، فيأخذ مواثيقهم لطاعته، فيرسل إليهم أن أدخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يسحب إليها، [كما] رواه أحمد عن أبي هريرة، وثوبان ﵄ وغيرهما موقوفاً، والظن بهما أن يجيبا ابتداءً، وقيل: إنَّ الله أحياهما حتى آمنا به، وقد أَلَّفَ جَمْعٌ؛ منهم: السّيوطي فيه عدة تآليف(١).

= ولا مفارقتهن؛ إذْ مثله يجوز في الإسلام، وبالله التوفيق. اهـ.

(١) في (ك): «كغيره في ذلك تألفاً». ومن هذه المؤلَّفات كما في مقدمة تحقيق كتاب «أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول ﷺ» لعلي القارئ: «مسالك الحنفا في والدي المصطفى»، و«الدرج المنيفة في الآباء الشريفة»، و«المقامة السندسيَّة في النسبة المصطفوية»، و«التعظيم والمنَّة في أنّ أبوي رسول الله في الجنَّة» و«نشر العلمية المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين»، و«السبل الجلية في الآباء العليَّة». قال الشيخ مشهور حسن آل سلمان محقق كتاب «أدلة معتقد أبي حنيفة» (ص٦): «ذهب الإمام السيوطي: في رسائله السابقة إلى نجاة أبوي النبي ﷺ، واضطرب فيها اضطراباً واضحاً». اهـ.

باب ذكر مولده
عليه الصلاة والسلام وإرضاعه

٤٠ - وَوُلِدَ النَّبِيُّ عَامَ الفِيلِ   أَيْ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ الفَضِيلِ
٤١ - لِيَومِ الاثْنَيْنِ مُبَارَكاً أَتَى   لِلَيْلَتَيْنِ مِنْ رَبِيعٍ خَلَتَا
٤٢ - وَقِيلَ: بَلْ ذَاكَ لِثِنْتَيْ عَشْرَهْ   وَقِيلَ: بَعْدَ الفِيلِ ذَا بِفَتْرَهْ
٤٣ - بِأَرْبَعِينَ أَوْ ثَلاثِينَ سَنَهْ   وَرُدَّ ذَا الخُلْفُ وَبَعْضٌ وَهَّنَهْ
٤٤ - وَقَدْ رَأَتْ إِذْ وَضَعَتْهُ نُورَا   خَرَجَ مِنْهَا رَأَتِ القُصُورَا
٤٥ - قُصُورَ بُصْرَى قَدْ أَضَاءَتْ وَوُضِعْ   بَصَرُهُ إِلَى السَّمَاءِ مُرْتَفِعْ
٤٦ - مَاتَ أَبُوهُ وَلَهُ عَامَانِ   وَثُلُثٌ وَقِيلَ: بِالنُّقْصَانِ
٤٧ - عَنْ قَدْرِ ذَا بَلْ صَحَّ كَانَ حَمْلا   وَأَرْضَعَتْهُ حِينَ كَانَ طِفْلا
٤٨ - مَعْ عَمِّهِ حَمْزَةَ لَيْثِ القَوْمِ   وَمَعْ أَبِي سَلَمَةَ المخْزُومِي
٤٩ - ثُوَيْبَةٌ وَهْيَ إلى أَبِي لَهَبْ(١)   أَعْتَقَهَا وَإِنَّهُ حِينَ انْقَلَبْ
٥٠ - هُلْكاً رُئِي يَوْماً بِشَرِّحِيْبَهْ   لَكِنْ سُقِيْ بِعِتْقِهِ ثُوَيْبَهْ
٥١ - وَبَعْدَهَا حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّهْ   فَظَفِرَتْ بِالدُّرَّةِ السَّنِيَّهْ
٥٢ - نَالَتْ بِهِ خَيْراً وَأَيَّ خَيْرِ   مِنْ سَعَةٍ وَرَغَدٍ وَمَيْرِ
٥٣ - أَقَامَ فِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ عِنْدَهَا   أَرْبَعَةَ أعوام تَجْنِي سَعْدَهَا

---

(١) في «شرح» الأجهوري: في نسخةٍ أخرى: وهي التي أبو لهب.اهـ.

٥٤ ـ وَحِينَ شَقَّ صَدْرَهُ جِبْرِيلُ   خَافَتْ عَلَيْهِ حَدَثاً يَؤُولُ
٥٥ ـ رَدَّتْهُ سَالِماً إلى آمنَةِ   وَخَرَجَتْ بِهِ إلى المَدِينَةِ
٥٦ ـ يَزُورُ أَخْوَالاً لَهُ فَمَرِضَتْ   رَاجِعَةً فَقُبِضَتْ وَدُفِنَتْ
٥٧ ـ هُنَاكَ بِالأَبْوَاءِ وَهْوَ عُمْرُهْ   سِتَّ سِنِينَ مَعَ شَيء يَقْدُرُهْ
٥٨ ـ ضَابِطُهُ بِمَئَةٍ أيَّاما   وَقِيلَ: بَلْ أرْبَعَةٌ أعْوَامَا
٥٩ ـ وَحِينَ مَاتَتْ حَمَلَتْهُ بَرَكَهْ   لِجَدِّهِ بِمَكَّةَ المُبَارَكَهْ
٦٠ ـ كَفَلَهُ إلى تَمَامِ عُمْرِهِ   ثَمَانِياً ثُمَّ مَضَى لِقَبْرِهِ

باب ذكر مولده عليه الصلاة والسلام وإرضاعه

المَوْلِد ـ بفتح فسكون فكسر ـ موضع الولادة وهو أيضاً وقتها، وأرادَ الناظم بالترجمة الوقت، وسيذكر معه الموضع.

قال ابن إسحاق⁽¹⁾: زعموا أنَّ أمه حدَّثت أنها أُتِيَتْ حين حملت به، فقيل لها: حملتِ بسيِّد هذه الأمة، قالت: وما عرفتُ بأنّي حملتُ ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء، ولمَّا دنت ولادتي أتاني آتٍ فقال: قولي:

أُعِيذُه بالواحِدِ   مِن شرِّ كلّ حاسِدِ

إلى آخر الأبيات المشهورة.

قال النَّاظم: ولا أصل لهذه الأبيات.

وقد جاء أنَّها لم تجد ثقلاً في حَمْلِه، وجاء أنَّها وجدته، وجمع أبو نعيم⁽²⁾ بأنَّ الثقل كان في ابتداء العلوق، والخفَّةُ عند الاستمرار؛ ليكون خارجاً عن المعتاد في الحالين.

[﴿٤٠﴾] **وولد النبي ﷺ داخل مكة بدارٍ عند الصفا كانت**

---

(١) «سيرة ابن إسحاق» (ص٢٢)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٦٦).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من كتب أبي نُعيم، ولكن نقله عنه السيوطي في «الخصائص الكبرى» (١/ ٩٧، ط: العلمية)، والقسطلاني في «المواهب اللدنية» (١/ ٧٤، ط: التوفيقية).

لمحمد بن يوسف أخي الحجاج(١).

ونقل ابن عبد البر(٢) عن [ابن] الزُّبير: أنَّها حملت به في أيَّام التَّشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى، وقيل: [في] عاشر المحرم.

حكاه ابن عساكر(٣).

وهو لا يوافق ما يأتي عن الجمهور من تصحيح ولادته في ربيع(٤)، ومكث في بطن أمه تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل: سبعة. قال في «المستدرك»(٥): تواترت الأخبار: أنَّه ولد مختوناً مسروراً(٦) في الدَّار الَّتي بالزّقاق المعروف بزقاق المدكّك(٧) بمكة، وهي كانت بيد(٨) عقيل بن أبي طالب.

ونقل ابن الأثير(٩): أنَّ المصطفى ﷺ وهبها له(١٠)، وباعها ولده

---

(١) يعني: الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٢) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٣٠ ت: بجاوي).

(٣) «تاريخ دمشق» (٣/ ٦٦).

(٤) اختُلِف في تاريخ ولادته ﷺ، وقد ذكر ابن عساكر في «تاريخ دمشق» كل ما جاء في تاريخ ولادته ﷺ وأفرد لذلك فصلاً كاملاً، وعنون له بقوله: «باب ذكر مولد النبي ﷺ ومعرفة من كفله» فانظره إن شئتَ.

(٥) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٢/ ٦٠٢، ط: دار المعرفة)، وقال: صحيح الإسناد، فتعقَّبه الذهبيُّ فقال: ما أعلم صحة ذلك، فكيف يكون متواتراً؟.

(٦) بعدها في «المستدرك»: «وولد رسول الله ﷺ».

(٧) في «المستدرك»: «المدكل» بدلاً من «المدكك».

(٨) في «المستدرك»: «وقد صليت فيها وهي الدار التي كانت بعد مهاجر رسول الله ﷺ في يد» بدلاً من «بيد».

(٩) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١/ ٤١٦).

(١٠) الضمير في له عائد على عقيل بن أبي طالب.

من محمد بن يوسف بن الحجَّاج(١) فجعلتها الخيزران جارية الرَّشيد(٢) أو زبيدة(٣) زوجته حين حجَّت مسجداً.

وقيل: ولد بشعب بني هاشم(٤)، وقيل: بالرَّدم.

روى ابن شاهين في «النَّاسخ والمنسوخ»(٥) عن ابن جراد العقيلي وله صحبة: ولد المطصفى(٦) ﷺ بالرَّدم وخُتِن به، واسْتَبْعَثَ منه(٧).

وما مرَّ عن(٨) الحاكم(٩) من تواتر الأخبار: أنه ولد مختوناً مسروراً لم يرد به التواتر المصطلح عليه، بل الاشتهار والاستفاضة بين الناس(١٠).

وفي حديث الطَّبراني(١١) عن أنس ﷺ بسند حسَّنه مغلطاي(١٢) في

---

(١) هو محمد بن يوسف بن الحجاج الثقفي، ولي إمارة اليمن، اشتهر بالجور والعداء لبيت علي. مات باليمن سنة (١٠٠هـ) أو قبلها. انظر: «تاريخ دمشق» (٥٦/٣٠٨)، «الوافي بالوفيات» (٥/١٥٨).

(٢) وهي أم هارون الرشيد.

(٣) زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أم جعفر الهاشمية العباسية؛ واسمها أمة العزيز زوجة هارون الرشيد وبنت عمه وأم ولده الأمين محمد المقتول بيد طاهر بن الحسين بسيف المأمون. وكانت زبيدة أعظم نساء عصرها ديناً وأصلاً وجمالاً وصيانة ومعروفاً. توفيت سنة ست عشرة ومئتين. وانظر: «السبل» (١٠/ ٢٤١).

(٤) جزم بذلك ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٢٣)، وذكر الاحتمالين الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١/٤٠٨).

(٥) «الناسخ والمنسوخ» لابن شاهين (١/ ٤٨٦، ط: مكتبة المنار).

(٦) في «الناسخ والمنسوخ»: «رسول الله» بدلاً من «المصطفى».

(٧) في «ناسخ ومنسوخ ابن شاهين»: «وَحُمِلَ مِنَ الرَّدْمِ» بدلاً من «واستبعث منه»..

(٨) في (ك): «وقول».

(٩) سبق تخريجه.

(١٠) انظر: «السبل» (١/ ٤٢٠).

(١١) أخرجه الطبراني في «معجمه الأوسط» (٦/ ١٨٨).

(١٢) انظر: «الإشارة إلى سيرة المصطفى» لمغلطاي.

«دلائل النبوة»(١): أنه ﷺ قال: **«من كرامتي على ربي، أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوأتي»**؛ أي: عورتي.

[وقال ابن الجوزي(٢): لا شك أنَّه ولد مختوناً، غير أنَّ هذا الحديث لا يصح].

لكن نقل الناظم عن ابن العديم(٣): أنه لم يثبت من أحاديث ولادته مختوناً شيء، وأقرَّه [عليه]، وبه صرَّح ابن القيِّم(٤).

وقال بعضهم: ليست ولادته مختوناً من خصائصه، فقد أفاد بعض الحفَّاظ، أنَّ ثلاثة عشر نبيّاً ولدوا مختونين وسردهم(٥)، والحاصل أنَّ في ختانه ثلاثة أقوال:

أحدها: ولد مختوناً(٦).

---

(١) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٩٣).
قلت: وفي إسناد أبي نعيم وابن عساكر نوح بن محمد الأيلي، قال في «لسان الميزان»: روى عن الحسن بن عرفة حديثاً شبه موضوع.

(٢) «العلل المتناهية» لابن الجوزي (١/١٦٦ ت: إرشاد الحق الأثري).

(٣) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم. مؤرخ، محدث، من الكتاب، له شعر حسن، ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، ولد سنة (٦٨٩هـ) تسع وثمانين وستمائة، وتوفي بالقاهرة. «الأعلام» (٥/ ٤٠).

(٤) «زاد المعاد» (١/ ٨٠، ط: مؤسسة الرسالة).

(٥) ذكرهم ابن الجوزي في كتابه المنتظم (٢/١٤٦)، قال: «قال مؤلف الكتاب: أما آدم فإنه خلق مختوناً، وولد شيث وإدريس ونوح، وسام، وهود، وصالح، ونبي أصحاب الرس، ولوط، ويوسف، وموسى، وشعيب، وسليمان، وزكريا، وعيسى، ونبينا مختونين مسرورين، وابتلي بالختان إبراهيم الخليل على ما سبق، وعدتهم ستة عشر نبياً».

(٦) ذكر الصالحي في «السبل» (١/ ٤٢٠) كل من قال بذلك فقال: «وقد جزم ـ بأنه ﷺ ولد مختوناً ـ جماعة من العلماء منهم هشام بن محمد بن السائب في =

الثَّاني: ختنه جدَّه عبد المطلب، يوم سابعه وصنع له مأدبة، حكاه ابن عبد البر(١) وغيره(٢) عن ابن عباس ﵄.

الثَّالث: خَتَنَه جبريلُ ﵇ عند حليمة لمَّا شَقَّ صَدْره. رواه الطَّبراني في «الأوسط»(٣)، قال الذهبي: وهو مُنْكَرٌ(٤).

قال ابن عبد البر(٥): ولا خلاف أنَّه ولد **عام الفيل** لأربعين أو اثنين وأربعين عاماً، مضت من مُلك كِسْرى أنو شَروان.

روى الحاكم في «مستدركه»(٦) عن قباث(٧) بن أشيم: تنبَّأ

= كتاب الجامع. وابن حبيب في المحبر. وابن دريد في الوشاح، وابن الجوزي في العلل والتلقيح». وقد ذكر بعد ذلك كل الأقوال المختلفة في ختان النبي ﷺ.

(١) «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٣٨، ط: دار الفكر).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٣٨٨، ط: دار هجر)، الذهبي في «تاريخه» (١/ ٢٧).

(٣) «المعجم الأوسط» (٥٨٢١) من رواية عبد الرحمٰن بن عُيَيْنَة بإسناده إلى أَبي بَكْرَةَ ﵁، «أنَّ جبريلَ ﵇ خَتَنَ النبيَّ ﷺ حين طَهَّرَ قَلْبَهُ». وقال الطبراني بعده: «لا يُروى هذا الحديث عن أبي بَكْرَةَ إلا بهذا الإسناد، تَفَرَّدَ به عبد الرحمٰن بن عُيَيْنَةَ».

(٤) في «تاريخ الإسلام» له (١/ ٢٧)، حيث قال: «قال شيخنا الدِّمْيَاطِيُّ: وَيُرْوَى عن أبي بَكْرَةَ قال: «خَتَنَ جِبْرِيلُ رسولَ اللهِ ﷺ لَمَّا طَهَّرَ قَلْبَهُ». قلتُ: هذا مُنْكَرٌ».

قلتُ: وهناك قولٌ رابع: وهو التوقف. ذُكِرَ هذا عن الإمام أحمد؛ قال المروزي (١/٤٠): «سُئِلَ أبو عبد الله: هل وُلِدَ النبي ﷺ مختوناً؟ قال: الله أعلم». وانظر: «لطائف المعارف» لابن رجب (١٨٤).

(٥) «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٢٦، ط: دار الفكر)، وممن قال بذلك الطبري في «تاريخ الأمم والملوك» (١/ ٥٧١)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٢٣، ط: تدمري).

(٦) «المستدرك» (٢/ ٦١٠).

(٧) في (غ): «قباس».

رسول الله ﷺ على رأس أربعين سنة(١) من عام(٢) الفيل. وفيه(٣) عن ابن عبَّاس: عام الفيل، وفيه أيضاً عنه: يوم الفيل.

وقال الحافظ ابن حجر: والمحفوظ لفظ العام، وقد يطلق اليوم ويراد به مطلق الوقت، كما يقال يوم الفتح ويوم بدر، فإن كان المراد حقيقة اليوم، فيكون أخصّ من الأوّل.

وبه صرَّح ابن حبَّان في «تاريخه» فقال(٤): ولد عام الفيل، في اليوم الذي أرسلت فيه [الطّير] الأبابيل.

قال(٥): ثم وجدت الحديث عند ابن مسعود عن يحيى بن معين(٦) قال: يوم الفيل؛ يعني: عام الفيل. انتهى(٧).

وجزم مغلطاي باليوم، قال(٨): ولد عند طلوع الفجر، يوم أرسلته(٩) الأبابيل، وهي جماعة من الطّير واحدها أبول، وقيل: أبابيل كعبابيد وشماطيط، لا واحد لها [على أهل الفيل].

---

(١) لم ترد في مطبوع «المستدرك». (٢) لم ترد في «المستدرك».

(٣) يقصد «المستدرك» (٢/ ٦١٠).

(٤) «السيرة النبوية وأخبار الخلفاء» لابن حبان (١/ ٣٤) وهي جزء من كتابه «الثقات».

(٥) يقصد ابن حجر والله أعلم.

(٦) في (ك): «عند ابن عباس عن يحيى بن سعيد»، وفي (غ): «عند ابن سعيد عن يحيى بن سعيد»، والذي في كتب الحديث عند ابن عباس عن يحيى بن معين. والله أعلم.

(٧) هذان النصان عن ابن حجر وكذا عن ابن حبان ذكرهما الصالحي في «السبل» (١/ ٤٠٣)، وقال: إن هذا القول على لسان ابن حجر في كتابه «شرح الدرر».

(٨) انظر: «الإشارة إلى سيرة المصطفى» لمغلطاي، مخطوطة تركيا الورقة الرابعة وجه أ، والمخطوط يقع في سبع وثلاثين ورقة. ثم طبع الكتاب بعدُ.

(٩) في (ك): «أرسل الله».

وذلك أنَّ أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل النَّجاشي، بنى كنيسة بصنعاء، وأراد صرف الحجِّ إليها، فخرج رجل من كنانة، فقعد ـ أي: تغوَّط فيها ـ فأغضبه ذلك.

وقيل(١): أجَّج قوم من العرب ناراً فحملتها الرِّيح فأحرقتها، فحلف ليهدمنَّ الكعبة، فخرج بالحبشة وهم ستون ألفاً ومعه فيل اسمه محمود، [كان] قويّاً عظيماً، واثني عشر فيلاً، وقيل: ألف فيل، فلمَّا بلغ المغمِّس(٢) خرج إليه عبد المطّلب، وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع، فأبى وعبَّأ جيشه وقدَّم الفيل، فكلَّما وجَّهوه إلى الحرم برك، وإذا وجَّهوه إلى غيره من الجهات هرول، فأرسل الله طيراً سُوداً أو خُضراً أو بيضاً، مع كلِّ طائر حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أكبر من العدسة وأصغر من الحمُّصة، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر [مكتوب] اسم صاحبه(٣) ففروا فهلكوا في كلِّ طريق ومَنْهل، ومرض أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه(٤) فمات وانفلت وزيره [أبو يكشوم] وطائر يحلِّق فوقه، حتَّى بلغ النّجاشي فقصَّ عليه القصَّة، فلمَّا أتمها سقط(٥) عليه الحجر فخرَّ ميتاً. وعن عائشة ﵂: رأيت قائد الفيل، وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان.

---

(١) القصة بطولها في «تاريخ الرسل والملوك» للطبري (١/ ٥٥١)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٤٢٥).

(٢) في بعض النسخ: «المحسرة والمغمس»، وفي حاشية (غ): «المغمس: محل بينه وبين مكة ميلان، وهو بضم الميم الأولى وفتح الثانية مشددة بينهما غين معجمة مفتوحة مخففة».

(٣) في (ك): «من يقع عليه».

(٤) كتب في حاشية (غ): «الآراب: الأعضاء السبعة». جاء في الحديث: «أمرت أن أسجد على سبعة آراب»، وفي آخر: «على سبعة أعضاء».

(٥) في (ك): «وقع».

وفيه: أنَّ أبرهة أخذ لعبد المطلب مئتي بعير، فخرج إليه فيها، فجهَّزه وكان جسيماً وسيماً، وقيل: هذا سيِّد قريش وصاحب عير مكّة، الّذي يطعم النّاس في السّهل والوحوش في الجبل، فلمَّا ذكر حاجته، قال: سقطت من عيني! جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك، وشرفكم في قديم الدهر، فألهاك عنه ذَوْد [أُخذ لك]، قال: أنا ربُّ الإبل وللبيت ربٌّ [يحميه](١) ثم رجع، وأتى باب البيت، فأخذ بحلقته فقال(٢):

لا همَّ إنَّ المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبنَّ صليبهم ومحالهم عدواً محالك
انصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
[إن كنت تاركهم وكعبتنا فاصنع ما بدالك](٣)

وقال أيضاً:

يا رب لا أرجو لهم سواكا   يا رب فامنع منهمُ حماكا(٤)

والتفت وهو يدعو فإذا بطير من نحو اليمن! فقال: إنّها لطير غريبة!! ما هي بنجدية ولا تهامية، وقيل: إنَّ أهل مكة احتووا على أموالهم. وفي رواية أخرى: أنَّ أبرهة لمَّا استاق إبل قريش وغنمها، كان لعبد المطلب فيها أربع مئة ناقة، فركب في قريش حتى طلع جبل ثبير، فاستدارت دائرة غرة نور رسول الله ﷺ على جبينه كالهلال، واشتد شعاعها على البيت الحرام كالسِّراج، فلمَّا نظر عبد المطلب لذلك، قال:

---

(١) في (ك): «سيمنعه منك».

(٢) الأبيات بطولها في «تاريخ الرسل والملوك» للطبري (١/ ٥٥١)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٤٢٥).

(٣) وانظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ١١٩).

(٤) «دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ١٢١).

يا معشر قريش قد كفيتم هذا الأمر، فما استدار هذا النور مني، إلَّا أن يكون الظفر لنا.

قال ابن القيّم(١): وكان كسر الفيل دلالة على نبوة المصطفى وشرفه ﷺ، وتشريفاً للكعبة، وإلَّا فأصحاب الفيل [كانوا](٢) نصارى، أهل كتاب ودينهم خير من دين أهل مكة؛ لكونهم عبدة أوثان، فوقع ذلك إرهاصاً(٣).

بل عدَّها بعضهم في(٤) معجزاته، إذ المعجزة وإن أُشترط مقارنتها للدعوى خلافاً للإمام الرَّازي، لكن لا يضر تقدمها بزمن قليل(٥) [لا يضر]، والقلّة والكثرة من الأمور الاعتبارية، فهما في كل شيء بحسبه.

أي: وكان **في شهر ربيع الأول** على ما عليه العمل والمعوَّل، قال الماوردي(٦): ووافق ربيع الأول من شهور الرُّوم، العشرين من شباط(٧).

[وما جرى عليه النّاظم من كونه في ربيع الأوّل، هو ما حكى ابن

---

(١) «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/ ٧٠) وفيه «ولنرجع إلى المقصود من سيرته ﷺ وهديه وأخلاقه. لا خلاف أنه ولد ﷺ بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل، وكان أمر الفيل تقدمه قدمها الله لنبيه وبيته، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم خير من دين أهل مكة إذ ذاك؛ لأنهم كانوا عباد أوثان، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصراً لا صنع للبشر فيه إرهاصاً وتقدمة للنبي ﷺ الذي خرج من مكة، وتعظيماً للبيت الحرام».

(٢) زيادة من (ك).

(٣) في حاشية (غ): «الإرهاصات: الكرامات الخوارق الواقعة للنبي قبيل الوحي».

(٤) في (ك): «من».

(٥) في (ك): «يسير».

(٦) «أعلام النبوة» للماوردي (ص١/ ٢٠٧، ط: دار ومكتبة الهلال).

(٧) قال الأزهري في: «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٤٤): وهو في فصل الشتاء، وفيه يكون تمام اليوم الذي تدور كسورة في السنين، فإذا تمّ ذلك اليوم في ذلك الشهر، سمّي أهل الشام تلك السنة عام الكبيس وهم يتيمنون به إذا ولد فيه مولود أو قدم قادم من بلد.

الجوزي(١) عليه الاتّفاق، لكن في دعوى الاتفاق نظر، فقد قيل: في صفر، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: رجب، وقيل: رمضان، وقيل: يوم عاشورا(٢) لكن أَطبق العلماء على الأوّل، وجعلوا عليه المعوّل].

الفضيل؛ أي: المفضَّل المشرَّف لولادته(٣) ﷺ فيه، فتفضيله على غيره من الشهور غير ذاتي، بل لما عرض فيه من ولادته(٤) بخلاف رمضان فإنَّ فضيلته ذاتية.

[قال بعضهم]: وإنَّما لم يولد في شهر حرام ولا في رمضان، ولا [في] يوم جمعة، دفعاً لتوهم تشرُّفه بذلك الزمن الفاضل، بل هو المشرِّف للزَّمان والمكان كيف كان.

ونظيره دفنه بالمدينة دون مكة، فإنَّه لو دفن بها كان يقصد تبعاً [لها]، فأفرد بمحلٍّ(٥) مفضول ـ عند الأكثر ـ ليتشرَّف به، بل ليفوق به الفاضل ـ عند الأكثر ـ وليقصد قبره استقلالاً [و]إظهاراً لمزيد كرامته عند ربِّه(٦).

وكانت ولادته ﷺ في فصل الربيع، وهو أعدل الفصول، ليله

---

(١) «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٢٤٥).

(٢) ذكر الذهبي أنّ القول بأنه وُلِدَ في عاشوراء من الإفك. انظر: «السيرة الحلبية» (١/ ٨٦).

(٣) في (ك): «بولادة المصطفى».

(٤) في (ك): «من ولادة خاتم الأنبياء». (٥) في (ك): «بمكان».

(٦) من قوله: «ونظيره دفنه بالمدينة» إلى هنا أخر في (ك) بعد قوله: «العلو والهبوط». وأمَّا قصد قبر النبي ﷺ استقلالاً؛ فغير جائز، وكرامته عند ربه ثابتة من غير هذا القصد الذي من الممكن أن يؤدي إلى الغلو فيه ﷺ، ولذلك قال ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»، فلا يجوز شدّ الرحال إلى قبره ﷺ وإنما الذي يُزار استقلالاً هو مسجده ﷺ، وهذا فيه إظهار كرامة الرسول ﷺ عند ربه دون خشية الوقوع في الشرك. والله أعلم.

ونهاره معتدلان، وشمسه معتدلة في العلو والهبوط(١).

[﴿٤١﴾] **ليوم**؛ أي: في يوم، فاللام بمعنى في، [كقوله تعالى]: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

الاثنين مباركاً؛ أي: من بركة يوم الاثنين، كون المصطفى ﷺ ولد فيه، ولهذا(٢) **أتى** في السُّنَّة تفضيله على غيره من الأيام؛ أي: إلَّا يوم الجمعة؛ لأن فضيلة هذا عرضيَّة، وذا(٣) ذاتيَّة [على ما تقرَّر].

وفي «مسند أحمد» عن ابن عباس رضي الله عنهما(٤): ولد المصطفى ﷺ يوم الاثنين وبُعث(٥) يوم الاثنين، وهاجر من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، ودخلها(٦) يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين.

وروى أحمد(٧) ومسلم(٨) وأبو داود(٩)، عن أبي قتادة رضي الله عنه [مرفوعاً]: «**يوم الاثنين يومٌ ولدت فيه وأنزل عليَّ فيه**»، وفي ذلك دلالة على أنَّه أفضل أيَّام الأسبوع بعد يوم الجمعة.

---

(١) قال الصالحي في «السبل» (١/ ٤٠٢): «قال بعض أهل المعاني: كان مولده ﷺ في فصل الربيع وهو أعدل الفصول ليله ونهاره معتدلان بين الحر والبرد، ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة وشمسه معتدلة في العلو والهبوط، وقمره معتدل في أول درجة من الليالي البيض».

(٢) في (ك): «ولذلك».

(٣) في (ك): «وذلك».

(٤) «مسند أحمد» (٢٥٠٦) وفيه: «وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَاسْتُنْبِئَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مُهَاجِراً مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَتُوُفِّيَ ﷺ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَرَفَعَ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ».

(٥) في (ك): «وتنبّأ». (٦) في (ك): «ودخل المدينة».

(٧) «مسند أحمد» (٧/ ٥٠٠) حديث رقم (٢٢٩٠٤، ط: عالم الكتب).

(٨) أخرجه مسلم (٢٨٠٤).

(٩) أخرجه أبو داود (١٤٢٦ ت: عوامة).

وفي بعض طرق الحديث عند ابن عساكر(١): وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين، ورفع الحجر [الأسود] يوم الاثنين، وكانت وقعة بدر يوم الاثنين.

قال ابن عساكر(٢): لكن المحفوظ يوم الجمعة.

وأخرج ابن سعد(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما [قال]: [كانت] يهود بني قريظة والنضير وفدك وخيبر، يجدون صفته(٤) ﷺ قبل(٥) بعثه، وإنَّ دار هجرته المدينة، فلمّا ولد قالت أحبارهم: ولد الليلة، هذا الكوكب قد طلع.

وأخرج ابن عساكر في «تاريخه»(٦) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده [قال]: كان بمرِّ الظهران راهب يسمَّى عيصا(٧) من أهل الشام(٨)، آتاه الله علماً كثيراً(٩)، وجعل فيه منافع كثيرةً لأهل مكة(١٠)،

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣/ ٦٨).

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣/ ٦٩).

(٣) في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١٥٩، ط: دار صادر)، وفيه: «كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ عندهم قبيل أن يبعث، وأن دار هجرته بالمدينة، فلما ولد رسول الله، ﷺ، قالت أحبار اليهود: ولد أحمد الليلة، هذا الكوكب قد طلع، فلما تنبىء قالوا: قد تنبى أحمد، قد طلع الكوكب الذي يطلع، وكانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه إلا الحسد والبغي».

(٤) في (ك): «صفة رسول الله». (٥) في (ك): «عند».

(٦) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣/ ٤٢٦).

(٧) في «تاريخ دمشق»: «عيضا» بدلاً من «عيصا».

(٨) أسقط المؤلف هنا ما أورده ابن عساكر حيث قال: «وكان متحفراً بالعاص بن وائل».

(٩) في «تاريخ دمشق»: «وكان الله تعالى قد أتاه علماً كثيراً» بدلاً من «آتاه الله علماً كثيراً».

(١٠) بعده هنا عند ابن عساكر: «من طب ورفق وعلم وكان يكرم صومعة له».

يدخل كلّ سنة إليها(١)، فيلقى الناس ويقول: يوشك يا أهل مكة، أن يولد فيكم مولود تدين له العرب(٢)، ويملك العجم، هذا زمانه(٣)، فكان لا يولد بها ولد إلَّا سأل عنه(٤)، فلمَّا كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه المصطفى(٥) ﷺ خرج عبد المطَّلب(٦) حتَّى أتى عيصا(٧) فناداه، فقال له عيصا(٨) كن أباه(٩)، فقد ولد [ذلك المولود] الذي كنت أُحدِّثكم عنه يولد يوم الاثنين(١٠)، ويبعث يوم الاثنين، قال: إنَّه ولد لي مع الصبح

---

(١) في (ك): «عام إلى مكة»، وفي «تاريخ دمشق»: ويدخل مكة في كل سنة» بدلاً من «يدخل كلّ سنة إليها».

(٢) في «تاريخ دمشق»: «إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب» بدلاً من «يوشك يا أهل مكة، أن يولد فيكم مولود تدين له العرب».

(٣) أسقط المؤلف هنا ما أورده ابن عساكر حيث قال: «ومن أدركه وتبعه أصاب خيراً كثيراً أو قال أصاب حاجته ومن أدركه وخالفه فقد أخطأ حاجته وتالله ما نزلت أرض الحمير والخمير والأمن ولا حللت أرض البؤس والجوع والخوف إلا في طلبه».

(٤) أسقط المؤلف هنا ما أورده ابن عساكر حيث قال: «فيقول ما جاء بعد فيقال صفه فيقول: لا ويكتم ذلك الذي قد علم أنه لاقي من قومه مخافة على نفسه أن يكون ذلك داعية إلى أدنى ما يفضي إليه من الأذى يوماً».

(٥) في «تاريخ دمشق»: «رسول الله» بدلاً من «المصطفى».

(٦) في (غ) و(ك) و«المورد العذب»: «عبد الله بن عبد المطلب» وهو خطأ، والمثبت هو الصواب. وكذا جاء في «تاريخ دمشق» حيث قال: عبد الله بن عبد المطلب.

(٧) في «تاريخ دمشق»: «غيضاً» بدلاً من «عيصا»، وقد أسقط المؤلف هنا ما أورده ابن عساكر حيث قال: «فوقف في أصل صومعته ثم نادى يا غيضا».

(٨) في «تاريخ دمشق»: «من هذا فقال أنا عبد الله فأشرف عليه فقال» بدلاً من «فقال له عيصاً».

(٩) في حاشية (غ): «أي: أظن أنك أباه».

(١٠) في «تاريخ دمشق»: «الذي كنت أحدثكم به يوم الاثنين» بدلاً من «الذي كنت أُحدِّثكم عنه يولد يوم الاثنين».

[مولود]، قال: فما سمَّيته؟ قال: محمداً، قال: فوالله لقد كنت أخبر⁽¹⁾ أن يكون [هذا المولود] فيكم أهل البيت لخصال نعرفه⁽²⁾ بها، فقد أتى⁽³⁾ منها: أنَّه طلع نجمه البارحة⁽⁴⁾، وأنه ولد اليوم، وأنَّ اسمه محمد، انطلق إليه فإنه الذي كنت أحدثكم [عنه. انتهى].

فهذه الأخبار⁽⁵⁾ تدلّ على أنه ولد نهاراً؛ أي: بُعيد [طلوع] الفجر، [وبه] جزم مغلطاي [وغيره].

قال بعضهم: وورد ما يدلُّ على أنَّه ولد ليلاً⁽⁶⁾؛ كحديث الحاكم⁽⁷⁾ عن عائشة ﵂: كان بمكة يهودي يتَّجر فيها، فلما كانت ليلة ولد، قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلم، قال: ولد [في هذه] الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة النبوة. شعرات كأنهن عرف فرس. . الحديث.

---

(١) في «تاريخ دمشق»: «أشتهي» بدلاً من «أخبر».

(٢) في (ك): «لثلاث خصال يعرفه»، وفي «تاريخ دمشق»: «لثلاث خصال بها نعرفه».

(٣) سقطت هنا كلمة «عليهن» وهي موجودة في التاريخ.

(٤) في «تاريخ دمشق»: «أن نجمه طلع البارحة» بدلاً من «أنَّه طلع نجمه البارحة».

(٥) في (ك): «الأحاديث».

(٦) قاله الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٧١) عن أم عثمان بن أبي العاص.

(٧) «المستدرك» (٢/ ٦٠١) حديث رقم (٤١٤٢)، وهو حديث طويل سأورد جزءاً منه هنا نظراً لاختلاف الألفاظ التي أوردها المؤلف هنا عن الألفاظ التي عند الحاكم: «كَانَ يَهُودِيٌّ قَدْ سَكَنَ مَكَّةَ يَتَّجِرُ بِهَا فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ فِي مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ وُلِدَ فِيكُمُ اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ فَقَالُوا: وَاللهِ مَا نَعْلَمُهُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ أَمَّا إِذَا أَخْطَأَكُمْ فَلَا بَأْسَ، فَانْظُرُوا وَاحْفَظُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ، وُلِدَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَخِيرَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةٌ فِيهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ كَأَنَّهُنَّ عُرْفُ فَرَسٍ. . . . . .» الحديث.

لكن قال النَّاظم في «المورد»(١): الصَّواب أنَّه(٢) ولد نهاراً، وبه جزم(٣) ابن دحية، وصحَّحه الزَّركشي في شرح «البردة»(٤).

قال ابن دحية(٥): وأمَّا ما روي من تدلِّي النَّجوم، فضعيف لاقتضائه أنَّ الولادة كانت ليلاً. انتهى.

لكن هذا التعليل عليل كما قال الزركشي(٦): إذْ(٧) زمن النُّبوَّة زمن خَرْق العوائد، [ويجوز سقوط النجوم نهاراً]، وعلى أنَّه ولد ليلاً [قبل ليلة مولده].

قيل: ليلة مولده أفضل من ليلة القدر(٨)، واستدل قائله بوجوه، كلها مدخولة لا تقاوم النَّص على أفضليَّة ليلة القدر على جميع الليالي، ويلزم قائله أنَّ يوم الاثنين أفضل الأيام، حتَّى [من] يوم عرفة والجمعة بناءً على [الأصح]، أنَّه ولد نهاراً، وهو خرق للإجماع على أنَّ ما مرَّ من أنَّ فضيلة ذلك اليوم أو تلك الليلة عرضيّة لا ذاتية، يدفع ذلك من أصله.

---

(١) اسم الكتاب «المورد السني في المولد النبوي»، وقد طُبع الكتاب في مجلد بدار السلام، بالقاهرة، تحقيق عمر بن العربي.

(٢) في (ك): «القول بأنه».

(٣) في (ك): «وحزم به».

(٤) هو محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، له العديد من المؤلفات. و«شرح البردة»، مخطوط توجد منه نسخة في خدا بخش برقم (٣٥٣٤). «الفهرس الشامل». انظر في ترجمته وأخباره: «تاريخ ابن قاضي شهبة» (١/ ٤٥١، ٤٥٢)، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩)، «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (٦/ ٣٣٥).

(٥) انظر: «السبل» (١/ ٤٠٢).

(٦) «نقل الصالحي في «السبل» (١/ ٤٠٢) قول الزركشي ونسبه إليه حيث قال: «وهذا لا يصلح أن يكون تعليلاً فإن زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز أن تسقط النجوم نهاراً».

(٧) في (ك): «فإن».

(٨) سميت ليلة القدر؛ أي: ليلة الحكم، والفصل، وقيل: لعظم قدرها.

لليلتين من ربيع الأول **خلتا** منه على الأصح عند الجمهور(١)، وعليه اقتصر عبد الغني في «سيرته»(٢)، فلم يذكر سواه.

قال الحلبي(٣): وهو قول الأكثر. وقدَّمه في «الإشارة»، وحُكي غيره. فقيل: [﴿٤٢﴾] **وقيل**؛ أي: وقال ابن إسحاق(٤): **بل ذاك**؛ أي: ميلاده **لثنتي عشْرة** ليلة بسكون شين عشرة، خلت من ربيع الأوَّل.

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن جابر، وبالغ ابن الجزَّار فحكى عليه الإجماع، وعليه العمل.

وقيل(٥): لثمان منه، ونقل [أبو عمر] ابن عبد البرِّ عن المؤرخين تصحيحه، ورجَّحه ابن دحية.

وقال الحافظ ابن حجر: إنَّه مقتضى أكثر [أهل] الأخبار.

وقيل: لعشر(٦).

رواه الدّمياطي عن جعفر الباقر وصحَّحه وتبعه الحلبي(٧).

---

(١) ذكره ابن الأثير في كتابه «الكامل» (١/ ٤١٦)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٤٥).

(٢) «مختصر السيرة النبوية» للمقدسي (ص٤٠، ط: دار بلنسية).

(٣) في «المورد العذب» (ق/ ٤٢/ ب).

(٤) لم أقف عليه في مطبوع «سيرة ابن إسحاق» لكنه في «مختصره» لابن هشام (١/ ١٥٨)، وانظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٥٧١) و«الكامل» لابن الأثير (١/ ٤١٦) و«السبل» (٤٠٣).

(٥) انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٣٢٠)، وسيرة ابن كثير (ص١٩٩، ط: دار المعرفة).

(٦) ذكره ابن الأثير في كتابه «الكامل» (١/ ٤١٦)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٤٥).

(٧) انظر: «السبل» (٤٠٣)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٢٧).

وقال القطب القسطلاني(١): إنَّه اختيار أكثر المحدِّثين(٢)، [ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم، وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشأن]، واختاره الحميدي كشيخه ابن حزم، وحكى القضاعي [في «عيون المعارف»] إجماع أهل التاريخ عليه.

وقيل(٣): لسبع عشرة.

وقيل(٤): لثمان عشرة.

وقيل(٥): في أوله.

وقيل: [في] أوَّل اثنين منه من غير تعيين.

وقيل: ولد **بعد** عام **الفيل**، وكان **ذا** القدر **بفترة**؛ أي: بعد فترة طويلة، بين وقعة الفيل وبين مولده، واختلف في ذلك القدر.

فقال أبو أحمد الحاكم والعجلي، [﴿٤٣﴾]: [بعده] **بأربعين** عاماً **أو**؛ أي: وقال أبو علي المديني و[موسى] بن عقبة: بنحو **ثلاثين سنة** تقريباً(٦).

---

(١) في حاشية (غ): «القسطلاني هذا غير شائع «....» غير واضحة.

(٢) في (ك): «أهل الحديث».

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٣٢٠)، وقال: «وَقِيلَ لسبعة عشر خَلَتْ مِنْهُ: كَمَا نَقَلَهُ ابْنُ دِحْيَةَ عَنْ بَعْضِ الشِّيعَةِ».
وقد ذكر الصالحي في «السبل» (٤٠٢ ـ ٤٠٤) كل هذه الاختلافات.

(٤) انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٣٢٠).

(٥) «البداية والنهاية» لابن كثير(٣/ ٣٧٦).

(٦) قال الذهبي في «تاريخه» (١/ ٢٧): «قلتُ: لا أُبعِدُ أَنَّ الغلط وقعَ من هنا على مَن قال ثلاثين عاماً أو أربعين عاماً؛ فَكَأَنَّهُ أرادَ أنْ يقول: يوماً؛ فقال: عاماً».

وقيل(١): بعشر سنين. أخرجه ابن عساكر عن ابن أبزى.

وقيل: بسبعين سنة.

وقيل: بين الفيل وبين مولده [أربعون] يوماً.

وقيل(٢): [ثلاثون]، وقيل: خمسون.

وعليه المسعودي والخوارزمي والسهيلي، وزاد أنَّه قول الأكثر [والأشهر]. وزاد ابن كثير(٣) [أنَّه] الأشهر(٤).

وقيل: خمس وخمسون(٥). وصحَّحه الدّمياطي(٦).

ورُدَّ ذا الخلف؛ أي: وردَّ ابن الجزَّار هذا الخلاف وأنكره(٧)، وحكى الإجماع على أنه ولد عام الفيل(٨)، وممن نفى الخلاف فيه ابن

---

(١) نقله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٨٠) عن ابن أبزى، وانظر: مولد النبي في «تاريخ دمشق» (٣/ ٦٦).

(٢) قاله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٨٠)، وقال: «قاله موسى بن عُقْبَةَ عن الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَاخْتَارَهُ موسى بن عُقْبَةَ أَيْضاً».

(٣) قال ابن كثير في «السيرة» (ص٢٠٠): «فقيل: بعده بشهرٍ، وقيل: بأربعين يوماً، وقيل: بخمسين يوماً؛ وهو أَشْهَرُ».

(٤) «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٤٠٤).

(٥) قال ابن الجوزي في «المنتظم»: «وُلِدَ رسولُ اللهِ ﷺ يوم الاثنين لِعَشْرٍ خَلَوْنَ من ربيع الأول، وكان قدوم الفيل للنصف من المحرَّم، فبين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ خمسٌ وخمسون ليلةً». وانظر: «السيرة» لابن كثير (ص٢٠٠).

(٦) «السيرة النبوية» (ص٣٠، ط: دار الصابوني).

(٧) «تاريخ خليفة» لخليفة بن خياط (ص٥٣).

(٨) ورد في «أسد الغابة» (٤/ ٤٢٣) أنه ولد هو وربيعة عام الفيل، وقال ابن الأثير في كتابه «الكامل» (١/ ٤١٦): قال قيسُ بن مَخْرَمَةَ وَقُبَاثُ بن أَشْيَمَ وابنُ عباسٍ وابنُ إِسْحَاقَ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ». اهـ.

عبد البر(١) [وخليفة(٢)] وابن المنذر [الخزامي شيخ البخاري]، **وبعضٌ** بالتنوين(٣)؛ أي: وبعض العلماء **وَهَّنَهُ**؛ أي: أثبت الخلاف، لكن ضعَّفه، وقال: هو واه(٤) جداً، وقال: الصَّواب أنَّه ولد عام الفيل، والإنصاف أنَّ الخلاف محقق، بل قوي، فقد أخرج ابن عساكر في «تاريخه»(٥)، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، قال: حمل برسول الله ﷺ في عاشر(٦) المحرَّم، وولد يوم الاثنين؛ لثنتي عشرة خلت من رمضان، سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل.

قال الدّمياطي(٧): ويقال: إنه ولد في برج الحمل [وهو نيسان].

وقيل(٨): ولد بالغفر من المنازل، وهو مولد النبيين، وكان إبليس [لعنه الله] يخترق [السَّبع] السَّماوات(٩) [فلما ولد عيسى حُجب من ثلاث] و[كان] يصل إلى أربع، فلمَّا ولد المصطفى ﷺ حجب من السّبع، ورميت الشّياطين بالنّجوم فقالت قريش بالنّجوم: هذا قيام السّاعة، فقال عتبة بن ربيعة: انظروا إلى العيُّوق(١٠)، فإن كان قد

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك) بعدها: «وَهَّنَهُ» وستأتي هنا بعدُ.

(٤) في (ك): «لكنه واهن».

(٥) (٣/ ٦٦).

(٦) في (ك): «عاشوراء».

(٧) نسبه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٢٧) للدمياطي، وانظر: «السبل» (١/ ٤٠٥).

(٨) «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٤٠٥)، «الروض» (١/ ٢٨٣).

(٩) في (ك) بعدها: «السبع».

(١٠) العيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرَّة الأعين، يتلو الثريا لا يتقدمه. «صحاح الجوهري» مادة: (عوق).

رُمي به فهو قيام الساعة.. في حديث طويل، رواه [ابن] بكار(١).

وأخرج الخرائطي وابن عساكر(٢)، عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أنَّ نفراً من قريش، منهم ورقة وزيد بن عمرو بن نفيل، دخلوا على صنمهم، فرأوه مكبوباً على وجهه، فأنكروه وردُّوه لحاله، فانقلب انقلاباً عنيفاً فردُّوه، فانقلب الثالثة(٣)، فقالوا: هو لأمرٍ حدث، فكان ذلك في ليلة ولادته(٤) ﷺ.

وروى يعقوب بن سفيان، قال الحافظ ابن حجر(٥): بإسنادٍ حسن(٦) عن عائشة رضي الله عنها: لما كانت الليلة التي ولد فيها [المصطفى] ﷺ قال يهودي: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلم، قال: ولد في هذه اللَّيلة نبيٌّ هذه الأمّة، بين كتفيه علامة، فسألوا فأخبروا به، فذهب اليهودي فرآه بعلامته، فخرَّ مغشيّاً عليه، وقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل، ليسطوَّن بكم يا قريش سطوة يخرج خبرها من المشرق إلى المغرب.

وفي «تفسير(٧) [بقي بن مخلد»(٨): أن إبليس

---

(١) «السيرة النبوية» (ص٣١)، وما بين معقوفتين زيادة منه. والزبير بن بكار، كما ترجم له في «المورد» فقال: هو الزبير بن بكار، ويقال: الزبير بن أبي بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوَّام القرشي الأسدي، المدني النَّسَّابة. صاحب كتاب النسب. قال أبو بكر الخطيب: وكان ثقة ثبتاً عالماً بالنسب، عارفاً بأيام المتقدمين. توفي لعشر بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومئتين. ودفن بمكة.

(٢) «تاريخ دمشق» (٣/ ٤٢٣)، (٣٨/ ٣٣٦).

(٣) في (ك): «الثانية».

(٤) في (ك): «الليلة التي ولد فيها المصطفى».

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ك): «بسندٍ حسن».

(٧) هذا التفسير مفقود وهناك كلام على وجود نسخ منه، أو أجزاء في بعض مكتبات العالم.

(٨) هو الحافظ بقي بن مخلد أبو عبد الرحمٰن القرطبي، صاحب المسند الكبير =

رنَّ(١) أربع رنَّات(٢): رنَّةٌ حين لعن(٣)، ورنَّةٌ حين أهبط، ورنَّةٌ حين ولد المصطفى ﷺ، ورنَّة حين أنزلت الفاتحة(٤).

ومن عجائب ولادته [أيضاً]: ما روي من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط أربع عشرة شرافة منه، وغَيْض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس الأربعة عشر، وكان لها ألف عام لم تخمد. كما رواه البيهقي(٥). وفي سقوط الأربعة عشر(٦) إشارة إلى أنه يملك منهم ملوكاً بعددها، فملك

= والتفسير الجليل. وطوَّف الشرق والغرب وشيوخه قاربوا الثلاث مئة. توفي سنة (٢٧٠هـ). «السير» (١٣/ ٢٨٥).

(١) في حاشية (غ): «رن: صَرَخ». وهذا القول حكاه السهيلي وأبو الربيع، أن بقي بن مخلد ذكر في تفسيره. «المورد».

(٢) قال الأزرقي: «رَنَّ إبليسُ ثلاثَ رَنَّاتٍ: رَنَّةً حين لُعِنَ فَتَغَيَّرَتْ صورتُهُ عن صورة الملائكة، وَرَنَّةً حين رأى رسولَ الله ﷺ قائماً بمكةَ يُصَلِّي، وَرَنَّةً حين افتتح رسولُ الله ﷺ مكةَ، فاجتمعتْ إليه ذُرِّيَّتُهُ، فقال إبليسُ: أَيْئِسُوا أَنْ تَرُدُّوا أُمَّةَ محمدٍ على الشرك بعد يومهم هذا أبداً، ولكن أَفْشُوا فيهم النَّوْحَ وَالشِّعْرَ». انظر: «تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ١٢٢، ١٢٣).

(٣) أخرج عبد الرزاق في «مصنفه» عن مجاهد قال: «لما لعن الله إبليس أهبط إلى الأرض رن ونخر فلعن من فعلهما» (١١/ ٤٢٥ ط: الأعظمي) حديث رقم (٢٠٩٠٠).

(٤) أخرج الطبراني في «الأوسط» (٥/ ١٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة» وقال: «لم يرو هذا الحديث عن منصور إلا أبو الأحوص تفرد به أبو بكر بن أبي شيبة».
وروى الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١١) عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ رَنَّ إِبْلِيسُ رَنَّةً اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جُنُودُهُ، فَقَالَ: ايْئَسُوا أَنْ نُرِيدَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَى الشِّرْكِ بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَلَكِنِ افْتِنُوهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَأَفْشُوا فِيهِمُ النَّوْحَ».

(٥) «دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ١٢٦ط: دار الكتب العلمية).

(٦) في (ك): «الأربع عشرة».

منهم عشرة في أربع سنين، والباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

ورأى الموبذان(١) إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قطعت دجلة وانتشرت، فأخبر كسرى فأفزعه ذلك وصبر عليه تشجُّعاً، ثم رأى أن لا يدَّخره عن موازبته(٢)، فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم، وقال: تدرون فيما بعثت إليكم؟ [فقالوا: لا]، فبينا هم كذلك، إذ ورد كتاب بخمود النيران فازدادوا غمّاً، ثم أخبرهم ما رآى [وما هاله]، فقال الموبذان: وأنا رأيت، وقصَّ عليه رؤياه [في الإبل] فقال: هذا حدثٌ يكون في ناحية العرب، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر: وجِّه إليَّ برجلٍ عالم، فوجَّه إليه بعبد المسيح الغسَّاني، فقال له كسرى: ألك علم بما أُريد؟ قال: ليخبرني الملك، فإن كان عندي علمه(٣) وإلَّا أخبرته بمن يعلمه، فأخبره فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشام، اسمه سطيح، [قال: فأته]، فخرج فأتى(٤) إلى سطيح وقد أشفى(٥) على الضريح، فسلَّم عليه فلم يردَّ [عليه]، فقال: أصمٌّ أم يسمع غطريف اليمن؟ في أبيات ذكرها(٦).

فلما سمع سطيح شعره، رفع رأسه يقول: عبد المسيح على جمل مُشيح إلى سطيح وقد أشفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس(٧) الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، يا عبد المسيح،

---

(١) في حاشية (غ): «الموبذان: بميم مضمومة وواو ساكنة موحدة تحتية مكسورة وذال معجمة فألف فنون».

(٢) كتب في حاشية (غ): «الموازبة بضم الميم، وفتح الواو فزاي فباء موحدة، فمثناة فوقية فهاء تأنيث»، وفي (ك): «المرازبة بضم الميم وفتح الراء فزاي فباء فمثناة».

(٣) في (ك): «أعلمته».

(٤) في (ك): «حتى انتهى».

(٥) في (غ): «أي: وجد «. . .» غير واضحة والضريح القبر».

(٦) «دلائل النبوة» البيهقي (١/ ١٢٧).

(٧) في (ك): «لارتجاح».

إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهرواة⁽¹⁾، وفاض وادي السعادة⁽²⁾ وغاضت بحيرة ساوه، وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاماً، تملك منهم ملوكاً وملكات على عدد الشّرافات، وكلما هو آتٍ آت، ثم قضى سطيح مكانه، فنهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول:

شمِّر فإنَّ ماضي الهمِّ تشمير   لا يُفزعنَّك تفريق وتغييرُ

إلى آخر الأبيات المشهورة، فأخبر كسرى بما قال، فقال: إلى أن يملك أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين، كما مرَّ⁽³⁾.

[﴿٤٤﴾] **وقد رأت أمُّه إذ**؛ أي: **حين وضعته نوراً خرج منها** وأضاء وانتشر، حتى **رأت القصورا** بألف الإطلاق؛ أي:

[﴿٤٥﴾] **قصور بصرى** بضم الموحَّدة التحتيَّة، وسكون [الصَّاد] المهملة وفتح الراء [المهملة]، مدينة بالشَّام، وهي حوران أو قيساريه فتحت صلحاً سنة ثلاث عشرة⁽4⁾.

قال ابن عساكر⁽5⁾: وهي أوَّل مدينة فتحت بالشَّام.

قال في «القاموس»⁽6⁾: والقصر المنزل، أو كل بيت من حجر،

---

(١) في حاشية (غ): «الركوة».

(٢) في حاشية (غ): «وادي السعادة... أي كثر أهلها». وموضع النقط كلمة غير واضحة.

(٣) في خبر سطيح انظر: «تاريخ» الطبري (٢/ ١٦٦)، و«هواتف الجان» (١٦)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٢٧٦). وذكرت هذه القصة في كتب اللغة والأدب. وقال الأزهري: هو حديث حسن غريب.

(٤) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٤٤١).

(٥) «تاريخ دمشق» (٢/ ٨٠).

(٦) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي مادة: (قصر).

وعلمٌ لسبعةٍ وخمسين موضعاً، ما بين مدينةٍ وحصنٍ وقريةٍ ودار، وأعجبها قصر بهرام جور من حجر واحد.

وقد أضاءت تلك القصور من ذلك النّور، قال ﷺ: «**رأت أمي حين وضعتني، سطع منها نور أضاء له قصور بصرى**» رواه ابن سعد في «طبقاته»[1] عن أبي العجفاء السُّلمي.

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**رأت أمّي كأنَّه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشَّام. . .**».

رواه ابن سعد [أيضاً] عن أبي أمامة [الباهلي] وصحَّحه ابن حبَّان وغيره[2]، وفي رواية للحاكم والبيهقي: «**رأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشَّام**»[3].

وفي رواية لأحمد: «**إني عبد الله وخاتم النبيين، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، [أنا] دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين**»[4].

---

[1] في (غ): «السعد» والمثبت من النسخ الأخرى. والخبر في «الطبقات الكبير» لابن سعد (١/ ١٠٢ ت: إحسان عباس) مرسلاً، ورجاله ثقات. انظر: «السبل» (١/ ٤١١).
وقال الشارح المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٥٧٣): «وصنيع المصنف يصرِّح بأنه صحابي، وهو وهم، وإنما هو تابعي كبير. روى عن عمر وغيره، وثَّقه بعضهم، وقال البخاري: في حديثه نظر».اهـ.

[2] رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٠٢)، وأحمد في «المسند» (٧/ ٤٢٠).

[3] أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٥٣) كلاهما عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

[4] رواه ابن سعد (١/ ١٠٢)، وأحمد (٥/ ٤٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٣٠) و«شعب الإيمان» (٢/ ٥١٠، ٥١١ ط: عبد العلي) من حديث العرباض رضي الله عنه.

فائدة: قال ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص٨٢ ـ ٨٣): «أخرج أبو بكر =

وخروج النّور عند وضعه، إشارة إلى ما يجيء به من النّور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزالت به ظلمة الكفر، وإنما خُصَّ ذلك النّور بالشَّام؛ لأنَّ في الكتب الإلـٰهيَّة المتقدِّمة، نعته بأنّه محمّد رسول الله مولده بمكة، ومهاجرته بيثرب وملكه بالشّام، فلما كانت محل ظهور سلطانه، ناسب ظهور النّور فيها، إشارة إلى ذلك، وليعلم أهل الكتاب أنّه النّبي الموعود به في كتبهم، ووجه تخصيص بصرى من بين بلاد الشام: أنَّها(١) أوَّل ما فتح منها، وإشارة إلى أن ما أتى به ينوِّر البصائر ويحيي القلوب الميتة، وتهتدي به الضّمائر(٢).

قال الحافظ ابن حجر: والرَّؤية الأولى عيانية(٣) والثانية نومية، وقد خلط(٤) من جعل كلاًّ منهما في النّوم، ومن جعلهما في اليقظة.

وروى الطبراني في «معجمه» عن [عثمان بن] أبي العاص الثّقفي عن أمّه أنّها حضرت [آمنة] أُمَّ المصطفى ﷺ [لمَّا](٥) ضربها المخاض،

= عبد العزيز بن جعفر البغدادي الحنبلي في كتاب «السنة» من طريق حنبل، قال: قلت لأبي عبد الله ـ أي: الإمام أحمد ـ: من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه قبل أن يبعث؟ قال: هذا قول سوء ينبغي صاحب هذه المقالة [أن] يحذر كلامه ولا يجالس، قلت له: إنَّ جارنا الناقد أبا العباس يقول: هذه المقالة. قال: قاتله الله وأيُّ شئ أبقى إذا زعم أنَّ النبي ﷺ كان على دين قومه، وهم يعبدون الأصنام. قال الله تعالى حاكياً عن عيسى ﵇: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. ثم قال: إنَّ أمه حين ولدت رأت نوراً أضاء له قصور الشَّام، أو ليس هذا عندما ولدت رأت هذا؟ وقبل أن يبعث كان طاهراً مطهراً من الأوثان؟ أو ليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب؟ ثم قال: احذروا الكلام، فإنّ أصحاب الكلام أمرهم لا يؤول إلى خير».

(١) في (ك): «أنه».

(٢) انظر: «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٤١٢، ٤١٣).

(٣) في (ك): «عينيّة».

(٤) في (ك): «غلط».

(٥) في (ك): «حين».

قالت: فجعلت أنظر إلى النّجوم تتدلَّى، حتى أقول [التقعنَّ] عليَّ، فلمَّا ولدته خرج منها نور أضاء له البيت [والدار](١).

قال ابن إسحاق(٢): ولمَّا وضعته(٣) أمّه أرسلت إلى جدِّه عبد المطلب، أنَّه قد ولد لك غلام [فانظر إليه].

فأتاه ينظر إليه، فحدَّثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسمِّيه.

فأخذه عبد المطلب فدخل به المسجد، فقام يدعو الله ثم يشكره [ما أعطاه] ثم دفعه إلى أمّه.

وفي «شرح البردة»(٤) للزّركشي عن ابن عبّاس ﵄ أنه لمَّا ولد قال في أذنه رضوان خازن الجنان: أبشر يا محمد، فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علماً وأشجعهم قلباً. **وَوُضِعَ** بالبناء للمفعول؛ أي: نزل من بطن أمّه.

وبصره إلى السماء مرتفع كما رواه ابن سعد عن جمع(٥)، منهم: ابن عبَّاس، فكان أول فعل وقع منه بعد بروزه إلى هذا العالم الرفع، إشارة إلى سؤدده ورفعته وسيادته على الخلق، وإلى أنّ شأنه يرتفع في الدنيا والآخرة، ووقع وأصابع يديه مقبوضة إلا السبابة.

روى الطبراني: لما وقع إلى الأرض، وقع مقبوضة أصابع يده مشيراً بالسبابة كالمسبِّح بها.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٥/ ١٤٧).

(٢) «سيرة ابن إسحاق» (٢٢).
(٣) في (ك): «ولدته».

(٤) البردة هي التي تعرف بـ «الكواكب الدرية في مدح خير البرية» للبوصيري (ت٦٩٤هـ)، وممن شرحها محمد بن بهادر الزركشي المتوفى سنة (٧٩٤هـ). ومنه نسخة خطية في خدا بخش بنكبور برقم (٢٥٣٤) كما في «جامع الشروح والحواش» للحبشي (١/ ٤٥٥).

(٥) «الطبقات» (١/ ١٠٢).

وروى ابن سعد عن محمد بن عمر الأسلمي عن آمنة(١) قالت: لمَّا وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع جاثياً على ركبتيه معتمداً على الأرض بيديه، ثم أخذ قبضةً من ترابها [فقبضها] ورفع رأسه إلى السّماء، فقال بعض الكهّان: إن صدق الفال ليغلبنَّ [هذا المولود] أهل الأرض(٢).

قال الجوجري(٣): وفي [رفع](٤) بصره إشارة إلى ارتفاع شأنه وعلوِّ قدره، وفي رفع رأسه إشارة إلى سؤدده، وأنَّه لا يتوجَّه قصده إلّا إلى الملأ الأعلى. وقال بعض الصّوفيّة: لمّا ولد عيسى قال: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً، فأخبر عن نفسه بالعبودية والرِّسالة. والمصطفى ﷺ خرَّ ساجداً ومعه نور وقبض من التّراب، ورفع رأسه إلى السّماء، فكانت عبودية عيسى المقال، وعبودية محمد الفعال، [ورسالة محمد بظهور الأنوار]، وفي سجوده إشارة إلى مبدأ أمره على القرب، قال [الله] تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، فحال عيسى يشير إلى مقام العبودية، و[حال] محمد إلى مقام القرب من الحضرة الإلٰهية(٥).

قال السّيوطي(٦): ولم أقف في شيء من الأحاديث بعد التّتبع، على أنّه لما ولد عطس.

وقد جرت العادة إذا سمعوا بذكر وضعه قاموا ولا أصل له؛ إنَّما

---

(١) في (ك) و(غ): «أمه».

(٢) «الطبقات» (١/ ١٠٢).

(٣) في (ك): «الجوهري»، والصواب ما أثبت.
والجوجري هو محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوجري، من فقهاء الشافعية ولد بجوجر قرب دمياط له عدة مؤلفات. منها «شرح البردة». توفي سنة (٨٨٩هـ)، ولعل قوله هذا فيها. «الأعلام» (٦/ ٢٥١).

(٤) في (ك): «ارتفاع».

(٥) انظر: «سبل الهدى» (١/ ٤١٤).

(٦) «الحاوي في الفتاوي» (١/ ٣٥٧، ط: دار الكتب العلمية).

أصله أنَّ الصّرصري الشّاعر(١) أنشد في ختم درس السبكي(٢) قصيدة منها:

قليلٌ لحظ(٣) المصطفى الخطُّ بالذهبْ　　على فضةٍ من خط(٤) أحسن من كتبْ
وأن تنهض الأشراف عند سماعه　　قياماً صفوفاً أو جثيًّاً على الركبْ

فلمَّا سمعه الشيخ قام، فقام الحاضرون، فدرج النّاس عليه(٥).

ومما اشتهر على الألسنة أنَّ المصطفى ﷺ قال: «**بعثت**» وفي لفظ: «**ولدت في زمن كسرى العادل**»(٦).

قال الحليمي(٧): وبفرض صحته، فإطلاق العدل عليه لتعريفه بالاسم الذي كان يدعى به، لا لوصفه بالعدالة.

وفي «اللآلئ» للزركشي(٨): أنَّ بعض الصالحين قال للمصطفى ﷺ في النَّوم: حدَّثَ الحاكمُ عنك بذلك، فقال: صدق.

---

(١) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري، أبو زكريا شاعر ضرير، قتل يوم دخول التتار بغداد سنة (٦٥٦هـ). «البداية والنهاية» (٩/ ٤١١).

(٢) هو الحافظ تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي شيخ الْمُسلمين فِي زَمَانه والداعي إِلَى الله فِي سره وإعلانه والمناضل عَن الدّين الحنيفي بقلمه وَلسَانه. ولد فِي ثَالِث صفر سنة ثَلَاث وَثَمَانِينَ وسِتمِائَة، وتوفي سنة (٧٥٦هـ). «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ١٣٩).

(٣) في (ك): «المدح».

(٤) في (ك): «يخط».

(٥) انظر في هذا الخبر وفيه الأبيات: «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ٢٠٨، ط: هجر).

(٦) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» لا أصل له. وقال ابن مفلح في «الفروع» (٣/ ٥٥٦): «وقد قال الحاكم في «تاريخه»: الحديث الذي روته العامة... باطل، وليس له أصل صحيح ولا سقيم».

(٧) «اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة» للزركشي (١/ ١٧٩، ط: المكتب الإسلامي).

(٨) في «اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة» للزركشي (١/ ١٧٩) وعبارته =

○ **فائدة:**

قال ابن حجر: قد تكلَّم المصطفى ﷺ أوَّل ما ولد، وذكر ابن سبع(١) أنَّه قال: «**الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً**».

وأخرج الطَّبراني والبيهقي(٢) عن العبَّاس، قلت: يا رسول الله، دعاني إلى الدّخول في دينك، أني رأيتك في المهد تناغي(٣) القمر، وتشير إليه بأصبعك فحيثما أشرت إليه مال، قال: «**كنت أحدّثه ويحدِّثني ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته**(٤) **[حين يسجد] تحت العرش**».

قال الصَّابوني(٥): غريب الإسناد والمتن.

= فيها: «يُحكى أنَّ القاضي أبا بكر الجيري حكى له شيخ من الصالحين أنه رأى النبي في المنام، قال: فقلت: يا رسول الله بلغني أنك ولدت في زمن الملك العادل، فإني سألت أبا عبد الله الحافظ عن هذا؟ فقال: هذا كذب، ولم يقله رسول الله ﷺ، فقال النبي: صدق أبو عبد الله».

(١) ابن سبع هو أبو الربيع سليمان بن سبع السبّي العجيمي أو العجيسي، له كتاب «شفاء الصدور» كبير في مجلدات، واختصر منه الخصائص. تُوفِّي سنة (٥٢٠هـ) تقريباً. ترجمته في مجلة الحق المغربية الأعداد من ٨ ـ ٩ ـ ١٠، وقوله هذا في «الخصائص» كما في «السبل» (١/ ٤٢٣).

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٤١) عن العباس بن عبد المطلب ﷺ.

(٣) في (ك): «تناجي».

(٤) قال بعدها في (ك): «وجبته: بجيم ساكنة فموحدة تحتية ـ اضطرابه، وحركته». اهـ. وكذا في حاشية (غ).

(٥) وقوله هذا في كتابه «المئتين».

والصابوني هو العالم الإمام القدوة المفسِّر المحدِّث، شيخ الإسلام، إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان النيسابوري الصابوني. ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، ومات يوم الجمعة رابع محرم سنة تسع وأربعين وأربعمائة. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ٤٠)، «طبقات المفسرين» للسيوطي (١/ ٢٥، ط: وهبة).

تتمَّة:

قال السخاوي في عمل المولد الشريف: لم ينقل عن أحد من السّلف الصّالح في القرون الثّلاثة الفاضلة، وإنَّما حدث بعدُ، ثم لا زال أهل الإسلام يعملون في شهر مولده الولائم البديعة، ويتصدَّقون، ويظهرون السّرور ويظهر عليهم من بركته⁽١⁾.

وقال التَّزمنتي⁽٢⁾: هذا فعل لم يُعهد في الصّدر الأوَّل من السّلف الصّالح، مع تعظيمهم وحبهم له، وهي بدعة حسنة⁽٣⁾ بقصد جمع الصّلحاء، والصّلاة عليه وإطعام الفقراء، وأما جمع الرَّعاع⁽٤⁾، وعمل السّماع والرقص، وخلع الثياب على القوَّال فلا يندب، بل يذم ولا خير فيما لم يعمله السّلف [الصّالح]⁽٥⁾.

وادَّعى التَّاج الفاكهاني أنَّ عمله بدعة مذمومة وألَّف فيه تأليفاً حافلاً⁽٦⁾، وعارضه السيوطي⁽٧⁾ وألَّف في مقابلته وسبقه النَّاظم⁽٨⁾،

---

(١) في (ك): «بركاته».

(٢) في (ك): «الترمذي» وبعدها: «أكثر». «وهو الشيخ الإمام ظهير الدين التَّزمنتي نسبة إلى تزمنت بفتح التاء المثناة من فوقها، وهي من بلاد الصعيد، كان شيخ الشافعية بمصر في زمانه، أخذ عن ابن الجميزي، وأخذ عنه فقيه الزمان ابنُ الرِّفْعَة وعم والدي الشيخ صدر الدّين يحيى بن عَليّ السُّبْكِيّ وخلائق. وله شرح مُشكل الوسيط. مات سنة اثنتين وثمانين وستمائة». اهـ من «طبقات الشافعية» (٨/ ١٣٩).

(٣) لفهم المعنى الصحيح للبدعة انظر: «الاعتصام» للشاطبي.

(٤) في (ك) بعدها، وكذا في حاشية (غ): «الرعاع: بالراء المهملة المشددة المفتوحة والعين المهملة بعدها ألف بعدها عين مهملة وهم كالسوقة».

(٥) انظر: «السبل» (١/ ٤٤٢).

(٦) «السبل» (١/ ٤٤٢)، وذكر فيه قول الفاكهاني في ذلك فانظره إن أردته.

(٧) يقصد هنا كتاب حسن المقصد في عمل المولد للسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٨) انظر: «السبل» (١/ ٤٤٦).

وبالجملة فالنَّاس فيه فريقان، وقد كثرت التَّصانيف في الجهتين(١).

[﴿٤٦﴾] **ومات أبوه** وهو ابن خمس وعشرين سنة على ما ذكر الواقدي، لكن قال ابن حجر كالعلائي: ثمانية عشر، وذلك أنّه خرج إلى الشّام في عيرٍ لقريشٍ لتجارة، فانصرفوا فمرّوا بالمدينة، فمرض فتخلّف عند أخواله من بني النجّار فمات، ودفن بدار النَّابغة(٢)، وقيل: بالأبواء، **وله**؛ أي: للمصطفى ﷺ إذ ذاك من العمر **عامان وثلث** عام، قال الدّولابي(٣): هذا قول الأكثر.

وقيل: بالنقصان. [﴿٤٧﴾] **عن قدر ذا**؛ أي: وقيل: مات أبوه وعمره أقلُّ من عامين وثلث، فقيل: تسعة أشهر، وقيل: سبعة، وقيل: شهران، والكل ضعيف، **بل صحَّ** عند الحاكم في «مستدركه» عن قيس بن مخرمة: أنه **كان حملاً** حين تمَّ لها شهران(٤).

---

(١) ولا شك في أنّ الحق لا يتعدّد، فالذين قالوا بالاحتفال بالمولد، نسألهم ما دليلهم؟ خاصة وأنَّ الرسول ﷺ لم يفعله، فإن قالوا: لانشغال الرسول بأمور كالجهاد والدعوة وغيرهما. قلنا: فلم لم يفعله الصحابة رضوان الله عليهم؟ أم أنا عرفنا ما لم يعرفوا وتذكرنا أمراً نسوه. ولذلك قال الإمام مالك: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم. وكلام السلف في التحذير من البدع كثير. «هذا مع أنّ الشهر الذي ولد فيه ﷺ هو ربيع الأول، هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه» كما قال الفاكهاني.

(٢) «الطبقات» (١/ ٩٩).

(٣) ذكره السهيلي منسوباً للدولابي في «الروض الأنف» (١/ ٢٨٣).

(٤) «سيرة ابن هشام» (١/ ١٦٧). وذكر ابن الأثير هذا في كتابه «الكامل» عن عمه أبي طالب حيث قال: «قَالَ بَحِيرَا لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ: مَا هَذَا الْغُلَامُ مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي. قَالَ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيّاً. قَالَ: فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي، مَاتَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ». (١/ ٦٣٨). وانظر: السهيلي في «الروض الأنف» (١/ ٢٨٣).

وبه جزم ابن إسحاق(١)، وصحَّحه الذهبي(٢).

وقال ابن كثير(٣): إنّه المشهور(٤).

وابن الجوزي(٥): إنّه قول الجمهور.

والقسطلاني: أنّه الراجح.

قال أبو حيَّان في «تفسيره» عن جعفر الصَّادق: وإنَّما يُتِّم لئلا يكون لمخلوقٍ عليه منَّة(٦).

وفي «كشف الأسرار» لابن العماد(٧): إنما رُبِّي يتيماً؛ لينظر إذا وصل إلى مدارج عزِّه في أوائل أمره، فيعلم أنَّ العزيز من أعزَّه الله، وأنَّ قوَّته ليست بالآباء والأمهات ولا بالمال والجاه.

وأرضعته ثويبة(٨) - بضم المثلثة وفتح الواو - بلبن ابنها مَسْرُوحٍ - بسين وراءٍ وحاء مهملات، والأولى ساكنة والثانية مضمومة - أيَّاماً حتى قدمت حليمة.

وقوله: **حين كان طفلاً** صفة كاشفة كمل بها الوزن.

---

(١) «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٩٨).

(٢) في «المستدرك» للحاكم (١/ ٦٠٠).

(٣) في (ك): «الكاملة».

(٤) «سيرة ابن كثير» (١/ ٢٠٤).

(٥) «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٩٨).

(٦) في تفسيره المسمَّى «البحر المحيط» (٨/ ٤٨١، ط: دار الكتب العلمية)، وانظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٨٧، ط: دار الكتاب العربي)، وانظر: «السبل» (١/ ٣٩٩).

(٧) هو أحمد بن عماد بن يوسف، أبو العباس شهاب الدين الأقفهسي ثم القاهري. له العديد من المصنفات. توفي سنة (٨٠٨هـ)، وكتابه «كشف الأسرار» رمز له في «الأعلام» (١/ ١٨٤) بأنه مخطوط في الاسكوري.

(٨) هي ثويبة مولاة أبي لهب أرضعت النبي ﷺ اختلف في إسلامها.
أخرجها ابن منده، وأبو نعيم، وقال أبو نعيم: لا أعلم أحدا أثبت إسلامها غير المتأخر يعني: ابن منده. «أسد الغابة» (٧/ ٤٧).

قال العزفي(١): كانت نساء قريش يرين إرضاع أولادهن عاراً [عليهن](٢).

وقيل: كانوا يفعلونه؛ لأنّ الغلام إذا تربى يتيماً يكون أنجب وأفصح(٣).

وقيل: لتفرَّغ النساء لأزواجهن، وهذا منتفٍ هنا(٤).

وأرضعته [﴿٤٨﴾] **مع عمه**؛ أي: وكانت قد أرضعت قبله عمه **حمزة** بن عبد المطلب **ليث القوم**؛ أي: أسد قريش وأعظم الصّحابة شجاعة(٥)، فإنّه كان كما رواه الحاكم(٦): يقاتل بين يدي المصطفى ﷺ بسيفين، ويقول: أنا أسد الله.

وروى الحاكم أيضاً(٧): أنَّ المصطفى ﷺ قال: **«أتاني جبريل فأخبرني أنَّ حمزة مكتوب في السماوات: أسد الله وأسد رسوله»**.

وأرضعته أيضاً **مع أبي سلمة** عبد الله بن عبد الأسد

---

(١) في (ك) بعدها، وكذا في حاشية (غ): «بتحريك العين المهملة بعدها زاي مفتوحة مخففَّة بعدها فاء(*) مكسورة». اهـ.
وهو عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن أحمد، أبو القاسم بن أبي طالب العزفي اللخمي: فاضل من المشتغلين بالحديث. له عدة مصنفات. توفي سنة (٧١٧هـ). انظر: «الأعلام» (٣/ ٣١٣).

(٢) «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٤٧٧). (٣) «السبل» (١/ ٤٧٧).

(٤) «السبل» (١/ ٤٧٧). (٥) «السبل» (١/ ٤٥٧).

(٦) في «المستدرك» (٣/ ١٩٢) من حديث سعد بن أبي وقاص ؓ. وصححه الحاكم.
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧/ ١٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ١٤٩) عن عمير بن إسحاق مرسلاً.

(٧) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٤).

(*) ووقع في (ك): «ففاء» بدلاً من «فاء».

المخزومي(١)، زوج أمِّ سلمة قبل المصطفى ﷺ أسلم بعد عشرة، وهو أوَّل من هاجر إلى الحبشة، فاستخلفه المصطفى ﷺ على المدينة عند(٢) خروجه إلى غزوة(٣) العُسيرة(٤).

[﴿٤٩﴾] **وثويبة** هذه اختلف في إسلامها، قال أبو نعيم: ولا أعلم أحداً ذكر إسلامها إلّا ابن مندة(٥).

وقال ابن الجوزي(٦): لا نعلم أنَّها أسلمت.

قال ابن حجر: وفي باب من أرضع المصطفى ﷺ من «طبقات» ابن سعد(٧) ما يدلّ على أنها لم تُسلم، لكن لا يدفع نقل ابن مندة به، قال: ولم أقف في شيء من الطّرق(٨) على إسلام ابنها مسروح(٩).

وهي منسوبة **إلى** عمِّه **أبي لهب** عبد العزَّى بالولاء، كانت مولاته **وأعتقها**(١٠).

---

(١) انظر: «أسد الغابة» (٢/ ٦٧)، و«الروض» (١/ ٢٨٥)، و«السبل» (١/ ٤٥٧).

(٢) في (ك): «حين».

(٣) في (ك): «لغزوة».

(٤) في (ك): «العشيرة»، وفي حاشية (غ): «العسيرة: بعين مهملة مضمومة وسين مهملة مفتوحة فباء ساكنة فراء».

(٥) «أسد الغابة» لابن الأثير عن أبي نعيم (٧/ ٤٧).

(٦) «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٢٦٠).

(٧) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١٠٨).

(٨) في (ك): «ذلك».

(٩) «الإصابة» (٨/ ٦٠) في ترجمة ثويبة، وقال ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٠٩): «يقال: أسلمت». توفيت سنة سبع من الهجرة. قال في «نور النبراس» (ق/ ٢٠٧/ب): «ولم يذكرها أبو عمر في الصحابة، وإنما ذكرها الذهبي، وقال: يقال: أسلمت. فإذا الراجح عنده أنها لم تسلم. والله أعلم». اهـ.

(١٠) «أسد الغابة» (٢/ ٦٧)، «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٢٦٠)، «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٤٥٧)، «الروض الأنف» (١/ ٢٨٥).

[واختُلِف متى أعتقها؟ فقيل]: حين بشرَّته بولادته المصطفى ﷺ لا بعدها على الأصح.

[وقيل: إنَّ خديجة طلبت شرائها لتعتقها، فأبى فلمَّا هاجر المصطفى ﷺ إلى المدينة أعتقها أبو لهب⁽١⁾.

وكان المصطفى ﷺ يكرمها، ويبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر، فسأل عن ابنها [مسروح]، فقيل: مات، فسأل عن قرابتها، فقيل: لم يبق منهم أحد⁽٢⁾.

وإنه بكسر الهمزة، بضبط النَّاظم لكونها بعد واو الحال؛ أي: وإِنَّ أبا لهب **حين انقلب** إلى الدَّار الآخرة [﴿٥٠﴾] **هُلكاً** بضم [الهاء] فسكون، مصدر من الهلاك وهو الموت.

كنَّاه أبوه أبا لهب لحسن وجهه⁽٣⁾.

قال السُّهيلي⁽٤⁾: وذلك مقدمة إلى ما يصير إليه من اللّهب.

رئي؛ أي: رآه أخوه العباس بعد عام من موته بعد وقعة بدر، **نوماً**؛ أي: في النوم **بشرٍّ** بفتح [الشين] المعجمة وشدّة الراء، **حِيبة** بحاء مهملة [مكسور]، فمثناة [تحتية] ساكنة؛ أي: في سوء⁽٥⁾ حالةٍ وهيئة سيئة.

وفي لفظ عند المستملي⁽٦⁾: بخاء معجمة؛ أي: خاب من كل خير، ووصل إلى كل شر.

---

(١) وهو ضعيف كما في «الغرر المضيَّة في شرح الدرر السنية» لابن الهائم (ق/١٠٦).

(٢) في أوائل «الاستيعاب» (١/ ١٢)، وانظر: «الروض الأنف» (١/ ٢٨٥).

(٣) «الروض الأنف» (١/ ٢١٠).

(٤) «الروض الأنف» (١/ ٢١٠).

(٥) في (ك): «شر».

(٦) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ١٤٥ ط: دار المعرفة) منسوباً للمستملي وذكر الأقوال فيه فقال: «وقع عند الْمُسْتَمْلِي بفتحِ الخاء المعجمة؛ أيْ: في حالة خائبة من كل خير، وقال ابن الجوزي: هو تصحيفٌ، وقال القرطبي: يُرْوَى =

لكن قال ابن الجوزي(١): صحَّف من جعله بالمعجمة، والوارد في أصل الصّحيح بالمهملة(٢)، **لكن سقي**؛ أي: يُسقى في جهنم في مثل النَّقرة وهي ما بين السبَّابة والإبهام، وهذا الماء الذي يُسقاه ليس [من] ماء الجنة؛ لحرمته على الكفَّار **بعتقه ثويبة**.

وأصل الحديث في «البخاري»(٣) في باب ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣] عن أم حبيبة أنها قالت: يا رسول الله انكح أختي.. الحديث.

وفي آخره قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب أعتقها فأرضعت المصطفى ﷺ فلما مات أُريه بعض قومه؛ يعني: أخاه العباس ـ كما قاله السهيلي ـ بِشَرِّ حِيبَةٍ، قال له: ماذا لقيتَ؟ قال: لم ألق بعدكم ـ زاد عبد الرزاق(٤) ـ: راحة.

وحذف المفعول في جميع روايات «البخاري» غير أني سقيت في هذه ـ زاد عبد الرزاق ـ وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه بعتاقتي ثويبة؛ يعني: أن الله يسقيه ماءً [كل ليلة](٥) اثنين في مقدار نقرة إبهامه لأجل

= بالمعجمة، ووجدتُه في نسخة مُعْتَمَدَة بكسرِ المهملة، وهو المعروف، وحكى في «المشارق» عن رواية الْمُسْتَمْلِي بالجيم ولا أظنُّه إلَّا تصحيفاً، وهو تصحيف كما قال».

(١) «فتح الباري» (٩/ ١٤٥).

(٢) كتب في الحاشية: في «نهاية ابن الأثير: لما ماتَ أبو لهبٍ أُرِيَهُ بعضُ أهله بِشَرِّ حِيبَةٍ ـ أي: بسوء حال ـ والحِيبَةُ والحَوْبُ: الهمُّ والحَزَنُ، والحِيبَةُ أيضاً: الحاجةُ والمَسْكَنَة انتهى من أول باب الحاء المهملة مع المثناة التحتية».اهـ.
وانظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٤٦٦) وفيه: «وفي حديث عُروةَ: لما ماتَ أبو لهبٍ» إلخ.

(٣) «صحيح البخاري» حديث رقم (٥١٠١).

(٤) «مصنف عبد الرزاق» (٩/ ٦٢، ط: الأعظمي).

(٥) غير واضحة في (غ).

عتقه ثويبة، كما ذكر في حديث أبي طالب أنَّه في ضحضاح من نار لا في النار، بسبب [حفظه] للمصطفى ﷺ بخلاف أبي لهب، فإنه كان يؤذيه، فكان حظه من الرحمة دون أبي طالب(١).

قال ابن حجر(٢): واستدل به، على أنَّ الكافر ينفعه عمله الصَّالح في الآخرة، وهو مردود بظاهر ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾(٣) [الفرقان] سيَّما والخبر أرسله عروة، ولم يذكر من حدَّثه به، وبفرض وصله هو رؤيا منام لا يثبت به حكم شرعي، لكن يحتمل كون ما يتعلَّق بالمصطفى ﷺ مخصوصاً منه، كما أشار إليه القرطبي(٤).

وقال ابن المنيِّر(٥): هما قضيّتان(٦):

إحداهما: محال وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره، إذ شرط العمل

---

(١) انظر: «السبل» (١/ ٤٥٨)، وهذا النقل منه.

(٢) «فتح الباري» (٩/ ١٤٥).

(٣) لم يذكر في (ك): ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ وكتب مكانها: «الآية».

(٤) بقوله: هذا التخفيف خاص بهذا أو بمن ورد النصّ فيه. انظر: «الروض» (١/ ٤٥٩).

(٥) أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، أبو العباس، ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني؛ ولد سنة عشرين وستمائة؛ وكان عالماً فاضلاً مفنناً، وكان في علومه له اليد الطولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة، وتفسير نفيس، وسمع الحديث من ابن رواج وغيره، وله تأليف على تراجم «صحيح البخاري» وله كتاب «الاقتفا» عارض به «الشفا» للقاضي عياض، وولي قضاء الإسكندرية وخطابتها مرتين ودرس بعدة مدراس؛ وقيل: إن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام كان يقول: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن المنير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص، وله ديوان خطب، وتفسير حديث الإسراء في مجلد على طريقة المتكلمين. وتوفي في مستهل ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

(٦) نسبه السهيلي في «الروض» (١/ ٤٥٩) إليه.

وقوعه بقصد(١) صحيح وهو مفقود منه.

الثَّانية: إثبات ثواب على بعض الأعمال فضلاً منه تعالى، و[ذا] لا يحيله العقل، وعتق(٢) أبي لهب غير قربةٍ معتبرة، لكن يجوز أن يتفضَّل الله عليه بما شاء كما تفضَّل على أبي طالب، والمتبع في ذلك التوقيف نفياً وإثباتاً(٣).

[﴿٥١﴾] وأرضعته **بعدها حليمة** بنت أبي ذؤيب ـ بذال معجمة ـ واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة ـ بكسر الشين المعجمة وسكون الجيم ـ كذا(٤) ذكره ابن الهائم(٥) [تبعا]، وضبطه الشَّامي(٦) بسين مهملة مكسورة فجيم ساكنة فميم مفتوحة بن جابر ابن [رزام](٧) ـ براء مكسورة فزاي ـ بن ناضرة بن فُصيَّة ـ بالفاء(٨) ـ بن سعد بن بكر بن هوزان **السعدية** نسبة إلى جدِّها سعد بن بكر.

قال النّووي: وكنيتها أم كبشة، واسم أبيه الذي أرضعه: الحارث بن عبد العزَّى(٩).

وكانت وسيطة في بني سعد، كريمة من كرائم(١٠) قومها، اجتباها الله تعالى لرضاع نبيِّه ﷺ كما اختار له(١١) من أشرف البطون

---

(١) في (ك): «بغير».

(٢) في (ك): «وعن».

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٤٨)، وانظر: «السبل» (١/ ٤٥٩).

(٤) في (ك): «كذلك».

(٥) في شرحه «الغرر المضيَّة في شرح الدرر السنية» (ق/ ١٠٦).

(٦) في «السبل» (١/ ٤٦١).

(٧) في (ك): «برزراح».

(٨) في «المورد»: بالفاء والقاف، والفاء الصواب، تصغير فصاه وهي: النواة.

(٩) «السبل» (١/ ٤٦١)، والحارث بن عبد العزّى أسلم بمكة. انظر: «الروض» (٢/ ١٦٠).

(١٠) في (ك): «كرام».

(١١) في (ك): «اختاره» بدلاً من «اختار له».

والأصلاب، والرَّضاع كالنَّسب، وفي كونها حليمة السَّعديَّة من الفأل الحسن والبشارة العظمى، بحصول غاية الحلم والسعد بهذا الرَّضيع، بألا يخفى عظم(١) وقعه، وقد كان المصطفى ﷺ يحب الفأل الحسن.

فظفرت فازت حين أرضعته **بالدُّرَّة**؛ أي: اللؤلؤة الكبيرة **السنيَّه**؛ أي: المضيئة المرتفعة القيِّمة الغالية(٢) المقدار، شبهه بها لإشراق لونه، وصفاء جسمه، ورفعة محله، ولهذا جاء في وصفه أنَّه أزهر اللون في صفاء الفضة، وبسبب ذلك [﴿٥٢﴾] **نالت به خيراً** كثيراً عظيماً، فالتَّنكير للتكثير والتعظيم.

وأيَّ بالتَّشديد، صفة لخبر النكرة، وهي الدَّالّة على معنى الكمال والفخامة، والمعنى أنَّها نالت به كمال الخير العظيم، بما حصل لها به من عظيم البركة، فيا له من **خير** ما أعظمه.

من بيانية **سعة** بفتح السّين بضبط النَّاظم، وهي قراءة الجمهور، **ورغد** بفتح الغين المعجمة؛ أي: عيش هنيء لا تعب فيه ولا نصب، **ومير** هو الطَّعام الذي يجلب من الحاضرة للبادية(٣)، وذلك أنَّ حليمة خرجت مع زوجها وابن لها ترضعه(٤)، في نسوة من بني سعد يلتمسن الرُّضعاء في سنة شهباء [أي: جدباء](٥) لم تبق شيئاً، قالت: فخرجت على أتان(٦) بيضاء، معنا شارف(٧) لنا ما تبضُّ(٨) بقطرة من لبن، فقدمنا

---

(١) في (ك): «عظيم».

(٢) في (ك): «الفائقة».

(٣) في (ك): «إلى البادية».

(٤) قال البرهان الحلبي في «نور النبراس»: اسمه عبد الله، ولا أعرف له إسلاماً، ولا ترجمة. والله أعلم.

(٥) زيادة من (ك) وهي حاشية في (غ).

(٦) في «النهاية» (١/ ٢١): ولا يقال فيها أتانة، وإن كان قد جاء في بعض الحديث.

(٧) المسن من النوق.

(٨) قال أبو ذر في حواشيه، كما في «نور النبراس»: ما تبضُّ بالضاد المعجمة =

مكة، فما منَّا امرأة إلَّا و[قد] عرض عليها رسول الله ﷺ، فتأباه إذا قيل يتيم، تقول: ما عسى أن تَصْنَع أمه(١) [وحدها]؟! فما بقيت امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما اجمعنا الانطلاق، قلت لزوجي: أكره أن أرجع بلا شيء، لآخذنّ اليتيم، فقال: افعلي عسى الله(٢) أن يجعل لنا فيه بركة، فأخذته فلمَّا(٣) وضعتُه في حجري أقبل على ثديي بما شاء، فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وناما وما كنا ننام، وقام زوجي إلى شارفنا فحلب فشربنا حتى شبعنا، فبتنا خير ليلة، فقال زوجي: أخذْتِ نسمة مباركة، [ثم ركبت أتاني] ثم قدمنا منازلنا من بني سعد، وما أعلم أحداً أجدب(٤) منها، فكانت غنمي تروح عليَّ فنحلب ونشرب، ولا يحلب(٥) غيرنا قطرة.

قال السُّهيلي(٦): وكان ﷺ لا يقبل إلَّا على ثديها الواحد، ويأبى الآخر؛ كأنَّه علم أنَّ معه شريكاً.

وفي حديث ابن إسحاق: أنَّ اليهود مرُّوا بحليمة، فقالت: ألا تحدِّثوني فإني رأيت منه كذا، فقال بعضهم لبعض: اقتلوه، [فقالوا]: أيتيم [هو]؟ قالت: لا [هذا أبوه وأنا أمه]، قالوا: لو كان يتيماً قتلناه،

= ما يسيل ولا يرشح، ومن رواه بالصاد المهملة، فمعناه ما يبرق عليها أثر لبن من البصيص، وهو البريق واللمعان. اهـ.

(١) كتب في حاشية (غ): «قوله: ما عسى.. إلخ. أي: أيُّ شئ تفعله أمه معي من إعطاء الأجرة والإحسان إليَّ إن فعلت ذلك، وبالغت فيه؟ لا يكون كمن له أب فإنّ فعل النساء ليس كفعل الرجال، فلا آخذ إلَّا من له أبٌ يعطيني العطاء الكثير».

(٢) في (ك): «فعسى».

(٣) في (ك): «البركة، فلما أخذته».

(٤) في (ك): «أخذت».

(٥) في (غ): «تحلب»، والصواب ما أثبت.

(٦) «الروض» (١/ ٢٨٦).

قالت: ثمَّ رجعنا وركبت أتاني وحملته [معي] عليها، فقطعت الركب(١) حتَّى ما يتعلَّق بها حمار، حتَّى إنَّ صواحباتي يقلن: أَرْبعي(٢) علينا، أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟! فأقول: نعم، فيقلن: إنَّ لها شأناً! وفي حديث الزّهري: أنها نزلت(٣) به سوق عكاظ، فرآه كاهن، فقال للناس: اقتلوا هذا [الغلام]، فغيَّبته حليمة، [فنجَّاه الله] وذكرت أنَّها لمَّا دخلت به منزلها، لم يبق منزل من منازل بني سعد، إلَّا شمُّوا منه ريح(٤) المسك(٥).

○ *تنبيه:*

ظاهر اقتصار النَّاظم على تينك، أنه لم ترضعه غيرهما، ولا كذلك فقد ذكروا أنَّ مراضعه عشرة(٦):

الأولى: أمُّه أرضعته تسعة أيام، ذكر ذلك صاحب «المورد» و«الغرر»(٧).

الثَّانية: ثويبة(٨) أرضعته أياماً.

---

(١) في (غ): «بالركب» والمثبت هو الصواب.

(٢) في (ك): «ارفقي».

(٣) في (ك): «أتت».

(٤) في (ك): «رائحة» بدلاً من «منه ريح».

(٥) رواه ابن إسحاق، وابن راهويه ـ كما في «السبل» (١/ ٤٧٠) ـ، وأبو يعلى (٧١٦٥)، وابن حبان (٦٢٢٦)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٣٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣/ ٢٩)، وقال في «المجمع» (٨/ ٤٠٣): «رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه، إلا أنه قال: حدثتني حليمة بنت أبي ذُؤَيْب، ورجالهما ثقات».

وأخرجه البيهقي في «الدلائل»، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأفاد في «السبل» (١/ ٤٧٠) أن في سنده من تكلم فيه، لكن لأكثره شاهد قوي.

(٦) ذكرهم الصالحي في «السبل» باب في مراضعه.

(٧) وفيه سبعة.

(٨) سبقت.

الثَّالثة: امرأة من بني سعد غير حليمة، كما في رواية ابن سعد(١).

الرَّابعة: خولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد، أم بردة الأنصارية النجارية، ذكر ابن الأمين(٢) وغيره أنَّها أرضعته.

وقيل: إنما أرضعت ابنه إبراهيم، وصوَّبه ابن حجر(٣) تبعاً للعز بن جماعة.

الخامسة: أم أيمن. ذكرها القرطبي(٤)، والمشهور أنها من حواضنه لا مراضعه.

السَّادسة، والسَّابعة، والثَّامنة: نسوة ثلاث من بني سليم. ذكره ابن عبد البر(٥).

---

(١) «الطبقات» (١/ ٦٨)، وانظر: «السبل» (١/ ٤٦٠).

(٢) في كتابه الذي استدركه على أبي عمر بن عبد البر في أسماء الصحابة «المورد»، واسمه «الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبي ﷺ».
وابن الأمين هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم. توفي رحمه الله سنة (٥٤٤هـ)، «الصلة» (١/ ١٠٠) لابن بشكوال.

(٣) في «الإصابة» (٨/ ١٢٠) وفيه أنها أرضعت ابنه إبراهيم، وقال في «نور النبراس»: «واعلم أنَّ القاضي عياضاً سمَّى أم سيف، مرضعة إبراهيم ابن النبي ﷺ خولة بنت المنذر. فليحرر هل هما اثنتان اتفقتا في الاسم واسم الأب، أم واحدة حصل فيها وهم».
وعز الدين: هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة بن كنانة (ت٧٦٧هـ). «المعجم المختص» للذهبي (ص١٤٧).

(٤) في كتابه «الإعلام» كما في «المورد».
واسم الكتاب: «الإعلام فيما يجب على الأنام من معرفة مولد المصطفى عليه السلام».
توجد منه نسخة خطية في طوبقا بي سرايا [٤٣٤. (٦٠٣١)] (١١٩).

(٥) في حاشية النسخة (ك): «اسم كل واحدة عاتكة»، ولذلك يقاله: ابن العواتك.
قلت: وهذا الذي ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» في ترجمة سيابه.

التَّاسعة: أم فروة. ذكرها المستغفري⁽¹⁾.

العاشرة: حليمة هذه.

قال ابن الجوزي⁽٢⁾ وابن المنذر وعياض وغيرهم: وقد قدمت على المصطفى ﷺ بعد النبوة فأسلمت وأسلم زوجها الحارث.

وقول ابن كثير: لم تدرك البعثة ردَّه ابن حجر [في شرحه «الدّرر»] بأنَّ عبد الله بن جعفر حدَّث عنها، كما رواه الطَّبراني⁽٣⁾ وغيره، وهو إنَّما ولد بعد البعثة [بمدة]، وألَّف مغلطاي في إسلامها مؤلفاً حافلاً⁽٤⁾.

[﴿٥٣﴾] **أقام** ﷺ **في بلاد بني سعد بن بكر عندها**؛ أي: حليمة، مدةً كثر الاختلاف فيها، والأصح أنَّها **أربعة الأعوام** وفي نسخة سنين⁽٥⁾.

وقال الواقدي⁽٦⁾: خمس [سنين]، والأموي ست⁽٧⁾.

---

(١) انظر: «السبل» (١/ ٤٦٠)، والمستغفري هو أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد النسفي. له المصنفات النافعة. (ت٤٣٢هـ). «سير» (١٧/ ٥٦٤).

(٢) «المنتظم» لابن الجوزي (١/ ٢٧٠، ط: العلمية).

(٣) انظر: «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢١٣).

(٤) سمَّاه «التحفة الجسيمة في ذكر حليمة».

(٥) قال الأجهوري في شرحه على الألفية: وفي شرح: «نظم النقاية» لشيخنا أحمد السنباطي في مبحث الترادف ما نصه: قال الراغب: استعمال السنة في الحول الذي فيه الشدَّة والجدب، والعام ما فيه الرخاء والخصب، وبهذا يظهر النكتة في قوله: «ألف سنة إلا خمسين عاماً»، حيث عبَّر عن المستثنى بالعام. اهـ.

(٦) ولد أبو عبد الله محمد بن عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ بالمدينة سنة ١٣٠هـ في آخر خلافة مروان ابن محمد، فيما يذكر تلميذه وكاتبه ابن سعد، وقد ذكر الصفدي وابن تغري بردي أنه ولد سنة ١٢٩هـ، وكان الواقدي مولى لبني سهم، إحدى بطون بني أسلم.
«الوافي بالوفيات» الصفدي (٤/ ٢٣٨)، «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٢/ ١٨٤).

(٧) «السبل» (١/ ٤٧٧).

تجني سعدها [بقربه] وتتعرَّف منه البركة، فكان إذا نزل بأحدٍ داءٌ في بدنه، أخذ كفَّه الشَّريفة فيضعها على موضع المرض، فيبرأ، وإذا اعتلَّ لهم بعير أو شاة أتوا به إليه فيعافى، فشاع ذلك وغرست محبته في قلوب الناس، ومرَّ به قوم من الحبشة، فتأمَّلوه شديداً ثم نظروا إلى الخاتم [بين كتفيه]، وإلى حمرة عينيه، فقالوا: أيشتكي عينيه؟ قالت: لا، لكن هذه الحمرة لا تفارقه، قالوا: نبي والله، ومرَّت به بذي المجاز، والمجاز اسم سوق من أسواق العرب في يوم من أيام الأسبوع، وبه عرَّاف(١)، فلمَّا نظر إلى حمرة عينيه والخاتم صاح: يا معشر العرب! اقتلوه، فليقتلنَّ أهل دينكم ويكسر أصنامكم، ويظهر عليكم، فانسلَّت به حليمة.

وروى ابن سعد عن الزّهري: كانت حليمة لا تدعه يذهب بعيداً، فغفلت يوماً فخرج مع أخته الشّيماء في الظّهيرة، فطلبته فوجدته مع أخته، قالت: في هذا الحر؟! قالت: ما وجد أخي حرّاً(٢)، رأيت غمامة تظلّه إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع(٣).

[﴿٥٤﴾] **وحين شق صدره جبريل**(٤) واستخرج قلبه، فشقَّه وأَخْرَجَ(٥) منه علقة سوداء، ثم غسله بثلج حتى أنقاه، وذلك أنه قال لحليمة: يا أمّاه ما لي لا أرى إخوتي بالنّهار؟ قالت: يرعون غنماً [لنا] من اللّيل إلى اللّيل، قال: ابعثيني معهم، فخرج معهم، فلمَّا انتصف

---

(١) في حاشية (غ): «أي: كاهن». (٢) في (ك): «عزا».

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١٢٦).

(٤) قال ابن حجر في «فتح الباري»: «وَرَجَّحَ عِيَاضٌ أَنَّ شقَّ الصدر كان وهو صغير ﷺ عند مُرْضِعَتِهِ حَلِيمَةَ، وَتَعَقَّبَهُ السُّهَيْلِيُّ بِأَنَّ ذلك وقع مرتين؛ وهو الصواب».

انظر: حديث شق جبريل لصدر النبي ﷺ في «مسند أحمد» (١٩/ ٤٨٩) وغيره.

(٥) في (ك): «واستخرج».

النَّهار جاء أخوه يشتدّ، فقال: يا أمّاه الحقي محمداً، فلا تلقوه إلا ميتاً!! [بينا نحن قيام] أتاه رجل فاختطفه!! وعلا به ذروة الجبل، فشقَّ من صدره إلى عانته!!.

وعند ابن إسحاق(١): رجلان عليهما ثياب بيض فشقَّا بطنه، فهما يَسُوطانه(٢) فخرجوا سعياً فإذا به قاعد على ذروة الجبل شاخصاً إلى السّماء منتقعاً(٣) لونه، فأكبَّت حليمة عليه وقبَّلت بين عينيه، وقالت: ما دهاك؟ قال: «**بينما أنا قائم أتاني رهط ثلاثة، بيد أحدهم إبريق فضّة، والثَّاني طست من زمرد مُلاءً ثلجاً، فانطلقوا بي إلى ذروة الجبل، فاضجعوني ثم شقَّ أحدهم من صدري إلى عانتي، فلم أجد له ألماً، ثم أخرج أحشاء بطني فغلسها بالثَّلج ثم أعادها، وقام الثَّالث وقال: تنحيَّا ثم دنا فأمرَّ يده من مفرق رأسي إلى منتهى عانتي فالتأم الشّق**».

كذا في حديث ابن عباس وغيره عند البيهقي وغيره(٤).

وفي «مسلم»(٥): أتاه جبريل فأخذه فصرعه فشقَّه، ثم استخرج القلب، فأخرج منه علقة سوداء، فقال: هذا حظُّ الشّيطان منك، ثم حشاه بشيء كان معه، وردَّه مكانه ثم ختمه بخاتم من نور، فأنا السّاعة أجدُ برد الخاتم في عروقي ومفاصلي.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ١٧٣، ١٧٤).

(٢) في «النهاية» (٢/ ٤٢١) السواط خشبة يُحرك بها ليختلط. يُقَال: سطت اللَّبن أَو الدَّم أَو غَيرهمَا أسوطه: إِذا ضربت بعضه بِبَعْض. وَاسم الْعود الَّذي يضْرب بِهِ: السَّوْط.

(٣) قال الكسائي: يقال: امتقع لونه، إذا تغير من حزن أو فزع أو ريبة. وكذلك انتقع وابتقع. وبالميم أجود؛ قاله الجوهري في «الصحاح» (٣/ ١٢٨٦، ط: دار العلم للملايين).

(٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٤٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣/ ٤٧٤).

(٥) أخرجه مسلم (٦٢١).

وفي حديث عتبة بن عبد: فأقبل إليَّ طيران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، فأخذاني فبطحاني للقفا، وشقَّا بطني ثم استخرجا قلبي فشقَّاه، ثم أخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما: ائتني بثلج فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء بَرَد فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسّكينة فذرَّاها في قلبي، ثم أنهضني(١)، ثم قال للأول: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فرجحت، ثمَّ قال: زنه بألف فرجحت، فقال: دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم. انتهى(٢).

والمراد الوزن الاعتباري، وبالرجحان الفضل، فجعل(٣) المعاني ذواتاً، وفائدة فعل(٤) الملكين ذلك؛ ليخبر المصطفى ﷺ بذلك غيره، وتلك العلقة خلقت في قلوب البشر، قابلة لما يلقيه الشّيطان، فأزيلت من قلبه فلم يبق منه محل قابل لإلقاء شيء، وإنما خلقت هذه المضغة فيه، ثم أخرجت لأنها من [جملة] الأجزاء الإنسانية، فعدمها نقص من البدن، ولأن إخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرّفعة وعظيم الاعتناء، والرّعاية من خلقه بدونها، والظّاهر أنّ شقّ صدره على هذه الكيفية من خصائصه سيَّما مع تكرار الشّقّ، فإنّه وقع مرَّات:

الأولى: هذه.

---

(١) في (ك): «أنهضاني».

(٢) أخرجه أحمد (٢٩/ ١٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٦) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (١/ ١١٧، ٣/ ٣٦٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٤٠٧): «رواه أحمد وإسناده حسن، وله شواهد تقويه».

(٣) هذا القول لبرهان الدين بن يوسف، كما ذكر الصالحي في «السبل» (١/ ٤٨٠) قال: فكتب لي. ثم ذكره.

(٤) في (ك): «جعل».

والثَّانية: عند مجيء جبريل عليه السلام له بالوحي، وهو بغار حراء. كما رواه الطيالسي وغيره، ليقوى على ما يُلقى إليه من القول الثّقيل.

والثَّالثة: ليلة الإسراء، ففي البخاري⁽¹⁾: أنَّه شقَّ قلبه فيها بالمسجد قبل ركوبه البراق، ليقوى على التّأهب للترقِّي إلى الملأ الأعلى، وكان شقّه أوَّلاً من قبل الإرهاص؛ أي: التَّأسيس لنبوَّته، وكل ما ذكر من الشّق وإخراج القلب يجب الإيمان به، ولا يؤول لصلاحية القدرة، ومن أوَّله وقع في دسيسة الاعتزال، والأحاديث الضَّعيفة يعمل بها في المناقب كالفضائل⁽²⁾.

ولمَّا رأت حليمة ذلك **خافت عليه** [من] أن يكون ذلك **حدثاً** قد أصابه **يؤول** به أمره إلى محذور عليها، و[﴿٥٥﴾] **ردَّته** حال كونه **سالماً** من شق أو خدش أو جرح، أو خلل أو خبل أو لمم⁽³⁾ [أو طائف من الجن] **وإلى أمّه آمنة**، وذلك أنه لمَّا شقّ صدره قال النَّاس لحليمة: أصابه لمم أو طائفٌ من الجن، فانطلقت به إلى الكاهن، فأخبرته فقال: دعيني أسمع منه، فقصَّ عليه قصَّته، فوثب الكاهن قائماً على قدميه، ونادى بأعلى صوته: يا للعرب!! من شرٍّ قد اقترب، اقتلوا هذا واقتلوني معه، فإنه إن أدرك مدرك الرجال ليُسفِّهنَّ أحلامكم⁽⁴⁾ ويكذِّبن أديانكم، ويدعوكم إلى دين تنكرونه، فقالت له حليمة: لو علمت هذا ما أتيتك به،

---

(1) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٦٢).

(2) والرابعة: عند تمام عمره ﷺ عشر سنين وأشهر. كما في «الدلائل» (٢/ ٥) لأبي نعيم من حديث أبي هريرة، عزاه له الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٦٢)، وفي «صحيح مسلم»: أنّ جبريل أتاه وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشقّ عن قلبه..».

والخامسة: في النوم. ذكره سبط ابن العجمي في «نور النبراس».

(3) في حاشية (غ): المراد باللمم هنا الجنون.

(4) في حاشية (غ): «الأحلام: العقول».

أطلب لنفسك من يقتلك، فإنا لا نقتله⁽¹⁾، فقال⁽²⁾ زوجها: ردِّيه إلى⁽³⁾ أمه لتعالجه، فقالت أمه: ما أقدمك به؟! ظئر⁽⁴⁾ لقد كنت حريصة عليه، قالت: نخشى الأحداث، قالت: ماذا شأنك! فاصدقيني، فأخبرتها، قالت: تخشين عليه الشّيطان، كلا [والله] ما له عليه سبيل، فأكرمتها وصرفتها [إلى بلادها]⁽⁵⁾.

قال الأموي وغيره: ولم تره بعد أن ردَّته إلَّا مرَّتين⁽⁶⁾، مرَّة: بعد تزويجه خديجة جاءته تشكو إليه السَّنة⁽⁷⁾، فكلَّم خديجة فأعطتها أربعين رأساً من غنم وإبل⁽⁸⁾، والثَّانية: يوم حنين.

ثم لم يزل المصطفى ﷺ مع أمّه وجدِّه عبد المطلب، ينبته الله نباتاً حسناً.

حتَّى خرجت به أمّه إلى المدينة النبويَّة [**﴿٥٦﴾**] **تزور**؛ أي: لأجل أن تزور به **أخوالاً له** فيها من بني عدي بن النّجّار؛ لأنَّ أمّ عبد المطلب هي بنت عمرو النّجّاريّة، **فمرضت** في الطَّريق حال كونها **راجعة** به إلى مكة، **فقبضت**؛ أي: ماتت **ودفنت** [**﴿٥٧﴾**] **هناك**؛ أي: في الطريق إلى مكة بالأبواء⁽⁹⁾ بفتح الهمزة وسكون الموحدة

---

(١) في (ك): «أقتله».

(٢) في (ك) بعدها: «لها».

(٣) في (ك) بعده: «آمنة».

(٤) في حاشية (غ): «الظئر: المرضع».

(٥) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١١٣، ١١٤)، «المنتظم» (٢/ ٢٧٠).

(٦) انظر: «الروض» (١/ ٢٩٤).

(٧) في حاشية (غ): السنة ـ بسين مهملة فنون مفتوحتين الأولى مشددة آخره هاء ـ: القحط والجرب.

(٨) في (ك): «الغنم والبقر». واختلف في الذي أعطته لها خديجة ﵁ فقال السهيلي «الروض» (١/ ٢٩٤): «عشرين رأساً من غنم وبكرات»، وقال ابن الجوزي في المنتظم (٢/ ٢٧٠): «أربعين شاة وبعيراً».

(٩) الأبواء بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة قال قوم سمي بذلك لما فيه من الوباء ولو كان كذلك لقيل الأوباء إلا أن يكون مقلوباً، وقال ثابت بن أبي =

والمد، موضع بين الحرمين، إلى المدينة أقرب، بينه وبينها ثلاثة وعشرين ميلاً، سُمِّي بجمع بو وهو جلد الحوار المحشو بالتِّبن(١)، أو لتبؤ السّيول فيه، و[من] زعم أنه لما فيه من الوباء، رُدَّ بأنه كان يقال له: الأوباء(٢). وزعم(٣) أنَّها ماتت بمكة، ودفنت بشعب أبي دب الخزاعي(٤).

قال ابن سعد: غلط، وروى ابن سعد(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أمَّه خرجت إلى أخواله تزورهم به، ومعها أم أيمن(٦) تحضنه وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النَّابغة، فأقامت عندهم به شهراً، فلمَّا نظر ﷺ إلى أطم(٧) بني عدي ابن النجار حين هاجر عرفه، وقال: «**كنت ألاعب أنيسة، جارية من الأنصار على هذا الأطم**(٨)**، وكنت مع الغلمان من**

= ثابت اللغوي سميت الأبواء لتبوء السيول بها وهذا أحسن، وقال غيره الأبواء فعلاء من الأبوة أو أفعال كأنه جمع بو وهو الجلد الذي يحشى ترأمه الناقة فتدر عليه إذا مات ولدها أو جمع بوى وهو السواء. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٧٩).

(١) في (ك) بعدها وهي حاشية في (غ): «والحوار: حمار الوحش، ويطلق على ولد الغزال».

(٢) «المورد».

(٣) في (م): «بعض المصريين» والصواب «البصريين».

(٤) «المورد».

(٥) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١١٦).

(٦) اسمها بركة، وهي حبشية، أعتقها أبو النبي ﷺ، وقيل: وَرِثَهَا مِنْ أَبِيهِ وَخَمْسَةَ أَجْمَالٍ أَوَارِكَ وَقِطْعَةِ غَنَم فَأَعْتَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُمَّ أَيْمَنَ حِينَ تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ فَتَزَوَّجَ عُبَيْدُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ أُمَّ أَيْمَنَ فَوَلَدَتْ لَهُ أَيْمَنَ. أسلمت قديماً، وهاجرت الهجرتين، مناقبها كثيرة، توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٢٢٣)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/ ٢٢٣).

(٧) في حاشية (غ): كلام غير واضح.

(٨) أطم الأضبط الأطم يقال بضمتين وبضمة ثم السكون، والأطم والأجم بمعنى =

أخوالي نطيِّر طائراً فيقع عليه»، ونظر إلى الدَّار فقال: **«هاهنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدَّار قبر أبي عبد الله، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار»**، وكان [قوم من] اليهود يختلفون(١) إليه ينظرونه، قالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هذا نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته فوعيت ذلك منه، ثم رجعت به أمّه، فماتت بالأبواء وقبرت به، فرجعت به أم أيمن إلى مكة فكانت تحضنه.

وروى أبو نُعيم(٢) عن محمد بن عمر الأسلمي، عن شيوخه مثلَه، وزاد قال رسول الله ﷺ: **«فنظر إليَّ يهودي يختلف إليَّ، فقال: يا غلام ما اسمك؟ قلت: أحمد، ونظر إلى ظهري، فقال: هذا نبي هذه الأمة، ثم أخبر أخوالي فأخبروا أمي، فخافت عليَّ فخرجنا من المدينة»**، وقالت أم أيمن: أتاني رجلان من يهود نصف النهار بالمدينة، فقالا: أخرجي لنا أحمد، فأخرجته فنظرا إليه مليّاً، ثم قال أحدهما لصاحبه: هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته، [فوعيت ذلك]، وسيكون بهذا البلد من القتل والسبي أمر عظيم.

وروى أبو نعيم(٣): أنَّ أمَّه لمَّا احتضرت، نظرت إلى وجهه عند رأسها وأنشدت أبياتاً ثم بكت، وقالت: كل حي ميت، وكل جديد

= واحد والجمع آطام وآجام وهي الحصون، وأكثرها ما يسمى بهذا الاسم حصون المدينة وقد يقال لغيرها أيضاً. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٢١٩).

(١) في حاشية (غ): «أي: يأتون إليه المرة بعد المرة».

(٢) في «الدلائل» لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ١٦٣، ط: دار النفائس)، وفي الإسناد محمد بن عمر الأسلمي، وهو الواقدي، قال ابن حجر في «التقريب»: «متروك مع سعة علمه».

(٣) الخبر والأبيات بطولها في «السبل» (٢/ ١٦٣، ١٦٤) منسوبة لأبي نعيم لكني لم أقف عليها في «الدلائل» له ولا في كتبه التي رأيتُها.

بالي، وأنا ميتة، وذكري باق وقد تركت خيراً وولدت ظهراً، ثم ماتت، قالوا: وسمعت الجن تنوح عليها وترتجز، فمما حفظ منه:

تبكي الفتاة البرَّة الأمينه   ذات الجمال العفَّة الرزينه
زوجة عبد اللَّه والقرينه   أم نبي اللَّه ذي السّكينه

في أبيات طويلة[١]، وماتت **وهو عمره ست سنين**[٢]، على ما ذكره ابن عبد البر[٣]، وعليه اقتصر[٤] ابن فارس[٥] **مع شيء** من الأيَّام زائد عليها، **يقدره** بفتح الياء وسكون القاف وضم الدال، وهذا القدر [﴿٥٨﴾] **ضابطه بمئة** بالتَّنوين **أياما**، أسنده ابن سعد عن جمع[٦]، وقيل: بل ماتت وعمره **أربعةٌ** بالتَّنوين **أعواما** وعليه جمع، وقدَّمه في «الإشارة»[٧]، وحكى غيره بصيغة التَّضعيف، وقيل: سبع، وقيل: ثمان[٨]، وقيل: خمس، وقيل: اثنا عشر شهراً وعشرة أيام، [وقيل] غير ذلك، [﴿٥٩﴾] **وحين ماتت** أمّه **حملته** أم أيمن، واسمها: **بركه** بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن أم أسامة، تزوَّجها زيد بعد عبيد الحبشي، كانت لعبد الله بن عبد المطلب.

وأسند في «الاستيعاب»[٩] أنَّها كانت لآمنة، وكان يقول: «أم أيمن أمي بعد أمي»، قالت: كنت أحضنه فغفلت عنه يوماً، فلم أشعر إلا

---

[١] انظر: «السبل» (٢/ ١٦٥).
[٢] «الروض» (١/ ٢٩٧)، «المنتظم» (٢/ ٢٧٢).
[٣] «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٣٤، ط: دار الجيل).
[٤] في (ك): «واقتصر عليه».
[٥] حكاه عنه في «المورد» أيضاً.
[٦] منهم ابن الجوزي في «التنقيح».
[٧] لمغلطاي (ص٧٣)، وانظر: «السبل» (٢/ ١٦٣).
[٨] قاله ابن حبيب في «المحبِّر» (ص٩).
[٩] (٤/ ٣٥٦، ط: دار الكتب العلمية).

بعبد المطلب على رأسي يقول: أتدرين(١) كيف(٢) وجدت ابني؟ وجدته مع غلمان قريباً من السِّدرة(٣)، لا تغفلي عنه، فإنَّ أهل الكتاب زعموا أنَّه نبي هذه الأمة، ولا آمن عليه منهم، وأتت به بعد موت أمه بخمسة أيَّام **لجدِّه** عبد المطلب وهو **بمكة المباركة** فكان عنده مكرماً، وكان يوضع لجدِّه فراش عند الكعبة ويجلس(٤) بنوه حوله، ولا يجلس أحد عليه إجلالاً [له]، فكان المصطفى ﷺ يأتي فيجلس عليه فيؤخره بعض أعمامه، فيقول: دعوه فإنَّ له شأناً عظيماً.

○ ***تنبيه:***

أخرج الدّارقطني في «غرائب مالك»(٥) وغيره، عن عائشة ﵂ مرفوعاً: «ذهبت لقبر أمي، فسألت الله أن يحييها، فأحياها، فآمنت وردَّها الله»، ثم قال الدَّارقطني: هذا كذب على مالك، والمتَّهم بوضعه أبو غُزيَّة(٦)، وقال في «اللسان» كأصله: موضوع.

وروى الطَّبراني وابن شاهين عن عائشة ﵂: أنّه سأل ربه فأحياها له.

قال ابن كثير(٧): حديث منكر جداً وسنده مجهول.

---

(١) في (غ): «تدري»، وفي (ك): «تدرين».

(٢) في (ك): «أين».

(٣) في حاشية (غ): «محل بعيد من مكة».

(٤) في (ك) بعدها: «عليه و».

(٥) هذا الكتاب مفقود لم يُعثر له على نسخة خطية فيما أعلم، والله أعلم.

(٦) هو محمد بن يحيى أبو غزيّة المدني. قال الدارقطني: متروك، وقال الأزدي: ضعيف. مات في يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين «ميزان الاعتدال» للذهبي (٦/ ٣٦٣، ط: دار الكتب العلمية)، و«اللسان» لابن حجر (٧/ ٥٧٣ المجلس الأعلى للمطبوعات).

(٧) في «التفسير» (٢/ ٤٢، ط: دار عالم الكتب). وقال ابن كثير: والحديث =

وقال ابن دحية: حديث إحياء أبويه موضوع يردُّه القرآن والإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة.

وفي «التفسير»(١): أنَّ المصطفى ﷺ قال: «ليت شعري ما فعل أبواي»، فنزلت: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]، واعترضه القرطبي(٢) بما حاصله أنه يجوز كونه من خصائصه.

قال بعضهم: ولم أر أحداً صرَّح بأن الإيمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع، ومن ادَّعى الخصوصية فعليه البيان بل الدَّليل.

وفي «مسلم»: **«استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن»**(٣).

= المروي في حياة أبويه ﷺ ليس في شيء من الكتب الستة ولا غيرها. وإسناده ضعيف. والله أعلم.

(١) ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٢)، والحديث أخرجه الطّبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٩، ط: دار المعرفة)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٩١، ط: دار الكتب العلمية)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (١/ ٢٧٠) من طرق عن محمد بن كعب القرظي.

والطبري من طريق داود بن أبي عاصم، أنَّ النبي ﷺ، فذكره وهو مرسل.

وقال ابن كثير: وقد ردَّ ابن جرير هذا القول المروي عن محمد بن كعب، وغيره في ذلك؛ لاستحالة الشك من الرسول ﷺ في أمر أبويه واختار القراءة الأولى. وهذا الذي سلكه هاهنا فيه نظر؛ لاحتمال أنّ هذا كان في حال استغفاره لأبويه قبل أن يعلم أمرهما، فلما علم ذلك تبرأ منهما، وأخبر عنهما أنّهما من أهل النار، كما ثبت هذا في الصحيح، ولهذا أشباه كثيرة ونظائر، ولا يلزم ما ذكره ابن جرير. والله أعلم.

(٢) في «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (١/ ١٤٠، ط: دار المنهاج).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفيه(١) أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «**في النَّار**»، فلما قفا دعاه، فقال: «**إنَّ أبي وأباك في النَّار**»(٢).

قال النَّووي: فيه أنَّ من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقرَّبين، وأنَّ من مات في الفترة، على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو في النَّار(٣).

وقال الإمام الرَّازي: من مات مشركاً ففي(٤) النَّار، وليس فيه مؤاخذة قبل بلوغ الدّعوة؛ لأنَّ المشركين غيَّروا الحنيفيَّة.

وقد انتصر جَمْعٌ(٥) [منهم: السّيوطي] لإيمانهما وألَّفَ فيها كما مرَّ.

[﴿٦٠﴾] **وكفله** جدُّه ورقَّ عليه، رقَّة لم يرقها على ولده، وكان إذا أُتي إليه بالطَّعام أجلسه بجنبه، وربَّما أقعده(٦) على فخذه، فيؤثره بأطيب طعامه، وإذا لم يكن حاضراً لا يمسّ الطعام حتى يؤتى به، وكان يقبّله ويمسح رأسه، ويُسرُّ بكلامه، وإذا أعيته حاجة أرسله إليها فتقضى. وأصاب المصطفى ﷺ رمد شديد في السَّابعة، فعولج فلم ينفع، فقيل لجده: إنَّ بعكاظ راهباً يعالج العين، فأتاه وناداه، وديره مغلق فلم يجبه، فتزلزل الدّير حتَّى كاد يسقط فخرج مبادراً، فقال: إنَّ لهذا الغلام شأناً، ولو لم أخرج إليك خرَّ عليَّ [الدّير]، فارجع به واحفظه لا يقتله أهل الكتاب، ثم أعطاه ما يعالج به، واستمرّ في كفالته **إلى تمام**؛ أي: إلى أن صار [تمام] **عمره ثمانياً** من السّنين(٧)، قيل: بزيادة شهر وعشرة

---

(١) أي: في «صحيح مسلم».

(٢) أخرجه مسلم أيضاً (٤٥٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٦٢، ط: دار الفكر).

(٤) في (غ): «في». (٥) في (ك): «بعضهم».

(٦) في (ك): «أجلسه».

(٧) ذكره ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ١٦٩)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١١٨)، وقدَّمه مغلطاي في «الإشارة» (ص٧٤).

أيام(١)، وقيل: تسع(٢)، وقيل: عشر(٣)، وقيل: ست(٤)، وقيل: غير ذلك [من السنين قيل: بزيادة شهر].

ثم إنَّ عبد المطلب هلك وله سن عالية، قيل: عشر ومئة، وقدَّمه في «الإشارة»(٥)، وقيل: اثنان وثمانون(٦)، ويقال: بلغ مئة وأربعة وأربعين(٧)، وقيل غير ذلك(٨)، **ثم مضى** به أهله **لقبره** ودفن فيه، وهذا حشو كمل به الوزن، ولما احتضر أوصى به إلى أبي طالب.

---

(١) ذكره ابن حبيب في «المحبر» في (١٠)، وانظر: «الإشارة» (ص٧٤).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٣٤)، وهو في «الإشارة» (ص٧٤).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٤٥٨)، وانظر: «الإشارة» (ص٧٤).

(٤) انظر: «الإشارة» (ص٧٤).

(٥) (ص٧٤).

(٦) ذكره ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١١٩).

(٧) جزم به السهيلي في «الروض» (١/ ٢٤).

(٨) وقيل: خمسة وتسعون. ذكره أبو الربيع الكلاعي كما في «الاكتفاء» (١/ ٢٤٤)، وعزاه هناك أيضاً إلى الزبير، وقيل: ابْنُ مِئَةٍ وَعَشْرِ سِنِينَ. ذكره ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١١٩). وانظر: «السبل» (١/ ٣٥٤).

باب ذكر كفالة عمِّه أبي طالب

٦١ - أَوْصَى بِهِ جَدُّهُ عَبْدُالمُطَّلِبْ   إلى أَبِي طَالِبِ الحَامِي الحَدِبْ
٦٢ - يَكْفُلُهُ بَعْدُ فَكَانَتْ نَشْأَتُهْ   طَاهِرَةً مَأمُونَةً غَائِلَتُهْ
٦٣ - فَكَانَ يُدْعَى بِالأمِينِ وَرَحَلْ   مَعْ عَمِّه لِلشَّامِ حَتَّى إِذْ وَصَلْ
٦٤ - بُصْرَى رَأى مِنْه بَحِيرَا الرَّاهِبُ   مَا دَلَّ أَنَّهُ النَّبِيُّ العَاقِبُ
٦٥ - مُحَمَّدٌ نَبِيُّ هَذِي الأمَّهْ   فَرَدَّهُ تَخَوُّفاً مِنْ ثَمَّهْ
٦٦ - مِنْ أنْ يَرَى بَعْضُ اليَهُودِ أمْرَهْ   وَعُمْرُهُ إذْ ذَاكَ ثِنْتَا عَشْرَهْ
٦٧ - ثُمَّ مَضَى لِلشَّامِ مَعْ مَيْسَرَةِ   فِي مَتْجَرٍ وَالمالُ مِنْ خَدِيجَةِ
٦٨ - مِنْ قَبْلِ تَزْوِيجٍ بِهَا فَبَلَغَا   بُصْرَى فَبَاعَ وَتَقَاضَى مَا بَغَا
٦٩ - وَقَدْ رَأى مَيْسَرَةُ العَجَائِبَا   مِنْهُ وَمَا خَصَّ بِهِ مَوَاهِبَا
٧٠ - وَحَدَّثَ السَّيِّدَةَ الجَلِيلَهْ   خَدِيجَةَ الكُبْرَى(١) فَأَحْصَتْ قِيلَهْ
٧١ - وَرَغِبَتْ فَخَطَبَتْ مُحَمَّدَا   فَيَا لَهَا مِنْ خِطْبَةٍ مَا أَسْعَدَا
٧٢ - وَكَانَ إِذْ زُوِّجَهَا ابْنَ خَمْسِ   مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ بِغَيْرِ لَبْسِ

---

(١) كتب في هامش نظم العراقي: الفضلى ثم كتب عليها «صح».

باب ذكر كفالة عمِّه أبي طالب له ﷺ ومتعلِّقات ذلك

والكفالة: القيام بأمر الطّفل وحفظه وتربيته.

وعند وفاته[(١)] [﴿٦١﴾] **أوصى به**؛ أي: بالنَّبيِّ ﷺ **جده** ـ بعدم إشباع حركة الهاء أو بإسكانها للوزن، **عبد المطلب إلى عمِّه أبي طالب**؛ لأنَّ عبد الله وأبا طالب كانا لأم واحدة[(٢)]، **الحامي** له من أعدائه **الحدب** بفتح الحاء وكسر الدَّال المهملتين فموحّدة؛ أي: الشّفوق عليه[(٣)]، فأبو طالب هو الذي ولي أمره بعد جدِّه.

[و]روى ابن سعد وابن عساكر[(٤)] وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: لما توفِّي عبد المطلب، قبض المصطفى ﷺ أبو طالب، فكان

---

(١) أي: عند وفاة عبد المطلب.

(٢) قال ابن هشام في سيرته (١/ ١٧٩): «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ـ فِيمَا يَزْعُمُونَ ـ يُوصِي بِهِ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَبْدَ اللهِ أَبَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَبَا طَالِبٍ أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ، أُمُّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ».

(٣) قال الأجهوري: «وقال غيره: من حدب عليه يحدب حَدباً؛ أي: عطف».
وفي «الصحاح»: «حَدَبَ عليه وتحدَّب عليه؛ أي: تعطَّف عليه». انظر: مادة: (حدب).
قال السهيلي في «الروض» (٢/ ٣): «أصل الحدب انحناء الظهر، ثم استيعر لمعنى عطف على غيره ورقّ له». اهـ.

(٤) «الطبقات» لابن سعد (١/ ١١٩)، و«التاريخ» لابن عساكر (٣/ ٨٦).

معه وأحبَّه حبّاً عظيماً، وكان لا ينام إلَّا بجنبه، [وصبَّ عليه صبابة لم يصب مثلها قط]، ويخصُّه بأنفس الطَّعام، وكان عياله إذا أكلوا جميعاً أو أفراداً لم يشبعوا، فإذا أكل معهم المصطفى ﷺ شبعوا، وكان يؤخّر الغداء أو العشاء، حتَّى يحضر ﷺ فيأكل معهم، فيفضل من الطَّعام، وإن لم يكن معهم لم يكفهم، وإن كان لبناً شرب أوَّلهم ثم شربوا، فيكفيهم قعب(١) واحد، فإن لم يكن معهم لم يكفهم، فيقول أبو طالب: إنَّه لمبارك، فكان [﴿٦٢﴾] **يكفله بَعْدُ** بالضّم؛ أي: بعد ذلك، [فلما حذف المضاف، بني على الضّم]، **فكانت نشأته طاهرةً** بالنّصب خبر كان؛ أي: مطهرة من دنس الجاهليَّة ومن كل عيب، وحفظه الله في شبابه عمَّا كان عليه أهل الجاهليَّة.

قال ابن إسحاق فيما رواه البيهقي(٢) وغيره: شبَّ المصطفى ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أدناس الجاهليَّة [ومعايبها] لما أراد من كرامته، حتَّى صار أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والأخلاق الدنيَّة.

وذكر ابن ظَفَر(٣) في «خَيْر البِشر»: حج أكثم بن صيفي(٤) حكيم

---

(١) في حاشية النسخة (غ): القعب بالقاف والعين المهملة وباء موحدة تحت آخره، إناء صغير يحلب فيه اللبن.
في «السبل» (٢/ ١٨٤): «القعب: قدح من خشب».

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣٠)، وهو في «مختصر السيرة» لابن هشام (١/ ١٨٣)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١٢١)، وانظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٤٤٢، ط: هجر) و«الروض» (١/ ٣١٧).

(٣) هو محمد بن ظفر، وفي حاشية (غ): «ظَفَر بالظاء المعجمة بعدها فاء مفتوحتين»، والكتاب مطبوع، ضبط وتحقيق: لطيفة شوكري، وخديجة أبوري، طبع في المغرب، ولم أقف عليه.

(٤) في حاشية (غ): «صيفي بصاد مهملة فياد تحتية ساكنة ففاء فياء».

العرب، والمصطفى ﷺ في سنِّ الحُلم فرآه، فقال لأبي طالب: ما أسرع ما شب أخوك! قال: ليس بأخي بل ابنه، قال: أهو(١) ابن الذَّبيحين؟ قال: نعم، فجعل يتوسَّمه، فقال لأبي طالب: ما تظنون به؟ قال: نحسن به الظن وأنه لوفيٌّ سخيٌّ، قال: أو غير هذا؟ قال: نعم إنَّه لذو شدَّة ولين [ومجلس ركين] وفضل متين، قال: هل غير هذا؟ قال: نعم إنا لنتيمَّن بمشهده، ونتعرَّف البركة فيما مسَّه بيده، فقال أكثم: أقول غير هذا: إنَّه ليضرب العرب قاطبة؛ أي: جامعة، بيد حائطة(٢) ورجل لائطة، ثم ينعق(٣) بهم إلى مرتع مريع ووِرْدٍ سريع، فمن أخْرَورط ـ أي: مال، واتبعه هواه ـ ومن احْرَوْرَف ـ أي: عدل عنه ـ أَرْدَاه؛ أي: أهلكه.

وأخرج أبو نعيم(٤) عن عائشة رضي الله عنها أن المصطفى ﷺ قال: «**سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب ما ذبح لغير الله، فما ذقت شيئاً ذبح على النُّصب حتَّى أكرمني الله برسالته**»، ورُوي أيضاً عن علي رضي الله عنه قيل للمصطفى ﷺ: هل عبدت وثناً قط؟ قال: «**لا**»، قال: هل شربت خمراً قط؟ قال: «**لا، وما زلت أعرف أنَّ الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب والإيمان**»(٥).

---

(١) في (ك): «هو» من غير همزة الاستفهام.

(٢) في (ك): «ضابطة». (٣) في حاشية (غ): «يصيح».

(٤) في «الدلائل» (٢/ ١٢١) وفيه: «عن ابن عمر قال: لقي رسول الله ﷺ زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقُدِّمَتْ إليه سفرة فأبي زيدٌ أن يأكل منها، وقال زيد: إنَّا لا نأكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا نأكل إلا مما ذُكِرَ اسم الله عليه، وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله تعالى وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له».

(٥) وذكره النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦٤) وعزاه لأبي نعيم في «الدلائل» وابن عساكر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأخرج ابن عساكر عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: رأيت المصطفى ﷺ في الجاهلية وهو يقف على بعيره بعرفة منفرداً عن قومه، حتى يدفع عنه توفيقاً من الله تعالى. وكان حال صباه يصبح دهيناً كحيلاً»(١) .

و[روى أبو نعيم(٢) عن أم أيمن قالت: مارأيته شكى جوعاً ولا عطشاً، لا في كبره ولا في صغره، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من زمزم فربما عرضنا الغداء، فيقول: «شبعان»].

وروى الحسن بن سفيان(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أبو طالب يقرِّب للصبيان تصبيحهم(٤)، فيضعون أيديهم فينتهبون ويكفُّ المصطفى ﷺ يده، فلما رأى [عمّه] ذلك(٥) عزل له طعامه.

مأمونة غائلته؛ أي: خديعته ومكره، وكان أبو طالب يستسقي به. روى ابن عساكر عن جَلْهمة بن عَرْفَطة(٦): قدمت مكة وقريش في قحط، فأتوا أبا طالب وقالوا: أقحط الوادي وأجدب العيال فاستسق لنا، فخرج ومعه غلام كأنَّه شمس دُجنَّه ـ بالضم ـ أي: انجلت عنه سحابة قتماء؛ أي: غبراء وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ الغلام بأضبعه وما في السماء قزعة(٧)، فأقبل السحاب من هنا وهنا واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي(٨).

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٤٣٣)، وفيه: «وَكَانَ الصِّبْيَانُ يُصْبِحُونَ رُمْصاً شُعْثاً، وَيُصْبِحُ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَهِيناً كَحِيلاً». وانظر: «السبل» (١/ ٦٣٦).

(٢) في «الدلائل» (١/ ١٦٧).

(٣) «البداية والنهاية» (٣/ ٤٣٣)، «السبل» (٢/ ١٨٤).

(٤) أي: لبناً يُشرب عند الصباح.

(٥) في (ك) بعدها: «عمه».

(٦) في هامش (غ): «بالفاء والطاء المهملة المضمومة».

(٧) في حاشية (غ): «أي: قطعة من سحاب».

(٨) نسبه الصالحي في «السبل» (٢/ ١٨٥) لابن عساكر، ولم أقف عليه في «تاريخ دمشق».

وروى ابن سعد(١) عن أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ أبا طالب قال: كنت بذي المجاز(٢) مع ابن أخي، فأدركني العطش فشكوت إليه، فما قلت له ذلك وأنا أرى(٣) عنده شيئاً إلّا الجزع، فثنى وركه، ثم قال: يا عم عطشت؟ قلت: نعم، فأهوى بعقبه إلى الأرض، فإذا أنا بالماء، فقال: اشرب فشربتُ.

[﴿٦٣﴾] **فكان يدعى في قومه بالأمين** لما شاهدوا من أمانته وصدق حديثه(٤).

روى ابن سفيان عن الزهري: أنَّ قريشاً سمَّته الأمين، قبل أن ينزل عليه الوحي.

وسيأتي في قصة بناء الكعبة، أنَّهم لما اختلفوا في وضع الحجر، قالوا: اجعلوا هذا الأمر لأوَّل من يدخل من هذا الباب، فكان أول داخل، فقالوا: هذا الأمين رضينا به(٥).

ورحل مع عمه أبي طالب(٦) **في رَكْبٍ للشام**؛ أي: إلى الشَّام(٧)،

---

(١) في «الطبقات» (١/ ١٥٢)، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٦/ ٣٠٨).

(٢) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام.

(٣) في المطبوع من «الطبقات»: «أرى أنَّ».

(٤) النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٤) عن علي بن أبي طالب.

(٥) انظر في قصة بناء الكعبة ووضع النبي للحجر فيها: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٩٠)، «البداية والنهاية» (٣/ ٤٧٩).

(٦) انظر في قصة خروجه ﷺ مع عمه إلى بحيرا الراهب والاختلاف في عمره وقتئذ: «التاريخ» للطبري (٢/ ٣٢)، «سيرة ابن إسحاق» (٥٣)، «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٣٠، ط: دار الجيل)، «التاريخ» لابن عساكر (٣/ ١٤)، «الروض الأنف» (١/ ٣١٤).

(٧) قال أبو عبيد في «معجم ما استعجم» (٣/ ٧٧٣، ط: عالم الكتب): «الشام ـ مهموز وقد لا يهمز ـ سمِّي بشامات هناك حمر وسود».

«وقال قوم سميت بسام بن نوح، وذلك أنّه أول من نزلها، فجعلت السين =

وذلك أنَّ أبا طالب لما أراد المسير إليها في تجارة، قال له المصطفى ﷺ: «**إلى من تُخلِفني**»؟ فرَّق له، فلمَّا ساروا أردفه خلفه، **حتى إذ**؛ أي: حين **وصل** إلى [﴿٦٤﴾] **بصرى** بالضم(١)، مدينة حوران أو قيسارية وبها راهب يقال له: بحيرا، فلما **رأى منه بحيرا** بفتح الموحدة تحت وكسر المهملة وآخره ألف مقصورة(٢).

وقيل: ممدودة [في الأصل](٣).

الراهب واسمه جرجس، وقيل: جرجيس(٤)، وهو غير مصروف للعجمة والعلمية وهي في الأصل اسم نبي وجزم(٥) في «اللسان»(٦)

= شيناً». انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/ ٣١٢، ط: دار الفكر) باب الشين والألف.

وقال ابن الأنباري في «الزاهر في معاني كلمات الناس» (٢/ ١٠٩): «يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشؤمى، وهي اليسرى، ويجوز أن يكون فعلاً من الشوم».

(١) في «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري (١/ ٢٥٣): «بُصرى ـ بضم أوله وإسكان ثانيه وفتح الراء».

وفي «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٤٤١، ط: دار الفكر): «بصرى ـ بألف مقصورة ـ وهي موضعان: الأول: بلدة بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة حوران».

(٢) انظر: «معجم ما استعجم» (١/ ٢٥٣).

(٣) في (ك): «في الأولى الأصل».

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٧٧)، «البداية والنهاية» (٣/ ٤٤٣).

وفي «مروج الذهب» (١/ ٧٥) إنه كان من عبد القيس واسمه سرجس. وانظر: «الإشارة» (ص٧٦).

وقال في «نور النبراس»: كذا في نسخة صحيحه من «الروض»، وأخرى قريبة من الصحة. وعزاه إلى المسعودي.

(٥) انظر: «السبل» (٢/ ١٩٥).

(٦) في حاشية (غ)، وكتاب «لسان الميزان» لابن حجر (ص٣/ ٣٩، ط: الهند)، وأصله «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ١٥٣، ط: دار المعرفة).

كأصله: بأنَّه لم يدرك البعثة(١).

قال الزُّهري وغيره(٢): كان يسكن قرية يقال لها: الكَفْر(٣)، بينها وبين بصرى ستة أميال، بدير يعرف بدير بحيرا الراهب، وكان قد انتهى إليه علم النَّصرانية، وما نقل عن الزّهري من أنَّه من يهود تيماء(٤) غريب.

فلمَّا رأى من الآيات والإرهاصات **ما دل على أنه النبي العاقب.**

[﴿٦٥﴾] **محمد نبيُّ هذي الأمه**، نزل من صومعته فأخذه بيده، وقال: هذا سيِّد العالمين، هذا رسول الله(٥)، فقيل له: ما علمك به؟ قال: إنكم حين أشرفتم به من العقبة، لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجد إلا لنبي، وإنِّي أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه كالتفَّاحة، وإنا لنجده في كتبنا. وسأل أبا طالب أن يردَّه خوفاً عليه من اليهود، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به، كان المصطفى ﷺ في رعية الإبل، فقال: أرسلوا إليه، فأقبل وغمامة تظلُّه، فلمَّا دنا إلى القوم وجدهم سبقوا إلى الشَّجرة، فلمَّا جلس مال فيء الشَّجرة عليه، فقال: انظروا ظل الشَّجرة مال إليه.

رواه ابن أبي شيبة وغيره(٦)، وفي رواية للبيهقي(٧): لما نزلوا

---

(١) في (ك): «النعمة».

(٢) قاله ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٤٧٥).

(٣) في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧١/ ٣٣٨): «توفي قبل البعث، كان يسكن قرية يقال لها: الكفر، بينها وبين بصرى ستة أميال تعرف اليوم بدير بحيرى؛ وقيل: كان يسكن البلقاء بقرية يقال لها: ميفعة وراء زيزاء».

(٤) في هامش (غ): «قبيلة».

(٥) في (ك): «هذه الأمة».

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠/ ٢٢٥، ط: دار القبلة)، وفي إسناده: قراد وهو عبد الرحمٰن بن غزوان. قال في «التقريب»: ثقة له أفراد. كما أخرجه الترمذي (٣٦٢٠) وقال: حسن غريب، والحاكم (٢/ ٦١٥) وصححه.

(٧) في «الدلائل» (٢/ ٢٧).

بقرب صومعته، صنع لهم طعاماً، لكونه رأى المصطفى ﷺ حين أقبلوا وغَمامة تظلُّه، ثم نزلوا في ظلّ شجرة بقربه، فنظر إلى الغمامة أظلَّت الشجرة وتهصَّرت أغصانها؛ أي: مالت وانعطفت عليه.

وذكر الذَّهبي(١) كابن منده وأبي نعيم بحيرا في الصَّحابة، وهو مبنيٌّ على أنَّ من رآه قبل النبوّة، وآمن بأنَّه سيبعث صحابي، والأصح خلافه(٢)، فردَّه عمُّه **تخوُّفاً** عليه **من ثمَّةَ** بفتح المثلثة؛ أي: من هناك إلى مكة [﴿٦٦﴾] **من أجل أن يرى بعض اليهود** من الرُّوم **أمره** وصفاته، فيعرفونه بالصِّفة الَّتي [هي] عندهم فربما اغتالوه(٣).

قال ابن سيِّد الناس(٤): وزعموا أنَّ نفراً من أهل الكتاب، كانوا رأوا منه مثل ما رآى بحيرا فأرادوه فردَّهم عنه، وذكَّرهم بالله وما يجدونه في كتابه من ذكره وصفته، وأنهم إذ اجتمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه حتَّى عرفوا ما قال لهم وصدَّقوه وانصرفوا عنه، **وهو عمره إذ ذاك اثنتا عشرةً** سنة في قول ابن سعد(٥)، وقال ابن عبد البر(٦): ثلاث عشرة، وقال الماوردي(٧): تسع سنين.

وما وقع في «جامع» الترمذي(٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وقال: حسن غريب.

---

(١) في «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (١/ ٤٤، ط: دار المعرفة).

(٢) أي: الأصح أنه رآه قبل البعثة ولم يَرَهُ بعدها؛ يعني: لا يجوز عدّه في الصحابة.

(٣) في حاشية (غ): «أي: قتلوه خفية».

(٤) في «عيون الأثر» (١/ ١٠٨، ط: مكتبة دار التراث).

(٥) في «الطبقات» (١/ ١٢١)، وقاله عبد الغني في «مختصر السيرة» (ص٥٦).

(٦) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٣٠، ط: دار الجيل).

(٧) «أعلام النبوة» للماوردي (١/ ١٧٥، ط: دار ومكتبة الهلال)، وقال به السهيلي في «الروض الأنف» (١/ ٣١٤).

(٨) «سنن الترمذي» (٣٦٢٠). وقال الألباني: «صحيح لكن ذكر بلال فيه منكر».

من كونه ردَّه أبو طالب، وبعث معه أبا بكر وبلالاً وزوَّدهم بحيرا كعكعاً وزيتاً.

فمتن منكر كما قاله الدّمياطي وغيره، كيف وأبو بكر حينئذٍ لم يبلغ العشر، فإنَّ المصطفى ﷺ أسنُّ منه بأكثر من عامين، وبلال لم ينتقل لأبي بكر إلّا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاماً.

قال الحافظ ابن حجر(١): وهذا اللفظ منقطع من حديث آخر أدرج في هذا الحديث، وبالجملة هو وهم من أحد رواته.

وأخرج ابن منده(٢) ـ بسند ضعيف ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه صحب المصطفى ﷺ وهو ابن ثمانية عشرة(٣)، والمصطفى ﷺ ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشَّام في تجارة حتَّى نزل منزلاً فيه سدرة، فقعد في ظلِّها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له: بحيرا، يسأله عن شيء، فقال: من الرّجل [الذي] في(٤) ظلِّ الشَّجرة؟ فقال: ابن عبد المطّلب، قال: هذا نبي هذه الأمّة، ما يستظلّ تحتها بعد عيسى ابن مريم إلَّا محمد ﷺ. وذكر الحديث.

قال ابن حجر(٥): وهذا إن صحَّ يحتمل كونه في سفرة بعد سفرة أبي طالب.

---

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (١/ ٤٧٦) وفيه: «وقد وردت هذه القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى الأشعريّ أخرجها التّرمذيّ وغيره، ولم يسم فيها الراهب، وزاد فيها لفظة منكرة، وهي قوله: وأتبعه أبو بكر بلالاً، وسبب نكارتها أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهّلاً، ولا اشترى يومئذ بلالاً. إلا أن يحمل على أن هذه الجملة الأخيرة مقتطعة من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث، وفي الجملة هي وهم من أحد رواته».

(٢) الخبر بطوله عن ابن منده في «الإصابة» لابن حجر (١/ ٤٧٦).

(٣) في (غ): «عشر».

(٤) في (ك): «تحت».

(٥) قاله في «الإصابة» (١/ ٤٧٦).

○ **تنبيه:**

قد خرج المصطفى ﷺ أيضاً في سفرة مع عمِّه الزُّبير، أخرج ابن الجوزي في «الوفا»(١) لما أتت لرسول الله ﷺ بضع عشرة سنة، خرج في سفرة مع عمه الزُّبير فمرُّوا بوادٍ فيه فحل من الإبل يمنع من اجتاز(٢)، فلمَّا رآه البعير برك وحكَّ الأرض بكلكله(٣)، فنزل عن بعيره وركبه فسار حتى جاوز الوادي ثم خلَّاه، فلمّا رجعوا من سفرهم مرُّوا بواد مملوء ماءً يتدفّق، فوقفوا فقال المصطفى ﷺ: «**اتّبعوني**» ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله الماء، فلمّا وصلوا مكة تحدَّثوا به، فقال النَّاس: إنَّ لهذا الغلام شأناً عظيماً(٤).

[﴿**٦٧**﴾] **ثم مضى بعد ذلك مرة أخرى للشام مع ميسرة**، قال «الحلبي» في «نور النّبراس»(٥): ولم أر له ذكراً في الصَّحابة، والظّاهر أنّه مات قبل البعثة، ولو أدركها أسلم.

وذكره في «الإصابة»(٦) في القسم الأوَّل، وقال: لم أقف على رواية صحيحة بأنه بقي إلى البعثة. فكتبتُه على الاحتمال.

في متجر؛ أي: **والمال**(٧) الذي يتجر فيه **من خديجة بنت**

---

(١) في (ك): «الوفاء»، وفي هامش (ك): «كتاب في التاريخ».

(٢) في «الوفا»: «فَحْل من الإبل يمنع من يَجْتَاز، فأرادوا الانحراف فقال رسول الله ﷺ: **أنا أكفيكموه، فدخل أمام الرّكب**».

(٣) في «الوفا»: «بكلكلته». وفي حاشية (غ): «أي: بصدره».

(٤) «الوفا بتعريف فضائل المصطفى» لابن الجوزي (١/ ٥٧، ط: دار المعرفة).

(٥) الحلبي هو الحافظ برهان الدين أبي الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل المعروف بسبط ابن العجمي. له العديد من المصنفات (ت٨٤١هـ).
وهذا الكتاب هو شرح لعيون الأثر واسمه: «نور النبراس في شرح سيرة ابن سيِّد النَّاس»، وقوله هذا في «النور» في آخر (ق/ ٣٠/ أ).

(٦) «الإصابة» (٦/ ١٨٩).

(٧) خبر تجارته ﷺ في مال خديجة ﵂ في: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٨٠)، «البداية والنهاية» (٣/ ٤٦٢).

خويلد رضي الله عنه روى ابن سعد⁽¹⁾ وابن السكن⁽²⁾ وأبو نعيم⁽³⁾ عن نفيسة بنت مُنية⁽⁴⁾ قالت: لما بلغ المصطفى ﷺ خمساً وعشرين سنة، وليس له بمكة اسم إلّا الأمين، لما تكامل فيه من خصال الخير، قال أبو طالب: يا ابن أخي أنا لا مال لي، وخديجة تبعث رجالاً يتَّجرون فيصيبون منافع فلو جئتها، فعرضت نفسك عليها، لأسرعت إليك، قال: «**فلعلّ ترسل إليَّ**»، وفيه: فلمَّا سمعت خديجة أرسلت إليه، فقالت له: دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك، فقال: «**سأفعل**» وذكره لأبي طالب، فقال: هذا رزق ساقه الله إليك، فخرج مع ميسرة حتَّى قدم الشام لأربع عشرة ليلة من الحجة سنة خمس وعشرين [سنة] من الفيل.

وكان ذلك [﴿٦٨﴾] **من قبل تزويج بها**؛ أي: من قبل تزويجه ﷺ بخديجة، **فبلغا** مدينة **بصرى** فنزلا في ظل شجرة بقرب صومعة راهب يُسمَّى نسطورا⁽⁵⁾، فاطّلع الرَّاهب إلى ميسرة وكان يعرفه، فقال: من الذي تحت ظل الشَجرة؟ فقال: رجل من قريش، فقال: ما نزل تحت هذه الشَّجرة إلّا نبي، ثم قال: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم، لا تفارقه، قال: هو هو، وهو آخر الأنبياء، يا ليتني أدركه حين يؤمر بالخروج،

---

(1) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٣٠، ١٣١).

(2) ابن السكن كما في «عيون الأثر» (١/ ١١٥)، وانظر: «السبل» (٢/ ١٩٣).

(3) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (١/ ١٧٢ ـ ١٧٤).

(4) هي نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية. قال الزبير بن بكار: إنَّ منية أم أبيه، وهي منية بنت الحارث بن جابر. ونفيسة صحابية.
انظر: ترجمة نفيسة في «الطبقات» (١/ ١٢٩)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٩١٩)، و«الإصابة» (٨/ ٣٣٦) وغيرها.

(5) قال في «نور النبراس»: ولم أرَ أحداً تعرَّض لعدِّه في الصحابة بخلاف بحيرا... وينبغي أن يكون الكلام في هذا كالكلام في بحيرا. والله أعلم.

فوعى ميسرة ذلك، ثم حضر المصطفى ﷺ سوق بصرى، **فباع** سلعته[١] الَّتي خرج بها، **وتقاضى**؛ أي: قبض واشترى **ما بغى** بفتح الموحدة والغين المعجمة[٢]؛ أي: طلب، وربح ربحاً لم يربح أحد من أهل القافلة مثله، حتى قال له ميسرة: اتَّجرنا لخديجة أربعين سنة، ما رأيت ربحاً مثل هذا! وكان بينه ﷺ وبين رجل[٣] اختلاف في سلعه، فقال له الرَّجل: احلف[٤] باللَّات والعزَّى! فقال: «**ما حلفت بهما قط**»، فقال الرّجل: القول قولك، ثم قال لميسرة: هذا نبي والذي نفسي بيده. فوعى ذلك ميسرة.

[﴿٦٩﴾] **وقد رأى ميسرة منه العجائبا** الكثيرة والخوارق الغريبة، ورأى **ما خُصَّ به** المصطفى ﷺ من الآيات البيِّنات والإرهاصات الظَّاهرات، **مواهبا** منه تعالى لا بطريق الكسب، فإنَّ النبّوة غير مكتسبة، ومنها: أنَّه كان إذا اشتد الحرُّ، يرى ملكين يظلانه من الشَّمس وهو على بعيره[٥]، وكان الله ﷻ ألقى على رسوله ﷺ المحبَّة من ميسرة فكان كأنَّه عبد له، ثم رجعوا إلى مكة، فلمّا كانوا بمرِّ الظهران[٦] دخل المصطفى ﷺ مكة في ساعة الظَّهيرة[٧]. وخديجة في

---

(١) قال في «النور»: لا أدري ما كانت سلعته.

(٢) قال الجوهري في «الصحاح» مادة: (بغى): البغية الحاجة، يقال: لي في بني فلان بغيَّة وبغيه؛ أي: حاجة، فالبغية الحاجة نفسها عن الأصمعي، وبغى ضالته، وكذلك كل طلبة بُغاء ـ بالضم والمد ـ وبغاية أيضاً بالضم، وانظر: «المصباح» مادة: (ب غ ى).

(٣) قال في «النور»: هذا الرجل لا أعرفه اسمه.

(٤) في (غ): «أحلفت».

(٥) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (١/ ١٧٤)، «البداية والنهاية» (٣/ ٤٦٢).

(٦) في هامش (غ): «مكان قريب مكة».

(٧) هي شدّة الحر، قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ١٦٤): ولا يقال في الشتاء ظهيرة، وتجمع الظهيرة على الظهائر.

عُلية لها مع نساء فيهن نفيسة[١]، فرأته خديجة وهو راكب على بعيره وملكان يظلانه، فأرته نسائها فعجبن! فلمّا جاء ميسرة أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا.

[﴿٧٠﴾] **وحدث السيدة الجليلة خديجة** بقول الرّاهب نسطورا، وقول الرجل الذي خالفه في البيع، وما رأى منه من **الآيات الفضلى** بوزن حبلى؛ لأنها كانت يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً. وفي بعض النّسخ: الكبرى، وهي بمعناها، **فأحصت قيلةً** بكسر القاف وسكون التحتية؛ أي: قوله الذي قال ميسرة لها، ولما قدمت التجارة ورأتها ربحت ضعف ما كانت تربح، فأضعفت له ضعف ما سمّت له.

روى ابن إسحاق في «المبتدأ»[٢] قال: كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه بالمسجد فاجتمعن فيه، فجاء يهودي، فقال: يا معشر نساء قريش، يوشك فيكنَّ نبي، فأيّتكنَّ استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل، فحصبته[٣] النساء وقبّحنه وأغلظن عليه، وأغضت خديجة على قوله ووقر ذلك في نفسها، فلمّا أخبرها ميسرة بما رآه، قالت: إن كان ما قاله اليهودي حقّاً فهذا هو، [﴿٧١﴾] **وحينئذٍ رغبت في** زواجه، وكانت تزوجت قبله برجلين: عائذ بن عبد الله المخزومي، ثم بأبي هالة التميمي.

فخطبت محمداً فيا لها من خطبة بكسر الخاء المعجمة، **ما أسعدا** بألف الإطلاق؛ أي: ما أبركها وأنجحها، واختلف في سبب

---

[١] تقدّمت ترجمتها قريباً.

[٢] نسبه السهيلي في «السبل» (٢/ ٢٢٢) لابن إسحاق في المبتدأ.

[٣] في حاشية (غ): «بالحاء المهملة والباء الموحدة تحت بينهما صاد مهملة مفتوحة. أي: ضربنه بالحصباء».

الخطبة، ففي «الشّرف» للنيسابوري(١): أنَّها قالت للمصطفى ﷺ: اذهب إلى عمك فقل له عجِّل إلينا بالغداة، فلمّا جاء قالت: يا أبا طالب ادخل على عمِّي فكلِّمه: يزوّجني من ابن أخيك، فقال: لا تستهزئ [به](٢)، فقالت: هذا صنع الله، فدخل مع عشرة من قومه على عمها فخطبها فأجاب، فخطب أبو طالب فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ ـ بمعجمتين أو مهملتين ـ أصل معد، وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته؛ أي: كافلين له، وُسَّواس حرمه؛ أي: متولين أمره، وجعلنا حُكَّام الناس، ثم إنَّ ابن أخي لا يوزن برجل إلّا رجح به، وإن كان في المال قُلٌّ، فإنَّ المال ظلٌّ زائل وحال حائل، ومحمد من قد عرفتم، وقد خطب [خديجة] فزوّجها منه.. الحديث.

وعند الزهري(٣) [في «سيرته»]: أنَّ المصطفى ﷺ دخل على خديجة ليتحدَّث عندها، فلما قام قالت امرأة: أخاطبنا يا محمد؟ فقال: «كلا»، فقالت: ولم فما في قريش امرأة وإنَّ خديجة، إلّا تراك كفواً فرجع خاطباً(٤).

وعند ابن سفيان في «تاريخه» عن عمار(٥): مررت أنا والمصطفى ﷺ بأخت خديجة فنادتني، فقالت: أَمَا لصاحبك حاجة في تزويج خديجة؟ فأخبرته، فقال: بلى، فأخبرتها فقالت: اغدو علينا

---

(١) نسبه السهيلي في «السبل» (٢/ ٢٢٢) للنيسابوري.
وهو الإمام الفقيه عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم، أبو سعد الخركوشي (ت٤٠٧هـ). انظر: «السير» (١٧/ ٢٥٦)، وقوله هذا في كتابه «شرف المصطفى ﷺ» (١/ ٤١١).

(٢) ليس في (غ)، وفي (ك): «بي».

(٣) كما في «السبل» (٢/ ٢٢٢).

(٤) «سبل الهدى» (٢/ ٢٢٢).

(٥) «سبل الهدى» (٢/ ٢٢٢) وابن سفيان هو: يعقوب ابن سفيان كما صرح به في «السبل».

فغدونا، فذبحوا بقرة، وألبسوا خديجة حُلَّة.. وذكر الحديث.

وفيه فأرسلت إلى عمها عمرو بن سعد ليزوِّجها، فقال: هذا الفحل لا يقدع أنفه(١).

قال ابن هشام: فأصدقها عشرين بكرة(٢)، والمحب الطَّبري(٣): اثنتي عشرة(٤) أوقية ذهباً، وذلك بعد عوده من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوماً عقب صفر، وما ذكر من أن عمها الذي زوجها هو ما عليه الأكثر وصحَّحه السُّهيلي(٥)، لكن في «سيرة» الزَّهري(٦): أنَّ خويلداً أباها هو الذي زوَّجها، وكان قد سكر فألقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق، فلمّا صحا، قال: ما هذا؟ قيل: زوجت محمداً خديجة، وقد بنى بها، فأنكر ثم رضيه(٧).

---

(١) في هامش (غ): «لا يقدع أنفه، لا يستطيع أحد أن يصل إليه».
قلت: وأصل هذا كما ذكر ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ٢٤): «قدعت الفحل وهو أن يكون غير كريم، فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضرب أنفه بالرجم أو غيره حتى يرتدع».

(٢) «السيرة» لابن هشام (١/ ٣٢٥، ط: دار المعرفة).

(٣) «سبل الهدى» (٢/ ٢٢٢).

(٤) في (غ): «اثني عشر»، وليست في (ك).

(٥) «الروض» (١/ ٣٢٤).

(٦) كما في «السبل» (٢/ ٢٢٢).

(٧) قصة زواجه ﷺ وردت من طرق عدة، في بعضها أنَّ خويلد بن أسد أباها هو الذي زوجها، وهو وهم وغلط، كما قال ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٣١): وقال محمد ابن عمر: والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أنَّ أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار، وأنَّ عمها عمرو بن أسد زوَّجها رسول الله ﷺ. اهـ.
انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٨٠)، و«الدلائل» للبيهقي (٢/ ٧١)، و«شرف المصطفى ﷺ» للخركوشي (١/ ٤١٣)، و«الإشارة» لمغلطاي (٨٣)، و«الروض» للسهيلي (٢/ ٣٢١)، و«سيرة» ابن سيِّد الناس (١/ ١١٨)، و«فتح الباري» (٧/ ١٣٤)، و«السبل» (٢/ ٢٢٢).

[﴿**٧٢**﴾] **وكان** إذ؛ أي: حين **زُوِّجها** بضم الزّاي وكسر الواو مشددة، **ابن** بالنصب **خمس من بعد عشرين** عاماً **بغير لبس** بفتح اللام، بخط الناظم؛ أي: شك، وهذا في الأعوام الكاملة، أما الشهور فبعدها شهران وعشرة أيام من الفيل. ذكره ابن عبد البر.

قال ابن الهائم في «الغرر»: وهذا هو الصحيح، وقطع به عبد الغني(١).

وقيل: إحدى وعشرين، وقدَّمه في «الإشارة»(٢)، وقيل: تسعة وعشرين، وقيل: ثلاثين، وقيل: سبعاً وثلاثين، وكان عمرها أربعين، وقيل: خمساً وأربعين، وقيل: ثلاثين وقيل: ثمانيةً وعشرين والأصح الأول.

وفي المبتدأ وغيره: أن علياً ﷺ ضمن المهر.

قال ابن حجر وغيره: وهو غلط؛ لأنه كان كما ولد أو لم يكن ولد على جميع الأقوال في قدر عمره(٣).

---

(١) في «سيرته» (ص٥٨).

(٢) «الإشارة» (ص٨٢).

(٣) قول ابن حجر هذا في حاشية «الزهر»، كما في «السبل» (٢/٢٢٦).

باب قصة بناء الكعبة

٧٣ ـ وَإِذْ بَنَتْ قُرَيْشٌ البَيْتَ اخْتَلَفْ   مَلَؤُهُمْ تَنَازُعاً حَتَّى وَقَفْ
٧٤ ـ أَمْرُهُمْ فِيمَنْ يَكُونُ يَضَعُ   الحَجَرَ الأسْوَدَ حَيْثُ يُوضَعُ
٧٥ ـ إِذْ جَاءَ قَالُوا كُلُّهُمْ: رَضِينَا   لِوَضْعِهِ مُحَمَّدَ الأَمِينَا
٧٦ ـ فَحُطَّ فِي ثَوبٍ وَقَالَ: يَرْفَعُ   كُلُّ قَبِيلَةٍ طَرَفاً فَرَفَعُوا
٧٧ ـ ثُمَّتَ أَوْدَعَ الأَمِينُ الحَجَرَا   مَكَانَهُ وَقَدْ رَضُوا بِمَا جَرَى

باب قصة بناء الكعبة(١)

أي: البيت الحرام، سمِّي به لتكعبه؛ أي: تربُّعه، والقصَّة ـ بالكسر ـ الشّأن والأمر، يقال: ما قصّتك؟ أي: شأنك، والجمع قصص؛ كسدرة وسدر، ولمّا كان خمسة وثلاثون(٢) عاماً من الفيل اجتمعت قريش لبناء الكعبة لأمور(٣):

الأوَّل: توهينها من الحريق الذي أصابها، وذلك أنّ امرأة جمَّرتها فطارت شرارة حرقتها.

الثَّاني: أنَّ السّيل دخلها فصدع جُدَرَها.

الثّالث: أنّ نفراً سرقوا حليَّها، وغزالين من ذهب مرصع بجوهر كانا في بئر بجوفها(٤)، فأرادوا تشييد بنائها ورفع بابها، حتَّى لا يدخلها إلّا من شاءوا، فكانوا كلمّا أرادوا القرب منها لهدمها، بدت لهم حيّة فاتحة فاها، فبعث الله طيراً أعظم من النّسر، فغرز مخالبه فيها، فألقاها نحو أجياد، ثمّ إنّ النَّاس هابوا هدمها، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدأ فأخذ المعول، ثم قام عليها، وقال: اللّهمَّ لم نَرُعْ، اللّهم لا نريد إلّا

---

(١) ويقال: كَعْبَة البَيْتِ الحَرام: تَربعُ أعْلاه، وأهْل العِراقِ يُسَمُّونَ البيت المُرَبَّعَ كَعْبَةً، والجَميع: كِعَابٌ. وكانَ لِرَبِيْعَةَ بَيْتٌ يُطافُ به يُسمى ذا الكَعَبَات. وقيل: الكَعْبَةُ: الغُرْفَة. انظر: «المحيط في اللغة» للصاحب بن عباد مادة: (كعب).

(٢) في (غ): «خمس وثلاثين».

(٣) «الروض» (١/ ٣٣٦، ٣٣٧)، و«السبل» (٢/ ٢٢٨).

(٤) انظر: «السبل» (٢/ ٢٢٨).

الخير، ثمّ هدم من ناحية الرّكنين، فتربَّص النّاس تلك الليلة، فقالوا: إن أصيب لم نهدم وإلّا هدمنا، فأصبح الوليد غادياً إلى عمله فهدم وهدموا، حتّى انتهوا إلى أساس إبراهيم فأفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها ببعض، فأدخل رجل عتلته بين حجرين فحرَّكهما، فانتفضت مكة بأسرها، وخرجت من تحتها برقة كادت تخطف البصر، فانتهوا ووجدوا كتاباً فيه: من يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شرّاً يحصد ندامة.

[﴿**٧٣**﴾] **وإذ**؛ أي: حين **بنت قريش البيت** العتيق، وكانوا جزَّؤه فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش، وظهر الكعبة لبني جُمح وبني سليم، وشق الحجر لبني عبد الدار وبني أسد بن عبد العزى وبني عدي، وهو الحطيم(١).

وجمعوا الحجارة والمصطفى ﷺ ينقل معهم.

روى الشيخان(٢) عن جابر ﵁: لمَّا بنيت الكعبة جعل رسول الله ﷺ والعبَّاس ﵁ ينقلان الحجارة، فقال له العباس: اجعل إزارك على عنقك يقيك الحجارة(٣)، وكان قبل أن يبعث، فخرَّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، فقال: «**إزاري**». فشدّه عليه، فما رُئي بعد عرياناً.

فلمّا بلغ بنيانهم موضع الركن **اختلف ملاؤهم**؛ أي: أشرافهم

---

(١) «أسد الغابة» (١/ ١٢٥، ط: العلمية)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٤٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٨٢)، ومسلم (٣٤٠).

(٣) في حاشية (غ): «كانوا ينقلون الحجارة وهم عرايا، إلا النّبيّ ﷺ كان مؤتزراً في وسطه، فقال له العباس: ضع الإزار على كتفك؛ خوفاً عليه من أذية الحجارة له في كتفه، فيكون عرياناً مثلهم، فلما خلع إزاره وأراد أن يضعه على كتفه سقط مغشياً عليه، وقوله: إزاري، فوضعه العباس وسطه ﷺ ولم يُرَ بعد ذلك عرياناً أصلاً».

فاختصموا كل قبيلة تريد أن ترفع الحجر إلى موضعه دون الأخرى، وتنازعوا **تنازعاً** كثيراً **حتى** مكثوا على ذلك أربعة أيام أو خمساً، وأعدوا للقتال فقرَّبت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاهدوا هم وبنو عدي على الموت، وأدخلوا أيديهم في الدم، فسُمُّوا لَعَقَة الدم، ثم اجتمعوا بالمسجد وتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض الرّواة: أنَّ أبا أمية بن المغيرة(١) قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوَّل داخل من باب المسجد يقضي بينكم، فرضوا ووقف [﴿٧٤﴾] **أمرهم** على ذلك وقعدوا ينتظرون **فيمن يكون** داخلاً؛ أي: أوّل داخل على ما قاله أبو أمية وكان أسنّ قريش(٢) **يضع الحجر الأسود حيث يوضع** مكانه من الرُّكن، فبينما هم كذلك [﴿٧٥﴾] **إذ جاء المصطفى** ﷺ، فكان أوّل داخل، فلمّا رأوه **قالوا كلهم: رضينا لوضعه** مكانه **محمدا الأمينا** بألف الإطلاق، فأخبروه الخبر، فقال: «**هلم إليَّ ثوباً**»، فأتي به [﴿٧٦﴾] **فحُطّ** بضم الحاء المهملة في النظم بضبط النّاظم؛ أي: فحُطَّ الحجر الأسود **في ثوب**؛ أي: في الثّوب الذي أتي به **وقال** ﷺ: **يرفع كل قبيلة** منكم **طرفاً** من أطراف الثّوب، **فرفعوا** فكان من رُبع بني عبد مناف عتبة بن ربيعة، ومن الرُبع الثّاني: زمعة، ومن الثّالث: أبو حذيفة ابن المغيرة، ومن الرّابع: قيس بن عدي [﴿٧٧﴾] **ثمّت** لما بلغوا به موضعه **أودع محمد الأمين الحجرا مكانه** ثم بني عليه، **وقد رضوا كلهم بما جرى** وأكملوا بناء البيت(٣).

---

(١) المعروف بزاد الراكب، وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم. وأزواد الراكب، مسافر بن أبي عمرو وربيعة بن الأسود، وأبو أمية هذا. وذلك لأنه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر، يطعمونه ويكفونه الزاد. «نور النبراس».

(٢) في (ك): «فرضوا وكانوا أشراف قريش».

(٣) «السبل» (١/ ٢٣١).

قال في «الزهر الباسم»(١): وكان ذلك يوم الاثنين(٢).

وأخرج ابن سعد(٣) وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما وضع رسول الله ﷺ الرّكن ذهب رجل من أهل نجد ليناول المصطفى ﷺ حجراً يشدُّ به الرُّكن، فقال العبّاس: لأناولنّه حجراً فشدّه به فغضب النّجدي، وقال: وا عجباً لقوم أهل شرف وعقول، عمدوا إلى أصغرهم سنّاً وأقلِّهم مالاً، فرأَّسوه عليهم في مكرمتهم وحِرْزهم؛ كأنّهم خدم له، أما والله ليفرقنّهم شيعاً(٤)، وليقسمن بينهم حظوظاً، وحدوداً، فيقال: إنَّه إبليس.

زاد غيره(٥): فكاد يثير شرّاً فيما بينهم، ثم سكنوا.

وذكر السهيلي(٦) وغيره: أن ارتفاع الكعبة كان تسعة أذرع من عهد آدم(٧) ولم يكن لها سقف، فلما بنته(٨) قريش جعلت ارتفاعها من خارجها من أعلاها إلى الأرض ثمانية عشر ذراعاً، واقتصروا(٩) من عرضها أذرعا، في الحجر لقصر النّفقة من الحلال الّتي أعدُّوها لعمارتها لله، ورفعوا بابها ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا(١٠)،

---

(١) صاحب الزهر الباسم هو مغلطاي، وأعمل الآن على نشر هذا الكتاب يسر الله نشره.

(٢) انظر: «الإشارة» (ص٨٦)، «السبل» (٢/ ٢٣٢).

(٣) «طبقات» ابن سعد (١/ ١٤٥ ـ ١٤٧).

(٤) في بعض النسخ: «ليفوقنَّهم شرفاً».

(٥) «طبقات» ابن سعد (١/ ١٤٦)، «السبل» (٢/ ٢٣٢)، «الروض» (١/ ٣٤٦).

(٦) في «الروض» (١/ ٣٣٦)، وانظر: «طبقات» ابن سعد (١/ ١٤٧).

(٧) في بعض النسخ «إبراهيم»، وفي «الروض»: «إسماعيل».

(٨) في (ك): «بنتها».

(٩) في (ك): «وانتقصوا».

(١٠) قال في «نور النبراس»: اعلم أنَّ ابا حذيفة بن المغيرة قال: يا قوم ارفعوا بناء الكعبة حتّى لا يدخل إليها إلّا بسلّم، فإنّه لا يدخلها حينئذٍ إلّا من أردتم، فإن جاء أحد ممن تكرهونه رميتم به فسقط، وصار نكالاً لمن رآه، ففعلت قريش =

وجعلوا داخلها ستَّ دعائم في صفَّين، ثلاثة في كل صف من الشّق الذي يلي الحجر إلى الشّق اليماني، وفي ركنها الشَّامي من داخلها درجة يصعد منها إلى سطحها وجعلوه مسطَّحاً، وجعلوا فيه ميزاباً يصبُّ في الحجر، ثم لمَّا بناها ابن الزبير زاد تسعة أذرع، فصارت سبعاً وعشرين، وهي على ذلك إلى الآن(١).

وكان المصطفى ﷺ حين(٢) وضعه الحجر ابن خمس وثلاثين [سنة] على ما عليه الجمهور(٣).

وقيل: كان غلاماً(٤).

قال [الحافظ] ابن حجر(٥): ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزّهري، قال: لما بلغ المصطفى ﷺ الحلم أُجمرت الكعبة فطارت شرارة في ثيابها فاحترقت، قال: ويمكن الجمع بأن يكون الحريق تقدم وقته على الشّروع في العمارة، وقيل: ابن خمس وعشرين وغُلِّط قائله.

○ **خاتمة:**

قال في «شفاء الغرام»(٦): ....

= ما قال.اهـ. وذكر الخبر الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٧١).

(١) أخرج مسلم (٤٠٢): لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية... إلى أن قال: فزاد في طوله عشرة أذرع.

(٢) في (ك): «عند».

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص٨٨).

(٤) حكاه الأزرقي كما في بعض النسخ وانظر: قصة وضع الحجر«أخبار مكة» (١/ ٢٠١).

(٥) كما في «السبل» (٢/ ٢٣٣).

(٦) اسمه «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» لمحمد بن أحمد بن علي المشهور بالتقي الفاسي (ت٨٣٢هـ). والكتاب طبع عدة طبعات منها طبعة سنة (١٩٥٦م) في القاهرة، وأخرى في بيروت سنة (١٩٨٥م)، وثالثة سنة (١٩٩٩م) مكتبة =

بنيت الكعبة عشر مرّات(١):

الأولى: بناء الملائكة، فقد أخرج الأزرقي(٢) في حديث طويل، عن علي بن الحسين عن أبيه رضي الله عنهما: أنّ الله تعالى وضع البيت المعمور، وقال للملائكة: طوفوا به ثم بعث ملائكة، فقال: ابنوا لي بيتاً في الأرض مثاله وقدره، وأمر من في الأرض من خلقه أن يطوفوا به.

الثّانية: بناء آدم، أخرج الأزرقي(٣) أيضاً: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه بناه من خمسة أجبل: لبنان وطور سيناء، وطور زيتا والجودي وحراء، حتى استوى على وجه الأرض.

الثّالثة(٤): بناء شيث ابنه بناه بالحجر والطين، واستمر إلى زمن نوح.

الرّابعة(٥): بناء الخليل على القواعد، وكان فيما بينه وبين نوح أكمة حمراء، وكان الناس يحجُّون إلى موضعه من غير تعيين محلَّه، حتى بوَّأ الله مكانه لإبراهيم.

الخامس(٦): بناء العمالقة(٧).

= النهضة الحديثة بمكة المكرمة، ويقوم بتحقيقه أخونا الأستاذ أيمن البحيري على أربع نسخ خطية، وضم معه المختصرات والاستدراكات للمؤلف التقي الفاسي على كتابه. يسّره الله بخير وعافية.

وقوله هذا في باب بناء الكعبة (١/ ١٢٤، ط: العلمية ٢٠٠٠م).

(١) ذكر الفاسي هذه المرات العشر في كتابه «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» (١/ ١٢٤).

(٢) «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٣٣ ت: ملحس) في ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم ومبتدأ الطواف كيف كان.

(٣) «أخبار مكة» (١/ ٣٦) في باب ذِكْرُ هُبُوطِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ وَبِنَائِهِ الْكَعْبَةَ، وَحَجِّهِ، وَطَوَافِهِ بِالْبَيْتِ.

(٤) «أخبار مكة» (١/ ٥١).

(٥) «أخبار مكة» (١/ ٥٨).

(٦) في (ك): «الخامسة».

(٧) «أخبار مكة» (١/ ٥٤).

السادس(١): بناء جرهم(٢).

السّابع: بناء قصي جد المصطفى ﷺ.

قال ابن بكَّار: لمَّا ولي قصي أمر البيت، جمع نفقة ثم هدم الكعبة، فبناها بناءً لم يبنها أحد قبله مثله.

وفي «الأحكام السلطانية»(٣) للماوردي: أوّل من جدَّد بناء الكعبة بعد إبراهيم؛ أي: على الوجه الأكمل: قصي، وسقفها بخشب الروم وجذوع النخل.

قال الأزرقي(٤): ولم يكن يدخلها من قريش ولا غيرهم إلا ابن أربعين، وكان ولد قصي يدخلها كلهم أجمعون.

الثَّامن(٥): بناء قريش المذكور.

التاسع(٦): بناء ابن الزبير حين احترقت في عهده، بشرارةٍ طارت من أبي قبيس، فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره، فهابوه، فقالوا: تصلح ما وهي؟ فقال(٧): لو أنَّ بيت أحدكم احترق، لم يرض له إلا بأكمل إصلاح(٨)، ولا(٩) يكمل صلاحها إلَّا بهدمها، فهدمها حتى انتهى إلى قواعد إبراهيم، فحرَّكوا حجراً فرأوا تحته ناراً وأهوالاً أفزعتهم، فبنوا من حيث انتهى الحفر إلى ذلك، فلما تم بناؤها ألصق بابها بالأرض، وعمل لها باباً من خلفها، وأدخل الحجر فيها(١٠).

---

(١) في (ك): «السادسة».

(٢) «أخبار مكة» (١/ ٥٨).

(٣) «الأحكام السلطانية» للماوردي (١/ ٢٠٥، ط: دار ابن قتيبة).

(٤) «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٠٩).

(٥) في (ك): «الثامنة».

(٦) في (ك): «التاسعة».

(٧) في (ك): «فقالوا».

(٨) في (ك): «صلاح».

(٩) في (ك): «ولم».

(١٠) انظر: «أخبار مكة» (١/ ٢٠١). والذي وضع الركن في أيام ابن الزبير في الموضع الذي هو فيه الآن، هو حمزة بن عبد الله بن الزبير. وأبوه يصلي =

فلما قدم عبد الملك قال[١]: لسنا من تخليط أبي خبيب[٢] في شيء، وأمر الحجّاج بهدم جهة الميزاب والحجر ـ بكسر الحاء[٣] ـ ورفع الباب الذي في لصق الملتزم وسدَّ الباب الغربي، وأبقى ما سواه من الجهات الثّلاث بحاله، فلمّا فرغ جاء الحارث بن أبي ربيعة ورجل إلى عبد الملك فحدّثاه بحديث عائشة الصّحيح: «**لولا أنَّ قومك حديثوا عهد بالجاهلية**»[٤] الحديث.

فندم وجعل ينكت في الأرض بمخصرة؛ ويقول: وددت أني تركت أبا خبيب وما تحمَّل من ذلك. فهذه المرَّة العاشرة.

وذكر أنَّ الرّشيد سأل مالك بن أنس عن هدمها، وردِّها إلى بناء ابن الزبير للحديث المذكور، فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه، فتذهب هيبته من القلوب، فأمسك[٥].

قال ابن إسحاق[٦]: ولما قرب أمر المصطفى ﷺ وحضر مبعثه، حجبت الشّياطين عن السّمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تسترق فيها، فرموا بالنّجوم فعرف الجن أنَّه لأمرٍ حدث في العباد، فأوّل العرب فزع من الرّمي [بالنّجوم] ثقيف، فأتوا عمرو بن أمية، فقال: إن كانت هي النّجوم[٧]

= بالناس في المسجد، اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة، لمّا أحسّ منهم التنافس في ذلك، وخاف الخلاف، فأقرَّه أبوه. انظر: «الروض» (١/ ٣٤٦).

(١) انظر: «الروض» (١/ ٣٣٩).

(٢) يقصد عبد الله بن الزبير.

(٣) في (غ): «الجيم» وهو خطأ، والصواب ما أثبت.

(٤) أخرجه البخاري (١٥٦٧)، ومسلم (٣١٩٧).

(٥) انظر: «القرى لقاصد أم القرى» لمحب الدين الطبري (٥١١).

(٦) «سيرة» ابن إسحاق (ص٩٠، ٩١).

(٧) في (ك): «حين رمي بها هذا الحي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم =

التي يهتدى بها في البر والبحر(١)، وتعرف بها الأنواء، فهو طي الدنيا وهلاك الخلق، وإن كانت غيرها وهي ثابتة فهو لأمر أراده الله.

قال ابن الجوزي(٢): رأت قريش النجوم يُرمى بها بعد عشرين يوماً من المبعث.

وكذا بنو لهب(٣) ـ بكسر اللام ـ فزعوا كفزع ثقيف، واجتمعوا إلى كاهن، يقال له: حظر(٤)، [وكان شيخاً كبيراً] وكانت أتت عليه مئتا سنة وثمانون فسألوه، فقال(٥):

[عودوا إليَّ السحر](٦)
إئتوني بسَحَر
أُخْبِرْكُمُ الخبر
أخيراً(٧) أم ضرر
أو [لأمرٍ] أو حذر

فأتوه. [قال: فانصرفوا عنه يومهم، فلما كان من غدٍ أتوه] وجه السّحر، فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السّماء بعينيه، فنادوه، فأومأ: أمسكوا، فانقضَّ نجم عظيم [من السّماء]، وخرج الكاهن يقول(٨):

= اسمه عمرو بن أمية، أحد بني علاج، قال: وكان أدهى العرب واتكاها رأياً، وقالوا له: يا عمرو! ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال: بلى؛ فانظر: وا فإن كانت معالم النجوم».

(١) في (ك): «ظلمات البر والبحر».

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٣٩، ط: مكتبة مصر).

(٣) هم بطن من بطون الأزد.

(٤) في «الروض»: «خطر» بدلاً من «حظر».

(٥) الخبر بطوله في «الروض» (١/ ٣٦٢).

(٦) هذا الشطر غير موجود في «الروض».

(٧) في «الروض»: «أبخير» بدلاً من «أخيراً».

(٨) في (ك): «وصرخ الكاهن فقال».

أصابه أصابه(١)   خامره عقابه
عاجله عذابه   أحرقه شهابه
زايله جوابه
يا ويله ما حاله!   بَلْبله بلباله
عاوده خباله   تقطعت حباله
تغيَّرت(٢) أحواله

ثم أمسك طويلاً، ثم قال(٣):

يا معشر بني قحطان   أخبركم بالحقِّ والبيان
أقسمت بالكعبة والأركان   والبلد المؤتمن السُّدَّان
لقد مُنِعَ السمع عُتَاةُ الجان   بثاقب بكفِّ ذي سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشان   يُبْعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصل الفرقان(٤)   تبطل به عبادة الأوثان

فقالوا: ويحك إنك لتذكر أمراً عظيماً فما ترى لقومك؟ فقال:

أرى لهم(٥) ما أرى لنفسي   أن يتبعوا خير نبي الإنس
برهانه مثلُ شعاع الشمس   يُبْعَثُ في مكَّة دار الحُمْس(٦)
بمحكم التنزيل غير لبس(٧)

---

(١) في حاشية (ك): «قوله: أصابه أراد به وصابه، والهمزة بدل من الواو، وهو من وصب الجروح...».اهـ. وموضع النقط غير واضح.

(٢) في «الروض»: «وغيرت» بدلاً من «تغيرت».

(٣) «الروض» (١/ ٦٦٣).

(٤) في «الروض»: «القرآن» بدلاً من «الفرقان».

(٥) في «الروض»: «لقومي» بدلاً من «لهم».

(٦) في «القاموس المحيط»: «حَمِسَ كفَرِحَ: اشْتَدَّ وصَلُبَ في الدينِ والقِتالِ فهو حَمِسٌ وأَحْمَسُ وهُمْ حُمْسٌ. والحُمْسُ: الأَمْكِنَةُ الصُّلْبَةُ جَمْعُ أَحْمَسَ وهو لَقَبُ قُرَيْشٍ».

(٧) في «الروض»: «اللبس» بدلاً من «لبس».

قالوا: وممن هو؟!

قال: والحياة والعيش، إنّه لمن قريش، ما في حكمه(١) طيش، ولا في خلقه هَيْش(٢)، يكون في جيش وأيِّ جيش، من آل قحطان وآل أيش، فقالوا: [بيِّن لنا] من أيِّ قريش؟ فقال: والبيتُ ذي الدعائم، والركن والأحائم إنّه لمن نجل هاشم من معشرٍ أكارم، يُبْعَثُ بالملاحم، وقتل كلِّ ظالم.

ثم قال: هذا هو البيان أخبرني به رئيس الجان، [ثم قال: الله أكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر]، ثم أُغمي عليه فما أفاق إلا بعد ثالثة، فقال: لا إلـٰه إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**[سبحان الله] لقد نطق عن مثل نُبوَّة، وإنَّه يبعث يوم القيامة أمةً وحده**»(٣).

قال السهيلي(٤): وآل قحطان الأنصار، وآل أيش قبيلة من الجن، والأحائم يجوز كونه أراد الأحاوم فهمز الواو لانكسارها، جمع حوم وهو الماء في البئر، أراد زمزم.

---

(١) في «الروض»: «حلمه» بدلاً من «حكمه».

(٢) الهيش هو أي شيء قبيح.

(٣) رواه أبو جعفر العقيلي في كتابه «الصحابة»، والخركوشي في «شرف المصطفى ﷺ» (١/ ٤٤٥)، كما في «الإصابة» (٣/ ٣٣١).
وقال ابن حجر: قال أبو عمر: «إسناده ضعيف، لو كان فيه حكم لما ذكرته؛ لأنَّ رواته مجهولون، وعمارة بن زيد اتهموه بوضع الحديث، ولكنه في علم من أعلام النبوة والأصول لا تدفعه، بل تشهد له وتصححه.
قلت ـ ابن حجر ـ: يستفاد من هذا أنَّه تجوز رواية الحديث الموضوع إذا كان بهذين الشرطين: أن لا يكون فيه حكم، وأن يشهد له الأصول. وهو خلاف ما نقلوه من الاتفاق على عدم جوازه ذلك، ويمكن أن يقال ذكر هذا الشرط من جملة البيان». اهـ.

(٤) «الروض» (١/ ٣٦٤).

○ **تنبيه:**

علم من كلام النّاظم على مولده، وما بعده، أنّ من دلائل نبوته، ما وجد في كتاب الله من نعته وخروجه بأرض العرب، وما ظهر بين يدي مولده ومبعثه من العجائب المبطلة لسلطان الكفر، والمنوِّهة بشرف العرب كقصِّة الفيل وما حلَّ بأصحابه، وخمود نار فارس، وما سمع من الهواتف الصّارخة بأوصافه، وانتكاس الأصنام على وجوهها بغير فعل فاعل، وما مرَّ بعضه من العجائب التي ظهرت أيَّام رضاعه وبعده إلى بعثته، واتِّباع الخلق له مع أنه لا مال [له فـ]يطمع فيه، ولا قوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من حُبّ الأصنام والمبالغة في الحميَّة لها. فهل هذه الأمور من قبيل اختيار عقلي أو تدبير فكري؟ كلا والذي بعثه بالحق إنما هو أمر إلٰهي وتأييد سماوي يعجز عنه(١) قوى البشر، ولا يقدر عليه إلا مالك القضاء والقدر، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

---

(١) في (ك): «تعجز»، وفي (م): «عن بلوغه».

باب كيف كان بدء الوحي

٧٨ ـ حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ الرَّسُولُ   أَرْبَعِينَ جَاءَهُ جِبْرِيلُ
٧٩ ـ وَهْوَ بِغَارٍ بِحِرَاءٍ مُخْتَلِي   فَجَاءَهُ بِالوَحْيِ مِنْ عِنْدِ العَلِي
٨٠ ـ فِي يَومِ الاثْنَينِ وَكَانَ قَدْ خَلَتْ   مِنْ شَهْرِ مَوْلِدٍ ثَمَانٍ إِنْ ثَبَتْ
٨١ ـ وَقِيلَ: فِي سَابِعِ عَشْرِ رَجَبِ   وقِيلَ: بَلْ فِي رَمَضَانَ الطَّيِّبِ
٨٢ ـ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ وَهْوَ فِي المِرَارِ   يُجِيبُ نُطْقاً مَا أَنَا بِقَارِي
٨٣ ـ فَغَطَّهُ ثَلاثَةً حَتَّى بَلَغْ   الجَهْدَ فَاشْتَدَّ لِذَاكَ وَانْصَبَغْ
٨٤ ـ أَقْرَأَهُ جِبْرِيلُ أَوَّلَ العَلَقْ   قِرَاءَةً كَمَا لَهُ بِهِ نَطَقْ
٨٥ ـ وَكَونُ ذَا الأَوَّلُ فَهْوَ الأَشْهَرُ   وَقِيلَ: بَلْ يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ
٨٦ ـ وَقِيلَ: بَلْ فَاتِحَةُ الكِتَابِ   وَالأَوَّلُ الأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ
٨٧ ـ جَاءَ إِلَى خَدِيجَةَ الأَمِينَهْ   يَشْكُو لَهَا مَا قَدْ رَآهُ حِينَهْ
٨٨ ـ فَثَبَّتَتْهُ إِنَّهَا مُوَفَّقَهْ   أَوَّلُ مَنْ قَدْ آمَنَتْ مُصَدِّقَهْ
٨٩ ـ ثُمَّ أَتَتْ بِهِ تَؤُمُّ وَرَقَهْ   قَصَّ عَلَيهِ مَا رَأى فَصَدَّقَهْ
٩٠ ـ فَهُوَ الذِي آمَنَ بَعْدُ ثَانِيا   وَكَانَ بَرّاً صَادِقاً مُوَاتِيَا
٩١ ـ وَالصَّادِقُ المَصْدُوقُ قَال: إِنَّه   رَأَى لَه تَخَضْخُضاً فِي الجَنَّةْ

باب كيف كان بدء الوحي

أي: الإرسال إليه ﷺ، والوحي؛ أصله: إلقاء المعنى في النفس في خفاء، ثم قيل للكلام الإلـٰهي الذي يلقى إلى الأنبياء: وحي(١). وهو أنواع(٢):

الأوّل: الرّؤيا الصّادقة في المنام.

الثَّاني: نفث الملك في روعه، من غير أن يراه.

الثالث: أن يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّه عليه، فليتبس به الملك حتى إنَّ جبينه ليتفصَّد عرقاً في اليوم الشَّديد البرد.

الرّابع: أن يكلِّمه الله بلا واسطة من وراء حجاب في اليقظة، كما في ليلة الإسراء على القول بعدم الرؤية.

الخامس: أن يكلِّمه كفاحاً بغير حجاب، على القول بالرّؤية ليلة الإسراء.

قال السّيوطي(٣): وليس في القرآن من هذا النّوع شيء.

---

(١) قال الأجهوري: وقال غيره: الوحي مصدر وحى إليه، يجئ من باب وعد يعد، وأوحى إليه بالألف مثله. وهو لغة: الإعلام بسرعة. وشرعاً: الإعلام بالشرع. وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول؛ أي: الموحى، من إطلاق المصد على المفعول.

(٢) انظر في كيفية الوحي: «الروض» (١/ ٤٠١ ـ ٤٠٥)، و«البداية والنهاية لابن كثير» باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ (٤/ ٥ ـ ١٠)، «السبل» (٢/ ٣٥٢، ٣٥٣).

(٣) «السبل» (٢/ ٣٥٣).

السّادس: أن يكلّمه في النّوم.

السّابع: أن يجيء الوحي كدويِّ النَّحل، وذكر الحليمي أنّ الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً فذكرها(١).

قال ابن حجر(٢): وغالبها من صفة حامل الوحي، ومجموعها يدخل فيما ذكر.

وأوّل ما بدئ به الرّؤيا الصَّالحة؛ أي: الصَّادقة(٣)، كما جاء في روايةٍ، وهي الَّتي ليس فيها ضغث، وبدئ بذلك ليكون تمهيداً وتوطئة لليقظة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصّبح؛ أي: تشبه ضياء الصّبح ظاهرةً واضحة لا يُشك فيها، ثم مهِّد له أيضاً في اليقظة رؤية الضّوء، وسماع الصّوت وسلام الحجر والشّجر والحيوان، وحُبِّب إليه الخلاء ـ بالمد ـ أي: الخلوة، والانفراد والنفور من المخالطات حتَّى من الأهل والمال والعيال بالكلية، واستغرق في بحر الأذكار القلبيَّة، فانقطع عن الأضداد، فاستشعر حصول المراد، وظهر له الأُنس بالخلوة فتذكّر من أجل ذلك الجلوة(٤)، ولم يزل ذلك الأُنس يتضاعف ومرءاته تزداد من الصَّفاء والصّقال، حتّى بلغ أقصى درجات الكمال، فظهرت تباشير صبح الوحي وأشرقت وانتشرت بروق السَّعادة وأبرقت، فكان لا يمرُّ بشجر ولا حجر إلّا قال بلسان فصيح ونطق صحيح: السَّلام عليك يا رسول الله، فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً(٥).

---

(١) كما في «السبل» (٢/ ٣٥٥). (٢) «فتح» (١/ ١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٤) في حاشية (غ): «الجلوة: بالجيم، والمراد بها هنا تجلي الأنوار والأسرار»، وهذا من قول الفيروزآبادي في كتابه «سفر السعادة»، وهي مما أخذ عليه في تصوفه رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) قال النووي: في «شرح مسلم» (٢/ ١٩٨): «إنما ابتدىء ﷺ بِالرُّؤْيَا لِئَلَّا يَفْجَأَهُ =

[﴿٧٨﴾] **حتى إذا ما بلغ الرسول** بزيادة ما **الأربعين**، من السّنين؛ أي: رأس الأربعين، [قيل:] هذا هو الصَّواب، كما قال النّووي(١).

وقال السُّهيلي(٢): إنَّه [هو] الصَّحيح.

وقيل: اثنين وأربعين(٣).

وقيل: أربعين سنة وقيل: وأربعين يوماً(٤).

وقيل: وعشرة أيام(٥). وقيل: وشهرين(٦).

وقيل: على رأس ثلاث وأربعين [سنة](٧).

= الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية فبدىء بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة. قولها: «ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ أُولَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ رضى الله عنها فيتزود لمثلها حتى فجئه الْحَقُّ» أما الخلاء: فَمَمْدُودٌ وَهُوَ الْخَلْوَةُ، وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين. قال أبو سليمان الخطابي: حُبِّبَتِ العزلة إليه ﷺ؛ لأن معها فراغَ القلب، وهي مُعِينةٌ على التَّفَكُّرِ، وبها ينقطع عن مَأْلُوفَاتِ البشر، وَيَتَخَشَّعُ قَلْبُهُ، والله أعلم».

(١) في «شرح مسلم» للنووي (١٥/ ٩٩)، «المستدرك» (٢/ ٦١٠)، «الدلائل» (١/ ٧٨)، وهذا ما عليه أغلب المؤرخين والمحدثين.

(٢) «الروض» (١/ ٣٩٦). (٣) «الفتح» (٦/ ٥٧٠).

(٤) «الفتح» (٦/ ٥٧٠).
انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩، ٣٠، ط: دار الفكر)، و«الإشارة» (ص٨٨).

(٥) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩)، و«الإشارة» (ص٨٨).

(٦) انظر: «الروض» (١/ ٣٩٦): «الفتح» (٦/ ٥٧٠).
«الاستيعاب» (١/ ٢٩)، و«الفتح» (٦/ ٥٧٠).

(٧) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٣٢) =

وقيل: خمس وأربعين(١).

قال في «زاد المعاد»(٢): والصَّحيح أنَّه بعث على رأس الأربعين، وهو سنَّ الكمال ولها يبعث الرّسل ـ أي: غالبهم ـ، قال: وما يذكر عن المسيح أنَّه رفع وله ثلاث وثلاثون، فلا يعرف به أثر متّصل يجب المصير إليه. **جاءه جبريل** فيه لغات: كسر الجيم والراء فمثناة تحتية ساكنة، والثانية: كذلك لكن الجيم مفتوحة والثالثة: فتح الجيم والراء وبهمزة بعدها ياء، [يقال هو] اسم مركب من جبر وهو العبد وإيل(٣) وهو الله، وقيل غير ذلك(٤).

[﴿٧٩﴾] **وهو بغار** والغار **بحراء** بكسر الحاء وخفّة الرّاء والمد على الأرجح، ويجوز صرفه وعدمه وتذكيره وتأنيثه وتذكيره أعرف؛ جبل

= عن سعيد بن المسيب. قال في «النور»: وهو أغربها، وهو شاذ.

(١) «الإشارة» (ص٨٩)، وهو أغرب من السابق كما قال ذلك البرهان الحلبي في «النور».

(٢) «زاد المعاد» (١/ ٨٤، ط: الرسالة).

(٣) في حاشية (ك): «قوله: وأيل هو الله؛ أنكر ذلك الفاسي، قائلاً: لا يعرف في الأسماء، وتوبع عليه، انظر: حاشية [. . . . .] غير واضحة في (ك) الشفاء، فقد استوفى ذلك».

(٤) قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٤٤): «فيه تسع لغات حكاهن ابن الأنبارى، وابن الجواليقى: جبريل، وجبريل بكسر الجيم وفتحها، وجبرئل، بفتح الجيم وهمزة مكسورة وتشديد اللام، وجبرائل بعدها ياء، وجبراييل بياءين بعد الألف، وجبرئيل بهمزة بعد الراء وياء، وجبرئل بكسر الهمزة وتخفيف اللام مع فتح الجيم والراء، وجبرين وجبرين بفتح الجيم وكسرها.

قال جماعات من المفسرين، وصاحب المحكم، والجوهرى، وغيرهما من أهل اللغة في جبريل وميكائيل: إن جبر وميك اسمان أضيفا إلى إيلٰ وأل. وقال: وإيل وأل اسمان لله تعالى، وجبر وميك معناه بالسريانية عبد، فتقديره عبد الله».

على ثلاثة أميال من مكة(١).

مختلي فإنَّه كان يخلو فيه كل عام شهراً، وهو رمضان فيتحَنَّث؛ أي: يتعبَّد فيه(٢)، ويطعم من جاءه من المساكين، وكان ذلك مما يتحنَّث فيه قريش في الجاهلية، فكان إذا قضى جواره أوَّل ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله، ثم يرجع إلى بيته.

قال الخطابي(٣): وهذه الأمور التي كان بدئ بها من الخلوة بحراء والتعبّد به أسباب ومقدمات أُرهصت(٤) لنبوَّته، وجعلت مبادئ لظهورها، والخلوة يكون معها فراغ القلب وهي مُعينة على الفكر، قاطعة لدواعي الشّغل والبشر لا ينفك عن طباعه ولا يترك مألوفه إلَّا بالرِّياضة البليغة والمعالجة الشَّديدة، فلطف الله به في مبادئ أمره، فحبّب إليه الخلوة، وقطعه عن مخالطة النَّاس ليتناسى المألوف من عادتهم، ويهجر ما لا يحمد من أخلاقهم، وألزمه شعار التَّقوى، وأقامه مقام التعبّد بين يديه ليخشع قلبه وتلين عريكته(٥) فيتلَّقى الوحي، فجعل ذلك(٦) مقدمات لما أُرصد له ليرتاض [بها]، فيستعدَّ ثم جاء التّوفيق والتّبشير، وأخذه بالقوة

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٢/ ١٩٨).

(٢) قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ١٩٨): «وَأَمَّا التَّحَنُّثُ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالنُّونِ وَالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ فَقَدْ فَسَّرَهُ بِالتَّعَبُّدِ وَهُوَ تَفْسِيرٌ صَحِيحٌ وَأَصْلُ الْحِنْثِ الْإِثْمُ فَمَعْنَى يَتَحَنَّثُ يَتَجَنَّبُ الْحِنْثَ فَكَأَنَّهُ بِعِبَادَتِهِ يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الْحِنْثِ».
وقال ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٤٢٥): «وَالتَّحَنُّثُ التَّبَرُّرُ» وقال: «فَكَانَ يَتَحَنَّثُ وَهُوَ التَّعَبُّدُ».

(٣) نسبه النووي في «شرح مسلم» للخطابي (٢/ ١٩٨).

(٤) سقطت من (ك)، وفي حاشية (غ): «أرهصت: جعلت إرهاصاً لنبوّته».

(٥) في (ك): «عركته»، وفي حاشية (غ): «العريكة: بعين مهملة فراء فمثناة تحتية فكاف فراء، الطبيعة».

(٦) في (ك): «فجعلت هذه الأسباب».

الإلـٰهيَّة فجبرت فيه النقائص البشريَّة، وجمعت له الفضائل النبويَّة.

قال ابن أبي جمرة(١): وكان تخليَّه بغار حراء، فيه ثلاث عبادات: الخلوة والتَّعبُّد والنّظر إلى الكعبة، وتعبُّده كان بالفكر والذّكر لا بشرع من قبله؛ لأنَّه لو تعبَّد بشرع أحد لظُنَّ أنه من أتباعه واحتج به أهله عليه(٢)، وقيل: بشرع لا يعرف(٣)، وقيل: بشرع إبراهيم(٤)، وقيل: نوح(٥)، وقيل: موسى(٦)، وقيل: عيسى(٧).

وفي رواية أبي الأسود عن عروة عن عائشة ﵂(٨): أنَّ أوَّل ما رأى جبريل بأجياد صرخ جبريل: يا محمد فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً، فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء، فقال: يا محمد جبريل جبريل، فهرب فدخل في الناس فلم ير شيئاً، ثم خرج عنهم فناداه فهرب، ثم استعلن(٩) له جبريل من قبل حراء.

---

(١) قاله ابن حجر في «الفتح» منسوباً لابن أبي جمرة (١٢/ ٣٥٥).

(٢) قال به الجمهور. انظر: «طرح التثريب» (٤/ ١٨٦، ط: مصر القديمة)، «الفتح» (١٢/ ٣٥٥).

(٣) ذكره الآسنوي في «نهاية السول» (٣/ ٤٧، ط: عالم الكتب).

(٤) قاله المازري في «المعلم بفوائد مسلم» (١/ ٢١٧)، والرازي في «المحصول» (٣/ ٢٦٦)، وغيرها.

(٥) حكاه الآمدي في «الإحكام في أصول الأحكام» (٤/ ١٧٠ ـ ١٧١، ط: دار الصميعي ٢٠٠٣م)، والآسنوي في «نهاية السول» (٣/ ٤٧).

(٦) انظر: «المحصول» (٣/ ٢٦٦) للرازي، و«الأحكام» (٤/ ١٧٠، ١٧١) للآمدي.

(٧) «فتح الباري» (٨/ ٧١٧) لكن قال إمام الحرمين في «البرهان» (١/ ٣٣٤): لم يثبت عندنا أنَّ عيسى ﵇ كان مبعوثاً إلى الناس كافة، ولو ثبت ابتعاثه إليهم، فقد كانت شريعته دارسة الأعلام مؤذنة بالانصرام، والشرائع إذا درست سقط التكليف بها.

(٨) أخرجها ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٢٣).

(٩) في (ك): «استعلا»، وفي حاشية (غ): «أي: ظهر له ظهوراً تاماً».

فذكر القصة الآتية، ورأى جبريل حينئذٍ له جناحان من ياقوت يخطفان البصر.

قال ابن حجر⁽¹⁾: وهذا من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود، وابن لهيعة: ضعيف، وقد ثبت في مسلم عن عائشة رضي الله عنها [من وجه آخر] مرفوعاً: «لم يره يعني جبريل يعني على صورته التي خُلِق عليها إلّا مرَّتين»، وبيّن أحمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنّ الأولى: كانت عند سؤاله إياه⁽٢⁾ أن يريه صورته التي خلق عليها.

والثَّانية: عند المعراج.

وللترمذي [من طريق مسروق] عن عائشة رضي الله عنها [من وجه آخر مرفوعاً]: لم ير محمد جبريل في صورته إلّا مرَّتين، مرَّة عند سدرة المنتهى، ومرَّة في أجياد.

قال [ابن حجر]⁽٣⁾: وهذا يقوِّي رواية ابن لهيعة، وتكون هذه المرة غير المرتين [المذكورتين]، ولم يضمها إليهما لاحتمال أن لا يكون رآه فيها على تمام صورته.

فجاءه جبريل؛ أي: ظهر له **بالوحي**؛ أي: الإرسال **من عند الله العلي** شأنه العظيم سلطانه تعالى.

[﴿٨٠﴾] **في يوم الاثنين** نهاراً؛ لما في مسلم: أنَّه سُئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه، وفيه بعثت**» أو قال: «**أنزل عليَّ فيه**»⁽٤⁾ وقد اختلف في أي شهر كان، فقيل: **كان قد خلت من شهر** ربيع الأول، وهو شهر **مولد**؛ أي: مولده ﷺ.

ثمان من الأيَّام، قال في «زاد المعاد»⁽٥⁾: وهذا قول الأكثر،

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٣).

(٢) في (غ): «إياها»، والمثبت من النسخ الأخرى، وهو الصواب.

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢٣).

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٥) «زاد المعاد» (١/ ٧٧، ٧٨).

ولكن إنما يتم **إن ثبت** له على ذلك دليل، وقيل: كان في أوَّل ربيع(١)، [﴿٨١﴾] **وقيل**: إنَّما كان **في سابع عشري شهر رجب**، لما روي عن أبي هريرة: من صام سبعاً وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً، وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بالرسالة(٢).

وقيل: بل كان **في** شهر **رمضان**، قال ابن كثير(٣): وهو المشهور عند(٤) الجمهور.

قال ابن حجر(٥): وهو الرَّاجح لما ذكروه من أنَّه الشّهر الذي جاور فيه في حراء، فجاءه الملك، قال: وعلى هذا يكون سنَّه أربعين(٦) سنة وستة أشهر، ثم اختلف في أيِّ يوم من رمضان؟ فقيل: في سابع عشره، وقيل: سابعه، وقيل: رابع عشريه(٧)، وعند الطيالسي(٨) ما يقتضي أن مجيء جبريل له(٩) في حراء كان في آخر [شهر] رمضان، قال ابن حجر: ولعله الأرجح(١٠).

وقوله: **الطيب** نعت لرمضان، حشو كمل به الوزن، وجمع بعضهم بين كونه في ربيع وفي رمضان، بأنه نبيء برؤيا جبريل في النوم في شهر

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٣٦)، واختاره ابن القيم.

(٢) انظر: «المنتظم» (٢/ ٣٤٩، ط: العلمية)، و«زاد المعاد» (١/ ٧٧، ٧٨)، وحكاه ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٣٥٦)، وانظر: «السبل» (٢/ ٣٠٣).

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٥١٤).

(٤) في «البداية والنهاية»: «عليه».

(٥) «الفتح» (١٢/ ٣٥٦) وقد ذكر كل هذه الاختلافات، وكذا ستجدها في المصادر السابقة جميعها.

(٦) في (ك): «سنة ستة وأربعين».

(٧) في (ك): «عشرته»، وانظر: «السبل» (٢/ ٣٠٣).

(٨) أخرجه الطيالسي (١٥٤٠) من حديث رجل عن عائشة.

(٩) في (ك): «للمصطفى ﷺ».

(١٠) «فتح الباري» (١٢/ ٢٥٦).

مولده، ثم كانت مدتها ستة أشهر، ثم أوحي إليه في اليقظة [﴿٨٢﴾] **قال له** جبريل: **اقرأ**، يقول: له ذلك ثلاث مرات، **وهو** ﷺ **في المرار** بكسر الميم، الثلاث **يجيب** جبريل **نطقاً** باللسان: **ما أنا بقارئ** ما نافية، إذ لو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء، وإن حكى الأخفش⁽¹⁾ جوازه فهو شاذ، فالباء مزيدة، لتأكيد النّفي؛ أي: ما أحسن القراءة، فلمَّا قال ذلك ثلاثاً قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]؛ أي: لا تقرأه بقولك ولا بمعرفتك، بل بحول الله وقوَّته وإعانته فهو يُعلِّمك كما خلقك، وكما نزع منك علقة الدم ومغمز الشّيطان في الصّغر، وعلَّم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية.

وقول بعضهم: هذا التّركيب وهو قوله: ما أنا بقارئ يفيد الاختصاص ردَّه الطيبي⁽²⁾ بأنّه إنما يفيد التّقوية والتّأكيد والتّقدير: لست بقارئ البتّة، وأجاب أبو شامة⁽³⁾ عن حكمة تكرار ذلك، بأنه يحمل قوله:

أولاً: ما أنا بقارئ على الامتناع.

وثانياً: على الإخبار بالنَّفي المحض.

وثالثاً: على الاستفهام.

ويؤيِّده أنَّ في رواية أبي الأسود عن عروة أنَّه قال: **«كيف أقرأ»**⁽⁴⁾.

وقيل: إنما كرره إشارة إلى انحصار الإيمان الذي الوحي بسببه في ثلاث: القول والعمل والنية، وأنَّ الوحي يشتمل على ثلاث: التّوحيد والأحكام والقصص⁽⁵⁾.

---

(١) كما في «الفتح» (١/ ٢٤).

(٢) كما في «الفتح» أيضاً (١/ ٢٤).

(٣) كما في «الفتح» (١/ ٢٤).

(٤) كما في «الفتح» (١/ ٢٤).

(٥) «السبل» (٢/ ٣٢١).

[﴿٨٣﴾] **فغطه** بغين معجمه [مفتوحة] وطاء مهملة، وفي رواية الطَّبري: بمثناة فوق؛ أي: ضمه وعصره، والغط حبس النَّفَس بالتحريك، ومنه غطَّه في الماء أو أراد غمه، ومنه الخنق، ويؤيده ما في «مسند أبي داود الطيالسي» بسندٍ حسن: «**فأخذ بحلقي**» **ثلاثة حتى بلغ منه ﷺ الجهد**، ولفظ البخاري: «**حتى بلغ مني الجهد**»(١) روي بالفتح وبالنصب؛ أي: بلغ [الجهد] الغط غاية الوسع، وروي بالضم وبالرفع؛ أي: بلغ الجهد مبلغه(٢).

فاشتد بشين معجمه؛ أي: قوي وصلب جسمه على الحركة، **[لذاك] وانصبغ** شبهه بالثّوب المصبوغ إذا قوي بالشّمس، وحكمة الغط شغله عن الالتفات لشيء آخر، أو لإظهار الشّدّة والجد في الأمر إيذاناً بثقل القول الذي سيلقى عليه، فهو مقدمة لما يحصل له من الكرب عند نزول القرآن، وذلك وإن كان في علم الله حاصل، لكن أراد إبرازه للظاهر بالنّسبة للمصطفى ﷺ، وكرّره مبالغة في التّنبيه، ففيه: أنَّه ينبغي للمعلم الاحتياط في تنبيه المتعلّم وأمره بإحضار قلبه.

وقيل: إشارة إلى التّشديدات الثّلاث التي(٣) حصلت له: الحصر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ١٩٩): «وَأَمَّا الْجَهْدُ فَيَجُوزُ فَتْحُ الْجِيمِ وَضَمُّهَا لُغَتَانِ وَهُوَ الْغَايَةُ وَالْمَشَقَّةُ وَيَجُوزُ نَصْبُ الدَّالِ وَرَفْعُهَا فَعَلَى النَّصْبِ بَلَغَ جِبْرِيلُ مِنِّي الْجَهْدَ وَعَلَى الرَّفْعِ بَلَغَ الْجَهْدُ مِنِّي مَبْلَغَهُ وَغَايَتَهُ وَمِمَّنْ ذَكَرَ الْوَجْهَيْنِ فِي نَصْبِ الدَّالِ وَرَفْعِهَا صَاحِبُ التَّحْرِيرِ»، وقال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٢٤): «وَالْجَهْدُ بِالْفَتْحِ الْمَشَقَّةُ قَالَ النَّوَوِيُّ وَالضَّمُّ لُغَةٌ فِي الْمَشَقَّةِ أَيْضاً وَكَذَا حَكَاهُ عِيَاض عَن ابن دُرَيْدٍ وَقَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ بِالضَّمِّ الطَّاقَةُ وَبِالْفَتْحِ الْمَشَقَّةُ فَيَتَعَيَّنُ الْفَتْحُ هُنَا بِخِلَافِ لَفْظِ الْجَهْدِ الْمَاضِي فِي حَدِيثِ بَدْءِ الْوَحْيِ حَيْثُ قَالَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ فَإِنَّهُ مُحْتَمِلٌ لِلْمَعْنَيَيْنِ».

(٣) في (غ): «والذي» والصواب ما أثبت.

في الشِّعب، وخروجه إلى الهجرة وما جرى يوم أُحد.

وفي الإرسالات الثَّلاث إشارة إلى حصول الفرج عقب الثَّلاث(١).

ونقل ابن حجر عن بعض معاصريه(٢): أنَّ هذا من خصائصه إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء عليهم السَّلام، أنه وقع له عند ابتداء الوحي بمثله(٣).

وفيه نظر؛ إذ الخصوصيَّة لا تثبت بمثل ذلك.

واختُلف في أوَّل ما نزل(٤)، ففي «الصحيحين»(٥) و[غيرهما]: أنّ

---

(١) «الروض» (٢/ ٤٠٥)، وانظر: «السبل» (٢/ ٣٢٢).

(٢) «الفتح» (٣/ ٣٩٩).

(٣) «السبل» (٢/ ٣٢١).

(٤) قال في «النور»: فائدة:
في قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]: دليل للجمهور سلفاً وخلفاً، وهو الصواب أنّه أول ما نزل من القرآن، وقول من قال: إن أوَّل ما نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ [المدثر] فيما يتعلَّق بالإندار، أو بعد قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ عملاً بالرواية الآتية، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾، أو على أنه أول ما نزل بعد فترة الوحي كما هو ظاهر إيراده.
قال النّووي في «شرحه لمسلم» (٣/ ٣٩٩): ليس بشئ يعنى في أنه أول ما نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ وأبعد من قال: إن أول ما نزل من القرآن الفاتحة، بل هو شاذ.
قال النّووي: وبطلانه أظهر من أن يذكر غريبة.
نقل بعض المشايخ عن عطاء بن أبي مسلم أن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾ نزلت قبل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ انتهى.
وذكر أيضاً شيخنا أنَّ مجاهداً زاد ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾، فبقي في المسألة خمسة أقوال: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ إلى ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، أو ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، أو ﴿ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾، أو﴿نٓۚ﴾، أو الفاتحة.
فائدة ثانية: أول سورة نزلت بالمدينة ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾، كما نقله بعض مشايخي.

(٥) «صحيح البخاري» (٣)، ومسلم (١٦٠).

أوَّل ما أنزل عليه أوَّل سورة العلق كما قال: [﴿٨٤﴾] **أقرأه جبريل أول العلق**: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

قراءة حصل بها **كما له** حين **به نطق**، وحكمة هذه الآيات، بالأوّليَّة أنّ فيها براعة الاستهلال، واشتمالها على مقاصد القرآن التي هي علم التّوحيد والأحكام والأخبار، وتضمَّنها أطوار الآدمي من الخلق والتعليم والإفهام، [﴿٨٥﴾] **وكون ذا هو الأول** فيما أنزل من القرآن **فهو الأشهر** عند المحقِّقين، وأكثر أهل العلم من الصحب والتابعين وتابعيهم.

وقال النّووي(١): إنّه الصّواب الذي عليه جماهير السّلف والخلف. روى الكلبي من حديث ابن عباس ﵄: أن خديجة ﵂ صنعت طعاماً ثم أرسلت إلى المصطفى ﷺ فلم تجده بحراء، فأرسلت [إليه] في طلبه، فبينا هي كذلك إذ أتاها، فقالت(٢): ما أراك؟ قال: **أرأيتك هذا الذي كنت أحدثك، إني سمعته فقد والله بدا لي، بينا أنا قائم على جبل حراء إذ أتاني آت، فقال: أبشر فأنا جبريل أرسلت إليك، وأنت(٣) رسول هذه الأمة، ثم أخرج لي قطعة نمط(٤)**، وقال: اقرأ، **فقلت: ما قرأت شيئاً قط ولم أر شيئاً أقرأه، فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ **إلى** ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، **ثم نزل عن الجبل، فنزلت معه إلى قرار الأرض فأجلسني على درنوك(٥)، وعليه ثوبان أخضران، فأجلسني عليه ثم ضرب برجله الأرض، فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمرني فتوضأت مثل وضوئه ثم صلَّى ركعتين وصلَّيت معه.**

---

(١) «شرح مسلم» (٢/ ١٩٩).

(٢) في (غ): «فقال» وهو خطأ.

(٣) في (ك): «وإنك».

(٤) في حاشية (غ): «اللوحة والورقة».

(٥) في حاشية (غ): «الذال المعجمة والراء والنون والواو والكاف كالقوجة والبرانس»، وفي حاشية (ك): «ضرب من الثياب».

وقيل: بل أوّل ما نزل سورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾، لما رواه مسلم(١) عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «**جاورت بحراء فلمَّا قضيت جواري هبطت، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، فنظرت عن يساري فلم أر شيئاً، فنظرت من خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فإذا الملك بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دثّروني وصبُّوا عليَّ ماءً بارداً**»، فنزلت [هذه الآية]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾(٢).

[﴿٨٦﴾] **وقيل: بل** أول ما نزل **فاتحة الكتاب**، لما رواه البيهقي(٣)، مرسلاً: أنَّ خديجة رضي الله عنها قالت لأبي بكر: يا عتيق اذهب بمحمد إلى ورقة، فذهب به إليه فقال له: «**إذا خلوتُ وحدي سمعت نداءً خلفي: يا محمد فأنطلق هارباً**»، فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع، [ثم ائتني] ثم أخبرني، فلما ناداه ثبت، فقال له: قل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٢] إلى آخرها، قل: لا إلـه إلا الله، فأتى ورقة فأخبره، فقال: أبشر فأنا أشهد بأنك الذي بشَّر به عيسى ابن مريم، وأنّك على مثل ناموس موسى وعيسى وأنّك نبي مرسل، [وأنّك] تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، وإن أدركت ذلك لأجاهدنَّ معك(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (٢٥٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) في حاشية (ك): «وجمع بين هذا القول وما قبله بشأن سورة العلق نزلت أولاً قبل كل شيء، وسورة المدثر بعد فترة الوحي؛ فهي أولى باعتبار ذلك» انتهى.

(٣) في «دلائل النبوة» (٢/١٥٨)، ثم قال البيهقي: فهذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾. والله أعلم.

(٤) قال الترمسي في شرحه: وزيد قول رابع: أنّ أوّل ما نزل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، لخبر ابن جرير عن ابن عباس قال: أوّل ما نزل جبريل على النبي ﷺ قال: يا محمد استفد قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم. =

والأول هو الأقرب للصواب: بل قال النّووي(١): بأنَّ القول بأنَّ أوّل ما نزل المدثر ليس بشيء.

قال ابن حجر: وشذّ صاحب «الكشّاف» حيث قال: إنَّ أكثر المفسِّرين على أنَّ أوّل ما نزل الفاتحة(٢)، قال: وهو وهم بلا شك(٣).

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، [﴿٨٧﴾] **جاء إلى زوجته** صدّيقة النّساء **خديجة** بنت خويلد الأمينهْ على وحي الله وأمر رسوله؛ لأنها كانت صاحبة سره لما رأى من صدقها وأمانتها يقُصُّ عليها، **ويشكو لها ما قد رآه**، وما قال له جبريل **حينه**؛ أي: في حينه ذلك، ويقول: والله لقد خشيت على نفسي(٤)، [﴿٨٨﴾] **فثبَّتته** بأن قالت له: اثبت يا ابن عم وأبشر، فوالذي نفسي بيده، إنِّي لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة، إنّك لتصل الرّحم وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم، وتقري الضّيف وتعين على نوائب الحق(٥) **إنها** كانت **موفقةْ** بتوفيق الله [تعالى] إياها.

فمن ذلك(٦): أنَّها **أول من قد آمنت** بالله ورسوله من النَّساء كما

= لكن قال الجلال السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن» (١/ ١٦٥، ط: مركز الدراسات القرآنية): وعندي أنّ هذا لا يعد قولاً براسه. فإنه يلزم من نزول السورة، نزول البسملة معها. فهي أول آية نزلت على الإطلاق.

(١) «شرح مسلم» للنووي (٢/ ١٩٩).

(٢) تفسير الكشاف (٦/ ٤٣، ط: العبيكان) عند تفسيره لسورة العلق.

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٧١٤، ط: دار المعرفة).

(٤) قال الترمسي: قال شيخ شيوخنا: وقوله ﷺ لخديجة: «لقد خشيت على نفسي»، ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة، لكنَّه لعلَّه خشي أن لا تتحمَّل قوَّته مقاومة الملك، وأعباء الوحي بناء على أنَّه قال ذلك بعد لقاء الملك، وإرساله إليه بالنبوَّة، فإنّ للنبوَّة أثقالاً لا يستطيع حملها إلّا أولو العزم من الرسل. اهـ.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٥٣).

(٦) «فتح الباري» (١/ ٢٤).

يأتي، وبما جاء به من القرآن حال كونها **مصدِّقةً** بما أتى به فقامت بأعباء الصّديقيَّة، واستدلَّت بما فيه من الصّفات المرضيّة والأخلاق الزّكيَّة، والشِّيم العليَّة⁽¹⁾ على نبوَّته، وعلمت بكمال عقلها وفطنتها، أنَّ الأعمال الصَّالحة الكاملة والأخلاق الشَّريفة الفاضلة، والشّيم السّامية العادلة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده، فمن ركّبه الله على أحسن الصفات، وأفضل الأخلاق، إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه، ومن ركَّبه على أقبح الصِّفات وأسوأ الأخلاق، إنَّما يليق به ما يناسبها، وحكم عكسه عكس حكمه، وبهذا العقل الكامل والصّديقيّة، استحقَّت أن يُرسل من ربِّها إليها السَّلام منه مع رسوليه جبريل ومحمد عليهما الصَّلاة والسَّلام، وأن تبشّر ببيت في الجنَّة من قصب لا نصب فيه ولا صخب⁽²⁾.

وقوله: «**خشيت على نفسي**» يدل مع قوله: يرجف فؤاده على انفعال حصل له من مجيء الملك، ومن ثمَّ قال: زمِّلوني.

واختلف في المراد بالخشية المذكورة على اثني عشر قولاً: الجنون، وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة أو الهاجس، أو الموت من شدّة الرُّعب، أو المرض أو دوّامه، أو عدم الصّبر على أذى قومه أو أن يقتلوه، أو مفارقة الوطن، أو تكذيبهم إياه أو تعييرهم إياه⁽³⁾.

قال ابن حجر⁽⁴⁾: وأولى هذه الأقوال بالصَّواب، وأسلمها من الارتياب الثَّالث، ثم اللذان بعده وما سوى ذلك فهو معترض وقول خديجة: كلا، معناه: النَّفي والإبعاد، والكَلّ ـ بفتح الكاف ـ من لا يستقل بأمر.

---

(١) في (ك): «المرضيَّة».

(٢) رواه البخاري (٣٨٢٠) (٧٤٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(١٧٩٢) (٣٨١٩٩)، ومسلم (٢٤٣٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢٤).

(٤) «فتح الباري» (١/ ٢٤).

وقولها(١): وتكسب المعدوم، روي بضم أوله، وعليه قال الخطابي: الصواب المعدم بلا واو؛ أي: الفقير؛ لأنّ المعدوم لا يكسب(٢).

قال ابن حجر(٣): لكن لا يمتنع أن يطلق على المعدم المعدوم؛ لكونه كالمعدوم الميت الذي لا تصرَّف له، والكسب هو الاستفادة، فكأنها قالت: إذا رغب غيرك أن يستفيد مالاً موجوداً، رغبت أنت أن تستفيد رجلاً عاجزاً فتعاونه.

وفي رواية: تكسب بفتح أوله؛ أي: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك فحذف إحدى المفعولين، وقيل: معناه تكسب المال المعدوم،

---

(١) أي: أم المؤمنين خديجة ﵂.
قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٢٠١): «وأَمَّا قولُهَا: (وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ) فهو بفتح التاء، هذا هو الصحيح المشهور، ونقله القاضي عياض عن رواية الأكثرين. قال: ورواه بعضهم بِضَمِّهَا. قال أبو العباس ثَعْلَبٌ وَأَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ وجماعات من أهل اللغة: يقالُ: كَسَبْتُ الرَّجُلَ مَالاً وَأَكْسَبْتُهُ مَالاً لُغَتَانِ أَفْصَحُهُمَا بِاتِّفَاقِهِمْ كَسَبْتُهُ بِحَذْفِ الْأَلْفِ. وَأَمَّا مَعْنَى (تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ) فمن رواه بالضمِّ فمعناه: تُكْسِبُ غيرَك المالَ المعدومَ؛ أي: تعطيه إياه تَبَرُّعاً، فحذفَ أحد المفعولين. وقيل: معناه تعطى الناس ما لا يجدونه عندَ غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق. وأما روايةُ الفتح فقيل: معناها كمعنى الضم، وقيل: معناها: تَكْسِبُ الْمَالَ الْمَعْدُومَ وَتُصِيبُ مِنْهُ مَا يَعْجِزُ غَيْرُكَ عَنْ تَحْصِيلِهِ، وكانتِ الْعَرَبُ تَتَمَادَحُ بِكَسْبِ الْمَالِ الْمَعْدُومِ، لَا سِيَّمَا قُرَيْشٌ، وكان النبي ﷺ مَحْظُوظاً في تجارته، وهذا القول حكاه القاضي عن ثابتٍ صاحب «الدَّلَائِلِ» وهو ضعيفٌ أو غَلَطٌ، وَأَيُّ مَعْنًى لهذا القولِ في هذا الموطنِ إِلَّا أَنَّهُ يُمْكِنُ تصحيحُهُ بِأَنْ يُضَمَّ إليهِ زيادَةٌ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: تَكْسِبُ الْمَالَ الْعَظِيمَ الذي يَعْجِزُ عنه غيرُك ثم تَجُودُ به في وُجُوهِ الخير وأبواب الْمَكَارِمِ».

(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٤). (٣) السابق (١/ ٢٤).

وتصيب منه ما لا يصيب غيرك، وكانت العرب تتمدح بكثرة المال، وقولها: وتعين على نوائب الحق [هي] كلمة جامعة لأفراد ما تقدَّم(١).

[﴿٨٩﴾] **ثم أتت به توْمّ**؛ أي: تقصد به **ورقةَ**(٢) ـ بفتح الواو والراء ـ ابن نوفل ابن عم خديجة ﵄ [وكان] تنصَّر؛ أي: صار نصرانياً، ويكتب الكتاب العبراني(٣)، كما كان يكتب الكتاب العربي لتمكنَّه من الكتابين واللسانين، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت [له] خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له [ورقة]: يا ابن أخي(٤) ماذا ترى؟

فـقص عليه ما رأى فصدَّقه، وقال له: هذا النَّاموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً، [يا] ليتني أكون حيّاً، إذ يخرجك قومك، فقال: **أو مخرجي هم**؟ قال: نعم، لم يأت رجل بما جئت به إلّا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

وقوله(٥): هذا النَّاموس أشار به إلى الملك الذي ذكر المصطفى ﷺ خبره، ونزله منزلة القريب لقرب ذكره، والنَّاموس صاحب السّر، والمراد به هنا جبريل ﵇، وقال: على موسى ولم يقل على عيسى، مع كونه نصرانياً؛ لأن كتاب موسى مشتمل على أكثر الأحكام؛ أو لأن(٦) موسى

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٤).

(٢) البخاري (٣). وقد سبق الكلام على ورقة والاختلاف في كونه صحابي وأنه حضر بعثة النبي ﷺ أم لا؟.

(٣) في (ك) بعدها: «أي: يعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانيَّة، فكان يكتب الكتاب العبراني».

(٤) في حاشية (غ): «الخطاب بقول: يا ابن أخي، وقع على عادة العرب؛ لأنَّهم يقولون للصغير: يا ابن أخي، وليس المراد الأخ الحقيقي».

(٥) هذا الكلام بطوله في «الفتح» (١/ ٢٥، ٢٦).

(٦) في (ك): «ولأن».

بعث بالنِّقمة على(١) فرعون وقومه، بخلاف عيسى، وكذا وقعت النّقمة على يد المصطفى ﷺ بفرعون هذه الأمّة أبي جهل [لعنه الله] ومن معه ببدر، أو قاله تحقيقاً للرّسالة؛ لأن نزول جبريل على موسى متّفق عليه بين أهل الكتابين بخلاف عيسى، فإنَّ كثيراً من اليهود ينكرون نبوَّته. وما تمحَّل له السّهيلي(٢) من أنَّ ورقة كان على اعتقاد النّصارى في عدم نبوّة عيسى، ودعواهم أنَّه أحد الأقانيم(٣)، فلا يعرّج عليه في حق ورقة ونحوه ممن لم يدخل في التّبديل.

على أنه ورد عند الزبير(٤) بن بكّار عن الزهري: عيسى بدل موسى(٥).

وقوله: جذعاً(٦)، روي بالرّفع وبالنّصب خبر كان المقدّرة وقيل(٧): بالنّصب على الحال، والجذع ـ بفتح الجيم والذال المعجمة ـ

---

(١) في (ك): «إلى».

(٢) «الروض» (١/ ٤٠٩).

(٣) في حاشية (غ): «الآلهة».

(٤) في (غ): «ابن الزبير» وهو خطأ والصواب ما أثبت.

(٥) «فتح الباري» (١/ ٢٦).

(٦) في حاشية (ك): «بفتح الجيم والذال المعجمة».

(٧) قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٢٠٣): «وَأَمَّا قَوْلُهُ: جَذَعاً؛ فَهَكَذَا هُوَ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا بالنصب، قال القاضي: ووقع في رواية بن مَاهَانَ جَذَعٌ بِالرَّفْعِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي رِوَايَةِ الْأَصِيلِيِّ فِي الْبُخَارِيِّ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ ظَاهِرَةٌ، وَأَمَّا النَّصْبُ فَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وَجْهِهِ؛ فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ والمازرى وغيرهما: نُصِبَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ الْمَحْذُوفَةِ تَقْدِيرُهُ لَيْتَنِي أَكُونُ فِيهَا جَذَعاً، وَهَذَا يَجِيءُ عَلَى مَذْهَبِ النَّحْوِيِّينَ الْكُوفِيِّينَ.
وَقَالَ الْقَاضِي: الظَّاهِرُ عِنْدِي أَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ وَخَبَرُ لَيْتَ قَوْلُهُ فِيهَا، وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ الْقَاضِي هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ التَّحْقِيقِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنْ شُيُوخِنَا وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، والله أَعْلَمُ».اهـ.

الصَّغير من البهائم، [ثم] تمنَّى أن يكون عند ظهور الإسلام شاباً، ليكون أمكن لنصره، وبه تبيَّن سرَ وصفه بكونه كان كبيراً قد عمي، وفيه دليل على جواز تمنِّي المستحيل إذا كان في فعل خير؛ لأنه تمنَّى أن يعود شاباً وهو مستحيل(١).

قال ابن حجر(٢): ويظهر أن التمنِّي ليس على بابه، بل المراد التنبيه على صحَّة ما أخبر به والتّنويه بقوّة تصديقه.

وقوله: «**أو مخرجيَّ هم؟**»(٣) ـ بفتح الواو وشدّة المثنَّاة تحت(٤) وفتحها ـ جمع مخرج، فهم مبتدأ مؤخر ومخرجيَّ خبر مقدَّم، [و]استبعد المصطفى ﷺ أن يخرجوه؛ لعدم السبب المقتضي للإخراج(٥)، لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق، التي تقدَّم من خديجة وصفها.

وقوله: إلَّا عُودي؛ بيّن به أنّ علَّة ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم، ولأنّه علم من الكتب أنَّهم لا يجيبونه، فيلزم مناوأتهم فتنشأ العداوة. وقوله: وإن يدركني يومك؛ إن شرطيّة وما بعدها مجزوم، وقوله(٦): مؤزر؛ [بالهمز]؛ أي: قويّاً من الأزر، وهو القوّة، وأنكر القزّاز(٧) أن يكون في اللغة مؤزّرا من الأزر.

قال أبو شامة: ويحتمل أنه أشار به إلى تشميره في نصرته(٨).

[﴿٩٠﴾] **فهو الذي آمن** بما أخبر به المصطفى ﷺ **بعد** بالضّم أصله بعد خديجة، فحذف المضاف إليه وبني على الضم، **ثانياً** فهو ثاني

---

(١) في (ك): «محال».
(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٦).
(٣) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٢/ ٢٠٤)، «فتح الباري» (١/ ٢٦).
(٤) في (ك): «وبشد الياء».
(٥) في (ك): «لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج».
(٦) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٢/ ٢٠٤).
(٧) كذا في (غ) و(ك)، وفي بعض النسخ: «الفراء».
(٨) «فتح الباري» (١/ ٣٧) حيث نسبه لأبي شامة.

من آمن به فإنّه في بعض الرِّوايات، قال: لما أخبره المصطفى ﷺ بما رأى: أشهد أنك الذي بشَّر به ابن مريم، وأنّك نبي مرسل(١).

ولهذا ذكره البغوي والطّبري وابن قانع وابن السّكن وغيرهم في الصّحابة(٢).

وكان برّاً بفتح الموحدة، **طائعاً صادقاً مواتياً**؛ أي: مصدِّقاً مواقعاً لما أخبره به المصطفى ﷺ، [﴿٩١﴾] **والصادق المصدوق** رسول الله **قال: «إنه رأى له** - أي: - لورقة **تخضخضاً**؛ أي: تحركاً واضطراباً في الجنة حين اطلع فيها»(٣).

وروى البزّار والحاكم وابن عساكر: «**لا تسبُّوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين**»(٤).

وفي مسند أبي يعلى عن جابر رضي الله عنه أنَّ المصطفى ﷺ سئل [عنه] فقال: «**أبصرته في بطنان**(٥) **الجنة وعليه السندس**»(٦).

---

(١) «جمهرة نسب قريش» للزبير (ص٤٠٨)، و«السبل» (٢/ ٣٢٦).

(٢) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٦/ ٤٧٤) ترجمة رقم (٩١٥١) حيث ذكره في الصحابة، وذكر من ذكره. وانظر: «السبل» (٢/ ٣٢٦).

(٣) انظر: «تجريد أسماء الصحابة» (٢/ ١٢٨، ط: دار المعرفة).

(٤) أخرجه البزار (٢٧٥٠، كشف الأستار، ط: مؤسسة الرسالة)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٩)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وابن عساكر في «تاريخه» (٦٣/ ٢٤). وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٣): «وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة. وهذا إسناد جيد».

(٥) في حاشية (غ): «أي: وسطها».

(٦) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤/ ٤١) وضعف إسناده حسين سليم أسد، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٣/ ٢٢)، و«كشف الأستار» (٣/ ٢٨٢) مناقب ورقة (٣٧٥٣)، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣١٣)، وقال: تفرد به إسماعيل عن أبيه.

=

وروى الزّبير بن بكّار عن عروة بن الزبير رضي الله عنه(١): أنَّ ورقة مرَّ ببلال وهو يعذب لكي يشرك، فيقول: أحد أحد، فقال له ورقة: أحد أحد يا بلال، والله لئن قتلتموه لأتخذنَّه حناناً، فهذا يدلّ على أنّ ورقة عاش حتّى أسلم بلال(٢).

= قال في «المجمع» (٩/ ٤١٦): وقال: رواه أبو يعلى، وفيه مجالد وهذا مما مدح من حديث مجالد، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وله شاهد عند ابن إسحاق في «السيرة» (١١٣)، وأحمد (٢٤٣٦٧)، والترمذي (٢٢٨٨) من حديث أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله عن ورقة بن نوفل؟ وأخبرته بأنه صدَّقك، ومات قبل أن تظهر، فقال ﷺ: «أريته في المنام وعليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار، لكان عليه لباسٌ غير ذلك». وقال الترمذي: «قال هذا حديث غريب وعثمان بن عبد الرحمٰن ليس عند أهل الحديث بالقوي» وضعفه الألباني.

وللبقاعي (ت٨٥٥هـ) كتاب «بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة»، «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» (ص٣٢٢)، وللدكتور عويد المطرفي دراسة بعنوان: «ورقة بن نوفل في بطنان الجنة».

(١) «جمهرة النسب» لمصعب (ص٤١٢)، ونقله ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٢٧) عن سيرة ابن إسحاق.

(٢) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٢١): «وَتمسك ابن الْقَيِّم الْحَنْبَلِيُّ بِقَوْلِهِ فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي فِي بَدْءِ الْوَحْيِ ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ يَرُدُّ مَا وَقَعَ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ إِسْحَاق أَنَّ وَرَقَة كَانَ يَمُرُّ بِبِلَالِ وَالْمُشْرِكُون يُعَذِّبُونَهُ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ فَيَقُولُ أَحَدٌ وَاللهِ يَا بِلَالُ لَئِنْ قَتَلُوكَ لَاتَّخَذْتُ قَبْرَكَ حَنَاناً هَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ وَهْمٌ لِأَنَّ وَرَقَةَ قَالَ وَإِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ حيّاً لَأَنْصُرَنَّكَ نَصْراً مُؤَزَّراً فَلَوْ كَانَ حَيّاً عِنْدَ ابْتِدَاءِ الدَّعْوَةِ لَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَجَابَ وَقَامَ بِنَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ كَقِيَامِ عُمَرَ وَحَمْزَةَ قُلْتُ وَهَذَا اعْتِرَاضٌ سَاقِطٌ فَإِنَّ وَرَقَةَ إِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ فَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيّاً أَنْصُرْكَ الْيَوْمَ الَّذِي يُخْرِجُوكَ فِيهِ لِأَنَّهُ قَالَ ذَلِك عَنْهُ عِنْد قَوْله أَو مخرجي هُمْ وَتَعْذِيبُ بِلَالِ كَانَ بَعْدَ انْتِشَارِ الدَّعْوَةِ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ إِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ لِلْحَبَشَةِ ثُمَّ لِلْمَدِينَةِ مُدَّةٌ مُتَطَاوِلَةٌ».

قال الحافظ ابن حجر(١): والجمع بينه وبين حديث عائشة رضي الله عنها؛ أي: قولها: لم ينشب ورقة أن مات؛ أي: قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر المصطفى ﷺ بالجهاد، ولا يعكِّر عليه ما رواه ابن عائذ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنَّ ورقة مات على نصرانيته؛ لأنَّ في إسناده عثمان بن عطاء وهو ضعيف(٢).

قال بعضهم: والأظهر أنّه مات بعد(٣) النّبوّة وقبل الرّسالة، ثمّ بعد ذلك فتر الوحي(٤)؛ أي: تأخَّر مدَّة من الزّمان ليذهب ما كان وجده من الرّوع، وليحصل له التّشوُّق(٥) إلى العود، وكانت مدّة فترته ثلاث سنين، كما في «تاريخ» أحمد بن حنبل عن الشّعبي، وجزم ابن إسحاق وحكى البيهقي أنَّ مدَّته كانت ستة أشهر(٦).

قال ابن حجر: فعليه فابتداء النّبوّة بالرّؤيا وقع في شهر مولده، وهو ربيع الأوّل بعد إكماله أربعين سنة، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان. قال: وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين، وهي ما بين نزول ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ عدم مجيء جبريل إليه، بل تأخُر نزول القرآن فقط(٧).

كذا ذكره في «الشّرح الصّغير»، ثم قال: ثم راجعت المنقول عن الشّعبي من «تاريخ الإمام أحمد» ولفظه من طريق داود بن أبي هند عن الشّعبي: أنزلت عليه النّبوّة، وهو ابن أربعين، فقرن بنبوّته إسرافيل ثلاث

---

(١) «السبل» (٢/ ٣٢٧) منسوباً لابن حجر.

(٢) «الإصابة» (٦/ ٤٧٦)، وانظر: «الفتح» (١/ ٢٧).

(٣) في (ك): «قبل».

(٤) انظر: الاختلافات في الفترة التي فتر فيها الوحي في: «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٣٩ ـ ٤٢) في كتاب السير فصل في الْفَتْرَةِ الَّتِي انْقَطَعَ فِيهَا الْوَحْيُ.

(٥) في «الفتح»: التشوّف.

(٦) «فتح الباري» (١/ ٢٧).

(٧) «فتح الباري» (١/ ٢٧).

سنين، فكان يعلّمه الكلمة والشّيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، [ثم] قال ابن حجر: فيحسن بهذا المرسل ـ إن ثبت ـ الجمع بين القولين في قدر إقامة المصطفى ﷺ بمكة بعد البعثة، فقد قيل: ثلاث عشرة، وقيل: عشرة، وقد حكى ابن التّين القصّة، لكن وقع عنده ميكائيل بدل إسرافيل، وأنكر الواقدي هذه الرّواية المرسلة، وقال: لم يقرن به إلّا جبريل، وفيه ما فيه؛ لأنَّ المثبت مقدّم على النّافي، وجمع السّهيلي بهذه الرّواية المختلف في مكثه بمكة(١).

قال ابن حجر: لكن يعارض ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ مدّة الفترة كان أيّاماً إلى أربعين يوماً، كما عيّنه في «الزّهر الباسم»(٢)، ولما فتر الوحي حزن لذلك، [قال الزّهري: فتر الوحي فترة فيما بلغنا] فغدا(٣) مراراً ليتردّى(٤) من ذروة شواهق الجبال، وحتّى كان يغدو إلى بئر مرّة وإلى أخرى مرّة يريد أن يلقي نفسه ليهلك، [فبينما هو عامد لبعض الجبال ليلقي نفسه]، فبدا له جبريل، فقال: يا محمد أنت رسول الله حقّاً، فسكن جأشه(٥)، وقرَّت عينه، فرجع وفعل ذلك مراراً(٦)، ثم نزل عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ①﴾، وتتابع الوحي من حينئذٍ.

---

(١) السابق (١/ ٢٧).

(٢) انظر: «الروض» (١/ ٤٢٠)، «السبل» (٢/ ٣٦٣).

(٣) في (ك): «غدا منه».

(٤) في (ك) بعدها: «أي: يلقي روحه».

(٥) في حاشية (غ): «أي: فؤاده».

(٦) «فتح الباري» (١/ ٢٧).

باب قدر إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة بعد البعثة

٩٢ ـ أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ البِعْثَةِ   ثَلاثَ عَشْرَةَ بِغَيرِ مِرْيةِ
٩٣ ـ وَقِيلَ: عَشْراً أَوْ فَخَمْسَ عَشْرَهْ   قَولانِ وَهّنُوهُمَا بِمَرَّةْ
٩٤ ـ وَكَانَ فِي صَلاتِهِ يَسْتَقْبِلُ   بِمَكَّةَ القُدْسَ وَلَكِنْ يَجْعَلُ
٩٥ ـ البَيْتَ مِنْ بَينِ يَدَيهِ أَيْضاً   فِيمَا أَتَى تَطَوَّعاً أَوْ فَرْضاً
٩٦ ـ وَبَعْدَ هِجْرَةٍ كَذَا لِلْقُدْسِ   عَاماً وَثُلْثاً أو وَنِصْفَ سُدْس
٩٧ ـ وَحُوِّلَتْ مَنْ بَعْدِ ذَاكَ القِبْلَةُ   لِكَعْبَةِ الله وَنِعْمَ الجِهَةُ

باب قدر إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة بعد البعثة

وفيه خلاف كثير(١)، فقال قوم: [﴿٩٢﴾] **أقام في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة عاماً** لما روى البخاري في كتاب البعث(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ المصطفى ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، وصحَّحه جمع منهم: عبد الغني(٣)، وأشار النّاظم إلى ترجيحه، بقوله: **بغير مرية**؛ أي: شك.

[﴿٩٣﴾] **وقيل**: إنّه مكث **بمكة عشراً** من السّنين، ينزل عليه القرآن، وهو ما في البخاري أيضاً، في المغازي(٤) وفضائل القرآن(٥) عن

---

(١) ذكر هذا الخلاف: الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٨٣ ـ ٣٨٧) وقال فيه: «واختلف السلف من أهل العلم في مده مقام رسول الله ﷺ بمكة بعد ما استنبئ، فقال بعضهم: كانت مدة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين» ثم ذكر من قال ذلك، وذكر القول الآخر: «أن مقامه كان ثلاث عشرة سنة»، وذكر من قال ذلك أيضاً، ثم ذكر قوله من قال: «إنه لبث فيها خمس عشرة سنة».

(٢) «صحيح البخاري» (٣٩٠٢).

(٣) في «مختصر السيرة النبوية» لعبد الغني المقدسي (ص٦٠، ط: دار بلنسيه) وذكر في ذلك ثلاثة أقوال وصحح أنها كانت ثلاثة عشر سنة.

(٤) «صحيح البخاري» (٤٤٦٤) (٤٩٧٨).

(٥) قال الأجهوري: «والذي ذكره بعض المحقِّقين أنّ البخاري ذكره في باب وفاة النّبيِّ ﷺ وفضائل القرآن. فقال: القول الثاني: عشر سنين، وقد استدلَّ له برواية البخاري في باب وفاة النّبيِّ ﷺ، وفضائل القرآن، من رواية يحيى بن كثير».

عائشة وابن عبّاس ﷺ وجمع بينهما: بأنّه لا منافاة فإنَّ أوّل يوم أوحي إليه فيه يوم الاثنين، فأَسرَّ أمره [نحو] ثلاث سنين ثم أُمر بإظهار دينه، وأنزل عليه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فمن عدَّ من حين حمي الوحي وتتابع، قال: عشراً، ومن عدّ من حين بعثه قال: ثلاثة عشر.

ذكره ابن عبد البر[١] وغيره.

أو؛ أي: وقيل: إنّه أقام بمكة **خمس عشرة** سنة، سبع يرى الضّوء والنّور ويسمع الصّوت، وثمان يوحى إليه، وهو ما في «طبقات»[٢] ابن سعد عن ابن عبّاس ﷺ وهذان **قولان وهَنوهما** بشدَّة الهاء؛ أي: ضَعَّفهما المحدِّثون **بمرّة** بشدّة الرّاء؛ أي: جدّاً، أمّا الأوّل فهو وإن ثبت في الصّحيح أيضاً، فما قبله يرجَّح عليه لكون مع راويه زيادة، وزيادة الثّقة مقبولة، ثم لم يكتف بذلك فحملناه على ما مرَّ.

وأمّا الآخر: فلم يصح فلا يعارض به ما ثبت في الصّحيح، وإنّما يجمع بين حديثين استويا في الرّتبة كما صرَّحوا به.

فإن قلت: إذا كانت رواية أنّه أقام [بمكة] عشراً مقطوعاً بصحّتها، فكيف حكم النّاظم على القول بها بأنه شديد الضّعف؟ قلنا: لا يلزم من الحكم على المدلول بالضّعف الحكم على الدّليل به، فقد يكون الدّليل صحيحاً ولا يعمل به لتقدم غيره عليه، وذلك في مسائل لا تحصى[٣].

---

(١) «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٢٧، ط: دار الفكر).

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١٩١، ط: مكتبة الخانجي) (١/ ٢٢٤، ط: دار صادر)، وأخرجه البيهقي في «سننه الكبرى» (٦/ ٢٠٧، ط: الهندية).

(٣) قال الأجهوري في شرحه على الألفية: وذكر بعض المحققين التوفيق بين القولين الأولين..
قال: قلت: وإذا روى البخاري دليل الأولين عن ابن عباس بأسانيد صحيحة، فلا يلتفت إلى ما روى ابن سعد.اهـ.

[﴿٩٤﴾] **وكان في صلاته كلها يستقبل** مدّة إقامته **بمكة القدس**؛ أي: بيت المقدس ولا يستدبر مع ذلك الكعبة، **ولكن يجعل** [﴿٩٥﴾] **البيت الحرام** [**من**] **بين يديه أيضاً** ويستقبله **في** كل **ما أتى** له في صلاته **تطوعاً** كان **أو فرضاً** مكتوباً أو نذراً، فاستقباله لبيت المقدس أوّلاً كان بمقدم بدنه(١)، واستقباله مع ذلك للكعبة كان بأحد شقَّيه، بحيث يخرج عن استدبارها.

وأصل ذلك ما رواه ابن عبّاس وغيره: أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يصلِّي إلى بيت المقدس، لكنه لا يستدبر الكعبة، بل(٢) يجعلها بينه وبين بيت المقدس.

وأطلق آخرون أنّه كان يصلِّي إلى بيت المقدس(٣).

وآخرون: أنّه كان يصلِّي إلى الكعبة، فلمَّا تحوّل إلى المدينة استقبل المقدس(٤).

وقال ابن حجر(٥): وهذا ضعيف ويلزم منه دعوى النّسخ مرّتين، والأوّل أصح؛ لأنّه يجمع بين القولين، وقد صحّحه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فلذلك جزم به النّاظم رحمه الله.

[﴿٩٦﴾] **وكان بعد هجرة**؛ أي: بعد مهاجرته من مكّة إلى المدينة **كذا**؛ أي: كان يستقبل في صلاته **للقدس** دون مكة، وكان يحب أن يستقبل مكة، فكان وهو بها يمكنه استقبال القبلتين، فلمّا صار بالمدينة لم يجتمع له ذلك، فكان يستقبل القدس فقط، ويحب أن يصرف وجهه إلى الكعبة، فقال لجبريل: «**وددت أنّ الله صرف وجهي عن قبلة اليهود**»،

---

(١) في (ك): «يديه». (٢) في (ك): «ولكن».

(٣) روى مالك في «الموطأ»: «عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ حُوِّلَتْ الْقِبْلَةُ قَبْلَ بَدْرٍ بِشَهْرَيْنِ».

(٤) انظر: «فتح الباري» (١/ ٩٥، ٩٦). (٥) «فتح الباري» (١/ ٩٦).

فقال: إنّما أنا عبد فادع ربك وسله، فجعل يقلّب وجهه في السَّماء يرجو ذلك، حتّى نزل: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(١) الآية [البقرة: ١٤٤]، وكانت مدّة صلاته لبيت المقدس **عاماً وثلثاً** [وهو] ستة عشر شهراً، كما رواه أبو عوانة في «صحيحه»(٢) بغير شك عن ابن إسحاق، وكذا رواه بغير شك مسلم(٣) والنسائي عنه(٤)، وكذا أحمد(٥) بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أو كانت عاماً وثلثاً **ونصف سدس** وهو سبعة عشر شهراً كما في «صحيح البخاري»(٦) في كتاب الإيمان(٧) وغيره(٨) من أنّه صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر بالشك، وروى البزار والطّبراني(٩) من حديث

---

(١) «الطبقات» (١/ ٢٠٨) من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما.

(٢) «مستخرجه» (١١٦٢، ط: دار المعرفة) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٥٢٥) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٤) في «المجتبى» (٤٨٨، ٤٨٩) و«الكبرى» (٩٤٧، ٩٤٨، ١٠٩٣٣، ١٠٩٣٦، ط: الرسالة).

(٥) في «مسنده» (٢٢٥٢) (٢٩٩١) (٣٣٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، و(١٨٤٩٦) (١٨٥٣٩) (١٨٧٠٧) عن البراء رضي الله عنه.

(٦) روى البخاري (٧٢٥٢): عن الْبَرَاءِ قال: لَمَّا قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْراً - وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٤] فَوُجِّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ.

(٧) «صحيح البخاري» (٤٠) (٣٩٩) (٤٤٨٦) (٤٤٩٢) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٨) في (ك): «والصلاة».

(٩) أخرجه البزار في «مسنده» (٣٣٩٩)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٦٦) (١١٧٥١) بالشك و(١٧/ ١٨ رقم ١٧) من غير شك.

عمرو بن عوف، والطّبراني عن ابن عباس ﵄: سبعة عشر بغير[١] شك.

وجمع الحافظ ابن حجر بين الروايات[٢]، بأن من جزم بستة عشر لفّق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً، وألغى الأيام الزائدة، ومن جزم بسبعة عشر عدّهما معاً، ومن شك تردَّد في ذلك، وذلك أنَّ القدوم كان في ربيع الأول بلا خلاف.

وكان التّحويل في نصف رجب من السّنة الثّانية على الصّحيح.

وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس ﵄ ووردت أقوال أُخرى، فروى ابن ماجه[٣] عن ابن إسحاق ثمانية عشر شهراً.

وخرَّجه بعضهم على قول ابن حبيب: إنّ التّحويل كان في نصف شعبان، وهو الذي ذكره في «الروضة»[٤] وأقرَّه مع كونه رجَّح في «شرحه» لمسلم رواية ستة عشر شهراً؛ لكونها مجزوماً بها في رواية مسلم، ولا يستقيم أن يكون ذلك في شعبان، وقد جزم ابن عقبة بأنَّ التحويل كان في جمادى الآخرة، ومن الشاذ رواية ثلاثة عشر شهراً، ورواية [تسعة أشهر أو عشرة]، ورواية شهرين ورواية سنتين.

قال ابن حجر: وهذه الأخيرة، يمكن حملها على الصّواب، وأسانيد الكل ضعيفة، والاعتماد على الأوّل[٥].

[﴿٩٧﴾] وحولت من بعد ذاك القبلة من بيت المقدس لكعبة الله ونعم الجهة.

---

[١] في (ك): «من غير».

[٢] في (ك): «الروايتين».

[٣] «سنن ابن ماجه» (١٠١٠).

[٤] قال النووي في «روضة الطالبين» (١٠/٢٠٦، ط: المكتب الإسلامي): «السنةُ الثانية: فيها حُوِّلَتِ القِبْلَةُ إلى الكعبة، قال محمد بن حَبِيبٍ الْهَاشِمِيُّ: حُوِّلَتْ في الظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان».

[٥] من قوله: كما رواه أبو عوانة إلى هنا ذكره ابن حجر في «الفتح» (١/٩٦، ٩٧).

باب ذكر السّابقين إلى الإسلام

٩٨ ـ مِنَ الرِّجَالِ ابنُ أَبِي قُحَافَةِ   قَالَ بِهِ حَسَّانُ فِي القَصِيدَةِ
٩٩ ـ وَعِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الأُولَى   وَفَّوْا وَتَابِعُوهُمْ مِمَّنْ تَلا
١٠٠ ـ خَدِيجَةَ اذْكُرْ أَوَّلَ النِّسْوَانِ   عَلِيّاً اعْدُدْ أَوَّلَ الصِّبْيَانِ
١٠١ ـ وَعُمْرُهُ ثَمَانٍ أو مُعَشَّرُ   أَوْ سِتٌّ أو خَمْسٌ وَقِيلَ: أَكْثَرُ
١٠٢ ـ مِنَ الموَالِي زَيدُ بنُ حَارِثَهْ   كَانَ مُجَالِساً لَهُ مُحَادِثَهْ
١٠٣ ـ عُثْمَانُ وَالزُّبيرُ وَابْنُ عوفِ   طَلْحَةُ سَعْدٌ أَمِنُوا مِنْ خوفِ
١٠٤ ـ إِذْ آمَنُوا بِدَعْوَةِ الصِّدِّيقِ   كَذَا ابنُ مَظْعُونٍ بِذَا الطَّرِيقِ
١٠٥ ـ ثُمَّ أَبُو عُبَيدَةٍ وَالأَرْقَمُ   كَذَا أَبُو سَلَمَةَ المكَرَّمُ
١٠٦ ـ وَابنُ سَعيدٍ خَالِدٌ قَدْ أَسْلَمَا   وَقِيلَ: بَلْ قَبْلَهُم تَقَدَّمَا
١٠٧ ـ كَذَا ابنُ زَيدٍ أَيْ سَعِيدٌ لامِرَا   وَزَوْجُهُ فَاطِمَةُ اخْتُ عُمَرَا
١٠٨ ـ كَذاكَ عَبدُ اللَّه مَعَ قُدَامَةْ   هُمَا لَمظْعُونٍ سَعِيدا الهَامَةْ
١٠٩ ـ وَحَاطِبٌ حَطَّابٌ ابْنَا الحَارِثِ   أَسْمَاءُ عَائِشْ وَهِيَ غيرُ طَامِثِ
١١٠ ـ كَذَا ابنُ إِسْحَاقَ بِذَاكَ انْفَرَدَا   وَلَمْ تَكُنْ عَائِشُ مِمَّنْ وُلِدَا
١١١ ـ فَاطِمَةٌ فُكَيهَةُ الزَّوْجَانِ   تِلكَ لِذَاكَ هَذِهِ لِلثَّانِي
١١٢ ـ عُبَيدَةُ بنُ حَارِثٍ خَبَّابُ   ابنُ الأَرَتِّ كُلُّهُمْ أَجَابُوا
١١٣ ـ كَذَا سَلِيطٌ وَهْوَ ابنُ عَمْرِو   وَابنُ حُذَافَةَ خُنَيسٌ بَدْرِي

١١٤ ـ وَابْنُ رَبِيعَةَ اسْمُهُ مَسْعُودُ   وَمَعْمَرُ بْنُ حَارِثٍ مَعْدُودُ
١١٥ ـ وَوَلَدَا جَحْشٍ هُمَا عَبْدُ اللَّه   كَذَا أَبُو أَحْمَدَ عَبْدٌ أَوّاهْ
١١٦ ـ كَذَا شَبِيهُ المصْطَفَى أيْ جَعْفَرُ   أَسْمَاءُ زَوْجُهُ الحَلِيفُ عَامِرُ
١١٧ ـ عَيّاشٌ اعْنِي ابْنَ أَبي رَبِيعَةِ   وَزَوْجُهُ اسْمَا إِلَى سَلامَةِ
١١٨ ـ نُعيمٌ النَحّامُ أيْضاً حَاطِبُ   وَهْوَ ابنُ عَمْرٍو وَكَذاكَ السَّائِبُ
١١٩ ـ أيْ ابنُ عُثْمَانَ بنِ مَظْعُونٍ ذُكِرْ   أَبُوهُ مَعْ مُطَّلِبِ ابْنِ أزْهَرْ
١٢٠ ـ وَزَوْجُهُ رَمْلَةُ مَعْ أُمينَهْ   بِنْتِ خَلَفْ لِخَالِدٍ قَرِينَهْ
١٢١ ـ مَضَى اسْمُهُ عَمّارٌ بْنُ يَاسِرِ   وَابنُ فُهَيرَةَ اسْمِهِ بِعَامِرِ
١٢٢ ـ أَبُو حُذَيفَةَ صُهَيبٌ جُنْدُبُ   وَهْوَ أَبُوْ ذَرٍّ صَدُوقٌ طَيِّبُ
١٢٣ ـ وَقَالَ: إِنِّي رَابِعٌ لأرْبَعَهْ   مِنْ تَابِعِي النَّبِيِّ أَسْلَمُوا مَعَهْ
١٢٤ ـ كَذَا أُنَيسٌ أَخُهُ قَدْ أَسْلَمَا   ثُمَّتَ بَعْدُ أَسْلَمَتْ أُمُّهُمَا
١٢٥ ـ كَذَا ابنُ عَبْد الَّلهِ وَهْوَ وَاقِدُ   كَذَا إِيَاسٌ عَاقِلٌ وَخَالِدُ
١٢٦ ـ وَعَامِرٌ أَرْبَعَةٌ بَنُو البُكَيْرْ   وَابنُ أَبِي وَقَّاصٍ اسْمُهُ عُمَيْرْ
١٢٧ ـ كَذاكَ بِنتُ أَسَدٍ فَاطِمَةُ   كَذاكَ بِنتُ عَامِرٍ ضُبَاعَةُ
١٢٨ ـ عَمْرٌو أبُو نَجِيحَ فِيهِمْ مَعْدُودْ   عُتْبَةُ عَبْدُ اللَّه نَجْلا مَسْعُودْ

باب ذكر السّابقين إلى الإسلام

أي: الّذين دخلوا في هذا الدِّين عند ابتداء الدَّعوة، وقد اختلف في أوَّل من أسلم، وجمع ابن الصّلاح بين الأقوال وتبعه المحب الطَّبري⁽¹⁾ بأنّ الأوَّل [﴿٩٨﴾] **من الرجال** الأحرار: الصّدّيق الأكبر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن تيم⁽²⁾ بن مرة، أبو بكر **بن أبي قحافة** القرشي التّيمي⁽³⁾ رضي الله عنه الملقَّب بعتيق لحسن وجهه، أو لأنّه عتيق من النّار، أو لأنّه لم يكن في نسبه شيء يعاب، فهو أوّل من أسلم من الرِّجال الأحرار مطلقاً، كما **قال به حسان** بن ثابت الأنصاري **في القصيدة** اللّاميّة الّتي منها⁽⁴⁾:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْواً مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاها وَأَعْدَلَهَا بَعْدَ ... النَّبِيِّ وَأَوْلَاهَا بِمَا حَمَلَا

---

(١) في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (ص١/ ٧٧، ٧٨، ط: دار المعرفة).

(٢) في (غ) و(ك): «تميم»، والصواب ما أثبت.

(٣) في ترجمة أبي بكر الصّدّيق ينظر «أسد الغابة» (٣/ ٢٠٥)، و«الإصابة» (٥/ ١٥١)، و«الرياض النضرة» (ص٦٣)، و«السبل» (٢/ ٤٠١) وغيرها.

(٤) «ديوان حسان بن ثابت» (١٧٩، ١٨٠، ط: دار الكتب العلمية) وفيه:

إذا تذكرتَ شجواً من أخي ثقةٍ ... فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فعلا
التاليَ الثانيَ المحمودَ شيمتهُ، ... وأولَ الناسِ طُراً صدَّقَ الرُّسُلا
والثانيَ اثنينِ في الغارِ المُنِيفِ، وقدْ ... طافَ العَدُوُّ بهِ إذْ صَعَّدَ الجَبَلا
وكان حبَّ رسولِ اللّهِ قد عَلِمُوا ... من البَرِيّةِ لَمْ يعدِلْ بهِ رَجُلا
خَيرُ البَرِيّةِ أتقاها وأرْأفُها ... بَعْدَ النبيّ، وأوْفاها بما حَمَلا

الثاني التَّالي الْمَحْمُودَ مَشْهَدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلَا(١)

أخرج البيهقي عن ابن إسحاق: إنّه لقي المصطفى ﷺ، فقال: أحقٌّ ما يقول قريش يا محمد؟ من تركك آلهتنا وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا.

قال: «**بلى إنّي رسول الله بعثني أبلِّغ رسالته، وأدعوك إلى الله وحده...**»(٢)، وقرأ عليه القرآن، فأسلم وما تلعثم، ثم رجع إلى أهله مؤمناً، وكان من أسباب توفيق الله إيّاه: أنّه رأى قبل ذلك أنَّ القمر نزل إلى مكة، ثم تفرَّق على جميع دورها، فدخل في كلِّ بيت منه شعبة، ثم كان كلّه في حجره، فعُبِّرت له بأنَّه يتبَّع النّبي المنتظر(٣)، ويكون أسعد النّاس به، فلمّا دعاه لم يتوقَّف(٤)، وما ذكر من أنّه أوّل من أسلم من الرِّجال هو ما جرى عليه الجمهور.

وقال البلقيني: أوّل من أسلم منهم: ورقة على ما مرَّ، وجرى عليه النّاظم في نكته على ابن الصّلاح(٥)، ولمّا أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٨٦، ت: عوامة) ومن طريقه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ٩٦٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٥٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٤)، وغيرهم عن الشعبي قال: سألت ابن عبّاس أو سئل: أي النّاس كان أوّل إسلاماً..؟ فذكره، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٦/ ٣٦٩)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٠/ ٤١). وانظر: «الروض» (٣/ ٢١)، و«المجمع» (٩/ ٤٣)، وضعَّف إسناده محقّق «المصنف» محمد عوامه، وقال: وأمثل ما وقفت عليه من طريق هذا الخبر: طريق يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٦٣) إلخ.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة النبوية» (ص١٢٠) بقوله: ثم إن أبا بكر لقي... إلخ بدون إسناد، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٦٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٥).

(٣) في (ك): «بأن النبي المنتظر بعثه يتبعه».

(٤) «الروض الأنف» (١/ ٤٣١).

(٥) انظر: «السبل» (٢/ ٤٠٧).

إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله من وثق به من قومه، وممن يغشاه، وكان المصطفى ﷺ يقول: «**ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة، إلا ما كان من أبي بكر ما عَتَمَ**»(١) ـ بالتّحريك ـ أي: ما تحبَّس ولا انتظر ولا عدل عنه حين ذكرته له، ثم تتابع النّاس في الدّخول في الإسلام أرسالاً(٢).

[﴿٩٩﴾] وقد أسلم بعده **عدّة من الصحابة الأُلى** بضم الهمزة المقصورة، يعني الأوّلين الذين **وفّوا** بتشديد الفاء، كذا ضبطه النّاظم بخطه؛ أي: عملوا بما دعاهم إليه أبو بكر ﵁ من الإيمان بالله ورسوله، فإنّه كان رجلاً تاجراً ذا خلق حسن [معروف]، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لأمانته(٣) [وتجارته]، وحسن معاملته فجعل يدعو من وثق به منهم(٤) فأسلم على يده، جمع منهم: عثمان بن عفّان، والزُّبير بن العوَّام، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، وطلحة بن عبيد الله ﵃ [فأتى بهم إلى المصطفى ﷺ حين استجابوا له] فأسلموا(٥).

وأسلم **تابعوهم** بكسر الموحدة، بعد الألف وبإشباع حركة الميم

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة النبوية» (ص١٢٠)، والبيهقي «الدلائل» (٢/ ١٦٤)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٠/ ٤٤)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٣١٣).

والكبوة: الوقفة تكون عند الشيء يكرهه الإنسان يدعى إليه، أو يراد منه، كوقفة العاثر. «لسان العرب» مادة: (كبا).

(٢) قال الأجهوري: أسلم أبو بكر ﵁ وأبوه وابنه وحفيده. ولم يوجد ذلك لغيره قط.

(٣) في (ك): «لعلمه».

(٤) في (ك): «من قومه».

(٥) «الرياض النضرة» (ص١ ـ ٧٩)، وعزاه في تخريجه إلى ابن ناصر السلامي. اهـ. وأخرجه ابن إسحاق في «السيرة النبوية» (ص١٢٠، ١٢١)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ١٦٥). وانظر: «السبل» (٢/ ٤٠٩).

للوزن، أولى من تسكينها، **ممن تلى** أبا بكر في الإسلام، ولمّا أسلم أبو بكر وطلحة رضي الله عنهما أخذهما نوفل بن خويلد بن العدويَّة، فشدَّهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تميم، وكان نوفل هذا يُدعى أسد قريش، فلهذا سُمِّي أبو بكر وطلحة القرينين(١).

[﴿١٠٠﴾] **خديجة** بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي بن كلاب، **اذكر أول النسوان**؛ أي: أذكرها في أول من أسلم من النسوان، بل هي أول من أسلم مطلقاً(٢).

قال ابن عبد البر(٣): اتفقوا على أن خديجة رضي الله عنها أول من آمن مطلقاً.

وقال الابن الأثير: هي أوّل خلق الله إسلاماً بإجماع المسلمين، ولم يتقدَّمها رجل ولا امرأة(٤)، ذكر نحوه(٥) الذَّهبي.

وأخرج البيهقي(٦) عن محمد بن كعب القرظي: أنَّها أوَّل من أسلم من هذه الأمّة.

وأخرج الدُّولابي عن قتادة والزهري: أنّها أوّل من آمن(٧) من النساء والرجال.

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ١٦٦)، و«أسد الغابة» (٣/ ٨٤) لابن الأثير في ترجمة طلحة بن عبيد الله، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢١٤، ط: دار صادر).
وانظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٦)، «السبل» (٢/ ٤٠٩).

(٢) في الحاشية (غ): «أي: لم يسلم قبلها أحد لا من الرجال ولا من النساء».

(٣) «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٠٩٢)، وفيه: «واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء بِهِ ثُمَّ علي بعدها».

(٤) في «الكامل» له (١/ ٦٥٥، ط: دار الكتاب العربي).

(٥) في (ك): «وتبعه عليه».

(٦) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ١٦٥).

(٧) في (ك): «أسلم».

وحكى الثعلبي الإجماع عليه، قال: وإنما الخلاف فيمن أسلم بعدها.

وقال النووي: إنَّه الصّواب عند المحقِّقين(١).

والنّسوان ـ بكسر النون وضمها ـ والكسر أفصح والنّسوة والنّساء أسماء(٢) لجماعة أناث الأناسي، الواحدة امرأة من غير لفظ الجمع.

علياً اعدد أول الصبيان؛ أي: واعدد علياً(٣) [ابن أبي طالب] أمير المؤمنين ﵁ أوّل من أسلم من الصّبيان إجماعاً واختلف في عمره إذ ذاك، فقيل: أسلم [﴿١٠١﴾] **وعمره ثمان** من السنين **أو معشَّر** ـ بفتح العين المهملة وشدة الشين المعجمة؛ أي: وعمره ابن عشر سنين(٤)، **أو ست أو خمس، وقيل: أكثر** من ذلك، فقيل: ابن ثنتا عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة، [وقيل: خمس عشرة سنة] وقيل: ست عشرة(٥).

قال ابن عبد البر(٦): وأصحّ الكل، أنه أسلم وهو ابن ثلاث عشرة، وعلى القول بإسلامه قبل البلوغ اعتد به منه حاله(٧)؛ لأنَّ

---

(١) انظر: «السبل» (٢/ ٤٠٢) فقد ذكر هذه الأقوال.

(٢) في (ك): «اسم».

(٣) بعده في «غ، ف»: «عبد مناف والمغيرة» لكن ضرب عليها الناسخ هناك، فهي مقحمة.

(٤) قاله ابن إسحاق في «السيرة» (ص١١٨)، وفي «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٥): «ثم كان أول ذكر آمن به علي وهو يومئذ ابن عشر سنين».

(٥) انظر: الاختلافات في سِنِّه ﵁ وقت إسلامه في «تاريخ الطبري» (٢/ ٣١٢)، «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٠٩٢ ـ ١٠٩٥).

(٦) «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٠٩٥)، وفيه: «وذكر أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا سريج بْن النعمان، قال: حدثنا الفرات بن السائب، عن مَيْمُون بْن مِهْرَان، عن ابن عُمَر ﵄، قال: أسلم علي بْن أَبِي طالب وَهُوَ ابْن ثلاث عشرة سنة، وتوفي وَهُوَ ابْن ثلاث وستين سنةقال أَبُو عُمَر ﵀: هَذَا أصح مَا قيل فِي ذَلِكَ».

(٧) في (ك): «اعتد به حالتئذ».

الأحكام إذ ذاك كانت منوطة بالتّمييز ولم يعبد وثناً قط⁽¹⁾، وحفظ القرآن وعرضه على المصطفى ﷺ، واختلى بعد موته وكتب كتاباً فيه العلوم الجمّة، حتّى قال ابن سيرين: لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله.

قال ابن إسحاق⁽٢⁾: كان أوّل ذكر آمن من النّاس مطلقاً علي رضي الله عنه كان المصطفى ﷺ، وخديجة رضي الله عنها يصلّيان سرّاً، فجاء علي [بعد ذلك اليوم]، فوجدهما يصليان، فقال: ما هذا؟ قال رسول الله ﷺ: «**هذا دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده، وكفر باللّات والعزّى**».

فقال علي رضي الله عنه: هذا أَمْرٌ [لم] أسمع به قبل اليوم، ولست بقاضٍ أمراً حتى أحدِّث به أبا طالب.

وكره رسول الله أن يفشي عليه سِرَّه قبل أنْ يُستعلن أمره، فقال له: «**إن لم تسلم فاكتم**».

فمكث تلك اللّيلة ثم أَوْقَعَ الله في قلبه الإسلام فأصبح غادياً إلى المصطفى ﷺ، فقال: ماذا عرضتَ عليَّ آنفاً؟ فأعاده فأَسْلَمَ، فمكث يأتيه على خوفٍ من أبي طالب، وكتم إسلامه.

وكان مما أنعم الله به على عليٍّ رضي الله عنه أنه كان في حجر المصطفى ﷺ قبل الإسلام، وذلك أن قريشاً أصابتهم أزمة، وكان أبو طالب ذا عيالٍ [كثيرة]، فانطلق المصطفى ﷺ والعباس رضي الله عنه حتَّى أتياه فقالا: إنّا نريد أن نخفِّف عنك من عيالك حتَّى ينكشف عن النَّاس ما بهم، فقال: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ المصطفى ﷺ

---

(١) انظر: «فيض القدير» (٤/ ٣٥٦) للمؤلف.

(٢) «السيرة» (ص١١٨)، وانظر: «البداية والنهاية» (٤/ ٦١).

عليّاً فضمَّه إليه، والعبَّاس جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل مع المصطفى ﷺ حتى بُعث.

وكان المصطفى ﷺ إذا حضرت الصلاة، خرج إلى شعاب مكة ومعه علي رضي الله عنه يُصلّيان، فعثر عليهما [يوماً] أبو طالب وهما يصليان، فقال: ابن أخي! ما هذا الدِّين الذي تدين به؟ قال: دين الله وملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم عليه السلام بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النَّصيحة، ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه.

قال: لا أستطيع أن أفارق دين آبائي، ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكرهه [ما بقيت](١)، وقال لابنه: أما إنه لم يدْعك إلّا إلى خير فالزمه(٢).

وأخرج أحمد(٣) [عن علي رضي الله عنه: ظهر علينا أبو طالب وأنا أصلي مع المصطفى](٤) فقال: ما هذا؟ فدعاه إلى الإسلام، فقال: ما بالّذي تقول من بأس، ولكن والله لا يعلوني استي أبداً(٥).

وروى البيهقي عن محمد بن كعب القرظي(٦): أوّل ذكرين أسلما أبو بكر وعلي، وأسلم علي قبل أبي بكر، وكان يكتم إيمانه من أبيه حتّى

---

(١) في (ك): «ما دمت حيّاً».

(٢) انظر: «السبل» (٢/ ٤٠٤).

(٣) «مسند أحمد» (٧٧٦).

(٤) ما بين المعقوفتين مقصوص من (غ)، وهو في (ك) وباقي النسخ.

(٥) في حاشية (غ): «أي: في السجود». وانظر: «السبل» (٢/ ٤٠٤).
وفي (ك): «لا تعلوني يا بني أبداً» مكان «لا يعلوني استي أبداً». وهذا الخبر أخرجه الطيالسي (١٨٤)، وأحمد (٧٧٦)، وعزاه في «المجمع» (٩/ ١٢٥) لأبي يعلى والبزار والطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن.

(٦) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٦٣) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ٤٥).

لقيه، فقال: أسلمت؟ قال: نعم، قال: وازر ابن عمك وانصره.

وأخرج الترمذي واستغربه عن جابر: بُعِثَ المصطفى ﷺ يوم الاثنين وصلّى عليٌّ يوم الثّلاثاء[1].

وقيل: أسلمَ خالدُ بن سعيدٍ قبل عليٍّ[2].

وأوّل من أسلم [﴿١٠٢﴾] **من الموالي**: الصَّحابي الجليل حب رسول الله ﷺ **زيد بن حارثةَ** بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن أمرئ القيس بن عامر بن النُّعمان، سُبِيَ [قبل][3] الإسلام واشتراه حكيم بن حزام، ووهبه لعمّته خديجة، فوهبته [خديجة ﵂ للمصطفى ﷺ فأسلم، فلمّا بلغ أباه وعمّه مكانه أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا ابن عبد المطّلب، يا سيِّد قومه، جئناك في ولدنا فامنن، فإنّا ندفع لك الفداء، قال: «**وما ذاك؟**» قال: زيد بن حارثة، قال: «**أو غير ذلك، ادعوه فخيِّروه، فإن اختاركم فلكم، وإلا ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء**[4]»، قالوا: زدتنا على النّصف؛ فدعاه، فقال: «**أتعرفهما؟**» قال: نعم أبي وعمي، قال: «**أنا ممن قد علمت ورأيت محبتي لك فاخترني أو هما**»، قال: ما أختار عليك أحداً أنت مني مكان[5] الأب والعم، قالوا: أتختار العبودية على الحرية؟! قال: رأيت من [هذا] الرّجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً، فلمّا رأى المصطفى ﷺ ذلك[6] خرج به إلى الحجر، فقال: «**اشهدوا أنه ابني أرثه ويرثني**»،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٢٨)، وقال: «وفي الباب عن علي، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث مسلم الأعور، ومسلم الأعور ليس عندهم بذلك القوي». وضعف إسناده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٢٥٣)، والعلامة الألباني.

(٢) انظر: «السبل» (٢/ ٤٠٧).

(٣) من (ك).

(٤) في (غ): «أحداً».

(٥) في (ك): «بمنزلة».

(٦) في (ك): «رأى ذلك المصطفى».

فصار يدعى ابن محمد حتّى نزل: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥](١).

وكان مجالساً له محادثهٔ، وكان تبنَّيه قبل النّبوّة وهو ابن ثمان سنين، وكان المصطفى ﷺ أسنَّ منه بعشرين سنة، وقيل: غير ذلك، قتل زيد يوم مؤتة(٢)، عن نحو ثمان وخمسين [سنة](٣).

ثم أسلم بعد هؤلاء جماعة بينهم(٤) بقوله: [﴿١٠٣﴾] **عثمان** بن عفّان بن أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي، يلتقي مع المصطفى في عبد مناف.

وأمّه: أروى بنت كريز، وأمّها البيضاء عمة المصطفى ﷺ وهو الملقَّب بذي النّورين(٥).

هاجر الهجرتين، وصلّى إلى القبلتين، وزوَّجه المصطفى ﷺ بالابنتين، ولم يجمع بين بنتي نبي من آدم عليه السلام إلى قيام السّاعة سواه.

قام بنفسه وماله في واجب النُّصرة، وجهَّز جيش العُسْرة، واشترى بئر رومة بعشرين ألفاً، وتصدَّق بها على المسلمين، وابتاع المربد(٦)، فوسع به المسجد(٧).

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٠١، ط: دار المعرفة) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه أيضاً في (٣/ ٢٢٥)، وهو شاهد للحديث الماضي، وقوله: «ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن..». أخرجه أحمد (٥٤٧٩)، والبخاري (٤٧٨٢).

(٢) في حاشية (غ): «اسم بلد من جهة الشام».

(٣) في (ك): «عاماً»، وفي ترجمة زيد بن حارثة انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤٢)، و«أسد الغابة» (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢)، و«الإصابة» (٢/ ٤٩٤ ـ ٤٩٨).

(٤) في (ك): «منهم».

(٥) في حاشية (غ): «أي: لكونه تزوّج ابنتي النبي ﷺ واحدة بعد أخرى».

(٦) في حاشية (غ): «المحل الذي يجفف فيه البلح ليصير تمراً».

(٧) في (غ): «فوسع به في المسجد».

سمَّاه المصطفى ﷺ بالأمين وشهد له بالجنة، وبشَّره بالشَّهادة، وعَزَّاه على البلية، ودعا له بالمغفرة، فقال: «**غفر الله لك ما قدمت وما أخَّرت**»⁽¹⁾، وكان يُبَجِّلُهُ ويعظّمه، ويذكر أن الملائكة تستحيي منه⁽٢⁾.

قُتِلَ شهيداً في داره يوم الجمعة ثامن عشري الحجة⁽٣⁾ سنة خمس وثلاثين عن نحو ثمانين سنة⁽٤⁾.

والزبير قاتل الأبطال وباذل الأموال، صاحب السّيف الصّارم والرّأي الحازم، أبو عبد الله بن العوّام ـ بشدة الواو ـ ابن خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي القرشي الأسدي، حواري⁽٥⁾ المصطفى ﷺ وابن عمّته، وأحد العشرة [وأحد الأعلام البدريين] هاجر الهجرتين، وأسلم وهو ابن ستة عشر سنة⁽٦⁾.

وهو أوَّل من سلَّ سيفاً في سبيل الله، ولم يتخلَّف عن غزوة غزاها المصطفى ﷺ، وفيه يقول حسَّان رضي الله عنه⁽٧⁾:

فكم كربةٍ ذبّ الزبيرُ بسيفهِ   عن المصطفى واللَّه يُعطي فيُجزلُ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٧٢٢) من حديث حسَّان بن عطيّة: أنّ النبي ﷺ قال لعثمان: «**غفر الله لك ما قدَّمت وما أخرَّت، وما أسررت وما أعنلت وما أخفيت وما أبديت، وما هو كائن إلى يوم القيامة**». وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وابن عساكر في «تاريخه» (٧/ ٤٩٣) من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) إشارة إلى قول النبي ﷺ ـ فيما رواه مسلم (٢٤٠١) ـ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**».

(٣) في حاشية (غ): «سابع عشر ذي الحجة».

(٤) في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه: «الاستيعاب» (٣/ ١٠٣٧ ـ ١٠٥٣)، و«أسد الغابة» (٣/ ٥٧٨ ـ ٥٨٦)، و«الإصابة» (٤/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩).

(٥) في حاشية (غ): «أي: ناصره».

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٨٣٣) (٣٤٥٥٥) (٣٧٧٥٢).

(٧) «ديوان حسان» (ص١٩٩) وهو من الطويل.

فما مثلَهُ فيهم ولا كانَ قبلَهُ وليس يكونُ الدّهرَ ما دامَ يذبلُ
ثناؤُك خيرٌ من فعالِ معاشِر وفعلُك يا ابنَ الهاشميَّةِ أفضلُ

كان له ألف مملوك يؤدُّون الخراج، فيقسمه كلّ ليلة ثمّ يقوم إلى منزله ليس معه منه شيء، قتله عمرو بن جرموز(١) بوادي السِّباع يوم الجمل بناحية البصرة(٢).

وعبد الرحمٰن **بن عوف** بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزُّهري، شهد بدراً والمشاهد كلها وهاجر الهجرتين، وثبت يوم أُحد وصلَّى المصطفى ﷺ خلفه في غزوة تبوك وأتمّ ما فاته.

وكان اسمه عبد الكعبة أو عبد شمس فغيره المصطفى ﷺ، قال له: «**يا ابن عوف إنّك من الأغنياء ولن تدخل الجنّة إلّا زحفاً، فأقرض الله يطلق لك قدميك**» قال: وما الذي أقرضه؟ قال: «**تتبرأ مما أمسيت فيه**»، قال: من كله أجمع؟ قال: «**نعم**»، فخرج وهو يهمّ بذلك، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: مُرِ ابنَ عوفٍ [فليُضِفِ الضيفَ ولْيُطْعِم المسكين](٣) وليُعْطِ السّائل، فإذا فعل كان كفَّارة لما هو فيه(٤).

فباع أرضاً من عثمان رضي الله عنه بأربعين ألف دينار، فقسمها في بني

---

(١) الحوض الصغير تُسقى فيه الإبل.

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (٤/ ٢٤٤)، وانظر: في ترجمة الزبير بن العوام. «الاستيعاب» (٢/ ٥١٠ ـ ٥١٦)، و«الإصابة» (٢/ ٤٥٧ ـ ٤٦١)، و«أسد الغابة» (٢/ ٣٠٧ ـ ٣١٠). و«الرياض النضرة» (٤/ ٢٢٩).

(٣) في (غ، ف): «فليطعم».

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٣١)، والبزار (١٠٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣١١)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٦٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٢٧): «رواه البزار، وفيه خالد بن يزيد بن أبي مالك، وضعَّفه الجمهور، ولا يثبت في دخوله زحفاً حديث».

زهرة وفقراء المسلمين وأمَّهات المؤمنين، مات سنة ثلاث وثلاثين، وصلَّى عليه علي رضي الله عنه وقيل: الزّبير؛ لأنّه كان هجر عثمان لما أمَّر أقاربه، فقال النَّاس لابن عوف: هذا فعلك، فدخل عليه ولامه، وقال: إنَّما وليَّتك لتسير بسيرة الشَّيخين.

فقال: كان عمر(١) رضي الله عنه يقطع أقاربه في الله، وأنا أصل أقاربي(٢) في الله، فنذر أن لا يكلِّمه أبداً، وترك من الذَّهب المضروب ما ربع ثمنه ثمانون ألف دينار(٣).

وطلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم(٤) بن مرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب، أحد العشرة وأحد السّتَّة أصحاب الشّورى.

ضرب له المصطفى ﷺ بسهم يوم بدر، وكان غائباً بالشام يتجسَّس الأخبار، وأبلى يوم أُحد بلاءً عظيماً، وشَلَّت يده في الدّفع عن المصطفى(٥) ﷺ وكان الصّدِّيق رضي الله عنه إذا ذكر يوم أُحد، يقول: ذلك اليوم كلّه لطلحة.

سمَّاه المصطفى ﷺ طلحة الخير، وطلحة الجود، وطلحة الفيَّاض، وطلحة الطَّلحات(٦).

ودعاه [المصطفى] ﷺ الصّبيح المليح والفصيح(٧).

---

(١) في (ك): «عمر كان». (٢) في (ك): «أصلهم».

(٣) انظر في ترجمة ابن عوف: «الاستيعاب» (٢/ ٨٤٤ ـ ٨٥٠)، و«أسد الغابة» (٣/ ٤٧٥ ـ ٤٧٩)، و«الرياض النضرة» (٤/ ٢٥٥)، و«الإصابة» (٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩٣).

(٤) كذا في (غ)، والصواب: «تيم».

(٥) في (ك): «عنه» بدل «عن المصطفى».

(٦) انظر: «الرياض النضرة» (٤/ ٢١٢).

(٧) عزاه في «الرياض النضرة» للطائي في الأربعين.

[ووَقَى رسولَ الله يوم أُحُدٍ بنفسه].

قتله مروان يوم الجمل، [وهو ابن أربع وسبعين أو ستين سنة](١).

وسعد بن أبي وقَّاص(٢) بفتح الواو وشدة القاف، مالك بن وهيب مصغراً، ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري - بالضم - يلتقي مع المصطفى ﷺ في كلاب، وهو من رهط أمّه(٣).

أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وأحد السِّتّة أصحاب الشُّورى.

أسلم وهو ابن ستّ عشرة سنة سابع سبعة، (٤)وهو ثلث الإسلام كما في الصحيح(٥).

وهاجر وشهد المشاهد كلَّها.

وكان مجاب الدّعوة لدعاء المصطفى ﷺ له بذلك.

وهو أوَّل من رمى بسهم في سبيل الله(٦)، وأوَّل من أراق دماً فيه(٧)، وأوَّل من كان يقال له: فارس الإسلام، ورمى يوم أُحد ألف سهم.

ولَّاه عمر العراق، وكان الأمير في فتح مدائن كسرى وغيرها.

ومن كراماته [الظاهرة] أنَّه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها إلى حزمها والناس في غاية الطمأنينة؛ كأنهم سائرين بالبر.

---

(١) ينظر في ترجمته المصادر السابقة.

(٢) انظر في ترجمة سعد: «الاستيعاب» (٢/ ٦٠٦ - ٦١٠)، و«الإصابة» (٣/ ٧٤)، «أسد الغابة» (٢/ ٤٦٨).

(٣) في (ك): «أم رسول الله ﷺ».

(٤) في (ك): «ستة عشرة».

(٥) مضروب عليها في (غ)، والحديث أخرجه البخاري (٣٦٤٣).

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٤٤) بلفظ: «إني لأوّل العرب رمى بسهم في سبيل الله...».

(٧) أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٩٣).

مات بالعقيق سنة خمس أو ثلاث أو إحدى وخمسين ودفن بالمدينة بالبقيع(١).

[فهؤلاء الخمسة] **أمنوا**(٢) بكسر الميم، من الأمن **من خوف** [﴿١٠٤﴾] **إذ**؛ أي: حين **آمنوا** بالمد وفتح الميم؛ أي: صدَّقوا المصطفى(٣) ﷺ فيما جاء به **بدعوة أبي بكر الصِّدِّيق** رضي الله عنه؛ أي: بدعائه إيّاهم إلى الإسلام كما مرَّ، وهذه الجملة خبر قوله: عثمان إلى آخره(٤).

كذا عثمان ابن مظعون(٥) بفتح الميم وسكون الظاء المعجمة، الجمحي ـ بضم الجيم وفتح الميم وكسر المهملة ـ المكي يجتمع مع المصطفى ﷺ في كعب بن لؤي أسلم **بذا الطريق**؛ أي: بدعاء أبي بكر [له] إلى الإسلام، وقول البعض(٦): أراد بذا الطَّريق: الإسلام لقومه؛ وأشار به إلى كونه أوَّل من مات من المهاجرين بالمدينة وراح إلى رحمة الله؛ بعيدٌ ركيك(٧).

[﴿١٠٥﴾] **ثم أسلم أبو عبيدة**(٨) بالتَّصغير مصروف للوزن،

---

(١) قال الأجهوري في «شرح الألفية»: «والذي في «شرح الأربعين» للمقدسي أنَّه توفي سنة خمس وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، وهو أكثر وأشهر. وكان آخر العشرة؛ بل آخر المهاجرين موتاً». اهـ.

(٢) في حاشية (غ): «بقصر الهمزة المفتوحة».

(٣) في (ك): «رسول الله».

(٤) في (ك): «الحديث»، وانظر: ترجمته المصادر السابقة.

(٥) انظر في ترجمة ابن مظعون: «الاستيعاب» (٢/ ١٠٥٣ ـ ١٠٥٦)، و«الإصابة» (٤/ ٣٨١، ٣٨٢)، «أسد الغابة» (٣/ ٥٨٩ ـ ٥٩١).

(٦) في (ك): «بعضهم».

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٦٥).

(٨) انظر في ترجمته: «الاستيعاب» (٢/ ٧٩٢ ـ ٧٩٥)، و«أسد الغابة» (٣/ ١٢٥ ـ ١٢٨)، و«الإصابة» (٣/ ٤٧٥ ـ ٤٧٨).

عامر بن عبد الله بن الجرَّاح الفهري القرشي، أمين هذه الأمة، وأحد العشرة.

يلتقي مع المصطفى ﷺ في فهر.

شهد بدراً وما بعدها، وأثنى عليه المصطفى ﷺ بالأمانة، وكان للأجانب من المسلمين وديداً، وعلى الأقارب من المشركين شديداً، بحيث قتلَ أباه يوم بَدْرٍ غضباً لله ولرسوله(١)، وثبت يوم أُحد [مع المصطفى ﷺ] وله فتوحات كثيرة ووقعات مع الكفار(٢) هائلة شهيرة.

وصحَّ عن الحسن رضي الله عنه مرسلاً: **«ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت لأخذت عليه في [بعض] خلقه غير أبي عبيدة»**(٣).

وهذا ونحوه كقول المصطفى ﷺ في أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: **«إنَّه أصدق من أظلَّت الخضراء...»** إلخ(٤).

لا يقتضي تفضيلاً على الخلفاء الراشدين؛ لأنَّ أولئك كملت فيهم الصّفات الجميلة واعتدلت، فلم يترجح بعضها على بعض، وأمّا هذان

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) في (ك): «المشركين».

(٣) ذكره في «الإصابة» (٣/ ٤٧٧) ثم قال ابن حجر: هذا مرسل ورجاله ثقات.

(٤) في (ك): «الحديث»، والحديث أخرجه أحمد (٦٥١٩) (٦٦٣٠) (٧٠٧٨) (٢١٧٢٤) (٢٧٤٩٣)، والترمذي (٣٨٠١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني، والترمذي أيضاً (٣٨٠٢) عن أبي ذر رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وضعَّفَه الألباني من حديث أبي ذَرٍّ رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧/ ٢٠٩، ٢١٠) (١٩/ ٢١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٤٣، ٣٤٤) (٤/ ٤٨٠) وقال الذهبي: «سنده جيد».
وأخرجه البزار (٢٤٨٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، و(١٠/ ٦٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ولفظه: «ما أظلَّت الخضراء ولا أقلَّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». وفي الباب عن أبي هريرة.

فكملت فيهما صفة الأمانة⁽¹⁾ والصّدق، فتميَّزا فيها على غيرهما؛ على أنَّ المفضول قد يتميَّز بما لا يوجد في الفاضل.

ومن مناقبه ﵁ أنَّه أُتي المصطفى ﷺ بطعام، فقال: «**يستحبُّ أن يبدأ برجل صالح، فمدّ يا أبا عبيدة**»⁽²⁾، وقال الصّدّيق ﵁ يوم السّقيفة: رضيت لكم أحد صاحبي أبا عبيدة وعمر.

وكان أثرم الثّنيّتين؛ لأنَّه انتزع نصلاً من جبهة المصطفى ﷺ بهما [يوم أُحد] فسقطا فلم يُر أهتم كان⁽³⁾ أحسن منه.

وكان يسير في العسكر فيقول: ألا رُبَّ مُبيِّض لثيابه مُدنِّس لدينه، ألا ربَّ مكرم لنفسه وهو لها مهين، فبادروا السِّيئات القديمات بالحسنات الحديثات⁽⁴⁾.

[و]مات بالشَّام أميراً عليها سنة ثمان وعشر⁽⁵⁾.

قال النّووي: زرته فرأيت عنده عجباً عليه من الجلالة ما هو لائق به⁽⁶⁾.

والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي واسمه عبد مناف، من السَّابقين [الأوَّلين] أسلم بعد تسعة أو عشرة، وشهد بدراً وأُحداً وجميع المشاهد

---

(1) يشير إلى حديث أنس: «هذا أمين هذه الأمة» متفق عليه.

(2) ذكره الثعالبي في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» في الباب السادس (ص١١٢، ط: دار المعارف).

(3) في (ك): «فسقطت فما رُئِيَ من كان».

(4) في «الإصابة» الحادثات. وعزاه ابن حجر ليعقوب بن سفيان بسند مرسل.

(5) في (غ): «ثمان ومئة»، وضرب عليها، وفي (ك): «ثمان عشرة».
قلت في ترجمة أبي ذر. انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٦)، و«أسد الغابة» (١/ ٥٦٢ ـ ٥٦٤)، و«الإصابة» (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٩)، و«الرياض النضرة» (٤/ ٢٩٢).

(6) في (ك): «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢٥٩، ط: العلمية).

[كلّها] وكانت داره على الصّفا، وهي الّتي كان المصطفى ﷺ يجلس فيها في ابتداء الدعوة(١) حتّى تكاملوا أربعين، وأقطعه المصطفى ﷺ داراً بالمدينة.

مات [في] سنة خمس وخمسين، وصلّى عليه سعد بن أبي وقّاص بوصيّته(٢).

وقول أبي نعيم(٣): مات يوم مات أبو بكر؛ حملوه على أبيه.

كذا أبو سلمة(٤) عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، أسلم بعد عشرة وهو أوّل من هاجر إلى الحبشة، وأخو المصطفى ﷺ من الرّضاع، مات سنة ثلاث من الهجرة، وقوله: **المكرم** بشدة الراء حشو كمل به الوزن(٥).

[﴿١٠٦﴾] **وابن سعيد خالد**(٦) **قد أسلما**؛ أي: وخالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس؛ قد أسلم.

---

(١) في (ك): «أول الإسلام».

(٢) ينظر في ترجمته: «الاستيعاب» (١/ ١٣١، ١٣٢)، و«الإصابة» (٧/ ٢١٣)، و«أسد الغابة» (١/ ١٧٨) وغيرها.

(٣) في (ك): «بعضهم».

(٤) انظر: «الاستيعاب» (٣/ ٩٣٩، ٩٤٠)، و«معرفة الصحابة» (٣/ ١٦٩٦، ١٦٩٧)، و«أسد الغابة» (٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧)، و«الإصابة» (٤/ ١٣١ ـ ١٣٣)، وغيرها.

(٥) قوله: المكرم. قال الترمسي: وفيه إشارة إلى ما رواه ابن أبي عاصم من حديث ابن عباس: «أوّل من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد. وأول من يعطى كتابه بشماله أخوه سفيان بن عبد الأسد».
قال الأجهوري رحمه الله: ليس في كلام المصنف [الناظم] التصريح بأنّه أبا عبيدة والأرقم وأبا سلمة أسلموا بدعوة الصّدّيق... وروى أبو الحسن خيثمة الأطرابلسي أن هؤلاء... أسلموا على يد الصّدّيق. اهـ.

(٦) في (غ): «فائدة: أوّل من كتب بسم الله الرحمٰن الرحيمن؛ ابن سعيد هذا كما يأتي في كلام الشارح».

وسبب إسلامه: أنَّه رأى أنَّه على شفير نار، فأراد أبوه أن يرميه فيها، فإذا المصطفى ﷺ قد أخذ بحجزته(١)، [فأصبح] فقصها على أبي بكر رضي الله عنه، فقال: اتبعه فإنَّه رسول الله فأسلم فبلغ أباه فعاقبه ومنعه القوت، ومنع إخوته من كلامه حتَّى خرج إلى الحبشة، وكان إسلامه بعد هؤلاء(٢).

وقيل: بل قبلهم تقدما بألف الإطلاق؛ أي: وقال جمع: إنَّ إسلامه تقدّم على إسلام هؤلاء، فقيل: أسلم ثالث ثلاثة، وقيل: رابع أربعة! وقيل: كان إسلامه مع إسلام أبي بكر [الصّدِّيق].

بل روى الدَّارقطني في «الأفراد» عن بنته أم خالد أنَّه أوَّل من أسلم مطلقاً(٣)، وروى عمر بن شبَّه(٤): أنَّه أسلم قبل علي رضي الله عنه وهو أوَّل من كتب بسم الله الرحمٰن الرحيم.

كما رواه ابن أبي داود في «المصاحف»(٥).

وكان مجاب الدعوة، ومرض أبوه، فقال: إن(٦) رفعني الله من مرضي لا يعبد إلـه ابن أبي كبشة(٧) ببطن مكة، فقال ابنه خالد: اللَّهُمَّ لا

---

(١) في حاشية (غ): «أي: بحزامه».

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢٤)، و«معرفة الصحابة» (٢/ ٩٣٩، ٩٤٠)، و«أسد الغابة» (٢/ ١٢٤، ١٢٥)، و«الإصابة» (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤) وغيرها.

(٣) قال في «نور النبراس» (٥٢/ب): وقد رأيت في «ثقات» ابن حبان في ترجمة خالد بن سعيد (٣/ ١٠٣): إنه قيل: أنَّه أسلم قبل أبي بكر الصّدّيق.

(٤) هو عمر بن شبّه بن عبيدة بن زيد النمري. قال ابن حجر: صدوق له تصانيف (ت٢٦٢هـ). «التقريب» (١/ ٤١٣).

(٥) الذي في «الدر المنثور» (١/ ١٠) رواه ابن أبي داود في البعث، وهذا المنقول من «الإصابة» (٢/ ٢٠٣).

(٦) في (ك): «لئن».

(٧) كتب في حاشية (غ): «أبو كبشة جدٌّ للنبي ﷺ من قبل الأم، وهو بالموحدة التحتية =

ترفعه، فمات من ذلك المرض، بعثه المصطفى ﷺ إلى ملك الحبشة في رهطٍ من قريش مع زوجته، فوُلِدَ له بها بنته أم خالد، وقدم على المصطفى ﷺ في حنين(١)، وشهد عمرة القضيَّة وما بعدها.

واستعمله المصطفى ﷺ على صدقات مذحج، وبعثه على صدقات اليمن، فمات رسول الله(٢) ﷺ وهو بها، وامتدحه هناك عمرو بن معدي كرب بقصيدة منها:

فقلت لباغي الخير إن تأت خالداً   تُسَرَّ وترجع ناعم البال حامداً(٣)

وذكر سيف في «الفتوح»(٤): أنَّ الصّدّيق رضي الله عنه أمّره على مشارق الشّام في الرّدّة، فقتل(٥) يوم مرج الصفّرا، أو يوم أجنادين. ولا رواية له كما قاله الذّهبي.

[**﴿١٠٧﴾**] **وكذا ابن زيد** بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى؛ **أي**: واسمه **سعيد**(٦) بالتّنوين في النّظم، القرشي العدوي ابن عمِّ عمر بن الخطاب، أحد العشرة، كانت أخته عاتكة تحت عمر، وكانت فاطمة أخت عمر بنت الخطاب تحته.

وكان مجاب الدّعوة، ادَّعت عليه امرأة عند مروان أنَّه غصبها أرضاً، فقال: اللّهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها(٧) في أرضها(٨)،

= الساكنة، والشين المعجمة المفتوحة، فكان يقال للنبي ﷺ ابن لأبي كبشة».

(١) في (ك): «خيبر».

(٢) في (ك): «المصطفى».

(٣) «الإصابة» (٢/ ٢٠٣) وهو من البحر الطويل.

(٤) «الإصابة» (٢/ ٢٠٣).

(٥) في (غ): «قيل»، وفي (ك): «قتل».

(٦) انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٦١٤ ـ ٦٢٠)، و«معرفة الصحابة» (١/ ١٤٠ ـ ١٤٧)، و«الإصابة» (٣/ ٨٧، ٨٨)، و«أسد الغابة» (٢/ ٤٧٦، ٤٧٧) وغيرها.

(٧) في (م): «وادفنها» بدلاً من «واقتلها» والمثبت من باقي النسخ.

(٨) في (ك): «بلدها» بدلاً من «أرضها»، والمثبت من (م، ج)، وسقط قوله: «في أرضها» من (غ، ف).

فذهب بصرها ثم وقعت [في حفرة] في أرضها فماتت بالمدينة، وقيل: بالعقيق سنة إحدى وخمسين، وهذا كلّه **لا مرا**؛ أي: لا شكّ فيه لثبوته(١) من طرق معتبرة(٢).

وكذا أسلم معه **زوجه** بغير هاء(٣)، وهي لغة(٤) العالية، وبها جاء القرآن: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

قال ابن السّكّيت: أهل الحجاز يقولون للمرأة زوج بغير هاء، وغيرهم بالهاء، والفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليه(٥) خوف لبس الذّكر بالأنثى(٦).

فاطمة بنت الخطاب القرشيَّة العدويَّة(٧) **اخت** بوصل الهمزة لضرورة النظم(٨)، كما في خطّ النّاظم **عمرا** ابن الخطّاب أمير المؤمنين ﷺ.

أخرج الطّبراني(٩) عن سعيد ﷺ قال: لقد رأيتني وعمر موثقي على الإسلام أنا وأخته [وما أسلم بعد].

وقيل: أسلمت قبل زوجها وقبل أخيها عمر، وهي التي كانت

---

(١) في (ك): «بثبوته».

(٢) انظر: «العجالة السنية» للمؤلف (ص٩٣) بتحقيقي.

(٣) في (ك): «تاء». (٤) في (ك): «اللغة».

(٥) في (ك): «عليها للإيضاح».

(٦) قال الجوهري في «الصحاح» مادة: (زوج): «زَوْجُ المرأة: بعلها. وزَوجُ الرجل: امرأته قال الله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ويقال أيضاً: هي زوجتُه».

(٧) انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٨٩٢)، و«معرفة الصحابة» (٦/ ٣٤١٠ ـ ٣٤١٢)، و«أسد الغابة» (٧/ ٢١٥)، و«الإصابة» (٨/ ٢٧١، ٢٧٢) وغيرها.

(٨) في (ك): «للوزن».

(٩) أصله في البخاري (٣٧٨٠) حديث قيس قال: سمعن سعيد بن زيد... فذكره.

سبب إسلامه(١).

[﴿١٠٨﴾] **وكذاك** اعدد من السّابقين **عبد الله**(٢) **مع** أخيه **قدامة** بضم القاف وفتح [الدال] المهملة مخففة(٣) **هما** ولدان **لمظعون** بفتح الميم وسكون المعجمة، بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح(٤) القرشيين من بني جمح.

يكنى الأوّل: أبا محمد والثاني: أبا عمر، على الصَّحيح، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وما بعدها مع المصطفى ﷺ، ومرَّ أخوهما عثمان، وكانا **سعيدا** بالنّصب مع ألف التثنية **الهامة**؛ أي: رئيسا قومهما، والهامة رئيس القوم كما في «المصباح»(٥) وغيره، مات عبد الله(٦) سنة ثلاثين عن نحو ستّين سنة، وقدامة سنة ستّ وثلاثين عن ثمان وستّين.

[﴿١٠٩﴾] وكذا من السّابقين **حاطب**(٧) بحاء وطاء مهملتين، وأخوه حطّاب(٨) بحاء مهملة، وقيل: معجمة والصّواب الأوَّل، ثم طاء

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٨٩٢)، وفيه: وخبرها في إسلام عمر خبر عجيب، وقال الترمسي: قال شيخ شيوخنا: فهي ثانية النساء إسلاماً. وقيل: الثانية: أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلاليَّة، زوج العبّاس رضي الله عنهما.

(٢) انظر في ترجمة عبد الله: «الاستيعاب» (٣/ ٩٩٥)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ١٧٨٤)، و«أسد الغابة» (٣/ ٣٩١)، و«الإصابة» (٤/ ٢٠٤)، وغيرها.

(٣) انظر في ترجمة قدامة: «الاستيعاب» (٣/ ١٢٧٧)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ٢٣٤٦)، و«أسد الغابة» (٤/ ٣٧٥)، و«الإصابة» (٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٥)، وغيرها.

(٤) في حاشية (غ): «جُمح بضم الجيم وفتح الميم».

(٥) «المصباح المنير» (٢/ ٦٤٥) مادة: (هام).

(٦) انظر «العجالة» (ص٩٤).

(٧) انظر في ترجمة حاطب: «الاستيعاب» (١/ ٣١٢)، و«معرفة الصحابة» (٢/ ٦٩٧)، و«أسد الغابة» (١/ ٦١١)، و«الإصابة» (٢/ ٦) وغيرها.

(٨) انظر في ترجمة حطاب: «الاستيعاب» (١/ ٤٠٠)، و«أسد الغابة» (٢/ ٤١)، و«الإصابة» (٢/ ٨٤) وغيرها.

مهملة وتنوين آخره وبالثقل في النّظم وهما **ابنا الحارث** بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح قرشيين جمحيين، هاجرا إلى الحبشة فمات حاطب بها [مهاجراً](١)، ومات حطّاب في الطّريق لم يصل إلى الحبشة، وقيل: مات منصرفه منه(٢).

ومن السَّابقين من النّساء: **أسماء**(٣) بفتح الهمزة وسكون المهملة وبالمد، بنت الصّدِّيق رضي الله عنهما أخت عائشة من كبار الصَّحابة وفضلائهم، وهي أمُّ أمير المؤمنين عبد الله بن الزّبير، وهي أكبر من عائشة بعشر سنين، وتُسمَّى ذات النطاقين، أسلمت بمكة [ثامنة عشرة إنساناً].

وتزوّجها الزبير [بمكة] وطلّقها بالمدينة.

يقال: وقف ابنه عبد الله بالباب، فجاء الزّبير ليدخل فمنعه، وقال: طلّق أمي فأبى، فقال عبد الله: مثلي لا يكون له أم توطأ فطلَّقها(٤).

وبقيت عند ابنها إلى أن قتل وعاشت بعده أيّاماً، ثم ماتت سنة ثلاث وسبعين عن نحو مئة سنة، وكانت من القانتات العابدات

---

(١) «الإصابة» (٢/ ٦)، وقال: وذكره ـ أي: حاطباً ـ الطبراني فيمن مات بالحبشة هو وأخوه حطاب.

(٢) انظر: «الطبقات» (٤/ ٢٠٢).

(٣) انظر في ترجمة ذات النطاقين: «الاستيعاب» (٤/ ١٧٨١ ـ ١٧٨٣)، و«معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٥٣ ـ ٣٢٥٥)، و«أسد الغابة» (٧/ ٧ ـ ٩)، و«الإصابة» (٨/ ١٢ ـ ١٤)، وغيرها.

(٤) الصَّواب أنَّ سبب الطَّلاق ما ذكره الذّهبي في «السير» (٢/ ٢٩٢). فقال رحمه الله. . . عن هشام أن عروة قال: ضرب الزبير أسماء، فصاحت بعبد الله ابنها، فأقبل، فلما رآه قال: أمُّك طالق إن دخلت، فقال: أتجعل أمي عرضة ليمينك؟! فاقتحم وخلّصها. قال: فبانت منه، وفي «تاريخ الإسلام» له (وفيات سنة ٦١ ـ ٨٠) (ص٣٥٥): وقال إبراهيم بن المنذر: ثنا عبد الله بن محمد. . . فذكره.

المتصدِّقات ولم تدّخر شيئاً لغد قط، و[كانت] من أعبر النّاس للرّؤيا، وقد عميت آخراً(١).

وأختها **عائش**(٢) بترخيمه وسكون الشين لضرورة الوزن، أم المؤمنين [وهي زوجة المصطفى ﷺ] **وهي غير طامث**؛ أي: أسلمت وهي غير حائض؛ أي: لم تبلغ سن الحيض.

[﴿١١٠﴾] **كذا ابن إسحاق بذاك انفردا**؛ أي: قاله الإمام محمد بن إسحاق، وقد انفرد بهذا القول وردَّ عليه، كيف **ولم تكن عائش ممن ولدا**؛ أي: في أوَّل الإسلام فإنَّها إنّما ولدت بعد البعثة بخمس سنين، فما ذكره ابن إسحاق من كونها من السَّابقين غير صواب(٣) [من هذه الحيثية].

[﴿١١١﴾] **وفاطمة**(٤) بنت المجلل(٥) بجيم مفتوحة بوزن اسم المفعول بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود أم جميل القرشيَّة العامريَّة، أسلمت قديماً وهاجرت مع زوجها حاطب إلى الحبشة، وولدت له بها محمداً والحارث(٦).

وفكيهة(٧) بالتَّصغير بنت يسار(٨) بالمثناة التحتية [فسين] فمهملة

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٧٨٣).

(٢) انظر في ترجمة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «الاستيعاب» (٤/ ١٨٨١ - ١٨٨٥)، و«معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٠٨ - ٣٢١٣)، و«أسد الغابة» (٧/ ١٨٦ - ١٨٩)، و«الإصابة» (٨/ ٢٣١ - ٢٣٥).

(٣) في (ك): «لا صحة له».

(٤) في حاشية (غ): «صرفه للوزن».

(٥) انظر في ترجمتها: «معرفة الصحابة» (٦/ ٣١٤٥، ٣١٤٦)، و«أسد الغابة» (٧/ ٢٢٥)، و«الإصابة» (٨/ ٢٧٧).

(٦) انظر: «الإصابة» (٦/ ٨) في ترجمة ابنها محمد بن حاطب.

(٧) غير واضحة في (غ).

(٨) انظر في ترجمتها: «الاستيعاب» (١/ ٤٠٠)، و«معرفة الصحابة» (٦/ ٣٤٢٦)، و«أسد الغابة» (٧/ ٢٣٢)، و«الإصابة» (٨/ ٢٨٢) وغيرها.

مخففة، أسلمت قديماً وهاجرت مع زوجها وأختها بركة، **وهاتان الزوجان** فاطمة وفكيهة، **تلك**؛ أي: فاطمة زوجة **لذاك** الأوَّل وهو حاطب، **وهذه**؛ أي: فكيهة زوجة **للثّاني** وهو حطاب أخو حاطب، ومن السَّابقين الأوَّلين(١).

[﴿١١٢﴾] **عبيدة** بضم أوّله مصغَّراً **ابن حارث** بغير تعريف لضرورة النّظم(٢) ابن عبد المطّلب بن عبدمناف بن قصي بن كلاب، كان أسن من المصطفى ﷺ بعشر سنين، أسلم [قديماً] قبل اجتماع المسلمين بدار الأرقم(٣).

وخبَّاب(٤) بفتح الخاء المعجمة وشدة الموحدة التحتية الأولى، **ابن الأرت** بفتح الهمزة وشدة المثناة فوق ابن جندلة بدريٌّ سُبي في الجاهلية، فبيع بمكة، فاشترته أمُّ أنمار الخزاعيَّة فاعتقته، وقيل غير ذلك، ثم حالف بني زهرة، وهو من الأوّلين سادس ستة، وممن استُضعف وعذِّب في الله عذاباً شديداً وصبر على دينه، [وشهد المشاهد كلها]، وكان يعمل السّيوف في الجاهليَّة، ثم تموَّل في الإسلام ومات سنة سبع وثلاثين منصرفَ عليٍّ رضي الله عنه من صفِّين، ولمَّا مرَّ [علي] بقبره قال: رحمه الله أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً، وابتلي في خمسة(٥) أحوال ولن يضيّع الله أجره(٦).

---

(١) «الإصابة» (٨/ ٢٨٢).

(٢) في (ك): «الوزن».

(٣) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٣/ ٥٠)، «الاستيعاب» (٣/ ١٠٢٠)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ١٩١٤، ١٩١٥)، و«أسد الغابة» (٣/ ٤٥٧)، و«الإصابة» (٤/ ٣٥٢، ٣٥٣).

(٤) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٣/ ١٦٤)، «الاستيعاب» (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩)، و«معرفة الصحابة» (٢/ ٩٠٦)، و«أسد الغابة» (٢/ ١٤٧)، و«الإصابة» (٢/ ٢٢١، ٢٢٢).

(٥) «أسد الغابة» (٢/ ١٤٧)، وفيه: «وابتلي في جسمه».

(٦) «أسد الغابة» (٢/ ١٤٧)، و«الإصابة» (٢/ ٢٢١).

وهؤلاء **كلهم أجابوا** إلى دعوة المصطفى ﷺ فأسلموا، وهذا حشو كمل به الوزن.

[﴿١١٣﴾] **وكذا** من السّابقين **سليط** بفتح المهملة وكسر اللام فمثنّاة تحتيَّة ساكنة فطاء مهملة **وهو**(١) **ابن عمرو** بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نضر القرشي العامري، أسلم قديماً قبل عمر وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها واستشهد باليمامة(٢).

ومنهم أيضاً: **ابن حذافة** صرفه للوزن، وهو بضمَّ المهملة وخفَّة الذَّال المعجمة، واسمه **خنيس** بضم الخاء المعجمة، وخفّة النّون المفتوحة فمثنّاة تحتيّة وآخره سين مهملة بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي، [كان] زوج حفصة بنت عمر [بن الخطاب رضي الله عنهما] قبل المصطفى ﷺ وهو **بدري** شهد بدراً، بعد مهاجرته إلى الحبشة ثم أُحد وأصابته جراحة، مات منها بالمدينة(٣).

وجعله بعضهم حُبيش بمهملة وموحدة وشين معجمة وهو تصحيف كما في «الإصابة»(٤).

[﴿١١٤﴾] **وابن ربيعة اسمه مسعود، فهو** مسعود بن ربيعة(٥)، ويقال: ابن الرّبيع بن سعد بن عبد العُزَّى، أسلم قديماً قبل اجتماع

---

(١) في حاشية (غ): «تضم الهاء للوزن وتفتح» [....] كلام غير واضح في (غ).

(٢) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٤/ ٢٠٣)، و«الاستيعاب» (٢/ ٦٤٥، ٦٤٦)، و«معرفة الصحابة» (٣/ ١٤٣١)، و«أسد الغابة» (٢/ ٥٣٧)، و«الإصابة» (٣/ ١٣٦).

(٣) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٣/ ٣٩٢)، و«الاستيعاب» (٢/ ٤٥٢)، و«معرفة الصحابة» (٢/ ٩٩٠)، و«أسد الغابة» (٢/ ١٨٨) و«الإصابة» (٢/ ٢٩٠).

(٤) «الإصابة» (٢/ ١٧٢).

(٥) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٣/ ١٦٨)، «الاستيعاب» (٣/ ١٣٩٢)، «الإصابة» (٦/ ٧٧).

المسلمين بدار الأرقم، وشهد بدراً، وما بعدها ومات سنة ثلاثين عن نحو ستين.

وكذا **معمر**(١) بفتح الميمين(٢) **ابن حارث [معدود]** بن(٣) معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، أخو حاطب وحطّاب المارَّين(٤)، أسلم قبل دخول النبي(٥) ﷺ دار الأرقم، وشهد بدراً [وأُحُداً] وجميع(٦) المشاهد، ومات في خلافة عمر(٧) رضي الله عنه.

[﴿١١٥﴾] وكذا من السّابقين أيضاً، **ولدا جحش** بفتح الجيم وسكون المهملة وبالمعجمة، **وهما**(٨) **عبد الله**(٩) **وكذا**(١٠) **أبو أحمد**(١١) ابنا جحش بن رياب ـ براء مكسورة فمثناة تحتية ـ أسلم عبد الله فيما ذكره الواقدي قبل دخول المسلمين دار الأرقم.

وأبو أحمد اسمه عبد بغير إضافة، وكان من المهاجرين الأوَّلين، [هاجر الهجرتين]، وأخوهما عبيد الله تنصَّر بأرض الحبشة، ومات بها نصرانياً ثم هاجر عبد الله وأبو أحمد إلى المدينة، وشهد عبد الله بدراً

---

(١) ترجمته في: «الطبقات» (٣/ ٤٠٢)، «الاستيعاب» (٣/ ١٤٣٣)، «الإصابة» (٦/ ١٤٧).

(٢) في (غ): «الميم»، ولعل ما أثبت أصوب.

(٣) في (ك): «أي».

(٤) في (ك): «المازني».

(٥) في (ك): «المصطفى».

(٦) في (ك): «وشهد جميع».

(٧) في (ك): «عثمان»، وفي الحاشية: «في نسخة أخرى: عمر».

(٨) في حاشية (غ): «بإسكان الهاء».

(٩) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٣/ ٨٩)، و«الاستيعاب» (٣/ ٨٧٧)، و«معرفة الصحابة» (٣/ ١٦٠٦)، و«أسد الغابة» (٣/ ١٩٤)، و«الإصابة» (٤/ ٣١)، وغيرها.

(١٠) في (ك): «كذا».

(١١) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٤/ ١٠٢)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٥٩٣)، و«معرفة الصحابة» (٥/ ٢٨٣٠)، و«أسد الغابة» (٦/ ٥)، و«الإصابة» (٧/ ٥) وغيرها.

واستشهد بأُحد، ويعرف بالمجدَّع في الله؛ لأنه مثل به يوم أُحد وقطع أنفه، وأبو أحمد **عبد أوّاه**؛ أي: رجاع إلى الله(١)، وكان أعمى شاعراً.

[**﴿١١٦﴾**] **وكذا** من السّابقين **شبيه** النبي **المصطفى** ﷺ **في خلقته الظاهرة أي جعفر**(٢) بزيادة أي المفسِّرة تكملة للوزن، وَعُدَّ ممن كان يشبه المصطفى ﷺ نحو عشرة، منهم: جعفر هذا وهو ابن أبي طالب بن عبد المطلب، أخو علي رضي الله عنه شقيقه، كان يحب المساكين ويحسن إليهم ويجالسهم ويحدثهم ويحدثونه، فكنَّاه المصطفى ﷺ أبا المساكين، وكان أبو هريرة يذهب إلى أنَّه(٣) أفضل النَّاس بعد رسول الله ﷺ، قال له المصطفى ﷺ: «**أشبهت خلقي وخلقي**»(٤)، وكان أكبر من عليٍّ رضي الله عنه بعشر سنين(٥)، وهاجر إلى الحبشة، وقدم في فتح خيبر فتلَّقاه المصطفى ﷺ، واعتنقه وقبَّل بين عينيه، وقال: «**ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر**»(٦).

وقتل في غزوة مؤتة مقبلاً غير مدبر مجاهداً للرّوم في حياة المصطفى ﷺ ورآه المصطفى ﷺ يطير بجناحين(٧) في الجنة مع

---

(١) انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري مادة: (أوه).

(٢) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٤/ ٣٤)، و«الاستيعاب» (٢/ ٢٤٢)، و«معرفة الصحابة» (٢/ ٥١١)، و«أسد الغابة» (١/ ٥٤١)، و«الإصابة» (٢/ ٥٩٢) وغيرها.

(٣) في (ك): «يقول إنه».

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٩١) عن البراء رضي الله عنه.

(٥) في (ك) بعدها: «وقُبّل بين عينيه» وسيأتي.

(٦) «المصنف» لابن أبي شيبة (٣٢٨٧٠) (٣٤٣٧٠) (٣٧٧٩٨).

(٧) في حاشية (ك): «قوله: يطير بجناحين، قال المناوي في «شرح الجامع»: «ليسا كجناحي الطائر؛ لأنّ الصورة الآدمية أشرف، بل قوة روحانية»، وقال قبله في حديث آخر: «ورد عند البيهقي أن جناحي جعفر من ياقوت، والحديثين صحّحهما الحاكم ورد عليه».

الملائكة⁽¹⁾.

وأسماء⁽²⁾ بالمد وهي بنت عُميس بضم المهملة [الأولى]، ووهم في «الاستيعاب» حيث فتحهما⁽³⁾، وفتح الميم وآخره مهملة الخثعمية، **زوجه**؛ أي: زوج جعفر أسلمت قديماً وهاجرت معه إلى الحبشة وولدت له بها [محمداً] وعبد الله وعوناً، ثم رجعت للمدينة، وتزوجها بعده الصدِّيق رضي الله عنه فولدت له محمداً ثم [تزوجها] علي رضي الله عنه فولدت [في حياة النبي ﷺ] له يحيى.

قال الذّهبي⁽⁴⁾: كانت فاضلة جليلة.

ومنهم أيضاً **الحليف** حليف آل الخطاب **عامر** بن ربيعة⁽⁵⁾ بفتح الراء العنزي بفتح المهملة وسكون النون وبالزاي، شهد بدراً وما بعدها، وروايته في «الصحيحين» وغيرهما، وكان صاحب لواء عمر رضي الله عنه لما قدم الجابية، واستخلفه عثمان على المدينة لمّا حجَّ، ومات سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: بعد قتل عثمان بأيَّام.

[﴿**١١٧**﴾] **وعيَّاش**⁽⁶⁾ بعين مهملة مفتوحة ومثنَّاه تحتية مشدَّدة وشين

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٠٩).

(٢) انظر في ترجمتها: «الطبقات» (٨/ ٢٨٠)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٧٨٤)، و«معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٥٥)، و«أسد الغابة» (٧/ ١٢)، و«الإصابة» (٨/ ١٤) وغيرها.

(٣) الذي في «الإصابة»، ووقع في «الاستيعاب» معد بفتح العين، وتعقب.

(٤) «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (١/ ٦١) ترجمة رقم (٢٩٥٧).

(٥) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٨٦)، و«الاستيعاب» (٢/ ٩٧٠)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ٢٠٤٩)، و«أسد الغابة» (٣/ ١١٨)، و«الإصابة» (٣/ ٤٦٩) وغيرها.

(٦) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٢٩)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٢٣٠)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ٢٢٢٦)، و«أسد الغابة» (٤/ ٣٠٨)، و«الإصابة» (٤/ ٦٢٣) وغيرها.

معجمة **أعني** بوصل الهمزة للوزن(١) كما ضبطه النّاظم بخطِّه **ابن أبي ربيعة** واسم أبي ربيعة عمرو(٢) بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو(٣) المخزومي، أخو أبي جهل لأمِّه، أسلم قبل دخول المصطفى ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة مع زوجه أسماء بنت أبي سلمة [ثم إلى المدينة](٤)، وفي «الصَّحيح» قنت المصطفى ﷺ شهراً يدعو للمستضعفين [بمكة]، فذكره منهم(٥).

وزوجه أسما بالقصر للضرورة(٦) المنسوبة **إلى** والدها **سلامة** بالتّخفيف، ويقال: سلمة بن مُخرِّبة ـ بميم مضمومة فخاء معجمة مفتوحة فراء مشدَّدة مكسورة فموحدة ـ ابن جندل الدّارمية التّميمية، هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ثم قدمت المدينة وتكنى أم الجلاس(٧)، ولها رواية(٨).

ومنهم(٩) أيضاً: [﴿١١٨﴾] **نعيم**(١٠) بضم النون وفتح المهملة

---

(١) في (ك): «لضرورة الشعر».

(٢) في (غ): «عمر»، والصواب ما أثبت. (٣) في (ك): «عمر» وهو خطأ.

(٤) ما بين المعقوفتين مضروب عليها في (غ).

(٥) انظر: «الإصابة» (٤/ ٦٢٤)، والحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٠٠٦)، ومسلم (٦٧٥).

(٦) في (ك): «لضرورة الوزن».

(٧) في حاشية (غ): «بالجيم والمهملة آخره».

(٨) انظر في ترجمتها: «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٠١)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٧٨٣)، و«معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٦١)، و«أسد الغابة» (٧/ ٩)، و«الإصابة» (٨/ ١١)، وغيرها.

(٩) في (ك): «من السابقين».

(١٠) انظر قي ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٣٨)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٥٠٧)، و«معرفة الصحابة» (٥/ ٢٦٦٦)، و«أسد الغابة» (٥/ ٣٢٦)، و«الإصابة» (٦/ ٣٦١)، وغيرها.

فمثناة تحتية ساكنة(١) ابن عبد الله بن أسيد بوزن أمير ابن عوف بن عبيد العدوي.

ولقبه **النحَّام** بنون فحاء مهملة مشدَّدة، لُقِّب به لقول المصطفى ﷺ: «**دخلت الجنة فسمعت نحمة نعيم فيها**»(٢)؛ أي: نحنحته أو سعلته، أسلم قبل عمر ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة، ولكونه كان يُموّن أرامل(٣) بني عدي وأبناءهم(٤)، فقالوا: أقم على أيِّ دين شئت.

ومنهم **أيضاً**(٥) **حاطب**(٦) بفتح الحاء وكسر الطاء المهملتين، **وهو ابن عمرو** بن عبد شمس بن عبدِ وُد القرشي العامري أخو سهل والسّليط والسّكران، أسلم قبل دار الأرقم، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً(٧)، ويقال: إنّه أوّل من هاجر [إلى] الحبشة، وبه جزم الزُّهري.

وهو الذي زوّج المصطفى ﷺ سودة بنت زمعة.

وكذاك السائب [﴿١١٩﴾] **أي وهو ابن عثمان** بزيادة؛ أي: المفسِّرة للوزن، **بن مظعون** بظاء معجمة وقد **ذكر** بالبناء للمفعول، وسكَّنه للضرورة **أبوه** في أوائل الباب فلا حاجة لإعادته، وهذا حشو أتى به تكلمة للوزن، هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة، وشهد بدراً وما بعدها

---

(١) في (ك) بعدها: «كأمير».

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/١٣٨)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/١٧٨)، وانظر: «فيض القدير» (٣/٥٢٢) للمؤلف.

(٣) في (ك): «يقوم بأرامل».

(٤) في (ك): «وأيتامهم».

(٥) في (ك): «ومن السابقين الأولين».

(٦) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/٤٠٥)، و«الاستيعاب» (١/٣١١)، و«معرفة الصحابة» (٢/٦٩٧)، و«أسد الغابة» (١/٦٦٢)، و«الإصابة» (٢/٦) وغيرها.

(٧) في (ك): «وشهد بدراً وهاجر الهجرتين».

[من المشاهد] واستعمله المصطفى ﷺ على المدينة في غزوة بواط(١)، وقتل يوم اليمامة [عن بضع وثلاثين سنة](٢).

وقوله: **مع مطّلب**؛ أي: ذكر(٣) مع ذكر المطلب وهو بضم الميم، وشدَّة الطاء وكسر اللام، **ابن أزهر** بوزن أحمر(٤) [بفتح الهمزة وبالجزم] وهو للوقف في النَّظم، ابن عبد عوف الزهري أخو كليب هاجر إلى الحبشة.

قال ابن عبد البر: وعبد الرحمٰن بن عوف ابن أخيهم، وغلط من قال: ابن عمهم، لكن قضية كلام الشَّيخين أنّه ابن عمهم(٥).

[﴿١٢٠﴾] **وزوجه**؛ أي: وزوجة المطلب، واسمها **رملة**(٦) بـ[فتح] اللام بنت أبي عوف ابن ضُبيرة(٧) بن سعيد أسلمت وهاجرت مع زوجها للحبشة وولدت له بها عبد الله **مع أُمينة**(٨) بضم الهمزة وفتح الميم ثم

---

(١) في (غ): «أبواط»، وهو خطأ والصواب ما أثبت.

(٢) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٠١)، و«الاستيعاب» (٢/ ٥٧٥)، و«معرفة الصحابة» (٣/ ١٣٧٩)، و«أسد الغابة» (٢/ ٣٩٦)، و«الإصابة» (٣/ ٢٠) وغيرها.

(٣) في (ك): «اذكره».

(٤) بعدها كلمة في (غ) لم أتبينها.

(٥) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٢٤)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٤٠١)، و«أسد الغابة» (٣/ ٣٨٩)، (٧/ ١١٩)، و«الإصابة» (٦/ ١٠٣) وغيرها.

(٦) انظر في ترجمتها: «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٦٨)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٨٤٦)، و«أسد الغابة» (٧/ ١١٩)، و«الإصابة» (٨/ ١٤٣) وغيرها.

(٧) كذا في الأصل، وفي المصادر: صبيرة بالصاد، وفي «الطبقات» كما عند المؤلف.

(٨) انظر في ترجمتها: «الطبقات الكبرى» (٤/ ٩٧)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٧٩٠)، و«معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٦٥)، و«أسد الغابة» (٧/ ٢٤)، و«الإصابة» (٨/ ٣٠)، وغيرها.

مثناة تحتية فنون، كذا بخط النّاظم تبعاً لشيخه(١) العلائي التّابع لابن إسحاق(٢).

وقال ابن عبد البر(٣): أميمة بميمين ونسب من ذكره بالنّون إلى التّصحيف.

وقال غيرهم: هميمة بهاء بدل الهمزة(٤)، **بنت خلف** بسكون الفاء، بخط النّاظم للضرورة(٥)، ابن أسعد بن عامر الخزاعي، وكانت لخالد بن سعيد بن العاصي **قرينةً**؛ أي: كانت زوجته، وقد [﴿١٢١﴾] **مضى اسمه** ونسبه أوّل الباب، وهذا حشو. ومنهم أيضاً(٦) **عمّار**(٧) بفتح المهملة وشدّ الميم **ابن ياسر** بمثنّاة تحت ومهملة العنسي بمهملة ونون، المَذْحِجِيّ(٨) أبو اليقظان المطمئنّ بالإيقان، الممتلئ من الإيمان الصّابر على الذّلّ والامتحان، [المثبت في الاضطراب والمحنة](٩)، سبق مع المصطفى ﷺ إلى قتال الطُّغاة، وبقي مع المرتضى إلى طعان البغاة، كان مخصوصاً من المصطفى(١٠) ﷺ بالبشاشة والتّرحيب والبشارة بالتّطييب.

---

(١) في (ك): «لضبط».

(٢) في (ك): «لأبي».

(٣) «الاستيعاب» (٤/ ١٨٤٩).

(٤) «الاستيعاب» (٤/ ١٨٤٩).

(٥) في (ك): «لضرورة الوزن».

(٦) في (ك): «ومن السابقين الأولين».

(٧) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٤)، و«الاستيعاب» (٣/ ١١٣٥)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ٢٠٧٠)، و«أسد الغابة» (٤/ ١٢٢)، و«الإصابة» (٤/ ٤٧٣) وغيرها.

(٨) قال في «القاموس» في (ذجحه): «ومَذْحِجٌ كمَجْلِس: أكَمةٌ، ولَدَتْ مالِكاً وطَيِّئاً أُمُّهُما عندهَا؛ فَسُمُّوا مذْحِجاً».اهـ. يعني: أنهم سُمُّوا كذلك على اسم الموضع أو الأَكَمَة التي ولدتهم أمُّهم عندها.

(٩) قوله: «المثبت في الاضطراب والمحنة» مضروب عليه في (غ).

(١٠) في (ك): «رسول الله».

وهو أحد الأربعة الذين تشتاق لهم الجنَّة(١).

شهد بدراً وكلّ مشهد، وسكن المدينة، وأمَّره عمر على الكوفة، وكتب إليهم أنّه من النّجباء والرّفقاء [وأمه سمية بالتّصغير جارية لأبي حذيفة بن المغيرة، وكان أبو ياسر قدم من اليمن فحالف أبو حذيفة المخزومي فزوّجه سميّة، فولدت عماراً فأعتقه ثم أسلم هو وأبوه قديماً فكانوا من السَّابقين المعذَّبين في الله، ومرَّ بهم المصطفى ﷺ وهم يُعذَّبون فقال: «**صبراً آل ياسر موعدكم الجنة**»](٢).

وهو أوّل من بنى مسجداً؛ وحَسْبُه(٣) فخراً قولُ(٤) المصطفى ﷺ: «**عمار ملئ إيماناً إلى أخمص(٥) قدميه**»(٦)، وقوله ﷺ [له]: «**مرحباً**

---

(١) هذه عبارة أبي نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٦)، وانظر: ترجمة عمار فيها (١/ ١٣٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٦)، وفي «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٨١٣) في ترجمة أبي عمار بن ياسر، وعزاه في «كنز العمال» (١١/ ٣٣٥٦٧) للحارث والبغوي عن عثمان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٩١٩)، والطبراني في «الأوائل» (ص١٩٠، ط: دار الجيل)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (ص٤٤، ط: دار الكتب العلمية)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٨٥) من رواية المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمٰن قال: «أول من بنى مسجداً فصلَّى فيه عمار بن ياسر».
انظر: «تلقيح فهوم الاثر» (٤٦٤)، و«الروض الأنف» (٣/ ٢٤٨).
وقال في «المجمع» (٥/ ٢٧١): منطقع.
والقصة ذكرها الحاكم، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ١٢٢) فقالا: قدم رسول الله ﷺ المدينة أوّل ما قدمها، فقال عمار بن ياسر لرسول الله ﷺ بد من أن نجعل له مكاناً إذا استيقظ من قائلته استظل فيه، وصلى فيه، فجمع عمار حجارة فسوَّى مسجد قباء، فهو أوَّل مسجد بني، وعمار بناه.

(٤) في (ك): «ففاز بقول».

(٥) في حاشية (غ): «الأخمص هو المكان المنخفض».

(٦) أخرجه الترمذي كما قال ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٤٧٣)، وأخرجه ابن ماجه (١٤٧) من حديث علي رضي الله عنه، والنسائي في «الكبرى» (٨٢١٥)، والحاكم =

بالطّيّب المطيّب»[١]، وقال له: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٢]، فقتله جند[٣] معاوية بوقعة[٤] صفِّين وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وصلَّى عليه علي رضي الله عنه ولم يغسله ودفنه في ثيابه كما أوصى به.

وابن فهيرة[٥] بضم الفاء مصغَّر **واسمه** بهمزة وصل [وكسر الميم] **بعامر** عبد أسود اشتراه عبد الله بن الطفيل، أخو عائشة لأمها فأسلم فأعتقه، وهو ممن[٦] دخل دار الأرقم، ورفيق المصطفى ﷺ والصدِّيق رضي الله عنه في الهجرة، وشهد بدراً وأُحداً، وقتله عامر ابن الطُّفيل ببئر معونة[٧] وهو ابن أربعين سنة، ولما طعن خرج من الطّعنة نور[٨].

[﴿١٢٢﴾] **وأبو حذيفة** بالصرف للوزن وهو ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي، واسم أبي حذيفة مهشم ـ بكسر الميم وسكون الهاء ـ أو هشيم أو هشام أو قيس[٩] أو حسل ـ بكسر الحاء وسكون السين

= (٣/ ٣٩٢) من حديث عمرو بن شرحبيل، وقال الحاكم: صحيح على شرط الصحيحين.

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٤٦). وقال ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٤٧٣): وفي رواية: أن علياً قال ذلك.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٥٤٣): روى حديث «تقتل عماراً الفئة الباغية» جماعة من الصحابة... وغالب طرقها صحيحة أو حسنة.

(٣) في (ك): «حزب».

(٤) في (ك): «في وقعة».

(٥) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٣٠)، و«الاستيعاب» (٢/ ٧٦)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ٢٠٥١)، و«أسد الغابة» (٣/ ١٣٤)، و«الإصابة» (٣/ ٤٨٢) وغيرها.

(٦) في (ك): «أول من».

(٧) في (ك): «وقتل عامراً ببئر معونة الطفيل».

(٨) «الروض الأنف» (١/ ٤٣٨).

(٩) قال السُّهيلي (٣/ ١٣٨). وقال الأجهوري: إنه الصواب.

المهملتين ـ من فضلاء الصّحب وأشرافهم، هاجر الهجرتين، وصلَّى إلى القبلتين مع امرأته سهلة، فولدت له بالحبشة محمداً وشهد كل مشهد، وقتل يوم اليمامة(١).

وصهيب ـ بضم المهملة وفتح الهاء ـ ابن سنان ـ بالنّون ـ الكعبي [و]يعرف بالرّومي؛ لأنَّه أخذ لسان الرّوم حين سبوه وهو طفل، فاشتراه عبد الله بن جُدعان بضم الجيم وسكون المهملة فأعتقه ثم أسلم بمكّة هو وعمّار بن ياسر في يوم، والمصطفى ﷺ بدار الأرقم بعد نحو أربعين رجلاً(٢)، وعُذِّب في الله ثم هاجر للمدينة مات سنة ثمان وثلاثين(٣).

وجندب بضم الجيم والدّال، ابن جنادة وقيل: جندب بن السّكن، ولقبه بريرة **وهو أبو ذر** الغفاري ـ بكسر المعجمة وخفَّة الفاء ـ القرشي، كان رأساً في العلم والزُّهد **صدوق اللّهجة طيِّب**؛ أي: طيِّب السّيرة والسَّريرة، جليس المصطفى ﷺ وأنيسه المتخلِّي عن الدُّنيا المتشمّر للعقبى [الّذي عانق البلوى إلى أن لحق بالمولى].

[﴿١٢٣﴾] **وقال** أبو ذر: **إنّي أسلمت رابع لأربعة من تابعي النبي المصطفى، أسلموا معه** روى الحاكم عنه قال: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة، وأنا الرَّابع(٤). وقوله: [أسلموا معه حشو

---

(١) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٨٤)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٦٣١)، و«معرفة الصحابة» (٥/ ٢٨٥٩)، و«أسد الغابة» (٦/ ٦٨)، و«الإصابة» (٧/ ٧٤)، وغيرها.

(٢) في (ك): «يوماً».

(٣) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٦)، و«الاستيعاب» (٢/ ٧٢٦)، و«معرفة الصحابة» (٣/ ١٤٩٦)، و«أسد الغابة» (٣/ ٣٨)، و«الإصابة» (٧/ ٣٧٧)، وغيرها.

(٤) قال الترمسي في شرحه: قال شيخ شيوخنا: أي: من الأعراب، فلا ينافي زيادة من أسلم غيره على خمسة، وبالجملة هو من أقدمهم إسلاماً. اهـ.

ركيك متكلّف][١]، وحديث إسلامه وإقامته عند زمزم مشتهر[٢]. سيَّره عثمان رضي الله عنه إلى الربذة وبها مات سنة اثنين وثلاثين.

[﴿١٢٤﴾] **وكذا** من السّابقين **أنيس** تصغير أنس، وهو **أخه** على لغة النّقص لضرورة النّظم؛ أي: وكان أنيس أخاً لأبي ذر، **وقد أسلما** بألف الإطلاق؛ أي: أسلم أنيس بعد أخيه، وكان أبو ذر رضي الله عنه لما سمع بالمصطفى ﷺ قال لأنيس: اركب إلى هذا الوادي واعلم لي علم الرّجل الذي يزعم أنه يأتيه خبر السّماء، واسمع قوله ثم ائتني فعاد، فقال: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله يسمّونه الصابئ، قال: ما يقول [النّاس]؟ قال: يزعمون أنّه كذّاب وساحر وشاعر، وقد سمعت قوله فما هو بقولهم، فو الله إني لأُراه صدوقاً فأسلم[٣].

وقوله: **ثمت** أصله ثم زيدت فيه تاء التّأنيث المفتوحة، **بعد** بالضّم، [و]أصله بعد ذلك، **أسلمت أمهما** رملة بنت الوقيعة[٤] من بني غفار بن مليك [الغفارية].

[﴿١٢٥﴾] **وكذا** من السّابقين **ابن عبد الله وهو واقد**؛ أي: واقد بالقاف[٥] ودال مهملة ابن عبد الله بن عبد مناف حليف الخطاب بن نفيل[٦] أسلم قبل دار الأرقم، وشهد بدراً وما بعدها مات

---

(١) ما بين المعقوفتين مضروب عليها في (غ).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٤/ ٢١٩)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٦٥٢)، و«معرفة الصحابة» (٢/ ٥٥٧)، و«أسد الغابة» (٦/ ٩٦)، و«الإصابة» (١/ ٦١١)، وغيرها.

(٣) في ترجمة أنيس ينظر: «الاستيعاب» (١/ ١١٣)، و«معرفة الصحابة» (١/ ٢٤٦)، و«الأسد» (١/ ٣٠٢)، و«الإصابة» (١/ ٢٨٤).

(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٥٢)، و«الإصابة» (٧/ ١٠٦).

(٥) قال في «نور النبراس»: إنه بالقاف، ولا أعلم في الصحابة من اسمه وافد ـ بالفاء ـ.

(٦) الذي في «سيرة» ابن سيد الناس (١/ ١١٥) أنه حليف بني عدي.

في خلافة عمر(١).

وكذا من السّابقين **إياس** بكسر الهمزة فمثنّاه تحتيّة خفيفة، [وآخره سين مهملة](٢) وأخوه **عاقل** بعين مهملة وقاف، وأخوهما **وخالد** [**﴿١٣٦﴾**] وأخوهم **عامر**، وهؤلاء **أربعة بنو البكير** بضم الموحدة، ابن عبد ياليل بمثناة تحتية ساكنة [فلام]، من بني عبد مناة، أسلموا بدار الأرقم، وشهدوا كلَّ مشهد، قتل خالد يوم الرّجيع(٣) وعامر يوم اليمامة وعاقل ببدر.

وابن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة، **واسمه عمير** بالتّصغير، وهو أخو سعد قرشي زهري قتل ببدر، وعمره ست عشرة سنة، يقال: ردَّه المصطفى ﷺ مستصغراً له(٤)[فبكى] فأجازه فقتل فيها(٥).

[**﴿١٢٧﴾**] **كذاك بنت أسد فاطمة**؛ أي: وكذلك من السّابقين فاطمة بنت أسد ـ بفتح الهمزة وسين مهملة مفتوحة ـ، ابن هاشم بن عبد مناف، أم علي بن أبي طالب، وهي أوّل هاشميّة ولدت لهاشمي

---

(١) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٩٠)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٥٥٠)، و«معرفة الصحابة» (٥/ ٢٧٢٩)، و«أسد الغابة» (٥/ ٤٠٣)، و«الإصابة» (٦/ ٤٦٥)، وغيرها.

(٢) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٨٩)، و«الاستيعاب» (١/ ١٢٤)، و«معرفة الصحابة» (١/ ٢٩٤)، و«أسد الغابة» (١/ ٣٣٤)، و«الإصابة» (١/ ٣٠٩)، وغيرها.

(٣) انظر: «السير» (٣/ ١١٧، ط: دار الفكر).

(٤) في (ك): «واستصغره»، وكتب في حاشية (غ): «أي: وجده صغير السنّ»، وما ذاك إلّا أنّ النبي ﷺ كان إذا أراد الخروج إلى غزوة، تُعرض عليه الصحابة ﷺ فمن وجده صغيراً منعه الذهاب معه خوفاً عليه.

(٥) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٤٩)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٢٢١)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ٢٠٨٤)، و«الإصابة» (٤/ ٦٠٢)، و«أسد الغابة» (٤/ ٢٨٧) وغيرها.

هاجرت إلى المدينة، وبها ماتت في حياة المصطفى ﷺ فألبسها قميصه وصلّى عليها واضطجع معها في قبرها، وقال: «**لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر لي منها**»(١).

وكذاك بنت عامر بن قُرط العامرية واسمها **ضباعة** بمعجمة مضمومة فموحّدة تحتيّة وعين مهملة، أسلمت بمكة، وهي القائلة:

اليوم يبدو بعضه أو كله　　وما بدا منه فلا أُحلُّه(٢)

[﴿١٢٨﴾] **وعمرو بن عبسة**(٣) **أبو نجيح** بنون مفتوحة فجيم مكسورة ثم حاء مهملة، **فيهم**؛ أي: في السّابقين(٤) **معدود** بالسكون

---

(١) الحديث أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٨٩) بلفظ: «لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ أُمُّ عَلِيٍّ خَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَمِيصَهُ وَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ وَاضْطَجَعَ فِي قَبْرِهَا فَلَمَّا سَوَّى عَلَيْهَا التُّرَابَ، قَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ شَيْئاً لَمْ تَصْنَعْهُ بِأَحَدٍ، قَالَ: «**إِنِّي أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتَلْبِسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ وَاضْطَجَعْتُ مَعَهَا فِي قَبْرِهَا لِأُخَفِّفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، إِنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ صَنِيعاً إِلَيَّ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ**»، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٥٧)، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه سعدان بن الوليد السابري، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

وذكره الذهبي في «السير» (٢/ ١١٨، ط: مؤسسة الرسالة)، وقال: هذا غريب. انظر في ترجمتها: «الطبقات الكبرى» (٨/ ٥١)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٨٩١)، و«معرفة الصحابة» (٦/ ٣٤٠٨)، و«أسد الغابة» (٧/ ٢١٢)، و«الإصابة» (٨/ ٢٦٨)، وغيرها.

(٢) في حاشية (غ): «مراد هذه القائلة بهذا القول: أنه مما يقع لها من شدة الكرب يبدو بعض منها مما لا يجوز النظر إليه أو كله وهي لا تدري بنفسها، وهي لا تجوز النظر إلى ما بدا بل حرام على الناظر إليه». انظر في ترجمتها: «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٥٣)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٨٧٤)، و«معرفة الصحابة» (٦/ ٣٣٨٧)، و«أسد الغابة» (٧/ ١٧٦)، و«الإصابة» (٨/ ٢٢١)، وغيرها.

(٣) في (ك): «عنبسة».

(٤) وقصة إسلامه أخرجها مسلم (٨٣٢) وعنده: «عن أَبِي أُمَامَةَ ـ قَالَ عِكْرِمَةُ: =

= وَلَقِيَ شَدَّادٌ أَبَا أُمَامَةَ، وَوَاثِلَةَ، وَصَحِبَ أَنساً إِلَى الشَّامِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَضْلاً وَخَيْراً ـ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِياً جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «**حُرٌّ، وَعَبْدٌ**»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «**إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى.

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «**صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ**».

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ فَالْوُضُوءَ حَدِّثْنِي عَنْهُ، قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ،** =

للوزن أسلم والمصطفى ﷺ بدار الأرقم، روي عنه من طرق أنّه قال: أُلقي في روعي أنّ عبادة الأصنام باطلة، فسمعني رجل أتكلّم، فقال: إنَّ رجلاً بمكة يقول كما تقول، فأقبلت إلى مكة وهو مستخفي، فقيل لي: لا تقدر عليه إلّا ليلاً حين يطوف، فقمت بين يدي الكعبة فما شعرت إلّا به يهلل، فخرجت إليه فقلت: من أنت؟ قال: «**نبي الله**»، فقلت: من نبي الله؟ قال: «**رسول الله**»، قلت: بما أرسلك؟ قال: «**بأن يعبد الله لا يشرك**(١) **به، وتكسر الأوثان، وتحقن الدِّماء**»، قلت: من تبعك؟ قال: «**حرٌّ وعبد**»؛ يعني: أبا بكر وبلالاً، قلت: ابسط يدك لأبايعك، فبايعته، فقلت: أقيم معك [يا رسول الله]؟ قال: «**لا الحق [بقومك] فإذا سمعت أنّي قد خرجت فاتّبعني**»(٢).

= ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ: «**يَا عَمْرَو بْنَ عَبَسَةَ، انظر: مَا تَقُولُ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ**»، فَقَالَ عَمْرٌو: «**يَا أَبَا أُمَامَةَ، لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِ اللهِ، لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثاً حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَداً، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**».

(١) في (ك): «ولا تشرك به شيئاً».

(٢) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٤/ ٢١٤)، و«الاستيعاب» (١/ ١١٩٢)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ١٩٨٢)، و«أسد الغابة» (٤/ ٢٣٩) و«الإصابة» (٤/ ٥٤٥)، وغيرها.

وعتبة بضم المهملة وسكون المثناة الفوقية(١)، **وعبد الله**(٢) بفتح العين مكبراً، **نجلا**؛ أي: ولدا **مسعود** بالسكون للوزن، وهو ابن غافل بغين معجمة وفاء ابن حبيب الهذلي(٣)، يكنى عتبة أبا عبد الله.

هاجر مع أخيه إلى الحبشة الهجرة الثّانية، ثمّ قَدِمَ مكة(٤) فشهد أُحُداً وما بعدها، قال الزُّهري(٥): ما كان عبد الله بأفقه ولا بأقدم صحبة من أخيه عتبة، لكنَّه مات سريعاً، فبكى عليه عبد الله(٦)، فقيل له: أتبكي؟ قال: نعم، أخي في النَّسب وصاحبي مع المصطفى ﷺ، أحبّ النّاس إليَّ، إلّا ما كان من عمر بن الخطاب(٧).

فهولاء ستة وخمسون نفساً، وبقي بلال(٨) فإنه أسلم قديماً وعُذِّب في الله، روى البخاري عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلّا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر(٩).

---

(١) في (غ): «تحت»، والصواب ما أثبت.

(٢) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٤٢)، و«الاستيعاب» (٣/ ٩٧٨)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ١٧٦٥)، و«أسد الغابة» (٣/ ٣٨١)، و«الإصابة» (٤/ ١٩٨)، وغيرها.

(٣) في (غ): «الباهلي». (٤) في (ك): «المدينة».

(٥) أخرجه الطبراني في «٨٨٩٢»، وأبو نعيم في «المعرفة» (٤/ ٢١٣٠).

(٦) في (ك): «أخوه عبد الله».

(٧) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٢٦)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٠٣٠)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ٢١٣٠)، و«أسد الغابة» (٣/ ٥٦٣)، و«الإصابة» (٤/ ٣٦٥)، وغيرها.

(٨) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٣٢)، و«الاستيعاب» (١/ ١٧٨)، و«معرفة الصحابة» (١/ ٣٧٣)، و«أسد الغابة» (١/ ٤١٥)، و«الإصابة» (١/ ٤٥٥)، وغيرها.

(٩) الحديث أخرجه البخاري (٣٧٢٠) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

قال ابن حجر⁽¹⁾: الأعبد: بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة، وأبو فكيهة مصغَّراً مولى صفوان بن أمية.

وذكر ابن إسحاق أنّه أسلم حين أسلم بلال فعذَّبه أميَّة، فاشتراه أبو بكر ﵁ فأعتقه.

وشقران ذكر ابن السّكن في «الصّحابة»⁽²⁾: أنّ المصطفى ﷺ ورثه من أبيه هو وأمُّ أيمن، وبقي أيضاً أبو عمَّار بن ياسر وأمّه سميَّة وأمُّ الفضل وأبو رافع.

وأخرج أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود ﵁: أوّل من أظهر إسلامه سبعة: المصطفى ﷺ، وأبو بكر، وعمَّار بن ياسر، وأمّه سميَّة، وصهيب وبلال، والمقداد⁽³⁾.

وممن عُدَّ من السّابقين الأوّلين أيضاً: عتبة بن غزوان المازني⁽⁴⁾،

---

(1) «فتح الباري» (١/ ٣٠٠).

(2) «فتح الباري» (٧/ ٢٤).

(3) أخرجه أحمد (٣٨٣٢)، وابن ماجه (١٥٠)، وذكرا فيه السبعة وعندهما: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالاً، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ» واللفظ لابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٨٤) بدون ذكر أسماء السبعة ولكنه ذكر بلالا، وابن أبي شيبة في «المصنف» وفيه ذكر للسبعة (٣٢٩٩٩) وغيرهم كلهم من طريق عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود. فذكره.
وصحَّحه الحاكم، وأقرّه الذّهبي، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده ثقات.

(4) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٧/ ٥)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٠٢٦)، =

وحمزة بن عبد المطلب(١)، ومصعب بن عمير(٢)، وعبد الله بن قيس بن الحارث(٣).

= و«معرفة الصحابة» (٤/ ٢١٢٦)، و«أسد الغابة» (٣/ ٥٥٨)، و«الإصابة» (٤/ ٣٦٣).

(١) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٣/ ٨)، و«الاستيعاب» (١/ ٣٦٩)، و«معرفة الصحابة» (٢/ ٦٧٢)، و«أسد الغابة» (٢/ ٦٧)، و«الإصابة» (٢/ ١٠٥).

(٢) انظر في ترجمته: «الطبقات» (٣/ ١١٦)، «الاستيعاب» (٤/ ١٤٧٣)، «المعرفة» (٥/ ٢٥٥٦)، «أسد الغابة» (٥/ ١٧٥)، «الإصابة» (٦/ ٩٨).

(٣) انظر في ترجمته: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٩٤)، و«الاستيعاب» (٣/ ٩٧٨)، و«معرفة الصحابة» (٤/ ١٧٥٦)، و«أسد الغابة» (٣/ ٣٦٣)، و«الإصابة» (٤/ ١٨٠).

باب سبب إسلام
عبد الله بن مسعود ﵁

١٢٩ ـ جَاءَ لَهُ النَّبِيُّ وَهْوَ يَرْعَى   غُنَيْمَةً يُسِيمُهَا فِي المَرْعَى
١٣٠ ـ قَالَ لَهُ: «شَاؤكَ فِيهَا لَبَنُ»   قَالَ: نَعَمْ لَكِنَّنِي مُؤْتَمَنُ
١٣١ ـ قَالَ: «فَهَلْ فِيهَا إِذاً مِنْ شَاةِ   مَا مَسَّهَا الفَحْلُ؟ إِذاً فَتَاتِي»
١٣٢ ـ بِهَا فَمَسَّ الضَّرْعَ وَهْوَ يَدْعُو   فَامْتَدَّ ضَرْعُهَا وَدَرَّ الضَّرْعُ
١٣٣ ـ احْتَلَبَ الشَّاةَ وَأَسْقَى ثُمَّ مَصْ   فِي شُرْبِه قَالَ لَهُ: اقْلُصْ فَقَلَصْ
١٣٤ ـ قَالَ: فَعَلِّمْنِي لَعَلِّي أَعْلَمُ   قَالَ لَهُ: «غُلَيِّمٌ مُعَلَّمُ»

باب سبب إسلام
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(١)

الـهذلي [صاحب اللّواء والوساد والسّرار والسّواك والسّياق والبدار] أقرب المهاجرين وسيلة وأوفرهم فضيلة ذو المناقب المأثورة، والفضائل المشهورة، وكان نحيفاً قصيراً، يكاد الجلوس يواريه [من قصره] لمَّا [﴿١٢٩﴾] **جاء له النبي ﷺ، وهو يرعى**؛ أي: يسرح، يقال(٢): رعيت الماشية ترعى رعياً فهي راعية إذا سرحت بنفسها، ورعيتها أرعاها يستعمل لازماً ومتعدياً، والفاعل راعٍ كقاضٍ والجمع رعاة كقضاة(٣)، غُنيمة بالضم، مصغَّر غنمه(٤)، والغنم كما في

---

(١) عبد الله بن مسعود هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي وكنيته أبو عبد الرحمٰن مات أبوه في الجاهلية، وأسلمت أُمُّه وصَحِبَتِ النبي ﷺ؛ لذلك كان يُنْسب إلى أُمه أحياناً، أُم عَبْد، وأم عَبْد كنية أُمه رضي الله عنها، وكان أقرب الناس سَمْتاً وهَدْياً برسول الله ﷺ، شَهِدَ بدراً والمشاهد كلها، كان صاحب سواد ـ بكسر السين ـ رسول الله ﷺ؛ يعني: صاحب سره، وكان صاحب وساده؛ يعني: فراشه، وصاحب سواكه، ونعليه، وطهوره، وكان ذلك في السفر فقط، توفي: في المدينة سنة (٣٢هـ) ودُفِنَ بالبقيع.
ترجمته في: «الاستيعاب» (٢/ ٣١٦ ـ ٣٢٤)، «حلية الأولياء» (١/ ١٢٢)، «الثقات» لابن حبان (٣/ ٢٠٨)، «تاريخ الإسلام» (عهد الخلفاء الراشدين) (٣٧٩ ـ ٣٨٩)، «صفة الصفوة» (١/ ١٥٥)، رقم (١٩)، «الإصابة» (٢/ ٣٦٨).

(٢) انظر: «الصحاح» مادة: (رعى).

(٣) في (ك): «بالضم».

(٤) قال الأجهوري: ويصح جعله تصغير غنم وفتح بالتاء كسن. قال ابن مالك:

واختم بتاء التأنيث ما صغرت من   مؤنث عاد ثلاثي كسن =

«الصحاح»(١): اسم مؤنث موضوع لجنس الشّاء، يقع على الذّكور والأناث، ويصغَّر فتدخله الهاء، فيقال: غنيمة؛ لأنَّ أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير آدمي وصُغِّرت، فالتّأنيث لازم لها(٢).

يُسيمها(٣) بضم أوله، يرعاها، يقال: سامت الماشية سوماً إذا رعت بنفسها، وأسامها رعاها فهي سائمة، وهي من السّمة وهي العلامة؛ لأنّها تؤثر في الأرض علامات **في المرعى**؛ أي: في المكان الذي يرعى فيه، وأصل ذلك ما في «المعجم الصغير»(٤) للطّبراني عنه قال: كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط، فجاء رسول الله ﷺ، ومعه أبو بكر [﴿١٣٠﴾] **فقال له المصطفى ﷺ: شاؤك** ـ بالمد ـ جمع شاة يقع على الذكر والأنثى، ويجمع أيضاً على شياه بالهاء، رجوعاً إلى الأصل، كما يقال: شفه وشفاه، ويقال: أصلها شاهه كعاهه(٥)، **فيها لبن؟** لفظ الحديث: فقال: «**هل عندك لبن؟**» قال: فقلت: **نعم لكنني مؤتمن**؛ أي: أمين عليها، [﴿١٣١﴾] **قال**؛ أي: النّبيّ ﷺ: **فهل فيها إذاً من شاة ما مسّها**؛ أي: لم يطرقها **الفحل إذاً فتأتي** [﴿١٣٢﴾] **بها**، لفظ الحديث: [قال] «**فهل عندك شاة لم ينز عليها الفحل**»، قلت: نعم فأتيته بشاة مصوص(٦).

= على أنَّ ما ذكره الشارح، تتوقف صحته على أنّه يقال: غنمة.

(١) انظر: «الصحاح» مادة: (غنم).

(٢) قال أمامها في حاشية (غ): «فائدة: أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير آدمي فالتأنيث لازم لها». اهـ.

(٣) انظر: «الصحاح» مادة: (سوم).
(٤) «المعجم الصغير» (٥١٣).

(٥) في (ك): «كهالهة».

(٦) مضروب عليها في (غ)، وفي بعض المصادر: شصوص. وفي «القاموس» مادة: (شص): وشصوص، شاذ. وشاة شَصُصُ بضمتين: ذهب لبنها.

قال سلام ـ أعني: أبا المنذر ـ أحد الرواة: وهي الّتي ليس لها ضرع فمس لفظ الحديث: **فمسَّ** النبي ﷺ **الضرع** ـ أي: مكانه ـ بيده المباركة **وهو يدعو** الله تعالى؛ أي: يطلب منه إدرار اللبن، **فامتدّ ضرعها [ودرّ] الضرع** وهو لذات الظلف[1] كالثدي للمرأة، وجمعه ضروع؛ كفلس وفلوس، ودرّ اللبن وغيره درّاً كثيراً، وشاة دار بغير هاء، ودرور ـ بالفتح ـ وشياة دار ودرار ككافر وكفار، وأدرّه صاحبه استخرجه واستدر الشاة حلبها، والدر اللبن تسمية بالمصدر، ولفظ الحديث: فإذا ضرع حافل مملؤ لبناً، فأتيته بصخرة مقعَّرة، [﴿١٣٣﴾] **فاحتلب الشاة وأسقى** لغة في سقى، ففي «المصباح»[2] كغيره: سقيته سقياً فأنت ساق، وهو مُسقى على زنة مفعول، قال: وأسقيته بالألف لغة، ولفظ الحديث: فسقى أبا بكر وسقاني **ثم** شرب **ومصّ في شربه**، وليس في لفظ هذه الرواية: ومص في شربه، فإمّا أن يكون النّاظم وقف عليها في رواية أخرى، أو قاله بالاستقراء؛ فإنّه كان يمصُّ في شربه ولا يعبُّ وينهى عنه، والمصُّ عمل الشّفة خاصة، والشُّرب ـ بالضم ـ إيصال المائع إلى الجوف من الفم، ثم **قال** المصطفى ﷺ **له** للضرع **اقلص** بضم الهمزة واللام وبوصل الهمزة، في النّظم؛ أي: انزو وانضم.

فقلصْ بسكون الصاد، في النظم، ولفظ الحديث: فرجع كما كان [﴿١٣٤﴾] **قال** ابن مسعود: فلمَّا رأيت هذا، قلت: **فعلمني** يا رسول الله، **لعلي أعلم**، لفظ الحديث: قلت: يا رسول الله علِّمني فمسح رأسي، وليس في هذه الرواية: لعلي أعلم، ولعله في غيرها، **وقال له**؛ أي: لعبد الله [بن مسعود]: «**بارك الله فيك فإنّك غُليِّم**» بضم المعجمة

---

[1] في حاشية (غ): «الظلف للبقر والشاة بمنزلة القدم للإنسان».

[2] «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للرافعي (١/ ٢٨١، ط: المكتبة العلمية) كتاب السين.

وفتح اللام وشدَّة المثناة تحت، تصغير غلام، ولفظ الحديث: فإنّك غلام «**معلَّم**»، بضم الميم وفتح اللام المشدَّدة، قال: فبينا نحن عنده على حراء إذ نزلت عليه سورة المرسلات، فأخذتها وإنّها لرطبة بفيه، وإنَّ فاه لرطب بها، فلا أدري بأي الآيتين ختم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨﴾ [المرسلات] أو ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ [المرسلات][1].

---

[1] أخرجه الحسن بن عرفة في «جزئه» (ص٦٧، ٦٨) (٤٦، ط: مكتبة دار الأقصى الكويت). ومن طريقه البيهقي في «الاعتقاد» (ص٢٨٤، ط: دار الآفاق)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٦٥) في ترجمة عبد الله بن مسعود ﷺ. كما أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٤٥٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٨٤). وقال الذهبي: «هذا حديث صحيح الإسناد». وانظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (١/ ١١٦، ط: دار القلم).

باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم

١٣٥ ـ وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ دَارَ الأرْقَمِ   لِلصَّحْبِ مُسْتَخْفِينَ عَنْ قَومِهِمِ
١٣٦ ـ قِيلَ: كَانُوا يَخْرُجُونَ تَتْرَى   إلَى الشِّعَابِ لِلصَّلاةِ سِرًّا
١٣٧ ـ حَتَّى مَضَتْ ثَلاثَةٌ سِنِينَا   وَأَظْهَرَ الرَّحْمٰنُ بَعْدُ الدِّينَا
١٣٨ ـ وَصَدَعَ النَّبِيُّ جَهْراً مُعْلِنَا   إِذْ نَزَلَتْ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا﴾ فَمَا وَنَى
١٣٩ ـ وَأَنْذَرَ العَشَائِرَ التي ذَكَرْ   بِجَمْعِهِمْ إِذْ نَزَلَتْ وأَنْذِرْ

باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم(١)

بفتح الهمزة والقاف، وهو الأرقم ابن أبي الأرقم، وهي الدّار المعروفة الآن (بدار الخيزران).

وفي «مستدرك الحاكم»(٢): أنّ الأرقم حبسها وباعها أحفاده(٣) للمنصور.

[﴿١٣٥﴾] **واتخذ النبي دار الأرقم للصحب ليجلسوا فيها مستخفين** بسكون الخاء المعجمة؛ أي: في خفية **عن قومهم** المشركين يصلّون فيها، والقوم: جماعة الرِّجال ليس فيهم امرأة، [الواحد رجل]، سُمُّوا به، لقيامهم بالعظائم والمهمَّات، وقد يدخل فيه النِّساء تبعاً.

[﴿١٣٦﴾] **وقيل: كانوا يخرجون** منها وقت الصَّلاة **تترا**؛ أي:

---

(١) واسم أبي الأرقم عَبْد مناف بن أسد بن عَبْد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي المخزومي، قيل: أنه كان سبع الإسلام سابع سبعة. وقيل أسلم بعد عشرة أنفس. انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٣١)، «الإصابة» (١/ ١٩٦).

(٢) أخرج الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٠٢، ٥٠٣): «وَدُعِيَتْ دَارُ الْأَرْقَم دَارُ الْإِسْلَامِ، وَتَصَدَّقَ بِهَا الْأَرْقَمُ عَلَى وَلَدِهِ، فَقَرَأْتُ نُسْخَةَ صَدَقَةِ الْأَرْقَم بِدَارِهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا قَضَى الْأَرْقَمُ فِي رَبْعِهِ مَا حَازَ الصَّفَا، أَنَّهَا صَدَقَةٌ بِمَكَانِهَا مِنَ الْحَرَمِ لَا تُبَاعُ، وَلَا تُورَّثُ شَهِدَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ، وَفُلَانٌ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: فَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الدَّارُ صَدَقَةً قَائِمَةً فِيهَا وَلَدُهُ يَسْكُنُونَ وَيُؤَاجِرُونَ وَيَأْخُذُونَ عَلَيْهَا حَتَّى كَانَ زَمَنُ أَبِي جَعْفَر».

(٣) في حاشية (غ): «الأحفاد: أولاد الأولاد».

متفرِّقين متسلِّلين يتَّبع بعضهم بعضاً خوفاً من الكفار [كفار مكة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤] **إلى الشعاب** جمع شعب بكسر المعجمة(١) وهو من الوادي ما اجتمع منه طرق وتفرَّق منه طرق، فإذا نظرت إليه من الجانب الذي يتفرَّق أخذت في وهمك واحداً، وإذا نظرت إليه من جانب الاجتماع أخذت في وهمك اثنين، اجتمعوا **للصلاة**؛ أي: لأجل الصلاة فيها **سرّا**(٢) خوفاً من ظهور الكفّار عليهم

---

(١) في (ج)، و(ك): «بالكسر جمع شعب».

(٢) في حاشية (غ): «بألف الإطلاق».

قلت: لعل قوله لأجل الصّلاة سراً، هو ما يعبَّر به عن الدعوة السّريَّة، وهي الثّلاث سنوات الأول من بدء الوحي له عليه الصّلاة والسَّلام، كما أخرج ابن إسحاق في «السّيرة» لابن هشام (٢/ ٦٦٣، ت: السقا) قال ابن إسحاق: ثم دخل النَّاس في الإسلام أرسالاً من الرِّجال والنّساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدِّث به. ثم إن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه: وكان بين ما أخفي رسول الله ﷺ عن أمره واستسرَّ به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين ـ فيما بلغني ـ من مبعثه. . اهـ.

قلت: ولعل هذا دليل من قال بالدعوة السرية، وهذا لا يصلح دليلاً؛ لأنَّ ابن إسحاق عرف بالتدليس ناهيك عن أن هذا بلاغاً، فلا تقوم به حجة. والدليل على أنَّ هذه الدعوة لا توصف بالسرية، ما أخرجه مسلم (٨٢٣) في قصة إسلام عمرو بن عبسة كما تقدّم في هذا الكتاب، وكذلك في قصة إسلام أبي ذر المخرجة عند البخاري (٣٨١٦)، والشاهد من ذلك قول عمرو بن عبسة: سمعت برجل من مكة يخبر أخباراً. . فكيف تكون الدعوة سرية، وهو يخبر أخباراً، وعمرو بن عبسة قطعاً لم يكن في مكة، وإنما جاء إليها وأسلم وكان رابع أربعة، أو خامس خمسه، وفي حديث عمرو بن عبسة المتقدم: فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جُرءاء عليه قومه، ليس فيه دليل على السرية كما قال مسعود بن محمد العقيلي في كتابه الماتع «فقه الواقع بين الدعاوى والبينات» (ص١٣٨، ط: مؤسسة الريان): لأمرين:

الأول: أن قومه ما تجرأوا عليه بالأذى إلا أنَّ أمره ودعوته كانت ظاهرة. =

فيؤذوهم، **وأسلم بها جمع** [﴿١٣٧﴾] **حتى تكاملوا أربعين آخرهم عمر** ﵁(١).

ومضت وهم بها **ثلاثة** بالتنوين **سنينا** جمع سنة، وأصله سنوه لقولهم في الجمع: سنوات.

= **الثاني**: أن رسول الله ﷺ، ربما استخفى ببدنه عن قريش؛ لأنّهم كانوا يؤذونه، فقد اجتمعوا عليه مرة وخنقوه وكادوا يقتلونه، ونظير ذلك تخفيَّة في غار ثور؛ بل ورد في آخر حديث عمرو بن عبسة ﵁: وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا فتخفِّية كان من هذا الباب. ويؤكد ذلك أيضاً أن عمرو بن عبسة ﵁ لما قال للنبي ﷺ: إني متبعك. قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟»، وهذا دليل على أنَّ أذى قريش قد اشتد على الرسول ﷺ وأصحابه في تلك المدة، وهذا يوضِّح أمر استخفائه عليه الصلاة والسلام وأمر عمرو بأن يرجع إلى قومه؛ لأنَّه لا يستطيع ذلك، ولم يأمر بالاستخفاء في مكة؛ لأنَّ قريشاً في الغالب سوف تعرف ذلك وستؤذيه.

وفرق بين الدعوة السرية، والتخفي من الأعداء عن الحاجة. اهـ.

قلت: وبحث هذا يطول، والمقصود أن كثيراً من الدعاوى الإسلامية والحركات اليوم يبنون دعوتهم على السريَّة استناداً إلى ما موَّهوا به، وتم إبطاله آنفاً، ومن المعلوم من سير التاريخ أن الدعوات السياسية والثورات الحزبية هي التي تقوم على السريّة، أما في الدين فلا أصل لها في الشريعة.

فهذا إبراهيم ﵇ جاهر بدعوته، وكذلك فعل موسى ومن قبلهما نوح، ومن بعدهم نبينا ﷺ كما تقدّم قريباً.

بل إنَّ السريّة بعد إتمام الدين واكتمال النعمة ـ إن قلنا بالسريّة ـ لا تدل إلّا على الشر، قال عمر بن عبد العزيز ـ كما أخرجه اللالكائي (٢٥١) وغيره ـ: «إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنَّهم على تأسيس ضلاله». اهـ. بل في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» دلالة على الظهور والوضوح، رغم أنهم طائفة، فليس فيهم تكتم أو سريّة. وسأزيد الأمر بحثاً في تعليقي على «التهيئة» أو «المورد» يسرهما الله.

(١) قال الصالحي في «السبل» (٢/ ٤٢٩): ذكر إسلام عمر هنا غريب، والصحيح أنه أسلم بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة.

وقيل: سنهة كجبهة، لقولهم: سانهته(١) وأظهر الله الرحمٰن ذو الرّحمة الكثيرة، المتفضِّل بجلائل النِّعم العظيمة **بعدُ** بالضَّم؛ أي: بعد ذلك **الدينا** دين الإسلام، فبينا سعد بن أبي وقَّاص ﷺ في نفر من الصّحب، يصلّون في شعب إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون، فناكروهم وعابوا ما يصنعون حتّى قاتلوهم، فضرب سعد يومئذٍ رجلاً من الكفَّار بلحي بعير فشجّه، فكان أوَّل دم أهريق في الإسلام(٢).

وانتشر خبرهم وظهر، والدّين وضع إلٰهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما أخبر به الرسول، [ذكره ابن الكمال].

وقيل: وضع إلٰهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذَّات(٣).

[﴿١٣٨﴾] **وصدع النبي**؛ أي: أظهر النّبيّ ﷺ الدَّعوة(٤) إلى الإسلام في العام الرّابع(٥) **جهراً معلنا** بعد أن كان مستتراً في خفية.

---

(١) «القاموس المحيط» مادة: (سنه).

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» لابن هشام (١/ ٣٠٠، ط: دار إحياء التراث العربي).

(٣) أصول فخر الإسلام البزدوي. مقدمة الكتاب، وانظر: تفسير «السراج المنير» للخطيب الشربيني عند تفسيره للآية التاسعة من سورة الأنعام (١/ ٤٧٦).

(٤) قوله: «أظهر النبي الدعوة» غير واضحة في (غ)، وهي في (ك): «ظهر النبي».

(٥) قال الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣١٨): «ثُمَّ إِنَّ الله ﷻ امر نبيه محمداً ﷺ بَعْدَ مَبْعَثِهِ بِثَلاثِ سِنِينَ أَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، وَأَنْ يُبَادِيَ النَّاسَ بِأَمْرِهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ ـ فِي السِّنِينَ الثَّلاثِ مِنْ مَبْعَثِهِ، إِلَى أَنْ أُمِرَ بِإِظْهَارِ الدُّعَاءِ إِلَى الله ـ مستسرا مخفيا امره ص، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

والصَّدع(١) شق [في] الأجسام الصّلبة(٢)، ومنه استعير، صدَع الأمر؛ أي: فصلَه، قال تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]؛ أي: أفرق بين الحق والباطل وأظهر ذلك(٣).

والجهر: الإظهار، يقال: جَهَر الشّيء يجهر ـ [بفتحتين] ـ ظَهَر، وأجْهَرْتُه ـ بالألف ـ أَظْهَرْتُه، يتعدَّى ولا يتعدَّى، والإعلان: الإظهار، يقال: علن الشيء علوناً ظهر وانتشر [فهو عالن]، والاسم العلانية مخففاً، وأعلنته أظهرته، وبذلك عرف أنّ الصّدع والجهر والإعلان متّحدة المعنى، أو متقاربته(٤) فالجمع للإطناب.

وروى ابن أبي خيثمة عن عائشة(٥) ﵂ لمّا اجتمع الصّحابة، وكانوا ثمانية وثلاثين(٦) رجلاً بدار الأرقم ألحَّ أبو بكر ﵁ على النبي ﷺ في الظّهور، فقال المصطفى(٧) ﷺ: «**إنّا قليل**» فلم يزل يلح

---

(١) قال الجوهري في «الصحاح» مادة: (صدع): «يقال: صَدَعْتُ بالحقِّ، إذا تكلّمت به جهاراً. وقوله تعالى: «فاصْدَعْ بما تُؤْمَر» قال الفراء: أراد فاصْدَعْ بالأمر؛ أي: أَظْهِرْ دينَكَ. أبو زيد: صَدَعْتُ إلى الشيء أَصدَعُ صُدوعاً: مِلْتُ إليه. وما صَدَعَكَ عن هذا الأمر؛ أي: ما صرفك. والتَّصْديعُ: التفريقُ. وتَصَدَّعَ القوم: تفرّقوا».

(٢) في «القاموس»: «الصَّدْعُ الشَّقُّ في شيءٍ صُلْبٍ».

(٣) في «القاموس»: «وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾؛ أي: شُقَّ جماعاتِهِم بالتَّوْحيد، أو اجْهَرْ بالقُرْآن، أو أظهِرْ، أو احْكُمْ بالحَقِّ وافْصِلْ بالأمْرِ، أو اقْصِدْ بما تُؤْمَرُ، أو افْرُقْ به بين الحقِّ والباطِلِ».

(٤) في (ك): «قريبة من الترادف».

(٥) من حديث خيثمة بن سليمان. باب إسلام أبي بكر الصّدّيق ﵁، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٠/ ٤٦، ٤٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٧٦، ٧٧).

(٦) في «تاريخ دمشق»: «تسعة وثلاثين».

(٧) في (ك): «على المصطفى في الظهور، فقال».

حتّى ظهر وتفرّق المسلمون بنواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً والمصطفى ﷺ جالس فكان أوّل خطيب دعا إلى الله، فثار المشركون عليه وعلى المسلمين، فضربوهم ضرباً شديداً ودنا عتبة بن ربيعة من أبي بكر [الصديق] رضي الله عنه فضربه بنعليه، حتّى ما يعرف وجهه من أنفه، فحمل إلى منزله ولا يشكُّون في موته، وما زالوا يضربون ويُضربون، والمصطفى ﷺ يدعو إلى الله عشر سنين يوافي الموسم كل عام، يتبّع الحاج في منازلهم، وفي المواسم حتى بلّغ رسالات ربّه امتثالاً لأمره.

إذ؛ أي: حين **نزلت** عليه آية: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر]، **فما تأخَّر** عمَّا أُمر به، **ولا ونا**؛ أي: ضعف عن التبليغ.

[﴿**١٣٩**﴾] **وأنذر العشائر** جمع عشيرة، وهي القبيلة لا واحد لها من لفظها **التي ذكرهن** الله تعالى في القرآن **بجمعهم**؛ أي: بأجمعهم، **إذ نزلت**؛ آية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، فاشتدَّ ذلك على المصطفى ﷺ وضاق به ذرعاً؛ أي: ضعُفَتْ به طاقته، فمكث نحو شهرٍ في بيته حتى ظنَّ عماته أنّه شاك ثم قام فأنذر(١).

روى الشيخان(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه: لمّا نزلت الآية قام على الصّفا، فعلا أعلاها حجراً ثم نادى: «**يا صباحاه!!**» فقالوا: من هذا؟! فجعل الرّجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، يريد أن يغير عليكم أكنتم مصدقيَّ؟**»

---

(١) انظر في قصة بداية إظهار النبي لدعوته جهراً وماذا حدث بين النبي وصحابته وبين الكفار: «تاريخ الطبري» (٢/٣١٨)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/٩٦ ـ ١١٤)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/١٤٣ ـ ١٦١).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٧٧٠)، و«صحيح مسلم» (٢٠٨/٣٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً، فقال: «**يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، فإنّي لا أغني عنكم من الله شيئاً**»، وذكر مثله لبني عبد شمس وبني لؤي بن كعب، ثم قال: «**يا عباس عم محمد أنقذ نفسك من النار**⁽¹⁾، **يا صفيَّة عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد أنقذا أنفسكما من النار، فإنّي لا أملك لكما من الله شيئاً، غير أنَّ لكم رحماً سأبلّها ببلاها، إنّي لكم نذير من**⁽²⁾ **بين يدي عذابٍ شديد**»، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد]، ثم قال المصطفى ﷺ: «**يا بني عبد المطلب: إنّي والله لا أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم بأمر الدّنيا والآخرة**».

وروى البيهقي⁽³⁾ وغيره عن علي والبراء رضي الله عنهما: لمّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء] قال المصطفى⁽⁴⁾ ﷺ: «**يا علي اصنع رجل شاة على صاع من طعامٍ، ثم اجمع بني عبد المطلب**»، فاجتمعوا وهم نحو أربعين رجلاً، منهم أعمامه، فقدَّمنا لهم تلك الجفنة⁽⁵⁾، فأخذ رسول الله ﷺ منها جذوة فشقَّها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها، وقال: «**كلوا باسم الله**⁽⁶⁾» فأكلوا حتّى نهلوا عنه ما ترى إلّا آثار أصابعهم، فلمّا أراد أن يكلِّمهم بدر أبو لهب فقال: لقد سحركم صاحبكم، فتفرَّقوا ولم يكلِّمهم، فلمّا كان الغد أعدّ لهم مثل ذلك، ثم جمعهم فصنع كما بالأمس، فأكلوا وشربوا حتّى نهلوا، ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا بني**

---

(1) في (ك) بعدها: «ثم قال».

(2) ليست في (ك).

(3) «الدلائل» (٢/ ١٧٩، ١٨٠) عن علي رضي الله عنه، وكذا أخرجه البزار (٤٥٦)، وذكره الصالحي في «السبل» (٢/ ٤٣٤)، وعزاه لابن سعد والبيهقي وأبي نعيم عن علي رضي الله عنه، ولم أقف عليه عن البراء رضي الله عنه.

(4) في (ك): «رسول الله»، وفي (غ) بعدها: «قال».

(5) في (ك): «الحصة».

(6) في (غ): «بالله»، وما أثبت من (ك).

عبد المطّلب والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بأمر الدّنيا والآخرة، من يؤازرني على ما أنا عليه»، قال علي: قلت: أنا يا رسول الله وإنّي أحدثهم سنّاً، وسكتوا، ثم قالوا: يا أبا طالب، ألا ترى ابنك؟! قال: دعوه، فلن يألوا بزعمه إلّا خيراً، ومن ثمّ اشتدَّ الأمر بينه وبين أهله، فمنهم من تبعه ومنهم من أعرض عنه واستهزأ به.

باب ذكر تأييده ﷺ بمعجزة القرآن

١٤٠ ـ وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ القُرْآنَا   آيَةَ حَقٍّ أعْجَزَتْ بُرْهَانَا
١٤١ ـ أَقَامَ فِيهِمْ فَوْقَ عَشْرٍ يَطْلُبُ   إتْيَانَهُمْ بِمِثْلِهِ فَغُلِبُوا
١٤٢ ـ ثُمَّ بِعَشْرِ سُورٍ بِسُوْرَهْ   فَلَمْ يُطِيقُوهَا وَلَوْ قَصِيرَهْ
١٤٣ ـ هُمْ لَعَمْرِي الفُصَحَاءُ اللُّسْنُ   فَانْقَلَبُوا وَهُمْ حَيَارَى لُكْنُ
١٤٤ ـ وأُسْمِعُوا التَّوبِيخَ وَالتَّقْرِيعَا   لَدَى المَلا مُفْتَرِقاً مَجْمُوعَا
١٤٥ ـ فَلَمْ يَفُهْ مِنْهُمْ فَصِيحٌ بِشَفَهْ   مُعَارِضاً بَلِ الإلهُ صَرَفَهْ
١٤٦ ـ فَقَائِلٌ يَقُولُ: هَذَا سِحْرُ   وَقَائِلٌ: فِي أُذُنَيّ وَقْرُ
١٤٧ ـ وَقَائِلٌ يَقُولُ مِمَّنْ قَدْ طَغَوْا: لا تَسْمَعُوا لَهُ وَفِيهِ فَالْغَوا
١٤٨ ـ وَهُمْ إذَا بَعْضٌ بِبِعْضٍ قَدْ خَلا   اعْتَرَفُوا بِأَنَّ حَقّاً مَا تَلا
١٤٩ ـ وَأَنَّهُ لَيْسَ كَلامَ البَشَرِ   وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِمُفْتَرِي
١٥٠ ـ اعْتَرَفَ الوَلِيدُ ثُمَّ النَّضْرُ   وَعُتْبَةٌ بِذَاكَ وَاسْتَقَرُّوا
١٥١ ـ وَابْنُ شَرِيقٍ بَاءَ وَهْوَ الأَخْنَسُ   كَذَا أَبُو جَهْلٍ وَلكِنْ أُبْلِسُوا
١٥٢ ـ وَكَيْفَ لا وَهْوَ كَلامُ اللَّه   مُنَزَّهٌ عَنْ نِحْلَةِ اشْتِبَاهِ
١٥٣ ـ يَهْدِي إلَى التِي هُدَاهَا   بِهِ يُطَاعُ وَبِهِ يُعْتَصَمُ
١٥٤ ـ وَهْوَ لَدَيْنَا حَبْلُهُ المَتِينُ   نَعْبُدُهُ بِهِ وَنَسْتَعِينُ

١٥٥ ـ وَهْوَ الَّذِي لا تَنْقَضِي عَجَايِبُهْ　　وَلا يَضِلُّ أَبَداً مُصَاحِبُهْ
١٥٦ ـ مُعْجِزَةٌ بَاقِيَةٌ عَلَى المَدَى　　حَتَّى إِلَى الوَقْتِ الَّذِي قَدْ وُعِدَا

باب ذكر تأييده ﷺ بالقرآن

وهو اللّفظ المنزّل عليه للإعجاز بسورة منه، المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً [﴿١٤٠﴾] **وجعل الله له القرآنا**، بألف الإطلاق **آية حق** بالإضافة؛ أي: علامة على حقيَّة رسالته **قد أعجزت فصحاء العرب برهاناً**؛ أي: من جهة برهانه وقوة بلاغته حيث أنزله كتاباً ساطعاً تبيانه، قاطعاً برهانه، وحياً ناطقاً ببيناتٍ وحجج، قرآناً عربياً غير ذي عوج مفتاحاً للمنافع الدِّينيّة والدّنيويّة مصدِّقاً لمّا بين يديه من الكتب السَّماويّة، معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان، دائراً من بين سائر الكتب في كل مكان، أفحم⁽¹⁾ به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدَّى⁽²⁾ به من مصاقع الخطباء، فلذلك قال النّاظم:

[﴿١٤١﴾] **أقام فيهم فوق عشر**⁽³⁾ من السّنين يجاهدهم ويقرأ عليهم، [و] **يطلب إتيانهم بمثله** فلم يتصدَّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض بمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنّهم كانوا أكثر من حصا البطحاء وأوفر⁽⁴⁾ عدداً من رمال

---

(١) في حاشية (غ): «الإفحام»: الإسكات يقال: أفحمته إذا أسكتُّه بالحجة، كذا في «الصحاح».

(٢) في حاشية (غ): «التحدي بالدال: الامتحان».

(٣) يقصد فترة مكوثه بمكة للدعوة.

(٤) في (ك): «وأوفرهم».

الدّهناء(١)، ولم ينبض(٢) منهم عرق العصبيَّة مع اشتهارهم بالإفراط في المضادّة والمضارّة، وإلقائهم الشّراشر على المعازَّة(٣) والمعارَّة(٤)، وبقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط(٥)، وركوبهم في كل ما يرومونه الشّطط، إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر، وإن رماهم بمأثرةٍ رموه بمآثرٍ، وقد جرّد لهم الحجّة أوّلاً والسّيف آخراً، فلم يعارضوا إلّا السّيف وحدَّه.

فغلبوا وعجزوا، [﴿١٤٢﴾] **ثم** لمّا عجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، فعجزوا وتحدّاهم الله، فقال الله تعالى: فأتوا **بسورة** واحدة مثله في الفصاحة والبلاغة **فلم يطيقوها**؛ أي: لم يطيقوا الإتيان بها وأعجزتهم(٦) **ولو قصيرة** كسورة الكوثر.

بل وقع التّحدّي بأقل من سورة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤]، فدخل فيه الآية، فإنَّها كلام تام من جنس ما فيه إعجاز المخاطبين بالإتيان.

بل عجزوا حتَّى عن بعض الآية المفيدة؛ [و]لأنّ في ارتباطها بما بعدها وقبلها أنواعاً من بدائع الحكم، ولا يحيط بها غيره عليه الصَّلاة والسَّلام، فالحق أنّهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته حتَّى

---

(١) في حاشية (غ): «الدهناء مكان بأرض الحجاز ذات رمال كثير».

(٢) في حاشية (غ): «يتحرك»، وفي (ك): «يبيض».

(٣) في «تاج العروس» مادة: (عزز): «وغَلَبَه في المُعازَّة؛ أي: المُحاجَّة».

(٤) في حاشية (غ): «المعرَّة: المساءة، يقال: وعره: لطخه به». «المصباح».

(٥) في حاشية (غ): «الرماح».

(٦) في النسخة و(ك) بعدها: «وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ وقد ضُرب عليها في النسخة (غ)».

﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾(١) [المدثر].

والحاصل: أنّه لم يستطع أحد من الإنس والجن(٢) أن يأتي بمثل شيء منه؛ على نظمه البديع، وتأليفه المنيع، وعذوبة منطقه، وما فيه من الأمثال، والأخبار بالمغيَّبات، ودلائل البعث والنبوة، والأخلاق الفاضلة وضدّها، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨].

[﴿١٤٣﴾] **وهم والله لعمري** بفتح المهملة(٣)؛ أي: حياتي **الفصحاء** البلغاء **اللُّسن** بضمِّ اللّام الثّانية وسكون السّين جمع ألسن؛ أي: الآخذين من عوارضهم بألسنتهم السّلطة.

والفرق بين الفصاحة(٤) والبلاغة(٥).

أنّ الأُولى: خلوص اللّفظ من تنافر الحروف والغرابة.

والثّانية: مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ بأن يدلَّ على ما يقتضيه حال المتكلم أو المخاطب، أو المحكي من تنكير أو إطلاقٍ أو تقديم أو إضمار أو إيجاز أو فصل وضد كل.

وبلاغة المتكِّلم ملكةٌ يقتدر(٦) بها على إيراد الكلام البليغ غير

---

(١) في (ك): «وبعضها المفيد، لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها».

(٢) في (ك): «ولا من الجن».

(٣) في (ك): «العين».

(٤) في «الصحاح» مادة: (فصح): «رجلٌ فصيحٌ وكلامٌ فصيحٌ؛ أي: بليغٌ. ولسانٌ فصيحٌ؛ أي: طلقٌ. ويقال: كلُّ ناطقٍ فصيح، وما لا ينطِقُ فهو أعجمُ. وفَصُحَ العَجَمِيُّ بالضم فَصاحَةً: جادت لغته حتَّى لا يَلْحَنَ».

(٥) في «لسان العرب» مادة: (بلغ): «والبَلاغةُ الفَصاحةُ والبَلْغُ والبِلْغُ البَلِيغُ من الرجال ورجل بَلِيغٌ وبِلْغٌ حسَنُ الكلام فَصِيحُه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه والجمعُ بُلَغاءُ وقد بَلُغَ بالضم بَلاغةً؛ أي: صار بَلِيغاً».

(٦) في (ك): «ينال».

محتاج إلى تعقُّب أو استدراك، وأفاد النَّاظم بهذا أنّ المصاقع(١) فضلاً عن غيرهم مع كونهم الخطباء البلغاء(٢).

والمصاقع الفصحاء الفهماء وغيرهم المتقدّمون في اللسن والتّبيان، والرّؤساء في قوانين المعاني والبديع والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة والشّجعان في مهامه(٣) البلاغة، أظهروا عوار عجزهم عن ذلك! وذلك أعجب في الآية!! وأوضح في الدّلالة من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص!! لأنّ قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك، ولا يتعاطون(٤) علمه، وفصحاء قريش، كان أعلى أربهم ومنتهى طلبهم التّفنن في أفانين الفصاحة والتنزّه في رياض البلاغة، والتقدّم في أعاجيب الخطابة وأساليب البراعة، فدلّ عجزهم عنه مع ذلك على أنّه إنّما هو لكونه من أعلام نبوته وبراهين رسالته، وهذه حجة قاطعة، ومحجة ساطعة، إذ محال أن يلبثوا ثلاثاً وعشرين سنة على السّكوت عن معارضة آية منه، المستلزم لنقص أمره، وتفريق أتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها، وطلبها منهم وقتل أكابرهم وسبي ذراريهم؛ فلذلك قال النَّاظم:

فانقلبوا [أي:] تحوَّلوا **وهم حيارى**(٥) متردِّدون مضطربون، يقال:

---

(١) في حاشية (غ): «المصقع: هو الخطيب البليغ».

(٢) قال الزمخشري في مقدمته لكتابه «مفتاح العلوم»: «ثم الصلاة والسلام على حبيبه محمد البشير النذير. بالكتاب العربي المنير. الشاهد لصدق دعواه بكمال بلاغته. المعجز لدهماء المصاقع عن إيراد معارضته. إعجازاً أخرس شقشقة كل منطيق. وأظلم طرق المعارضة فما وضح إليها وجه طريق. حتى أعرضوا عن المعارضة بالحروف. على المقارعة بالسيوف. وعن المقاولة باللسان. على المقاتلة بالسنان. بغياً منهم وحسداً. وعناداً ولدداً.».

(٣) جاء في حاشية (غ): «المهمة: هو الأرض الفيحاء الواسعة».

(٤) في (ك): «ولا يتعاوضون».

(٥) قال الزمخشري في «أساس البلاغة» مادة: (حير): «حار الرجل في أمره فهو حائر وحيران، وامرأة حيرى، وهم وهن حيارى، وحيرته فتحير. وحار بصره».

حار في أمره يحار حيراً وحيرة ولم يدر وجه الصواب، فهو حيران والجمع حيارى كسكارى(١)، وحيَّرته فتحيَّر.

لُكْن(٢) ـ بضم فسكون ـ جمع ألكن، واللكنة العي وثقل اللسان، ويقال: الألكن الذي لا يفصح بالعربية [﴿١٤٤﴾] **وأُسمعوا** بضم الهمزة وكسر الميم؛ أي: أسمعهم الله على لسان رسوله فيما أنزله من القرآن على عدم معارضته، والإتيان بمثله.

التوبيخ؛ أي: اللوم الشّديد العنيف **والتقريعا** بألف الإطلاق؛ أي: التّعنيف، والتّعيير بعجزهم عن معارضته، حتّى كشف من نقصهم ما كان مستوراً **لدى** لغةً في لدن؛ أي: عند **الملا** بسكون اللام وألف بغير همز لضرورة النَّظم(٣)؛ أي: بين يدي الجمّ الغفير، **مفترقاً مجموعاً**؛ أي: في حال افتراقهم عن النّاس، إذا خلوا(٤) وحال اجتماعهم(٥)، فلولا عجزهم لكان محالاً أن يتركوا الإتيان بمثله، ويتعرَّضوا لإشراع الأسنة، ويقتحموا موارد الموت، وقال لهم: إن زعتم أنّي أفتريته لعلمي بأخبار الأمم، فأتوا بمفترىً مثله، فلم يرم ذلك خطيب، ولا طمع فيه

---

(١) والأصل كما قال الأزهري: أن ينظر الإنسان إلى شيء، فيغشاه ضوء، فيصرف بصره عنه.

(٢) قال الزمخشري في «أساس البلاغة» مادة: (لكن): «رجل ألكن، وقوم لكنٌ، وفي لسانه لكنة: عيّ، وتلاكن في كلامه: أرى من نفسه اللكنة ليضحك الناس».
وقال ابن دريد في «جمهرة اللغة» (ك ل ن): «اللَّكَن: ثِقَل اللسان كالعُجمة؛ رجل ألْكَنُ وامرأة لَكْناءُ من قوم لُكْن. ونَكَلْتُ عن الشيء نُكولاً».

(٣) في (ك): «الوزن».

(٤) في (ك بعدها: «بقومهم».

(٥) في (ك) بعدها: «عليهم». قال الأجهوري: قول الشارح هذا غير سديد. وقال الترمسي: معترفاً: أي: معترفاً بالعجز عن المعارضة، وإن كان مجموعاً مع غيره.

شاعر، ولا تكلَّفه مِصقع ـ بكسر الميم(١) ـ وإلا لظهر، ووجد من يحامي عنه، ويزعم بمجرد الدّعوى أنّه عارض وناقض، فإذا لم يوجد ذلك مع أنّ كثيراً منهم هجاه وعارض شعر أصحابه وخطباء أمته، قطع بتحيِّرهم وعجزهم وانقطاعهم.

ولذلك قال الخطَّابي: كان المصطفى ﷺ أعقل خلق الله، وقد قطع القول بأنَّ ما أتى به من عند ربِّه معجز، وأنّهم لا يأتون بمثل أقصر سورة منه، فلولا أنّه على بيّنة جليّة من ربِّه، وإلا لمّا قطع به على أنّه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته، وبالقصور عن بلوغ الغرض في مناقضته، فلم يستطع أحد منهم أن يناويه، بل رضيت هممهم السرية(٢) ونفوسهم الأبيّة، إذ كانوا آنف شيء وأشده حميّة بسفك الدِّماء وهتك الحرم، ولهذا قالوا: من أعلى وجوه إعجاز القرآن: أنّ فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب، مع أنّهم أوتوا منها ما لم يؤته غيرهما، فما راعهم إلّا رسول كريم، [من رب] بكتاب حكيم بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول، وهم أفصح من كانوا في هذا الباب مقالاً، وأشهر ما وجدوا في الخطابة والشِّعر مثالاً صارخاً فيهم في كل حين، مقرعاً لهم على رؤوس الملا أجمعين.

[﴿١٤٥﴾] **فلم يفُه** بضم الفاء؛ أي: ينطق، يقال: فاه الرّجل بكذا يفوه، تلفّظ به، **منهم فصيح بشفه**(٣)؛ أي: بكلمة واحدة منه؛ بل

---

(١) بياض في (ك).

(٢) في حاشية (غ): «السرية: أي: هي العالية الشريفة وهي بالسين المهملة»، وفي باقي النسخ: «السوية».

(٣) قال الجوهري في «الصحاح» مادة: (شفه): «الشَفَةُ: أصلها شَفَهَةٌ؛ لأنَّ تصغيرها شُفَيْهَةٌ. والجمع شِفاهٌ بالهاء. وإذا نَسَبْتَ إليها فأنت بالخيار إنْ شئت تركتَها على حالها وقلت شَفِيٌّ مثال دَمِيٌّ ويَدِيٌّ وعِدِيٌّ، وإن شئت شَفَهِيٌّ. وزعم قومٌ أنَّ الناقص من الشَفَهِ واوٌ؛ لأنه يقال في الجمع شَفَواتٌ. ورجلٌ =

أفحم كل مصقع من مهرة قحطان، وبَكَت كلّ مفلق من سَحَرة البيان، بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا. والشّفه: مخفف(١) ولامه(٢) محذوفة، والهاء عوض عنها، وللعرب فيها لغتان، منهم: من يجعلها هاء ويبني عليها تصاريف الكلمة، ويقول(٣) الأصل: شفهه(٤) وتجمع على شفاه، مثل كلبة وكلاب، وعلى شفهات كسجدة وسجدات، وتُصغَّر على شفيهة.

معارضاً له بها، بل لم يزالوا في تقهقر عن المعارضة صابرين على الجلاء والقتل والصّغار والإذلال، ناكصين عن معارضته محجمين عن مماثلته مخادعين أنفسهم بالتّشغيب(٥) والتّكذيب والاعتراف بالافتراء في قولهم(٦): ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]، و﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، و﴿إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤]، و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النمل: ٦٨]، والمباهلة والرِّضا بالدنيَّة؛ كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [النساء: ١٥٥]، و﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥]، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾(٧) [فصلت: ٥]، مع ظهور(٨) غاية العجز عليهم، ولو أطاقوا أدنى معارضة لبادروا

= أَشْفَى، إذا كان لا تنضم شَفَتاهُ كالأَرْوَقِ. ولا دليلَ على صحته».
وقال الرازي في «مختار الصحاح» مادة: (شفة): «الشَّفَة أَصْلُها شَفَهَة لأَنَّ تصغيرها شُفَيْهَةٌ وجَمْعها شِفَاه بالهاء. وزَعَم بَعْضُهم أنَّ النَّاقص من الشَّفَة وَاوٌ لأَنَّه يُقَال في الجَمْع شَفَوَات ولا دَليلَ على صِحَّته. والمُشَافَهَة المُخاطبة من فِيكَ إلى فِيهِ».

(١) في (ك): «مخففة».

(٢) في (ك): «ولامها».

(٣) في (ك): «ويقال».

(٤) في (ك): «شفة».

(٥) في حاشية (غ): «التشغيب: تهييج الشر».

(٦) في (ك): «قلوبهم».

(٧) في النسخة (ك): خلل في نقل الآيات الكريمة.

(٨) في (ك): «ادعاء ظهور».

إليها، بل أبلسوا فأيسوا وقطعوا فانقطعوا، والمعارضة: إقامة الشّيء في مقابلة ما يناقضه(١).

بلِ الإله سبحانه **صرفةٌ** عنه، وهذا بناء على القولِ بأنّه كانَ في مقدورهم الإتيان بمثله في الفصاحة والبلاغة، لكن صرفهم الله عنه، والإعجاز في ذلك ظاهر أيضاً؛ لأنّه ما من صناعةٍ محمودة ولا مذمومة إلا بينها وبين قوم مناسبة خفيَّة واتّفاق جملي(٢)، ولذلك تجد هذا يؤثر حرفةً، لانشراح صدره لها، وآخر يكرهها وينشرح لأخرى وهكذا.

فلمّا دعا الله أهل الخطابة والفصاحة الذين يهيمون في كل وادٍ من المعاني بسلاطة ألسنتهم إلى معارضة القرآن، فعجزوا عن الإتيان بمثله، ولم يتصدّوا لمعارضته(٣)، لم يخف على أولي الألباب أنّ صارفاً إلـٰهياً صرفهم عنه، وأي إعجاز أبلغ من ذلك.

هذا توجيه القول بالصّرفة، وهو رأي النظّام(٤) من المعتزلة، فإنّه قال: إنّ الله ما أنزل(٥) القرآن ليكون حجّة على النّبوّة، بل هو كجميع الكتب المنزلة لبيان الأحكام من حلال وحرام، والعرب إنّما لم يعارضوه؛ لأنّه تعالى صرفهم عن ذلك، وسلب علومهم(٦) به. انتهى.

---

(١) قال المناوي في «التوقيف على مهمات التعاريف» في فصل العين (١/ ٦٦٤، ت: الداية): «المعارضة لغة المقابلة على سبيل الممانعة وعبر عنه بعضهم بأنه إقامة الشيء في مقابلة ما يناقضه واصطلاحا إقامة الدليل على خلاف ما أقامه عليه الخصم».

(٢) كتب في حاشية (غ): «أي: في الجملة».

(٣) في (ك): «يقصدوا للمعارضة».

(٤) هو إبراهيم بن سيَّار بن هانئ، أبو إسحاق البصري. من رؤوس المعتزلة متهم بالزندقة، مات في خلافة المعتصم سنة (٢٣١هـ)، «لسان الميزان» (١/ ٦٧) من اسمه إبراهيم.

(٥) في (ك) بعدها: «الله».

(٦) في (ك): «عقولهم».

وهو⁽¹⁾ فاسدٌ، ويدلُّ على فساده وجهان:

الأوّل: أنَّ عجزهم عن المعارضة لو كان، لكونه⁽²⁾ تعالى أعجزهم عنها⁽³⁾، بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحة القرآن، بل يجب أن يكون تعجُّبهم من تعذُّر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً لهم، كما أن نبيّاً لو قال: معجزتي أن أضع يدي على رأسي هذه السّاعة، ويكون ذلك متعذِّراً عليكم، ويكون الأمر كما زعم، لم يكن تعجبهم⁽⁴⁾ من وضع يده على رأسه، بل من تعذر ذلك عليهم، ولمّا علمنا بالضّرورة أنَّ تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسها، بطل ما قاله النظَّام.

الثّاني⁽⁵⁾: إنَّ نسيان الصِّيغ المعلومة في مدة يسيرة يدلُّ على زوال العقل، و[معلوم أنّ] العرب لم تزل عقولهم بعد التّحدِّي، فبطل ما قاله النظام، ومن النَّاس من جعل الإعجاز في أنّ أسلوبه مخالف لأسلوب الشِّعر والخطب والرَّسائل، سيِّما في مقاطع الآيات، مثل ﴿يَعلَمُونَ﴾ و﴿يُؤمِنُونَ﴾، وهو باطل؛ لأنّه لو كان الابتداء بأسلوب معجزاً، كان الابتداء بأسلوب الشِّعر معجزاً؛ ولأنّ الابتداء بأسلوب لا يمنع الغير من الإتيان بمثله؛ ولأنّه يلزم أن يكون ما تعاطاه مسيلمة من الحماقة في: إنا أعطيناك المهاجر⁽⁶⁾ فصلِّ لربِّك وهاجر. وكذا: والطَّاحنات طحناً، والعاجنات عجناً في أعلى مراتب الفصاحة، ولأنّا لمّا فاضلنا بين قوله:

---

(١) في (ك): «وذلك». (٢) في (ك): «لأن الله».

(٣) في (ك): «عن المعارضة». (٤) في (ك): «تعجب القوم».

(٥) في النسختين (م)، و(ك): «الثّاني: أنّه لو كان كلامهم مقارناً في الفصاحة، قبل التّحدّي لفصاحة القرآن، لوجب أن يعارضوه بذلك، ولكان الفرق بينه كلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدّي وكلامهم قبله، كالفرق بين كلامهم بعد التّحدّي وبين القرآن، ولما لم يكن كذلك بطل ذلك. الثالث.

(٦) في (ج): «الجواهر».

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩] وبين أبلغ كلمة عندهم وهي: القتل أنفى للقتل، لم تكن المفاضلة بسبب الوزن، والإعجاز إنما يتعلق بما به ظهرت الفضيلة؛ ولأنّ وصف بعض العرب⁽¹⁾ للقرآن: بأنّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، لا يليق بالأسلوب، ومنهم من جعل الإعجاز⁽²⁾ في أنّه ليس فيه تناقض ولا اختلاف، وهو باطل؛ لأنّ التّحدِّي كما وقع بالقرآن كلّه وقع بالسّورة، وقد يوجد في خطبهم ما قدره قدر سورة الكوثر، ولا يكون فيه اختلاف وتناقض، ومنهم من قصر وجه الإعجاز على اشتماله على الغيوب وهو باطل؛ لأنّ التّحدّي وقع بكل سورة، والإخبار عن الغيب لا يوجد في كل سورة⁽³⁾.

ولمّا بطلت هذه المذاهب فلا بد من أمرٍ معقول، حتّى يصح التحدّي به ويعجز الغير عنه.

ومنهم: من زعم أنّ العجز إنّما وقع للموجودين في زمنه، وأمَّا من بعدهم، ففي قدرته⁽⁴⁾ الإتيان بمثله وهو باطل؛ لأنّ جمعاً ممن انتهت إليهم الرِّئاسة في الفصاحة وقوّة الذّكاء تعرَّضوا لمعارضته؛ كابن المقفَّع والمعري والمتنبي، فلم يأتوا إلا بما تمجّه الأسماع وتنبوا عنه الطّباع، ونادى⁽⁵⁾ عليهم بالخزي والانقطاع، وصيَّرهم سُخريةً وضحكةً بالإجماع، حتى تاب أكثرهم وأظهر النَّدم والنُّكس⁽⁶⁾.

ولمّا لم يبق وجه معقول في الإعجاز سوى الفصاحة؛ عُلم أنّ وجه كونه معجزاً هو الفصاحة.

بل ذهب بعضهم إلى أنّ علم إعجازه ضروري.

---

(1) هو الوليد بن المغيرة.

(2) في (ك): «إعجاز الإعجاز».

(3) في هذه الأمور كلها يُقرأ «إعجاز القرآن» للباقلاني.

(4) في (ك): «مع قدرتهم».

(5) في (ك): «وينادي».

(6) في (ك): «ندمه ونسكه».

والأصحُّ أنّ محلّه فيمن شاهد المصطفى ﷺ، أو علم وجوه[١] الإعجاز.

وظاهره أنّ المشاهد يحصل له العلم الضّروري بإعجازه، وإن لم يعلم وجوه الإعجاز ولا يبعد ذلك؛ بأنّ[٢] من كشف عن قلبه الغطاء عند المشاهدة يحصل له العلم الضّروري بأنّه معجز للخلق عن محاكاته؛ لأنّ هذا أمر يدركه الذّوق السّليم، وإن لم يكن لصاحبه أن يعبِّر عنه، ولمّا عجزوا عن معارضته وتحيّروا شرعوا يختلقون عليه.

[﴿١٤٦﴾] **فقائل منهم يقول**[٣]**: هذا سحر**[٤]، فردَّ عليهم الوليد بن المغيرة ـ وهو من رؤوسائهم ورؤوسهم ـ: قد رأينا السّحرة فما هو بنفثهم، **وقائل منهم يقول: في أذني** بشدّة المثناة تحت، **وقر**؛ أي:

---

(١) في (ك): «وجه». (٢) في (ك): «لأن».

(٣) من قوله في الصفحة السابقة: «بأسلوب الشعر معجزاً» إلى هناك فُقِدَ من (غ)، لكن لم يُفْقَد من (ف) التي تتوافق مع (غ) كما أشرتُ آنفاً في مقدمة التحقيق عند الكلام على النسخ الخطية، أثناء الكلام على نسخة (ف)، فكأنَّه لم يُفقد كذلك مِن (غ) لأجل هذا.

(٤) أخرج الحاكم في «مستدركه» (٢/٥٠٦، ٥٠٧): «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالاً. قَالَ: لَمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّداً لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلاً يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟ فَوَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئاً مِنْ هَذَا وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ، قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١﴾ [المدثر]».

صمم فلا أسمع ما يقوله، [﴿١٤٧﴾] **وقائل يقول** وهو أبو جهل ـ لعنه الله ـ وشيعته⁽¹⁾، وكانوا **ممن قد طغوا**، تجبَّروا وتمرّدوا: **لا تسمعوا له** قرأته كما أخبر الله [تعالى] عنهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]؛ أي: لا تسمعوه وعارضوه باللّغوِ والباطل.

وفيه فالغوا؛ أي: عارضوه بكلام باطل غير مفهوم⁽²⁾.

[﴿١٤٨﴾] **وهم** إنّما كانوا يفعلون ذلك ظاهراً.

وإذا بعض منهم ببعض قد خلا اعترفوا بأنّ حقاً ما تلا؛ أي: أقرُّوا بأنّ ما جاء به من القرآن حق وأذعنوا له، [﴿١٤٩﴾] وقالوا: **وأنّه ليس من كلام البشر**، بل كلام الله **وأنّه ليس له بمفتري**، كيف والرّواسي تكاد أن تمور لهيبته؟! والحديد يكاد يذوب من خشيته، برهانه جلي لا ريب فيه، ومنهاجه سوي لا يضل من ينتحيه، يحاور تارة بأفصح عبارة ويلوح أخرى بألطف إشارة [﴿١٥٠﴾] **اعترف الوليد** بن المغيرة بذاك؛ أي: بأنّه حق.

روى البيهقي وغيره: أنّه ـ أعني: الوليد وكان زعيم⁽³⁾ قريش في الفصاحة ـ طلب منه أن يقرأ عليه فقرأ⁽⁴⁾: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠].

فاستعاده إيّاها فأعادها، فقال: والله إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو ولا يُعلى، وما

---

(١) في (ك): «وحزبه».

(٢) أخرج ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٢٠) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾، قال: بالتصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله.

(٣) في حاشية (غ): «أي: زعيمهم».

(٤) في (ك) بعدها: «عليه».

يقول هذا بشر، وما فيكم أعلم بالشّعر منّي، فأجمعوا فيه رأياً قبل حضور وفود العرب في الموسم، لئلا يكذب بعضكم بعضاً، إلى آخر ما يأتي عنه [فقالوا: نقول: كاهن]، قال: ما هو بزمزمته ولا بسجعه، قالوا: مجنون، قال: ما هو بخنقه ولا بوسوسته، قالوا: شاعر، قال: قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه، وما هو بشاعر، قالوا: ساحر، قال: ما هو بنفثه ولا بعقده، وما أنتم فاعلون(١) من هذا شيئاً إلا أعلم أنّه باطل(٢).

وروى الحاكم، أنّه لمّا رقَّ(٣) لقراءة القرآن، جاءه أبو جهل، فقال: يا عم إنَّ قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً لأن أتيت محمداً للمال، فقال: لقد علموا أنّي من أكثرهم مالاً، فقال: فقل فيه ما يعلم قومك أنّك كاره له، قال: ماذا أقول؟ وذكر ما مرَّ من مدح القرآن، قال: لا يرضى قومك حتَّى تقول فيه، قال: دعني حتَّى أفكر، فلمَّا فكَّر قال: هذا سحرٌ يؤثره؛ أي: ينقله عن غيره(٤).

فتأمّل قضاء هؤلاء الأشقياء على نفوسهم بالعناد المحض والسفساف(٥) الصرف(٦)، والتقوّل الباطل(٧).

---

(١) في (ك): «بقائلين».

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٨) و«الشعب» (١٣٣) و«الاعتقاد» (١/ ٢٦٨)، وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/ ٤٣٣)، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٢٤، ط: دار ابن حزم): «ذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب) بغير إسناد، ورواه البيهقي في (الشعب) من حديث ابن عباس بسند جيد، إلا أنّه قال: الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة. وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة بنحوه».

(٣) في (ك): «ردَّه».

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٦، ٥٠٧) من حديث ابن عباس، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

(٥) في حاشية (غ): «الردئ من كل شيء». «قاموس».

(٦) في (ك): «القبيح».

(٧) في (ك): «والنقول الباطلة».

ثم [اعترف] **النضر** بذاك، وهو بنون وضاد معجمة، ابن الحارث وكان من رؤوس بني عبد الدّار، **واعترف عتبة بذاك**، وهو بضم المهملة وسكون المثناة فوق، ابن أبي ربيعة، وكان من رؤوس بني عبد شمس، فكل منهم اعترف بذلك، لكن طبع الله على قلوبهم، ومن يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضلل فما له من هاد. **واستقروا على** كفرهم وعنادهم⁽¹⁾، والسّين مزيده والمراد أقرُّوا بحقيقة ما جاء به.

روى البيهقي وغيره: أنّ عتبة [بن ربيعة] قام من جمع قريش إلى المصطفى ﷺ وهو جالس بالمسجد وحده، فعرض عليه المال وغيره ليكفَّ عما هو عليه، فقال: «اسمع مني»، وقرأ [عليه]: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت] إلى أن بلغ السّجدة⁽²⁾، فسمع ما أبهره، فقال للمصطفى ﷺ: أنت وذاك، فقام إليه أصحابه، [فقال بعضهم لبعض: قد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به، فقالوا له: ما وراءك؟! قال: سمعت قولاً ما سمعت مثله قطُّ، فوالله ما هو شعر ولا سحر، ولا كهانة، أطيعوني [يا] معشر قريش، وخلّوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ، ولمّا بلغ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت]، أمسكت فمه وناشدته الرّحم أن يكفّ، وقد علمتم أنّه إذا قال لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب]⁽³⁾.

---

(١) وقع عند الترمسي: واستقرأوا: أي: طلبوا من النبي ﷺ أن يقرأ لهم ليسمعوا. فلما سمعوا لم يقبلوا، بل جحدوا وعاندوا حسداً وبغضاً.

(٢) يعني: إلى أن بلغ الآية التي فيها السجدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فصلت].

(٣) من قوله: «فقال بعضهم لبعض: قد جاءكم بغير الوجه» إلى هنا مضروب عليه في (غ).

والقصة أخرجها البيهقي في «الاعتقاد» (١/ ٢٦٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» =

[﴿١٥١﴾] **وابن شريق** ـ بشين معجمة مفتوحة، وراء مكسورة ومثناة تحت(١) ساكنة [وقاف ـ ابن عمرو بن وهب](٢) الثقفي، **باء**؛ أي: رجع عن معارضته، **وهو** [اسمه **الأخنس**](٣) بخاء معجمة ونون وسين مهملة.

وكذا أبو جهل بن هشام؛ رجع؛ **ولكن أُبلسوا**؛ أي: تحيَّروا وسكتوا مصرِّين على طغيانهم وعنادهم، ولم يزدادوا إلا ضلالاً وعناداً وطغياناً وفساداً.

رُوِي عن الزّهري(٤)، قال: إنّ أبا جهل وأبا سفيان بن حرب والأخنس، خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلِّي ليلاً، فأخذ كل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتَّى إذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم(٥) الطَّريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثمّ انصرفوا حتَّى إذا كانت اللّيلة الثّانية فعلوا كذلك، فلمّا رجعوا جمعتهم الطَّريق أيضاً، وقالوا مثل مقالتهم، ثم فعلوا في الثّالثة كذلك، وجمعتهم الطّريق وتلاوموا، وقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا، فلمّا أصبح الأخنس أخذ عصاه، ثم أتى أبا سفيان فقال: أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: والله سمعت

= (١/ ٢٣٠)، كذلك ذكرها ابن إسحاق وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٠٨).

(١) في (ك): «تحتية».

(٢) ما بين المعقوفتين طمس في (غ).

(٣) زيادة من (ك).

(٤) قال في «السبل» (٢/ ٤٧٠): روى ابن إسحاق والبيهقي عن الزهري والحافظ محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات عن الزهري عن سعيد بن المسيب، بسند صحيح أنه حَدَّث.. ثم ذكره.

(٥) في (ك): «مجمعتهم».

أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها، فقال: وأنا والذي حلفت به، ثم أتى أبا جهل، فقال: ما رأيك فيما سمعت؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشّرف، أطعموا فأطعمنا، وأعطوا فأعطينا، حتَّى إذا تجارينا على الرُّكب، وكنّا كفرسي رهان قالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السَّماء، فمتى(١) ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً(٢).

[﴿١٥٢﴾] **وكيف لا** يعترفوا ويذعنوا ويعجزوا عن الإتيان بشيء يشبه شيئاً من أجزائه، **وهو كلام الله** القديم غير مخلوق، وهو **منزّه عن نحلة اشتباه** بكسر نون نحلة بضبط النّاظم؛ أي: عن دعوى الإتيان بشيء يشبه شيئاً منه، وما أحسن ما قيل: لو وجد مصحفٌ بفلاة [من الأرض]، لشهدت العقول السّليمة بأنّه من عند الله!! وأنّه لا يشبه كلام الخلق، وقد علم مما مر عِدَّة وجوهٍ لإعجازه إجمالاً، وأما تفصيلاً فقد قال الأئمة: إنّه ينحصر مقصود إعجازه في أربعة أمور:

أحدها: ما فيه من البلاغة والإيجاز والتّراكيب، بحيث وصل في كل منها إلى المرتبة العليا لفظاً ومعنى ولا كذلك غيره ولهذا لمّا سمع أعرابي ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] سجد!! وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام.

ولمّا سمع نصراني ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ﴾ [النور: ٥٢] قال: جَمَع هذا ما أُنْزِلَ على عيسى من أمر الدُّنيا والآخرة.

وقد رام بعض سخفاء(٣) العقول محاكاة بعض قصار المفصل [فأتى

---

(١) في حاشية (غ): «استفهام».

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٧)، وعزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٩) لابن إسحاق، والبيهقي في «الدلائل» عن الزهري.

(٣) في حاشية (غ): «السخف: ضعف العقل».

من الهذيان بالعجب العجاب؛ كقول مسيلمة الكذاب: يا ضفدع]⁽¹⁾ كم تنقّين⁽²⁾ أعلاك في المّاء وأسفلك في الطين، لا الماء تكدِّرين ولا الطين تمنعين.

وكقول الآخر: ألم ترك كيف فعل ربّك بالحبلى؟ أخرج من بطنها نسمة تسعى، من بين شراسيف⁽³⁾ وأحشا.

وقول الآخر: الفيل وما الفيل، وما أدراك ما الفيل؟ له ذنب وثيل⁽⁴⁾ وشعر طويل إنَّ ذا من خلق ربنا لقليل.

الثّاني: أنَّ كونه من جنس كلام العرب، خارج عن جنس سائر فنونه، من نظم وسجع وخطب ونحوها⁽⁵⁾، فحيَّر عقولهم وأدهشهم فلم يهتدوا إلى شيء منه، إذ لا مثال له يحتذى عليه⁽⁶⁾ ولا إمام يرجع عند الاشتباه إليه، وقد رام قوم من المتأخرين انتهت إليهم فصاحة وقتهم شيئاً من محاكاته، فاعترتهم هيبة فطمتهم⁽⁷⁾ عن ذلك.

ومنهم من فصل كلاماً وجعله سُوَراً، فسمع صبياً يقرأ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [هود: ٤٤]، فتاب ومحا ما كان كتب.

الثّالث: تأثيره في النُّفوس والقلوب، بحيث تجد من اللذّة

---

(١) ما بين المعقوفتين طمس في (غ). (٢) في (ك): «تنقنقين».

(٣) كتب في حاشية (غ): «الشَّراسيف: الأضلاع».

في «تهذيب اللغة» (٦/ ٤٥٨): «والبَهوُ: ما بين الشراسيف، وهي مقاطُّ الأضلاع».

(٤) في «القاموس» الوثل ـ محركه ـ الحبل من الليف، وكأمير الليف والرشاء الضعيف، وكل حبل من الشجر. . .

(٥) في (ك): «وضبط وشبهها».

(٦) في (ج) و(م): «يهتدى إليه»، وفي (ك): «إليه».

(٧) في حاشية (غ): «أي: منعتهم».

والحلاوة عند سماعه ما ليس لغيره، ولهذا لا يملّه قارئه وسامعه، بل كلّما زاد تكريره زادت حلاوته واتّضحت طلاوته.

الرّابع: ما فيه من الإحاطة بعلم الأوّلين والآخرين، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ومن الإخبار بالمغيبات مما كان ويكون، انتهى(١).

وقد جعل الله القرآن في هذه الأمة رحمة [﴿١٥٣﴾] **يهدي** من اهتدى به **إلى** الطريق المستقيم، **التي هداها** هو أقوم، الطّرق إلى الله وإلى النعيم المقيم.

كيف وقد جعله [الله] تعالى مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله، وحجّة نيّرة واضحة المكنون، وآية بيّنة لقوم يعقلون، وناطقاً يتلوا آيات ربه، فهل من سامع واع، ومجيبٍ صادقٍ، فهل له من داع يكلّم الناس على قدر عقولهم، ويرد جوابهم بحسب مقولهم، مع ما هو عليه من شدة عذوبته، وانسجامه وجزالة معناه وغاية إيجازه، وحسن مغزاه(٢) وخروجه عن [مدلولات مقاصده] كلام العرب حتَّى صار جنساً آخر متميزاً عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح، وكثرة أخباره الصّادقة عن الأمم الماضية وأخرى عن المغيبات، وما فيه من العلوم التي لا تحصى مع كونه لا يزال غضّاً طريّاً على الألسنة، وفي الأسماع.

به يطاع وبه يعتصم ـ بالبناء للمجهول ـ(٣) فإنّه العروة الوثقى لمن تمسَّك به وعمل بما فيه.

---

(١) من قوله السابق: «ولا إمام يرجع عند الاشتباه إليه، وقد رام قوم من المتأخرين» إلى هنا سقط من (ك).

(٢) في (ك): «مقاصده»، وفي حاشية (غ): «أي: إرادته ومقاصده».

(٣) في (ك): «من داع يكلم الناس على قدر عقولهم، ويرد جوابهم بحسب عقولهم به يطاع وبه يعتصم بالبناء للمفعول».

[﴿١٥٤﴾] **وهو لدينا** عندنا في اعتقادنا أنّه كلام الله القديم(١)، **وحبله المتين**؛ أي: الشّديد القوي، **نعبده وبه نستعين**، لكن التعبُّد بآياته ودلائله، والاعتبار بأمارته ومخائله، والتمسك بإشاراته السنيَّة، والعمل بمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر، وكنوز آثار التّعاجيب والعبر مما لا يمكن البشر إلا بتوفيق من(٢) خالق القوى والقدر.

[﴿١٥٥﴾] **وهو الذي لا تنقضي عجائبه**؛ أي: لا تنتهي ولا تنقطع على مدار الزمان.

كيف وهو المتضمَّن لدقائق العلوم النظرية والعملية(٣)، المظهر لتفاصيل الشّعائر(٤) الدّينية، المفسر(٥) لمشكلات الآيات الكونيّة، الكاشف عن خفايا خطائر القدس، المطلع على خبايا سرائر(٦) الإنس، به تُكتسب الملكات الفاخرة، ويتوصل إلى سعادة الدّنيا والآخرة، وهو مع ذلك منطوٍ على دقائق الفنون الخفيّة والجليَّة، حاوٍ لتفاصيل الأحكام الشّرعيّة، محيط بمناط الدّلائل الأصليّة والفرعيّة، منبئ عن(٧) أسرار الحقائق والنّعوت، مخبر بأطوار الملك والملكوت، عليه يدور فلك

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٤٥٥، ط: دار المعرفة) وفيه: «وَالْكَلَامُ الْقَدِيمُ مَعْنًى قَائِمٌ بِالذَّاتِ لَا يَتَعَدَّدُ وَلَا يَتَجَزَّأُ بَلْ هُوَ مَعْنًى وَاحِدٌ إِنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَهُوَ قُرْآنٌ أَوْ بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَهُوَ تَوْرَاةٌ مَثَلاً وَذَهَبَ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ وَغَيْرُهُمْ إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ كَلَامُ اللهِ وَكَذَا التَّوْرَاةُ وَأَنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّماً إِذَا شَاءَ وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِحُرُوفِ الْقُرْآنِ وَأَسْمَعَ مَنْ شَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ صَوْتَهُ وَقَالُوا إِنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ قَدِيمَةُ الْعَيْنِ لَازِمَةُ الذَّات لَيْسَ مُتَعَاقِبَةً بَلْ لَمْ تَزَلْ قَائِمَةً بِذَاتِهِ مُقْتَرِنَةً لَا تُسْبَقُ وَالتَّعَاقُبُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ بِخِلَافِ الْخَالِقِ».

(٢) في (ك): «بتقادير».

(٣) في (ك): «والعلمية».

(٤) في (ك): «الشرائع».

(٥) في (ك): «والمفسر».

(٦) في (ك): «سائر».

(٧) في (ك): «مبني على».

الأوامر والنّواهي، وإليه تستند معرفة الأشياء كما هي، قد نُسج على أغرب منوال وأبدع طراز(١) واحتجبت طلعته بسبحات(٢) الإعجاز، وطويت حقائقه الأبيّة عن العقول، وزويت دقائقه الخفيّة عن أذهان الفحول، واحتوى على علوم الأوَّلين والآخرين.

حتَّى قال بعضهم: ما من شيء في العالم إلا وهو فيه، فقيل له: فأين ذكر الخانات فيه، فقال في ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ [الآية] [النور: ٢٩] قال: فهي الخانات(٣).

وقال بعضهم: ما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهمه، حتَّى إنّ عُمْر المصطفى ﷺ استنبط من آخر سورة المنافقين، فإنّها رأس ثلاث وستين سنة، وعقبها بالتغابن لعلّها بفقده.

وقال ابن عبّاس: لو ضاع عقال بعير لوجدته فيه.

ولا يضل أبداً مصاحبه؛ أي: حافظه العامل بما فيه، لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما(٤): ضمن الله لمن اتّبع القرآن أن لا يضلّ في الدّنيا، ولا يشقى في الآخرة.

[﴿١٥٦﴾] **معجزة**(٥) بالنصب؛ أي: حال كونه معجزة، ويجوز رفعه خبر مبتدأ محذوف، **باقية** بعده **على طول المدى** ـ بفتحتين ـ الغاية، **حتى إلى الوقت الذي قد وعدا**؛ أي: وعد الله أن يرفع فيه القرآن.

---

(١) مطموسة في (غ) و(م).

(٢) في حاشية (غ): «السبحات»، الأنوار؛ أي: أنوار الإعجاز.

(٣) في (ف): «الخنانات».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٩٢٦).

(٥) في (ك) بعدها: «ما في».

فهو المعجزة العقلية التي خُصَّت بها هذه الأمة، فإنّ أكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسيّة لبلادتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وحدَّة(١) أفهامهم؛ ولأنّ هذه الشريعة لمّا كانت باقية على صفحات الدّهور إلى يوم القيامة، خُصَّت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذووا البصائر، كما قال في حديث البخاري: «**ما من الأنبياء نبي إلّا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيته وحياً..**»(٢) الحديث.

وفي معناه قولان غير متنافيين، لرجوع حاصلهما إلى أنّ المراد أنّ معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم(٣)، مع كونها حسيّة تشاهد بالأبصار؛ كناقة صالح وعصا موسى، فلم يشاهدها إلّا من حضرها، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة، وتستمرُّ إلى يوم القيامة، لا يمرُّ عصر إلا ويظهر فيه شيء آخر(٤) أخبر بأنّه سيكون، فكان من يتبعه لأجلها أكثر إذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الأوّل.

---

(١) في (ك): «وكمال».

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/٦): «قَوْلُهُ: مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ مَا مَوْصُولَةٌ وَقَعَتْ مَفْعُولاً ثَانِياً لِأُعْطِيَ وَمِثْلُهُ مُبْتَدَأٌ وَآمَنَ خَبَرُهُ وَالْمِثْلُ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ عَيْنُ الشَّيْءِ وَمَا يُسَاوِيهِ وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ آيَةً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ شَأْنِ مَنْ يُشَاهِدُهَا مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ لِأَجْلِهَا وَعَلَيْهِ بِمَعْنَى اللَّامِ أَوِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالنُّكْتَةُ فِي التَّعْبِيرِ بِهَا تَضَمُّنُهَا مَعْنَى الْغَلَبَةِ أَيْ يُؤْمِنُ بِذَلِكَ مَغْلُوباً عَلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ عَنْ نَفْسِهِ لَكِنْ قَدْ يَجْحَدُ فَيُعَانِدُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ وَقَالَ الطِّيبِيُّ: الرَّاجِعُ إِلَى الْمَوْصُولِ ضَمِيرُ الْمَجْرُورِ فِي عَلَيْهِ وَهُوَ حَالٌ أَيْ مَغْلُوباً عَلَيْهِ فِي التَّحَدِّي وَالْمُرَادُ بِالْآيَاتِ الْمُعْجِزَاتِ وَمَوْقِعُ الْمِثْلِ موقعه من قَوْله فَأتوا بِسُورَة مثله أَيْ عَلَى صِفَتِهِ مِنَ الْبَيَانِ وَعُلُوِّ الطَّبَقَةِ فِي الْبَلَاغَةِ».

(٣) في (ك): «أعمارهم».

(٤) في (ك): «أمر».

باب ذكر كفاية اللهِ لنبيِّه ﷺ المستهزئينَ

١٥٧ ـ وَقَدْ كَفَى المُسْتَهْزِئِينَ البُعَدَا   اللَّه رَبُّنَا فَبَاؤوا بِالرَّدَا
١٥٨ ـ فَعَمِيَ الأَسْوَدُ ثُمَّ الأَسْوَدُ   الآخَرُ اسْتَسْقَى فَأَرْدَتْهُ اليَدُ
١٥٩ ـ كَذَا أَشَارَ لِلْوَلِيدِ فَانْتَقَضْ   الجُرْحُ وَالعَاصِي كَذَاكَ فَعَرَضْ
١٦٠ ـ لِرِجْلِهِ الشَّوْكَةُ حَتَّى أُرْهِقَا   وَالحَارِثُ اجْتِيحَ بِقَيْحٍ بَزَقَا
١٦١ ـ وَعُقْبَةٌ فِي يَوْمِ بَدْرٍ قُتِلا   أَبُو لَهَبْ بَاءَ سَرِيعاً بِالبَلا
١٦٢ ـ ثَامِنُهُمْ أَسْلَمَ وَهْوَ الحَكَمُ   فَقَدْ كَفَاهُ شَرَّهُ إِذْ يُسْلِمُ

باب ذكر كفاية الله لنبيه ﷺ المستهزئينَ من كفار قريش ومن تبعهم

الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر].

وهم جماعة كانوا يُبالغون في إيذائه والسخرية به.

[﴿١٥٧﴾] **وقد كفى المستهزئين البعدا الله ربُّنا**؛ أي: قد كفى الله تعالى نبيه محمد ﷺ المستهزئين به، البُعداء من رحمة الله بأن أهلكهم، **فباؤا** [أي] رجعوا وانقلبوا إلى جهنم **بالردا**؛ أي: بالإهلاك بآفة بسبب استهزائهم بنبيِّه، ومع توليه تعالى لإهلاكهم، سلَّاه، فأعلمه أنّ هذا ليس خاصاً به، بل الأنبياء قبله كذلك، بقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠].

ورُوِيَ أنَّه شكاهم لجبريل، فقال: «أُمرت أنْ أكفيكهم»، ثم أشار إلى كلٍّ منهم بما أصابه.

[وذلك لا ينافي دعاؤه عليهم؛ لأنّ دعاءه كان سبباً لإشارة جبريل إليهم بالهلاك](١).

قال الجمهور(٢) ـ ومنهم ابن عبّاس في أكثر الروايات

---

(١) مضروب عليها في (غ).

(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٥٠)، في باب كِفَايَةُ الله أمر المستهزءين، قال فيه: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ عُظَمَاء المستهزءين، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، خَمْسَةَ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ وَشَرَفٍ فِي قَومهمْ. =

عنه[(١)] ـ: كانوا خمسة، وقال جمع منهم ابن عبد البر[(٢)]: ـ وأقتصر عليه جمع [ابن الهائم] ـ[(٣)]: ثمانية. وجرى عليه النّاظم.

[﴿١٥٨﴾] **فعمي الأسود** بن أسد بن عبد العزى، وهو الأوّل[(٤)]، فطمس بصره كما طُمست بصيرته، حتَّى لم يبق له تمييز بين الحسن[(٥)] والقبيح، [وليس العمى إلا عمى البصيرة][(٦)].

قال البلاذري[(٧)]: كان هو وأصحابه يتغامزون بالمصطفى ﷺ وصحبه، ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض، ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر، وكلّم المصطفى ﷺ بكلام شقَّ عليه، فدعا عليه أن يعمي الله بصره، ويثكل ولده، فخرج يستقبل ابنه، وقد قدم من الشام، فقعد في ظلّ شجرة، فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها

= وانظر في ذلك: «السيرة» لابن إسحاق (ص٢٥٤) فصل حديث قصة المستهزئين والآيات.

(١) انظر: «الروض» (٢/ ٢١٤)، و«دلائل النبوة» (٢/ ٣١٦، ٣١٧)، و«السبل» (٢/ ٦٠٥).

(٢) «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبد البر (١/ ٤٧ ت: شوقي ضيف) وقال فيه: «وَكَانَ المستهزئون الَّذين قَالَ الله فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر] عَمَّهُ أَبَا لَهب، وَعقبَة بْن أبي معيط، وَالْحكم بْن أبي العَاصِي، وَالْأسود بْن الْمطلب بْن أَسد أَبَا زَمعَة، وَالْأسود بْن عَبْد يَغُوث، والعاصي بْن وَائِل، والوليد بْن الْمُغيرَة، والْحَارث بْن غيطلة السَّهْمِي وَيُقَال لَهُ ابْن الغيطلة».

(٣) قال في «السبل» (٢/ ٦٠٥): «وصحَّحه في الغرر».

(٤) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٤٨ ـ ١٥٠، ط: دار المعارف)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣١٨)، و«السبل» (٢/ ٦٠٧).

(٥) في (ك): «المليح».

(٦) ما بين المعقوفتين مضروب عليه في (غ).

(٧) هو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، مؤرخ جغرافي نسابه، له شعر. كان يجيد الفارسية. له مصنفات، توفي سنة (٢٧٩هـ).

خضراء وبشوكة منها فاستغاث بغلامه، فقال: لا أحد يصنع بك شيئاً غير نفسك، وقتل ابنه بيوم بدر(١).

ثم الثّاني منهم(٢): **الأسود الآخر**، وهو ابن عبد يغوث بن وهب بن زهرة، وهو ابن خال المصطفى ﷺ كان يقول له: أما كُلِّمت اليوم من السماء يا محمد؟ فخرج من عند أهله فأصابته السموم، فاسودَّ وجهه حتَّى صار حبشيّاً، فأتى أهله فلم يعرفوه، وأغلقوا دونه الباب، فرجع فساح حتَّى مات عطشاً.

رواه أبو نعيم عن ابن عبَّاس(٣).

ويقال: أومأ جبريل بيده إلى بطنه ففي الحال **استسقى**؛ أي: عرض له داء الاستسقاء وهو داءٌ خبيث على أنواع، المراد هنا الزقى وهو امتلاء الأمعاء بالماء الفاسد المبطل للحار الغريزي المفضي إلى الهلاك عن قرب(٤).

فأَردته اليد؛ أي: أهلكته يد جبريل بأن مات حالاً(٥).

رواه أبو نعيم(٦) أيضاً وغيره.

ويقال(٧): بل أومأ جبريل إلى رأسه، فضربته الآكلة، فتمخط رأسه قيحاً فمات.

---

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٤٨).

(٢) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٣١، ١٣٢)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣١٨)، «السبل» (٢/ ٦٠٥).

(٣) «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصفهاني (١/ ٢٧١)، «السبل» (٢/ ٦٠٦): رواه أبو نعيم بسندٍ ضعيف عن ابن عبّاس.

(٤) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٣٢).

(٥) في «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٣٢): «حبناً».

(٦) «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصفهاني (١/ ٢٦٨) عن عروة بن الزبير.

(٧) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٣٢).

رواه الطبراني والبيهقي(١) والضياء(٢).

ويقال(٣): عطش فشرب الماء فلم يرو حتى انشق بطنه، ويحتمل أنّ الكل حصل له.

[﴿١٥٩﴾] **وكذا أشار** جبريل **للوليد** بن المغيرة [المخزومي] وهو الثّالث(٤)، وهو يطوف بالبيت، وذلك أنّه مر برجل يريِّش أسهماً، فوطئ على سهم منها فخدشه خدشاً يسيراً فأومأ إليه جبريل.

فانتقض الجرح الذي أصابه، وضربته الآكلة في رجله فمات، وقيل: أصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر أن يهوي لإزالتها، فضربها بالسّوط(٥) فأصابت رجله فتآكلت ومات بها قبل وقعة بدر.

والرَّابع(٦): **العاصي** بن وائل السهمي **كذاك** [أيضاً] مرَّ بجبريل وهو جالس مع النبي ﷺ، فقال جبريل: يا محمد كيف تجده؟ قال: بئس عبد الله، فأشار إلى أخمص قدميه، وقال: قد كفيته، فركب حماراً، ويقال: بغلة بيضاء يريد الطائف، فنزل شعباً فربضت(٧) [به](٨) دابته، **فعرض** [﴿١٦٠﴾] **لرجله الشوكة** فانتفخت فصارت كعنق البعير، **حتى أرهقا** بضم الهمزة وسكون الراء وكسر الها أي لحقه الموت وغشيه الهلاك، من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣١٨). (٢) المصدر السّابق بسندٍ صحيح.

(٣) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٤٨).

(٤) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٣٣)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣١٨).

(٥) في (غ): «بالصوت».

(٦) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٢٥ ـ ١٣٠)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣١٨)، «السبل» (٢/ ٦٠٧).

(٧) في (ك): «فضربت»، وفي حاشية (غ): «أي: بركت، يقال: ربضت الناقة إذا بركت».

(٨) زيادة من (ك) وبعدها: «أي: بركت».

وقيل: ربضت به دابته فلدغ فمات مكانه. رواه أبو نعيم(١).

والخامس(٢): **الحارث** بن قيس السَّهمي، وهو ابن العيطلة ينسب إلى أمّه، وكان يأخذ حجراً يعبده، فإذا رأى أحسن منه تركه وأخذ الأحسن، وفيه نزل: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ﴾ [الجاثية: ٢٣]؛ أي: مهويه، وكان يقول: غرَّ محمد نفسه وصحبه إذ وعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يهلكنا إلا الدهر، ومرور الأيام والحوادث، أكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب عليه حتّى انقدّ بطنه. رواه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة، وقيل: أصابته الذبحة(٣).

وقيل(٤): **اجتيح**؛ أي: أصابته جائحة، فابتلي **بقيح** امتخطه من أنفه، **وبزقا**؛ أي: وبزق القيح أيضاً من فمه إلى أن مات.

والسّادس(٥): [﴿١٦١﴾] **وعقبة** بن أبي معيط ونونه للوزن **في يوم بدرٍ قتلا** بألف الإطلاق، قتلاً ذريعاً، وأُلقي في قليب بدر.

رُوِيَ أنّه كان يجلس مع المصطفى ﷺ ولا يؤذيه، وكان رجلاً حليماً، وكان قريش إذا جلسوا معه آذوه(٦)، وكان لا يقدم من سفر إلا

---

(١) «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصفهاني (١/ ٢٧٠).

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣١٨)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٣٢)، و«السبل» (٢/ ٦٠٦).

(٣) في حاشية (غ): «الذبحة: وجع في الحلق»، «القاموس»، وفي (ك) بعدها: «وجع في الحلق».

(٤) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٣٢).

(٥) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٤٧، ١٤٨).

(٦) كتب مقابله في حاشية (ك): «انظر: هذا الذي قاله هذا الشيخ في عُقْبَة؛ لعله تصحيف؛ فالمحفوظ أن عقبة قُتِلَ صَبْراً قرب المدينة بعد الرجوع (من ثغر وها) نحوه في آخر كلام هذا الشيخ». وما بين القوسين هكذا وقع في هامش (ك) والظاهر أن صوابه: «مِن بدر وها» لأن المعروف أنَّه قد قُتِلَ بعد الرجوع مِن بدْرٍ، ويدلّ على أنَّ الصواب هنا هو «بدر» قوله فيما بعده: «وها نحوه في =

صنع طعاماً، فَقَدِمَ وصَنَعَهُ، ودعا المصطفى ﷺ فقال: «**مَا أَنَا بِالَّذِي آكُلُ طَعَامَكَ**[١] **حَتَّى تَتَشَهَّدَ**»، فتشهَّد وكان له خليل غائب بالشّام فقدم ليلاً، فقال لامرأته: ما فعل محمد؟ فقالت له أشد ما كان، قال: ما فعل خليلي؟ قالت: صبأ، فلمّا أصبح أتاه ابن أبي معيط فحيّاه فلم يردّ عليه، فقال: ما لك؟ قال: قد صبوت؟ قال: أو قد فعلتها قريش؟ قال: لا والله لكن رجل دخل على آخر، فأبى أن يأكل من طعامه إلا أن يشهد [له]، فاستحيا منه فشهد، قال: ما أنا بالذي أرضى عنك، حتّى تأتيه فتبزق في وجهه، فتشتمه ففعل، فقال المصطفى ﷺ: «**إن وجدتك بين جبال مكة، ضربت عنقك صبراً**»، فلمّا كان يوم بدر أبى أن يخرج، وقال: قد أوعدني بكذا، فقالوا: لك جمل أحمر لا يُدرك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج فأُسر في سبعين من قريش، فقال: أتقتلني من بين هؤلاء؟ قال: «**نعم**»، فضربت عنقه لعنه الله، ولم يقتل من الأسرى غيره.

والسَّابع[٢]: **أبو لهب** عم المصطفى، وكان من أشدَّ المشركين عليه، يطرح الغائط والأذى على بابه، روى ابن سعد عن عائشة مرفوعاً: «**كنت بين شرِّ جارين بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، إن كانا ليأتياني بالفروث**[٣]**، فيطرحانها علي بابي، حتَّى إنّهم ليأتون ببعض ما يطرحونه من الأذى، فيطرحونه على بابي**».

= آخر كلام هذا الشيخ»؛ لأنَّه سيأتي في القصة ما يفيد مقتله بعد الرجوع مِن بدْرٍ؛ والله أعلم.

وانظر: لهذه القصة: «دلائل النبوة» لأبي نعيم (١/ ٤٧٠، ت محمد رواس قلعه جي)، «إمتاع الأسماع» للمقريزي (١٢/ ١٦٣)، «السُّبل» للصالحي (٢/ ٤٦٨)، «السيرة الحلبية» (١/ ٤٤٧).

(١) في (ك): «مِن طعامك».

(٢) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٣٠ ـ ١٣١)، «السبل» (٢/ ٦٠٩).

(٣) كُتب في الهامش من النسخة (غ): «الكروش»، وفي (ك): «بالروث».

باء سريعاً بالبلا؛ أي: رجع قتيلاً بسرعة، رماه الله بعد وقعة بدر، بسبع ليال بالعدسة(١) ونفر العرب منه، فتركه أهله حتَّى مات، وأقام ثلاثة أيام لم يُدفن حتَّى أنتن فخافوا العار، فحفروا له حفرة فرموه فيها. قالوا: بعث أبو لهب، ابنه عتيبة(٢) بشيء يؤذي به رسول الله ﷺ، فسمعه يقرأ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم]، فقال: أنا كافر برب النجم، فقال المصطفى ﷺ: «**سلّط الله عليه كلباً من كلابه**»، فخرج في تجارة، فجاء الأسد وهو نائم بين صحبه بحُوران(٣)، فجعل يشم حتى انتهى إليه، فضغمه ضغمة(٤) ضمغة أتت عليه فجعل يقول: وهو بآخر رمق: ألم أقل لكم إنَّ محمداً أصدق الناس، فمات(٥).

---

(١) كتب في الهامش: «داء ردئ عند العرب».

(٢) تصغير عتبة.

(٣) قال ياقوت في «معجم البلدان»: حوران: كورة؛ أي: بقعة يجتمع فيها قرىً ومحالٌّ واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة.

(٤) كتب في الهامش: «أي: عضه بفمه».

(٥) رواه الطبراني في «الكبير» من حديث قتادة بن دعامة مرسلاً (٢٢/٤٣٦).
هذه القصة أخرجها أبو نعيم في «الدلائل» (٢٧٨) بإسناد فيه الواقدي وهو متروك، وإسنادها مرسل، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٣٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٥٣٩) من طريق العبّاس بن الفضل. كذبه غير واحد وعندهما أنَّ اسمه لهب، وقد صحّحها الحاكم!
وأخرجها أبو نعيم في «الدلائل» (ص٤٥٥)، وابن عساكر في «التاريخ» (٣٨/٣٠١)، والأصبهاني في «الدلائل» (٣٠٦) من طريق محمد بن إسحاق، وإسناده منقطع.
وأخرجها الأصبهاني في «الدلائل» (٢٦٨ ـ ٢٧٠)، وفيه شِعْر، من طريق عروة بن الزبير عن رجال من أهل بيته. وهذا إسناد مرسل ضعيف، والبيهقي في «الدلائل» (٣٣٩)، وأخرجها ابن مندة ـ كما في «الإصابة» (٣/٥٩٨) ـ من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن هبَّار بها، ورواها الطبراني في «الكبير» =

وأما [﴿١٦٢﴾] **ثامنهم**(١): **فإنّه أسلم**؛ أي: أظهر الإسلام يوم الفتح، **وهو الحكم** بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويشتمه ويُسمعه ما يكره، وكان بعد ما أظهر إسلامه مغموصاً؛ أي: مطعوناً في دينه، وكان يمشي خلف رسول الله ﷺ يختلج بأنفه وفمه، ويحكيه في مشيته وبعض حركاته؛ لأنّه كان يتكفأ في مشيته، فكان الحكم يحكيه، فالتفت رسول الله ﷺ يوماً فرآه يفعل ذلك، فقال: «**فكذلك فلتكن**» فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ، واطلع المصطفى ﷺ يوماً، وهو في بعض نسائه فخرج إليه بعنزة أي: برمح قصير يتوكأ عليه، فقال: «**من عذيري**(٢) **من هذا الوزغة، لو أدركته لفقأت عينه**»، ولعنه وما ولد، ونفاه من المدينة، فخرج منها، ومعه ولده مروان، فنزل الطائف، ويقال: إن سبب نفيه، أنّه كان يختفي ويسمع ما يُسرُّه المصطفى ﷺ إلى كبار أصحابه في مشركي قريش، فيُفشي ذلك عنه، حتى ظهر عليه، وتواتر عنه.

فقد كفاه رسول الله ﷺ **شرَّه إذ يسلم**(٣)، وإلا لكان أصيب بعاهة، وانقلب، ولم يزل مطروداً منفياً مبعوداً حتَّى مات عمر.

وعُدّ من المستهزئين أيضاً الذين كفيهم المصطفى ﷺ: مالك بن

= (٢٢/ ٤٣٥ ـ ١٠٦٠) من طريق هشام بن عروة عن أبيه، وذكره من غير ورود لذكرها هبار.

وضعّف هذه القصة جمع من أهل العلم. انظر: «قصص لا تثبت» (٢/ ٤٥ ـ ١١).

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٥١).

(٢) كتب في الهامش من النسخة (غ): «أي: من يعذرني».

(٣) الأولى أن يقال: كُفي رسول الله ﷺ شرَّ الحكم إذا أسلم. فليس في رسول الله ﷺ شر فيكفاه الحكم.

الطُّلاطلة(١) ـ بطائين مهملتين، الأولى مضمومة والثّانية مكسورة ـ وكان سفيهاً فاجراً، فدعا عليه رسول الله ﷺ، واستعاذ بالله من شره، فعصر جبريل بطنه حتَّى خرج خلاؤه منها فمات(٢).

---

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٥٤).

(٢) ومن كُفيهم ﷺ: أبو الأصداء، وذكر ابن إسحاق فيهم: أمية بن خلف الجمحي، والنضر بن الحارث، والأخنس بن شُريق، وأبي بن خلف، ومنهم أبو جهل.
انظر: «السبل» (٢/ ٦٠٩).

باب مشي كفار قريش في أمره ﷺ

١٦٣ ـ ثُمَّ مَشَتْ قُرَيشٌ الأعْدَاءُ   إِلَى أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُسَاءُوا
١٦٤ ـ مِنْ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ فِي سَبِّهِمْ   وَسَبِّ دِيْنِهِمْ وَذِكْرِ عَيْبِهِمْ
١٦٥ ـ فِي مَرَّةٍ وَمَرَّة وَمَرَّه   وَهْوَ يَذُبُّ وَيُقَوِّي أَمْرَهْ
١٦٦ ـ فِي آخِرِ المَرَّاتِ قَالُوا: أَعْطِنَا   مُحَمَّداً وَخُذْ عَمارَةَ ابْنَنَا
١٦٧ ـ بَدَلَه قَالَ: أَرَدْتُم اكْفُلُ   ابْنَكُمْ وَأُسْلِمُ ابْنِي يُقْتَلُ
١٦٨ ـ ثُمَّ مَضَى يَجْهَرُ بِالتَّوحِيدِ   وَلا يَخَافُ سَطْوَةَ العَبِيدِ
١٦٩ ـ وَأَجْمَعَتْ قُرَيشٌ أَنْ يَقُولُوا: سَاحِرٌ احْذَرُوا وَعَنْهُ مِيْلُوا
١٧٠ ـ وَقَعَدُوا فِي زَمَنِ المَوَاسِمِ   يُحَذِّرونَ مِنْهُ كُلَّ قَادِمِ
١٧١ ـ وَافْتَرَقَ النَّاسُ فَشَاعَ أَمرُهُ   بَيْنَ القَبَائِلِ وَسَارَ ذِكْرُهُ

باب مشي كفار قريش في أمره ﷺ إلى عمّه أبي طالب ليكفّه عنهم

لمَّا صَدَعَ [رسولُ الله ﷺ] بما أمر به، ودعاهم إلى الإسلام، لم يبتعدوا منه، ولم يردُّوا عليه حتَّى عاب آلهتهم وذمّها، فأعظموا ذلك وناكروه، وأجمعوا على عداوته، [﴿١٦٣﴾] **ثم مشت قريش**(١)؛ أي: أشرافهم **الأعداء** لرسول الله ﷺ **إلى عمّه أبي طالب** بالتَّنوين عوضاً عن همزة **أَن** حُذِفَتْ همزتها لضرورة النّظم، ونقلت إلى التّنوين السّاكن قبلها؛ أي: مشوا إليه بسبب أنّهم **يساءوا**؛ أي: حصل لهم السّوء [﴿١٦٤﴾] **من ابنه**؛ أي: ابن أخيه، الذي هو بمنزلة ابنه؛ لأنّه كفله بعد موت جدّه عبد المطلب، حتّى إنّ أبا طالب كان يحبّه أكثر من أولاده.

محمدٍ في سبهم وسب دينهم وذكر عيبهم، فقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا وضلَّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه وإمّا أن تخلي بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، وتكرر مشيهم إليه [﴿١٦٥﴾] **في مرّة أولى، ومرّة ثانية ومرّه ثالثة، وهو** يقول لهم قولاً رفيقاً، ويردُّهم ردّاً جميلاً، **ويذبُّ** بذال معجمة؛ أي: يدفعهم عنه، **ويقوي أمره** ويناصره ويعضده، فمضى على ما هو عليه، يظهر دين الله، ويدعو إلى الإسلام، ثم شري ـ بفتح المعجمة وكسر الراء ـ أي: كثر وزاد الأمر بينه وبينهم حتّى تضاغنوا،

---

(١) انظر في هذا: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤)، «البداية والنهاية» (٤/ ١٢١، ١٢٢).

وأكثرت قريش من ذكره ببينها، فتذامروا عليه ـ بذال معجمة ـ أي: حضَّ بعضهم بعضاً على عداوته ومحاربته، ثم مشوا إلى أبي طالب أيضاً، فلمّا كان [**﴿١٦٦﴾**] **في آخر المرات**. قالوا: يا أبا طالب إنّ لك نسباً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا، وإنّا والله لا نصبر على هذا؛ من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفَّه عنّا، أو ننازله(١) وإياك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام المصطفى ﷺ ولا خذلانه، فأرسل خلفه، قال: يا ابن أخي! إنّ قومك قالوا كذا وكذا، فأبق على نفسك وعليَّ ولا تحمِّلني ما لا أطيق، فظن المصطفى ﷺ أن قد بدا لعمّه فيه، وأنّه خاذله ومسلِّمه، وأنّه ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال له: «**يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي**(٢)**، على أن أترك هذا الأمر، حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**»(٣)، ثم استعبر؛ أي: دمعت عيناه، فلمّا ولّى حدب عليه

---

(١) في حاشية (غ): «أي: نقاتله».

(٢) في (ك): «يساري».

(٣) أخرجه ابن إسحاق في «المغازي» (١/ ٢٨٤) ـ وهو في «مختصر السيرة» (ص١٣٥) ـ قال: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدّث أن قريشاً فذكره.

ويعقوب بن عتبة المذكور ليس صحابيّاً، وإنما هو من أتباع التابعين له ترجمة في «تهذيب الكمال» للمزي (٣٢/ ٣٥٠)، فهذا الإسناد معضل، وكذا أخرجه الطبري في «التاريخ» (٢/ ٣٢٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٨٧)، وإسناده ضعيف. وقد ضعف القصة الألباني في تعليقه على «فقه السيرة» للغزالي (ص١١٤)، وقال في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٩٥): «وأما حديث يا عمّ! والله لو وضعوا الشمس.. فليس له إسناد ثابت، ولذلك أوردته في «الأحاديث الضعيفة» (٩١٣)»، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٢/ ٣١١).

والصحيح: ما ذكره ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٢٢٥): نا يونس عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيدالله عن موسى بن طلحة. قال: أخبرني عقيل بن أبي =

عمّه؛ أي: عطف عليه ورقَّ له، وناداه: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك أبداً، ثم قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسَّد في التراب دفينا
فامض لأمرك ما عليك غضاضة(١) وأبشر وقر بذكر ذاك عيونا
ودعوتني وزعمت أنّك ناصحي فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذاريَ سُبَّة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا(٢)

قال السُّهيلي: خصّ الشّمس باليمين؛ لأنّها الآية المبصرة، والقمر بالشِّمال: لأنّه الآية الممحوَّة(٣).

فلمّا عرفت قريش أنّ عمّه أبى خذلانه، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، **وقالوا**: يا أبا طالب! عمارة هذا أنهد(٤) فتىً في قريش؛ أي: أشده وأقواه وأجمله.

= طالب قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا، فانهه عنّا. فقال: يا عقيل(!) انطلق فائتني بمحمد فانطلقت إليه فاستخرجته من خيس، يقول: بيت صغير، فجاء به في الظهرة في شدّة الحر، فجعل يطلب الفيء يمشي فيه من شدّة الحر الرحض، فلما أتاهم قال أبو طالب: إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «أترون هذه الشمس؟» قالوا: نعم! قال: «فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة»، فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا.
وهذه الرواية الأخيرة: صححها الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٢).

(١) في (ك): «خصاصة»، وفي حاشية (غ): «مشقة».

(٢) أخرج الأبيات ابن إسحاق كما في «السيرة» (ص١٣٦)، و«الدلائل» للبيهقي (٢/١٨٨).

(٣) «الروض» (٢/٧).

(٤) قال في «القاموس» (١/٣٢٣): «نهد الثدي كمنع ونصر نهوداً: كعب ثديها. والرجل: نهض».

أعطنا ابن أخيك **محمداً** الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك وسفّه أحلامهم فنقتله **وخذ** منا **عمارة** بضم المهملة وخفّة الميم، **ابننا** [﴿١٦٧﴾] بدله فلك عَقله ـ بفتح المهملة ـ؛ أي: ديته، إن قتل، ونصره واتخذه ولداً فهو لك، فإنّما هو رجل برجل.

قال: والله لبئس ما تسومونني؛ أي: تكلفونني، **أردتم** بهذا أن **أكفل** لكم **ابنكم** عمارة، أحفظه وأغذوه وأربِّيه لكم(١)، **وأسلم** ـ بخفة اللام المكسورة ـ **ابني** محمداً لكم **يُقتل؟!** هذا والله ما لا يكون أبداً. أرأيتم ناقةً تحنُّ إلى غير فصيلها؟!.

فقال المطعم بن عدي: لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلّص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً، فقال: والله ما أنصفوني، لكنك [قد] أجمعت خذلاني ومظاهرة ـ أي: معاونة ـ القوم عليّ، فاصنع ما بدا ـ أي: ظهر ـ لك، فحقب الأمر بينهم ـ أي: زاد واشتد ـ، وحميت الحرب وتنابذ القوم، ـ أي: تركوا ما بينهم من العهود ـ، وبارز بعضهم بعضاً.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص١٣٣) وذكرَ ما قاله عمه مِن شعرٍ لعمارة. وهذه قصة عجيبة، فقد أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥) وعبد بن حميد (٥٥٠)، والحاكم (٢/ ٣٠٩، ٣١٠)، في قصة بعث قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد... وفيه: «وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً، وكان عمارة بن الوليد رجلاً جميلاً، قال: فأقبلا في البحر إلى النجاشي، قال: فشربوا، قال: ومع عمرو بن العاص امرأته، فلما شربوا الخمر، قال عمارة لعمرو: مر امرأتك فلتقبّلني، فقال له عمرو: ألا تستحي؟! فأخذه عمارة فرمى به البحر، فجعل عمرو يناشده حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو ذلك. فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت، خلف عمارة في أهلك، قال: فدعا النجاشي بعمارة، فنفخ في إحليلة فصار مع الوحش».

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين».

ثمَّ إنّ قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل ممن أسلم⁽¹⁾، فوثب كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يفتنونهم عن دينهم ويُعذِّبونهم، ومنع الله تعالى منهم رسوله ﷺ بعمِّه أبي طالب، وقام [أبو طالب] حين رآهم يصنعون ذلك في بني هاشم والمطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع المصطفى ﷺ، وقيامه دونه فاجتمعوا إليه، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلّا ما كان من اللّعين أبي لهب.

[﴿١٦٨﴾] **ثم مضى** رسول الله ﷺ **يجهر بالتوحيد**؛ أي: بإفراده تعالى بالألوهيَّة، وبالأمر به، ويدعو إلى الإسلام **ولا يخاف سطوة العبيد** ـ أي: بطشهم ـ.

رُوِي عن ابن المنكدر أنّه سمع ربيعة بن عبّاد أو عبّاد الدّؤلي ـ كذا بالشّك ـ، يقول: رأينا رسول الله ﷺ يطوف على النّاس في منازلهم قبل الهجرة يقول: «**يا أيُّها النَّاس إنَّ الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً**»، وخلفه رجل يقول: يا أيّها النّاس! إنَّ هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم، فسألت من الرّجل؟ فقيل: عمّه أبو لهب⁽²⁾.

وروى الحاكم وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ قريشاً أجمعوا، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسّحر والكهانة والشّعر، فليأت الرّجل الذي فرَّق جماعتنا وشتَّت أمرنا⁽³⁾ وعاب ديننا فليكلِّمه وينظر ما يردّ عليه، قالوا: ما نعلم غير عتبة بن ربيعة، فقام [عتبة] إليه، فقال: يا ابن أخي! إنّك منّا حيث علمت، من السِّطة في العشيرة، ـ أي: من الوسط في النّسب ـ، وإنّك أتيت قومك بأمرٍ عظيم، فرّقت به جماعتهم وسفَّهت

---

(١) في (ك): «من الصحابة الذين أسلموا».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥)، وصحّحه، وأخرجه ابن سيّد النّاس في «عيون الأثر» (١/ ١٩٠، ٢٥٧، ط: دار التراث).

(٣) في (ك): «شملنا».

أحلامهم(١)، وعبت دينهم، وكفَّرت آبائهم، يا محمد! أنت خير أم عبد الله؟ فسكت؛ فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت، فقال: فإن كنت تزعم أنّ هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة، وإن زعمت أنَّك خير منهم فتكلَّم نسمع قولك، إنّا والله ما رأينا سخلة أشأم على قومه منك، فرَّقت جماعتنا وفضحتنا في العرب، حتّى طار فيهم أنّ في قريش ساحراً، وأنّ فيهم كاهناً، فما ينتظر إلا منك صيحة الحُبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسّيوف حتّى نتفانا، فاسمع أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل بعضها، فقال: «**قل يا أبا الوليد**»، قال: إن كنت إنّما تريد بما جئت به مالاً جمعنا لك حتّى تكون أكثرنا مالاً، أو تريد [به] الشّرف سوَّدناك علينا حتّى لا نقتطع أمراً دونك، أو ملكاً ملكّناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيّاً ـ أي: تابعاً ـ من الجن لا تستطيع ردَّه طلبنا لك الطِّب، وبذلنا فيه أموالنا، فإنّه ربما غلب التّابع على الرّجل حتى يداوى، فقال له: «**أقد فرغت؟ أبا الوليد**»، قال: نعم، قال: «**فاسمع**: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت] إلى قوله: ﴿أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]»، فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف، فقال: «**قد سمعت أبا الوليد فأنت وذاك**»، فقام ولم يعد إلى أصحابه واحتبس عنهم.

فقال أبو جهل: ما نرى عتبة إلا قد صبأ، فانطلقوا بنا إليه، فأتوه فقصَّ عليهم القصَّة، فقال: والذي نصبها(٢) بنيّةً ما فهمت شيئاً مما قال غير أنّه أنذركم صاعقة، وقد علمتم أنّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب.

قالوا: يكلِّمك الرّجل بالعربيَّة لا تدري ما قال؟!.

---

(١) ليست في (ك)، ومكانها: «به».

(٢) في حاشية (غ): «يشير إلى الكعبة».

قال: والله ما سمعت مثله، ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني وخلّوا بين الرّجل وما هو فيه فاعتزلوه، فإن تُصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر عليهم فملكه ملككم وعزَّه عزَّكم وكنتم أسعد الناس به، يا قوم! أطيعوني في هذا الأمر واعصوني فيما بعده.

قالوا: سحرك يا أبا الوليد.

قال: اصنعوا ما بدا لكم⁽¹⁾.

وأخرج البيهقي وغيره عن ابن عبّاس: [أنَّه] لمّا نزلت سورة غافر قرأها المصطفى ﷺ بالمسجد، فسمعه الوليد بن المغيرة، فقال لبني مخزوم: قد سمعت من محمد كلاماً [آنفاً] ما هو من كلام الإنس ولا الجن، إنَّ أسفله لغدق، وإنّ أعلاه لمورق، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، فقالت قريش: قد صبأ الوليد، ولئن صبأ لتصبونَّ قريش كلها، وكان يُسمَّى ريحانة قريش، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فدخل عليه وهو حزين، فقال: يا عم!! إنّ قومك يريدون أن يجمعوا مالاً ليعطوكه، فإنّك أتيت محمداً تتعرّض لما قبله، فقال: لقد علمت قريش أنّي من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً [بليغاً] يبلغ قومك أنّك كارهٌ له، فلمّا اجتمع بقومه قال ـ ولقد حضر الموسم ـ: يا معشر قريش! [قد] حضر الموسم وسيقدم عليكم وفود العرب، وقد سمعوا بصاحبكم، فاجمعوا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (١٨٥) من رواية ابن عمر ﵄.
وأخرجه عبد بن حميد (١١٢٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠/ ٢٣٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٨١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٣)، من طريق الأجلح بن عبد الله عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله ﵄ به.
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».
وقال في «المجمع» (٦/ ١٦): «رواه أبو يعلى، وفيه: الأجلح الكندي، وثّقه ابن معين وغيره، وضعّفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات».

فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، قالوا: فأنت أقم لنا رأياً، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول: كاهن، قال: والله ما هو بكاهن، رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن، ولا سجعه، قالوا: مجنون، قال: ما هو بمجنون، رأينا المجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: شاعر، قال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشِّعر كلَّه رجزه وهزجه، وقريضه ومبسوطه، قالوا: ساحر، قال: ما هو بسحر، [قد] رأينا الساحر وسحره، فما هو بنفثه ولا عقده، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا علمت أنّه باطل، وأقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر(١)[﴿**١٦٩**﴾] وحينئذٍ **أجمعت قريش أن يقولوا** عنه لمن قدم مكة: هذا **ساحر**، جاء بسحر يفرِّق بين المرء وابنه وأخيه وزوجه وعشيرته.

والسِّحر لغة: إخراج الباطل في صورة الحق(٢).

وشرعاً: كل أمر يخفى سببه ويتخيّل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع(٣)، **احذروا سحره، وعنه ميلوا** اعدلوا، [﴿**١٧٠**﴾] **وقعدوا في زمن المواسم** في الطّرق التي يقدم منها النّاس **يحذِّرون منه كل قادم**، [و]لا يمرُّ بهم أحد إلا حذروه، وذكروا له وصفه الذي أجمعوا(٤) عليه، [﴿**١٧١**﴾] **وافترق الناس** من ذلك الموسم وتفرَّقوا في جميع الأقطار يتحدَّثون بشأن المصطفى ﷺ، **فشاع أمره بين القبائل وسار ذكره** في الآفاق، وانتشر من المشرق إلى المغرب.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (١٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه».

(٢) مقاييس اللغة باب السين والحاء وما يثلثهما.

(٣) في (ك) بعدها: «بين القبائل».

(٤) في (ك): «قد اجتمعوا».

باب ذكر وفد نجران

١٧٢ ـ وَجَاءَ مِنْ نَجْرَانَ قَومٌ أَسْلَمُوا   عِدَّتُهُمْ عِشْرُونَ لَمّا عَلِمُوا
١٧٣ ـ بِصِدْقِهِ جَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَسَبّ   وَأَقْذَعَ القَوْلَ لَهُمْ بِلا سَبَبْ
١٧٤ ـ فَأَعْرَضُوا وَقَولُهُمْ: سَلامُ   لَيْسَ لَنَا مَعْ جَاهِلٍ كَلامُ

باب ذكر وفد نجران

بفتح النّون وسكون الجيم، بلدة من بلاد همدان، من اليمن، سُميِّت باسم بانيها نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان(١).

قال ابن إسحاق(٢): [**﴿١٧٢﴾**] **وجاء** من النَّصارى **من** أهل **نجران قوم** إلى رسول الله ﷺ وهو بمكّة حين بلغهم خبره(٣)، فوجدوه بالمسجد(٤) فقعدوا(٥) إليه، وكلَّموه وسألوه، ورجال من قريش(٦) حول الكعبة، فلمّا رأوا منه علامات النّبوّة ودعاهم إلى الله [سبحانه]، وتلا عليهم القرآن، ففاضت أعينهم من الدمع فاستجابوا له **وأسلموا**، **وعدّتهم عشرون** رجلاً أو نحو من ذلك **لمّا علموا** [**﴿١٧٣﴾**] **بصدقه** وعرفوا منه ما كان يوصف به في كتبهم [من أمره]، فلمّا قاموا عنه **جاءهم أبو جهل** بن

---

(١) نجران بالفتح ثم السكون وآخره نون والنجران في كلامهم خشبة يدور عليها رتاج الباب، قال ابن دريد نجران الباب الخشبة التي يدور عليها ونجران في عدة مواضع منها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة قالوا سمي بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها. «معجم البلدان لياقوت الحموي» (٥/ ٢٦٦).

(٢) كما في «السيرة» لابن إسحاق (١/ ١٩٩، ٢٠٠).

(٣) في «السيرة»: «عشرون رجلا أو قريبا من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من الحبشة» بدلاً من «حين بلغهم خبره».

(٤) في «السيرة»: «في المسجد» بدلاً من «بالمسجد».

(٥) في «السيرة»: «فجلسوا» بدلاً من «فقعدوا».

(٦) أسقط المؤلف هنا قول ابن إسحاق «في أنديتهم».

هشام في نفر من عصبته، **فسبَّهم**(١) وقال: قبَّحكم الله من ركبٍ! بعثكم من ورائكم من أهل دينكم لتأتوهم بخبر الرّجل، فلم تطمئنَّ مجالسكم عنده، حتّى فارقتم دينكم وصدَّقتموه بما قال، ما نعلم وفداً أحمق منكم.

وأقذع(٢) ـ بسكون القاف وفتح الذال المعجمة ـ، أبو جهل **القول لهم** ـ أي: أفحش لهم في القول بالشّتم، يقال: قذعه: وأقذعه رماه بالفحش وشتمه ـ.

وفي الحديث: «**من قال في الإسلام شعراً مقذعاً، فلسانه هدر**»(٣)، **بلا سبب** موجب لذلك، بل لكونهم آمنوا بالله ورسوله [﴿١٧٤﴾] **فأعرضوا** عن أبي جهل وعصبته **وقولهم**؛ أي: وقالوا له ولقومه: **سلام** عليكم لا نجاهلكم، **ليس لنا مع جاهل كلام**، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، ويقال: نزل فيهم(٤): ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢﴾ [القصص] إلى قوله: ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾(٥) [القصص: ٥٥].

وكان ينبغي للناظم أن يؤخر هذا، فيذكره مع الوفود، فإنّه به أنسب.

---

(١) من قوله السابق: «فيكذب بعضكم بعضاً، قالوا: فأنت أقم لنا رأياً. . .» إلى هنا فُقِدَ من (غ) لكنه لم يُفقد مِن (ف) التي توافقها، كما ذكرتُه في مقدمة التحقيق أثناء الكلام على (ف).

(٢) والهجاء المُقْذِع: الذي فيه فُحش وقَذْفٌ وسَبٌّ يقُبح ذكره. يقال أقذعَ فلان لفلان إقذاعاً، إذا شَتَمه شتما يُستفحَش، وهو القَذْع. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (قذع).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٦٣) من حديث بريدة عن أبيه، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٧، ط: دار الفكر)، وقال: «رواه البزار، ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف».

(٤) «سيرة» ابن إسحاق (ص٢٠٠).

(٥) قال في «عيون الأثر» (١/ ٢٢٦): وقال الزهري: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه، وقال في «المجمع» (٩/ ٢٢٠): «رواه الطبراني، وفيه: زهير بن العلاء، وثّقه ابن حبّان، وضعّفه غيره».

باب قدوم ضماد

١٧٥ ـ ثُمَّ أَتَى ضِمَادُ وَهْوَ الأَزْدِي   لِيَسْتَبِينَ أَمْرُهُ بِالنَّقْدِ
١٧٦ ـ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ مُحَمَّدْ اخْتَطَبْ   أَسْلَمَ لِلْوَقْتِ بِصِدْقِ وَذَهَبْ

باب قدوم ضماد

بكسر [الضاد] المعجمة وخفَّة الميم ودال مهملة ـ واختلف في أي عام كان، فقيل: سنة خمس من النبوة، وقيل: سبع، وقيل: تسع.

[﴿١٧٥﴾] **ثم أتى ضماد** بن ثعلبة، ويقال: ضمام، والأول أكثر وهو غير ضمام بن ثعلبة السّعدي(١)، **وهو الأزدي** نسبةً إلى الأزد ـ بفتح فسكون ـ واسمه ذرٌّ بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإليه جماع الأنصار، ويقال: بسين بدل الزّاي.

ويذكر في بعض الأنساب، فلان الأزدي من أزد شنؤه، وفلان الأزدي من أزد الحجة، فيظن من لم يتمكّن في علم الأنساب أنَّ كلاً منهما غير الآخر، لاختلاف الحرف، ولا كذلك. وقد وهم غير واحد من أئمّة الحديث فيه، والصّواب: أنَّ الثّاني والثّالث مدرجٌ في الأوّل، وهما من ولده.

---

(١) هو ضمام بن ثعلبة، أحد بني سعد بن بكر السعدي. ويقال التميمي ـ وليس بشيء ـ، قَدِمَ على النبي ﷺ ـ بعثه بنو سعد بن بكر وافداً، قيل: إن ذلك في سنة خمس قاله محمد بن حبيب وغيره، وذكر ابن إسحاق قدوم ضمام بن ثعلبة ولم يذكر العام. وقيل: كان قدومه في سنة سبع. وقيل في سنة تسع ذكره ابن هشام عن أبي عبيد ـ فسأله عن الإسلام فأسلم، ثم رجع إليهم فأسلموا، وفي حديثه وصف الإسلام ودعائمه وأنه مَن أتى بها دخل الجنة. «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٧٥١، ط: دار الجيل).

وكان ضماد صاحب رسول الله ﷺ(١) في الجاهلية، وكان يتطبَّب، ويُرقي ويطلب العلم، فقدم مكّة **ليستبين أمره** ﷺ **بالنقد**؛ أي: بإمعان النظر وشدِّة التأمُّل في شأنه.

روى مسلم(٢) في باب الجمعة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ ضماد مكة، وكان يرقي من هذه الرّيح(٣).

فسمع سفهاء مكة(٤) يقولون: إنَّ محمداً مجنون، فقال: لو رأيت الرّجل لعل أن يشفيه الله على يديَّ، قال: فلقيته، فقلت: يا محمد إنِّي أرقي من هذه الريح، فإنَّ الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ [﴿١٧٦﴾] **ما هو إلا أنْ** ـ بالسكون ـ **محمداً خطب**؛ أي: خطب(٥)، فقال: «**إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله أما بعد**»، فقال: أَعِدْ عَلَيَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهنَّ [عليه] ثلاثاً، فقال: قد سمعت قول الكهنة وقول السّحرة، وقول الشّعراء، فما سمعت مثل كلماتك(٦)، ولقد بلغن ناعوس(٧) البحر، فهات يدك أبايعك على الإسلام.

وحينئذ **أسلم للوقت** ـ أي: فيه ـ **بصدق**؛ أي: أسلم بلسانه وصدَّق بقلبه، قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «**وعلى قومك**» فقال:

---

(١) في (ك): «صاحباً لرسول الله».

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨٦٨/٤٦). وقال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٥٦/٦): «قوله: إنَّ ضِمَاداً قَدِمَ مكةَ وكان من أَزْدِ شَنُوءَةَ وكان يرقى من هذه الريح أما ضماداً فبِكَسْرِ الضادِ المعجمة وَشَنُوءَةُ بفتح الشين وضمِّ النون».

(٣) في حاشية (غ): «المراد بالريح: الجنون».

(٤) في (ك): «قريش».

(٥) في (ك): «اختطب؛ أي: يخطب».

(٦) في (ك): «كلامك».

(٧) يأتي التعريف بها في كلام الشارح.

وعلى قومي، وذهب إلى قومه فبعث رسول الله ﷺ سريَّةً، فمرّوا بقومه، فقال صاحب السريَّة للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرةً، فقال: ردُّوها، هؤلاء قوم ضماد(١). انتهى.

والرّيح في الحديث: الجنون. وقوله: ناعوس ـ بنون وعين مهملة ـ على الأصح، ويقال: بالقاف بدل النون، والميم بدل العين، ومعناهما: وسط البحر ولجَّته.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٥). قال الترمسي: «لكن الذي في «الاستيعاب» (١/ ٧٥١): أنّ هذا البعث من أبي بكر رضي الله عنه، ولفظه: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: لما توفي رسول الله ﷺ، بعث أبو بكر رضي الله عنه بعثاً، فمروا ببلاد ضماد، فلما جاوزوا تلك الأرض، وقف أميرهم فقال: أعزم على كل رجل أصاب شيئاً من أهل هذه الأرض إلّا ردّه، فقالوا: أصلح الله الأمير ما أصبنا منها شيئاً، قال: وجاء رجل منهم بمطهرة، فقال: إني أصبت هذه، فقال: ارددها. أما تدرون أنّ هؤلاء قوم ضماد؟ الذي بايع رسول الله ﷺ وشرَّف وكرَّم.

قلت ـ الترمسي ـ: ويحتمل تعدد القصة».اهـ.

باب ذكر أذى قريش

١٧٧ ـ وَأُوْذِيَ النَّبِيُّ بِمَا لَمْ يُؤذَى   مَنْ قَبْلَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَذَا
١٧٨ ـ مِمَّا يُضَاعِفُ لَهُ الأُجُورَا   وَلَو يَشَاءُ دُمِّرُوا تَدْمِيرَا
١٧٩ ـ لَكِنَّهُمْ إِذْ أَضْمَرُوا الضَّغَائِنَا   مَا مُكِّنُوا فَاسْتَضْعَفُوا مَنْ آمَنَا
١٨٠ ـ عَمَّاراً الطَّيِّبَ أَمَّهُ أَبَهْ   أَمَّ بِلالٍ وبِلالاً عَذَّبَهْ
١٨١ ـ أُمَيَّةٌ وَمِنْهُمُ جَارِيَةُ   وَمِنْهُمُ زَنِّيرَة الرُّومِيَّةُ
١٨٢ ـ كَذَاكَ أُمُّ عَنْبَسٍ وَابْنَتُهَا   وَابْنُ فُهَيْرَةَ فَذِي سَبْعَتُهَا
١٨٣ ـ ابْتَاعَهَا الصِّدِّيقُ ثُمَّ أَعْتَقْ   جَمِيعَهُمْ لِلَّهِ بَرَّ وَصَدَقْ

باب ذكر أذى قريش

أي: كفّارهم لنبي الله محمد عليه الصّلاة والسَّلام، وللمستضعفين من الذين آمنوا به واتّبعوه، والضعف ـ بالفتح ـ وهن القوى حسّاً أو معنى، والمراد هنا: الثّاني، [﴿١٧٧﴾] **ولقد أوذي من الأذى**، وهو إيصال المكروه **النبي** ﷺ من كفَّار قريش، وأتباعهم أذىً كثيراً لا يُطاق ولا يُحصى **بما لم يؤذا** [بألف الإلحاق] به أحدٌ **من** الذين سلفوا **قبله من النبيِّين** والمرسلين، قال ﷺ: «**لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام نأكله ذو كبد، إلا شيء يواريه إبط بلال**». رواه الإمام أحمد وغيره عن أنس(١).

ولقد أوذي بأمور لو تحملها(٢) جبل لم يحتملها.

فضربوه ضرباً شديداً، وخنقوه خنقاً عنيفاً فظيعاً، وأغروا عليه سفاءَهم، وصغارهم، فرجموه بالحجارة، حتّى أدموا رجليه(٣) فسال منها

---

(١) رواه أحمد (١٢٢١٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه «ثلاثة» بدلاً من «ثلاثون» وفيه «يواري» بدلاً من «يواريه»، وكذا رواه ابن أبي شيبة (١٦/ ٤٤٤)، والترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، ومعنى هذا الحديث: حين خرج النبي هارباً من مكة ومعه بلال، إنما كان مع بلال من الطعام ما يحمله تحت إبطه». وصححه الألباني.

(٢) في (ك): «حملها».

(٣) في (ك): «رجله».

الدم(١) على نعليه، ورموه بالسحر والكهانة والجنون، وتواعدوا على قتله مراراً وكراراً، وحصروا(٢) لأجله بني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب ثلاث سنين، حتى كادوا أن يهلكوا من الجوع والبلاء، ولمَّا خرج إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الله، أغروا به عبيدهم وسفاءهم يسبّونه، ورموا عراقيبه بالحجارة، فكان إذا أدمته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذونه بعضديه(٣) فيقيمونه، فإذا مشى رجموه(٤) وهم يضحكون، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى شُجَّ في رأسه شجاجاً كثيرة(٥).

وكان في ابتداء أمره مع وحدته وقلّة عضده وناصره، يدعوهم إلى الإيمان بالله، وينادي عليهم في أنديتهم، بتسفيه أحلامهم وسبِّ آلهتهم ورميها بكلِّ عيب وسوء، فيبالغون في إضراره حتّى أقرب أقاربه كعمه أبي لهب، وينالون منه(٦) لكثرتهم ووحدته، وهو مع ذلك محروس(٧) بحراسة الله، محفوظ بحفظه متمادٍ على ما هو فيه من الدُّعاء إلى الله، غير ملتفتٍ لأذاهم [بل صابر عليهم الصبر الجميل]، وأمره لا يزداد إلّا ظهوراً وعلوّاً، وأصحابه وأعوانه يكثرون شيئاً فشيئاً، وأمر الكفَّار لم يزل يتقهقر ويضمحلَّ، حتَّى وصل إلى حضيض الذل والهوان، إلى أن أمكنه الله من نواصي أعدائه.

ومما ينبِّئك بعظيم أذيَّتهم له ونصره عليهم ما ذكره أهل السير(٨):

---

(١) في (ك): «الدم منها» مكان «منها الدم».

(٢) في (ك): «وحاصروا» مكان: «وكرارا وحصروا».

(٣) في (ك): «بعضده». (٤) في (ك): «رموه».

(٥) من قوله السابق: «فضربوه ضرباً شديداً» إلى هنا: لم يرد في «ف»، ومضروبٌ عليه في (م، غ) وهو موجود في النسخ الأخرى.

(٦) في (ك): «في إيذائه والتجري عليه».

(٧) في حاشية (غ): «أي: من القتل والخذلان».

(٨) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٩٠)، وانظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٣٢)، =

أنَّ أشرافهم اجتمعوا في الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبِّهم وسبِّ آلهتهم، فطلع عليهم فاستلم الرُّكن وطاف، فلمَّا مرّ بهم انتقصوه، فساءه ذلك فوقف، وقال: «**أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذّبح**»، فارتعدت من كلمته فرائصهم، وألانوا له القول، وقالو: انصرف يا أبا القاسم فما كنت جهولاً، فاجتمعوا له بالغد في الحِجْر، فوثبوا عليه وثبة رجلٍ واحد يوثقونه⁽¹⁾، وأخذ بعضهم بمجمع ردائه فخنقه فحال بينهم وبينه أبو بكر⁽²⁾.

وفي «البخاري» وغيره: أنَّه كان يصلِّي عند الكعبة، وجمعٌ من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيُّكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى دمها وفرثها وسلاها، فيجيء به [ثم يمهله] حتَّى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم⁽³⁾ أبو جهل، فلمَّا سجد وضعه بين كتفيه، وثبت المصطفى ﷺ ساجداً ـ أي: أنَّه لم يعلم بخصوص ما وضع، وإنَّ ما لم ينقل أنَّه أعاد؛ لأنَّه كان نفلاً ـ فلما رأوا ذلك ضحكوا حتَّى مال بعضهم على بعضٍ من الضحك، فأخبرت به فاطمة ـ وهي جويرية ـ فأقبلت تسعى وثبت المصطفى ﷺ ساجداً حتَّى ألقته عنه.

= و«البداية والنهاية» (٤/١١٨).

(١) في (ك)، وباقي النسخ عدا (ف): «يوثبونه».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٨) وفيه: «عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قال: سألتُ عبد الله بن عَمْرٍو عن أَشَدِّ ما صنعَ المشركون برسولِ الله ﷺ؟ قال: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾».

(٣) في حاشية (ك): «الذي فُسِّر به لفظ البخاري، وهو: «فانبعث أشقاهم»: هو عقبة بن أبي معيط، عند غير واحد ممن شرحه، وحكى بعضهم هذا القول الذي ذكره هذا الشارح؛ وهو أبو جهل».

فلمَّا قضى صلاته [المصطفى]، قال: «**اللّهم عليك بقريش، اللّهم عليك بعمرو بن هشام ـ وهو أبو جهل ـ وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأميَّة بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد**»⁽¹⁾، فقتلوا كلهم يوم بدر، إلَّا عمارة فمات بأرض الحبشة على أشرِّ قتلة، فإنَّه راود زوجة النجاشي، فأمر ساحراً فنفخ في إحليله من سحره، فتوحَّش وصار مع البهائم حتى مات في خلافة عمر رضي الله عنه.

وَذَا الأذى كله [﴿١٧٨﴾] **مما يضاعف** ـ بكسر العين ـ، **الله تعالى له** ﷺ به **الأجورا**، جمع أجر، وهو الثواب، يقال: أجره الله أجراً، وآجره ـ بالمد ـ إذا أثابه، والإضعاف والمضاعفة والتضعيف، أن يزاد على أصل الشيء، فيجعل مثليه وأكثر.

ذكره الخليل، **ولو يشاء** ﷺ **دُمِّروا** بالبناء للمفعول **تدميرا** أهلكوا إهلاكاً، يُقال: دمَّر الشيء يُدمّر من باب قتل يقتل، والاسم الدمار كالهلاك وزناً ومعنى، ويُعدَّى بالتضعيف فيقال: دمَّره الله ودمَّر عليه.

و[ورد] في الصّحيح عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت للمصطفى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أُحد؟ قال: «**لقيت من قومك، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، فناداني ملك الجبال فسلَّم عليّ، فقال: يا محمد ذلك لك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال: بل أرجو أن يخرج الله**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠) (٥٢٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً»⁽¹⁾.

[﴿١٧٩﴾] **لكنهم إذ**؛ أي: حين **أضمروا الضغائنا** بألف الإطلاق؛ أي: عقدوا في قلوبهم العزم، وصمّموا على عداوة المصطفى ﷺ ومن آمن به، وضمير الإنسان قلبه وباطنه، والجمع ضمائر [على التّشبيه بسريرة وسرائر]⁽²⁾، وأضمر في ضميره شيئاً عزم عليه بقلبه، و[قوله] الضغائن جمع [ضغن] ـ بالكسر⁽³⁾ وهو الحقد الشّديد **ما مكّنوا** مما أضمروه من ذلك، بل لم يزل ﷺ يترقّى في مراتب النّصر والفتح، إلى أن بلغ غاية العزّ والجلالة.

فاستضعفوا من آمنا بالله ورسوله، فأخذوهم فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم⁽⁴⁾ في الشّمس وعذّبوهم بأنواع العذاب.

[﴿١٨٠﴾] **عمّاراً** بنصبه بدل مما قبله؛ أي: وممن استضعفوه فآذوه: عماراً وهو ابن ياسر، فعذّبوه حتى تكسّرت أضلع من أضلاعه، وانفتق بطنه وهو ثابت على [دين] الإسلام، ومن ثم وصفه النَّاظم بقوله: **الطيّب** بشدّة المثناة تحت، كيف لا، وقد قال ﷺ: «**عمّار مليء إيماناً إلى مشاشة**»⁽⁵⁾. رواه أبو يعلى وغيره⁽⁶⁾ عن علي، وقال: «**عمّار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، وخلط الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة ﵂.

(٢) ما بين المعقوفتين مضروب عليه في (غ).

(٣) في حاشية (غ): «إذا أطلق الكسر، وقيل؛ بالكسر؛ أن المراد: أوله».

(٤) في (م): «وصبروهم بالباء»، وفي (ج): «وصهدوهم»، وفي (ك): «وصهروهم»، وفي حاشية (غ): «بالتخفيف».

(٥) في حاشية (غ): «المشاش ـ بضم الميم ـ رؤوس العظام [. . .]» وما بين معقوفتين غير واضحة.

(٦) تقدَّم تخريجه.

الحق حيث زال، و[قال] لا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً». رواه ابن عساكر عنه أيضاً(١).

وفي «الصّحيح»: لمَّا بنى المصطفى ﷺ المسجد فكان عمّار ينقل لبنتين، وجميع الصحابة ينقل لبنة [لبنة]، فقال المصطفى ﷺ: «**ويح عمّار يدعوهم إلى الجنّة، ويدعونه إلى النّار**»(٢).

وأمه سميَّة بنت حاطب مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، كانت ممن عُذِّب في الله، وصبرت على الأذى في ذات الله، وكانت أول الشّهداء في الإسلام، أغلظت على أبي جهل فطعنها في قبلها فماتت(٣).

وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد: أوَّل من أظهر الإسلام سبعة: المصطفى ﷺ وأبو بكرٍ وبلال وخبّاب وصهيب وعمّار وأمه سميّة، فأمّا المصطفى ﷺ فمنعه عمّه، و[أمَّا] أبو بكر منعه قومه(٤)، وأخذ الآخرون فأُلبسوا أدارع الحديد وصهروا في الشّمس حتّى بلغ الجهد منهم كلّ مبلغ. . .(٥).

وكانت سُميَّة من الخيّرات الفاضلات.

وأبه بالقصر(٦) وأصله أباه، وهو ياسر بن عامر(٧)، كان أيضاً ممن عُذِّب في الله، روى ابن شهاب عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه، قال: مرّ المصطفى ﷺ بياسر وعمّار وأم ياسر(٨)، وهم يُعذّبون،

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٢١/ ٤٢٢)، وقال: وروي هذا موقوفاً على علي.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) انظر: «الإصابة» (٤/ ٤٧٣).

(٤) في (ك) بعدها: «وبلال وخبيب وصهيب».

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) هكذا في (غ) و(ك)، والصواب: «بالنقص».

(٧) هو ياسر بن عامر العنسي، حليف آل مخزوم، من السّابقين إلى الإسلام، ومن المعذِّبين في الله. مات رضي الله عنه في العذاب.

(٨) كذا في (غ، ف، ك)، والصواب: «أم عمار».

فقال: «**اصبروا يا آل ياسر، أو صبراً آل ياسر، فإنَّ موعدكم الجنة**»(١).

وأم بالنصب **بلال** وهي حمامة(٢) ـ بحاء مهملة مخففة ـ باسم الطّائر، **وبلالاً** بن رباح المؤذّن(٣).

روي عن عاصم عن زر عن عبد الله، قال: كان أوّل من أظهر الإسلام سبعة. . .، وما منهم إنسان إلّا وقد أتاهم على ما أرادوا إلّا بلالاً، فإنَّه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد(٤).

فهولاء الخمسة ممن استضعف فعُذّب، ثم بيَّن من كان يباشر تعذيب بلال بقوله: **عذّبه** [﴿١٨١﴾] **أمية بن خلف بن وهب بن جمح**، فإن قيل: كان يعذّبه أيضاً أبو جهل ويبالغ، حتّى إنَّه كان يأخذه فيبطحه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال البرهان في «نور النبراس»: «فائدة شاردة: لا أعرف في الصحابيات من اسمها حمامة إلّا هذه. غير أنّ ابن أبي الدنيا ذكره في كتاب «العيدين» أنَّ إحدى الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة بغناء. . . . . . أنّ إحداهما اسمها: حمامة». اهـ.

(٣) هو بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق، يكنى أبا عبد الله، واسم أمّه حمامة، وكانت أمة لبعض بني جمح. قال الصالحي في «سبيل الهدى والرشاد» (٢/ ٤٨٣): ذكرها أبو عمر في «الدرر» فيمن كان يعذَب في الله، فاشتراها أبو بكر الصديق وأعتقها، وأهملها أبو عمر في «الاستيعاب»، واستدركوها على «الاستيعاب». اهـ. وقد كان بلال ﷺ من المعذبين في الله، عذبه أمية بن خلف في مكة، واشتراه أبو بكر بخمس أواق وهو مدفون بالحجارة، قال بلال لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت اشتريتني لله فدعني وعمل الله. شهد بلال بدراً وأحداً والمشاهد كلها، خرج إلى الشام في خلافة عمر، فتوفي بها سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة. «الطبقات» (٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٩).

(٤) تقدم تخريجه.

على وجهه، ويسلبه في شدّة الحر في وهج[١] الشّمس، ويعمد إلى الرّحى فيضعها عليه، وهو يقول: أحد أحد، فما وجه تخصيص أميّة؟ قلت: خصّه؛ لأنَّ بلالاً ﷺ قتله يوم بدر على ما حكاه أهل السّير، حتّى قال فيه الصّدِّيق ﷺ أبياتاً منها[٢]:

هنيئاً زادكَ الرَّحمٰنُ خيراً   فقدْ أدركتَ ثأركَ يا بِلالُ

ومنهم: أي: [و]ممن استضعف فعذب، **جارية** بالجيم ابن عمرو من بني المؤمِّل، حيٌّ من بني عدي[٣].

ومنهم: **زِنِّيرة** بكسر الزّاي وشدَّة النّون وراء مهملة، **الروميَّة**، كانت لبني عبد الدار فلمَّا أسلمت عميت، فقال المشركون: أعمتها اللاّت والعزى، فردّ الله عليها بصرها[٤].

[﴿١٨٢﴾] **كذاك أم عنبس** ـ بمهملة مفتوحة فنون ساكنة ـ فموحدة مفتوحة مصغراً، بضبط النّاظم، وقال غيره: بضم المهملة، وموحدة مفتوحة[٥].

---

(١) في (ك): «لهب».   (٢) «الاستيعاب» باب بلال (١/ ١٨٢).

(٣) انظر: «الإصابة» (١/ ٦٤٢)، (٨/ ٧٦)، و«سبل الهدى» (٢/ ٤٨٢)، وقد وقع عند الشارح في «العجالة» (ص١٣٠) بتحقيقي: جارية أم عمرو من بني المؤمل. وذكر بعضهم أن اسم تلك الجارية لبينة تصغير لبنة.

(٤) انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٨٤٩)، و«الإصابة» (٨/ ١٥٠)، و«السبل» (٢/ ٤٨٢)، وزنيِّرة: أي: الحصاة الصغيرة. رواية: أعمتها اللات، أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٢٦١) مرسلاً، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٣٤٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٣٨).

(٥) الذي في «السبل» (٢/ ٤٨٣) أنها بضم العين المهملة، فنون فمثناة تحتية، وفي «نور النبراس»: الظاهر أن شيخنا نظمه أم عنبس، بنون بعد العين، ثم باء موحدة، ولكن هذا تصحيف فيما أعلم، وإنما هي أم عبيس بضم العين، وبعدها باء موحدة أو نون، بعدها ياء ساكنة. فلو قال بدل الشطر الأول: أم عبيس وكذاك ابنتها.. لطابق الصواب.

وهي فتاة لبني تيم بن مرة، أسلمت فعذبت في الله **وابنتها**(١).

وعامر **بن فهيرة**(٢) رفيق المصطفى ﷺ والصدّيق في الهجرة، كان عبداً أسود للطفيل بن عبد الله فأسلم، فعذِّب، [قتله عامرِ بنِ الطُّفيلِ في بئر معونة، سنة أربع من الهجرة].

فذي سبعتها: بلال وأمّه وجارية وزنيرة وأم عنبس وبنتها وابن فهيرة، [﴿١٨٣﴾] **ابتاعها** أبو بكر **الصدّيق ثم أعتق جميعهم لله** تعالى.

وقوله: **برَّ وصدق**؛ أي: في كونه فعل ذلك لوجه الله تعالى، لا لغرض آخر، وهذا في الحقيقة(٣)، حشو كمل به الوزن.

---

(١) ذكر الترمسي في شرحه على الألفية أنَّ اسمها لطيفة، قيل: كانت للوليد بن المغيرة.

(٢) انظر: ترجمته في: «معرفة الصحابة» (٤/ ٢٠٥١)، «الاستيعاب» (٢/ ٧٩٦)، «الإصابة» (٣/ ٤٨٢).

(٣) وقال الترمسي: «قال شيخ سيوخنا: وقد اشترى أبو بكر رضي الله عنه جماعة آخرين ممن كان يعذّب في الله تعالى. فذكر أخت عامر بن فهيرة وأمه، والنهدية وبنتها وأعتقهن».

باب ذكر انشقاق القمر

١٨٤ ـ وَإِذْ بَغَتْ مِنْهُ قُرَيْشٌ أَنْ يُرِي   آياً أَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ
١٨٥ ـ فَصَارَ فِرْقَتَينِ فِرْقَةٌ عَلَتْ   وَفِرْقَةٌ لِلْطَّودِ مِنْهُ نَزَلَتْ
١٨٦ ـ وَذَاكَ مَرَّتَينِ بِالإِجْمَاعِ   وَالنَّصِّ وَالتَّوَاتُرِ السَّمَاعِي
١٨٧ ـ زَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانَا   وَلأَبِي جَهْلٍ بِهِ طُغْيَانَا
١٨٨ ـ وَقَالَ: ذَا سِحْرٌ فَجَاءَ السَّفْرُ   كُلٌّ بِهِ مُصَدِّقٌ مُقِرُّ

باب ذكر انشقاق القمر

نصفين في زمن المصطفى ﷺ معجزة له، وقد جاء ذلك من حديث أنس(١) وابن عبَّاس(٢) وابن مسعود(٣) وجبير(٤) بن مطعم وحذيفة(٥) وغيرهم(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٧) من حديثه ﵁ أنَّه حدَّثهم أنَّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر. وهو مسلم (٢٨٠٠) (٢٨٠٢). وعند أحمد (١٣١٥٤) (١٣٣٠٣): عن أنس ﵁ «أنَّ أهلَ مكةَ سألوا رسولَ الله ﷺ: أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فأَرَاهُمْ انشقاقَ القمرِ مرتين». وانظر: «الدلائل» للبيهقي (٢/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٨) من حديثه قال: «إنَّ القمر انشقَّ في زمان النّبيِّ ﷺ».

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٦) من حديثه ﵁ قال: انشقَّ القمر على عهد النَّبيِّ ﷺ شقّتين، فقال النَّبيُّ ﷺ: «اشهدوا». وكذا أخرجه مسلم (٢٨٠٠)، والترمذي (٣٢٨٧)، وابن حبان (٦٤٩٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٤).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (١٦٧٥٠)، والترمذي (٣٢٨٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٤)، عن محمد بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، عن أبيه، قال: «انْشَقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً علَى هذا الجبل، وفرقةً على هذا الجبل، فقالوا: سَحَرَنَا محمدٌ، فقالوا: إِنْ كان سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لا يستطيعُ أَنْ يَسْحَرَ الناسَ كُلَّهُمْ». والسياق لأحمد.

(٥) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٩٨٤).

(٦) منهم ابن عمر ﵄: عند مسلم (٢٨٠١)، والترمذي (٣٢٨٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٤، ٢٦٧). وشعبة: عند مسلم (٢٨٠١). وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٦٣٢): «وقد وردَ انشقاقُ القمر أيضاً من حديث عَلِيٍّ وَحُذَيْفَةَ وَجُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ وابن عُمَر وغيرهم».

قال الخطَّابي: وانشقاقه آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء؛ لأنَّه ظهر في ملكوت السّماء خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطّبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر(١).

وقد أنكر جمهور الفلاسفة انشقاقه، متمسِّكين بأنّ الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الخرق والالتئام، وكذا قالوه في فتح أبواب السّماء ليلة الإسراء.

وجوابه: أنَّ القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء، كما يكوِّره يوم القيامة ويفنيه، ولا سبيل إلى إنكار ما ثبت من الخرق والالتئام في القيامة، ويلزم منه جواز وقوع ذلك على وجه المعجزة(٢).

[﴿١٨٤﴾] **وإذ بغت منه قريش**؛ أي: وحين طلبت كفار قريش من المصطفى ﷺ **أن يُري** - بالسكون - للوزن، - أي: يريهم - **آياً** جمع آية؛ أي: علامات دالات على صدقه في دعواه النّبوّة(٣) **أراهم بمكة انشقاق القمر**، فانشق ليلة أربعة عشر [﴿١٨٥﴾] **فصار فرقتين**، تثنية فرقة - بالكسر - أي: صار قطعتين منفصلتين.

روى البخاري(٤) وغيره عن ابن مسعود، قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل - أي: جبل أبي قبيس - وفرقة دونه، فقال المصطفى ﷺ: «**اشهدوا**».

ورُوِي هذا الحديث عن ابن عمرو جمع من الصّحابة والتّابعين(٥).

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٨٥) ونسبه للخطابي.

(٢) «فتح الباري» (٧/ ١٨٥).

(٣) قال الترمسي: ومنه يعلم أنّ هذه القصة قبل قصة كفاية المستهزئين.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم ذكر كل من روى الحديث.

وفي رواية للبخاري: انشقَّ القمر، ونحن مع النبي ﷺ بِمِنًى(١).

وفي رواية لمسلم: بينما نحن مع النَّبيِّ ﷺ بِمِنًى إذ انفلق القمر(٢).

وفي رواية(٣): أنّه كان بمكة؛ ولا تعارض(٤)؛ لأنَّ من كان بِمِنًى كان بمكة ولا عكس، وفي حديث ابن مردويه(٥) عن ابن مسعود ما يصرِّح بأنَّ مراده بذكر مكة، بيان أنَّه وقع قبل الهجرة، حيث قال: انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ ونحن بمكة قبل أن يصير إلى المدينة، **فرقة منه علت** فوق جبل أبي قُبيس، **وفرقة للطود منه نزلت** ـ أي: وفرقة صارت دون الطّود ـ أي: الجبل، الذي أنزل منه.

وما ذكره من أن إحدى فرقتيه صارت أنزل من الأخرى لم أرَ التّصريح به في المشهور من الرّواية.

والذي في «جامع الترمذي» عن جبير بن مطعم: [قال] انشقَّ القمر

---

(١) روى البخاري (٣٨٦٩) بإسناده إلى عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «انْشَقَّ القَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنًى؛ فَقَالَ: «اشْهَدُوا»، وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ نَحْوَ الجَبَلِ». قال البخاري بعده: «وقال أبو الضُّحَى: عن مَسْرُوقٍ عن عبد الله: انْشَقَّ بِمَكَّةَ، وَتَابَعَهُ محمدُ بن مُسْلِمٍ عن ابن أبي نَجِيحٍ عن مجاهد عن أبي مَعْمَرٍ عن عبد الله».

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٠).

(٣) عند البخاري (٣٦٣٧) من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رسولَ الله ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ». وفي رواية للبخاري (٣٨٦٨) عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رسولَ الله ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا». وعند مسلم (٢٨٠٢): عن أنسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رسولَ الله ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ».

(٤) في (ك): «ولا يعارض من كان بمنى».

(٥) كما في «الفتح» (٧/ ١٨٤).

على عهد رسول الله [المصطفى] ﷺ حتّى صار فرقتين، على هذا الجبل وعلى هذا الجبل.

وفي «الدلائل»(١) لأبي نعيم عن ابن عبَّاس: فصار فرقتين.

وفي رواية له عن ابن مسعود(٢): رأيت أحد شقّيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة، وقيل: كان يرى نصفه على أبي قُبيس ونصفه على قينقاع(٣).

وفي «الدلائل» لأبي نعيم أيضاً عن ابن عباس(٤): أنَّ ذلك كان لأربعة عشر، فانشقَّ [القمر] نصفين: نصفاً على الصّفا ونصفاً على المروة.

قال الحافظ ابن حجر: والذي يقتضيه غالب الرّوايات، أنَّ الانشقاق كان قبل غروبه، ويؤيده إسنادهم الرواية(٥) إلى جهة الجبل، ويحتمل أن يكون وقع، أول طلوعه فإنَّ في بعض الرَّوايات: أنَّ ذلك كان في ليلة البدر، أو التّعبير بأبي قبيس من تعبير بعض الرّواة؛ لأنَّ الغرض ثبوت رؤيته منشقّاً، إحدى الشِّقَّتين على جبل والأخرى على جبل آخر، ولا يغاير ذلك قول الرَّاوي الآخر: رأيت الجبل بينهما، ـ أي: بين الفرقتين ـ؛ لأنَّه [إذا] ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره، فصدق(٦) أنَّه بينهما(٧).

[﴿١٨٦﴾] **وذاك مرتين** ـ أي: ووقع ـ انشقاقه مرتين، لمَّا رواه

---

(١) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٢٠٩).

(٢) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٢٠٧) ولكن عن ابن عباس رضي الله عنهما لا ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٢٩٢).

(٤) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٢٠٩) وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما باللفظ السابق.

(٥) في (ك): «الرؤية».

(٦) في (ك): «صدق».

(٧) «فتح الباري» في كتاب مناقب الأنصار باب انشقاق القمر (٧/ ١٨٤).

الترمذي(١) وقال: حسن صحيح عن أنس قال: سأل أهل مكة المصطفى ﷺ أن يريهم آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ الآية [القمر].

وهذا **بالإجماع**؛ يعني: أصل انشقاقه بالإجماع، وليس مراده أنَّه وقع مرتين بالإجماع كما يأتي توضيحه(٢).

والنص عليه في القرآن والأحاديث الصِّحاح والحسان(٣) **والتواتر** فحصل به العلم اليقيني(٤) **السماعي**؛ أي: بسماع جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم وهكذا من أول الإسناد إلى آخره، ولا التفات لطعن بعض الزّنادقة فيه بأنَّه(٥) لو كان للزم مشاركة أهل الأرض في إدراكه؛ إذ لا يلزم ذلك إلّا لو استوى أهل الأرض في مطلع واحد، على أنَّ زمنه لم يطل حتَّى تتوفَّر الدّواعي إلى النّظر إليه، وأكثر النّاس نيام والأبواب مغلقة، وقلَّ من يرصد السّماء إلّا نادراً، وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينخسف القمر، وتبدو الكواكب العظام، وغير ذلك في الليل ولا يشاهده إلا الآحاد كذا ذكره جمع.

وقولهم: وأكثر النّاس نيام، غير قويم، لما مرّ من أنَّ ذلك وقع

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) كتب في النسخة (غ) بعد هذه العبارة إلا أنّه ضرب عليها، فقال: «وذلك لثبوته بالقاطع وهو القرآن»، وكذا في النسخة (ك) ولم يضرب عليها.

(٣) في (ك): «الحسان»، وكتب في النسخة (غ) بعدها إلا أنّه مضروب عليه: «فقد روى جمع جم من الصحابة بأسانيد معتبرة وبلغ».

(٤) في (ك): «باليقين». نصَّ على التواتر ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٤٢٧)، وقال: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]: قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ثَبَتَ ذلك في الأحاديث الْمُتَوَاتِرَةِ بالأَسَانِيدِ الصحيحةِ»، ونحوه في «البداية والنهاية» له أيضاً (٨/ ٥٥٨).

(٥) في (ك): «فإنّه».

أوّل طلوعه أو عند غروبه، وأنَّ ذلك كان ليلة البدر، فهو إمّا وقع بعيد غروب الشمس أو قبيل طلوعها، والنّاس غير نيام في الحالين.

فالأولى الاقتصار في الجواب على اختلاف المطالع(١) ولمَّا انشق [﴿١٨٧﴾] **زاد الله الذين آمنوا إيماناً** مع إيمانهم، **وحصل لأبي جهل** بن هشام وصناديد قريش كفار قريش **به طغياناً** فجاوزوا الحد والمقدار في العصيان والتكذيب والإضرار(٢).

[﴿١٨٨﴾] **وقال** أبو جهل وشيعته: **ذا سحر** فقال رجل منهم: إنَّ محمداً إن كان سحر القمر، فإنَّه لا يبلغ من سحره أن يسحر أهل الأرض كلّها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر، **فجاء السَّفْر** ـ بفتح فسكون، وزان رَكْب جمع مسافر، يقال: سفر الرّجل سفراً، يخرج للارتحال فهو سافر؛ أي: جاء المسافرون من الآفاق ـ، **وكل منهم به مصدّق مقر** بانشقاقه، فأخبروا كلّهم بأنَّهم رأوه عياناً منشقّاً نصفين.

روى أبو نعيم في «الدّلائل» عن أنس: انشقَّ القمر على عهد

---

(١) انظر: «الفتح» لابن حجر (٤/ ١٢٣). وقد ذكر ابن كثير: في تاريخه «البداية والنهاية» (٨/ ٥٦٤): أنّه قد ذكر غير واحد من المسافرين، أنهم شهدوا هيكلاً بالهند مكتوباً عليه أنه بُني في الليلة التي انشقَّ القمر فيها.

قال أبو عبد الرحمٰن مساعد الراشد الحميد في تعليقه على «الدلائل» لقوام السنة (١/ ٢٧٢): ثم إنه لا غرابة في انشقاق القمر، فقد شوهد انشقاق مذنب بروكسي شقّين سنة (١٨٨٩م)، وكذلك انقسام مذنب بيلا إلى جزئين سنة (١٨٦٤هـ)، كما ذكره الفلكي سبنسر جونز في فصل: المذنبات والشهب من كتابه: «عوالم بلا نهاية» لكن ثمة فرق بين ذين الانشقاقين، فإنَّ المذنبين لما انشقَّا لم يلتئما بعد ذلك بخلاف انشقاق القمر. فتأمل!.

(٢) بعدها في (غ): «وروي عن مسروق أنَّه كان بمكة، وزاد فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة». اهـ لكنه مضروبٌ عليه هناك، ومن قوله: «فجاوزوا الحد» إلى هنا سقط من (ك).

رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر سحركم [به] ابن أبي كبشة، فانظروا إلى السُّفار، فإن أخبروكم أنَّهم رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق، [قال] فما قدم عليهم أحد إلا أخبرهم بذلك(١).

وفي رواية: فإنَّ محمداً لا يستطيع أن يسحر النّاس كلّهم(٢).

○ *تنبيه:*

ما جرى عليه النّاظم هنا من انشاق القمر مرّتين، وحكايته فيه الإجماع، تعقَّبه فيه تلميذه الحافظ ابن حجر(٣)، بأنَّه لا يعرف من جزم من علماء الحديث بتعدُّد الانشقاق في زمنه عليه الصَّلاة والسَّلام ولم يتعرّض لذلك أحد من شرّاح الصّحيح. لكن خرَّجه مسلم من حديث سعيد عن قتادة بلفظ: فأراهم انشقاق القمر مرّتين. وكذا أخرجه أحمد عن عبد الرّزاق. وأكثر الرّوايات: فرقتين أو فلقتين، بالرّاء واللام. وقد أوّل ابن القيِّم(٤) رواية: مرّتين، بأنَّ المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى، والأول أكثر، قال: ومن الثّاني انشقّ القمر مرّتين، وقد خفي على البعض، فادَّعى أنَّ انشقاقه وقع مرتين، وذلك مما يعلم أهل الحديث والسير أنَّه غلط، فإنَّه لم يقع إلا مرة واحدة، انتهى(٥).

وقال ابن كثير في رواية: «مرتين» لعلّ قائلها أراد فرقتين(٦).

---

(١) «الدلائل» لأبي نعيم (٢١١) (٢١٢) كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه لا عن أنس رضي الله عنه.

(٢) «الدلائل» لأبي نعيم (٢١١).

(٣) في حاشية (ك): «وتبعه عليه الشهاب أحمد الخفاجي في «نسج الرباط» [. . . .]» غير واضحة.

(٤) وقال هذا في «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٠٠، ط: دار المعرفة) في مسألة الطلاق، ونحوه في «زاد المعاد» (٥/ ٢٢٠، ط: مؤسسة الرسالة).

(٥) «الفتح» (٧/ ١٨٣). قال برهان الدين: وقد كتب إلى شيخنا الناظم ما قال ابن قيم الجوزية، لما رأيت هذه المنظومة في ذلك. فلم يرد جواباً.

(٦) «البداية والنهاية» (٤/ ٣٠٤).

قال الحافظ ابن حجر(١): وعبارة الناظم تحتمل التأويل، فإنَّه جمع بين مرتين وفرقتين، فيمكن أن يتعلّق قوله بالإجماع بأصل الانشقاق لا بالتعدّد، مع أنَّ في نقل الإجماع في نفس الانشقاق نظر.

فإنَّ قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ [القمر]، ذهب بعض العلماء القدماء إلى أنَّ المراد بقوله: ﴿وَٱنشَقَّ﴾(٢) سينشقُّ، كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ أي: سيأتي، ونكتته إرادة المبالغة في تحقق وقوع ذلك، فنزل منزلة الواقع.

نعم الذي ذهب إليه الجمهور أصح كما جزم به ابن مسعود وأبو حذيفة وغيرهما.

ويؤيده قوله بعده: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢﴾ [القمر] فإنَّه ظاهر في أنَّ المراد بانشقّ وقوعه بالفعل؛ لأنَّ الكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة، وإذا استبان أنَّ قولهم إنَّما هو في الدّنيا ظهر وقوع الانشقاق، وأنَّه المراد بالآية الّتي زعموا أنَّها سحر. ونقل البيهقي في أوائل كتاب «البعث» عن الحليمي: أنَّ من النّاس من قال: المراد بقوله: انشقَّ سينشقُّ، قال(٣): فإنَّ كان كذلك فقد وقع في عصرنا، فشاهدت الهلال ببخارى في اللّيلة الثّانية منشقّاً نصفين عرض كلّ منهما عرض القمر ليلة أربع أو خمس، ثم اتّصلا فصار في شكل أترّجة إلى أن غاب، قال: وأخبرني من أثق به أنَّه شاهد ذلك في ليلةٍ أُخرى(٤).

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٨٣).

(٢) وقعت في كلام المؤلِّف: «انشق» بدون الواو، فأثبتُّها كما هي في رسم المصحف.

(٣) أي: الحليمي.

(٤) «فتح الباري» (٧/ ١٨٦)، ونقله عن الحليمي القرطبي في «التذكرة»، وقال ابن حجر: «ولقد عجبت من البيهقي كيف أقرَّ هذا مع إيراده حديث ابن مسعود المصِّرح بأنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، أن ذلك وقع في زمن النَّبيِّ ﷺ، فإنَّه ساقه هكذا من طريق ابن مسعود رضي الله عنه».

باب ذكر الهجرتين إلى النجاشي

١٨٩ ـ لَمَّا فَشَا الإِسْلامُ وَاشْتَدَّ عَلَى   مَنْ أَسْلَمَ البَلاءُ هَاجَرُوا إِلَى
١٩٠ ـ أَصْحَمَةَ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ   خَمْسٍ مَضَتْ لَهُم مِنَ النُّبُوَّةِ
١٩١ ـ خَمْسٌ مِنَ النِّسَاءِ وَاثْنَا عَشَرَا   مِنَ الرِّجَالِ كُلُّهُمْ قَدْ هَاجَرَا
١٩٢ ـ عُثْمَانُ مَعْ زَوْجَتِهِ رُقَيَّهْ   أَسْبَقُهُمْ لِلْهِجْرَةِ المَرْضِيَّهْ
١٩٣ ـ مُصْعَبُ وَالزُّبَيرُ وَابْنُ عَوْفِ   وَحَاطِبٌ فَأَمِنُوا مِنْ خَوفِ
١٩٤ ـ ذَا ابْنُ مَظْعُونَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَبُو   سَلَمَةٍ وَزَوْجُهُ تُصَاحِبُ
١٩٥ ـ أَبُو حُذَيفَةَ أَبُوهُ عُتْبَةُ   وَزَوْجُهُ بِنتُ سُهَيلٍ سَهْلَةُ
١٩٦ ـ وَابْنُ عُمَيرٍ هَاشِمٌ وَعَامِرُ   ابْنُ رَبِيعَةَ الحَلِيفُ النَّاصِرُ
١٩٧ ـ وَزَوْجُهُ لَيْلَى أَبُو سَبْرَةَ مَعْ   زَوْجَتِهِ أَيْ أُمِّ كُلثُومٍ جُمَعْ
١٩٨ ـ وَخَرَجَتْ قُرَيشُ فِي الآثَارِ   لَمْ يَصِلُوا مِنْهُم لأَخْذِ الثَّارِ
١٩٩ ـ فَجَاوَرُوهُ فِي أَتَمِّ حَالِ   ثُمَّ أَتَوا مَكَّةَ فِي شَوَّالِ
٢٠٠ ـ مِنْ عَامِهِمْ إِذْ قِيلَ أَهْلُ مَكَّةِ   قَدْ أَسْلَمُوا وَلَمْ يَكُنْ بِالثَّبَتِ
٢٠١ ـ فَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالأَذَى وَالشِّدَّةِ   فَرَجَعُوا لِلْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ
٢٠٢ ـ فِي مِئَةٍ عَدُّ الرِّجَالِ مِنْهُمُ   اثْنَانِ مِنْ بَعْدِ الثَّمَانِينَ هُمُ
٢٠٣ ـ فَنَزَلُوا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ عَلَى   أَتَمِّ حَالٍ وَتَغَيَّظَ المَلا
٢٠٤ ـ عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى أَصْحَابِهِ   وكَتَبَ البَغِيضُ فِي كِتَابِهِ

٢٠٥ ـ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ الصَّحِيفَهْ   وَعُلِّقَتْ بِالكَعْبَةِ الشَّرِيفَهْ
٢٠٦ ـ أَنْ لا تُنَاكِحُوهُمُ وَلا وَلا   وَحُصِرُوا فِي الشِّعْبِ حِينَ أَقْبَلا
٢٠٧ ـ أَوَّلُ عَامِ سَبْعَةٍ لِلْبَعْثِ   قَاسَوا بِهِ جُهْداً بِشَرٍّ مُكْثِ
٢٠٨ ـ وَسُمِعَتْ أَصْواتُ صِبْيَانِهِم   فَسَاءَ ذَلِكَ بَعْضَ أَقْوَامِهِم
٢٠٩ ـ وَأُطْلِعَ الرَّسُولُ أَنَّ الأَرضَهْ   أَكَلَتِ الصَّحِيفَةَ المُبَغَّضَهْ
٢١٠ ـ مَا كَانَ مِنْ جَوْرٍ وَظُلْمٍ ذَهَبَا   وَبَقِيَ الذِّكْرُ كَمَا قَدْ كُتِبَا
٢١١ ـ فَوَجَدُوا ذَاكَ كَمَا قَالَ وَقَدْ   شَلَّتْ يَدُ البَغِيضِ وَاللَّه الصَّمَدْ
٢١٢ ـ فَلَبِسُوا السِّلاحَ ثُمَّ أُخْرِجُوا   مِنْ شِعْبِهِمْ وَكَانَ ذَاكَ المخْرَجُ
٢١٣ ـ فِي عَامِ عَشْرَةٍ بِغَيرِ مَينِ   وَقِيلَ: كَانَ مُكْثُهُمْ عَامينِ

باب ذكر الهجرتين إلى النّجاشي

بكسر النّون أفصح من ضمّها، وبالتّخفيف عند الجمهور(١)، ملك الحبشة، واسمه أصحمة(٢) ـ بمهملات ـ، والنّجاشي لقب لكل من ملك الحبشة(٣)، وذكر **حصر** المشركين **لبني هاشم**، وكذا **المطلب** في **الشِّعب** ـ بكسر أوله المعجم ـ وأصله الطّريق في الجبل.

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن الزّهري(٤)، قال: [﴿**١٨٩**﴾] **لمَّا** كثر المسلمون(٥) **وفشا** ـ أي: ظهر وانتشر ـ **الإسلام** أقبل كفار قريش

---

(١) في «القاموس» مادة: (نجش): والنّجاشي بتشديد الياء وبتخفيفها أفصح، وتكسر نونها أو هو أفصح: أصحمة ملك الحبشة.

(٢) قال الذهبي في «السير» (٣/ ٢٦٨، ط: دار الفكر): أصحمة ملك الحبشة معدود في الصحابة ﷺ، وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي ﷺ، فصلّى عليه بالنّاس صلاة الغائب.. وأصحمة بالعربي: عطية، ولما توفي قال النبي ﷺ للنّاس: **«إنّ أخاً لكم قد مات بأرض الحبشة»**، فخرج بهم إلى الصحراء وصفهم صفوفاً ثم صلّى عليه، ونقل بعض العلماء أن ذلك كان في شهر رجب سنة تسع من الهجرة.اهـ.

(٣) الحبشة: قال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ١٩٠): أرض الحبشة بالجانب الغربي من بلاد اليمن، ومسافتها طويلة جداً، وهم أجناس، وجميع فرق السودان يعطون الطاعة لملك الحبشة، وكان في القديم يلقب بالنجاشي، وأما اليوم فيقال له الحَطِي، ويقال: إنهم من ولد حبش بن كوش بن حام... وأصل التحبيش: التجميع.اهـ.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٩٧٤٣).

(٥) في (ك): «المشركون».

على من آمن من قبائلهم وعشائرهم ومواليهم، يؤذونهم؛ بل يُعذِّبونهم ليردّوهم عن دينهم.

واشتدَّ على من أسلم البلاء - كسلام بالفتح(١) - أي: الغم، سُمّي به؛ لأنّه يبلي الجسم.

قال الزُّهري(٢): فبلغنا أنَّ المصطفى ﷺ قال لمن آمن: «**تفرَّقوا في الأرض، فإنَّ الله تعالى سيجمعكم**»، قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: «**هاهنا**» وأشار بيده إلى جهة الحبشة، «**فإنَّ بها**(٣) **ملكاً لا يُظلم بها عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم [فرجاً و] مخرجاً**».

فحينئذٍ، هاجروا إلى [﴿١٩٠﴾] **أصحمة** - بفتح الهمزة وسكون المهملة الأولى وكسر الثانية -، من الصحمة - بالضم - وهي سواد إلى صفرة، أو غيره إلى سوادٍ قليل، [وأصحمة] وهو النَّجاشي ملك الحبشة، فمنهم من هاجر بنفسه، ومنهم من هاجر بعياله فراراً بدينهم إلى الله، وهذه هي الهجرة الأولى [إلى الحبشة](٤)، وهي أوَّل هجرة وقعت في الإسلام، فوصلوا **في شهر رجب من سنة خمس مضت لهم من حين النبوة المحمدية** وعدّتهم سبعة عشر إنساناً، [﴿١٩١﴾] **خمس من النساء**، بعدِّ أم كلثوم زوجة أبي سَبْرة منهم، كما ذكره ابن سيِّد النَّاس مستدركاً على ابن إسحاق(٥) عَدَّهن أربعة بإسقاطها(٦).

---

(١) في (ك): «بالفتح كسلام».

(٢) «المصنف» (٥/ ٣٨٤).

(٣) في (ك): «بالحبشة».

(٤) انظر: «عيون الأثر» (١/ ١٣٥، ١٣٦، ط: دار القلم).

(٥) «سيرة ابن إسحاق» (ص١٥٧).

(٦) «عيون الأثر» (١/ ١٣٦).

وابن سيّد النّاس هو: الحافظ محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس، أبو الفتح اليعمري، له العديد من المؤلفات. توفي سنة (٧٣٤هـ). «الوافي بالوفيات» (١/ ٢١٩، ٢٢٠) ترجمة رقم (٢٠٠).

واثنا عشرا من الرجال، وقيل(١): أحد عشر رجلاً(٢).

وقوله: **كلُّهم قد هاجرا**؛ أي: كلّ واحدٍ من الرّجال والنّساء، حشو كمّل به الوزن، والألف للإطلاق، ثم [إنه] أعقب ذلك بجملة في موضع رفع بيان لأولئك السّبعة عشر [إنساناً المذكورين]، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هم.

[**﴿١٩٢﴾**] **عثمان مع زوجته رقيَّةْ**(٣) فالأوّل والثّاني منهم: عثمان بن عفَّان وزوجته رقيَّة بنت المصطفى ﷺ، فإن قيل: المرأة تابعةٌ فما وجه جعل النّاظم إيَّاها متبوعةً حيث عبَّر بالمعيَّة؟ قلت: هي لما فيها من البضعة النبويَّة عثمان تابعٌ لها، فقد كان على غاية [من] الأدب معها وإجلالها، وحُقَّ لها ذلك، وأعظم عليه بها من منّة، كيف لا ولولا أبوها لمَّا دخل هو الجنّة.

أسبقهم للهجرة المرضيَّة؛ أي: وكان هذان الزّوجان، أسبق النّاس إلى هذه الهجرة الفاضلة عند الله تعالى [على الصّحيح].

روي من طريق النّضر بن أنس عن أبيه: أنَّ عثمان لأوّل من هاجر بأهله بعد لوط(٤).

---

(١) انظر الاختلاف الوارد في أعدادهم في: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٢٩)، «البداية والنهاية» (٤/ ١٦٥ ـ ١٧٠).

(٢) وبه جزم العامري في «بهجته» (١/ ٩٥، ط: دار صادر)، واقتضى صنيع «المواهب» (١/ ١٤٥) ترجيحه.

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٣٠) في تسمية من هاجر إلى الحبشة (٤/ ٤١٩).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٢٣، ط: دار الراية)، وفي «السنة» (١٣١١، ت: الألباني) مطولاً، وفي «الأوائل» (١٢٦) مختصراً، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٩٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣/ ١٥١) (٣٩/ ٢٩) (٥٠/ ٣٠٨). ورواه الطبراني في «الكبير» (١٤٣). وقال الهيثمي في «المجمع»: «وفيه الحسن بن زيد البرجمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات»، وذكره ابن باطيش في كتابه: «غاية الوسائل في معرفة الأوائل» يسَّر الله إخراجه بخير عافية.

وقيل: أوّل من هاجر منهم حاطب بن عمرو؛ والصّحيح الأوّل(١)، ووصفها بكونها مرضية لثناء الله [تعالى] عليهم في القرآن(٢).

والثّالث: ـ **مصعب** بضم أوّله وفتح ثالثه، بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قصي(٣) هاجر دون أهله.

والرّابع: **الزبير** ـ بضم الزاي، بن العوام.

والخامس: عبد الرحمٰن **بن عوف** الزهري.

والسّادس: **حاطب** بن عمرو بن عبد شمس بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، **فأمنوا** ـ بقصر الهمزة وكسر الميم ـ، **من خوف** [من] المشركين.

[﴿١٩٤﴾] **وكذا** ممن هاجر بنفسه [وأهله]، وهو السّابع منهم: عثمان **بن مظعون** ـ بفتح الميم وسكون المعجمة وضم المهملة ـ، وهو أوّل صحابي مات بالمدينة.

والثّامن: عبد الله **بن مسعود** بن غافل ـ بغين معجمة وفاء ـ هاجر بنفسه وأهله.

والتّاسع: **أبو سلمة** ـ بفتح المهملة واللام ـ، ابن عبد الأسد بن

---

(١) في «السيرة الحلبية» باب الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة: . . . ووجه عدم المنافي أنّ كلاً من حاطب وسليط يجوز أن يكون هاجر بغير أهله.

(٢) وقاله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٦٨).

(٣) ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي، يكنى أبا محمد وأمه خناس بنت مالك بن المضرب. . ابن عامر بن لؤي، كان شاباً منعماً، أسلم قديماً وكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، وهاجر إلى الحبشة، وكان معلم الأنصار ومقرئهم، قتل في معركة أحد ﷺ. انظر: ترجمته في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١١٦)، «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٥٥٦)، «الاستيعاب» (٤/ ١٤٧٣)، «الإصابة» (٦/ ٩٨).

هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، القرشي المخزومي، [و] اسمه عبد الله.

والعاشر: **زوجه أمُّ سلمة هند بنت أبي أميَّة**، المعروف بزاد الرّاكب ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم(١)، وقوله: **تصاحب**؛ أي: وكانت معه تصاحبه، وهو حشو كمل به الوزن.

قال أبو عمر(٢): وكانت هي وزوجها أوَّل من هاجر إلى الحبشة، ومراده بعد عثمان وزوجته لمَّا مرّ من كونها أوّل من هاجر مطلقاً، وهاجرت أمُّ سلمة مع زوجها الهجرتين، واستمرّت معه إلى وقعة أُحد، فجرح فيها جرحاً اندمل [ثم انتقض] فمات به سنة ثلاث من الهجرة، وكان قال حين احتضر: اللّهم اخلفني في أهلي خيرا، فخلفه المصطفى ﷺ على زوجته وأهله.

قال ابن عبد البر في باب الهاء في اسمها: تزوّجها المصطفى ﷺ سنة اثنتين(٣).

وقال في حرف العين في اسم أبي سلمة(٤): مات سنة ثلاث وهو تناقض! والحادي عشر: [﴿١٩٥﴾] **أبو حذيفة** بالتّنوين للوزن، واسمه

---

(١) ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشيّة المخزوميّة، أم المؤمنين وزوجة رسول رب العالمين اسمها هند، واسم أبيها حذيفة، وقيل سهيل، ويلقب بزاد الراكب؛ لأنّه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد، بل يكفي رفقته من الزاد، وأمها عاتكة بنت عامر الكنانية. تزوّجها النَّبيُّ ﷺ في جمادى الآخرة سنة أربع. مناقبها كثيرة ماتت في خلافة يزيد بن معاوية، وهي آخر زوجاته ﷺ موتاً. انظر: انظر: ترجمته في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٣٩)، «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٨٥٩)، «الاستيعاب» (٤/ ١٦٣١)، «الإصابة» (٧/ ٧٤).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٩٢١).

(٣) «الاستيعاب» (٤/ ١٩٢١).

(٤) «الاستيعاب» (٣/ ٩٤٠).

مَهْشَم أو هُشيم أو هاشم، **وأبوه** اسمه **عتبة** بضم المهملة وسكون المثناة فوق فموحدة، ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي(١).

والثّاني عشر: **زوجه وهي بنت سهيل** - مصغراً - ابن عمرو واسمها **سهلة**(٢) - بفتح المهملة وسكون الهاء -، وولدت لأبي حذيفة هناك [محمداً]، وخلف عليها بعد أبي حذيفة عبد الرحمٰن بن عوف(٣).

[﴿**١٩٦**﴾] والثّالث عشر: **ابن عمير** مصغراً، ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، أبو مصعر واسمه **هاشم** اسم فاعل من الهشم وهو الكسر(٤).

---

(١) انظر: ترجمته في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٨٤)، «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٥٥٦)، «الاستيعاب» (٤/ ١٤٧٣)، «الإصابة» (٦/ ٩٨).

(٢) القرشيّة العامريّة، أسلمت قديماً، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وأمها فاطمة بنت عبد العزَّى بن أبي قيس من رهط زوجها سهيل. أسلمت أمها فاطمة قديماً بمكة وبايعت، وسهيلة هي التي رخص لها النبي ﷺ في أرضاع سالم وهو كبير، فكان بعد ذلك يدخل عليها، وهي حاسر الرأس. انظر: ترجمتها في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٢٧٠)، «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٣٤٦)، «الاستيعاب» (٤/ ١٨٦٥)، «الإصابة» (٨/ ١٩٣).

(٣) ذكرها ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٢٧) في ذكر أزواج عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ.

(٤) قال الأجهوري في شرحه: وابن عمير - بالتصغير - واسمه منصور بن هاشم بن عبد مناف. كذا في الشرح. وهذا يفيد أنَّ هاشماً ليس هو ابن عمير، إن لم يجعل هاشماً لقباً لمنصور، وأنّه من جملة من هاجر، ولم أر في سيرة الشامي، ولا في سيرة ابن سيّد الناس فيمن هاجر إلى الهجرة الأولى من اسمه منصور بن عمير، ولا من اسمه هاشم بن عمير.
وذكر أنّ منهم سهيل بن بيضاء، ولم يذكره الناظم. وقال بعض الشاميين: وأمّا هاشم بن عمير، وفهو ابن وترك بياضاً بعده. ثم قال: وأهمل الشيخ ما ذكره ابن إسحاق وابن هشام وغيرهما سهيل بن وهب، المعروف بابن البيضاء أمه.
ولو قال بدله قوله: «مصعب والزبير. .» إلخ. ما نصه:

الزبير مصعب ابن عوف حاطب كذا ابن بيضا سهيل ذاهب =

والرّابع عشر: **عامر ابن ربيعة** بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر **الحليف** ـ بحاء مهملة ـ؛ أي: الصديق للخطاب بن نوفل(١)، وقوله: **الناصر** ـ أي: لدين الله ـ حشو.

[**﴿١٩٧﴾**] والخامس عشر: **زوجه** ـ أي: [زوج] عامر المذكور

= لكان أولى. والله أعلم

وفي «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤/ ١٢١): هو: «أبو الرُّوم بن عُمَيْرِ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ، وأُمُّهُ: رُومِيَّةٌ، وهو أخو مُصْعَبِ بن عُمَيْرٍ لأبيه. قال محمد بن عُمر: وكان قديمَ الإسلام بمكةَ، وهاجَرَ إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية. وقد ذَكَرَهُ أيضاً موسى بن عُقبة، ومحمد بن إسحاق، في رِوَايَتِهِمَا فيمَن هَاجَرَ إلى أرض الحبشة في المرة الثانية، وَشَهِدَ أُحُداً، وتُوُفِّيَ وليس له عَقِبٌ».

وفي «الاستيعاب» (٤/ ١٦٦٠): «أَبُو الروم بْن عمير بْن هاشم بْن عبد مناف بْن عبد الدار بْن قصي. أخو مصعب بْن عمير القرشي العبدري. أمه أمة رومية. كَانَ ممن هاجر إِلَى أرض الحبشة مَعَ أخيه مصعب بْن عمير. قَالَ مُحَمَّد بْن عُمَرَ: كَانَ أَبُو الروم قديم الإسلام بمكة، وهاجر إِلَى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وشهد أحداً. قَالَ: وحدثنا عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أبي الزناد عَنْ أبيه، قَالَ: ليس أَبُو الروم ممن هاجر إلى أرض الحبشة، ولو كَانَ منهم لشهد بدراً مَعَ من شهدها ممن رجع من أرض الحبشة قبل بدر، ولكنه قد شهد أُحُداً.

قال أبو عمرَ: قد هاجر إِلَى أرض الحبشة، وقدم المدينة ولم يقدر له شهودها، وممن لم يقدر له شهود بدر جماعة، وقتل أَبُو الروم يوم اليرموك شهيداً فِي خلافة عمر».

وفي «الإصابة» (٦/ ١٧٤): «منصور بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدريّ، أخو مصعب. يكنى أبا الرّوم، وهو مشهور بكنيته. ذكره موسى بن عقبة، وابن إسحاق في مهاجرة الحبشة، وذكره فيمن شهد أُحُداً. وقال الزبير بن بكّار: استشهد باليرموك».

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٣٨٦)، «معرفة الصحابة» (٤/ ٢٠٤٩)، «الاستيعاب» (٢/ ٧٩٠)، «الإصابة» (٣/ ٤٦٩).

واسمها **ليلى** بنت أبي حثمة بن غانم بن عبد الله القرشيَّة العدويَّة(١)، أسلمت قديماً وهاجرت الهجرتبن وصلَّت إلى القبلتين(٢).

والسّادس [عشر] والسّابع عشر: **أبو سبرة** ـ بفتح المهملة وسكون الموحدّة التحتيَّة ـ لا يُعرف اسمه(٣)، وهو ابن [أبي رهم بن] عبد العزى بن أبي قيس ابن عبد ودٍّ بن نصر بن مالك القرشي العامري هاجر الهجرتين **مع زوجته** [أي] **أم كلثوم** بالضم؛ كزنبور بنت سهيل بن عمرو(٤). وهي التي أهملها ابن إسحاق كما مرّ، وزاد إكمالاً للوزن قوله: **جُمَع** ـ بضم الجيم وفتح الميم ـ؛ أي: جميع من ذكر من الرّجال والنّساء، هم الذين هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة، خرجوا من مكة متسلِّلين حتّى انتهوا إلى الشُّعيبة، منهم الرّاكب والماشي ويسَّر الله [تعالى] لهم ساعة وصولهم البحر سفينتين للتّجّار، حمولهم إلى الحبشة بنصف دينار(٥).

---

(١) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٢٦٧)، «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٤٣٩)، «الاستيعاب» (٤/ ١٩٠٩)، «الإصابة» (٨/ ٣٠٣).

(٢) «الإصابة» (٨/ ٣٠٣).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٤٠٣)، «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٩٣١)، «الاستيعاب» (٤/ ١٦٦٦)، «الإصابة» (٧/ ١٤١).
قال القطب الحلبي: «ولم أر أحداً سمّي أبا سبرة».

(٤) القرشيّة العامريّة، أخت أبي جندل. ذكرها ابن إسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة، أسلمت بمكة قديماً، وبايعت وهاجرت إلى الحبشة الهجرة الثانية، وولدت لأبي سبرة محمداً وعبد الله.
وقول الشارح: وهي التي أهملها ابن إسحاق كما مرّ. لعل المقصود في الهجرة الأولى، قال الترمسي: وظاهر صنيع الناظم أنهما هاجرا هذه الأولى. لكن صرَّح تلميذه في «الإصابة» أنّها الثانية الآتية.
انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٢٧٢)، «الإصابة» (٨/ ٤٦٢).

(٥) «البداية والنهاية» (٤/ ١٦٥).

[﴿١٩٨﴾] **وخرجت قريش** بغير تنوين للوزن؛ أي: الكفَّار منهم **في الآثار**؛ أي: في آثارهم حتّى انتهوا إلى البحر، فلم يدركوا **ولم يصلوا منهم لأخذ الثار**، فلمّا قدموا الحبشة تلقَّاهم النّجاشي وأكرم نزلهم وأحسن مثواهم.

[﴿١٩٩﴾] **فجاوروه في** بلده **في أتمّ حال** آمنين على دينهم ومنقطعين للتّعبُّد والتّبتُّل من غير أذىً يلحقهم.

قال الواقدي(١): فأقاموا شعبان ورمضان، ثم إنَّ رسول الله ﷺ في رمضان قرأ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ [النجم: ١] حتّى بلغ ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم] ألقى الشّيطان في أُمنيَّته ـ أي: تلاوته ـ: تلك الغرانيق العلا؛ أي: الأصنام، وإنَّ شفاعتهنّ لترجى، ثم سجد وسجد المشركون معه، لتوهّمهم أنّه مدح آلهتهم، ورفع الوليد بن المغيرة(٢) تراباً إلى جبهته فسجد عليه لكونه مسنّاً لا يمكنه السّجود، وقالوا: قد عرفنا أنَّ الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده، أما إذ جعلت لها نصيباً فنحن معك: فكبر ذلك على المصطفى ﷺ حتّى جلس في البيت، فلمّا أمسى أتاه جبريل فعرض عليه السورة، فأوحى الله إليه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾ الآية [الإسراء: ٧٣]. ففشت تلك السّجدة في الناس حتّى بلغت إلى الحبشة، فقال المهاجرون: عشائرنا أحبُّ إلينا فرجعوا(٣).

---

(١) نقله في «عيون الأثر في المغازي والسير» لابن سيد الناس (١/ ١٤٠، ط: دار القلم) عن الواقدي.

(٢) في (ج): «عتبة». جاء عند البخاري (٤٨٦٣) عن ابن عبّاس قال: أوّل سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلّا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف. وقيل: عن الذي أخذ كفاً من حصا فسجد عليه أقوالاً؛ الوليد بن المغيرة، وعتبة بن أبي ربيعة.

(٣) قال الأجهوري: في كلام الشارح هنا نظر. ثم ذكر الأجهوري من صحَّح هذه =

ثم أتوا مكة ـ أي: جاءوا إلى قريب منها ـ، وذلك **في شوَّال [﴿٢٠٠﴾] من عامهم** الذي هاجروا فيه، فبينما هم قاصدين دخول مكة، وبينهم وبينها ساعة من نهار، لقوا ركباً من كنانة، فسألوهم عن كفار مكة **إذ**؛ أي: حين **قيل** لهم قبل ذلك **أهل مكة قد أسلموا**، فقصدوا استكشاف الخبر، فقال الرّكب: ذكر محمد آلهتهم بخير فاتَّبعه الملا، ثم عاد لسبِّ آلهتهم فعادوا له بالأذى والشّرِّ، وقد تركناهم على ذلك، **ولم يكن** الخبر عن إسلامهم **بالثبت** ـ بفتح المثلثة وسكون الموحَّدة ـ؛ أي: لم يثبت ذلك، فائتمر القوم في الرّجوع إلى الحبشة، ثم قالوا: قد بلغنا فندخل فننظر ما فيه قريش ونحدث عهداً بأهلنا، ثم نرجع، فدخلوا [مكة]، ولم يدخل أحد منهم إلّا بجوار إلّا ابن مسعود، فإنَّه مكث قليلاً ثم رجع إلى الحبشة.

وهذا الخبر ذكره ابن عقبة وابن إسحاق بلا طريق(١).

قال السُّهيلي(٢): وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة، ومن صحَّحه قال: إنَّ الشّيطان قال ذلك وأشاعه، والرسول ﷺ لم ينطق به(٣).

وهذا جيد لولا أنَّ جبريل قال لمحمد: ما أتيتك بهذا.

وقد كثر كلام العلماء في هذه القصّة.

وقد أنكر(٤) وقوعها وبالغ في بطلانها الإمام(٥) والبيهقي

= القصة ومن أبطلها، وأطال في ذلك.

(١) يعني: بلا إسناد.

(٢) «الروض الأنف» للسهيلي (٢/ ١٥٤، ١٥٥).

(٣) مضروب عليها في (غ).

(٤) في (ف): «وأنكر» مكان «وقد أنكر».

(٥) في حاشية (غ): «إذا أطلق الإمام عند المحدثين أو المفسرين، المراد به الإمام النواوي».

وعياض(١)، وأُيِّد بأنَّ البخاري(٢) روى أنَّه قرأ [و]النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، ولم يذكر الغرانيق وبأنَّ من جوَّز على نبيٍّ تعظيم صنم كفر، وبأنَّها من وضع الزنادقة.

وردّه ابن كثير(٣) وغيره بأنَّ لها طرقاً كثيرة، بعضها صحيح لكنّه

---

(١) قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٤٣٩): «وكذا قولُ عِيَاضٍ: هذا الحديث لم يُخَرِّجْهُ أحدٌ من أهل الصحة ولا رواه ثقةٌ بسندٍ سليم متصل مع ضعف نَقَلَتِهِ واضطرابِ رواياته وانقطاع إسناده. وكذا قولُه: ومَن حُمِلَتْ عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يُسندها أحدٌ منهم ولا رفعها إلى صَاحِبٍ، وأكثرُ الطُّرُقِ عنهم في ذلك ضعيفة واهيةٌ».

وقال البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٨٦): «وأنهم خرجوا مرتين، ثم رجع الذين خرجوا المرة الأولى قبل خروج جعفر وأصحابه، حين أنزل الله ﷻ عليه سورة النجم، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل ما يذكر به آلهتنا، من الشتم والشر، وكان رسول الله قد اشتد عليه ما ناله هو وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم، وأحزنته ضلالتهم، وكان يتمنى هداهم، فلما أنزل الله ﷻ سورة النجم قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم] ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله ﷻ آخر الطواغيت فقال: وإنهن الغرانيق العُلَى وإنَّ شفاعتهن لهي التي ترتجي، وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وزلت بها ألسنتهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن محمدا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله آخر النجم سجدَ، وسجدَ كل مَن حضر مِن مسلم أو مشرك، غير أن الوليد بن المغيرة ـ وكان شيخا كبيراً ـ رفع ملء كفيه تراباً فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود بسجود رسول الله ﷺ».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٢٣): «وذكروا قصة الْغَرَانِيقِ، وقد أحببنا الْإِضْرَابَ عن ذِكْرِهَا صَفْحاً؛ لِئَلَّا يسمعها مَن لا يضعها على مواضعها، إلَّا أنَّ أصل القصة في الصحيح».

مرسل، والحافظ ابن حجر وغيره بأنَّ ثلاثة من طرقه رجاله رجال الصّحيح، وأوّلوا ذلك بأنَّه أصابته سِنةٌ فجرى على لسانه ولم يشعر به، فلمّا أُعلم أظهر بطلانه وأحكم آيات ربه، وذلك لا يُثبت للشيطان عليه ولايةً في النّوم؛ لأنَّه لمَّا أصابته السِنة حاكى قراءته بصوتٍ يُشبه صوته، ثم بيّن الله للنَّاس على لسان رسوله بطلان ذلك، حتى لا يغترَّ به أحد، وبأنَّ المصطفى ﷺ كان يرتّل قراءته، فارتصد الشيطان سكته ونطق بتلك الكلمات، محاكية لنغمة النبي بحيث يسمعه من دنا منه، فظنّها من قوله وأشاعها(١).

وأمّا تأويله بأنَّ الشّيطان ألجأه إلى التلفّظ به بغير اختياره، فردَّ بأنَّ الشّيطان لو قدر على ذلك لم يمكن أحداً من طاعة الله، وزَعْمُ أنَّ المراد بالغرانيق الملائكة ومنهم من كان يعبدهم، زاعماً أنَّهم بنات الله، فلمَّا سمعوه حملوه على الجميع؛ و[تكَلُّفٌ](٢) في غاية البُعْد(٣).

[﴿٢٠١﴾] فاستقبلوهم ـ أي: كفار مكة ـ **بالأذى والشدّة** فأذن لهم المصطفى ﷺ في العود إلى الحبشة، فكانت هجرتهم الثّانية أشدُّ على المشركين من الأولى، واشتدَّ عليهم ما بلغهم من إكرام النّجاشيِّ لهم **فرجعوا** إلى الحبشة **للهجرة الثانية**(٤) قاصدين جوار النّجاشي

---

(١) ومن التأويلات: أنه قالها في تلاوته من قبل نفسه، على وجه الحكاية عن الكفار تهكماً بهم وتوبيخاً لهم. ومنها: أنّه قالها من قبل نفسه مريداً بها الملائكة، أو كان قرآناً ونسخ. ومنها: لما بلغ الثّالثة الأخرى، خافت الكفار أن يسبق إلى ذمّها، فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمة يخلطوا في تلاوته.
قال الأجهوري: وهذه التّأويلات لا تأتي.

(٢) في (ك): «فقالوا قد عظم آلهتنا».

(٣) هذه القصة كثر الكلام حولها، وتقدَّم ذِكْر العلماء المصححين لها في تحقيقي «للعجالة» (ص١٣٩) ت (١).

(٤) انظر في الهجرة الثانية لأرض الحبشة: «البداية والنهاية» (٤/١٦٨ وما بعدها).

[﴿٢٠٢﴾] **في مئة نفس** رجالاً ونساءً **عد الرجال منهم اثنان من بعد الثمانين هم** على ما اختاره بعضهم وتبعه النّاظم، وقيل: كانوا ثلاثة وثمانين، ومن النّساء ثماني عشرة امرأة قرشيّة، وسبع غرائب ولم يذكر النّاظم أسمائهم.

[﴿٢٠٣﴾] **فنزلوا عند النجاشي على أتم حال،** فلمَّا عَلِمَتْ قريش(١) ذلك، بعثتْ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ـ قيل: وعمارة بن الوليد ـ بهدية إلى النّجاشيّ وبطارقته، وسألوه ردَّهم إليهما وابتدرا النّجاشيّ، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، قالا: أيها الملك! إنَّه ضوى إلى بلادك منَّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم من آبائهم وأعمامهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدينٍ ابتدعوه، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم وأهلوهم وعشائرهم لتردُّهم عليهم، فهم أعلى(٢) منك بهم عيناً، وأعلم بما عانوا منهم.

فغضب النّجاشي، وقال: لا ها الله لا أسلمهم إليكما حتّى أدعوهم فأسألهم، فإن كانوا كما تقولون رددتهم إلى قومهم، وإلا منعتهم منهم، وأحسنت جوارهم، فدعاهم، فلمَّا جاءهم رسوله ائتمروا فيما يقولونه.

فقالوا: نقول ما علمناه وما أمرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، فسألهم وقد دعى أساقفته ونشروا مصاحفهم حوله، فكان الذي كلَّمَه جعفر بن أبي طالب، فقال: أيُّها الملك كنّا أهل جاهليَّة، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار،

---

(١) انظر في قصة إرسال قريش للنجاشي ليجيئوا بالمسلمينْ: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٣٥) وما بعدها، «الروض الأنف» (٢/ ١٠٨) وما بعدها. وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٥٧).

(٢) في (ج): «أعلم».

ويأكل القوي الضّعيف حتّى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الأوثان، وأمرنا بالصدق و[أداء] الأمانة وصلة الرَّحم وحسن الجوار، والكفُّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وبالصّلاة والزّكاة والصّيام، وعدَّد أمور الإسلام، فآمنّا به واتّبعناه فعدا علينا قومنا، فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان واستحلال الخبائث، فلمَّا قهرونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إليك، واخترناك على من سواك، ورجونا أن لا نظلم عندك.

فقال النّجاشيُّ: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟

قال: نعم، فقرأ صدراً من «كهيعص»، فبكى النّجاشيّ، و[بكت] أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم.

ثم قال النّجاشيّ: والله إنَّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاةٍ واحدة، انطلقا فلا أسلمهم أبداً.

فلمّا خرجا، قال عمرو: لآتينّه غداً بما استأصل به خضراءهم(١)، ثم غدا عليه، فقال: أيُّها الملك، إنَّهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسألهم، فقال جعفر: نقول الذي جاء به نبينا، هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النّجاشيُّ يده في الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: مَا عَدَا عيسى مَا قلتَ هذا(٢) ....

---

(١) في (غ): «أي: معظمهم».

(٢) في هذه القصة عند ابن راهويه في «مسنده» (١٨٣٥): «مثل هذا» وفي «الثقات» لابن حبان: «ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتم هذا العود»، وسياق المؤلف موافق لما عند ابن إسحاق في «السيرة» (٢١٥)، والسهيلي في «الروض» =

العودَ، فتناخرت(١) بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن تناخرتم، اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضي ـ أي: آمنون ـ، فما أحب أن لي دَبَراً من ذهب ـ أي: جبلاً ـ منه، وإنِّي آذيتُ رجلاً منهم، ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فما أخذ الله منّي الرشوة حين ردّ عَلَيَّ مُلْكي، وما أطاع الناس فِيَّ فأُطيعهم فيه(٢)، مرحباً بكم وبمن جئتم مِن عنده.

= (١١٣/٢) وغيرهما. والمقصود أنَّ ما قاله جعفر ﵁ هو بالفعل ما يعرفه النجاشي مِن قول نبي الله عيسى ﵇، لم يتعداه نبي الله عيسى ﵇ بمقدار هذا العود، وقد جاء هذا المعنى صراحة في سياق ابن عبد البر للقصة في «الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر» (١٣٧) وفيه: «ما عَدَا عيسى ابنُ مريمَ مما قلتَ هذا المقدارَ».

(١) في حاشية (غ): «أي: مدت أصواتها في خياشيمها».

(٢) أخرج ابن إسحاق (١٩٤/١): قال الزهري: فحدّثت بهذا الحديث عروة بن الزبير عن سلمة، فقال عروة: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه؟ فقال الزهري: لا. ما حدثني ذاك أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث عن أمّ سلمة، فقال عروة: فإنّ عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه، وكان له أخ من صلبه اثنا عشر رجلاً، ولم يكن لأبي النجاشي ولد غير النجاشي، فأدارت الحبشة رأيها بينها، فقالوا: لو أنا قتلنا أبا النّجاشي، وملّكنا أخاه، فإنّ له اثني عشر رجلاً من صلبه فيتوارثوا الملك لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلاً لا يكون بينها اختلاف، فغدوا عليه فقتلوه، وملكوا أخاه. فدخل النجاشي على عمّه حتى غلب عليه فلا يدير أمره غيره، وكان لبيباً، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه، قالوا: لقد غلب هذا الغلام على أمر عمه، فما نأمن أن يملكه علينا، وقد عرف أنا قتلنا أباه وجعلناه مكانه، وإنا لا نأمن أن يملكه علينا فيقتلنا، فمشوا إلى عمّه، فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خفناه على أنفسنا، قال: ويلكم! قتلت أباه بالأمس وأقتله اليوم! بل أخرجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به إلى السوق فباعوه من رجل من التجار بست مئة درهم، فقذفه في سفينة فانطلق به، حتى إذا كان العشي من ذلك اليوم، هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمّه يستمطر تحتها =

فخرجا من عنده مقبوحين، وأقام المسلمون عنده بخير دار مع خير جار، واستمرّوا حتى قَدِمُوا على المصطفى ﷺ بخيبر، ولمَّا بلغ قريشاً فعل النّجاشي وإكرامه لجعفر وأصحابه كَبُرَ ذلك عليهم.

وتغيظ الملا منهم [﴿٢٠٤﴾] **على النبي وعلى أصحابه** لمّا رأوا من فشوِّ الإسلام في القبائل، وعزّته بإسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة أيام(١).

= فأصابته صاعقة، فقتلته. قالت: ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا هو محمق، ليس في ولده خير، فمرج على الحبشة أمرهم.

فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك، قال بعضهم لبعض: تعلموا والله! إن ملككم الذي لا يقحم أمركم غيره للذي بعتم غدوه، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن، قالت: فخرجوا في طلبه، وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه، ثم جاءوا به، فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير الملك فملّكوه.

فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكلّمه في ذلك؟ قالوا: لا نعطيك شيئاً، قال: إذن والله أكلمه، قالوا: فدونك وإيّاه قالت: فجاء فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك! ابتعت غلاماً بالسوق بست مئة درهم، فأسلموا إليّ غلامي وأخذوا دراهمي، حتى إذا سرت بغلامي أدركوني فأخذوا غلامي ومنعوني دراهمي.

قالت: فقال لهم النجاشي: لتعطنّه دراهمه أو ليضعنّ غلامه يده في يده، فليذهبنّ به حيث يشاء، فقالوا: بل نعطيه دراهمه. قالت: فلذلك يقول: ما أخذ الله مني رشوة حين ردَّ عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه، قالت: وكان ذلك أول ما خُبر من صلابته في دينه وعدله في حكمه. اهـ.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (١/٢٠٣) (٥/٢٩٢) من طريق ابن إسحاق؛ به.

كما أخرجه أبو سعيد النقَّاش في «فنون العجائب» (٨٠)، وصحح إسناده الشيخ مشهور حسن. قلتُ: وقد سبقت الإشارة قبل قليل إلى موضعه عند ابن إسحاق وابن راهويه وغيرهما.

(١) في (ك) بعدها: «فأجمعوا على أن يدبروا على قتله».

وكتب البغيض بن عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قصي، كتاباً في مقاطعة بني هاشم ومعاداتهم، فكان مما كتبه **في كتابه** الذي كتبه [﴿٢٠٥﴾] **على بني هاشم** بن عبد مناف **الصحيفةَ**(١)، بدل من كتابه، وهي ما يكتب فيه من نحو قرطاس أو جلد، **وعُلّقت**؛ أي: علَّقتها قريش **بالكعبة**؛ أي: داخل الكعبة **الشريفة** تأكيداً في حفظها وبقائها للمداومة على ما فيها، وذلك [﴿٢٠٦﴾] **أنَّ قريشاً لا تناكحوهمُ** بضم الميم، لضرورة النّظم، أبداً ولا تبايعوهم، **ولا تعاملوهم، ولا تخالطوهم**(٢)، ولا تقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يُسلموا لهم محمداً للقتل.

روى ابن عُقْبَة عن الزُّهري(٣) أنَّ كفّار قريش أجمعوا أمرهم، واتَّفق رأيهم على قتل رسول الله ﷺ، وقالوا: قد أفسد أبناءنا ونساءنا، فقالوا لقومه: خذوا منّا ديته مضاعفة ويقتله رجل من قريش، وتريحونا وتريحون أنفسكم، فأبى قومه بنو هاشم ذلك وظاهرهم بنو المطلب، وأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشِّعب، فأخرجوا **وحصروا** ـ أي: حصر كفَّار قريش ـ بني هاشم والمطلب والمصطفى ﷺ **في الشعب** بالكسر، شعب أبي طالب، ودخل فيه بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن ديناً، والكافر حميّة إلّا أبا لهب، وكان دخولهم فيه **حين** ـ كذا في نسخةٍ وهو الصّواب

---

(١) انظر في أمر الصحيفة: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٣٥) وما بعدها، و«الروض» (٢/ ١٦٠) وما بعدها، و«البداية والنهاية» (٤/ ٢٣٦) وما بعدها.
وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٧٥).

(٢) من قوله: في حفظها ليس في (ك). هنا بل بعد قوله: «حتى يسلموا لهم محمداً للقتل» وجاءت بسياق آخر هو كالتالي: «وللمداومة على ما فيها أن قريشاً لا يناكحوهم ـ بضم الميم لضرورة الوزن ـ أبداً ولا تعاملوهم ولا تخالطوهم».

(٣) انظر: «السبل» (٢/ ٥٠٢) وما بعدها.

فما في أكثر النُّسخ من أنَّه حتّى تصحيفٌ ـ **أقبلا** بألف الإطلاق(١)، [أي: أهلّ هلال المحرّم في أوّل ليلةٍ من](٢) [﴿٢٠٧﴾] **أول عام سبعة للبعث**؛ أي: أوّل ليلة من المحرّم سنة سبع من بعثة النبي عليه الصَّلاة والسَّلام وتمادت كُفَّار قريش على العمل بما كتبوه في الصّحيفة، وتعاهدوا على إدامته، وخرج أبو لهب إلى قريش فظاهرهم على بني هاشم والمطلب، وقطعوا عنهم الميرة والمادة، ومنعوا عنهم الأسواق والإرْفاق [وأصَرُّوا على ذلك] حتّى إنَّ أبا جهل لقي حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمّته خديجة، وهي مع المصطفى ﷺ في الشِّعب فتعلَّق به، وقال: أتذهب بالطَّعام إلى بني هاشم، فانتصر أبو البختري بن هشام بن الحارث له، وقال: خلِّ سبيله فأبى أبو جهل، فأخذ أبو البختري لحي بعير فضربه فشجَّه ووطيه وطياً شديداً(٣).

وصار المحصورون لا يخرجون إلّا من الموسم إلى الموسم حتّى **قاسوا به جهدا** بفتح الجيم، [أي:] مشقّةً وبلاء، ومكثوا فيه ثلاث سنين **بشرٍّ مكث** بضم الميم وسكون الكاف، من ضنك العيش والجوع والأذى.

[﴿٢٠٨﴾] **وسُمعت** بالضم، مبنياً للمفعول؛ أي: وسمعت كفار قريش **أصوات صبيانهم** يتضاغون من وراء الشِّعب، من شدّة الجوع والكرب، **فساء ذلك بعض** كفار قريش [من] **أقوامهم**؛ أي: ممن ولدته بنو هاشم، أو كان بينه وبينهم نحو مزيد قرابة أو صحابة، أو صهارة، وقالوا: هذا بغي منّا وظلُم عظيم لهم، وندموا على ما فرط منهم، وتلاوموا فكان أوّل من قام بأعباء ذلك، ومشى في نقض الصّحيفة

---

(١) في بعض النسخ: «حتى أُقيلا».

(٢) ما بين المعقوفتين مضروب عليه في (غ).

(٣) قاله ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (١/ ٣٧٩) وما بعدها.

وإخراجهم الحارث بن هشام(١)، فمشى إلى زهير بن عاتكة بنت المطلب، فقال: أرضيت أن تأكل الطّعام وتلبس الثِّياب، وتنكح النّساء وأخوالك حيث علمت، وشدّ عليه حتّى قال: لو وجدت معي رجلاً لنقضتها، فقال: أنا معك، فقال: أبغنا ثالثاً، فذهبا إلى المطعم بن عدي واستنخاه حتّى قال: أنا معك، فقال: أبغنا رابعاً، فذهب إلى أبي البختري واستنخاه حتّى قال: هل من معين؟ فذكر له أولئك، فقال: أبغنا خامساً، فذهب إلى زمعة، واستنخاه، فقال: هل من أحد؟ فذكر له القوم، فاجتمعوا بالحجون، وأجمعوا على نقضها، فقال لهم زهير: أنا أوّل من يتكلّم، فلمَّا أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير فطاف سبعاً، ثم أقبل على النّاس، فقال: يا أهل مكة! إنَّا نأكل ونلبس، وبنو هاشم فيما ترون، والله لا أقعد حتى تشقَّ هذه الصّحيفة الظّالمة القاطعة، فقال أبو جهل: كذبت لا تُشق، فقال زمعة: أنت أكذب، ما رضينا بكتابتها حين كتبت.

فقال أبو البختري: صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها، فقال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، ثم لبسوا السّلاح وتأهّبوا للقتال وقصدوا الشِّعب، فأخرجوهم مراغمين لمن خالفهم في ذلك، هذا ما حكاه بعض أهل السير(٢).

---

(١) في حاشية (ك): «الذي عند الكاعي «. . . . . .»(*) هشام بن الحارث بن حبيب بن «. . . .»(*) بن مالك بن حسل، وذلك أنه كان ابن أخي «. . . .»(*) بن هشام بن عبد مناف «. . . .»(*).

(٢) أفاد الترمسي عن شيخ شيوخه: أنَّ السعي من هؤلاء الرهط في نقض الصحيفة، إنما كان بعد إخبار النبي ﷺ عمَّه بأكل الأرضة لها، وبعضهم قدَّم وأخَّر في حكاية القصة.
في «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٧٩)، «البداية والنهاية» (٤/ ٢١٦).

- - - - - - - - - - - -

(*) غير واضحة في (ك).

وساق ذلك ابن سيِّد النَّاس على وجه آخر(١)، وهو أنَّه لمَّا اشتدَّ عليهم البلاء [﴿٢٠٩﴾] **وأُطلع** بالبناء للمفعول [**الرسول**]؛ أي: أطلع الله رسوله [محمد] ﷺ على **أنَّ الأرضه** بفتح الهمزة والراء: دويبة تأكل الخشب والورق، قد **أكلت الصحيفة**؛ أي: من الصَّحيفة، وقوله: **المبغضة** بفتح الغين المعجمة؛ أي: عند الله، أو عند بني هاشم والمطلب، حشو كمل به الوزن. وكل [﴿٢١٠﴾] **ما كان منها من لفظ جور وظلم** وقطيعة **ذهبا** بلحس الأرضة أو قرضها له، ولم يبق منه شيء.

وبقي بكسر القاف، **الذكر**؛ أي: بقي ما كان فيها من ذكر الله تعالى **كما قد كتبا** لم تأكله الأرضة، ولم يتغيَّر منه شيء، فقال المصطفى ﷺ [لعمّه] لأبي طالب: «**يا عمِّ! إنَّ ربي قد سلَّط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها القطيعة والظُّلم والبهتان**»، قال: أربك أخبرك بهذا؟! قال: «**نعم**»، قال: فوالله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قريش في عصابة من بني عبد المطلب، حتّى أتوا المسجد، فلمَّا رأتهم قريش أنكروا ذلك وظنّوا أنَّهم خرجوا من شدّة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ إليهم ليقتل، فقال: يا معشر قريش إنَّ ابن أخي أخبرني بكذا، فإن كان هذا الحديث كما يقول، فوالله لا نسلمه حتّى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعناه إليكم، فقالوا: رضينا ففتحوا الصّحيفة [﴿٢١١﴾] **فوجدوا ذاك** الذي أخبر به المصطفى ﷺ **كما قال**(٢)، فلمَّا رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب عن النَّبيِّ ﷺ، قالوا: هذا سحر ابن أخيك، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً. هذه رواية ابن هشام.

---

(١) «عيون الأثر» لابن سيد الناس (١/١٤٧) وما بعدها.

(٢) في (ك) بعدها: «صلى الله عليه وسلم مما أخبر به عن ربه».

وقال غيره(١): لمَّا أخبر المصطفى ﷺ بذلك عمّه أبا طالب، قال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبتني، وانطلق في عصابة من بني عبد المطلب حتّى أتوا المسجد، فظنّت قريش أنَّهم خرجوا من شدّة البلاء، ليسلموا رسول الله ﷺ ليقتل، فقال أبو طالب: يا معشر قريش، قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها، فأتوا بالصّحيفة التي فيها مواثيقكم، فلعلَّ أن يكون بيننا وبينكم صلح، فأتوا بها معجبين لا يشكُّون أنَّ محمداً يُدفع إليهم، فوضعوها بينهم، وقالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا، فقال: إنَّما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم، أخبرني ابن أخي أنَّ هذه الصّحيفة بعث الله عليها دابةً، فلم تترك فيها إلّا ذكر الله، فإن كان كما قال، فلا والله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم، قالوا: رضينا، ففتحوها فوجدوا الصادق المصدوق أخبر بخبرها قبل فتحها، فقالوا: هذا سحر ابن أخيك، وازدادوا طغياناً وعدواناً(٢)، ولأبي طالب في قصة الشعب أشعار منها(٣):

ألا أبلغا عنِّي على ذات بيننا لؤيّاً وخُصّا من لُوَيٍّ بني كَعْبِ
ألم يعلموا أنّا وجدنا محمداً نبيّاً كموسى خُطَّ في أَوَّلِ الكُتْبِ

---

(١) كأبي عمر بن عبد البر في كتابه «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص٥٨) والثواقب النجوم.

(٢) وفي رواية: أنَّ الأرضة لحست اسم الله تعالى، وأبقت ما عداه. وجمع بين الروايتين كما في «السبل» (٢/ ٥٠٨): بأنهم كتبوا نسخاً فأكلت الأرضة من بعض النسخ اسم الله تعالى إلى أنَّه تعالى كره فعلهم، فلم تترك اسمه مع ذكر ظلمهم، وأكلت من بعض النسخ ما عدا اسم الله تعالى إشارة إلى أنه تعالى لم يرض هذا الفعل، والله أعلم بحقيقة ذلك.

(٣) ديوان أبي طالب (ص٢١١، ٢١٢)، وفي «السيرة» روى ابن هشام أربعة عشر بيتاً (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩).

وأنَّ علـيـه فـي الـعـبـاد مـحـبَّـةً ولا خَيْرَ ممَّن خصَّه اللَّهُ بالحُبِّ(١)

وقد شلَّت(٢) بفتح الشين المعجمة؛ أي: فسدت عروقها فبطلت حركتها **يد البغيض**(٣)، كاتب الصّحيفة كما مرّ، **والله الصمد**، قسم كمَّل به الوزن، وعند ذلك أجمع أكابرهم على نقض ما تعاهدوا عليه، ورأسهم في ذلك أبو البختري كما مرَّ، [﴿٢١٢﴾] **فلبسوا السلاح** واستعدُّوا للحرب(٤)، **ثم خرجوا**(٥) فأخرجوا من في الشعب **من شعبهم** وعادوا إلى منازلهم بمكَّة، **وكان ذاك المخرج** بفتح الميم والراء؛ أي: خرجوهم بعد أن مكثوا في الشِّعب ثلاثة أعوام، كما مرَّ(٦)، [﴿٢١٣﴾] **في عام عشرة** بسكون الشين للوزن، مضت من البعثة **بغير مين**؛ أي: بغير شك، يعني بذلك الجزم، وكأنَّه لم يعتدَّ بمن قال خلاف ذلك مما حكى بعضه بقوله: **وقيل**: إنَّما **كان مكثهم** في الشِّعب **عامين** فقط(٧).

---

(١) تقدَّم التعليق على هذا البيت في «العجالة» (ص١٤٦) بتحقيقي. فانظره غير مأمور.

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٣٨).

(٣) في «سيرة ابن هشام» أن اسمه منصور بن عكرمة، ويقال: إن كاتبها هشام بن عمرو بن الحارث العامري.
قلت: قال الترمسي، وقبله الصالحي: وجمع باحتمال أن يكونوا كتبوا منها نسخاً. وانظر: «عيون الأثر» (١/ ١٤٩)، و«السبل» (٢/ ٥٠٢).

(٤) في (ك): «للموت».

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٤١)، و«الدرر» (ص٥٩)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٢٣٦).

(٦) وبه جزم موسى بن عقبة. وذكر الاحتمالين ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٧٩).

(٧) وبه جزم ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٠٩)، وانظر: «السبل» (١/ ٥٠٤).

باب ذكر وفاة أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

٢١٤ ـ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ بِثُلْثَي عَامِ   وَثُلُثَيْ شَهْرٍ وَيَومٍ طَامِي
٢١٥ ـ سِيقَ أَبُو طَالِبٍ لِلحِمَامِ   ثُمَّ تَلا ثَلاثَةَ الأَيَّامِ
٢١٦ ـ مَوتُ خَديجَةَ الرِّضَى فَلَمْ يُهنْ   عَلَى الرَّسُولِ فَقْدُ ذَينِ وَحَزِنْ

باب ذكر وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ وزوجته خديجة بنت خويلد وكان موتهما في عام واحد(١)

فأمَّا أبو طالب فإنَّه هلك [﴿٢١٤﴾] **بعد خروجهم من الشِّعب بثلثي عام** وهو ثمانية أشهر، **وثلثي شهر ويوم** كذا قال النَّاظم، وثلثي بالتثنية وهو أحد وعشرون يوماً، والموجود في كلام أهل السِّير أحد عشر يوماً(٢).

---

(١) في (ك) بعدها: «مع أبي طالب».
قال الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٤٣): «ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ هَلَكَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ».

(٢) قال في «النور»: «تنبيه: قال ابن عبد البر في أوائل «الاستيعاب» (١/ ٣٩): ولم تمت خديجة فيما قال ابن إسحاق وغيره إلّا بعد الإسراء، وبعد أن صلَّت الفريضة مع رسول الله ﷺ».
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣١٧): «وقال محمد بن إسحاق: ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد. وقال البيهقي: بلغني أنَّ خديجة تُوُفِّيَتْ بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام؛ ذكره أبو عبد الله ابن مَنْدَهْ في كتابِ (المعرفة)، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ. قال البيهقي: وزعم الواقديُّ أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين، عام خرجوا مِن الشِّعَبِ، وأن خديجة تُوُفِّيَتْ قبل أبي طالب بخمسٍ وثلاثين ليلة.
قلتُ: مرادُهم قبل أنْ تُفْرَضَ الصلوات الخمس ليلة الإسراء، وكان الْأَنْسَبُ بنا أنْ نذكرَ وفاة أبي طالب وخديجة قبل الإسراء، كما ذَكَرَهُ البيهقيُّ وغيرُ واحدٍ».

قال ابن الجوزي(١) وغيره: لمَّا أتت عليه تسعٌ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، مات عمّه أبو طالب، وقوله: **طامي**؛ أي: مرتفع من طما البحر ارتفعت أمواجه حشو [بارد ركيك] كمل به الوزن.

[**٢١٥**] **سيق أبو طالب** بغير تنوين(٢) للوزن، **للحمام** بكسر المهملة مخففاً، الموت، وفي إسلامه خلاف، فقيل: أسلم وهو رأيٌ مهجور [من قال به]، والصَّحيح الذي عليه التّعويل أنّه لم يُسلم، لما في «الصّحيحين» وغيرهما: أنَّه ﷺ دخل عليه وعنده قريش، فجلس عنده، وقال له: «**يا عمِّ! قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**»، وأبو جهل يقول له: أترغب عن ملّةِ عبد المطلب، فكان آخر كلام أبي طالب: هو(٣) على ملَّةِ عبد المطلب وكان يقرُّ بنبوّة المصفطى ﷺ، لكنه أبى أن يتديَّن بذلك خوف العار، وفيه نزل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦](٤).

وفي «الصّحيح»: أنّ العبَّاس قال لرسول الله ﷺ: إنَّ أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل ينفعه ذلك؟ فقال: «**نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**»(٥).

وفي رواية: «**هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل**»، وفي «مسلم» عن ابن عبَّاس مرفوعاً: «**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعِلٌ نعلين من نار تغلي منهما دماغه**»(٦).

---

(١) في (ك): «ابن الجزري».
(٢) في (ك): «ببناء سيق للمفعول؛ أي: ساقه الله».
(٣) في (ك): «أنا».
(٤) أخرجه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤).
(٥) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).
(٦) مسلم (٢١٢).

قال السُّهيلي: وهذا النّفع هو نقصانٌ من العذاب، وإلّا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف، وكان مع المصطفى ﷺ بجملته، إلّا أنّه كان مثبتاً قدميه على ملّة عبد المطلب حتّى الموت، فسلَّط العذاب على قدميه خاصة(١).

وقد رويت له وصيّة قال من جملتها: وإنَّي أوصيكم بمحمد خيراً، فإنَّه الأمين في قريش، والصِّدِّيق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله لكأنّي أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البدو(٢) في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، وعظّموا أمره فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، وقد محضته(٣) العرب ودادها، وأعطته قيادها دونكم، يا معشر قريش والله لا يسلك أحد منكم سبيله(٤) إلا رشد، ولا يأخذ بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدد، ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ودافعت عنه الدّواهي(٥)، ومن نظمه:

ولقد علمت بأنَّ دين محمد   من خير أديان البريَّة دينا(٦)

---

(١) «الروض الأنف» (٣/ ٩٩).

(٢) في (ك)، و(هـ): «البرّ».

(٣) في «القاموس» مادة: (محض): محضة الحديث: صدقه.

(٤) في (ك): «طريقه».

(٥) «الروض» (٤/ ٣٠) قال السُّهيلي: وحكي عن هشام بن السائب أو ابنه... ثم ذكره.

(٦) انظر: هذا في «ديوان أبي طالب» (ص١٨٩) وهو من مقطوعة من أربعة أبيات مطلعها:

واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أوسد في التراب دفينا

وأول هذا البيت:

ودعوتني وعلمت أنك صادق   ولقد صدقت وكنت ثم أمينا =

فلمَّا مات نالت قريش من المصطفى ﷺ ما لم تكن تناله ولا تطمع فيه من الأذى، حتى اعترضه بعض سفهاء قريش(١)، فنثر على رأسه تراباً، فدخل المصطفى ﷺ على إحدى بناته(٢)، فجعلت تزيل [عنه] التراب وتبكي، والمصطفى ﷺ يقول لها: «**لا تبكي يا بنيَّة، فإنَّ الله مانعٌ أباك وناصره**».

وكانوا يجعلون الدّم والفرث على بابه، ووطيء عُقبة ـ بالقاف ـ ابن أبي معيط على رقبته ﷺ وهو ساجد عند الكعبة، حتّى كادت عيناه تبرزان.

وخنقوه خنقاً شديداً، وجذبوا رأسه(٣) ولحيته حتى سقط أكثر شعره، فقام أبو بكر دونه قائلاً: أتقتلون رجلاً [أن] يقول ربي الله؟.

ولفَّ عقبة بن أبي معيط بعنقه ثوباً، وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقاً شديداً، فدفعه أبو بكر عنه، فلمَّا اشتدَّ ذلك، وبلغ أبا لهب، فقال له: يا محمد امض لمَّا أردت وما كنت [صانعاً] إذ كان أبو طالب حيّاً فاصنعه، لا واللّات [والعزّى] لا يوصل إليك حتّى أموت.

فمكث كذلك أياماً لا يتعرَّض له أحد هيبة لأبي لهب، فجاءه

= ألا أنه ضرب عليه في النسخة (غ) ومثبت في النسخ الأخرى، ثم ذكر هذا البيت المثبت وبعده هذين البيتين، وقد ضرب عليهما أيضاً:

واللَّه لن يصلوا إليك بأسرهم حتى أوسد في التراب رهينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا(*)

(١) قال في «النور»: هذا السفيه لا أعرفه بعينه.

(٢) قال في «النور»: هذه البنت لا أعرفها بعينها.

(٣) في (ك): «شعره».

(*) في (ك): «حذاري سُبَّةٍ».

عقبة بن أبي معيط وأبو جهل، فأحالاه عليه(١) بقوله: إنَّ من سلف من قريش في النّار، فقال: والله لا برحت لك إلا عدوًّا، واشتدَّ أبو لهب(٢). وجميع قريش عليه، حتّى قال أبو جهل: أعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجر لا أُطيق حمله، فإذا سجد في صلاته رضخت [به] رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بنو عبد مناف ما بدا لهم.

فقالوا: لا نسلمك أبداً، فامض لما تريد، فلمَّا أصبح أخذ حجراً كما وصف، ثم قعد ينتظره وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، فلمّا جلس احتمل أبو جهل الحجر حتّى إذا دنا منه رجع منهزماً مُنتقعاً ـ بالبناء للمفعول ـ لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره حتّى قذفه من يده، وقامت إليه رجال من قريش، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟

قال: قمت إليه لأفعل ما قلت، فلمَّا دنوت منه! عرض لي دونه فحلٌ من الإبل ما رأيت مثل هامته! فهمَّ بي أن يأكلني، فقال المصطفى ﷺ: **«ذاك جبريل، لو دنا لأخذه»**(٣).

ثم تلا ثلاثة الأيام؛ أي: ثم أعقب ثلاثة أيّام من موت أبي

---

(١) في حاشية (غ): «غيَّراه».

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢١١) قال: أخبرنا محمد بن عمر عن محمد بن صالح بن دينار وعبد الرحمٰن بن عبد العزيز والمنذر بن عبد الله عن بعض أصحابه عن حكيم بن حزام، قال: وحدثنا محمد بن عبد الله عن أبيه عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير، قالوا: . . . فذكره.
ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ١٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٣٥)، وعزاه لابن الجوزي.
وفي الإسناد محمد بن عمر هو الواقدي، قال ابن حجر في «التقريب» (١/ ٤٩٨): «متروك مع سعة علمه»، وعبد الله بن ثعلبة بن صُعير: قال ابن حجرفي «التقريب» (١/ ٢٩٨): «له رؤية ولم يثبت له سماع».

(٣) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» لابن هشام (١/ ٣٢٠).

طالب، [﴿٢١٦﴾] **موت خديجة** الكبرى أم المؤمنين(١) **الرضى** عنده أو عند الله، فقد كانت وزيرة صدق على الإسلام، وكان المصطفى ﷺ يسكن إليها، ويعوِّل عليها، ولم يتزوَّج قبلها ولا عليها، وما ذكره النّاظم من أنها ماتت بعده بثلاثة، هو قول الجمهور(٢)، وقيل: بل بخمسة أيام، وقيل: بثلاثين يوماً، وقيل: بخمسة وثلاثين(٣)، وقيل غير ذلك(٤).

فلم يُهن - بضم الهاء وبكسرها وضم المثناة قبلها للمناسبة - **على الرسول**؛ أي: رسول الله ﷺ **فَقْدُ ذين** الشّفوقين النّاصرين له القائمين معه، **وحزن** لموتهما حُزناً شديداً، وسمَّى ذلك العام: عام الحزن، لتوالي تينك المحنتين عليه فيه(٥)، وأقلّ الخروج ولزم بيته.

ثمّ خرج إلى الطّائف ومعه زيد بن حارثة فقط، يلتمس النُّصرة والمنعة من ثقيف، فأقام به عشرة أيّام، فما ترك أحداً من أشرافهم حتّى اجتمع به، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم(٦) من اتّباعه، فقالوا: يا محمد! أخرج من بلدنا، وسلّطوا صبيانهم وسفاءهم عليه، فقعدوا له بالطّريق صفّين يرجمونه بالحجارة في رجليه حتّى أدموها، وزيد يقيه بنفسه حتى شُجَّ في رأسه.

---

(١) في (ك): «زوجة المصطفى».

(٢) قاله البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٥٢) وما بعدها، وفيه: «وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، كان يسكن إليها، قلت: وبلغني أن موت خديجة كان بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام والله أعلم؛ ذكره أبو عبد الله ابن منده في كتاب المعرفة وكذلك ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ رحمه الله، وزعم الواقدي أنهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين وفي هذه السنة توفيت خديجة وأبو طالب بينهما خمس وثلاثون ليلة المتقدمة خديجة».
ونقله عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣١٦).

(٣) ذكره ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٢٥).

(٤) انظر: «سبل الهدى» (٣/ ٥٦٣)، (٣/ ٥٧١).

(٥) في (ك): «المصيبتين فيه عليه».

(٦) في حاشية (غ): «أي: شبابهم».

فلمَّا خلص عمد إلى حائط فاستظلَّ بظل حَبَلة(١) - بتحريك المهملة والموحدة، وقد تسكن - شجرة عنب، وكان فيه عتبة وشيبة ابنا ربيعة فكره مكانهما لما يعلم من عداوتهما وشدّتهما عليه، فقال: «**اللّهم إليك أشكو ضعف قوَّتي، وقلَّة حيلتي وهواني على النّاس، يا أرحم الرّاحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني إلى عدوٍّ يتجهمني**؛ أي: يستقبلني بوجه كريه، **أم إلى عدوٍّ مَلَّكْتَهُ أمري، إنَّ لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك، هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظُّلمات وصلح عليه أمر الدُّنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك، لك العتبى(٢) حتّى ترضى ولا حول ولا قوّة إلّا بك**»(٣).

فأرسل الله [تعالى] إليه جبريل ومعه ملك الجبال، فقال: إن شئت أطبقت عليهم(٤) الأخشبين، فقال: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله**»(٥).

فلمَّا رأى ابنا ربيعة ما لقي تحرك [له] رحمهما، فبعثا قطفاً من عنب مع غلام لهما نصراني اسمه عدَّاس(٦)، فلمَّا وضعه بين يديه، قال: «**بسم الله**»، ثم أكل(٧) فنظر عداس في وجهه، فقال: إنَّ هذا الكلام لا

---

(١) في حاشية (غ): «الحبلة بالحاء المهملة والباء الموحدة المحركتين بالفتح ثم لام ثم هاء؛ شجرة عنب».

(٢) في حاشية (غ): «الموجدة والترضّي».

(٣) قاله ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٦١ - ٦٢) بدون إسناد.

(٤) في (ك) بعدها: «الجبال».

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٦) مذكور في الصحابة، وترجم له ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٣٨٥) وسرد ابن حجر القصة كاملة في ترجمته.
قال في «النور»: والله أعلم متى توفي رضي الله عنه.

(٧) في (غ): «نظر».

يقوله أهل هذه البلاد، فقال له المصطفى ﷺ: «**من أي البلاد أنت؟**» قال: نصراني من أهل نينوى، قال: «**أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متَّى؟**» قال: وما يدريك ما يونس؟! قال: «**ذاك أخي كان نبيّاً وأنا نبي**»، فأكبّ عدّاس عليه، يُقَبِّل رأسه ويديه ورجليه، فلمَّا جاءهما قالا له: ما لك تُقَبِّل رأسه ويديه وقدميه؟! قال: ما في الأرض خير منه، قد أَعْلَمَني مما لا يعلمه إلا نبي، قالا: ويلك لا يصرفنَّك عن دينك، فإنَّ دينك خير من دينه(١)، ثم انصرف من الطّائف فصارا إلى حراء.

وبعث إلى الأخنس بن شُريق(٢) ليجيره فأبى، فبعث إلى سهيل بن عمرو(٣) فقال: إنَّ بني عامر لا تجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه، ثم تسلّح وتسلّح أهل بيته وخرجوا حتّى أتوا

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٦١ ـ ٦٣).

(٢) ابن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العُزّى بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، يكنى أبا ثعلبة، حليف بني زهرة، اسمه أبي لُقّب الأخنس؛ لأنّه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر، أن أبا سفيان نجا بالعير فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة. ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، وشهد حنيناً، ومات في أول خلافة عمر. «الإصابة» (١/ ١٩٢).

(٣) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، خطيب قريش، يكنى أبا يزيد، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية وكلامه ومراجعته للنبي ﷺ، أسلم عندما دخل النَّبيُّ ﷺ مكة وأعطاه النَّبيُّ ﷺ مئة من الإبل.
وعن الشافعي: كان سهيل محمود الإسلام من حين أسلم.
روى البيهقي في «الدلائل» قال عمر للنَّبيِّ ﷺ: دعني أنزع ثنيّتي سهيل، فلا يقوم علينا خطيباً، فقال: «دعها، فلعلّها تسرُّك يوماً»، فلما مات النَّبيُّ ﷺ، قام سهيل بن عمرو فقال: من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت.
مات سهيل بالطاعون سنة ثمان عشرة، ويقال: قتل باليرموك. «الإصابة» (٣/ ١٧٧).

المسجد، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن ادخل، فلمَّا دخل طاف ثم انصرف إلى بيته(١).

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٣٤٣).

باب ذكر وفد الجن

٢١٧ ـ وَبَعْدَ أَنْ مَضَتْ لَهُ خَمْسُونَا   وَرُبْعُ عَامٍ جَاءَهُ يَسْعَونَا
٢١٨ ـ جِنُّ نَصِيبِينَ لَهُ وَكَانَا   يَقْرَأُ فِي صَلاتِهِ قُرآنَا
٢١٩ ـ بِنَخْلَةٍ فَاسْتَمعُوا وَأَسْلَمُوا   وَرَجَعُوا فَأَنْذَرُوا قَوْمَهُمُ

باب ذكر وفد الجن

[أي: قدوم جماعة منهم على المصطفى ﷺ وهم] من جن نصيبين(١) [والوفد هم: الجماعة المختارة من القوم للقي العظماء](٢).

لمَّا انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى مكة، وهو محزون لما لم يستجب له أحد، ولم يجره أحد نزل نخلة(٣)، فقام يصلّي(٤) من الليل، ويقرأ القرآن أتاه وفد الجن، كما أشار إلى ذلك بقوله: [﴿٢١٧﴾] **وبعد أن مضت** له من عمره **خمسونا** بألف الإطلاق؛ أي: خمسون سنة وربع عام ثلاثة أشهر **جاءه يسعونا** بألف الإطلاق [﴿٢١٨﴾] **جن نصيبين** الجزيرة له؛ أي: لأجله، وما ذكر من أنهم من نصيبين الجزيرة هو ما في «مسلم»(٥) لكن في «تفسير عبد بن حميد» أنّهم من نينوى بنخلة، وأنَّهم تسعة أحدهم زوبعة.

وأخرج ابن أبي حاتم: أنّهم من جزيرة الموصل(٦)، وأنّهم كانوا اثني عشر ألفاً.

---

(١) في حاشية (غ): «وكانوا يهوداً» ذكره في «الخلاصة».

(٢) «تاج العروس» مادة: (و ف د).

(٣) كتتب في حاشية (غ): «بالنون والخاء المعجمة اسم قرية».

قلت: وهي معروفة الآن بوادي اليمانية، على طريق السيل، قريب الزيمة، وبجانبها نخلة الشامية، وبينها وبين مكة نحو (٥٠) كيلاً. وانظر: «معالم الحجاز».

(٤) في حاشية (غ): «قال في الجلالين: كان يصلي بأصحابه الفجر».

(٥) برقم (٤٥٠).

(٦) ونينوي من أرض الموصل «فتح الباري» (٦/ ٤٥٢، ط: دار المعرفة)، =

ونصيبين⁽¹⁾ بلدة، هي قاعدة ديار ربيعة، **وكانا ﷺ يقرأ في صلاته قرآناً** وهو [**﴿٢١٩﴾**] **بنخلة** بنون وخاء معجمة، موضع على ليلة من مكة، وهو غير مصروف، **فاستمعوا** لقراءته، وقد أخبر الله [تعالى] عنهم بذلك، وتواردت الأخبار، وتواترت.

وقد نوّه الله [تعالى] بقصَّتهم في ثلاث سور: الأحقاف⁽²⁾ والرحمٰن و﴿قُلۡ أُوحِيَ﴾⁽³⁾ [الجن: ١]، وما مرّ من أنَّ استماع الجن كان عند منصرفه من الطّائف هو ما وقع لابن إسحاق⁽⁴⁾، لكن المنقول أنَّه كان في ابتداء الوحي.

فقد روى أحمد⁽⁵⁾ والنسائي⁽⁶⁾ عن ابن عباس: كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشراً، فيكون ما يسمعون حقّاً وما

= (٧/ ١١٤، ط: دار الفكر)، وانظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣٣٩) وفيه: «نينوى بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو بوزن طيطوى وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى».

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان» (٥/ ٢٨٨): «وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين الموصل ستة أسام وبين دنيسر يومان عشرة فراسخ وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه أنوشروان الملك عند فتحه إياها».

(٢) قال تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾ [الأحقاف].

(٣) يقصد سورة الجن.

(٤) كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٦٣)، وإسناده مرسل. قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٨): والحديث رواه الطبراني. وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات.

وقال ابن كثير في «التفسير» في تفسيره للآية ٢٩ من سورة الأحقاف (٧/ ٢٩٠): «وهذا صحيح، ولكن قوله: إنَّ الجن كان استماعهم تلك الليلة. فيه نظر».

(٥) رواه أحمد (٢٤٨٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٦٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

زادوا باطلاً، وكانت النّجوم لا يرمى بها قبل ذلك، فلمَّا بعث المصطفى ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلّا رمي بشهاب يحرق ما أصاب منه، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا لأمرٍ إمرٍ؛ أي: عظيم حدث، فبعث جنوده فإذا بالمصطفى ﷺ يصلّي بين جبلي نخلة فأخبروه، فقال: هذا [هو] الحدث الذي حدث في الأرض.

قال ابن كثير(١): وأمَّا خروجه إلى الطّائف، فإنَّما كان بعد موت عمه أبي طالب.

وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود(٢) أنَّهم هبطوا على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخلة يقرأ القرآن، فلمَّا سمعوه قالوا: أنصتوا، فأنزل الله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩].

فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي أنَّه لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنَّما استمعوا قرآنه(٣)، ثم رجعوا إلى قومهم، ثم بعد ذلك وفدوا عليه أرسالاً، قوم بعد قوم، فأوَّلاً لم يشعر بهم، وبعد ذلك صار يشعر، وبه يُجمع بين الرّوايات المتعارضة والأقوال المتناقضة(٤).

ولمَّا استمعوا له وفرغوا من قرآنه(٥) **أسلموا** وآمنوا بما جاء به كما

---

(١) في «تفسيره» (٧/ ٢٩٠، ط: دار طيبة) (١٣/ ٣١، ط: دار عالم الكتب).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٥٦) من طريق ابن أبي شيبة، وصححه الحاكم، ولم أقف عليه في «مصنف ابن أبي شيبة».

(٣) في (ك): «قراءته».

(٤) قال في «النور»: فلعلَّهما قضيتان. قلت: فإن لم يكن التعدّد فلعلَّ ما ذكره النّاظم وابن سيّد النّاس وغيرهما يوافق ما قاله ابن إسحاق، وذلك لأنَّ في رواية السيرة أنّه قام من جوف الليل، وصلاة الفجر لم تكن قد فرضت، وإنما فرضت في الإسراء، وهذه القصة ذكرها النّاظم وابن سيّد النّاس قبل الإسراء، وعندهما أنّهما يذكران ما يدلّ عليه التاريخ. والله أعلم.

(٥) في (ك): «وفرغ من قراءته».

دل عليه قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن: ٢]، وطلبوا منه ما يقتاتونه إلى بلادهم، فأمر لهم بالرّوث والعظام، ونهى أن يستنجى بعظم أو روثة، **ورجعوا** إلى بلادهم **فأنذروا قومهمُ**، بإشباع حركة الميم، فقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ الآية [الأحقاف: ٣٠](١).

وروي من حديث العلاء(٢) عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ قبل الهجرة إلى نواحي مكة، فخط لي خطّاً، وقال: «**لا تحدثنَّ شيئاً حتى آتيك**»، ثم قال: «**لا يروعنك أو لا يهولنك شيء تراه**»، ثم جلس، فإذا رجال سود كأنَّهم رجال الزّط(٣)، وكانوا كما قال الله: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩]، فأردت أن أقوم فأذب عنه بالغاً ما بلغت، ثم ذكرت عهده فمكثت، ثم تفرَّقوا عنه، فسمعتهم يقولون: يا رسول الله، شُقَّتنا بعيدة ونحن منطلقون فزودنا.. الحديث، وفيه: فلمَّا ولّوا قلت: من هؤلاء؟ قال: «جن نصيبين»(٤)، واختلف في تسميتهم على أقوال كثيرة(٥).

---

(١) انظر: «تفسير» ابن كثير (٧/ ٢٩٠).

(٢) كذا في النسخة، والصواب أبو المعلا. قال في «النور»: وأبو المعلا هذا أنا لا أعرفه بعينه، ومن يكنى بأبي المعلا جماعة.. ثم ذكرهم.

(٣) في حاشية (غ): «الزاط ـ بالضم ـ جيل من الهند؛ مُعَرَّب».

(٤) أخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» (١٠/ ٨٠، ٨١)، وانظر: «المجمع» (٨/ ٣١٥).

(٥) انظر هذه الأقوال في: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٩٠)، و«سبل الهدى» (٢/ ٥٨٣) وما بعدها.

باب ذكر قصة الإسراء

٢٢٠ ـ وَبَعْدَ عَامٍ مَعَ نِصْفٍ أُسْرِيَا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى حَظِيَا
٢٢١ ـ مِنْ مَكَّةَ الغَرَّا إِلَى القُدْسِ عَلَى ظَهْرِ البُرَاقِ رَاكِباً ثُمَّ عَلا
٢٢٢ ـ إِلَى السَّمَاءِ مَعَهُ جِبْرِيلُ فَاسْتَفْتَحَ البَابَ لَهُ يَقُولُ
٢٢٣ ـ مُجِيباً إِذْ قِيلَ لَهُ: مَنْ ذا مَعَكْ؟ مُحَمَّدٌ مَعِي فَرَحَّبَ المَلَكْ
٢٢٤ ـ ثُمَّ تَلاقَى مَعَ الانْبِيَاءِ وَكُلُّ وَاحِدٍ لَدَى سَمَاءِ
٢٢٥ ـ ثُمَّ عَلا لِمسْتَوىً قَدْ سَمِعَا صَرِيفَ الأَقْلامِ بِمَا قَدْ وَقَعَا
٢٢٦ ـ ثُمّ دَنَا حَتَّى رَأَى الإِلهَا بِعَيْنِهِ مُخَاطِباً شِفَاهَا
٢٢٧ ـ أَوْحَى لَهُ سُبْحَانَهُ مَا أَوْحَى فَلا تَسَلْ عَمَّا جَرَى تَصْرِيحَا
٢٢٨ ـ وَفَرَضَ الصَّلاةَ خَمْسِينَ عَلَى أُمَّتِهِ حَتَّى لِخَمْسٍ نَزَلا
٢٢٩ ـ وَالأَجْرُ خَمْسُون كَمَا قَدْ كَانَا وَزَادَهُ مِنْ فَضْلِهِ إِحْسَانَا
٢٣٠ ـ فَصَدَّقَ الصِّدِّيقُ ذُو الوَفَاءِ وَكَذَّبَ الكُفَّارُ بِالإِسْرَاءِ
٢٣١ ـ وَسَأَلُوهُ عَنْ صِفَاتِ القُدْسِ رَفَعَهُ إِلَيْهِ رُوحُ القُدْسِ
٢٣٢ ـ جِبْرِيلُ حَتَّى حقَّقَ الأَوْصَافَا لَهُ فَمَا طَاقُوا لَهُ خِلافَا
٢٣٣ ـ لَكِنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا وَجَحَدُوا فَأُهْلِكُوا وَفِي العَذَابِ خُلِّدُوا

باب ذكر قصة الإسراء

بمد الهمزة ـ والمعراج، قال بعض الأئمة: والمعاريج⁽١⁾ ليلة الإسراء عشرة، سبع في السّماوات، والثّامن إلى سدرة المنتهى، والتّاسع إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار، والعاشر إلى العرش، والرّفوف والرّؤية، وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي، وقد وقع للمصطفى ﷺ في سنيِّ الهجرة العشرة، ما فيه مناسبة لطيفة لهذه المعاريج العشرة، ولهذا ختم النّاظم كغيره بوفاته التي فيها لقاء ربِّه، والعروج بروحه إلى الوسيلة، وهي المنزلة التي لا أرفع منها كما ختمت معاريج الإسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس.

وقصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات، وأظهر البراهين والبيِّنات، وأقوى الحجج، وأعظم الآيات، ولهذا كان الإسراء بالجسم يقظة من خصائص المصطفى ﷺ⁽٢⁾.

قال الهيثمي: وخالف في كونه بالجسم وكونه في اليقظة من لا يعتدُّ بخلافه، قال: وزعم تعدد الإسراء لتباين الرِّوايات تبايناً منتشراً لا

---

(١) في (ك): «والمعارج».

(٢) انظر في قصة الإسراء والمعراج: «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٩٤) وما بعدها في الباب الرابع حيث ذكر كل الاختلافات في زمان ومكان الإسراء والمعراج، والأبواب التي قبلها عن تفسير ما جاء في المعراج من آيات وكذا ما جاء في سورة النجم، وتحدث عن معنى الإسراء والمعراج، ولما بدأ ﷻ قصة الإسراء بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ [الإسراء: ١].

يمكن الجمع بينها، إلّا بدعوى التّعدّد بالجسم تارة والرّوح أخرى مردود، والأصحُّ أنَّه إسراءٌ واحد في ليلة واحدة بالجسم والرّوح في اليقظة. انتهى(١).

واختُلِفَ هل كان في ليلة الاثنين أو الجمعة أو السبت من رمضان(٢)، أو شوال(٣) أو [ذي](٤) القعدة أو رجب؟ وهو ما في «روضة» النّووي(٥)، أو الحجة أو ثالث عشري ربيع الآخر؟ وهو ما في «فتاويه»(٦)، أو من ربيع الأول(٧)، وهو ما في «شرحه» لمسلم.

وهل بعد البعثة بخمس سنين؟(٨) أو بعشرة أو إحدى عشرة؟ أو ونصف(٩)؟ .

أقوالٌ رَجَّحَ النّوويُّ الأول، والنّاظم الأخير(١٠)، كما قال: [﴿٢٢٠﴾] **وبعد** مضي خمسين سنة **وعام مع نصف**؛ أي: نصف عام من عمر المصطفى ﷺ، **أُسريا بألف الإطلاق به إلى السماء حتى حظيا**

---

(١) وانظر في اختلاف العلماء في كيفية الإسراء: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٤٠٨) وما بعدها.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢١٣) من قول ابن أبي سبرة، وفي الإسناد الواقدي.

(٣) قاله الماوردي.

(٤) ليست في (غ).

(٥) وجزم به تبعاً للرافعي، «الروضة» للنووي (١٠/ ٢٠٦).

(٦) كما في «السبل» (٣/ ٩٥).

(٧) قاله ابن سيّد النّاس.

(٨) حكاه عياض في «الشفا» (١/ ٤١٤)، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٢١٠، ت: التركي)، و«فتح الباري» (٧/ ٢٠٣) وقد ذكر ابن حجر ما ورد من اختلاف في وقت الإسراء.

(٩) قاله ابن قتيبة كما في «الزهر الباسم» لمغلطاي.

(١٠) وهناك أقوال أخرى انظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٠٣)، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١/ ٦٥٠ وما بعدها).

بفتح الحاء المهملة والظاء المعجمة؛ أي: حظي عند ربِّه بالمنزلة الرَّفيعة، ولهذا ذكر بعض المفسِّرين أنَّها أفضل من ليلة القدر، لكن بالنِّسبة للمصطفى ﷺ لما أُوتيَ فيها مما لا يحيط به الوصف.

وكان الإسراء [**﴿٢٢١﴾**] **من مكة الغرا** بغين معجمة وراء؛ أي: المضيئة المشرق نورها بالحطيم(١) أو شعب أبي طالب(٢) أو بيته عليه الصَّلاة والسَّلام(٣)، أو بيت أمِّ هانئ(٤)، وجُمع(٥) بأنَّه بات في بيت أمِّ هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب، وأُضيف إليه لأنَّه كان يسكنه، ففرج سقفه فنزل منه جبريل(٦)، وفي رواية(٧): ميكائيل، وفي أخرى: ملك، ولا مانع أنَّ جبريل نزل أوّلاً ثم الثّاني ثم الثّالث، فأخرجه الملك منه إلى المسجد، ثم أسري به منه **إلى القدس**؛ أي: بيت المقدس وهو في حال اليقظة.

ورواية(٨): أنَّه كان بين النّائم واليقظان.

أوِّلت بابتداء الأمر.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٨٣٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) من رواية ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢١٣) من حديث عمرو بن شعيب بن أبي عن جده، ومن حديث أم سلمة وأم هانئ وابن عباس.

(٣) من رواية الزهري عن أنس كما في «السبل» (٣/ ٩٤).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٣٢)، برقم (١٠٥٩).

(٥) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٠٤).

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٩) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

(٧) هذه الرواية أخرجها سعيد بن منصور من حديث عبد الرحمٰن بن قرط، كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٢)، وقال الهيمثي في «المجمع» (١/ ٢٤٩): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه مسكين بن ميمون ذكر له الذهبي هذا الحديث وقال: إنه منكر».

(٨) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

ورواية: فلمَّا استيقظت؛ أي: من شغل البال بمشاهدة الملكوت، وحكمة كونه لم يأته من الباب، أنَّه انصبَّ من السّماء انصبابةً واحدة بإزاء محلّه الذي هو فيه، فلم يُعرِّج على غيره مبالغة في المناجاة، وتنبيهاً على أنَّ الطّلب وقع على غير ميعاد لإظهار أنَّه مراد، ووقع لموسى بميعاد تنبيهاً على أنَّه مريد وشتان ما بينهما، ثم إن الملك لمَّا أخرجه إلى المسجد أسري به **على ظهر البراق راكباً** [براق بوزن غراب]، وهو كما في خبر: دابة؛ أي: يشبهها؛ لأنَّه ليس بذكر ولا أنثى دون البغل، وفوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه، وذكّره باعتبار كونه مركوباً، وسُمّي به من البرق؛ لشدّة سيره أو البريق أو من قولهم: شاة برقاء إذا كان في خلال بياضها سواد، ومعنى يضع... إلخ(١)، أنَّه يضع يده عند منتهى ما يرى بصره.

قال ابن المنيِّر: أي: يقطع ما انتهى إليه بصره في خطوة واحدة؛ لأنَّ بصر الذي في الأرض يقع على السّماء، فقطع أعلى السماوات في سبع خطوات. انتهى.

[و]هذا بناء على أنَّه استمرَّ عليه حتّى وصل إلى السّماء، وهو ما اقتضاه بعض الرِّوايات، لكنّ الأشهر أنَّه استمرَّ عليه لبيت المقدس، ثم نصب له المعراج كما يأتي.

وفي رواية لأبي يعلى والبزّار(٢): إذا أتى على جبلٍ ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه، وفي رواية شاذة: له جناحان(٣).

---

(١) في (ك) مكانها: «نص الحديث»، وانظر: «النهاية» (١/ ١٢٠)، «السبل» (٣/ ١٤٢).

(٢) أخرجه أبو يعلي في «مسنده» (٥٠٣٦)، والبزار (١٥٦٨).

(٣) أوردَ ابن سعد في «طبقاته» (١/ ٢١٣) ما نصه: «أُسْرِيَ برسولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ مِنْ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَيْتِ =

وفي رواية [أخرى] كذلك: له خد كخد الإنسان، وعرف كعرف الفرس، وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقر وصدره ياقوتة حمراء⁽¹⁾.

وفي رواية: أُتي به مسرجاً ملجماً فاستصعب عليه، فقال جبريل: ما ركبك قط أكرم على الله منه، فارفضَّ عرقاً⁽²⁾.

وظاهره كصريح رواية النّسائي: وكانت مسخَّرة للأنبياء قبله أنَّهم كانوا يركبونه.

ولم يطّلع عليه من نفاه، فاستصعابه ليس لعدم إلفه بالركوب، بل لبعد عهده به أو ليظهر له جبريل مرتبته وأنَّها فوق كل مرتبة⁽³⁾، وإنَّما لم يكن البراق على شكل فرس إشارة إلى أنَّ ركوبه في سلم وأمن لا حرب وخوف، وإلى ظهور المعجزة بوقوع هذا الإسراء الباهر من دابة على هذا الشّكل⁽⁴⁾.

وروى أحمد: أنَّه ركب عليه هو وجبريل إلى بيت المقدس⁽⁵⁾.

= الْمَقْدِسِ قَالَ رسول الله ﷺ: حُمِلْتُ عَلَى دَابَّةٍ بَيْضَاءَ بَيْنَ الْحِمَارِ وَبَيْنَ الْبَغْلَةِ فِي فَخْذَيْهَا جَنَاحَانِ تَحْفِزُ بِهِمَا رِجْلَيْهَا».. الحديث. وأوردهُ السهيلي في «الروض» (٢/ ١٨٩) عن ابن إسحاق.

(١) قال في «السبل» (٣/ ١٤٤): «وهذا كله لم يصح منه شيء».

(٢) رواه الإمام أحمد (١٢٦٧٢)، والترمذي (٣١٣١)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٦٣) من حديث أنس رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حسن غريب لا نعرفه إلّا من حديث عبد الرزاق»، وصححه الألباني.

(٣) «السبل» (٣/ ١٤٤).

(٤) «السبل» (٣/ ١٤٣).

(٥) رواه الإمام أحمد (١٢٥٠٥) من حديث أنس ولفظه: «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ، فَسَارَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ، بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ..... الحديث».

وركوبه معه لا ينافي كونه في خدمته، وروي أنَّهما مرّا بيثرب، فأمره أن ينزل فيصلِّي، وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى، فأمره بذلك(١)، وأراه عجائب إلى أن وصلا بيت المقدس(٢)، فنزلا وربطه؛ أي: جبريل كما في رواية، أو المصطفى ﷺ كما في أخرى(٣)، وجمع بأنَّهما ربطاه معاً بالحلقة التي تربط بها الأنبياء(٤)، ثم دخل وبُعث له جماعة من الأنبياء فصلَّى بهم، وفي رواية: أتي بأرواح الأنبياء(٥)؛ أي: مع أجسادهم على ما يأتي؛ لرواية: ثم دخلت المسجد فعرفت النّبيّين. . . إلخ.

فأخذ بيدي جبريل فقدّمني فصليت بهم.

وفي رواية أحمد(٦): فإذا النبيّون أجمعون يصلّون معه.

وفي حديثٍ ما يدل على أنَّه صلَّى بهم في بيت المقدس بعد

---

(١) رواه النسائي في «سننه الصغرى» كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين في ذكر حديث أنس (٤٥٠، ت: أبو غدة)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ١٩٤، ط: الرسالة) من حديث أنس.

(٢) انظر: «السبل» (٣/ ١١٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٦).

(٤) قال البرهان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نور النبراس». . إنَّ النبي ﷺ ربطه بالحلقة خارج باب المسجد مكان الأنبياء تأدباً، فأخذه جبريل فربطه في زاوية المسجد في الحجر، كأنه يقول له: أنت ليست ممن يكون مركوبه على الباب، بل داخل المكان كما يصنع اليوم مع الكبار، والله أعلم. قلت: ولم أره لأحدٍ متفقِّه أنت فيه أيها الناظر. اهـ.

(٥) قال الصالحي (٣/ ١٢٠): «وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم وصححه البيهقي: فلقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم. فقال إبراهيم. . . .».
وانظر: «المستدرك» (٤/ ٦٠٦)، و«دلائل» للبيهقي (٢/ ٣٦٢) ولم أجده عندهما بنصه.

(٦) في «المسند» (٢٣٢٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

العروج، وتلك؛ قيل: الصّبح، وقيل: العشاء، ولا تدافع فإنَّها قبل العروج والصبح بعده، [و] لمَّا فرغ من إمامتهم نصب له المعراج.

وهو كما في رواية البيهقي وغيره(١): مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب، وعن يمينه ملائكة و[عن] يساره ملائكة.

ثم علا [﴿٢٢٢﴾] **إلى السماء الدنيا، ومعه جبريل فاستفتح** جبريل **الباب**؛ أي: طلب فتح باب السّماء من الموكل به **له**؛ أي: لأجله ﷺ، وهو **يقول** له خازن السّماء: من أنت؟ فيقول جبريل [﴿٢٢٣﴾] **مجيباً** له: إذ؛ أي: حين **قيل له** لمَّا استفتح **من ذا** [الذي] **معك؟** فقال: **محمد معي**، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه؟ ففتح الباب، **فرحَّب** بشدة الحاء **الملك** [الموكَّل] بفتح باب سماء الدنيا؛ أي: قال له: مرحباً [بك]، وهكذا إلى السّماء السّابعة.

[﴿٢٢٤﴾] **ثم تلاقى مع الأنبياء** بوصل الهمزة وتحريك اللام للضرورة **وكل واحد** من الأنبياء **لدى** بمعنى في؛ أي: **في سماء من** السّماوات السّبع(٢).

[ثم علا ثم بعد ذلك ومعه جبريل حتّى ظهر لمستوى ومحل عالٍ] فلقي في السّماء الدنيا: آدم عن يمينه أرواح المؤمنين، فإذا نظر إليهم ضحك، وعن يساره أرواح [بنيه] الكفَّار، فإذا نظر إليهم بكى؛ أي: يكشف له عنهم وهم في النار التي هي مستقر أرواحهم.

وفي الثّانية: يحيى وعيسى.

وفي الثّالثة: يوسف.

---

(١) عند أبي سعد في «الشرف» رقم (٣٦٥)، ولم أجده فيما وقفتُ عليه من كتب البيهقي، وقد اقتصر الصالحي في «السبل» (٣/ ١٢٢) على نسبته لأبي سعد فقط، لم يذكر البيهقي.

(٢) انظر: «الروض الأنف» (٢/ ٢٠٤ وما بعدها)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٢٨٨).

وفي حديث البيهقي(١): فإذا أنا برجل؛ أي: يوسف أحسن ما خلق الله، قد فضل الناس بالحسن؛ كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

والمراد غير المصطفى ﷺ لخبر الترمذي(٢): «**ما بعث الله نبياً إلّا حسن الوجه حسن الصّوت، وكان نبيُّكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً**».

ولهذا قال بعضهم: المراد أعطي شطر الحسن الذي أعطيه نبينا.

وفي الرّابعة: إدريس.

[وفي الخامسة: هارون.

وفي](٣) السّادسة: موسى.

وفي السّابعة: إبراهيم.

وهذه مقدمة على رواية من لم تضبط منازلهم، وعلى رواية: إدريس في الثّانية، وهارون في الرّابعة، وإبراهيم في السّادسة، وموسى في السّابعة؛ لأنَّ سياقها يدل على أنَّه لم تضبط منازلهم(٤)، فالأولى التي فيها أنَّه ضبطها أولى(٥)، على أنَّه جمع بأنَّه رآهم في الصعود على كيفية، وفي الهبوط على [كيفية] أخرى، فلمَّا جاوز موسى بكى، فقال: ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما(٦)

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣٩٣).

(٢) «الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية» للترمذي (٣٢١، ط: دار الكتب العلمية).

(٣) ما بين المعقوفتين مضروب عليه في (غ).

(٤) قال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٢١٠): وسياقه [أي: الزهري] يدلّ على أنّه لم يضبط منازلهم...

(٥) في (ك): «آدم».

(٦) في (ك): «ما».

يدخل من أمتي، وبكاؤه ليس حسداً حاشاه؛ بل غبطةً وأسفاً على ما فاته من مضاعفة أجور نبينا بكثرة أتباعه أو رحمة لأمته لما وقع بعده منهم مما(١) لم يقع نظيره لهذه الأمة. وذكره بغلام؛ لأنَّه أصغر سنّاً منه، وحكمة تخصيص هؤلاء باللقاء؛ الإيماء بكلٍّ إلى ما سيقع له؛ كالإخراج من الجنة ثم العود إليها، والهجرة من مكة ثم العود إليها، وكمعاداة اليهود أوائل الهجرة، كما عادوا عيسى وأرادوا قتله ويحيى وقتلوه، وكمعاداة أهله له وكرجوع قومه إلى محبته كما رجع قوم هارون إلى محبته، وكمعالجته لقومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه بهما كما وقع لإبراهيم، ولهذا رآه مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي بحيال الكعبة، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك فلا يعودون إليه.

واختُلِفَ(٢) في رؤيته للأنبياء، فقيل: لأرواحهم إلّا عيسى، فإنَّه رفع بجسده، وكذا إدريس على قولٍ.

واختلف قائلوه في الذين صلُّوا معه ببيت المقدس، فقيل: الأرواح، وقيل: الأجساد، وقيل: خرقت الحجب حتّى رأى كلاً في قبره من المحل الذي أخبر به، وقيل: رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع، وبعد مجاوزته للسابعة رفعت له سدرة المنتهى فرآها، وقد غشيها من أمر الله ما غشي، فما أحد يستطيع أن ينعتها من حسنها، ورأى النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من أصلها، ولا يعارضه ما في رواية: «**إنَّها من الجنة**»؛ لأنَّ الذي ينبع منه تلك الأنهار في الجنة، وأصلها في السّماء السّادسة، وعليه حمل أنَّه رآها فيها(٣)، وأعلاها في السّابعة وسُمِّيت به؛ لأنَّه ينتهي إليها علم الخلائق ولم يتجاوزها أحد إلا

---

(١) في (ك): «ما».

(٢) انظر: هذه الاختلافات في «السبل» (٢/ ١٨٥) وما بعدها.

(٣) في (ك): «في السماء».

الأنبياء؛ أي: من الملائكة الذين ينزلون إلى الأرض ويصعدون بالأعمال. لما يأتي أنَّ المصطفى ﷺ جاوزها إلى مستوىً يسمع فيه صريف أقلام الملائكة، ثم أدخل الجنة وأحاط بها.

[﴿٢٢٥﴾] **ثم علا** بعد ذلك ومعه جبريل، **لمستوى** [بفتح الواو]؛ أي: محل عال، **وقد سمعا** ـ بألف الإطلاق ـ **فيه صريف الأقلام**(١)، تصويت أقلام الملائكة **بما قد وقعا**؛ أي: بما تكتبه من أقضية الله(٢)، [مما هو كائن أو كان] [﴿٢٢٦﴾] **ثم دنا** فتدلى **حتى** كان قاب قوسين أي: قدر قوسين، يعني قدر طولهما أو أدنى.

وما اقتضاه كلام الناظم، من أنَّ البراق ترقَّى به إلى قاب قوسين هو ما دلّت عليه رواية البخاري، ولفظها: فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتّى أتى السّماء الدُّنيا، فاستفتح، قال: ثم صعد حتّى أتى الثّانية(٣).

وهكذا لكن في أحاديث أخرى أنَّه استمرَّ على البراق إلى بيت المقدس، ثم نصب له المعراج فارتقى منه كما مرَّ، وظاهرها أنَّه لم يركبه إلّا إلى بيت المقدس فقط، ولهذا التّنافي صار البعض إلى أنَّ الإسراء على البراق وقع مرّتين: مرّة إلى المقدس، ومرّة من مكّة إلى السّماء، لكن الأصحّ أنَّه لم يتعدّد(٤).

قال بعضهم: والحق أنَّ من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فيقدم، وعليه فيكون لمَّا وصل في المعراج إلى سماء الدنيا، ركب البراق واخترق به السماوات، ويحتمل أنَّه ذهب من غير ركوب تعظيماً للسماوات لفضلهن على الأرض عند الجمهور.

---

(١) «الدلائل» للبيهقي (٢/ ٣٨١)، «البداية والنهاية» (٩/ ٣٥٥).

(٢) في (غ): «يكتبون من قضاء الله وقدره».

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٧).

(٤) انظر: «فتح الباري» (١/ ٤٦٠) أوّل كتاب الصلاة.

ورأى الإله جلّ وعلا **بعينه**؛ أي: بعين رأسه أو بعين قلبه على ما يأتي. قال بعض المحقِّقين(١): والمختار أنَّه رآه على أكمل ما يكون من الرّؤية، فرآه حال كونه **مخاطباً** له **شفاهاً**؛ أي: مشافهة من غير واسطة، **فلا تسل** ـ بفتح السّين المهملة وحذف الهمزة للوزن ـ، **عمّا جرى** بينهما من المخاطبة والمشاهدة [**تصريحاً**] بالكلام.

وقد اختُلِفَ قديماً وحديثاً في أنَّه رأى ربه في هذا المقام بعين رأسه أو بعين قلبه(٢)، وكلاهما ورد عن ابن عباس ولا تخالف؛ لأنَّه صحّ عنه كما رواه الطّبراني: أنَّه رآه مرتين واحدة بالعين(٣) وواحدة بالقلب(٤)، بمعنى أنَّه تعالى خلق فيه إدراكاً كإدراك البصر، وليس المراد مجرّد العلم؛ لأنَّه حاصل له ولغيره.

ورواية ابن مردويه عنه: لم يره بعينه، لم تصحّ وبتسليمها، فالإثبات مقدّم. وكان الحسن يحلف أنَّه رأى ربه، وبه جزم كعب الأحبار والزُّهري وجمع، وأنكرت عائشة وابن مسعود الرّؤية(٥).

قال النّووي: لكن خالفهما غيرهما من الصّحب، والصّحابي إذا خولف لا يكون قوله حجة اتِّفاقاً، فلا حجة فيما في «مسلم» عنها أنَّ

---

(١) انظر: «السبل» (٢/ ٢٠٣) وما بعدها.

(٢) انظر في هذه المسألة: «زاد المعاد» (٣/ ٣٤)، و«الفتح» (٧/ ٢٥٩)، و«المواهب اللدنية» (٢/ ٣٠٥)، و«السبل» (٣/ ٨٢) وغيرها.

(٣) «المعجم الكبير» (١٠٧٢٧).

(٤) «المعجم الكبير» (١٢٩٤١).

(٥) قال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٢١٨): «وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ هَلْ رَأَى رَبَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَمْ لَا عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ وَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ وَطَائِفَة واثبتها بن عَبَّاسٍ وَطَائِفَةٌ». وانظر: «الروض الأنف» (٢/ ١٩٢) وقال: «وَرَأَيْت الْمُهَلّبَ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيّ قَدْ حَكَى هَذَا الْقَوْلَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَأَنّهُمْ قَالُوا: كَانَ الْإِسْرَاءُ مَرّتَيْنِ مَرّةً فِي نُوُمِهِ وَمَرّةً فِي يَقَظَتِهِ بِبَدَنِهِ ﷺ قَالَ الْمُؤَلّفُ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الّذِي يَصِحّ».

مسروقاً قال لها: لم أنكرت الرّؤية؟ أمّا قال الله[1]: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم]، فقالت: أنا أوّل هذه الأمّة سأل المصطفى ﷺ عنها، فقلت: هل رأيت ربك؟ قال: «**لا؛ إنّما رأيت جبريل**»، ولا حُجة لها في ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ لأنَّ المراد لا تحيط بحقيقة ذاته بدليل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، وإذا جازت في الآخرة جازت في الدّنيا لتساويهما بالنِّسبة للمرئي، ولم يقع في الدّنيا إلّا لنبيِّنا. ففي «مسلم»[2]: «**لن تروا ربّكم حتّى تموتوا**»، ومعنى خبر مسلم عن أبي ذر: أنّه سأل المصطفى ﷺ عن ذلك، فقال: «**نور أنّى أراه**»[3]، أنَّ النّور حال بيني وبين رؤيته بالبصر، فكيف يراه مع ذلك؟ ومرَّ أنّه رآه مرّة ببصره ومرّة بقلبه، فسبب هذه حصول ذلك النّور، فلا ينافي وقوع الأولى.

وسُئِلَ أحمد عن قول عائشة: من زعم أنَّ محمداً رأى ربه بعين بصره، فقد أعظم على الله الفرية[4] بم يدفع؟ قال: بقول النبي ﷺ: «**رأيت ربّي**»[5]، قول النبي ﷺ أكبر[6].

وحينئذٍ [﴿٢٢٧﴾] **أوحى الله له سبحانه ما أوحى**[7]، [﴿٢٢٨﴾] ومن حجته أنَّه[8] **فرض الصلاة** كل يوم وليلة **خمسين** صلاة عليه وعلى

---

[1] في (ك): «ألم يقل الله تعالى».
[2] (٢٩٣٧).
[3] أخرجه مسلم (١٧٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
[4] أخرجه مسلم (١٧٧).
[5] أخرجه الإمام أحمد (٢٥٨٠) وقال في «المجمع» (١/ ٢٥٠): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
[6] قال السهيلي في «الروض» (٣/ ٤٤٥): وفي تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه سئل هل رأى محمد ربه؟ فقال: رآه، رآه، رآه حتى انقطع صوته.
[7] في النظم: في عجز البيت: فلا تسل عما جرى تصريحاً. وهنا تصرَّف الشارح فقدَّم وأخَّر.
[8] في (ك): «ومن جملة ما أوحى إليه أن».

أمته، فلم يزل يراجع ربه ويخفّف عنهم **حتى لخمس** من الصّلوات **نزلا** بعد الخمسين إلى خمس صلوات، [﴿٢٢٩﴾] **والأجر خمسون**؛ أي: [و]جعل أجر الخمس أجر الخمسين، **كما قد كانا**؛ أي: كأجر ما فرضه أولاً، فلم ينقص منه شيئاً.

وزاده من فضله إحساناً؛ أي: له ولأمته، ومحصول ما تقرّر أنَّه لمَّا فرض [عليه وعلى أمته] في كل يوم وليلة خمسين(١) صلاة، فرجع فمرَّ على موسى(٢)، فسأله عمَّا فرض فأخبره فأمره أن يرجع إلى ربّه ويسأله التّخفيف، فإنَّ أمّته لا يطيقون، فرجع فحطّ عنه خمساً، ثم رجع فأمره بالرّجوع أيضاً، فرجع [أيضاً] فحطّ عنه خمساً.. وهكذا إلى أن بقيت خمساً، فأمره بالرّجوع وقال: إنَّ بني إسرائيل [قد] فرضت عليهم صلاتان فما قاموا بهما، فقال: «**استحييت من ربي فلا أراجعه**»، فقال تعالى: «هن خمس» أي: في الفريضة [وهي خمسون] أي: في الثّواب، [لا يبدّل القول لدي]، وحكمة فرضها في هذه الليلة، أنَّ المصطفى ﷺ لمَّا شاهد تعبّد الملائكة فيها، وأنَّ منهم مديم القيام ومديم الرّكوع ومديم السّجود، أعطاه الله ذلك لأمّته في ركعة يصلّيها أحدهم بشروطها وآدابها، واختصّ موسى بأمره بتلك المراجعة؛ لأنَّه اطّلع من صفات هذه الأمّة على ما حمله على قوله: اللهمّ اجعلني منهم، فكان اعتناؤه بهم كما يعتني بالقوم من هو منهم، ومن ثم قال المصطفى ﷺ: «**فمررت بموسى ونعم الصّاحب كان لكم**»، وفي رواية: «**كان أشدّهم عليّ حين مررت به، وخيرهم لي حين راجعت**».

ثم لمَّا رجع المصطفى ﷺ من سفر الإسراء، مرَّ بعير لقريش تحمل

---

(١) في (ك): «خمسون».

(٢) انظر في قصة فرض الصلاة وعددها وما حدث في المعراج: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٠٩)، و«البداية والنهاية» (٢/ ٢١٣)، «الروض الأنف» (٢/ ١٩٣).

طعاماً، فيها جمل عليه غرارتان سوداً وبيضاً، فلمَّا حاذى العير نفرت واستدارت، فسلّم عليهم، فقال بعضهم: هذا صوت محمد، ورأى بعيراً ضلَّ، فجمعه واحد منهم ثم وافى مكة قبل الصُّبح[1].

فلمَّا أصبح حدَّث النّاس بذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى] فارتدّ ناس كانوا أسلموا، فذهب مشركون لأبي بكر وذكروا له ذلك، وقالوا له: هل لك في صاحبك يزعم أنَّه جاء في هذه الليلة بيت المقدس وصلّى فيه، ثم رجع إلى مكة؟! فقال: إنَّكم تكذبون عليه، قالوا: ها هو ذاك بالمسجد يحدِّث الناس، قال: والله إن كان قال، لقد صدقكم!! [فما تعجُّبكم؟! فوا الله إنَّه ليخبرني أنَّ الخبر يأتيه من السّماء إلى الأرض في ساعة واحدة فأصدِّقه.

[**﴿٢٣٠﴾**] **فصدّقه الصديق**؛ أي قال: [و] أنا أشهد أنَّه صادق، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قد سمَّاك الصدِّيق**»، وهو **ذو الوفاء** بما عاهد الله عليه من تصديق نبيِّه ونصره، وهذا حشو كمل به.

وكذب الكفّار رسول الله ﷺ **بالإسراء**؛ أي: في إخباره بأنَّه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكذَّبوه في المعراج أيضاً، فإنَّه لمَّا أصبح ذهب إلى المسجد الحرام فانتهى إلى نفرٍ منهم في الحطيم، منهم: المطعم بن عدي، والوليد بن المغيرة، وعمرو بن هشام، فقال لهم: صلّيت الليلة العشاء في هذا المسجد، وصلّيت به الغداة، وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس، ثم عُرج بي إلى فوق سبع سماوات ونشر لي رهط من الأنبياء، فكلَّمتهم وصلَّيت بهم.. وذكر القصة.

فقال عمرو بن هشام كالمستهزئ به فصفهم لي[2]، فقال: «أمَّا

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٤/ ٢٧٤)، «الروض الأنف» (٢/ ٢٠٠).

(٢) في (ك): «لنا».

عيسى ففوق الرّبعة ودون الطّويل، عريض الصّدر ظاهر الدّم جعد الشّعر يعلوه صُهبة⁽¹⁾؛ كأنَّه عروة بن مسعود الثّقفي، وأمَّا موسى فكذا؛ ووصفه، وأمَّا إبراهيم فكذا؛ فضجُّوا وأعظموا ذلك، وقالوا: هذا والله الأمر البيِّن! إنَّ العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة [شهراً]، وشهراً مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة؟!

فارتدّ كثير ممن أسلم، وقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان أمماً؛ أي: قريباً، غير قولك اليوم، أنا أشهد أنَّك كاذب، وكان للمطعم حوض على زمزم أعطاه إيّاه عبد المطلب، فهدمه وأقسم باللّات والعزّى لا يسقي منه قطرة أبداً.

[﴿**٢٣١**﴾] **ولمَّا** وقع ذلك **سألوه**؛ أي: سأله المطعم بن عدي بحضرتهم **عن صفات القدس**؛ أي: بيت المقدس، فقالوا: صفه لنا وكان قد دخله ليلاً وخرج منه ليلاً، فلم يعرف من أوصافه شيئاً، فكرب كرباً ما كرب مثله قطُّ، فحينئذ **رفعه إليه روح القدس**؛ أي: الرّوح المقدّسة وهو [﴿**٢٣٢**﴾] **جبريل**؛ سُمّي به لأنَّه يأتي بما فيه حياة القلوب، وذلك إمّا بحمل مثاله ووضعه بقربه. وعليه حُمل رواية: فجيء بالمسجد؛ أي: مثاله، وإما بحمل المسجد نفسه إليه كما حمل عرش بلقيس إلى سليمان، وقيل: بإزالة الحجب بينه وبينه، فصار ينظره ويصفه لهم.

وقيل: بل صوره له في جناحه **حتى حقّق لهم الأوصافا له**؛ أي: برفعه فجعل يصفه باباً باباً وموضعاً موضعاً، وأبو بكرٍ يقول: صدقت صدقت.

وبذلك ظهرت الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس، ثم العروج

---

(١) في (ك): «تعلو مهابة».

[منه] إلى السّماء لما أنَّ فيهم من رأى بيت المقدس، فوصفه لهم كما هو مع علمهم بأنَّه لم يذهب إليه.

وذلك أوضح آية على صدقه فيما أخبر به من أمر السماء، **فما** قدروا على تكذيبه في شيء مما وصفه ولا **طاقوا**؛ أي: أطاقوا فحذفت الهمزة للضرورة، **له خلافاً** فيما وصفه، فصاروا حيارى مبهوتين، وقالوا: واللّات والعزّى هذا آية. الحديث.

وعلموا صدقه [﴿**٢٣٢**﴾] **لكنهم قد كذبوا** ما قاله **وجحدوا** عناداً وغلواً في الكفر **فأهلكوا** في الدُّنيا يوم وقعة بدر فما بعدها، **وفي العذاب** الألیم **أُخلدوا** في جهنّم.

وفي حديث أم هانئ وغيرها أنَّ المطعم لمَّا سأله عن صفات[1] المسجد الأقصى، قالوا له: يا مطعم دعنا نسأله عمّا هو أغنى لنا من ذلك، فقالوا له: ما آية ذلك؟ قال: آيته أنِّي مررت بعير بني فلان بوادي كذا، فأنفرهم حسُّ الدابة، فندَّ لهم بعير فدللتهم عليه، وأنا متوجّه إلى القدس، ثم أقبلت حتّى إذا مررت بعير بني فلان، وجدت القوم نياماً ولهم إناءٌ فيه ماء قد غطّوا عليه بشيء فكشفته وشربت ما فيه، ثم غطَّيت عليه كما كان، وآية ذلك أن عيرهم الآن بصوبٍ من البيضاء بثنيّة التّنعيم، يقدمها جمل أورق[2] عليه غرارتان، إحداهما سوداء، فابتدر القوم الثنيَّة، فلم يلقهم أول من الجمل الأورق كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء فأخبروا أنَّهم وضعوه مملوءً ماءً ثم غطّوه، وهبُّوا فوجدوه مغطى لا ماء فيه.

وفي بعض الطّرق: أنَّه عيَّن لقدوم العير يوم الأربعاء، فلمَّا كان

---

(١) في (ك): «صفة».

(٢) كتب في الهامش: الأورق ما في لونه بياض إلى سواد. «قاموس».

ذلك اليوم، لم يقدموا حتّى كادت الشّمس [أن](١) تغرب، فدعى الله فحبسها حتى قدموا كما وصف، قال بعضهم(٢): ولم تحبس الشّمس إلّا له ذلك اليوم وليوشع، وقال بعضهم، وفي حديث رد الشّمس كلام طويل محصِّله، أنَّها حُبست للمصطفى ﷺ مرَّتين(٣)، ولموسى(٤) [وليوشع] وداود وسليمان(٥) ولعلي(٦) عليهم السّلام، وعليه الرّضوان.

ولمَّا كان ذلك كله لم يستطيعوا معارضته بشيء، غاية الأمر أنَّ الوليد بن المغيرة قال: ساحر، فقالوا: صدق الوليد، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ...﴾ الآية [الإسراء: ٦٠].

---

(١) مضروب عليها في (غ).

(٢) هو ابن إسحاق.

(٣) مرّة حين نام عن صلاة الفجر، رُدَّت له في بيت أسماء بنت عميس، حين شُغل به عليٌّ عن صلاة العصر.
والخبر في «مشكل الآثار» للطحاوي (٢/ ٩)، وحكم بوضعه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣٥٥)، وابن تيمية في «منهاج السنة» (٨/ ١٦٤). وانظر: «فتح الباري» (٦/ ٢٢١).
ومرّة: حبسها يوم الخندق. قال صاحب «المواهب» (٢/ ٢٦٠): «وتعقّب بأنّ الثابت في الصحيح وغيره أنه ﷺ صلّى العصر في وقعة الخندق بعد ما غربت الشمس».

(٤) ذكره ابن إسحاق في «المبتدأ» والضحاك في «تفسيره الكبير» كما في «الزهر الباسم».

(٥) ذكره أبو بكر الخطيب في كتاب «ذم النجوم» كما في «الزهر الباسم» و«الإشارة» (ص١٤١) كلاهما لمغلطاي. قال: «وضعَّفَ رواته».

(٦) انظر: «منهاج السنة» (٨/ ١٦٤، ت: رشاد سالم) (٨/ ١٨٢).

باب ذكر عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل

٢٣٤ ـ وَعَرَضَ النَّبِيُّ نَفْسَهُ عَلَى   قَبِيلَةٍ قَبِيلَةٍ لِيَحْصُلا
٢٣٥ ـ إِيوَاؤُهُ مِنْ بَعْضِهِمْ يُبَلِّغُ   رِسَالَةَ اللَّهِ فَكُلٌّ يَنْزَغُ
٢٣٦ ـ إِلَيهِمُ الشَّيْطَانُ حَتَّى يُعْرِضُوا   عَنْ قَولِهِ وَيَهْزَؤُوا وَيَرْفُضُوا
٢٣٧ ـ حَتَّى أَتَاحَ اللَّهُ لِلأَنْصَارِ   فَاسْتَبَقُوا لِلْخَيْرِ بِاخْتِيَارِ
٢٣٨ ـ فَيُسْلِمُ الوَاحِدُ مِنْهُمْ يُسْلِمُ   بِهِ جَمِيعُ أَهْلِهِ فَرُحِمُوا
٢٣٩ ـ لَقِي سِتّاً أو ثَمَانِياً لَدَى   عَقَبَةٍ دَعَاهُمُ إِلى الهُدَى
٢٤٠ ـ فَآمَنُوا بِاللَّهِ ثُمَّ رَجَعُوا   لِقَوْمِهِمْ يَدْعُونَهُمْ فَسَمِعُوا
٢٤١ ـ حَتَّى فَشَا الإِسْلامُ ثُمَّ قَدِمَا   فِي قَابِلٍ مِنْهُمْ وَمِمَّنْ أَسْلَمَا
٢٤٢ ـ لِبَيْعَةٍ ضِعْفُ الَّذِينَ سَلَفُوا   كَبَيْعَةِ النِّسَاءِ ثُمَّ انْصَرَفُوا
٢٤٣ ـ ثُمَّ أَتَى مِنْ قَابِلٍ سَبْعُونَا   وَنَيِّفٌ فَبَايَعُوا يُخْفُونَا
٢٤٤ ـ بَيْعَتَهُمْ لَيْلاً وَنِعْمَ البَيْعَهْ   جَزَاءُ مَنْ بَايَعَ فِيهَا الجَنَّهْ

باب ذكر عرض النبي عليه الصلاة والسلام نفسه على القبائل

أي: قبائل العرب ليؤيدوه وينصروه، جمع قبيلة وهم بنو أَبٍ واحد، وذكر بيعة الأنصار لمَّا هداهم الله إلى الإسلام، والبيعة ـ بفتح الموحدة وسكون المثناة التّحتية ـ: بذلُ الطّاعة للإمام(١)، واللام للعهد؛ أي: أنصار الرّسول ﷺ، سمَّاهم به أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، فصار علماً بالغلبة(٢)، وهم وإن كانوا ألوفاً، لكن استعمل فيهم جمع القلّة؛ لأنَّ اللام للعموم وكانوا يعرفون قبل الإسلام: بني قيلة وبالأوس وبالخزرج(٣).

[﴿٢٣٤﴾] **وقد عرض النبي نفسه على قبائل العرب قبيلة قبيلة**؛ أي: قبيلة بعد قبيلة، فكان يدور عليهم في موقف عرفة(٤)،

---

(١) في (ك): «للأنصار».

(٢) وفي «صحيح البخاري» (٣٧٧٦) من رواية غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَرَأَيْتَ اسْمَ الْأَنْصَارِ كُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمُ اللهُ؟ قَالَ: «بَلْ سَمَّانَا اللهُ ﷻ».
وأما الأوس وغيرهم مما سيذكره المؤلف هنا فهي بطون من الأنصار وليست عَلَماً على جميع الأنصار، وإنما هي عَلَمٌ على بعضِ بطونهم وأقوامهم لا جميعهم.

(٣) قال في «الزهر الباسم»: وأوس زجر للغنم والبقر.. والخزرج الريح الشديدة. .اهـ.
وانظر: «السبل» (١/ ٣٢٥).

(٤) قال الأجهوري: وفيه بحث لما يأتي من أنه وقع عرضه على الأنصار، وهم =

ويطوف على النّاس في منازلهم عدة سنين⁽¹⁾، ويقول: ألا رجل يعرض عليَّ قومه؟ فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أبلِّغ رسالة ربي⁽²⁾، وكان يفعل ذلك **ليحصلا** بألف الإطلاق له [﴿٢٣٥﴾] **إيؤاوه من بعضهم**⁽³⁾؛ أي: لينضمّ إلى قبيلة منهم تُؤيه وتحميه؛ لأجل أنَّه **يبلِّغ رسالة الله** امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، فكل من القبائل التي يعرض نفسه الشّريفة عليها ينزغ بفتح الزّاي وعين معجمة [﴿٢٣٦﴾] **إليهم الشيطان** كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]⁽⁴⁾ **حتى**

= يحلقون، والحلق إنّما هو في منى. اللّهم إلّا أن يقال: إنهم كانوا يحلقون في عرفة. وتتوقف صحّة هذا على كونهم كانوا يخالفون أهل الإسلام في مكان الحلاقة. اهـ.

(١) في «الطبقات» لابن سعد (١/ ٣٤١) بسنده عن أبي إسحاق عن أشياخ قومه قالوا: عرض رسول الله ﷺ نفسه بالموسم على قبائل العرب، فمرَّ به رجل من أرحب، يقال له: عبد الله بن قيس بن أمِّ غزال، فقال: «**هل عند قومك من مَنَعَةٍ؟**» قال: نعم، فعرض عليه الإسلام فأسلم، ثم إنه خاف أن يُخفره قومه، فوعده الحج من قابل، ثم وجّه الهمداني يريد قومه، فقتله رجل من بني زبيد يقال له: ذباب. . اهـ. وشيخ ابن سعد في إسناده هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وهو متروك الحديث، فالإسناد ضعيف جدّاً. لكن قضية عرض النبي ﷺ نفسه على الناس صحيحةٌ ثابتةٌ مشهورةٌ، وسيأتي هنا ما يدل عليها أيضاً.

(٢) ورد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعرض نفسه بالموقف ويقول: «**ألا رجل يحملني إلى قومه فإنَّ قريشاً قد منعوني أنْ أُبلِّغ كلام ربِّي**»، وفي روايةٍ: «**مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**». رواه أحمد (١٤٤٥٦)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٢٧)، وابن ماجه (٢٠١)، بإسناد صحيح. ولفظه عند أحمد مطولٌ وفيه قصة بيعة الأنصار للنبي ﷺ.

(٣) في (ك) بعدها: «لبعض».

(٤) يستدل المؤلف بالآية الكريمة على قوله: ينزغ، لا على أنها جاءت في =

يُعرضوا ـ بضم أوله ـ، **عن قوله**؛ أي: إجابته إلى ما سألهم فيه من الإيواء والحماية، ولا يصغوا لما يتلوه عليهم من التّذكير بآيات الله والموعظة الحسنة، **ويهزؤوا**؛ أي: يستهزؤوا به **ويرفضوا** بالفاء وضاد معجمة؛ أي: يرموا بمقالته ويترفَّعوا عن مجالسته ومكالمته، وعمّه أبو لهب خلفه يكذِّبه ويحذِّرهم منه، وينهاهم عن الإصغاء إلى قوله(١).

ولم يزل الشّأن على ذكر(٢)[﴿٢٣٧﴾] **حتى** أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه وإنجاز موعده، **أتاح** ـ بمثناة فوقية ـ؛ أي: قدّر **الله للأنصار** السّعادة بإجابة نبيِّه إلى ما طلبه منهم، من الإيواء والنّصر لما سبق في علمه، من كونهم السعداء فانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون(٣) فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وتلا عليهم القرآن، **فاستبقوا للخير**؛ أي: إلى الدّخول في الإسلام، واستجابوا لله ولرسوله فأسرعوا إلى الإيمان بما جاء به، وأجابوه إلى إيوائه ونصره(٤) **باختيار** منهم من غير توقُّفٍ ولا تلعثم، أو باختيار الله تعالى لهم وإيثارهم بهذه المنقبة الشّريفة، والمنزلة العالية الرّفيعة المنيفة على غيرهم، وكانوا أطول النّاس ألسنة وأحدَّهم سيوفاً وأعظمهم همّة [﴿٢٣٨﴾] **فكان يسلم الواحد منهم** ويذهب إلى

= عرضه ﷺ نفسه على القبائل، على أنَّ تعليق رفض بعض القبائل بنزغ الشيطان فيه ربما يكون فيه توسُّعٌ، إذْ كانت قبائل العرب تخشى قريشاً وتهاب سلطانها، فلا شك في تأثير هذا الباب أيضاً، والله أعلم.

(١) فالأمر إذن ليس مقتصراً على نزغ الشيطان، ولكن هناك إلى جانبه عوامل أخرى منها تحذير قريش منه ﷺ.

(٢) انظر: «الروض الأنف» (٢/ ٢٣٦)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٣٤٣، فما بعدها، ٧/ ٤٠٨).

(٣) في حاشية (غ): «أي: رؤوسهم»، وفي (ك): «محلِّقون».

(٤) وقد أخرج قصتهم هذه الإمام أحمد وغيره، كما مضت الإشارة قريباً، ضمن حديث جابر رضي الله عنه، في عرض النبي ﷺ نفسه على الناس.

قومه، فيعرض عليهم الإسلام فيجيبوه **ويسلم به جميع أهله**(١)؛ أي: عشيرته وقبيلته، **فرحموا** بالبناء للمفعول؛ أي: رحمهم الله بمبادرتهم إلى امتثال أمره وتصديق نبيِّه بما جاء به عن الله(٢).

وذكر ابن إسحاق(٣): أنَّ سبب إسلامهم(٤) أنَّه خرج على عادته، يعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة [﴿**٢٣٩**﴾] **لقي ستّاً** من الخزرج، قال: «**من أنتم؟**» قالوا: من الخزرج(٥)، قال: «**أمن موالي يهود؟**»، قالوا: نعم، قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم؟**»، فجلسوا [فدعاهم إلى الإسلام](٦) وتلا عليهم القرآن كما يأتي، وكانت حلفاؤهم أصحاب علم وكتاب، وكانوا هم عبدة أوثان، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيّاً مبعوث، الآن نتّبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

وكان عندهم خبره ـ أي: الستة(٧) ـ وهم أسعد بن زرارة ـ بضم الزاي ـ بن عُدَس ابن عبيد بن ثعلبة، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن

---

(١) من نسخة المؤلف، وهو الموافق للنص الشعري، وفي النسخ الأخرى: «قومه».

(٢) انظر: «السبل» (٣/ ٦٧).

(٣) كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٤٢٥ وما بعدها).

(٤) في (ك): «إسلام الأنصار».

(٥) أمامه في حاشية (ف): «فائدة: الخزرج أفضل من الأوس لأشياء، من جملتها ـ وهو أعظمها ـ: أنهم أخوال النبي ﷺ، وفي الأوس من هو أفضل الطائفتين وهو سعد بن معاذ، وإنما قدَّمَ ابن سيد الناس الكلام على الأوس نظراً له والله تعالى أعلم، فالحاصل أن سعد بن معاذ أوسي، وسعد بن عُبادة خزرجي». اهـ.

(٦) مضروب عليها في (غ).

(٧) في (ك): «وكانوا ستاً» مكان «أي: الستة».

عامر بن زُريق، وقُطبة بن عامر بن حديدة. وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حزام، وجابر بن عبد الله بن رئاب[١] بن النّعمان بن سنان، ومنهم من جعل عبادة بن الصامت بدل جابر[٢]أو؛ أي: وقيل: بل كانوا **ثمانياً** بزيادة معاذ بن عفراء، وأبو الهيثم بن التّيِّهان[٣]، فلمَّا جلسوا إليه **لدى عقبة**؛ أي: عند العقبة، **دعاهم إلى الهدى**؛ أي: الدخول في الإسلام فتأملوه وتدبَّروا ما دعاهم إليه، فعرفوه بصفاته التي كانوا يسمعونها من أهل الكتاب، [﴿٢٤٠﴾] **فآمنوا بالله**؛ أي: صدَّقت قلوبهم ما جاء به [قريشاً]، وأقروا به بألسنتهم، فقال: تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربِّي، فقالوا: إنَّا تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، وموعدك الموسم القابل، **ثم** انصرفوا من عنده **ورجعوا لقومهم** بالمدينة فأخبروهم بما كان من شأنهم مع رسول الله ﷺ [في الإسلام]، وما تحققوه من علامات النبوة، وأخذوا **يدعونهم** إلى الدخول في الإسلام، **فسمعوا لهم** ودخلوا فيه طائعين [﴿٢٤١﴾] **حتى فشا الإسلام**؛ أي:

---

(١) في (غ): «رباب»، وهو خطأ.

(٢) الذي في «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٢٦٨) ما نصه: «وفي رواية جرير ابن أبي حازم عن ابن إسحاق، بدل عقبة بن عامر معاذ بن عقبة. قال الأجهوري: ولم يذكر عن أحد أنه جعل عبادة بن الصامت بدل جابر». ولكن في «سيرة ابن سيّد النّاس» [(١/ ٢٦٣)] نحو ما ذكره الشارح، فإنه قال: «ومن أهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة بن الصامت، ويسقط جابر بن رئاب». اهـ.

(٣) قال الأجهوري: «وفيه نظر، فإنه يقتضي أنَّ من عدّتهم ثمانية، جعل منهم الستة الذين تقدّموا جميعهم، وهو ما في سيرة الشامي خلاف، فإنه قال بعد ما ذكر قول من عدّهم ستة [(٣/ ٢٦٨)] ما نصّه: وعند موسى بن عقبة عن الزهري، وأبي الأسود عن عروة أنهم ثمانية، وهم: معاذ بن عفراء، وذكوان ـ بفتح الذال المعجمة وسكون القاف ـ ابن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمٰن يزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التّيِّهان، وعويم بن ساعدة». اهـ.

ظهر الإسلام فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

وذكر ابن الجوزي في «الوفا» بسنده(١): أن الأوس بن حارثة لمَّا احتضر، قالوا له: كنَّا نأمرك بالتّزوّج فتأبى، وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين، وليس لك إلّا مالك، فقال: لن يهلك هالك ترك مثل مالك! وأنشد:

ألم يأت قومي أنَّ للَّه دعوة يفوز بها أهل السعادة والبر
إذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم والحجر
هنالك فابغوا نصره بتلادكم(٢) بني عامر إنَّ السعادة في النصر(٣)

ثم قدما في قابل منهم؛ أي: ثم قدم من الأنصار في العام القابل؛ أي: الذي يلي هذا ممن أسلم أولاً خمسة، وهم: أسعد وعوف ورافع وقطبة وعقبة(٤)، ومن غيرهم **ممن أسلما** بألف الإطلاق؛ أي: ممن أسلم من الأنصار بدعاء أولئك الخمسة سبعة، وهو ذكوان بن عبد قيس وعبادة بن الصّامت ويزيد بن ثعلبة، والعبَّاس بن عبادة ومعاذ بن

---

(١) في «الوفا بأحوال المصطفى» (١/ ٣٤٦) عن ابن جميح.

(٢) في (ك): «ببلادكم»، وفي حاشية (غ): «أي: بمالكم».

(٣) ذكر ابن منظور في «لسان العرب» مادة: (وثم) فقال: وذكر محمد بن السائب الكلبي: أنَّ أوس بن حارثة عاش دهراً، وليس له ولد إلّا مالك، وكان لأخيه الخزرج خمسة أولاد: عمر [(هكذا) ولعلها عمرو)] وعوف وجُشم والحارث وكعب، فلما حضره الموت قال له قومه: قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك حتى حضرك الموت، فقال أوس: لم يهلك هالك من ترك مالك، وإن كان الخزرج ذا عدد وليس لمالك ولد، فلعلَّ الذي استخرج النخلة من الجريمة، والنار من الوثيمة، أن يجعل لمالك نَسْلاً ورجالاً بُسْلاً. اهـ.
وانظر: «الآمالي» لعلي القالي (١/ ١٠٢).

(٤) ليست في (ك)، وفي حاشية (غ): «بالقاف هنا».

عفراء، وأبو الهيثم مالك بن التَّيِّهان وعويم بن ساعدة، [﴿٢٤٢﴾] **لبيعة**؛ أي: وكان قدومهم لأجل مبايعة النبي ﷺ فكان جملة القادمين **ضعف الستة الذين سلفوا**؛ أي: اثنى عشر، فأسلموا وبايعوا.

وهذه هي العقبة الثانية.

وكانت مبايعتهم **كبيعة النساء**؛ أي: مثل بيعة النّساء(١)، فتلا عليهم آية النّساء وهي: على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوا في معروف(٢)، ثم قال: «**فمن وفى فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً وعوقب به في الدُّنيا فهو طُهر له، أو قال: كفارة [له]، ومن غشي من ذلك شيئاً فستر الله عليه، فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه**»(٣).

وذلك قبل أن يَفرِض الحرب ويُؤْمَر بالقتال، فلم يتعرض له.

ثم انصرفوا إلى المدينة، وكتبوا إلى المصطفى ﷺ: ابعث إلينا من يقرئنا القرآن ويفقِّهنا، فبعث إليهم مصعب بن عمير(٤)، فنزل على أسعد بن زرارة، فكان يدعى المقرئ، والقارئ، وهو أوَّل من دُعي بذلك(٥). وأسلم على يده خلق كثير: أسيد بن حُضير ـ بضم الحاء

---

(١) أراد أنهم لم يبايعوه على القتل.

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة].

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٩٣)، ومسلم (٤٤٨٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٣١) عن ابن إسحاق قال: حدثني عاصم عن عمر عن قتادة أنّ رسول الله ﷺ إنّما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعث إليها.

المهملة ـ وسعد بن معاذ، وذلك أنَّ ابن معاذ بلغه اجتماع مصعب مع رجال ممن أسلم، بحائط من الحوائط فجاء أسيد بن حضير ليزجرهم(١) وأخذ في كلام يزجر به، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره، قال: أنصفت ثم ركز حربته وجلس فكلَّمه مصعب بالإسلام وقرأ القرآن، فقال: ما أحسن هذا! كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قال: تغتسل وتتطهر، ثم تتشهد شهادة الحق، ثم تصلّي، فقام ففعل ثم قال: أرى رجلاً إن اتبعكم لم يختلف أحد، وسأرسله الآن: سعد بن معاذ، ثم انصرف، فلمَّا رآه سعد مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به، فقال له سعد: ما فعلت؟! فذكر القصة، وحاصلها، أنَّ سعد بن معاذ جاء فأسلم(٢) ثم عاد إلى قومه، فقال: يا بني عبد الأشهل! كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأفضلنا، قال: كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا، فآمنوا كلهم في يوم واحد إلّا واحد فيوم أُحد، ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة.

وفي «تاريخ البخاري الأوسط»(٣): أنَّ أهل مكة قد سمعوا هاتفاً قبل إسلام سعد يقول:

فإن يُسلم السَّعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف

---

(١) قاله مغلطاي في «الزهر الباسم».

(٢) في النسخة (غ) كلام بعده مضروب عليها: حياء من خاله أسعد بن زرارة، فلما جاء شتمنا.

(٣) أما كيفية إسلام سعد، فقد ذكرها غير واحد. انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٦٠٢)، و«الإصابة» (٣/ ٧٠)، و«السبل» (٣/ ٢٧٢).

(٤) رواه البخاري في «تاريخه» كما في «السبل» (٣/ ٢٧٢)، ورواه ابن أبي الدّنيا، والخرائطي، والبيهقي.

فظنوا أنَّه يريد القبيلتين، سعدهم(١) وسعد بن زيد مناه، فقال:

فيا سعدُ سعدَ الأوس كن أنت ناصراً   ويا سعدَ سعدَ الخزرجين الغطارف(٢)
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيَّا   على اللَّه في الفردوس منية عارف
فإنَّ ثواب اللَّه للطالب الهدى   جنان من الفردوس ذات رفارف

[﴿٢٤٣﴾] **ثم أتى من قابل** ـ أي: ثم أتى من العام القابل الذي يلي هذا ـ، في ذي الحجة أوسط أيام التّشريق من الأنصار أيضاً، **سبعونا** رجلاً بتقديم السين **ونيّف** بشدّة المثناة التحتية؛ أي: وزيادة(٣).

قال ابن سعد(٤): يزيدون رجلاً أو رجلين أو ثلاثة، وامرأتان نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو بن عدي، وهي العقبة الثّالثة، فسلّموا على المصطفى ﷺ بمكة، فواعدهم ليلة النّفر الأوّل إذا هدأت الرِّجل أن يوافوه في الشِّعب الأيمن إذا أنحدروا من منى في أسفل العقبة، حيث المسجد الآن، ونهاهم أن لا ينبِّهوا(٥) نائماً ولا ينتظروا غائباً، فخرجوا يتسلَّلون، وقد سبقهم المصطفى ﷺ إلى ذلك الموضع، ومعه عمّه العبَّاس فقط، فأوّل من تكلّم العبَّاس، فقال: يا معشر الخزرج إنّكم دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعزّ النَّاس في عشيرته، يمنعه من كان على دينه، ومن لم يكن على دينه يمنعه للشرف والحسب، وقد أبى إلّا الانقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنَّكم تفون له وأنتم أهل

---

(١) أي: سعد هذيم.

(٢) في (غ): «الغضارف» والمثبت من النسخ الأخرى، وهو الصواب. وقوله: «الغطارف» جمع «غطريف» وهو السيد.

(٣) في (ك): «أي: وزيادة، وهو شد المثناة التحتية، على الأصح بل قال الأزهري: «التخفيف لحن عند الفصحاء، والنيف الزيادة يقال: عشرة ونيف، وكل ما زاد على العقد فنيف؛ حتى يبلغ العقد الثاني، ومن واحد إلى ثلاثة».

(٤) في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٨٨).

(٥) في (ك): «وأمرهم ألّا يسمعوا».

جلد وقوّة، وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة، فارتؤوا رأيكم وائتمروا ولا تفرّقوا إلّا عن اجتماع، فإنَّ أحسن الحديث أصدقه. فقال البراء بن معرور: سمعنا ما قلت، ولو كان في أنفسنا شيء(١) لقلناه، ولكنا نريد الوفاء والصّدق وبذل المهج دونه، ثم قرأ المصطفى ﷺ عليهم القرآن، ورغَّبهم في الإسلام، فأجابه البراء بالإيمان والتّصديق، وهو أوّل من بايع، وقيل: أسعد بن زُرارة، وقيل: أبو الهيثم بن التَّيِّهان.

فبايعوا كلهم على أن ينصروه إذا قدم عليهم المدينة، فيمنعوه كما يمنعون أنفسهم وأبناءهم وأزواجهم و[أنَّ] لهم الجنَّة، **يخفونا** بألف الإطلاق(٢) [﴿٢٤٤﴾] **بيعتهم ليلاً** كما مرَّ.

وأخرج لهم المصطفى ﷺ اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وفي حديث ابن سعد: فقال رسول الله ﷺ: «**إن موسى أخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، فلا يجدنّ أحدكم في نفسه، أن يؤخذ غيره فإنَّما يختار لي جبريل**».

ونعم البيعه كانت بيعتهم! **كيف وجزاء من بايع فيها** رسول الله ﷺ **الجنة**؛ لأنَّ المصطفى ﷺ اشترط عليهم شروطاً، وجعل لهم على الوفاء بها الجنة، فلمَّا بايعوا صاح الشّيطان على العقبة: يا أهل الأخاشب! هل لكم في محمد والمصباة(٣) معه، قد اجتمعوا على

---

(١) طمست في (غ).

(٢) في (ك) بدلها: «يحلفونا ـ بألف الإطلاق ـ أي: والحال أنهم يحلفون على بيعتهم؛ أي: ويؤكدونها بالأيمان، وكانت»، وهي في (غ) أيضاً؛ وقد ضرب عليها.

(٣) في (ك) و(ج): «الصُباة»، وفي حاشية (غ): «أي: الذين صبوا إلى الإسلام».

حربكم، فقال المصطفى ﷺ: «**افضوا إلى رحالكم**»، فقال العبَّاس بن عبادة(١): والذي بعثك بالحق [بشيراً] لئن أحببت لنَمِيلنَّ على أهل مِنًى بأسيافنا، وما أحد عليه سيف تلك الليلة غيره، فقال: «**لم أؤمر بذلك**»، فتفرَّقوا إلى رحالهم، فلمَّا أصبحوا غدت جلة قريش وأشرافهم حتّى دخلوا شعب الأنصار، فقالوا: [يا معشر الخزرج](٢) بلغنا أنَّكم لقيتم صاحبنا ووعدتموه أن تبايعوه على حربنا، وأيم الله ما حيٌّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، فانبعث من كان ثَمَّ من الخزرج من المشركين يحلفون ما كان هذا؛ وما علمنا(٣). ثم رحلوا وطابت بذلك نفس المصطفى ﷺ، أن جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب ونجدة(٤).

---

(١) بن نضلة الأنصاري الخزرجي، عقبي قتل بأحد. وهو الذي أكد البيعة ليلة العقبة، وهو أنصاري مهاجري.

(٢) ضرب عليها في (غ).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (١/ ١٨٩)، و«عيون الأثر» (١/ ٢٧٥).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٩٢).

باب ذكر الهجرة

٢٤٥ ـ وَإِذْ فَشَا الإِسْلامُ بِالمَدِينَهْ   هَاجَرَ مَنْ يَحْفَظُ فِيهَا دِينَهْ
٢٤٦ ـ وَعَزَمَ الصِّدِّيقُ أَنْ يُهَاجِرَا   فَرَدَّهُ النَّبِيُّ حَتَّى هَاجَرَا
٢٤٧ ـ مَعاً إِلَيْهَا فَتَرَافَقَا إِلَى   غَارٍ بِثَوْرٍ بَعْدُ ثُمَّ ارْتَحَلا
٢٤٨ ـ وَمَعْهُمَا عَامِرُ مَوْلَى الصِّدِّيقْ   وَابْنُ أُرَيقِطٍ دَلِيلٌ لِلطَّرِيقْ
٢٤٩ ـ فَأَخَذُوا نَحْوَ طَرِيقِ السَّاحِلِ   وَالحَقُّ لِلْعَدُوِّ خَيْرُ شَاغِلِ
٢٥٠ ـ تَبِعَهُمْ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ   يُرِيدُ فَتْكاً وَهْوَ غَيرُ فَاتِكِ
٢٥١ ـ لَمَّا دَعَا عَلَيْهِ سَاخَتِ الفَرَسْ   نَادَاهُ بِالأَمَانِ إِذْ عَنْهُ حُبِسْ

باب ذكر الهجرة

أي: هجرة المصطفى ﷺ [وأصحابه] من مكة إلى المدينة الشَّريفة.

وسببها: أنَّه لمَّا علم الكفّار ببيعة العقبة، وعلموا أنَّه صار للمسلمين منعة وقوم أهل حرب ونجدة، فاشتدَّ البلاء منهم على المسلمين، ونالوا منهم ما لم ينالوه قبل من شتم وضرب وغير ذلك من ضروب الأذى، فشكا الصّحابة [إليه ذلك]، واستأذنوا في الخروج، فمكث أياماً ببيته(١) ثم خرج مسروراً، فقال: «**قد أخبرت بدار هجرتكم، وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج**»(٢).

وقد أشار إلى ذلك النّاظم [بقوله]: [﴿٢٤٥﴾] **وإذ**؛ أي: حين **فشا الإسلام بالمدينه**؛ أي: ظهر وانتشر بها وشكا الصَّحابة إلى المصطفى ﷺ ما لقوه من الأذى، واستأذنوه في الهجرة من مكة إلى المدينة فأذن، **هاجر إليها كل من يحفظ فيها دينه**؛ أي: من يحتفظ على دينه، فكان أوَّل خارج أبو سلمة بن عبد الأسد أخو المصطفى ﷺ من الرّضاع(٣)، وحبس بنو المغيرة عنه زوجته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة نحو سنة، [ثم أذنوا لها باللحوق بزوجها](٤)، فانطلقت

---

(١) غير واضحة في (غ)، كما أثبت، وليست في (ك) والنسخ الأخرى.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٢٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢٥/ ٣٢٤) من حديث عائشة.

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٦٩)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٢).

(٤) ما بين المعقوفتين في (غ): «ثم أذنوا لها في اللحوق به، في اللحوق =

وحدها مهاجرة حتّى إذا كانت بالتّنعيم(١) لقيت عثمان بن طلحة، وكان يومئذ مشركاً فشيَّعها، حتَّى إذا أوفى على قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال لها: زوجك هنا ثم عاد إلى مكة، فكانت تقول: ما رأيت صاحباً قط أكرم منه(٢).

وقيل: أوّل من هاجر: مصعب بن عمير، ويجمع بحمل الأوّليّة في أحدهما على صفة خاصة، فأبو سلمة هاجر إلى المدينة هرباً من الكفّار دون مقصد الإقامة، ثم هاجر مصعب بنيّة التوطن(٣).

ثم هاجر عامر بن ربيعة وزوجه ليلى، ثم هاجر عمر بن الخطاب ولم يهاجر أحد جهرة إلّا هو(٤).

وأراد عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص أن يهاجرا، ففطن بهما قومهما فحُبسا في بيت، فلمّا قدم المصطفى ﷺ المدينة، قال: «**من لي بهما**»؟ فقال الوليد بن المغيرة: أنا لهما، فقدم مكة مستخفياً ثم تسوّر عليهما ليلاً، وفكّ قيدهما وحملهما على بعيره، فقدم بهما على المصطفى ﷺ. وأراد صهيب الهجرة فمنعه المشركون، فجعل لهم ماله كله فخلُّوه، فهاجر، فقال المصطفى ﷺ: «**ربح صهيب**» انتهى(٥).

= بزوجها»، والمثبت من (ك)، وهو الصواب.

(١) في حاشية (غ): «المحل الذي يحرمون منه بالعمرة من مكة».

(٢) «الفتح» (٧/ ٢٢٨).

(٣) من قوله: «ويجمع بحمل الأوّليّة» إلى هنا؛ غير واضح في (غ).
انظر: ما قاله الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٢٢٨): في الجمع بينه وبين حديث البراء.
تنبيه ذكره في «نور النبراس» فقال: إن قيل: متى هاجر أبو سلمة على القول بأنه أوّل من هاجر من المسلمين؟... فالجواب: أن في سيرة ابن إسحاق كما ذكره ابن هشام أنه هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة. انتهى.

(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٦٩)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٥).

(٥) كذا في (غ)، وليست في (ك). «البداية والنهاية» (٤/ ٤٣٣).

ثم قدم الصّحابة والمصطفى ﷺ بمكة إلى المدينة أرسالاً؛ أي: أفواجاً فنزلوا على الأنصار في دورهم، فآووهم وواسوهم ونصروهم، وكان سالم مولى أبي حذيفة يصلّي بالمهاجرين بقباء قبل قدوم المصطفى ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر: وكان بين ابتداء هجرة الصّحب، وبين العقبة نحو شهرين(١) فخرج المسلمون جميعاً إلى المدينة، فلم يبق بمكة إلا المصطفى ﷺ، وأبو بكر وعلي ومحبوس أو مريض أو عاجز عن الخروج.

[﴿٢٤٦﴾] **وعزم** أبو بكر **الصدِّيق أن يهاجرا بألف الإطلاق فردَّه النبي** ﷺ عن عزمه، وقال له: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً**»(٢)، فطمع أبو بكر أن يكون هو، فلم يزل يؤخره **حتى هاجرا** [﴿٢٤٧﴾] **معاً إليها.**

قال ابن إسحاق(٣): [و]لمَّا رأت قريش خروج من أسلم إلى المدينة بالذّراري والأهل، وعلمت أنَّه قد صار للمسلمين منعة وقوة، خافت خروج المصطفى ﷺ [وأن يجمع لحربهم] فاجتمعوا في دار النّدوة، وهي دار قصي بن كلاب، ولم يتخلّف منهم من أهل الرّأي أحد للتشاور في أمره [ويُسمَّى ذلك اليوم يوم الزّحمة] وحضرهم إبليس في صورة شيخ مسنٍّ نجدي(٤) مشتمل الصّمَّاء، فتفاوضوا فأشار كلٌّ

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢٣٥).

(٢) هذه اللفظة أخرجها الطبراني في «معجمه الكبير» (٢٢/ ١٧٧)، رقم (٤٦٢).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨١) نسبه لابن إسحاق، وكذا «الروض الأنف» (٢/ ٣٠٦) وما بعدها.

(٤) قال السهيلي في «الروض الأنف» (٢/ ٣٠٧): «وَإِنَّمَا قَالَ لَهُمْ إنّي مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ السّيرَةِ لِأَنّهُمْ قَالُوا: لَا يَدْخُلَنّ مَعَكُمْ فِي الْمُشَاوَرَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ لِأَنّ هَوَاهُمْ مَعَ مُحَمّدٍ فَلِذَلِكَ تَمَثّلَ لَهُمْ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِيّ».

منهم برأي وإبليس يردُّه؛ إلى أن قال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاماً بسيف فيضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرَّق دمه في القبائل فلا يمكن بنو عبد مناف حرب الكل، فيرضوا بالعقل. فنعطيهم الدّية، فقال الشّيخ النّجدي: لله در الفتى، هذا هو الرّأي، فاجتمعوا عليه وأخبر جبريل المصطفى [بذلك] ﷺ وأمره أن لا ينام بمضجعه تلك اللّيلة، فلمَّا كانت العتمة اجتمعوا ببابه يرصدونه لينام فيثبون عليه، فقال المصطفى ﷺ لعلي: «**نَمْ على فراشي وتَسَجَّ ببردي هذا، فإنَّه لن يخلُص إليك شيء تكرهه**»، وأخذ حفنة من تراب وأعمى الله أبصارهم، فخرج عليهم فلم يروه، فوضع التّراب على رؤوسهم، وهو يتلو أوّل سورة يس إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩] ثم انصرف فأتاهم آت، فقال: خرج محمد عليكم فما منكم [من] أحد إلّا وضع على رأسه تراباً، فوضع كل منهم يده على رأسه فوجد التّراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليّاً على الفراش، مُسجَّىً ببرد المصطفى ﷺ، فيقولون: ها هو نائم على فراشه، فلم يبرحوا كذلك حتّى أصبحوا، فقام عليٌّ من الفراش. فأنزل الله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

[قيل(١): وإنّما لم يفتحوا على عليٍّ مع ظنهم أنّه المصطفى ﷺ واستمروا بالباب لئلّا يتحدث عنهم أنّهم هتكوا حرمة النّساء، وحكمة وضعه على رؤوسهم تراباً الإشارة إلى إذلالهم بَعْدُ.

ثم] جاء(٢) المصطفى ﷺ إلى بيت أبي بكر ظهراً متقنّعاً(٣) فناداه،

---

(١) «الروض الأنف» (٢/٣٠٩).

(٢) في (غ): «وجاء» وحذفنا الواو، لتناسب سياق ما بين المعقوفتين.

(٣) في حاشية (غ): «أي: مغطّي رأسه بالقناع، وهي الخرقة التي يغطى بها الرأس والوجه».

فقال: «**أَخْرِجْ من عندك**»(١)، فقال: يا رسول الله إنَّهما ابنتاي، فقال: «**إنَّ الله قد أذن لي في الهجرة**»، فقال: الصّحبة يا رسول الله، عندي(٢) ناقتان قد أعددتهما للخروج [و]أعطيك إحداهما، فقال: «**بالثّمن**»(٣)؛ أي: لتتمحّص هجرته لله، ولا يكون لأحد فيها منّة، فأخذ إحداهما وهي الجدعاء، وقيل: القصوى(٤) بالثّمن، وكان أبو بكر اشتراهما بثمان مئة درهم فتجهزا، قالت عائشة: وضعنا لهما سفرة من جراب، وجعلنا فيها شاة مطبوخة، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعتين من نطاقها، فربطت فمها بواحدة، وربطت القربة بالأخرى؛ فسُمِّيت ذات النِّطاقين، فخرجا من خوخة لأبي بكر ليلاً، فلمَّا سارا جعل أبو بكر ﵁ [مرَّة يمشي عن يمينه ومرّة يمشي عن شماله، فقال المصطفى: «**ما لك**»؟ قال: أذكر الرّصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرّة عن يمينك ومرّة عن شمالك لآمن عليك](٥)، فترافقا إلى غارٍ بثور ـ أي: فترافقا حتّى أتيا إلى الغار الذي بجبل ثور ـ [بالمثلثة] ـ، وهو جبل بقرب مكة [فدخلا، فنام] وجعل رأسه في حجر أبي بكر، فلدغ أبو بكر في رجله فلم يتحرَّك، فسقطت دموعه على وجه المصطفى ﷺ، فقال: «**ما لكِ؟**» فقال: لدغت، فتفل عليه، فذهب ما يجده. رواه رَزِينٌ.

وخيَّم العنكبوت على باب الغار وفرَّخت حمامة، وجزعت قريش لخروجه وطَلبته أشد الطّلب، وبعثوا القافة أثره في كل وجه، وجعلوا لمن دلَّ عليه مئة ناقة، وأتوا إلى الغار فوجدوه كذلك، حتّى قال أبو

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٧٥)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٥٨) وفيه: «إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ» بدلاً من «إنّهما ابنتاي»، وانظر: «الروض الأنف» (٢/ ٣١٣).

(٢) في (ك) بعدها: «عليك»، وفي حاشية (ك): «هذا في بعض النسخ».

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٩٣)، وانظر: «عيون الأثر» (١/ ٣٠٠) وفيه: «بل بالثمن».

(٤) انظر: «الروض الأنف» (٢/ ٣١٤)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٦٨).

(٥) ما بين المعقوفتين غير واضح في (غ) وهو من (ف).

بكر: يا رسول الله! لو نظر أحدهم إلى قدمه لرآنا، فقال: «**اسكت، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»، فتقدّم جمع منهم، فنظروا الحمامتين والعنكبوت، فقالوا: ليس في الغار شيء، إنَّ عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد!(١).

وروي أنَّ الصّدِّيق لمَّا رأى الطّلب اشتدَّ حزنه، فقال: إن قتلت إنَّما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت، هلكت الأمة، فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٢) [التوبة: ٤٠]؛ أي: بالمعونة والنّصر، فأنزل الله سكينته عليه ـ أي: على أبي بكر ـ؛ لأنَّه الذي انزعج، وأيَّده ـ أي: رسوله ـ بجنود لم تروها ـ أي: ملائكة ـ يصرفون أبصار المشركين.

قال في «المواهب» وغيره: وبين قول نبينا: «**إنَّ الله معنا**»، وقول الكليم: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] ما بين مقاميهما، إذ كمال الإمداد للأتباع ليس إلّا لنبيِّنا، فأمدَّ الله أبا بكر بشهود المعيّة، وقصرها موسى على نفسه، وأيضاً شتّان ما بين معيّة الألوهيّة ومعيّة الرّبوبيّة.

وقيل: إنَّ أبا بكر لمَّا رأى الكفار وهو في الغار ذكر ذلك للمصطفى ﷺ، فقال: لو جاءونا من هنا خرجنا من هنا، فنظر أبو بكر إلى الغار، وقد انفرج من الجانب الآخر، وإذ البحر وسفينته.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٢٨).
قال في «الفتح» (٧/ ٢٣٦): وفي «مسند أبي بكر الصديق»: لأبي بكر بن علي المروزي شيخ النسائي من مرسل الحسن في قصة العنكبوت نحوه.
فائدة ذكرها البرهان الحلبي في «نور النبراس» فقال: وقد نسجت العنكبوت على الغار في قصة عبد الله بن أنيس لما بعثه النبي ﷺ لقتل سفيان بن خالد الهذلي، ونسجت أيضاً على داود ﷺ مرتين لما طلبه جالوت. ذكره أبو نعيم في «الحلية»، ونسجت أيضاً على عورة زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما صلب عرياناً في سنة ست وعشرين ومئة. .اهـ.

(٢) «الروض» (٢/ ٣١٧).

قال ابن كثير(١): [و]هذا ليس بمنكر [و]لكن لم يرد.

وكان لأبي بكر غنم يرعاها عامر بن فهيرة، وكان يأتيهم بها ليلاً فيحلبون ويأتيهم بالأخبار(٢)، فإذا كان سحر سرح مع النّاس.

ومكثا بالغار ثلاث ليال، وعبد الله بن أبي بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلاً بخبر قريش، ثم يدلج بسحر فيصبح كنائم بمكة، ثم **بعد** ـ أي: بعد ثلاثٍ من الليالي ـ واعداً عبد الله بن أريقط(٣) أن يأتيهما براحلتيهما، فأتاهما صبيحة ثلاث.

ثم ارتحلا من الغار(٤) [**﴿٢٤٨﴾**] **ومعهما عامر** بن فهيرة **مولى** أبي بكر **الصديق**، [وعند البخاري(٥) في غزوة الرّجيع، أنَّه كان غلاماً لعبد الله بن الطفيل بن سخبرة(٦) أخي عائشة لأمهما]، فكان يخدمهما.

ومعهما أيضاً عبد الله **بن أريقط** ـ بالتّصغير ـ الليثي من بني عبد بن عدي **دليل يهدي للطريق**، استأجره لذلك ولم يعرف له إسلام.

[**﴿٢٤٩﴾**] **فأخذوا** تبعاً لابن أريقط **نحو طريق الساحل**؛ أي: ساحل البحر أسفل من عسفان، **والحق تعالى للعدو**؛ أي: لعدوِّهما

---

(١) في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٥٥).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٧٦)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٥٩)، «الروض الأنف» (٢/ ٣١٦).

(٣) ويقال: ابن أريقد، وكان ماهراً بالطريق.

(٤) في (ك) بعدها: «بعد ثلاث حين سكت الناس عن طلبهما».

(٥) البخاري (٤٠٩٣).

(٦) قال في «نور النبراس»: «قال شيخ شيوخنا الحافظ أبو محمد بن خلف الدمياطي: صوابه للطفيل لا لعبد الله. . . ثم قال البرهان الحلبي: ولذا صرَّح ابن عبد البر في ترجمته: عامر بن فهيرة بأنّه كان مملوكاً للطفيل بن عبد الله بن سخبرة، وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر من الطفيل فأعتقه»، والله أعلم.

خير شاغل عن اتباع آثارهم من تلك الجهة، ولما جعل⁽¹⁾ فيهما قريش إنْ قُتلا أو أُسِرا واستفاض ذلك: [﴿٢٥٠﴾] **تبعهم سراقة بن مالك** المدلجي⁽²⁾، حين بلغه أنَّ سواداً مرّ بالسّاحل، فركب مستخفياً **يريد فتكاً**؛ أي: يريد برسول الله ﷺ وصاحبه قتلاً؛ أي: يريد قتلهما ليحصل على ما جعلت قريش، **وهو غير فاتك** به؛ لأنَّ الله حماه وعصمه منه ومن غيره، فحثَّ في الطّلب حتّى كاد يدركهما، فصرع عن فرسه فأخرج الأزلام، فاستقسم بها فخرج ما يكره، فركب وحثَّ في الطّلب، فصار أبو بكر يكثر التّلفُّت ويبكي والمصطفى ﷺ يقرأ ولا يلتفت، فلمَّا قرب منهما قال: «**اللهم اكفناه بما شئت وكيف شئت**»⁽³⁾.

[﴿٢٥١﴾] **ولمَّا دعا عليه ساخت الفرس** ـ بخاء معجمة ـ؛ أي: غاصت قوائم فرسه في الأرض إلى بطنها فخرّ عنها ثم زجرها، فنهضت ولم تكد وحينئذٍ **ناداه بالأمان**، فقال: الأمان يا محمد فوالله لا أذيتكم ولا يأتيكم منّي ما تكرهونه، **إذ عنه حُبس** ـ أي: حين حبس عن لحوقه له ـ، فدعا له فانطلق فرسه، ووقف المصطفى ﷺ حتّى جاءه فأخبره بما يريد به قومه، وعرض عليه الزّاد والمتاع فلم يأخذ المصطفى ﷺ منه شيئاً، وقال: «**اخف عنا**»⁽⁴⁾.

قال سراقة: ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أنَّ أمره سيظهر، فسألته كتاباً بالأمان، فأمر [أبا بكرو] عامر بن فهيرة فكتب لي في أدم أخرجها له يوم حُنَيْن، فنفذها وأَمَّنَه ومن يلوذ به، ثم لمَّا رجع فوجدهم

---

(١) كذا كتبها بالتذكير.

(٢) هو سراقة بن مالك بن جعشم بن عمرو بن مالك بن تيم بن مُدلج بن مُرّة بن عبد مناة بن كنانة. يكنى أبا سفيان، من مشاهير الصحابة، مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين. انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٥٨١)، و«الإصابة» (٣/ ٣٥).

(٣) «البداية والنهاية» (٤/٤٦٦).

(٤) رواه البخاري (٣٩٠٥) في قصة الهجرة.

يلتمسونه، فقال: ارجعوا فقد استبرأت لكم ما ههنا، قال: فخرجتُ وأنا أحبُّ النّاس في تحصيله، ورجعت وأنا أحبهم في أن لا يعلم به أحد، وفي ذلك يقول مخاطباً لأبي جهل:

أبا حكم لو كنت واللّه شاهداً   لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأنَّ محمداً   رسولٌ ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإنَّني   أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
[بأمر يود الناس فيه بأسرهم   بأن جميع الناس طرّاً تسالمه](١)

وقد وقع لسراقة هذا علمٌ من أعلام النبوة، وهو قول المصطفى ﷺ: «فكيف بك إذا لبست سواري كسرى»، فلبسهما أيَّام عمر(٢).

---

(١) البيت الأخير مضروب عليه في (غ).
قلت: انظر: «الروض» (٢/ ٣٢٣)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٦٢، ٤٦٣) وغيرهما. والأبيات من البحر الطويل.

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٢٥)، وذكره السهيلي في «الروض» (١/ ١٤٠)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/ ٥٨١)، و«الإصابة» (٣/ ٣٥)، وضعّفه الدكتور مهدي رزق الله في «السيرة» (ص٢٨٠).

باب ذكر مروره ﷺ بأم معبد

٢٥٢ ـ مَرُّوا عَلَى خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدِ　　　وَهْيَ عَلَى طَرِيقِهِمْ بِمَرْصَدِ
٢٥٣ ـ وَعِنْدَهَا شَاةٌ أَضَرَّ الجُهْدُ　　　بِهَا وَمَا بِهَا قُوًى تَشْتَدُّ
٢٥٤ ـ فَمَسَحَ النَّبِيُّ مِنْهَا الضَّرْعَا　　　فَحَلَبَتْ مَا قَدْ كَفَاهُمْ وُسْعَا
٢٥٥ ـ وَحَلَبَتْ بَعْدُ إِنَاءً آخَرَا　　　تَرَكَ ذَاكَ عِنْدَهَا وَسَافَرَا

باب ذكر مروره ﷺ بأم معبد

أي: بخيمتها وهي ـ بفتح الميم والموحدة التحتية ـ واسمها عاتكة بنت خالد الخزاعية(١) لمَّا خرج ﷺ في الهجرة، ومعه أبو بكر وابن فهيرة، وابن أريقط يدلهم على الطريق، [﴿٢٥٢﴾] **مروا** بقديد(٢) قريب رابغ، على **خيمة أم معبد** زوجة أكثم بن أبي الجون الخزاعي(٣)، وهي لا تعرف المصطفى ﷺ ولا من معه، وكانت برزة جَلْدة(٤) تسقي وتطعم الماء واللبن وهي في غاية القحط، **وهي على طريقهم** مختبية بفناء خيمتها تسقي [المارة الماء واللبن](٥) **بمرصد** ـ بفتح الميم والصّاد

---

(١) هي عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم . . بن عمرو بن خزاعة كانت تحت ابن عمها، يقال له تميم بن عبد العزَّى، وكان منزلها بقديد وهي بكنيتها أشهر قدمت على النبي ﷺ وأسلمت وبايعت. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٢٨٨)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٨٧٦)، و«الإصابة» (٨/ ٢٢٧).

(٢) كتب في حاشية النسخة (غ): «قديد بالتصغير اسم مكان (منه)».

(٣) ورد في بعض المصادر أنه ابن أبي الجون، وهو عبد العزَّى بن منقذ بن ربيعة بن أصرم، يكنى أبا معبد، وهو الذي شبه النبي ﷺ بالدجال، فقال: يا رسول الله وهل يضرني شبهي إياه؟ قال: لا أنت مسلم وهو كافر «الطبقات» (٤/ ٢٩٢)، «الإصابة» (١/ ٢٥٨).

(٤) في «القاموس» مادة: (برز): متجاهرة كهلة جليلة، تبرز للقوم، يجلسون إليها ويتحدَّثون، وهي عفيفة، وفي (هـ): «الضعف»، وفي (ك): «برزة؛ أي: جلدة قومها»، وفي حاشية (غ): كلام غير واضح.

(٥) قوله: «المارة الماء واللبن» مضروب عليه في (غ).

المهملة ـ، وهو الموضع الذي يرصد، ـ أي: يقعد فيه ليرصد من يمرُّ عليه في الطريق، ويستعمل في الخير والشر ـ، فسألوها لحماً [وتمراً] ليشتروا، فلم يجدوا [عندها شيئاً] فقالوا: هل عندك من لبن؟ قالت: لا والله وإنَّ الغنم لعازبة(١)، [﴿٢٥٣﴾] **وعندها شاة في كسر الخيمة**(٢)، فقال لها المصطفى ﷺ: «**فما هذه الشاة**»؟ قالت: شاة، **أضرَّ الجهد**؛ أي: المشقّة بفتح الجيم، [والتّعب] **بها**، حتّى خلّفها عن الغنم لما بها من غاية الألم، **وما بها قُوى** بضم القاف، جمع قوة **تشتد** بها حتّى تلحق بالغنم ترعى معهم، فقال [لها المصطفى]: «**هل بها من لبن**»؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: «**أتأذنين في حلابها**»؟ قالت: والله ما ضربها من فحل قط، فشأنك بها، فدعا بها [﴿٢٥٤﴾] **فمسح النبي ﷺ منها** ظهرها **والضرعا** بألف الإطلاق؛ أي: أمرَّ يده الشّريفة عليه، وسمَّى الله تعالى ودعا، فتفاجَّت ـ بالجيم ـ أي: فتحت ما بين رجليها ودرت ثم دعا بإناء [يُربض](٣) الرّهط؛ أي: يرويهم، **فحلبت** ـ بفتحات ثم تاء التّأنيث بضبط النّاظم ـ؛ أي: حلبت الشّاة لهم ويجوز بناؤه للمفعول(٤).

وفي الحديث(٥): فحلب فيه أعني النبي ﷺ فملأه فسقى أصحابه عَلَلا بعد نُهَل(٦)، **ما قد كفاهم كلهم وُسعا** ـ بضم الواو ـ، [أي] ما

---

(١) أي: بعيدة المرعى لا تأوي إلى المنزل إلّا في الليل «نور النبراس».

(٢) في (ك): «البيت» وبعدها: «أي: ناحيته».

(٣) في (ك): «برفض»، وفي حاشية (غ): «بالمثناة أوله، وموحدة بعد الراء وضاد معجمة (منه)».

(٤) انظر في هذا الخبر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٥٧٧)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٧٣).

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٥١٠)، وانظر: «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٤٠١).

(٦) في (ك): «بعد محل»، وفي حاشية (غ): «العلل بالتحريل الشرب بعد الشرب تباعاً»، والنهل ـ بالتحريك ـ [أول](*) الشرب، كذا في «القاموس».

(*) ليست في حاشية (غ)، والصواب إثباتها.

تسعه وتحتمله طاقتهم من الري [ثم شرب آخرهم، وقال: ساقي القوم آخرهم شرباً. وقوله: «وسعاً» حشو كمل به الوزن].

[﴿٢٥٥﴾] **وحلبت بعد**؛ أي: ثم حلب النّبيُّ ﷺ بعد ذلك **إناءً آخرا ثانياً**، **وترك ذاك الإناء عندها** مملؤاً، **وسافرا** إلى جهة المدينة بعد أن بايعها على الإسلام، فاستمرَّت تلك البركة [فيها].

وروى أبو نعيم وغيره[1]: أنَّ تلك الشّاة بقيت عندهم يحلبونها ليلاً ونهاراً، حتى كان عام الرمادة[2] زمان عمر، فكانوا يحلبونها صبوحاً وغبوقاً، وما في الأرض قليل ولا كثير.

ثم لمَّا رحلوا جاء زوجها أكثم بن الجون، يسوق أعنزاً عجافاً[3]، فلمَّا رأى اللبن! عجب، فقال[4]: من أين ولا حلوب في البيت؟! قالت: مرَّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا [قال: صفيه] قالت: رجل ظاهر الوَضَاءة، أبْلَج الوجْه حَسَنَ الخَلْقِ، لم تَعِبْه ثُجْلَة ولم يُزر به صَعْلة، وسيمٌ قسيمٌ في عينيه دَعَجٌ وفي أشْفارِهِ وَطَف، وفي عُنُقِهِ سَطَعٌ وفي صوته صَحَل، وفي لحيته كثاثة، أحْوَر أكْحلُ أقْرن، شديد سواد الشّعر، إن صَمَتَ فَعَليه الوَقَار وإن تَكَلَّم سما وعَلاه البَهاء، أجمل النَّاسِ وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حُلْو المنطِقِ فَصْلٌ لا هَذْر

---

[1] انظر في قصة تلك الشاة: «الدلائل» لأبي نعيم في (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩)، وذكره ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٨٩)، وذكر السهيلي في «الروض» (٢/ ٣٢٦): ويسأل عنه في هذا الحديث أن يقال: هل استمرَّت تلك البركة في شاة أم معبد بعد ذلك اليوم أم عادت إلى حالها؟ وفي الخبر عن هشام بن حبيش الكعبي قال: أنا رأيت تلك الشاة، وإنها لتأدم أم معبد وجميع حرمها؛ أي: أهل ذلك الماء.

[2] كتب في حاشية (غ): «العام الذي وقع فيه الغلاء الشديد في المدينة، زمن عمر بن الخطاب حتَّى أكل النَّاس الرماد».

[3] في حاشية (غ): «أي: هزيلات».

[4] في (ك): «وقال».

ولا نَزْر؛ كأنَّ مَنطِقَه خَرَزات نَظْمٍ يتحدَّرن، رَبْعةٌ لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غُصْن بين غُصنين، فهو أنضر الثَّلاثة منظراً، وأحسنُهم قدراً، له رفقاء يحفّون به، إن قال انصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، مَحْفودٌ مَحْشُودٌ، لا عابس ولا مفنَّد⁽¹⁾، قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا أمره، وقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت لذلك سبيلاً⁽²⁾.

وسيجيء تفسير هذه الألفاظ.

ثم لمَّا فارقها المصطفى ﷺ اجتاز بعبد يرعى غنماً فاستسقاه اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن هاهنا عناقاً حملت أول، فما بقي لها لبن، فقال: ادع بها فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت، فسقى أبا بكر ثم الراعي ثم شرب، فقال الراعي: من أنت؟! فقال: «**محمد رسول الله**»، فقال: الذي تزعم قريش أنَّه صابي؟! قال: «**إنهم يقولون ذلك**»، قال: فأشهد أنَّك نبي، وأن ما جئت به حق. رواه البيهقي⁽³⁾.

ثم إنَّهم لم يعلموا بمكة أين توجّه، فأتى نفر من قريش منهم أبو جهل إلى أسماء بنت أبي بكر، فقال: أين أبوك؟ قالت: لا أدري، فلطم خدها لطمة خرج منها القرط، ثم سمعوا قائلاً بصوتٍ عالٍ، ولا يرونه يقول⁽⁴⁾:

---

(١) في (غ): «ولا أسد».

(٢) «تاريخ الطبري» (١١/ ٥٧٨)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٧٧، ٤٧٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٤٣)، رقم (٨٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٤١)، والحاكم (٣/ ٨٩) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٤٩٧)، كلهم من طريق عبيد الله بن إياد بن لقيط عن أبيه عن قيس بن النعمان به.
قال ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٢٦١): «وأخرجه الطبراني، وسنده صحيح، ووهم من ظن أنَّ هذا الراعي هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه».

(٤) الأبيات في «تاريخ الطبري» (١١/ ٥٧٩)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٧٩).

جزى اللَّه رب الناس خير جزائه   رفيقين قالا خيمة أم معبد
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به   فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى اللَّه عنكمُ   به من فعال لا تجازى(١) وسؤدد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم   ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها   فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل(٢) فتحلبت   له بصريح ضرت الشاة مزبد(٣)

فلمَّا سمعوا عرفوا أنَّه توجّه لجهة المدينة، والضّرة: لحمة الضّرع، والصّريح ـ بمهملتين ـ الخالص؛ أي: بلبن خالص مزبد نازل من ضرة الشّاة، وظاهر تقديم النّاظم قصة سراقة على قصة أم معبد أنَّها [كانت] قبلها، وهو ما في «عيون الأثر»(٤) لكن عكس في «الإشارة»(٥)، وقال الشّامي(٦): إنَّه الصحيح.

---

(١) في (غ): «يجازى»، والصواب ما أثبت وهو من (ك).

(٢) في حاشية (غ): «الحائل: ضد الحامل».

(٣) قصة أم معبد رواها أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» برقم (١١٣٨، ط: دار ابن الجوزي)، وإسناده ضعيف جداً، كما ذكر المحقق، كما أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٤٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٥٨٧) وغيرهم.

(٤) «عيون الأثر» (١/ ٢٩٨) وما بعدها، قال رَحِمَهُ اللهُ في «النور»: . . . فالحاصل أنّ الترتيب يقتضي ذكر قصتها قبل قصة سراقة كما شرطه المؤلف في أول سيرته، وإنما ذكر المؤلف خبر سراقة هنا، ثم قصة أم معبد؛ لأنّ خبر سراقة في الصحيح، وحديث الهجرة لا ينفك عنه، ولا يمكن فصله، وحديث أم معبد ليس كذلك، ولا هو في الصحيح.

(٥) «الإشارة» (ص١٥٨).

(٦) «السبل» (٣/ ٣٦٣).

باب ذكر وصوله ـ أي: رسول الله ﷺ ـ إلى قباء

٢٥٦ ـ حَتَّى إِذَا أَتَى إِلَى قُبَاءِ   نَزَلَهَا بِالسَّعْدِ وَالهَنَاءِ
٢٥٧ ـ فِي يَومِ الاثْنَينِ لِثِنْتَيْ عَشْرَهْ   مِنْ شَهْرِ مَولِدٍ فَنِعْمَ الهِجْرَهْ
٢٥٨ ـ أَقَامَ أَرْبعاً لَديهِمْ وَطَلَعْ   فِي يَومِ جُمْعَةٍ فَصَلَّى وَجَمَعْ
٢٥٩ ـ فِي مَسْجِدِ الجُمْعَةِ وَهْيَ أَوَّلُ   مَا جَمَّعَ النَّبِيُّ فِيمَا نَقَلُوا
٢٦٠ ـ وَقِيلَ: بَلْ أَقَامَ أَرْبَعْ عَشْرَهْ   فِيهِم وَهُمْ يَنْتَحِلُونَ ذِكْرَهْ
٢٦١ ـ وَهْوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الشَّيخَانِ   لَكِنَّ مَا مَرَّ مِنَ الإتْيَانِ
٢٦٢ ـ لِمَسْجِدِ الجمعَةِ يومَ جُمْعَةِ   لا يَسْتَقِيمُ مَعْ هَذِي المدَّةِ
٢٦٣ ـ إلّا عَلَى القَوْلِ بِكَونِ القَدْمَةِ   إِلَى قُبَا كَانَتْ بِيَومِ الجمْعَةِ
٢٦٤ ـ بَنَى بِهَا مَسْجِدَهُ وَارْتَحَلا   لِطَيْبَةَ الفَيْحَاءِ طَابَتْ نُزُلا
٢٦٥ ـ فَبَرَكَتْ نَاقَتُهُ المأمُورَهْ   بِمَوضِعِ المسْجِدِ فِي الظَّهِيرَهْ
٢٦٦ ـ فَحَلَّ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَا   حَتَّى ابْنَتَى مَسْجِدَهُ الرَّحِيبَا
٢٦٧ ـ وَحَوْلَهُ مَنَازِلاً لأهْلِهِ   وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ في ظِلِّهِ
٢٦٨ ـ طَابَتْ بِه طَيْبَةُ مِنْ بَعْدِ الرَّدَا   أَشْرَقَ مَا قَد كَانَ أَسْوَدَا
٢٦٩ ـ كَانَتْ لمنْ أَوْبَإِ أَرْضِ اللَّهِ   فَزَالَ دَاؤُهَا بِهَذَا الجَاهِ
٢٧٠ ـ وَنَقَلَ اللَّهُ بِفَضْلِ رَحْمَةِ   مَا كَانَ مِنْ حُمَّى بِهَا للجُحْفَةِ

٢٧١ ـ وَلَيْسَ دَجَّالٌ وَلا طَاعُونُ   يَدْخُلُهَا فَحِرْزُهَا حَصِينُ
٢٧٢ ـ أَقَامَ شَهْراً ثُمَّ بَعْدُ نَزَلَتْ   عَلَيْهِ إِتْمَامُ الصَّلاةِ أُكْمِلَتْ
٢٧٣ ـ أَقَامَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ لِصَفَرْ   يُبنَى لَهُ مَسْجِدُهُ وَالمُسْتَقَرْ
٢٧٤ ـ وَوَادَعَ اليَهُودَ فِي كِتَابِهِ   مَا بَيْنَهُمْ وَبَينَ مَا أَصْحَابِهِ
٢٧٥ ـ وَكَانَ بدء الأمر بالأَذانِ   رُؤْيَا ابْنِ زَيدٍ وَلِعَامٍ ثَانِ
٢٧٦ ـ فَفِيهِ فَرْضُ الصَّومِ وَالزَّكَاةِ   لِلْفِطْرِ وَالعِيدَينِ بِالصَّلاةِ
٢٧٧ ـ بِخُطْبَتَينِ بَعْدُ وَالأُضْحِيَّةُ   كَذَا زَكَاةُ مَالِهِمْ وَالقِبْلَةُ
٢٧٨ ـ لِلْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَالبِنَاءُ   بِعَائِشٍ كَذَاكَ الزَّهْرَاءُ
٢٧٩ ـ وَبَدْرٌ الكُبْرَى وفِي الثَّالِثَةِ   دُخُولُهُ بِحَفْصَةَ القَانِتَةِ
٢٨٠ ـ وَالزَّيْنَبَينِ وَبَنَى ابْنُ عَفَّانْ   بِأمِّ كُلْثُومٍ وَفِيهِ الجَمْعَانْ
٢٨١ ـ التَقَيَا بِأُحُدٍ وَالرَّابِعَهْ   بِيرُ مَعُونَةٍ بِتِلْكَ الفَاجِعَهْ
٢٨٢ ـ وَغَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَجلَوا   ذَاتُ الرِّقَاعِ بَعْدَهَا كَمَا حَكَوا
٢٨٣ ـ وَقَائِلٌ: فِيهَا الصَّلاةُ قُصِرَتْ   وَالخَمْرُ حُرِّمَ أَوْ فَفِي الَّتِي خَلَتْ
٢٨٤ ـ وَقِيلَ: فِيهَا آيَةُ التَّيَمُّمِ   كَذَا صَلاةُ الخوفِ مَعَ خُلْفٍ نُمِي
٢٨٥ ـ وَقِيلَ: فِي الخمْسِ وَفِيهِ نَزَلَتْ   آيُ الحِجَابِ وَالخُسُوفُ صُلِّيتْ
٢٨٦ ـ لِقَمْرٍ وَفِيهِ غَزْوُ الخَنْدَقِ   مَعَ قُرَيظَةٍ مَعَ المصْطَلِقِ
٢٨٧ ـ عَلَى الصَّحِيحِ وَبِهَا جُوَيْرِيَهْ   بَنَى بِهَا وَالإفْكُ أَوْ فِى الآتِيَهْ
٢٨٨ ـ فِي السِّتِّ كَانَتْ عُمْرَةُ الحُدَيْبِيَهْ   وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تِلْكَ الزَاكِيَهْ
٢٨٩ ـ وَفِيهِ فَرْضُ الحجِّ أَوْ مَا خَلَتِ   أَوْ فِي الثَّمَانِ أَو فَفِي التَّاسِعَةِ
٢٩٠ ـ خُلْفٌ وَقِيلَ: كَانَ قَبْلَ الهِجْرَةِ   وُجُوبُهُ حَكَاهُ فِي «النِّهَايَةِ»

٢٩١ ـ وَفِيهِ قَدْ سَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ   وَآيَةُ الظِّهَارِ فِي ابْنِ خَوْلِى
٢٩٢ ـ فِي السَّبْعِ خَيْبَرٌ وَعُمْرَةُ القَضَا   وَقَدِمَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ الرِّضَى
٢٩٣ ـ بَنَى بِهَا وَبَعْدَهَا مَيْمُونَةُ   كَذَاكَ فِيهَا قَبْلَهَا صَفِيَّةُ
٢٩٤ ـ وَفِيهَا مَنْعُ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ   وَمُتْعَةُ النِّسَاءِ ثُمَّ حَلَّتِ
٢٩٥ ـ يَومَ حُنَينٍ ثُمَّ قَدْ حَرَّمَهَا   مُؤَبَّداً لَيْسَ لِذَاكَ انْتِهَا
٢٩٦ ـ وَفِي الثَّمَانِ وَقْعَةٌ بِمُؤتَةِ   وَالفَتْحُ مَعْ حُنَينٍ فِي ذِي السَّنَةِ
٢٩٧ ـ وَأَخْذُ جِزْيَةِ مَجُوسِ هَجَرَا   وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ فِيهَا المِنْبَرَا
٢٩٨ ـ فِي التِّسْعِ غَزْوَةُ تَبُوكٍ بَعْدَ أَنْ   صَلَّى عَلَى أَصْحَمَ غَائِباً فَسَنْ
٢٩٩ ـ وَفِيهِ قَدْ آلَى مِنَ النِّسْوَانِ   شَهْراً وَفِيهِ قِصَّةُ اللِّعَانِ
٣٠٠ ـ وَحَجَّةُ الصِّدِّيقِ ثُمَّ أَرْسَلا   لَهُ عَلِيّاً بَعْدَهُ عَلَى الوَلا
٣٠١ ـ أَنْ لا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلا   يَطُوفَ عُرْيَانٌ كَفِعْلِ الجُهَلا
٣٠٢ ـ وَسُمِّيتْ بِسَنَةِ الوُفُودِ   لِكَثْرَةِ القَادِمِ مِنْ وُفُودِ
٣٠٣ ـ فِي العَشْرِ كَانَتْ حَجَّةُ الوَدَاعِ   لا يُحْصَرُ الوَافُونَ بِاطِّلاعِ
٣٠٤ ـ فَقِيلَ كَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفَا   أَوْ ضِعْفَهَا وَزِدْ عَلَيهِ ضِعْفَا
٣٠٥ ـ وَارْتَدَّ فِيهَا وَادَّعَى النُّبُوَّهْ   الأَسْوَدُ العَنْسِيُّ حِينَ مَوَّهْ
٣٠٦ ـ لِبَعْضِ قَومِهِ بِسَجْعٍ صَنَعَهْ   فَقُتِلَ الشَّقِيُّ مَعْ مَنْ تَبِعَهْ
٣٠٧ ـ فِيمَا يَلِيهَا وَهْيَ إِحْدَى عَشْرَهْ   قَضَى نَبِيُّ اللَّهِ فِيهَا عُمْرَهْ
٣٠٨ ـ عَاشَ ثَلاثاً بَعْدَ سِتِّينَ عَلَى   أَصَحِّهَا وَالخُلْفُ فِي هَذَا خَلا

باب ذكر وصوله ـ أي: رسول الله ﷺ ـ إلى قباء

بضم القاف ويُقصر(١): موضعُ بئرٍ على ثلاثة أميال من المدينة(٢)، ثم وصوله إلى المدينة الشريفة لمَّا سمع المهاجرون والأنصار بقدومه، صاروا يخرجون كل يوم إلى الحرَّة(٣) ينتظرونه إلى قرب الظهر، فانتظروه يوماً كعادتهم، فلمَّا أحرقتهم الشمس رجعوا، فإذا بيهودي يصيح على أُطُم ـ بضمتين ـ أي: حصن بأعلى صوته: يا بني قيلة(٤) [بفتح القاف

---

(١) في حاشية (غ): «ويقصر كذا في القاموس».
قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/ ٣٠١) مادة: (قبا): «قبا بالضم وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار وألفه واو يمد ويقصر ويصرف ولا يصرف قال عياض وأنكر البكري فيه القصر ولم يحك فيه القالي سوى المدة قال الخليل هو مقصور».

(٢) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/ ٣٠٢) مادة: (قبا): «وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة» وذكر ياقوت أكثر من مدينة سميت بقباء فانظره إن أردته.

(٣) الحرة: بالحاء والراء المهملتين، أرض ذات حجارة سود بظاهر المدينة منه.
انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٤٥).

(٤) قَيْلَة ـ بفتح القاف المثناة الفوقية وسكون الياء التحتيّة ـ وهي أمُّ الأوس والخَزرج، وزَوجُها الحارثة والد الأوس والخزرج، وهما ابناها، وهي بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقيًّا بن عامر ماء السماء، قال ابن ناصر الدّين: ويقال: قَيْلَةُ بنت كاهل بن عُذرة من قضاعة؛ ذكره ابن الكلبي، وقال: النُّسّاب يقولون: هي عُذريّة انتهى. «جمهرة النسب الكبير» (٢/ ٨)، «توضيح المشتبه» (٧/ ١٤٣، ط: مؤسسة الرسالة).
وانظر: «سيرة ابن هشام» في فصل نسب قيلة (١/ ٢٣٢).

وسكون المثناة التحتية]؛ أي: الأوس والخزرج، هذا صاحبكم، فلبسوا(١) السَّلاح وخرجوا، فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه الثلاثة، فسُمعت الوجبة(٢) في بني عمرو بن عوف والتكبير، **[﴿٢٥٦﴾] حتى إذا أتى** رسول الله ﷺ، فوصل **إلى** موضع **قباء**.

قال ابن حجر(٣): والأكثر على أنَّه قَدِمَها نهاراً.

ووقع في رواية لمسلم: ليلاً(٤)، وجمع بأن القدوم كان آخر الليل وأول النهار، انتهى.

وفيه نظر.

وحينئذٍ نزلها **بالسعد والهناء**(٥)؛ أي: بلا تعب ولا نكد وكان نزوله بها **[﴿٢٥٧﴾] في يوم الاثنين لثنتي عشره ليلة خلت من شهر مولد**؛ أي: مولده، وهو ربيع الأول. وهذا ما رواه ابن سعد(٦)، وجزم به النووي في «الرّوضة»(٧) في السِّيَر.

---

(١) يعني: تأهبوا، وتقلَّدوا سيوفهم ودروعَهم.

(٢) في الحاشية: «الوجبة»، بالجيم وبموحدة تحتية بعدها: الأصوات كما في «القاموس».
انظر: «النهاية في غريب الحديث» لأبي السعادات (٥/ ٢١٤).

(٣) في «فتح الباري» (٧/ ٢٤٤): «وهو الصحيح؛ لأنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان يظلّله من حَرِّ الشّمس بردائه».

(٤) «صحيح مسلم» (٢٠٠٩).

(٥) ذكر ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٢٤٤) هذه الاختلافات في موعد وصول النبي ﷺ.

(٦) في «الطبقات» (١/ ٢٣٣) وفيه قولان: «فلما كان اليوم الذي قَدِمَ فيه رسولُ الله ﷺ، وهو يوم الاثنين لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا من شهر ربيع الأول، ويقال: لِاثْنَتَيْ عشرةَ ليلةً خَلَتْ من شهر ربيع الأول».

(٧) «روضة الطالبين وعمدة المفتين» (١٠/ ٢٠٥).

وقيل: لليلتين خلتا منه، وهو ما في رواية ابن إسحاق(١).

وقيل: لأوَّل ليلة، وعليه الزّهري(٢).

وقيل: لثلاث عشرة خلت منه، وهي ما في «شرف المصطفى»(٣).

وقيل: يوم الجمعة لثنتي عشرة خلت منه.

وقيل: للثلاثين منه. ذكره الكلبي(٤).

وفي رواية للبيهقي: اثنين وعشرين منه.

وعند ابن حزم(٥): ثامنه.

وقيل: ثامن عشرة(٦)، والمعوَّل على [القول] الأوَّل، وأمَّا الجمع بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال فلا يخفى فساده(٧).

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٧).

(٢) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٢٤٤): «وشَذَّ من قال يوم الجمعة في رواية موسى بن عُقْبَة عن ابن شهاب: قَدِمَهَا لهلالِ ربيع الأول؛ أي: أَوَّلَ يوم منه».

(٣) «شرف المصطفى ﷺ» للخركوشي النيسابوري (٢/ ٣٦٧). (١١٨) باب: ذكر مقدم النبي ﷺ قباء، وبناء المسجد، وفيه: أنه ﷺ دخل قباء يومَ الاثنين. وذكره نقلاً عن الصالحي في السبل (٣/ ٣٧٧).

(٤) لم يذكر ابن حجر في «الفتح» هذا القول عن الكلبي بل قال: «وهذا يوافقُ قولَ هشام بن الكلبي إنه خرج من الغار ليلة الاثنين، أولَ يوم من ربيع الأول، فَإِنْ كان محفوظاً فلعلَّ قُدُومَهُ قُبَاءَ كان يوم الاثنين ثامن ربيع الأول، وإذا ضُمَّ إلى قول أَنَسٍ: إِنَّهُ أَقَامَ بِقُبَاءَ أربع عشرة ليلة؛ خَرَجَ منهُ أَنَّ دخولَهُ المدينةَ كان لاثنين وعشرين منه، لَكِنِ الْكَلْبِيُّ جَزَمَ بِأَنَّهُ دَخَلَهَا لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ منه، فعلى قوله تكونُ إقامتُه بقباء أربعَ لَيَالٍ فقط».

(٥) «جوامع السيرة» (٣٧) بلا سند.

(٦) «جامع الآثار في سيرة المختار» لابن ناصر الدّين (٤/ ٥٢٠ المحققة).

(٧) لعدم الضّابط.

فنعم الهجره التي هاجرها. وهذا حشو(١).

ثم أتاه المسلمون للسَّلام وهو جالس في ظلِّ نخلة، وقام أبو بكر للنّاس فظنّوه هو؛ لكونه أسرع إليه الشّيب مع أنَّه أصغر من المصطفى ﷺ بنحو سنتين حتى أصابته الشَّمس، فقام أبو بكر يظلِّله بردائه فعرفوه(٢)، وجعل النساء والصّبيان يقولون(٣):

أقبل البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا للَّه داع(٤)

فنزل المصطفى ﷺ على كلثوم بن هدم ـ بسكون المهملة ـ قيل: وكان يومئذٍ كافراً، وقيل: على سعد بن خيثمة، وجمع بينهما: بأنَّه كان إذا خرج من بيت كلثوم جلس في بيت سعد؛ لأنَّه كان عزباً وكان يقال لبيته: بيت العُزّاب، وكان منزل المهاجرين منهم(٥).

ونزل أبو بكر على حبيب(٦) بن أساف بالسُّنح ـ بمهملة مضمومة فنون فمهملة ـ موضع قرب المدينة(٧).

---

(١) الحَشو ـ وسمّاه قوم «الاتكاء» ـ: وذلك أن يكون في داخل البيت من الشِّعر لفظ لا يفيد معنى، وإنما أدخله الشاعر؛ لإقامة الوزن، فإن كان ذاك في القافية فهو استدعاء، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه. انظر: «العمدة» لابن رشيق القيرواني (٢/ ٦٩ ت: محمد محيي الدين عبد الحميد).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٧)، و«السبل» (٣/ ٣٧٧/ ٣٧٨).

(٣) قوله: «وجعل النساء والصبيان يقولون» مثبتٌ من (ف)، وفي بقية النسخ: «وجعل الصبيان والنساء يقُلْن».

(٤) الصّحيح أن هذا النشيد قيل في عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك. انظر: «العجالة السنيّة» (ص١٨٦) بتحقيقي.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٨)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩).

(٦) في حاشية (غ): «حبيب بالحاء المهملة (منه)».

(٧) قوله: «بمهملة مضمومة فنون فمهملة، موضع قرب المدينة» غير واضح في =

وقيل: على خارجة بن زيد، ثم أمر المصطفى ﷺ بالتَّاريخ فكُتِبَ من حين الهجرة(١).

و[﴿٢٥٨﴾] **أقام المصطفى**(٢) ﷺ **بقباء في بني عمرو بن عوف**(٣).

أربعاً لديهم ـ بسكون الميم ـ أي: عندهم: الإثنين(٤) والثلاثاء والاربعاء والخميس على ما قاله الناظم، وأسَّس المسجد الذي أُسِّس على التّقوى.

وطلع من بين أظهرهم **في يوم جمعة**، فركب راحلته ومشوا حولها، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمامها شُحّاً على كرامته.

فأدركته الصلاة في بني سالم بن عوف، **فصلَّى وجَمَّعَ** بمن كان معه من المسلمين، وهم مئة [﴿٢٥٩﴾] **في مسجد الجمعة** الذي في بطن وادي(٥) رانونا(٦) ـ بفتح المهملة وبعد الألف نون مضمومة وبعد

= (غ)، وسقطتْ لفظة «فنون» من (ف).

قال ياقوت في «معجم البلدان» (٣/ ٢٥٦): «سنح بضم أوله وسكون ثانيه وآخره حاء مهملة». وقال أيضا: «وهي إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق ﷺ حين تزوج مليكة وقيل حبيبة بنت خارجة بن زيد بن زهير بن مالك ابن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج من الأنصار وهي في طرف من أطراف المدينة».

(١) انظر: «تاريخ الطبري» في ذكر الوقت الذي عمل فيه التاريخ (٢/ ٣٨٨)، «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٨)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٨٩).

(٢) ليست في (ف).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٨)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٨٩).

(٤) من أول: «أربعاً لديهم» إلى هنا مثبتٌ مِن (ف)، وفي (غ، م): «أربعاً لديهم؛ أي: عند عمرو بن عوف: الإثنين»، وفي (ك، ج): «أربعاً لديهم؛ أي: عند بني عمرو بن عوف: الإثنين».

(٥) ليست في (غ) وهي في (ف، م، ج، ك).

(٦) وادي رانونَاء: بين قباء والمسجد النبوي الشريف «معجم معالم الحجاز» (٤/ ١٤). =

الواو نون مفتوحة وألف مقصورة ـ ولذلك سُمِّي مسجد الجمعة، وهو مسجد صغير مبنيٌّ بحجارةٍ قدر نصف القامة، وهو على يمين السالك إلى مسجد قباء(١)، والجمعة اسم إسلامي لم يكن في الجاهلية، وإنَّما كانوا يسمُّونه يوم العروبة(٢).

وهي أوّل ما جمّع ـ بالتشديد ـ **النبي ﷺ**؛ أي: أوّل جمعة صلّاها رسول الله ﷺ في الإسلام وخطب لهم، وهي أول خطبةٍ خطبها، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال(٣): «**أمّا بعد: أيّها الناس قدِّموا لأنفسكم تعلمن والله ليضعفن أحدكم، ثم ليدعنّ غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له**

= وقال المجد الفيروزآبادي في «المغانم المطابة» (٢/ ٨٠٣): «رانونَاء: ـ بنونين؛ ممدودة ـ مثال عاشوراء، وتاسوعاء».
قال ابن إسحاق في «السيرة (٢/ ١٣٩/ ابن هشام): لما قدم النَّبيُّ ﷺ أقام بـ «قباء» أربعة أيام، وأسَّس مسجده على التقوى، وخرج منها يوم الجمعة، فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، وصلّاها في المسجد الذي في بطن الوادي ـ وادي رانوناء ـ فكانت أوّل جمعة صلّاها بالمدينة.
قال الحموي في «معجم البلدان» (٣/ ١٩): «رانوناء بعد الألف نون وواو ساكنة ونون أخرى وهو ممدود قال ابن إسحاق في السيرة: لما قدم النبي ﷺ المدينة أقام بقباء أربعة أيام، وأسس مسجده على التقوى، وخرج منها يوم الجمعة، فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف وصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانوناء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، وهذا لم أجده في غير كتاب ابن إسحاق الذي لخصه ابن هشام، وكل يقول صلى بهم في بطن الوادي في بني سالم، ورانوناء بوزن عاشوراء وخابوراء».

(١) انظر: «على طريق الهجرة» للبلاذي (ص١١٤).

(٢) قال القائل:

أؤمّل أن أعيش وإن يومي بأهون أو بأول أو جبار
أو التالي دبار فإن أفته فمؤنس أو عروبة أو شيار

«فضائل الشهور والأيام» لابن الرسَّام الحمويّ (١/ ٦/ ظ).

(٣) الخطبة بأكملها في «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٩٤).

ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلَّغك وآتيتك مالاً، وأفضلت عليك، فما قدّمت لنفسك، فينظر يميناً وشمالاً، فلا يرى شيئاً ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنَّم، فمن استطاعَ أن يقي وجهه النار ولو بشقٍّ تمرةٍ فليفعل، فمن لم يجد فبكلمة طيبة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»(١).

واعلم أنَّ الصحب(٢) صلّوا الجمعة بالمدينة قبل هجرة المصطفى(٣) ﷺ(٤).

قيل: بإذنه لما رواه الدّارقطني(٥) بإسنادٍ ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المصطفى ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير: **«أمّا بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزَّبور لسَبْتِهِمْ، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقرَّبوا إلى الله بركعتين»**(٦).

وقيل: بل صلّاها الصّحب باجتهادهم لمَّا رواه عبد الرزاق(٧) بسندٍ

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ١١٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٢٤) وسنده ضعيف.

(٢) في (ك): «الصحابة» والمقصود الصحابة رضي الله عنهم.

(٣) ليست في (ك) ومكانها: «المدينة».

(٤) لما رواه ابن أبي شيبة (٣٧٠٥٩) عن جابر قال: «لَقَدْ لَبِثْنَا بِالْمَدِينَةِ سَنَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ نَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ وَنُقِيمُ الصَّلَاةَ».

(٥) قوله: «قيل: بإذنه لما رواه الدارقطني» غير واضحة في (غ).

(٦) انظر: بالتفصيل «جامع الآثار» لابن ناصر (٦/ ٦٨٠/ المحققة).

(٧) في «المصنّف» لعبد الرزاق (٣/ ١٥٩، ت: الأعظمي) وسنده صحيح، لكن يحمل هذا على خطبة أو نحوه بكيفيّة وأحكام غير الموجودة الآن.
وقدْ ورد عن عبد الرحمٰن بن كعب رضي الله عنه ـ يعني: ابن مالك ـ قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره فإذا خرج إلى الجمعة فسمع الأذان صلَّى على أبي أمامة أسعد بن زرارة واستغفر له؛ يعني: فلبث كثيراً لا يسمع أذان الجمعة إلّا فعل =

صحيح(١) عن ابن سيرين: جمَّع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ، وقبل أن تنزل الجمعة، فقال الأنصار: إنَّ لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيَّام، وللنّصارى مثله، فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي ونشكره، فجعلوه يوم العروبة(٢)، واجتمعوا إلى أسعد بن زُرارة فصلى بهم يومئذ ثم نزل: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ الآية [الجمعة: ٩].

فهذا يدلُّ على أنَّهم جمعوا باجتهادهم، لكن لا يمنع منه كون المصطفى ﷺ علمه بالوحي وهو بمكة، فلم يتمكّن من إقامتها، [وحكمة اختيارهم الجمعة: وقوع خلق آدم فيه، والإنسان إنَّما خلق للعبادة، فناسب الاشتغال بها فيه، ولأنَّ الله تعالى أكمل فيه الموجودات، وأوجد فيه الإنسان الكامل والأشياء التي ينتفع بها، فناسب شكره على ذلك بالتعبد فيه](٣).

ثم ما ذكر من أنَّه أقام في بني عوف أربعة أيام **فيما نقلوا**؛ أي: أهل السير عن بعض السلف(٤)، [﴿٢٦٠﴾] **وقيل: بل أقام أربع عشرة ليلة فيهم وهم**؛ أي: أهل العلم في الأخبار والسير، **ينتحلون** بالحاء

= ذلك، فقلت له: يا أبت! أرأيت استغفارك لأبي أمامة كلّما سمعت الأذان للجمعة، ما هو؟ قال: أي: بني! كان أوّل من جمّع بنا في هزم من حرة بني بياض، يقال له: نقيع الخضمات، قال: قلت: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: أربعون رجلاً.

رواه أبو داود (١٠٦٩)، وابن ماجه (١٠٨٢). وقال الحافظ المنذري: «وأخرجه ابن ماجه، وفي إسناده محمد بن إسحاق، وفيه مقال».

(١) في النسخة (م) و(ج) و(ك): «ضعيف».

(٢) في «المصنّف» (٣/ ١٥٩): «وكانوا يُسَمُّونَ يومَ الجمعةِ: يومَ الْعُرُوبَةِ».

(٣) من قوله: «وحكمة اختيارهم» إلى هنا زيادة من (ك) وباقي النسخ.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٩).

[مهملة] **ذكره**؛ أي: يجتمعون إلى هذا القول [ويميلون إليه].

[﴿٢٦١﴾] **وهو** المعوَّل [عليه] **الذي أخرجه الشيخان** البخاري ومسلم، من حديث أنس(١).

لكنَّ بتشديد النون لضرورة النَّظم، يعارضه **ما مرَّ في** أوَّل الباب **من** كون **الإتيان** [﴿٢٦٢﴾] **لمسجد الجمعة**، إنَّما كان **يوم جمعة** فإنَّه **لا يستقيم** حسابه **مع** القول بأنَّه أقام في بني عمرو بن عوف **هذى المدَّة** التي هي أربع عشرة ليلة، [﴿٢٦٣﴾] **إلا على القول** الآخر في تاريخ قدومه، **بكون القَدْمة** ـ بفتح القاف وسكون الدال، مصدر(٢) قدم ـ من سفره التي قدمها **إلى قبا** ـ بالقصر للوزن ـ، **كانت بيوم الجمعة** بزيادة الباء لا الاثنين، والمشهور عند أرباب المغازي، **أنَّه** أقام **أربعاً** كما مرَّ.

وجزم ابن حزم(٣) بأنَّه خرج من مكة لثلاث بقين من صفر، وهو موافق لقول الكلبي(٤): أنَّه خرج من الغار ليلة الاثنين أول يوم من ربيع الأول، وإذا ضُمَّ هذا إلى ما رواه الشيخان(٥) عن أنس: أنَّه أقام بقبا أربع عشرة ليلة أنتج(٦) أن دخوله المدينة كان لاثنين وعشرين منه.

لكن النووي جزم بأنَّه دخلها لاثنتي عشرة خلت منه، فعليه تكون إقامته أربع ليال فقط، وبه جزم ابن حبَّان، فإنَّه قال: أقام بها الثلاثاء،

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٩٣٢)، ومسلم (٩/ ٥٢٤).

(٢) القَدْمَة ـ بفتح القاف المثناة الفوقيّة وسكون الدّال المهملة وفتح الميم ـ: اسم مرّة من «قَدِمَ» يقدم.

(٣) انظر: «جوامع السيرة» (٦٥).

(٤) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٢٤٤) منسوباً للكلبي.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٩٣٢). وانظر: «عيون الأثر» (١/ ٣١٣).

(٦) كذا في (غ) وفي باقي النسخ: «خرج منه».

والأربعاء، والخميس وخرج يوم الجمعة، فلم يعتدّ بيوم الخروج، وقيل: بل أقام في بني عوف اثنين وعشرين يوماً حكاه الزبير بن بكار عن بعضهم(١).

وأخرج البيهقي(٢) عن أُبي بن كعب لمَّا قدم المصطفى ﷺ وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار، فرمتهم العرب عن قوسٍ واحدة، فكانوا لا يبيتون ولا يصبحون إلّا بالسلاح، قالوا: ترون أنّا نعيش حتى نبيت آمنين، لا نخاف إلا الله، فنزل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٥٥].

و[﴿٢٦٤﴾] **بنى بها** رسول الله ﷺ؛ أي: أسس بقبا(٣) **مسجده**، وكان أرضه مربداً(٤) لكلثوم بن الهدم، وهو المسجد الذي أُسس على التقوى على الأصحِّ(٥)، وأوّل مسجد بني في الإسلام [لعامة المسلمين]،

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢٤٤).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٠٢٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (٢٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٠١)، وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٦) في جماع أبواب مغازي رسول الله بنفسه وبسراياه، والضياء المقدسي في «المختارة» (٣/ ٣٥٢، ٣٥٣، / ١١٤٥)، والدينوري في «المجالسة» (٤/ ٣٨٨/ ١٥٧٤)، وسنده حسن.
وانظر: «التماس السعد في الوفاء بالوعد» للسخاوي (٣٤).

(٣) قُبَاء ـ بضم القاف المثناة وفتح الباء والموحدة، وألف مقصورة أو ممدودة ـ: قرية كبيرة على ميلين من المدينة. انظر: «تقويم البلدان» (٨١، ٢٠٥)، و«المسالك والممالك» لابن خردازبة (٣٠)، و«البلدان» لليعقوبي (٣١٣)، و«أحسن التقاسيم» (٢٧٢)، و«معجم ما استعجم» (٢/ ١٠٤٥)، و«نزهة المشتاق» (١/ ١٤٣)، و«معجم البلدان» (٤/ ٣٠١).

(٤) كتب في حاشية (غ): المربد الموضع الذي يجفّف فيه التّمر، وهو بالموحّدة التّحتيَّة بعد الرّاء وقبل الدَّال.

(٥) المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجده ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري أنه =

وأوّل مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهراً، وأوّل مسجد بنى بجماعة المسلمين عامة، وإن كان تقدّم بناء غيره من المساجد لكن بخصوصيَّة بانيه، ثم لحقه علي ونزل معه على كلثوم وكان تأخر بعده بمكة ثلاث ليال، لرد الودائع التي عند المصطفى ﷺ لأهلها.

وارتحلا بألف الإطلاق بعد صلاته الجمعة **لطيبة** وهي اسم للمدينة الشريفة، سُمِّيت به لطيبها لساكنها والمهاجر إليها، وحسن المعيش فيها، أو لتطهيرها من الشرك(١)، ووصفها بقوله: **الفيحاء** ـ بالفاء ـ، من فاح الطّيب إذا تفوح، وقوله: **طابت نزلا** كمَّل به الوزن.

والنُّزل بضمتين ما يُهيَّأُ للضيف قبل نزوله(٢).

قالوا: لمَّا أراد دخول المدينة، أرسل إلى بني النجار وكانوا أخواله؛ لأنَّ أمّ عبد المطلب منهم، فجاؤوا متقلدين(٣) بالسيوف، فقالوا: اركب آمناً مطاعاً، فركب يوم الجمعة والنّاس عن يمينه وشماله وخلفه، ركباناً ومشاة، فاجتمع بنو عمرو بن عوف، فقالوا: أخرجت ملالاً أم تريد داراً خيراً من دارنا؟ فقال: «**إنّي أمرت بقريةٍ تأكل القرى، فخلّوها ـ يعني: ناقته ـ فإنَّها مأمورة**»(٤)، فسار فتلقّاه

= قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أوّل يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**هو مسجدي هذا**».

رواه مسلم في «صحيحه» (١٣٩٨)، والترمذي في «جامعه» (٣٠٩٩).

(١) قال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٤٤٧): «وقد سَمَّى النبيُّ ﷺ المدينةَ طَيِّبَةَ فدلَّ على أَنَّ السَّبِخَةَ داخلةٌ في الطَّيِّبِ».

(٢) في «النهاية» (٥/ ٤٢) النزل قرى الضيف، ونزل الشهداء ما أعد لهم من الأجر والثواب.

(٣) متقلّدين: حاملين.

(٤) «سيرة ابن هشام» (١/ ١٤٠، ١٤١). أمّا الحديث: «أمرت بقرية تأكل القرى»، =

الناس، فلم يمر بدار من دور الأنصار، إلا قالوا: [يا رسول الله] هلم إلى المنعة والثروة، فيقول لهم خيراً ويدعو، ثم أخذ عن يمين الطريق، فأراد أن ينزل على عبد الله بن أُبي، وهو يومئذٍ سيّد الخزرج، فقال: اذهب إلى الذين دعوك فانزل عليهم، فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله! لا تجد في نفسك منه، فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه عليها، لكن هذه داري. ذكره ابن عقبة ورزين(١)، واعترض بأنّ سعداً ذكر ذلك في قصة عيادته لابن أُبي في مرضه، وأجيب باحتمال التعدد.

فسار فأتاه عتبان بن مالك في رجال من بني سالم، فأخذوا بخطام ناقته، فقالوا: أقم عندنا في العدد والعُدَّة والمنعة فقال: «**خلّوا سبيلها فإنَّها مأمورة**»، فخلّوها، حتى إذا مرَّت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة في رجالٍ فقالوا: كالأول، وأعاد مثله، حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة في رجال، فقالوا مثله وأعاد مثله، حتى إذا مرَّت بدار عدي بن النجّار أخواله، اعترضه سليط بن قيس في رجال،

= فرواه أحمد (٧٢٣٢)، والبخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢).

قال ابن حبان (٣٧٢٣): «قوله ﷺ: (أُمِرْتُ بقريةٍ تأكل القُرَى) لفظه تمثيل، مرادها: «أن الإسلام يكون ابتداؤه من المدينة ثم يغلب على سائر القرى، ويعلو على سائر الملك، فكأنّها قد أتت عليها، لا أن المدينة تأكل القرى».

وقال البغوي في «شرح السنة» (٧/ ٣٢٠، ت: شعيب). قوله: «تأكل القرى»؛ أي: يجلب إليها طعام القرى، فهي تأكلها، وأراد ما يحصل من الفتوح على أيديهم، ويصيبون من الغنائم، وأضاف الأكل إلى القرية، والمراد أهلها، كما قال تعالى: ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أضاف الأكل إلى السنين، والمراد أهل زمانها.

(١) من قوله: «لكن هذه داري» إلى هنا غير واضحة في (غ).

فقالوا: هلم إلى أخوالك إلى العدّة والعدد والمنعة، فقال: «**خلوا سبيلها فإنَّها مأمورة**»، وقد أرخى زمامها، وهي تنظر يميناً وشمالاً، حتى إذا دانت دار بني مالك بن النجار.

[﴿**٣٦٥**﴾] **فبركت به ناقته** العَضْباء(١)، وتُسمَّى أيضاً القصوا كما يأتي في ذكر لقاحه.

المأمورة؛ أي: التي أمرها الله تعالى أن تبرك، فبركت به على باب أبي أيوب، **بموضع المسجد**؛ أي: في موضع مسجده ﷺ وهو يومئذ مِرْبَد(٢) لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار، في حجر أسعد بن زُرارة أو معاذ بن عفراء سهل وسهيل ابني عمرو كما يأتي(٣).

فلمَّا بركت لم ينزل فوثبت فسارت غير بعيد، ثم التفتت خلفها، فعادت لمبركها الأوّل، فبركت فيه ثم تجلجلت(٤) ـ بجيمين ـ أي: تحرّكت، ووضعت جرانها ـ بكسر الجيم ونون ـ باطن عنقها، أو مقدِّمه من المذبح فنزل عنها، وقال: «**هذا المنزل إن شاء الله اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً**»(٥).

و[كان] ذلك **في وقت الظهيره**؛ أي: الهاجرة(٦) وهي حد(٧)

---

(١) في حاشية (غ): «العضباء بالعين المهملة والضاد المعجمة».

(٢) بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة آخرها دال مهملة ـ وهو موقف الإبل ـ «المصباح المنير» (١/ ٢٥٥) مادة: (رَبَدَ).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٩٦)، «البداية والنهاية» (٤/ ٤٩١).

(٤) في «عيون الأثر» (١/ ٣١٤) تحلحلت ـ بحاءين مهملتين ـ وهما بمعنى واحد.

(٥) «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٣٨٩).

(٦) الهاجرة والهجير: شدّة الحَرّ؛ لأنَّ النّاس تهجر المشي فيه غالباً.

(٧) في (ك): «حين».

انتصاف النهار، وإنَّما [كان] ذلك في القيظ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد من بني النجار رحْله فوضعه في بيته، وأدخل ناقته داره ومعه زيد بن حارثة، فأقره المصطفى ﷺ على ذلك لكونه من أخوال عبد المطلب جده كما مرَّ.

وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار، فتبادر غير أبي أيوب من القوم إليه، وسألوه النزول عليهم، فقال: «**المرء مع رحله**»(١) [فمضت مثلاً].

[﴿٢٦٦﴾] **فحلَّ**؛ أي: نزل واستقرَّ، وسكن **في دار أبي أيوبا** بألف الإطلاق(٢)، ففرح أهل المدينة بقدومه وأشرقت طيبة بحلوله، وسرى السرور إلى القلوب، قال أنس: لمَّا كان اليوم الذي قدم فيه المدينة أضاء منها كل شيء(٣)، وخرجت ذوات الخدور والصّبيان والولائد يقولون(٤):

طَلَعَ البَدرُ عَلَينَا مِنْ ثَنِيَّاتِ(٥) الوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكر عَلَينَا مَا دَعَا للَّهِ دَاعِ

---

(١) في «عيون الأثر» (١/ ٣١٤)، «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٣٩٠): المرء مع رحله حيث كان، وقد رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٣٧).

(٢) الإطلاق: إشباع حركة الروي في القافية أو الفاصلة، فالضّمّة تصبح واواً، والفتح تصبح ألفاً، والكسرة تصبح ياءً. «المعجم المفصل» (١/ ١٠٧).

(٣) رواه أحمد (١٣٨٣٠)، وابن ماجه (١٦٣١)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٠٧) بلفظ قريب.

(٤) قوله: «وخرجت ذوات الخدور» إلى هنا: مثبتٌ من (ف)، وفي (غ): «يقلن» مكان «يقولون» والباقي نحوه، وفي (ك، م): «وخرجت ذوات الخدور وجعل النساء والصبيان والولائد يقلن» وفي (ج): «وخرجتْ ذوات الخدور وجعل النسوان والصبيان يقلن».

(٥) في (غ) حاشية مقطوعة غير واضحة.

رواه الحاكم(١) ورَزِينٌ(٢)، وزاد رزين:

أيُّهَا المبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالأَمْرِ المطَاعِ

وجعل نسوة من بني النجار يضربن بالدّفوف، ويقلن:

نَحْنُ جَوَارٍ(٣) مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ
[فَمَرْحَباً يَا لنَبِي المخْتَار وَمَرْحَباً بسَيِّد الأَبْرَارِ]

فقال المصطفى(٤) ﷺ: «**أتحبُّونني**»؟ قلن: إي والله، فقال: «**والله وأنا أحبكن**»(٥) ثلاثاً.

وفي رواية الطّبراني في «الصغير»: «**والله يعلم أني أحبكم**»(٦).

وتفرَّق الغلمان، والخدم في الطريق ينادون: جاء محمد جاء رسول الله.

---

(١) في «المستدرك» (٣/١٣) وفيه: «عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لَمَّا وَرَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لانظر: ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَتَكَلَّمُ أَنْ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**». هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخَرِّجَاهُ».اهـ.

(٢) في «تجريد الصحاح» (١/١١٣/ب)، والصحيح أنها قيلت في العودة من تبوك.

(٣) جمع جارية.

(٤) في (ك): «لهم رسول الله».

(٥) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/٥٠٨) ولفظه: «فقال النبي الله يعلم أن قلبي يحبكن». وفي «سنن ابن ماجه» (١٨٩٩) في حديث أنس رضي الله عنه: «**اللهُ يَعْلَمُ إِنِّي لأُحِبُّكُنَّ**».

(٦) رواه الطبراني في «الصغير» (٧٨) بلفظ: فقال النبي ﷺ: «يعلم أن قلبي يحبكم».

قال زيد بن ثابت(١): وأول هدية دخلت بها أنا(٢): قصعة مثرود فيها خبز وسمن ولبن، فقلت: أرسلت بها أمي، فقال: «**بارك الله فيك**»، ودعا بصحبه، فأكلوا، فلم أرم الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة بزبد وعُراق(٣)، وما كان من ليلة إلا وعلى باب المصطفى ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون طعاماً كثيراً يتبادرون به إليه ويستبقون عليه.

ولمَّا نزل في دار أبي أيوب نزل في السُّفل وأبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله، فتنحَّوا فباتوا في جانب، ثم قال للمصطفى: لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبداً، فتحوَّل في العلو ونزل أبو أيوب إلى السفل، ثم صار سعد بن عبادة يرسل إليه كل يوم قصعة، وكان أبو أيوب يصنع للنبي ﷺ طعاماً، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتبعه، فصنع له طعاماً فيه ثوم، فلمَّا رده سأل عن موضع أصابعه، فقيل: لم يأكل ففزع! فصعد إليه، فقال: أحرام؟ قال: لا ولكني أكرهه، قال: فإنِّي أكره ما كرهت(٤).

---

(١) «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٣٧) بلفظ: «قال زَيْدُ بنُ ثابتٍ: فَأَوَّلُ هديَّةٍ دَخَلَتْ على رسولِ الله ﷺ في منزل أبي أيوب هديةٌ دَخَلْتُ بها: إِنَاءُ قَصْعَةٌ مَثْرُودَةٌ، فيها خبزٌ وسمنٌ ولبنٌ، فقلتُ: أَرْسَلَتْ بهذه الْقَصْعَةِ أُمِّي، فقال: «بَارَكَ اللهُ فِيكَ» ودعا أصحابَهُ فأكلوا فلم أَرِمِ البابَ حتى جاءتْ قَصْعَةُ سعْدِ بن عُبَادَةَ: ثَرِيدٌ وَعِرَاقٌ، وما كان من ليلةٍ إِلَّا وعلى باب رسولِ اللهِ ﷺ الثلاثةُ والأربعةُ يَحْمِلُونَ الطعامَ يِتَنَاوَبُونَ ذلك حتى تَحَوَّلَ رسول الله ﷺ مِنْ منزلِ أبي أيوبَ، وكان مُقَامُهُ فيه سبعةَ أشهرٍ».

(٢) في (غ): «أنا بها».

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٣٧)، وسنده صحيح، وانظر: «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٣٩٢).

(٤) رواه أحمد (٢٠٨٨٨، ٢٠٨٨٩، ٢٠٩٩٠)، ومسلم (٢٠٥٣)، والترمذي (١٨٠٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٠٩) واللفظ له.

ولم يزل مقيماً بدار أبي أيوب **حتى ابتنى مسجده الرحيبا بألف** الإطلاق(١)؛ أي: الواسع بعد شرائه أرضه من قيم مالكيه، وذلك أنَّه سأل عن المربد لمن هو؟ فقال سعد أو معاذ بن عفراء: لسهل وسهيل ابني عمرو يتيمان لي وأرضيهما فيه، فقال: «**يا بني النجار ثامنوني(٢) بحائطكم**»، فقالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فأبى وابتاعه(٣) بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر أن يعطيهما، ثم أمر بالنخل الذي فيه والغرقد فقطع، وباللبن فضرب، وكان فيه قبور جاهلية فنُبشت وغيبت العظام وسويت الحفر، وأسس المسجد، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مئة ذراع، وفي ذينك الجانبين مثل ذلك، فهو مربع وقيل: كان أقلّ من مئة، وجعل الأساس نحو ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم بنوه باللبن، وجعل رسول الله ﷺ ينقل الحجر واللبن معهم [بنفسه](٤)، ويقول:

«اللَّهمَّ لا عيشَ إلَّا عيشُ الآخِرةِ فَاغْفِرْ للأَنْصَارِ وَالمهَاجرة»(٥)

ويقول:

«هَذَا الحمالُ لا حِمَالُ خَيْبر هَــذَا أبــرُّ بــنَــا وَأَطْــهَــرُ»(٦)

---

(١) مراعاة للوزن والقافية، وسبق تعريف ألف الإطلاق.

(٢) يعني: أشرية بثمنه. (٣) في (غ): «وابتاعهما».

(٤) زيادة من (ك)، وهي في (غ)، وقد ضرب عليها.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٨٣٤) حديث (٣٩٣٢).
وفي «البداية والنهاية» (٤/ ٥٣٤) ذكر ابن كثير الخبر دون اسم المسجد.
«المنتظم» لابن الجوزي (٣/ ٦٨).
وقال الأجهوري: «وعن الزّهري أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا خير إلّا خير الآخرة فارحم المهاجرين والأنصار**»، وكان لا يقيم الشعر. فقد بان بهذا أنّ قول الشارح أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول... فذكره. ليس بحسن». اهـ.

(٦) «البداية والنهاية» (٤/ ٤٦٤)، «المنتظم» لابن الجوزي (٣/ ٦٨).

وقوله: الحمال ـ بكسر المهملة ـ أي: المحمول من اللبن، أبر عند الله مما يحمل من خيبر من نحو تمر وزبيب، وقال قائل:

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلْ لَذَاكَ مِنَّا عَمَلٌ مُضَلَّلْ[1]

وقال عمار بن ياسر: قتلوني يا رسول الله! حملوني فوق ما يحملون، فقال: «**إنّما تقتلك الفئة الباغية**»[2]، فقتله أصحاب معاوية بصفين.

وجعل قبلته لبيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باباً في مؤخره، وباباً يقال له: باب الرحمة، وهو الذي يُسمَّى باب عاتكة، والباب الثالث الذي يدخل منه المصطفى ﷺ، وهو الذي يلي آل عثمان،

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٢٤٧).

(٢) رواه أحمد (٢١٨٧٣) (٢٢٦١٠)، ومسلم (٢٩١٦)، وفي رواية لأبي سعيد الخدري ﷺ قال: «كنا نحمل لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فجعل ينفض التراب عن رأسه ويقول: يا عمار، ألا تحمل ما يحمل أصحابك؟ قال: إني أريد الأجر من الله، فجعل ينفض التراب عنه، ويقول: ويح عمار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، فقال عمار: أعوذ بالله من الفتن». أخرجه أحمد (٣/ ٩١، ٩٠)، والبخاري (٤٤٧، ٢٨١٢)، ومسلم (٢٩١٥)، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٥٢) بلفظ: «**وَيْحَكَ ابْنَ سُمَيَّةَ! تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**».

تنبيه: يُحْذَر من الخوض فيما شجر بين الصحابة من خلافٍ؛ إلا على سبيل التماس العذر في الاجتهاد والتأويل، وإيجاد المخارج والحمل على أجمل المحامل؛ لأنَّهم خير الناس وأحسنهم بعد رسول الله ﷺ، وإن خاض جاهل أو رافضي أو علماني أو ملحد فيما شجر بينهم، قصداً للتنقص أو ذريعة للعيب والسب: عُوقِبَ على قَدْر جريمته، على الشكل المقرر في كتب أهل العلم.

وقول المناوي رحمه الله: «فقتله أصحاب معاوية بصفين»؛ يعني: بذلك أن فئة معاوية رضي الله عنه هي الفئة الباغية، نقول: لكن ثبت أنها فاءت لأمر الله وأصلَحَ الله بين الفئتين، واجتمعت الأمة على خال المؤمنين وأميرهم وأحلمهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فالحمد لله رب العالمين، وقبح الله الروافض.

وجعل عمَدهُ الجذوع وسقفه الجريد، [﴿**٢٦٧**﴾] وابتنى **حوله منازلاً** بصرفه للوزن(١) **لأهله**؛ أي: لأجل سكنى حلائله وبناته ومواليه وخدمه ومن يليه، بناها تسعة بعضها من جريد مطين بطين وسقفها من جريد، وبعضها من حجر مسقفة بجريد.

ذكره السُّهيلي(٢)، لكنه تعقَّبه الذهبي بأنّه لم يثبت، إلّا أنّه بنى بيتاً واحداً لسودة(٣)، ولم يحتج إلى آخر، حتى بنى بعائشة سنة اثنين، ثم بنى بقية الحُجر عند احتياجها.

قال الأسلمي: كان لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله، وكلما أحدث المصطفى ﷺ أهلاً نزل له حارثة عن منزل منزل، حتى صارت كلها لزوجاته ﷺ، وقد أدخلها الوليد بن عبد الملك [بعد ذلك] كلها في المسجد، ثم لمَّا تم البناء الأول؛ بَعَثَ زيدَ بن حارثة وأبا رافع إلى مكة، فقَدِمَا بفاطمة وأم كلثوم وسودة وأسامة بن زيد وأم أيمن، وحَبَس أبو العاصي بن الربيع امرأتَه زينبَ [بنت المصطفى ﷺ]، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكرٍ فيهم عائشة، فقَدِمُوا المدينةَ فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان.

وكان بالمسجد موضع مظلل يأوي إليه المساكين، يُسمّى: الصُّفة، وأهله أهل الصفة، وكان المصطفى ﷺ يدعوهم ليلاً فيفرقهم على

---

(١) في (ك) وباقي النسخ: «للضرورة».
يعني: للضرورة الشعريّة.

(٢) «الروض الأنف» (٢/ ٣٣٩).

(٣) قال الذهبي في كتاب «بلبل الروض» (ص٢٦٠)، قال: «لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد، ولا أحسبه فعل ذلك، إنما كان يريد بيتاً واحداً لسودة أم المؤمنين ثم لم يحتج إلى بيت آخر حين بنى بعائشة في شوال سنة اثنتين، فكأنه عليه السلام بناها في أوقات مختلفة». اهـ.

أصحابه، ويتعشَّى معه طائفة منهم(١).

وابتنى **حوله أصحابُه** من المهاجرين والأنصار منازلَ **في ظلِّه**؛ أي: في كنفه، وهو استعارة؛ لأنَّ الظل في الحقيقة(٢): ضوء(٣) الشمس دون الشعاع.

وترامى أصحابه من الأنصار على القرب منه، حتى إنَّ بعضهم ارتحل من مساكنه التي كانت بعيدة وسكنوا حواليه، محبة في القرب منه.

وقد [﴿**٢٦٨**﴾] **طابت به**؛ أي: طابت بالنزول فيها **طيبة**؛ أي: عيش ساكنيها، وهي المدينة سُمِّيت به؛ لأن الله تعالى طيَّبها لرسوله فجعلها دار هجرته، ومحل نصرته، موضع تربته، ولها أسماء كثيرة(٤).

من بعد الردا ـ بالفتح والقصر ـ أي: الهلاك ـ والمراد صارت طيبة بعد أن كانت ردية، حتى **أشرق** بحلوله فيها كل **ما** [**قد**] **كان منها أسود**؛ منذ دخلها، والمراد بذلك سواد الكفر وظلمة الشرك، [﴿**٢٦٩**﴾] **كانت لمن** بلام القسم؛ وفي بعض النسخ بالكاف؛ وعليه فهي زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ أي: كانت من **أوبأ**(٥) بالهمزة آخره **أرض الله**؛ أي: كانت تربتها [والله](٦) ذات وباء شديد.

---

(١) انظر في ذلك بالتفصيل: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٤٨٨)، «رجحان الكفة» للحافظ السخاوي (١١٨). وانظر: «المنتظم» (٣/ ٨٧) وما بعدها.

(٢) في (ف): «هو» مكان: «في الحقيقة».

(٣) في (غ): «ضد»، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) ممن اهتم بجمع أسمائها المجد الفيروزآبادي في «المغانم المطابة»، والنّور السمهودي في «وفاء الوفاء» وغيرهما. وانظر: «السبل» (٣/ ٤١٤) حيث قام الصالحي بسرد أسماء المدينة على حروف المعجم.

(٥) فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله. رواه البخاري في «صحيحه» (١٨٨٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٦٦).

(٦) مضروب عليها في (غ).

فلمَّا قدمها الصّحابة أصابتهم الحمى حتى جهدوا مرضاً سيّماً أبو بكر(١) وبلال(٢)، حتّى ما كانوا يصلون إلا وهم قعود.

وصرف الله ذلك عن نبيه فلم يتأثر منه، والوباء - بالهمزة - مرض عام - يُمَدّ ويُقْصر -، وجمع الممدود أوبئة كمتاع وأمتعة، والمقصور أوباء [كسبب وأسباب]، **فزال عنها داؤها** وهو الوباء والحمى **بهذا الجاه**؛ أي: ببركة هذا النبي العظيم الجاه؛ أي: الرفيع القدر والمنزلة عند الله.

أخرج الزبير بن بكار عن عروة بن الزبير، أصبح رسول الله ﷺ يوماً، فجاء إنسان قدم من ناحية مكة(٣)، فقال [له]: «**هل لقيت أحداً؟**» قال: لا إلا امرأة سوداء عريانة ثائرة الرأس، فقال: «**تلك الحُمى ولن تعود بعد اليوم**»(٤).

[﴿٢٧٠﴾] **ونقل الله عنها بفضل منه ورحمة لأهلها**، ولمن هاجر إليها **ما كان من مرض، حُمى بها**؛ أي: بأهلها **للجحفة** - بضم الجيم وسكون المهملة، قرية جامعة على طريق المدينة من مكة، سُمِّيت به لأنَّ

---

(١) في مسند أحمد (٢٤٣٦٠) وكان ﵁ إذا أخذته الحمى يقول:

كـلُّ امـرئٍ مُـصَـبَّـح فـي أهـلِـه … والـموتُ أدنى مِن شِراكِ نـعلِـه

(٢) في مسند أحمد (٢٤٣٦٠) وكان بلال ﵁ يقول:

ألا ليتَ شِعْري هَلْ أَبِيتَنَّ ليلةً … بِـوَادٍ وَحَـولِـي إِذْخِـرٌ وَجَـلِـيـلُ
وهـلْ أرِدَنْ يَـومـاً مـيـاهَ مَـجَـنَّـةٍ … وَهَـلْ يَـبْـدُوَنَّ لـي شَـامَـةٌ وطَـفِـيـلُ

(٣) قوله: «قدم من ناحية مكة» غير واضحة في (غ).

(٤) «السبل» (٣/ ٤٢٩) عن الزبير ﵁.

وفي الحديث: عن عبد الله بن عمر ﵄ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس، خرجت من المدينة حتى نزلت مَهْيَعَةَ فأوّلتها أنّ وَبَاءَ المدينة، نقل إلى مَهْيَعَةَ، وَهي الجُحْفَة**».

رواه البخاري (٤٠٤٠، ٧٠٣٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٦٨).

السيل أجحفها وحمل أهلها، وكانت تُسمَّى مهيعة(١).

روى الشيخان عن عائشة أن المصطفى ﷺ لمَّا قدم المدينة وعك أبو بكر ثم قال: «**اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبِّنا مكة أو أشد، اللهم انقلها إلى الجحفة**»(٢).

قالت: وقدمنا المدينة وهي(٣) أوبأ أرض الله، وإنَّما قدمها مع نهيه عن القدوم على الطاعون؛ لأنّ ذلك كان قبل النهي، أو أنَّ النهي خاص بالطاعون، وكان ذلك الوباء بغير طاعون، وتحويل الوباء من المدينة إلى الجحفة من أعظم المعجزات، إذ ليس في قدرة جميع الأطباء.

قال النووي(٤): هو علم عظيم من أعلام نبوته، والجحفة إلى الآن وبيئة ولا يشرب أحد من مائها إلا حُمَّ(٥) وببركة قدومه إياها، [﴿٢٧١﴾] **وليس دجال** من الدجل وهو الكذب والتغطية؛ لأنَّه يغطي الأرض

---

(١) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة آخرها تاء مربوطة وهي قرية معروفة وهي ميقات أهل مصر والشام على مسافة (١٤٠) كم من مكة، وهي الجحفة وهي قريبة من «رابغ» بين خُلَيص وبَدْر.
وانظر: «تقويم البلدان» (٨٠، ط: دار صادر)، و«المسالك والممالك» لابن خُرّدازبة (١٣١)، «صورة الأرض» لابن حوقل (٣٣)، «معجم البلدان» (٢/ ١١١)، «معجم ما استعجم» (١/ ٣٦٧)، «نزهة المشتاق» (١/ ١٤٢)، «الروض الأنف» (١/ ١٥٦).

(٢) رواه مالك (٣٦٠٣)، وأحمد (٢٢٦٣٠، ٢٤٢٨٨، ٢٤٣٦٠، ٢٥٨٥٦، ٢٦٢٤٠)، والبخاري (١٨٨٩) (٣٩٢٦) (٥٦٥٤) (٥٦٧٧) (٦٣٧٢)، ومسلم (١٣٧٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٠١٣، ط: المكتب الإسلامي)، وابن حبان (٣٧٢٤، ط: الرسالة)، والبيهقي (٣/ ٣٨٢).

(٣) في (غ): «وهو».

(٤) «شرح صحيح مسلم» (٩/ ١٥٠، ط: دار إحياء التراث).

(٥) أي: أصابته الحمّى.

بالجمع الكثير **ولا طاعون** فاعول وهو الموت من الوباء من وخز الجن⁽¹⁾، **يدخلها**.

فقد روى البخاري وغيره عن أبي هريرة وغيره مرفوعاً: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطَّاعُونُ ولا الدَّجَّالُ**»⁽٢⁾.

وروى الشيخان عن أنس مرفوعاً: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها، فينزل السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق**»⁽٣⁾، **فحرزها منها حصين**؛ أي: منيع⁽٤⁾، وحفظها من الطاعون من معجزاته العظيمة؛ لأنّ الأطباء قاطبة عجزوا [عن] أن يدفعوه عن قرية من القرى، وإنَّما حفظت منه مع كونه شهادة؛ لأنّ كفار الجن ممنوعون من دخولها، وسبب الرحمة لا ينحصر في الطاعون، ولأنَّها بلدة صغيرة، فلو وقع بها الطاعون فني [جميع] أهلها، وقد شاركتها مكة في ذلك فلم يدخلها الطاعون، نعم قال جمع: [إنّه] دخلها

---

(١) ففي الحديث عند الحاكم بسند صحيح: «ذُكِرَ الطَّاعُونُ عِنْدَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: سَأَلْنَا عَنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِخْوَانِكُمْ ـ أَوْ قَالَ: أَعْدَاؤُكُمْ ـ مِنَ الْجِنِّ وَهُوَلَكُمْ شَهَادَةٌ. وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

رواه الحاكم في «مستدركه» (١/ ٥٠)، وصحّحه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٣٩٥٨).

(٢) رواه أحمد (٧٢٤٣، ٨٨٧٦)، والبخاري (١٨٨٠، ٥٧٣١، ٧١٣٣)، ومسلم (١٣٧٩).

(٣) رواه عبد الرزاق (٢٠٨٤١)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٨١، ١٥/ ١٤٣)، والبخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥) (٢٤٤) (٢٩٤٣)، والنسائي (٤٢٦٠)، وابن حبّان (٦٨٠٣).

(٤) قد أفردت خصائص المدينة بتأليف.

الطّاعون العام الواقع سنة تسع وأربعين وسبع(١) مئة.

ثم إنَّ المصطفى ﷺ [﴿٢٧٢﴾] **أقام شهراً** في بيت أبي أيوب، **ثم بعد**؛ أي: ثم بعد ذلك الشهر من مقدمه لاثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر.

قال الدولابي(٢): يوم الثلاثاء، **نزلت** ـ القياس نزل ـ **عليه إتمام الصلاة** أربعاً، فإنَّه قدم المدينة وهو يصلي ركعتين، ثم قال: «**أيها الناس اقبلوا فريضة ربكم**»(٣)، فإنَّه قد **أكملت** الصلاة أربعاً للمقيم، فزيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب؛ لأنَّها وتر النهار، وأُقرَّت صلاة السفر.

وفي «البخاري»(٤) عن عائشة: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر إلى المدينة، ففرضت أربعاً وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى، وقيل: إنَّما فرضت أربعاً ثم خففت عن المسافر بدليل خبر: «**إنَّ الله وضع عن المسافر شطر الصلاة**»(٥)، وقيل: فرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين، وهو قول ابن عباس.

---

(١) يعني: في الطاعون العام الذي قيل إنه هلك فيه نصف سكان العالم.
وانظر: «النجوم الزاهرة (٩/ ١٧٠).
قلت: حتى ولو دخلها فيكون مخففاً بدليل أنه لم ينقل أن الموتى من الطاعون فيها كغيرها.

(٢) «الكنى والأسماء» (١/ ٧٦).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٩٣٥)، ومسلم (٦٨٥).

(٤) رواه مالك في «الموطأ» رقم (٣٩٠، ط: دار الغرب) (١/ ١٤٦)، والبخاري (٣٥٠، ١٠٩٠، ٣٩٣٥)، ومسلم (٦٨٥)، وأبو داود (١١٩٨)، والنسائي (٣١٣، ٣١٤).

(٥) رواه أحمد (١٩٠٤٧)، والنسائي (٢٥٩٦٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٢٣١)، وسنده صحيح.

و[﴿**٢٧٣**﴾] **أقام المصطفى** ﷺ بالمدينة في دار أبي أيوب، **من شهر ربيع** الأول **لصفر**؛ أي: إلى شهر صفر من السنة القابلة، وقيل: بل سبعة أشهر(١)، **يبنى له فيها مسجده والمستقر**؛ أي: والمساكن التي استقرَّ فيها عياله حول المسجد، [﴿**٢٧٤**﴾] وفي العام الأول من قدومه **وادع اليهود**؛ أي: صالحهم وعاهدهم وأقرهم على دينهم [وسالمهم لمَّا امتنعوا من اتباعه، وذلك قبل الإذن بالقتال وأخذ الجزية](٢)، وكتب بذلك كتاباً واشترط لهم وعليهم **في كتابه ما بينهم وبين ما** بزيادة ما **أصحابه** من المهاجرين والأنصار، وصورته:

«**بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله بين المسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنَّهم أمة واحدة من دون النّاس وأنَّه من تبعنا من اليهود كان له النصرة والأسوة غير مظلومين، وأنَّه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة أن ينصر محدثاً ولا يُؤيه، وأنكم ما اختلفتم فيه من شيء، فإنَّ مرده إلى الله ورسوله**»(٣).

وذكر مثل ذلك ليهود بني النجار، وكان أحبارهم قد(٤) نصبوا له

---

(١) «العجالة السنية» (ص١٩٥)، وقد نقله عن ابن هشام (١/٤٩٦، ٤٩٨)، وانظر: «عيون الأثر» (١/٣٩٤).

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في (ك) هنا بل بعد قوله: «من المهاجرين والأنصار» ونصه: «وأقرهم على دينهم ومالهم لما امتنعوا من اتباعه وذلك قبل الإذن بالقتال وأخذ الجزية».

(٣) روى نص الموادعة: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي في «الأموال» (١/٧)، وابن هشام (٢/١٤٧) باختلاف في الألفاظ، ونقلها جمعٌ ممن ألّف في السيرة؛ كالسهيلي في «الروض الأنف» (٢/٣٤٩ ـ ٣٥٠)، وابن سيد النّاس في «عيون الأثر» (١/٣١٨).
قلت: وهي صحيحة بشواهدها.

(٤) مضروب عليها في (غ).

العداوة بغياً وحسداً، وسحره لبيد بن الأعصم(١)، فكان يخيَّل إليه أنَّه يفعل الشيء وهو لا يفعله، وجعل سحره في مشطٍ ودفنه في بئر ذي أروان أو ذروان كما في «الصحيح»، ولا يقدح في نبوته، فإنَّ الأنبياء يبتلون حتى بالقتل، وانضاف إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون اتخذوا الإسلام جنة من القتل، منهم: عبد الله بن أبي بن سلول(٢).

وفيها آخى المصطفى ﷺ بين المؤمنين المهاجرين والأنصار(٣)، وهي المؤاخاة الأولى، وكانوا يتوارثون بها، ثم نسخ بالمؤاخاة الثّانية بعد بدر، وأخذ بيد(٤) عليٍّ فقال: «**هذا أخي**»، كذا ورد في حديث، لكن تكلم(٥) بعض الحفَّاظ فيه(٦) وفي المؤاخاة، والحق أنَّ المؤاخاة ثبتت، ومؤاخاة علي ثبتت من طرق كثيرة يرتقي بعضها عن درجة الحسن(٧).

---

(١) عن عائشة ﵂ قالت: سحر النَّبيَّ ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان النَّبيُّ ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كانت ذات يوم أو ذات ليلة، دعا النبي ﷺ ثم دعا، ثم قال: «**يا عائشة! أشعرتِ أن الله جل وعلا قد أفتاني فيما استفتيته؟**» الحديث.
رواه أحمد (٢٤٣٠٠)، والبخاري (٣١٧٥) (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩)، وابن ماجه (٣٥٤٥). وقول المناوي: «ولا يقدح في نبوته» الخ: فيه ردٌّ على الملحدين من العقليين والمعتزلة والمبتدعة الذين أنكروا الحديث وشنّعوا عليه.

(٢) في حاشية (غ): «بالسين المهملة المفتوحة».

(٣) ورد حديث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصاري من طرق كثيرة، لكنها كلها معلولة، ولذا قرر جمعٌ من العلماء والجهابذة أنها لا تثبت، وهو عند الترمذي (٣٤١٣)، والحاكم (٣/ ١٤).

(٤) في (ك): «وآخى بين». (٥) في (ك): «وتكلم».

(٦) في (ك): «في هذا الحديث».

(٧) انظر: «العجالة السنية» (ص١٩٦) بتحقيقي.

[﴿**٢٧٥**﴾] وفيها أيضاً على الأصح لا في العام الثاني كما يأتي، **كان بدء الأمر بالأذان**(١) وسببه: **رؤيا عبد الله بن زيد** بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري، وذلك أنَّه لمَّا اجتمع أمر الأنصار واستحكم شأن الإسلام، وقامت الصلاة، و[إنما] كان يجتمع الناس في مواقيتها بغير دعوة، فاهتمَّ رسول الله فيما يعلم به الوقت، فذُكِرَت الراية والبوق فلم يعجبه، وذُكِرَ الناقوس فأَمَرَ به، فنُحِتَ ليُضْرب به، فبينما هم كذلك رأى عبد الله بن زيد أنَّه مرَّ به رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً، فقال له عبد الله: أتبيع [هذا] الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير منه؟ قال: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر. . إلى آخر ألفاظ الأذان، ثم استأخر [عنه] غير بعيد، ثم قال: وتقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر إلى آخر ألفاظ الإقامة، فأخبر بها رسول الله ﷺ فقال: «**إنَّها رؤيا حق إن شاء الله**»، قم مع بلال فألقها عليه، فإنَّه أندى منك صوتاً، ففعل فلمَّا سمعها عمر وهو في بيته خرج يجر إزاره، ويقول: والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل ما رأى، فقال المصطفى ﷺ: «**لله الحمد**»(٢).

---

(١) الأذان لغة: الإعلام، قال أبو البقاء العكبري: وأصله من دخول الكلام في الأذن، وشرعاً: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة مأثورة. قال ابن بري: أذن العصر بالبناء للفاعل خطأ، وصوابه: أذن بالعصر بالبناء للمفعول مع حرف الصلة. انظر: «الكليات» (١/ ٩٩، ١٠٠)، «المفردات» (١٥)، «التوقيف» (٤٦)، «المصباح المنير» (١٥).

(٢) حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان، روي من عدَّة طرق، وهذه الطريق التي ذكرها الشارح هنا أخرجها الإمام أحمد في «المسند» (١٦٤٧٧)، وأبو داود كتاب الصلاة، باب كيف الأذان برقم (٤٩٩)، والترمذي أبواب الصلاة، باب بدء الأذان برقم (١٨٩)، وقال: حديث عبد الله بن زيد حديث حسن صحيح وصحح إسناده الألباني. وأخرجه ابن ماجه أبواب الأذان والسنة فيه، باب بدء الأذان برقم (٧٠٦)، وابن خزيمة (١/ ٢٢٣، ط: المكتب الإسلامي) برقم =

وفي «الأوسط»(١) للطبراني: أن أبا بكر رأى الأذان أيضاً، وفي «الوسيط»(٢) للغزالي: أنه رآه بضعة عشر رجلاً(٣)، وأنكره النووي كابن الصلاح(٤).

قال: ابن حجر(٥): ولم يثبت شيء من ذلك إلا لعبد الله بن زيد، وقصة عمر جاءت في بعض الطرق.

وإنَّما قال: «**إنَّها رؤيا حق**»؛ لأنّه أريه ليلة الإسراء كما رواه البزار عن علي بإسناد ضعيف(٦) واستشكل إثبات حكم الأذان برؤيا ابن زيد أو غيره، فإنَّ رؤيا غير الأنبياء لا يثبت بها حكم، وأجيب باحتمال مقارنة الوحي له(٧).

= (٣٧٠)، وابن حبان (٤/ ٥٧٢) برقم (١٦٧٩)، وغيرهم، كلهم من طريق محمد بن إسحاق، ثنا محمد بن إبراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد عنه به.

وذكر ابن رجب في «فتح الباري» له (٣/ ٤٠٤، ط: دار ابن الجوزي) حكاية البيهقي أن الترمذي حكى في «علله» عن البخاري أنه قال: هو عندي صحيح. اهـ.

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٩٣/ ٢٠٢٠).

(٢) «الوسيط» (١/ ٣٥٦).

(٣) قال الدمرداشي في «تحفة الخلان في أحكام الأذان» (ص٧٩): «وعبارة الشيخ الجيلي في «شرح التنبيه»: إن الذين رأوا الأذان أربعة عشر صحابياً، وفي بعض الكتب: أنه رآه سبعة عشر».

(٤) «فتح الباري» (٢/ ٧٨).

(٥) المصدر السابق.

(٦) أخرجه البزار في «مسنده» كما في «المواهب» (١/ ١٩٤)، وابن شاهين كما في «السبل» (١/ ٥٢١)، وفي سنده (حصين بن مخارق، وهو وضّاع).

(٧) قال العلامة الدمرداشي في «تحفة الخلان» (ص٧٩): فإن قيل: إن مستند الأذان الرؤيا، مع أن الأحكام الشرعية لا تثبت برؤيا غير الأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام؛ لأنّهم لا تنام قلوبهم، وإنما تنام أعينهم؛ لقوله ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا**» أخرجه أبو داود (١/ ٥٢) برقم =

وفيه أيضاً أسلم عبد الله بن سلام وكان اسمه الحصين، فسماه المصطفى ﷺ عبد الله(١).

وفيها شرع القتال، ونزل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾(٢) [الحج: ٣٩]، وقال المصطفى ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس...**»(٣)، وما ذكر من أن [بدء] الأذان كان في العام الأوّل من الهجرة هو ما عليه الجمهور، **أو لعامٍ ثاني**؛ أي: وقيل: إنَّه إنَّما كان في العام الثّاني.

حكاه ابن سعد(٤) عن بعضهم.

وورد في عدة أخبار ما يدّل على أنَّه شُرع بمكة؛ منها ما رواه ابن مردويه عن عائشة مرفوعاً: «**لمَّا أُسري بي، أذّن جبريل فظنت الملائكة**

= (٢٠٢)، والنسائي (٨/ ٢١٧، ٢١٨) برقم (٩٠٢٤)، والترمذي (٢/ ٥١٨/ ٢٢٤٨، ط: شاكر)، فرؤياهم حق، وهي وحي.

ويجاب: بأنه ليس مستند الأذان الرؤيا، وإنما وافقها نزول الوحي، فالحكم ثبت به لا بها، بل بنزول القرآن كما تقدَّم. وانظر: للمزيد: كتاب «الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان» للعلامة البقاعي (ص٥٤ ت: مجدي فتحي السيد).

(١) رواه الحاكم في» مستدركه» (٣/ ٤١٣).

(٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا بنيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾، فعرفت أنه سيكون قتال، قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال.

رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٩، ط: مكتبة الرشد)، والإمام أحمد (١٨٦٥)، والترمذي (٣١٧)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٤٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٢٣٥)، وسنده صحيح.

(٣) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٤) «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٤٦ وما بعدها) في باب ذكر الأذان.

أنَّه يصلي بهم، فقدمني فصليت»(١).

قال الذهبي في «مختصر الإلمام»(٢) لابن دقيق العيد: حديث منكر بل موضوع.

وللبزار وغيره أحاديث بنحو ذلك كلها واهية(٣).

قال ابن حجر: والحق إنَّه لم يصح شيء من ذلك، وقد جزم ابن المنذر بأنَّه كان يصلي بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة حتّى هاجر، ووقع التشاور في ذلك ورأى عبد الله وعمر(٤) ما ذكر.

○ *تنبيه:*

قال السهيلي(٥): اقتضت الحكمة الإلـٰهية كون الأذان على لسان غير النبي، لمَّا فيه من التنويه من الله به والرفع لذكره(٦)، وهو على لسان غيره أنوه به، وأفخم لشأنه، وقد قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح]، ومن رفعه أن أشاد به على لسان غيره.

وحكمة اختصاص بلال به أنَّه لمَّا عُذِّب ليرجع عن الإسلام، كان يقول: أحدٌ أحدٌ، فجوزي بولاية الأذان المشتمل على التَّوحيد [ابتداءً] وانتهاءً(٧).

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٧٨)، وضعّفه، وقال الدمرداشي: وفيه من لا يعرف.

(٢) «مختصر الإلمام» للحافظ الذهبي (٢٢/ ظ).

(٣) عن علي ﷺ قال: لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريل بدابة يقال لها البراق، فركبها ﷺ ثم أخذ الملك بيده، فأمّ بأهل السماء.
رواه البزار في «مسنده» (٥٠٨)، وفي إسناده زياد بن المنذر بن الجارود، وهو متروك. وانظر: «السبل» (٣/ ٥١٠) وما بعدها في بدء الأذان.

(٤) «فتح الباري» (٢/ ٧٨). (٥) «الروض الأنف» (٢/ ٣٥٧).

(٦) في (غ): «والذكر لذكره».

(٧) قال الهيثمي في «تحفة المحتاج» (١/ ٢١٤): وذلك أنه إذا كان على لسان غيره =

[﴿٢٧٦﴾] **ففيه**؛ أي: في هذا العام الثاني: **فرض الصوم** صوم رمضان بعد ما حوِّلت القبلة إلى الكعبة(١) في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه(٢).

فالزكاة؛ أي: ففرض الزكاة التي **للفطر** ـ بكسر فسكون ـ قبل العيد بيومين [فأمر] أن يخرج عن الصغير والكبير والحرّ والعبد والذكر والأنثى، صاع من تمر أو من زبيب أو من بر، وذلك قبل فرض زكاة المال(٣)، وكان يخطب قبل الفطر بيومين يأمر بإخراجها قبل الغدو إلى المصلّى، فيقول: «**أغنوهم ـ** يعني المساكين ـ **عن طواف هذا اليوم**»(٤).

= مع اختصاره، بأنه جامع لأصول الشريعة وكمالاتها فاحتاج لشيء يميزه عن غيره، ولا شك أن المشاورة مع الأصحاب، وعدم رضاه ﷺ بما عرضوه عليه، وطال الانتظار بعد الاهتمام حتى وجدت تلك المرائي بعد نزول الوحي، أو مقارنته، مع شهادته أنها حق، فكان ذلك التأخير زيادة حفظاً لشأنه، ورفعة لذكره، وتعظيماً لقدره.اهـ.

(١) في (غ): «الكعبة إلى القبلة» والمثبت من النسخ الأخرى.

(٢) قوله: «في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه» مضروب عليها في (غ).

كذا، والصواب ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ صلّى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجّه إلى الكعبة فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾. الحديث رواه البخاري (٣٩٩)، ومسلم (٥٢٥)، وهذا لفظ البخاري.

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على كل حر وعبد ذكر وأنثى من المسلمين.

رواه مالك في «الموطأ» (٧٧٢ ت: بشار)، والشافعي في «مسنده» (١/ ٢٥١، ٢٥٠) و(١/ ٩٢ رقم ٤١٢، ط: دار الكتب العلمية)، والدارمي في «مسنده» (٢/ ١٠٣٤ رقم ١٧٠٢)، وأحمد (٣٢٩١)، والبخاري (١٥٠٤)، ومسلم (٩٨٤).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٧٥).

وفيها نزل **العيدان**(١)؛ أي: الأمر الندبي **بالصلاة** لهما على الكيفية المعروفة، فخرج إلى المصلَّى، وصلَّى العيد يوم الفطر قبل الخطبة، وصلَّى العيد يوم الأضحى وحُمِلَتْ بين يديه(٢) العَنَزَةُ، وكانت للزبير وهبها له النجاشي، [﴿٢٧٧﴾] **بخطبتين بعد والأضحية**؛ أي: وفيها نزل أيضاً الأمر الندبي بالتضحية في عيد الأضحى.

وكذا زكاة مالهم؛ أي: وكذا نزل فيها فرض زكاة المال، وقيل: إنَّها فُرِضَتْ قبل الهجرة.

وفيها حولت القبلة من بيت المقدس [﴿٢٧٨﴾] **للمسجد الحرام**؛ يعني: للكعبة يوم الثلاثاء نصف شعبان، وقيل: يوم الاثنين نصف رجب، وكان يصلِّي إلى بيت المقدس بالمدينة سنة عشر، وقيل: سبعة عشر، وقيل: ثمانية عشر شهراً، واختلف هل كان ليلاً أو نهاراً؟.

ففي «الصحيحين» عن ابن عمر: بينما النّاس بقباء في صلاة الصبح إذ أتاهم آت(٣).

فقضيَّته أنَّها حوّلت ليلاً.

وفيهما أيضاً عن البراء أنَّه كان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت،

---

(١) في النّظم: «العيدين».

(٢) العَنَزَةُ ـ بفتح العين المهملة والنون الموحدة الفوقية والزاي ـ: عصا قصيرة كالرمح.

(٣) عن عبد الله بن دينار أنَّ ابن عمر قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة.
رواه مالك في «الموطأ» (٥٢٤)، والشافعي في «مسنده» (١/ ٦٤) (١/ ٢٣٤، ط: العلمية) وفي «الأم» (٢/ ٢١٣ ـ ٢١٤، ط: دار الوفاء)، والبخاري (٤٠٣) (٤٤٩١)، ومسلم (٥٢٦).

وأنَّه أول صلاة صلاها إليها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمرَّ على أهل مسجدٍ وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صلّيت مع رسول الله ﷺ قِبَل الكعبة، فداروا كما هم قبل البيت.

وقضيَّته أنَّها حولت بين الظهر والعصر.

ووقع عند النسائي(١): أنَّها حولت في الظهر. ورجَّحه بعضهم جامعاً بأنَّ أهل قباء لم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني.

وروى الطبري عن ابن عباس: لمَّا هاجر المصطفى ﷺ إلى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس، أُمر باستقباله، ففرح اليهود، فاستقبلها سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم، فنزلت الآية(٢).

قال ابن حجر: وظاهره أنَّ استقبال بيت المقدس إنَّما وقع بعد الهجرة، لكن روى أحمد عن ابن عبَّاس أيضاً: كان يصلِّي بمكة، نحو بيت المقدس والكعبةُ بين يديه، ثم جمع بأنَّه لمَّا هاجر أمر أن يستمرَّ على الصلاة للمقدس، وقد مرَّ بعض ذلك، واختلف في المسجد الذي كان يصلي فيه.

فروى ابن سعد أنَّه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يتوجَّه إلى المسجد الحرام، فاستدار إليه ودار معه المسلمون. ويقال: إنَّه زار أم بشر بنت البراء، فصنعت له طعاماً وحانت الظهر، فصلَّى بأصحابه ركعتين، ثم أمر فاستدار إلى الكعبة، واستقبل الميزاب،

---

(١) «السنن الكبرى» للنسائي (٢/ ٥٣) برقم (١١٦٨).

(٢) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢/ ٥٢٧) برقم (١٨٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٣٥) (١٣٥٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (١٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ١٢) برقم (٢٣٣٨)، وسنده حسنٌ. وانظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٨٢).

فسُمِّي مسجد القبلتين(١)، قال ابن سعد(٢): قال الواقدي: هذا عندنا أثبت.

والبناء بعائش(٣)؛ أي: وفيها أيضاً كان إعراسه بعائش ترخيم(٤) عائشة بنت الصديق وعمرها تسع سنين في شوال، ومكثت عنده تسع سنين وخمسة أشهر، ولم يتزوّج بكراً غيرها كما يأتي.

وقيل: كان البناء بها في العام الأول لا الثاني، على رأس ثمانية أو تسعة أشهر من الهجرة(٥).

قال في «الصّحاح»:(٦) والعامة تقول: بنى بأهله، وهو خطأ، وصوابه بنى على أهله، وأصله: أنَّ الداخل بأهله كان يبني عليها قبة ليلة الدخول بها، فقيل لكل داخل بأهله بانٍ، **وكذاك فيها** أيضاً بنى علي بن أبي طالب بفاطمة بنت المصطفى ﷺ **الزهراء**، سُمِّيت به؛ لأنَّها زهرة رسول الله ﷺ، تزوّجها علي بعد بنائه بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجه بها بتسعة أشهر ونصف، وكان سنُّها إذ ذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف.

---

(١) «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٥٣٨).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢١٩).

(٣) انظر في بنائه ﷺ بعائشة: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٩٩)، «البداية والنهاية» (٤/ ٣٢٧).

(٤) الترخيم: التصغير مع حذف أحد الحروف.

(٥) قال الطبري في «التاريخ» (٢/ ٣٩٨): «وفيها بَنَى رسول الله ﷺ بِعَائِشَةَ بعد مَقْدِمِهِ المدينةَ بثمانيةِ أشهُرٍ، في ذي القعدةِ في قولِ بعضهِم، وفي قولِ بَعْضٍ: بعدَ مَقْدَمِهِ المدينةَ بسبعة أشهُرٍ، في شوَّالٍ، وكان تَزَوَّجَهَا بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاةِ خَدِيجَةَ وهيَ ابْنَةُ سِتِّ سنينَ، وقدْ قيل: تَزَوَّجَهَا وهيَ ابْنَةُ سَبْع».

(٦) «الصحاح» (٢/ ٥٠٣).

وقال الطبري(١) في «مناقب أهل البيت»(٢): تزوّجها في صفر في السنة الثانية، وبنى بها في الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من التاريخ.

وقال ابن عبد البر: بعد وقعة أُحد.

ولم يتزوّج عليها حتى ماتت.

وأخرج الدولابي: أنَّ عليّاً [لما](٣) أولم عليها، رهن درعه عند يهودي بشطر شعير، وكانت وليمته آصُعاً(٤) من شعير وتمر وحيس، والحيس تمر وأقط.

وأخرج أحمد في «المناقب»: أن جهازها خميلة وقربة ووسادة من أدم(٥) حشوها ليف(٦).

[﴿٢٧٩﴾] **وبدر الكبرى**؛ أي: وفيها كانت غزوة بدر وتُسمَّى الكبرى(٧) والعظمى وبدر القتال قرية مشهورة سُمِّيت ببدر بن مخلد بن

---

(١) هو محب الدين الطبري.

(٢) «ذخائر العقبة في مناقب ذوي القربى» (ص٢٦).

(٣) سقطت من (غ)، وقد أثبتناها من (ك).

(٤) جمع صاع، والصاع لغة: مكيال لأهل المدينة يسع أربعة أمداد، وعند الحنفية: (٨١٢,٥ × ٤ = ٣,٢٥) كيلاً. وعند الجمهور: (٥١٠ × ٤ = ٢,٤٠) كيلاً.

(٥) جِلْد.

(٦) رواه أحمد في «فضائله» (٢/ ٧٠٢) برقم (٩٥٨)، وفيه: لما أهديت فاطمة إلى علي لم يجد أو تجد عنده إلا رملاً مبسوطاً ووسادة وجرة وكوزاً، الحديث. ورجاله ثقات، وأخرجه عبد الرزاق (٥/ ٤٨٥) برقم (٩٧٨١)، والحاكم (٣/ ١٥٩).

(٧) انظر في شأن غزوة بدر: «الدرر» (١١٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٥٧)، و«مغازي» الواقدي (١١)، و«الطبقات الكبرى» (٢/ ١١)، وستأتي بالتفصيل.
وفي كتب التاريخ انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٤١٨)، «البداية والنهاية» (٥/ ٥).

النضر بن كنانة [كان] نزلها، وقيل: بدر بن الحارث حافر بئرها، وقيل: بدر اسم البئر التي بها سُمِّيت به لاستدارتها أو لصفائها ورؤية البدر فيها(١).

قال ابن كثير(٢): وهو يوم الفرقان الذي أعزَّ الله فيه الإيمان وأهله، ودفع فيه الشِّرك وَخَرَّبَ محله مع قلة عدد(٣) المسلمين وكثرة المشركين، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة، والخيول المسومة والخيلاء الزائدة، وأعزَّ الله رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجهه وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله.

وكانت سابع عشر رمضان يوم الجمعة، وقيل: الاثنين وهو شاذ، وفيها أيضاً ماتت رقيَّة بنت المصطفى ﷺ وعثمان بن مظعون، وولد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه والنعمان بن بشير، فهذا كله كان في السنة الثّانية(٤).

وفي الثالثة كان دخوله ﷺ بحفصة بنت عمر بن الخطاب(٥)، **القانتة**؛ أي: القائمة بالليل الصائمة بالنهار بشهادة جبريل، فإنَّ المصطفى ﷺ طلَّقها ثم راجعها رحمة لعمر، ثم طلَّقها ثانية، فقال له جبريل: «**رَاجِع حفصةَ فإنَّها صوَّامة قوَّامة**»(٦).

---

(١) من قوله: «قرية مشهورة سُمِّيت..» إلى هنا مضروب عليه في (غ).

(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٦)، «الفصول» (ص١١٢، ط: دار القلم).

(٣) ضرب عليها في (غ) وليست في (ك).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٥٨)، «البداية والنهاية» (٥/ ١٨٢). وانظر: «الروض» (٣/ ٩٢).

(٥) قال الطبري في «التاريخ» (٢/ ٤٩٩): «وفي هذه السنه تزوج النبي ﷺ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ فِي شَعْبَانَ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ تَحتَ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَتُوُفِّيَ عَنْهَا. وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُحُداً، وَكَانَتْ فِي شَوَّالٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْهُ ـ فِيمَا قِيلَ ـ مِنْ سَنَةِ ثَلاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ».

(٦) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٨٤)، وانظر: «الأربعين في مناقب أمهات =

[﴿٢٨٠﴾] **والزينبين**؛ أي: وكذا كان فيها دخول المصطفى بالزينبين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عبد مناف، [و]دخل بها في رمضان على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة(١)، وزينب بنت جحش التي قصَّ الله خبرها في القرآن(٢).

وقيل: إنَّما كان بناؤه بها سنة أربع(٣).

وفي الثالثة أيضاً بنى عثمان **بن عفان** أحد الخلفاء الأربعة **بأم كلثوم** بالضم؛ كزنبور بنت المصطفى ﷺ بعد موت أختها رقيَّة، وكانت قبله تحت عتبة بن أبي لهب، فلمَّا نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] أمره أبواه أن يطلِّقها فطلَّقها(٤).

وفيه؛ أي: في هذا العام **الجمعان** ـ بفتح الجيم، جمع المسلمين وجمع الكفار [﴿٢٨١﴾] **التقيا بأُحد**؛ أي: في: غزوته، وكان من أمرهما ما يأتي في الغزوات(٥)، فهذا ما وقع في السّنة الثّالثة.

وفي الرابعةْ بئر معونة؛ أي: وفي السنة الرابعة: كانت سَرِيَّةُ المنذر بن عمرو إلى بئر معونة، ماءٌ لبني عامر بن صعصعة في صفر ومعهم القراء، وهم سبعون **بتلك الفاجعةْ**؛ أي: الرديَّة المؤلمة، وهي

= المؤمنين» لابن عساكر (٢٧).

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٤٥) ذكر ذلك في أحداث السنة الرابعة من الهجرة.

(٢) ذكرها الطبري في السنة الخامسة في «تاريخه» (٢/ ٥٦٢).

(٣) ذكر ابن الأثير هذا الخبر فيما وقع في السنة الرابعة «البداية والنهاية» (٥/ ١٨٢).

(٤) قال الطبري في أحداث السنة الثالثة من الهجرة (٢/ ٤٩١): «وَزَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَمَّ كلثوم بنت رسـول الله ﷺ وَأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ فِي جُمَادَى». وانظر: «الروض» (٣/ ١٠٤).

(٥) سيأتي ذكره في الغزوات.

أنَّ عامر بن الطفيل خرج عليهم بجمع من بني عامر ورعل وذكوان وعُصَيَّة فقتل القُرَّاء كلهم إلا كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضمري، ودعا عليهم المصطفى ﷺ في صلاته شهراً كما يأتي[١].

[﴿٢٨٢﴾] وفيها كانت **غزوة بني النضير**[٢] ـ كأمير حي من يهود خيبر ـ، وكانت في ربيع الأول فتحصَّنوا، فحاصرهم وخرَّب بيوتهم، وحرَّق نخلهم، فسألوه الجلاء فأذن وجعل لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة، [أي] وحينئذٍ **جلوا** ـ أي: خرجوا ـ من أوطانهم إلى خيبر[٣] كما يأتي.

وفيها كانت **ذات الرقاع**؛ أي: غزوتها وكانت **بعدها**؛ أي: بعد بني النضير في المحرم[٤].

وذكرها البخاري[٥] بعد غزوة خيبر **كما حكوا**؛ أي: أهل السير[٦] وغيرهم.

وفي هذه الغزوة استغفر المصطفى ﷺ لجابر بن عبد الله خمساً وعشرين مرَّة [﴿٢٨٣﴾] **وقائل**؛ أي: قال وهو ابن الجوزي:

فيها؛ أي [: في] السنة الرابعة **الصلاة** الرباعية **قصرت** إلى ركعتين.

---

(١) انظر في خبر بئر معونة: «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٤٥)، «البداية والنهاية» (٥/ ٥٢٤)، و«الروض» (٣/ ٣٧٨).

(٢) انظر في خبر بني النضير: «الروض» (٣/ ٣٨٧)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٥٥٠)، «البداية والنهاية» (٥/ ٥٣٣).

(٣) في (غ): «حمير».

(٤) انظر في خبر غزوة ذات الرقاع: «الروض» (٣/ ٤٠١)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٥٥٥)، «البداية والنهاية» (٥/ ٥٥٩).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» في كتاب المغازي حيث ذكر غزوة ذات الرقاع بعد خيبر.

(٦) «الدرر» (١٧٦).

وهذا مبني على أنَّ الصلاة نزلت تامة، ثم خُفِّفت في السفر، وهو ما ذهب إليه بعضهم و[هو] الأصح خلافه كما مرَّ.

والخمر حرِّم؛ أي: وفيها نزل تحريم الخمر؛ أي: شربه في ربيع الأول منها(١)، وقيل: حُرِّم في الثالثة ورجّحه الدمياطي(٢)، وأشار إليه الناظم بقوله: **أو ففي السنة التي خلت** وهي الثالثة.

قال مغلطاي: في شوال منها.

روى أحمد عن أبي هريرة: حُرِّمت الخمر ثلاث مرات، قدم المصطفى ﷺ المدينة وهم يشربونها ويأكلون الميسر، فسألوه عنهما، فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٩]. فقال الناس: ما حرم علينا، إنَّما قال: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوماً صلَّى رجل من المهاجرين، أمَّ أصحابه في المغرب، [و]خلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، وكان الناس يشربون، ثم نزلت أغلظ من ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، قالوا: انتهينا ربنا(٣).

---

(١) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٥٣٥) في أحداث سنة أربع من الهجر: «وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ، فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ، وَنَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ حِينَئِذٍ». وقاله النمري في «سيرته» (ص١٧٤).

(٢) جزم الدمياطي في «سيرته» (١٠٦) بأنّ تحريم الخمر كان سنة الحديبية. قاله الأجهوري.

(٣) رواه أحمد (٨٦٢٠)، وسنده ضعيف، وقد ضعَّف إسناده الحافظ ابن حجر كما نقله عنه المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٥٨٦، ط: دار العاصمة)، وقال العلامة أبو الأشبال أحمد محمد شاكر في تحقيق «المسند» (١٤/ ٢٦٩) رقم (٨٦٢٠): «إسناده ضعيف، لضعف أبي معشر نجيح، ولجهالة أبي وهب مولى أبي هريرة رضي الله عنه».

وفي هذه السنة وُلِدَ الحُسين بن عليٍّ ﵄.

[﴿٢٨٤﴾] **وقيل: فيها** سقط عقد عائشة، فنزلت **آية التيمم**[١] نقله ابن الجوزي عن ابن حبيب، **وكذا** قيل: إنَّ فيها نزلت **صلاة الخوف** في غزوة ذات الرقاع[٢] **مع خلف نُمي**؛ أي: روي عن جمع في آية التيمم وصلاة الخوف.

وفيها أيضاً مات عبد الله بن عثمان بن عفان من رقية، وهو ابن ست سنين.

وفيها أمر زيد بن ثابت أن يتعلَّم كتاب اليهود، وقال: لا آمن أن يبدِّلوا كتابي، وفيها رجم اليهودي واليهودية.

[﴿٢٨٥﴾] **وقيل**: إنَّما نزلت صلاة الخوف **في الخمس**؛ أي: في سنة خمس من الهجرة.

وذكرها البخاري بعد خيبر مستدلاً بحضور أبي موسى الأشعري فيها، لكن زعم مغلطاي أنَّه إجماع أهل السِّير على خلافه[٣]، **وفيه**؛ أي: وفي عام خمس **نزلت آي** جمع آية **الحجاب** وهي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٩].

---

(١) عن عائشة ﵄ أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فوجدها، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلّوا فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى آية التيمم، فقال أسيد بن حضير لعائشة: جزاكِ الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله ذلك لك والمسلمين فيه خيراً.
رواه البخاري (٣٣٤، ٣٣٦، ٣٦٧٢، ٣٧٧٣)، ومسلم (٣٦٧).

(٢) ذكرها الطبري (٢/٥٥٦)، وابن كثير (٥/٥٥٣) في أحداث سنة أربع.

(٣) قال الأجهوري: قول الشارح: وقيل: في الخمس على رجوعه لصلاة الخوف، وفيه: نظر. هذا وفي «المواهب» أن غزو بني المصطلق كانت لليلتين خلتان من شعبان سنة خمسة. وفي البخاري قال ابن إسحاق: سنة ست إلى أن قال وفي هذا الغزوة نزلت آية التيمم.

وفيه الخسوف صليت [﴿٢٨٦﴾] **لقمر**؛ أي: وفي هذا العام كانت صلاة خسوف القمر، فإنَّه خُسف في جمادى الآخرة منها، فصلاها المصطفى ﷺ بهم، وهو أول ما خسف في الإسلام.

وفيه كان **غزو الخندق**(١)، وتُسمَّى غزوة الأحزاب كانت في ذي القعدة، وكان حفر الخندق في ستّة أيام بمشورة سلمان، ولمَّا فرغ منه دخل المدينة، فلمَّا وضع السلاح جاءه جبريل الظهر، وقال: إنَّ الملائكة ما وضعت السلاح بعد وإنَّ الله يأمرك أن تنزل إلى بني قريظة، فكانت غزوة الخندق **مع** غزوة بني **قريظة** ـ كجهينة، قبيلة من يهود خيبر ـ، وقوله: **مع** بني **المصطلق** ـ بكسر اللام ـ؛ أي: وكانت غزوة بني المصطلق قبلها في عامها [﴿٢٨٧﴾] **على الصحيح** عند ابن سعد(٢) وجَمْعٍ.

وهم حَيٌّ من خزاعة، والمصطلق لقب جدهم جُذَيْمَة بن سعد بن عمرو، سُمِّي به لحسن صوته(٣)، وكان أول(٤) مَن غَنَّى مِن خزاعة: والده(٥).

وهذه هي المريسيع، والمريسيع: بئر لبني المصطلق بينها وبين

---

(١) انظر في وقت تلك الغزوة: «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٦٤)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٩)، وجزما بأنها كانت في شوال، وفي «الطبقات الكبرى» (٢/ ٦٥)، والمنتظم لابن الجوزي (٣/ ٢٢٧) أنها كانت في ذي القعدة. وجميعهم اتفق على أنها في السنة الخامسة من الهجرة.

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٦٤).

(٣) في (م): «لحسن سيرته» مكان «لحسن صوته». وقال ابن دريد في «الاشتقاق» (٤٧٦): «سُمِي المصطلق لحسن صوته كأنه مفتعل من الصلق، والصلق شدة الصوت وحدته».

(٤) تكررت: «وكان أول» في (ف) مرتين ولم يضرب على واحدة منهما، كأنها سهوٌ من الناسخ، وسقطت كلمة «أول» من (م).

(٥) من قوله: «جذيمة بن سعد» حتى هنا: سقط من (ك).

الفرع نحو يوم، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد، خرج إليها يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس من الهجرة، ومقابل الصحيح قول ابن إسحاق: أنَّها سنة ست وقول ابن عقبة، سنة أربع(١).

وبها جويريةً بنى بها؛ أي: وفي هذه السنة بنى المصطفى ﷺ بجويرية بنت الحارث، لمَّا غزا بني المصطلق وكانت منهم، فأتته لتستعين به على كتابتها، فأدى عنها كتابتها وجعل عتقها صداقها، ودخل بها(٢).

وكذا كان فيها **الإفك**؛ أي: قصته المذكورة في غزوة المريسيع، ونزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ الآية [النور: ١١].

---

(١) ستأتي في المغازي.

(٢) قال الطبري في «التاريخ» (٢/ ٦١٠): «عن عَائِشَةَ زوج النبي ﷺ، قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ في السهم لثابت بن قيس ابن الشماس ـ أو لابن عم له ـ فكاتبته على نَفْسِهَا ـ وَكَانَتِ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلاحَةً، لا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ ـ فَأَتَتْ رَسُول اللهِ ﷺ تستعينه على كتابتها، قالت: فو الله مَا هُوَ إِلا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي كَرِهْتَهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشِّمَاسِ ـ أَوْ لابْنِ عَمٍّ لَهُ ـ فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي، فَقَالَ لَهَا: فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ، قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أصهار رسول الله ﷺ، فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ. قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِئَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا». وانظر في هذا الخبر: «البداية والنهاية» (٦/ ١٨٩).

أو؛ أي: وقيل: إنَّما كان **في** السَّنة **الآتية**؛ أي: التي أتت بعدها، وهي سنة ست، وفيها زلزلت المدينة، وفيها سابق بين الخيل(١) في قول، رجح النّاظم خلافه كما سيأتي، فهذا ما كان في سنة خمس(٢).

و[﴿**٢٨٨**﴾] **في الست**؛ أي: وفي السنة السادسة من الهجرة، **كانت عمرة الحديبيةْ** - كدويهية وقد تشدد - بئر أو قرية على سبعة أميال من مكة، بينها وبين المدينة تسع مراحل(٣)، وفيها كانت **بيعة الرضوان**، وهي بيعة العشرة الذين بايعوه تحت الشجرة، **تلك** البيعة **الزاكيةْ**؛ أي: الزائدة البركة المرضية عند الله، كيف وقد ذكرها الله في القرآن في سورة الفتح.

[﴿**٢٨٩**﴾] **وفيه**؛ أي: [في] العام السَّادس **فرض الحج** على ما عليه الجمهور(٤).

وجزم به الرّافعي في شرح «الوجيز»(٥) في كتاب «السير»، ونقله في «المجموع»(٦) عن الأصحاب، وصحَّحه ابن الرفعة وغير واحد.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٧٨١)، وأحمد (٣/ ١٠٣).

(٢) انظر في حديث الإفك: «تاريخ الطبري» (٢/ ٦١٠) وما بعدها، «البداية والنهاية» (٦/ ١٩٢) وما بعدها.

(٣) الحُدَيْبِيَةُ: موضع بعضه في الحلّ، وبعضه في الحرم، وهو الموضع الذي صدّ فيه المشركون رسول الله ﷺ عن زيارة البيت.
انظر: «تقويم البلدان» (٨١)، «صورة الأرض» لابن حوقل(٣٠)، «معجم ما استعجم» (٢/ ٤٣٠)، «معجم البلدان» (٢/ ٢٢٩)، «الروض المعطار» للحميري (١٩٠)، «أوضح المسالك» (٢٩٠).

(٤) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٢٤٧): «أَعْنِي: سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ؛ فِيهَا نَزَلَ فَرْضُ الْحَجِّ، كَمَا قَرَّرَهُ الشَّافِعِيُّ: زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]».

(٥) «فتح العزيز» (٤/ ١١٧).

(٦) «المجموع» (٧/ ٧٦).

أو ما خلت؛ أي: وقيل: إنَّما فرض(١) في السنة التي خلت، وهي الخامسة وبه جزم الرافعي في شرح «الوجيز» في كتاب الحج، ونقله ابن الجوزي في «التحقيق»(٢) عن ابن عباس وعليه مغلطاي.

أو في الثمان؛ أي: وقيل: إنَّما فرض [في] سنة ثمان ورجحه جمع كثيرون.

أو ففي التَّاسعة؛ أي: وقيل: إنَّما فرض في السنة التاسعة حكاه الماوردي في «الأحكام السّلطانيّة»(٣) والنّووي في «روضته»(٤).

ورجَّحه الحنابلة(٥)، واعتمده الدّمياطي فهذا [﴿**٢٩٠**﴾] **خلف** [أي: خلاف] مشهور.

ومن المشهور أيضاً أنَّه فرض سنة عشر، وعليه اقتصر بعضهم، **وقيل: كان قبل الهجرة وُجُوبه حكاه** إمام الحرمين **في «النهاية»** ونازع فيه الجمهور(٦)، وهو أضعف الأقوال.

[﴿**٢٩١**﴾] **وفيه**؛ أي: **في عام ست قد سابق المصطفى** ﷺ بين الرواحل، فسبق قعود الأعرابي ناقة رسول الله ﷺ القصواء، ولم تكن تسبق فشقَّ على المسلمين، فقال: «**إنَّ حقّاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه**»(٧).

---

(١) في (ك): «فرضت».

(٢) «التحقيق في أحاديث الخلاف» (٢/ ٢٣٧).

(٣) الذي في «الأحكام السّلطانيّة» للماوردي (١/ ٢٤٣): «والحجُّ فُرِضَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ».

(٤) الذي في «الروضة» للنووي (١٠/ ٢٠٤): «ثُمَّ فُرِضَ الْحَجُّ سَنَةَ سِتٍّ، وَقِيلَ: سَنَةَ خَمْسٍ».

(٥) «الشرح الكبير» (٨/ ٥٠)، و«شرح الزركشي» (٣/ ٤٢، ٤٣).

(٦) في (ك): «كثيرون».

(٧) سبق.

وفيها أيضاً سابق **بين الخيل**، وهو أول سباق كان بالمدينة، فسبق فرس أبي بكر، **وفيها** جاءت خولة فأخبرت المصطفى ﷺ أنَّ زوجها أوسِ بنِ الصامت ظاهر منها، فنزلت **آية الظهار** فكان سببَ نزولها **في** أوس **ابن خولى** ـ بفتح [الخاء] المعجمة والواو، وقد تسكن، صحابي معروف ـ، وفيها مُطر النَّاسُ، فقال المصطفى ﷺ: «**أصبح الناس بين مؤمن بالله كافر بالكواكب، ومؤمن بالكواكب كافر بالله**»[1].

[﴿٢٩٢﴾] **في السّبع خيبر** وفي العام السابع: كانت غزوة خيبر[2] في جمادى الأول على الصحيح، مدينة بينها وبين المدينة ثمانية برد، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة.

وفيها أيضاً كانت **عمرة القضا** وتُسمَّى عمرة القضية وعمرة الصلح، وكانت في هلال القعدة.

وفيها **قدمت أم حبيبة** رملة بنت أبي سفيان من الحبشة[3]، وكان المصطفى ﷺ تزوجها وهي هناك، وقوله: **الرضى** مصدر محض لا يختلف المذكر والمؤنث فيه، وهو حشو كمل به الوزن.

[﴿٢٩٣﴾] **بنى بها**؛ أي: دخل عليها، وفيها رد المصطفى ﷺ ابنته على أبي العاص بن الربيع، وفيها قدم حاطب من عند المقوقس.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠١)، ومسلم (١٢٥).

(٢) خَيبَر بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية، وفتح الباء الموحدة وراء مهلمة: وهي مدينة صغيرة كالحصن ذات نخيل وزروع، وكانت في صدر الإسلام داراً لبني قريظة والنضير، ومنها على المدينة أربع مراحل.

«تقويم البلدان» (٨٨)، و«معجم ما استعجم» (٢/ ٥٢١)، و«الأماكن» للحازمي (١/ ٤١٩)، و«معجم البلدان» (٢/ ٤٠٩)، و«آثار البلاد» للقزويني (٩٢)، و«الروض المعطار» (٢٢٨).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٣)، «البداية والنهاية» (٦/ ٤٠١).

وفيها: بعث الرسل إلى الملوك واتَّخذ الخاتم وختم به الكتب التي سيَّرها، وفيها قتل كسرى أبرويز(١)، وقدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة(٢).

وبعدها ميمونة كذاك فيها؛ أي: وكذلك بنى بعدها [فيها] بميمونة في السّنة المذكورة، وهي بنت الحارث الهلالية تزوجها بمكة في عمرة القضاء، **قبلها صفيَّه**؛ أي: لكن تزوَّج بعد أم حبيبة وقبل ميمونة صفية بنت حيي بن أخطب من سبط هارون بن عمران كما يأتي.

[﴿**٢٩٤**﴾] **وفيه**(٣)؛ أي: [في] العام السّابع بخيبر **منع الحمر الأهلية**(٤)؛ أي: حرَّم أكلها، ونهى عن أكل كل ذي نابٍ من السباع(٥)، وعن بيع الغنائم قبل أن تقسم، وأن لا يصيب أحد امرأة من السبي حتى يستبرئها، ونهى عن أكل الثوم(٦).

---

(١) في (غ): حاشية غير واضحة.

(٢) وانظر ما حدث في تلك السنة: «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٣) وما بعدها، «البداية والنهاية» (٦/ ٤٠١) وما بعدها.

(٣) في النظم: «وفيها».

(٤) عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ: «نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل».
رواه الدارمي (٢٠٣٦)، وأحمد (٦٢٩١) (٦٣١٠)، ومسلم (٥٦١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وأحمد (١٢٢١٧) عن أنس رضي الله عنه. والبخاري (٤٢١٩) (٥٥٢٠) (٥٥٢٤)، ومسلم (١٩٣٦) عن أبي ثعلبة رضي الله عنه. ومسلم (١٩٣٢) عن البراء رضي الله عنه. ومسلم (١٩٤١) عن جابر رضي الله عنه.

(٥) عن أبي ثعلبة أن رسول الله ﷺ «نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع».
رواه مالك (١٤٣٣)، والدارمي (٢٠٢٣)، والبخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢)، وأبو داود (٣٨٠٢).

(٦) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال في غزوة خيبر من أكل من هذه الشجرة (يعني: الثوم) فلا يأتين المساجد، قال زهير في غزوة ولم يذكر خيبر. =

وفيه منع؛ أي: حرَّم **متعة النساء** ـ بالضم والكسر ـ، وهو أن يتزوج [الرجل] امرأة ليتمتع بها مدة ثم يخلي سبيلها، وتحصل الفرقة بانقضاء الأجل بغير طلاق، **ثم حلت**؛ أي: حللها [﴿٢٩٥﴾] **يوم وقعة حنين** بالضم⁽¹⁾، [مصغَّر] موضع بين مكة والطائف وكانت سنة ثمان، **ثم قد حرَّمها** المصطفى ﷺ بعد ذلك تحريماً **مؤبداً ليس لذلك** التحريم **انتها** ولا وقت محدود، والحاصل أنَّه كان مباحاً في صدر الإسلام، ثم نسخ بخيبر، ثم أبيح في عمرة القضاء، وأوائل فتح مكة وغزوة حنين، ثم نهى عنه قبل أن يخرج من مكة، ثم رخَّص فيه في أوطاس⁽²⁾، ثم حرَّمه في حجَّة الوداع إلى يوم القيامة كما رواه ابن أبي شيبة⁽³⁾.

قال النّووي⁽⁴⁾: وهو الأصح بعد حكايته روايات أخر، قال ابن بُزيزة⁽⁵⁾: ونكاح المتعة من أغرب ما وقع في الشريعة، فإنَّه أبيح ثم نهي عنه، ثم أبيح ثم نهي عنه ثم أبيح ثم نهي عنه⁽⁶⁾، ولم يعهد ذلك في غيره، وعلى التحريم استقرَّ رأي الجمهور، وعليه الأئمة الأربعة لكن في

= رواه مسلم (٥٦١)، وانظر: «صحيح البخاري» (٤٢١٥).

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان» (٢/ ٣١٣): «وهو قريب من مكة وقيل هو واد قبل الطائف وقيل واد بجنب ذي المجاز، وقال الواقدي بينه وبين مكة ثلاث ليال وقيل بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً».

(٢) يعني: فهو مما تكرر نسخه كما قيل: أربعة تكرر نسخها:

جاءت بها عن النبي آثار   فقبلة ومتعة وخمرة كذا وضوء ما تمس النار

(٣) في «مصنفه» (٨/ ٢٧٣)، وقد ترجم ابن حبان في «صحيحه» (٩/ ٤٥٤ رقم ٤١٤٧، ط: الرسالة) باب: نكاح المتعة ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ حرّم المتعة عام حجة الوداع تحريم الأبد إلى يوم القيامة.

(٤) «المجموع» (٧/ ١٣٦).

(٥) في (غ): حاشية طمس أكثرها. ابن بزيزة هو من فقهاء المالكية.

(٦) في (غ) كرر قوله: «ثم أبيح ثم نهي عنه» مرة رابعة.

«مسلم» عن جابر: استمتعنا على عهد المصطفى ﷺ وأبي بكر وعمر(١).

وفي رواية: حتى نهى عنه عمر.

وهو محمول على أنَّ الذي استمتع لم يبلغه النسخ، لكن مذهب ابن عباس الجواز، وقيل: رجع. ولم يثبت، قال: ما كانت المتعة إلا رحمة من الله، رحم بها أمَّة محمد ولولا نهي عمر عنها ما اضطر إلى الزنا إلا شقي، فهذا ما كان في السّابع.

[﴿٢٩٦﴾] وفي ثمان(٢)؛ أي: وفي العام الثَّامن **وقعة مؤتة**؛ أي: كانت وقعة مؤتة ـ بضم الميم فهمزة ساكنة فمثناة فوق فهاء ـ قال ابن قُرْقُول(٣): إنَّ أكثر الرواة لا يهمزونه، وهو مهموز وهي بالشام من عمل البلقاء دون دمشق، وكانت في جمادى الأولى.

والفتح مع حنين في ذي السنة؛ أي: وكان في هذه السنة أعظم الغزوات، غزوة الفتح: فتح مكة مع غزوة حنين، فكانتا في عام واحد.

فأمَّا غزوة الفتح فكانت في رمضان لنقض قريشٍ العهد، وأمَّا غزوة حنين فكانت بعد الفتح بأيام قليلة(٤)، فكانتا معاً في سنة ثمان اتِّفاقاً.

[﴿٢٩٧﴾] وأخذ جزية مجوس هجرا بألف الإطلاق؛ أي: وفيها كان أخذ الجزية من مجوس هجر، مدينة باليمن قاعدة البحرين(٥)،

---

(١) رواه مسلم (١٤٠٥).

(٢) في النظم: «الثمان».

(٣) في حاشية (غ): «بقافين بينهما راء»، «مطالع الأنوار» (١/ ١٦/ و).

(٤) في (ك) بعدها: «قبل عدتها».

(٥) هجر بفتح الهاء والجيم المعجمة آخرها راء مهملة: قصبة البحرين.
«تقويم البلدان» (٩٩)، و«المسالك والممالك» (١٥٢)، «صفة جزيرة العرب» (٢٧٩)، و«معجم ما استعجم» (٢/ ١٢٤٦)، و«نزهة المشتاق» (١/ ٣٨٥)، و«معجم البلدان» (٥/ ٣٩٣)، والحديث رواه مالك (٧٥٥)، وعبد الرزاق (٩٩٤٢) (١٠٠٢٤) (١٠٠٢٥)، وابن أبي شيبة برقم (١٠٨٦٩) (١٦٥٨١)، والبيهقي (٩/ ١٨٩).

فقوله: وأخذ مرفوع ويجوز جره عطفاً على حنين، والأول أظهر.

واتخذ النبي فيها؛ أي: سنة ثمان **المنبرا** بألف الإطلاق، اتخذ له ليخطب عليه، وكانِ قبلِ ذاك يخطب إلى جذع، فلمَّا فارقه حن إليه وأنَّ! فاحتضنه فسكت كما يأتي في معجزاته، وهو أول منبر اتخذ في الإسلام.

وفيها أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وعثمان بن أبي طلحة قاله ابن الجوزي[1]، وقيل: أسلم الأوَّلان سنة خمس، وفيها وهبت سودة ليلتها لعائشة حين أراد طلاقها، [و] هذا ما كان في سنة ثمان.

و[**﴿٢٩٨﴾**] **في التسع**؛ أي: وفي العام التاسع: كانت **غزوة تبوك**، وتعرف بغزوة العسرة، وبالفاضحة بينها وبين المدينة نحو أربعة عشر مرحلة[2]، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة، والأشهر عدم صرفه للتأنيث والعلميَّة، وهي آخر غزوة غزاها المصطفى ﷺ، وكانت غزوة تبوك **بعد أن صلَّى على أصحم**؛ أي: أصحمة[3] - بمهملات -

---

(١) «المنتظم» (٣/ ٣١٤).

(٢) تبوك: بفتح التاء المثناة وضم الباء والموحدة التحتية وسكون الواو آخرها كاف، وهي من الثالث من بادية الشام تقريباً، وهي بين الحجر والشام، وبها عين ونخيل.
«تقويم البلدان» (٨٦)، و«المسالك والممالك» (١٥٠)، و«صورة الأرض (٣٢)، و«معجم ما استعجم» (١/ ٣٠٣)، و«نزهة المشتاق» (١/ ٣٥١)، و«معجم البلدان» (٢/ ١٤).
والمرحلة: هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة، والجمع: مراحل، والمرحلة (٢٤) ميلاً.
وهي عند الحنفية والمالكية: (١٨٥٥,٢٤= ٤٤,٥٢٠) كيلاً.
وعند الشافعية والمالكية: (٣٧١٠,٢٤ = ٨٩,٠٤).

(٣) في «مسند أحمد» (١٤١٥١)عن جابر أنه قال: «اسْمُ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةُ».

وهو النجاشي ملك الحبشة بعدما أخبرهم ﷺ بموته، فصلَّى عليه هو والمسلمون بمصلى المدينة وكان **غائباً** بالحبشة **فسن** النبي ﷺ بذلك؛ أي: بالصلاة عليه، الصلاة على الغائب؛ أي: شرعها لنا(١)، وكان موت النجاشي في رجب عام تسع(٢).

[﴿٢٩٩﴾] **وفيه**؛ أي: [وفي] عام تسع **قد آلى** رسول الله ﷺ **من النسوان**؛ أي: من نسائه أن لا يدخل عليهن **شهراً** كاملاً(٣)، وجُحش شقه؛ أي: خدش، وجلس في مشربة ـ بشين معجمة ـ أي: غرفة له درجها من جذوع، فأتاه أصحابه يعودونه، فصلَّى بهم جالساً وهم قيام، فلمَّا سلم قال: «**إنَّما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا صلى قائماً فصلوا قياماً، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً. . .**» الحديث.

وسبب إيلائه كما قال ابن حبيب: أنَّه ذبح ذبيحاً، فقسمته عائشة بين أزواجه فأرسلت إلى زينب بنت جحش بنصيبها فردته، فقال: «**زيديها**» فزادتها ثلاثاً كلُّ ذلك تردُّه، فقال: «**والله لا أدخل عليكن شهراً**»، فجلس في مشربةٍ له، فلمَّا كان ليلة ثلاثين دخل على عائشة، فقالت: أليس قد آليت أن لا تدخل [علينا] شهراً؟! فقال: «**الشهر يكون تسعة وعشرين**».

وفيه؛ أي: العام التاسع كانت **قصة اللعان** في شعبان بين عويمر العجلاني وامرأته، لاعن المصطفى ﷺ بينهما في مسجده بعد صلاة

---

(١) عن جابر أن النبي ﷺ صلَّى على النجاشي.
رواه أحمد (١٤٨٢٧)، والبخاري (١٣١٧) (١٣٢٠) (١٣٣٤).

(٢) انظر: «الروض الأنف» (٢/ ١١٨)، «البداية والنهاية» (٤/ ١٩٤).

(٣) عن أنس قال: آلى رسول الله ﷺ من نسائه، وكانت انفكت رجله، فأقام في مشربة تسعا وعشرين، ثم نزل، قالوا: يا رسول الله! آليت شهرا، قال: «الشهر تسع وعشرون».
رواه ابن أبي شيبة (٩٦٩٩)، وأحمد (١٣٠٧١)، والبخاري (٣٧٨).

العصر، وكان عويمر قدم من تبوك فوجدها حُبلى. وفيها باع المسلمون أسلحتهم، وقالوا: انقطع الجهاد، فقال: «**لا ينقطع حتى ينزل عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وفيها أمر بهدم مسجد الضرار[1] بعد عوده من تبوك، وفيها مات عبد الله بن أبي بن سلول[2] المنافق بعد أن مرض عشرين يوماً.

[﴿٣٠٠﴾] وفيه كانت **حجة أبي بكر الصديق**[3] بالناس، فخرج من المدينة في ثلاث مئة رجل، وساق أبو بكر خمس بدنات، وبعث النبي ﷺ معه عشرين بدنة قلَّدها وأشعرها بيده، وعليها ناجية بن جندب، وعهد المصطفى ﷺ إلى أبي بكر أن يخالف المشركين فيقف بعرفة، وكانوا يقفون بجمع ولا يدفع من عرفة حتى تغيب الشمس، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس. ذكره الحاكم.

ثم أرسلا ـ بألف الإطلاق ـ؛ أي: أرسل النبي ﷺ **له في أثره** **علياً** بن أبي طالب **[بعده] على الولا**؛ أي: على الأثر، وذلك لأنَّ أبا بكر قدم حتى نزل بالعَرْج ـ بفتح المهملة وسكون الراء و[آخره] جيم ـ فسمع في السحر رغاء ناقة المصطفى ﷺ القصواء، فقال: هذه القصواء! وإذا عليها علي فقال له أبو بكر: استعملك المصطفى ﷺ على الحج، قال: لا، لكن بعثني أقرأ على النَّاس سورة براءة، وأنبذ إلى كل ذي عهدٍ عهده ومبطلاً كل عقد سلف، وأُنادي في الموسم، [﴿٣٠١﴾] **أن لا يحج مشرك** بالله؛ يعني: كافر بأي نوع كان، وخصَّ الشرك لغلبته حينئذٍ **بعد**؛ أي: **بعد** هذا العام، **ولا يطوف** بالبيت **عريان**[4] **كفعل الجهلا**؛ أي:

---

(١) في (غ) حاشية طمس أكثرها.
انظر في خبر مسجد الضرار: «الروض» (٤/ ٣٠٦)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ١١٠)، «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٧).

(٢) في حاشية (غ): «السين المهملة فلامين بينهما واو».

(٣) انظر في خبر حجة أبي بكر الصديق سنة تسع: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٥).

(٤) رواه البخاري (٣٦٩) (١٦٢٢)، ومسلم (١٣٤٧).

مكشوف [الرأس و] العورة كما كانت الجاهلية تفعله، فلم يحجَّ في العام بعده الذي حج فيه المصطفى ﷺ حجة الوداع مشرك، وأنزل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

[﴿**٣٠٢**﴾] **وسُمِّيت** هذه السنة **بسنة الوفود لكثرة القادم فيها على** رسول الله ﷺ **من وفود** من جميع الأقطار والجهات، فإنَّهم كانوا منتظرين ما يقع له مع قومه، فلمَّا حصل الفتح دخل الناس في دين الله أفواجاً. فهذا ما كان في السّنة التّاسعة.

و[﴿**٣٠٣**﴾] **في العشر**؛ أي: وفي العام العاشر لخمس بقين من القعدة، **كانت حجّة الوداع**، سُمِّيت به؛ لأنَّه ودَّع الناس فيها، وذلك أن المصطفى ﷺ أقام بالمدينة يضحِّي كل عام ويغزو، فلمَّا كان في القعدة سنة عشر من الهجرة، أجمع على الخروج إلى الحج(١).

قال ابن سعد(٢): ولم يحج غيرها منذ تنبَّأ حتى مات.

وفي «البخاري»(٣) عن زيد بن الأرقم: أنَّه حج بعد ما هاجر حجة واحدة، [و]لم يحج بعدها حجة الوداع.

قال: وقال ابن إسحاق: وبمكة أخرى، وقيل: حج بمكة حجتين، هذا بعد النبوة، وقبلها لا يعلمه إلا الله.

---

(١) قال الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٣٩): «قال الْوَاقِدِيّ: وفيها قدم وفد محارب وفيها قدم وفد الرهاويين. وفيها قدم وفد العاقب والسيد من نجران، فكتب لهما رَسُول اللهِ ﷺ كتاب الصلح.

قال: وفيها قدم وفد عبس. وفيها قدم وفد صدف، وافوا رَسُول اللهِ ﷺ فِي حجة الوداع».

وانظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٣٢) كتاب الوفود، «سبل الهدى» (٨/ ٦٠٤).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٧٣).

(٣) رواه البخاري (٤٤٠٤).

قال السُّهيلي(١): ولا ينبغي أن يضاف إليه إلا حجَّة الوداع، وإن كان حج مع الناس، فلم يكن ذلك على سُنَّة الحج وكماله؛ لأنَّ الحج كان منقولاً عن وقته على حساب الشّهور الشّمسيّة، فلذلك أخَّر الحج حتى استقرَّ الإسلام، ونبذ لكل ذي عهدٍ عهده.

ولذلك قال في حجة الوداع: «**إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض**»(٢)، فخرج من المدينة يوم السبت، وقيل: الخميس لخمس بقين من القعدة.

وحج معه خلق كثير **لا يحصر الوافون باطلاع**؛ أي: لا يحصر أهل العلم المتمكنون باطلاعهم عددهم لخروجهم عن الحصر، وقد ذكر بعض الناس عددهم.

[﴿**٣٠٤**﴾] **فقيل**: إنَّهم **كانوا أربعين ألفا** تقريباً **أو**؛ أي: وقيل: بل كانوا **ضعفها**؛ أي: ثمانين ألفاً **وزد عليه**؛ أي: على الأربعين **ضعفا**؛ أي: وقيل: بل كانوا مئة ألف وعشرين ألفاً، ويجوز أن يكون مراده: وزد على الثمانين ضعفها فتكون الجملة مئة وستين ألفاً(٣)، لكن يبعده ما ذكروه أن عدد الصحب الذين مات عنهم، مئة ألف وأربعة عشر ألفاً(٤).

وبالجملة التحديد بعيد، بل هو كالمتعذر مع تفرق الصحب في الأقطار [والبوادي والبراري والقفار والقرى، والأمصار](٥).

والتعبير القويم أن يقال: يزيدون على مئة ألف كما رواه ابن المديني(٦) في ذيله على «الصحابة» لابن منده.

---

(١) «الروض الأنف» (٤/ ١١٥).

(٢) رواه أحمد (٢٠٣٨٦)، والبخاري (١٠٥) (١٧١٤) (٣١٩٧) (٤٤٠٦).

(٣) في (غ) بعدها: «وستة عشر ألفاً».

(٤) «الإصابة» (١/ ١٥٤).

(٥) ما بين المعقوفين مضروب عليه في (غ).

(٦) «ذيل المعرفة» (١/ ٤٥/ ظ).

[﴿٣٠٥﴾] **وارتد عن الإسلام فيها**؛ أي: السنة العاشرة، **وادَّعى النبوةَ الأسود** بن كعب **العنسي** ـ بفتح المهملة وسكون النون ـ، وكان بصنعاء اليمن.

روى أبو سعيد الخدري[1]، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره، يقول: «**أيها الناس! قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها، ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب فنفختهما فطارا، فأولتهما الكذابين: صاحب اليمن وصاحب اليمامة**»[2]، يعني الأسود العنسي ومسيلمة[3] بن حبيب، وكان الأسود طغى وافترى **حتى**[4] **مَوَّه** ـ بفتح الميم وشدة الواو ـ؛ أي: لبَّس وزخرف ومزج الحق بالباطل، كما يموّه المطلي الذهب والفضة، [﴿٣٠٦﴾] **لبعض قومه بسجع صنعه لهم** يزعم أنَّه أوحي إليه، والسجع ـ بسين مهملة ـ كلام مقفًّى أو موالاة الكلام على رويٍّ واحد، فمن تسجيعاته!! لقد أنعم الله على الحُبلى، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاقٍ وحَشَا، **فقتل الشقي الأسود العنسي مع من تبعه**، هذا ما كان في السنة العاشرة.

و[﴿٣٠٧﴾] **فيما يليها**؛ أي: وفي السَّنة الَّتي بعدها، **وهي سنة إحدى عشرةْ** بسكون الشين، من سني الهجرة **قضى**؛ أي: تمم **نبي الله المصطفى** ﷺ، **فيها عمره**، فأقام بالمدينة عشر سنين.

فكان جملة ما [﴿٣٠٨﴾] **عاش ثلاثاً بعد ستين سنة على**

---

(١) في حاشية (غ): «نسبة إلى جده خدرة بالدال المهملة».

(٢) رواه مسلم (١١٦٧).
وأما حديث الكذابين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت في يديّ سوارين من ذهب، فنفختهما فطارا، فأولتها الكذابين: مسيلمة والعنسي**». رواه ابن أبي شيبة (٣١١٢٦)، وأحمد (٨٤٦٠)، وابن ماجه (٣٩٢٢).

(٣) في (ك): «ومسيلمة الكذاب».

(٤) في النظم: «حين».

أصحها؛ أي: الأقوال، **والخلف في هذا خلا**؛ أي: سبق وتقدَّم في عصر التابعين فمن بعدهم إلى عصرنا.

ويأتي تحقيق الرَّاجح من ذلك آخر الكتاب(١).

---

(١) سيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى.

باب ذكر صفته ﷺ

٣٠٩ ـ وَرَبْعَةً كَانَ مِنَ الرِّجَالِ   لا مِنْ قِصَارِهِمْ وَلا الطِّوَالِ
٣١٠ ـ بَعِيدَ بَيْنَ المنْكِبَيْنِ شَعْرُهْ   يَبْلُغُ شَحْمَةَ الأُذْنِ يُوفِّرُهْ
٣١١ ـ مَرَّةً أُخْرَى فَيَكُونُ وَفْرَهْ   يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ يَعْلُو ظَهْرَهْ
٣١٢ ـ يَحْلِقُ رَأْسَهُ لأَجْلِ النُّسْكِ   وَرُبَّمَا قَصَّرَهُ فِي نُسْكِ
٣١٣ ـ وَقَد رَوَوْا لا تُوضَعُ النَّواصِي   إلَّا لأَجْلِ النُّسُكِ المحَّاصِ
٣١٤ ـ أَبْيَضَ قَدْ شُرِّبَ حُمْرَةً عَلَتْ   وَفِي الصَّحِيحِ أَزْهَرَ اللَّونِ ثَبَتْ
٣١٥ ـ وِفِي الصَّحِيحِ أَشْكَلَ العَيْنَيْنِ   أَيْ حُمْرَةٌ لَدَى بَيَاضِ العَيْنِ
٣١٦ ـ وَلِعَلِيٍّ أَدْعَجٌ وَفُسِّرَا   بِشِدَّةِ السَّوَادِ فِي العَيْن يُرَى
٣١٧ ـ وِفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ جَعْدُ الشَّعَرْ   لا سَبِطٌ وَلا بِجَعْدٍ الخَبَرْ
٣١٨ ـ وَعَنْ عَلِيٍّ سَبِطٌ لَمْ يَثْبُتِ   إِسْنَادُهُ وَكَانَ كَثَّ اللِّحْيَةِ
٣١٩ ـ وَأَشْعَرُ الصَّدْرِ دَقِيقُ المَسْرُبَهْ   مِنْ سُرَّةٍ حَتَّى يُحَاذِي لُبَبَهْ
٣٢٠ ـ وَكَانَ شَثْناً كَفُّهُ وَالقَدَمُ   وَهْوَ الغَلِيظُ قُوَّةً يَسْتَلْزِمُ
٣٢١ ـ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ   فِي صَبَبٍ مِنْ صُعُدٍ يَحُطُّ
٣٢٢ ـ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا تَقَلَّعَا   مِنْ صَخْرٍ أَيْ قَوِيُّ مَشْيٍ مُسْرِعَا
٣٢٣ ـ يُقْبِلُ كُلُّهُ إِذَا مَا الْتَفَتَا   وَلَيْسَ يَلْوِي عُنُقاً تَلَفُّتَا
٣٢٤ ـ كَأَنَّمَا عَرَقُهُ كَاللُّؤْلُؤِ   أَيْ فِي البَيَاضِ وَالصَّفَا إِذَا رُئِي

٣٢٥ ـ تَجْمَعُهُ أُمُّ سُلَيْمٍ تَجْعَلُهْ فِي طِيبِهَا فَهْوَ لَعَمْرِي أَفْضَلُهْ
٣٢٦ ـ يَقُولُ مَنْ يَنْعَتُهُ: مَا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَهُ

باب ذكر صفته [الجميلة] ﷺ

أي: صورته الظاهرة، وقدَّمها على صورته الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها التي تخصها مع شرفيتها عليها، إذ مناط الكمال هو الباطن؛ لأنّ ذلك أول ما يدرك من صفات الكمال، أو لأنَّه كالدليل عليها، فالظاهر عنوان الباطن أو رعاية حق للترقي من الأدنى إلى الأعلى، كقولهم: عالم فياض وشجاع باسل وجواد نحرير، أو الترتب الوجود؛ لأنّ الظاهر مقدم خلقاً على الباطن.

[﴿٣٠٩﴾] **وربعة** بفتح فسكون، **كان من الرجال**؛ أي: كان مربوع الخلق وتأنيثه باعتبار النفس، وجمع المؤنث والمذكر ربعات بالسكون، وتحريكه شاذ كما «القاموس»(١) كغيره.

لا من قصارهم ولا من الطوال بكسر أوله، بدليل ما رواه الترمذي وغيره عن أنس: كان المصطفى ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير(٢)؛ أي: المتردِّد لكنه كان إلى الطول أقرب كما يفيده وصف الطويل بالبائن، دون القصير بمقابله.

وجاء مصرَّحاً به في رواية البيهقي(٣) وغيره، ويؤيده حديث [ابن] أبي هالة: كان أطول من المربوع ودون المشذَّب(٤).

---

(١) «القاموس المحيط» مادة: (ربع).

(٢) رواه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧)، والترمذي (٣٦٢٣) وفي «الشمائل» (٣٩).

(٣) «دلائل النبوة» (١/٢٠٣، ط: العلمية).

(٤) رواه الترمذي في «الشمائل» (٢٢٥، ٣٣٨، ٣٥٣)، وأبو الشيخ في «أخلاق =

وفي حديث ما يفيد أنَّ هذا إن مشى وحده أو مع قصير، وإلا طال على من ما شاهْ، بل لو اكتنفه طويلان طالهما، فإذا فارقاه نسب إلى الربعة، ونسبا إلى الطّول، [﴿٣١٠﴾] **بعيد ما بين المنكبين** لما رواه الشيخان وغيرهما عن البراء بن عازب: كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين(١)، وقوله: بعيد ـ بفتح فكسر ـ صفة بعد صفة، وهو مضاف إلى ما بين المنكبين، والمنكب مجمع العضد والكتف، وأراد ببعد ما بينهما أنَّه عريض أعلى الظهر، ويلزمه عرض الصدر، ولهذا جاء في رواية ابن سعد(٢): رحب الصدر، وذلك علامة النجابة، وجعل بعد ما بين المنكبين كناية عن سعة الصدر فينتقل منه إلى الجود حسن، لولا مصيره حينئذٍ من باب الأخلاق، ونحن في باب الخلق.

وجاء في رواية: [أنَّه] بُعيد مصغراً تقليلاً للبعد المذكور، إشارة إلى أن بعد ما بين منكبيه لم يكن وافياً منافياً للاعتدال.

شعره بفتح العين، **يبلغ شحمة الأذن** يقرب من الوصول إليها، وشحمة الأذن ما لان من أسفلها، وهو معْلق القرط **يوفِّره** [﴿٣١١﴾] **مرَّة أخرى فيكون وفرة** بسكون الفاء؛ أي: يصل شحمة أذنه، ومرَّة أخرى يتركه [فيكاد] فيطول بحيث **يضرب منكبيه**؛ أي: يصل إليهما، فكنى بالضرب عن الوصول، ومرَّة أخرى يطول حتى **يعلو ظهره**، وبذلك يحصل الجمع بين الروايات المتعارضة، في أنَّ شعره كان جمة أو لمة أو وفرة، فيقال: إن شعره كان يطول ويقصر بحسب اختلاف الأوقات، فكان إذا لم يُقصِّره بلغ المنكب وإذا قصَّره كان إلى الأذن أو

= النبي ﷺ» (ص٢٣، ٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٦٢٧)، وسنده ضعيف جداً.

(١) رواه البخاري (٣٣٥١).

(٢) «طبقات ابن سعد» (١/ ٤١٥).

شحمتها أو نصفها، وذهب عياض(١) إلى أن الجمع: بأن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه، والذي بين أذنيه وعاتقه، وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه.

وكان لا [﴿٣١٢﴾] **يحلق رأسه**؛ أي: شعر رأسه: **إلا لأجل النسك**؛ أي: الحج والعمرة، **وربما قصَّره في نسك**، فكان تارة يحلق وتارة يقصر، وقيل: إنَّه كان يحلق في الحج ويقصر في العمرة.

[﴿٣١٣﴾] **وقد رووا**؛ أي: المحدثون: أنَّه ﷺ قال: «**لا توضع النواصي**»(٢)؛ أي: لا يحلق شعرها جمع ناصية، وهي مقدم الرأس **إلا لأجل النسك المحَّاص**، وأخذ بظاهره بعض المالكية، فقال: لا يجوز حلقه إلا في حال الضرورة، محتجاً بهذا الحديث ونحوه من الأحاديث الناهية عن حلقه في غير الحج، ووجه أنَّه من فعل المجوس ومخالف لطريقة المصطفى ﷺ، لكن الصواب الحل بلا كراهة، فقد حلق المصطفى ﷺ رؤوس أبناء جعفر بن أبي طالب(٣).

وفي «أبي داود»: أنَّه - أي: المصطفى ﷺ - رأى رجلاً ثائر الرأس، فقال: «**مه أحسن إلى شعرك أو احلقه**»(٤).

---

(١) «إكمال المعلم» (٧/ ٣٠٤، ط: دار الوفاء).

(٢) حديث: «لا توضع النواصي إلا في حج أو عمرة» رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٨)، والخطيب (٤/ ٣٩١، ط: بشار)، والعقيلي (٥/ ٢٦٦، ت: السرساوي)، وسنده ضعيف.

(٣) لما أصيب جعفر في مؤتة وجاء نعيه جئ بأبناء جعفر للنبي ﷺ فداعبهم رسول الله ﷺ، وأمر بحلق رؤوسهم ودعا لهم، وقال لأمهم عندما جاءته تذكر يتمهم: «العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة».
رواه أحمد في «مسنده» برقم (١٧٥٠) وسنده صحيح.

(٤) رواه أبو داود في «المراسيل» (٤٨٨) عن مجاهدٍ مرسلاً عن النبي ﷺ بنحوه.
و«مه» كلمة زجر وتنبيه بمعنى «اكفف» أصلاً.

فانظر كيف سوَّى بين ترجيله وحلقه.

ولقد أحسن حجة الإسلام في هذا المقام حيث قال: لا بأس بحلقه لمريد التنظيف، ولا بتركه لمن يدهن ويترجل؛ يعني: من قدر على دهنه وترجيله فإبقاؤه له أولى، ومن عسر عليه كضعيف وفقير منقطع، علم من بقائه أنَّه يتلبَّد ويجمع الوسخ والقمل فالتنظيف منه بحلقه أولى، والكلام كله في الذكر، وأمَّا الأنثى فحلقها له مكروه حيث لا ضرورة.

بل قيل: إنَّه حرام، بل عدَّه بعضهم من الكبائر.

ووصف النّسك بقوله: المحَّاص ـ بشدة الحاء المهملة ـ أي: المزيل للذنوب وهو الحج، لحديث الصحيحين: «**من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»(١)، فالحج يكفِّر الصغائر والكبائر، بل قيل: للتبعات كما ذهب إليه جمع(٢).

[﴿**٣١٤**﴾] **أبيض**؛ أي: وكان أبيض أو هو أبيض؛ يعني: لونه أبيض، **قد شُرِّب حمرة علت**؛ أي: مشرَّب بحمرة قد علت على لونه من الإشراب، وهو خلط لون بلون كأنه سُقي به، وذلك لما رواه الترمذي وغيره من حديث علي وغيره: كان أبيض مشرباً بحمرة(٣)، فلم يكن كما في حديث البراء بن عازب؛ بالأبيض الأمهق(٤)؛ أي: الكريه البياض ولا بالآدم، فليس بأبيض كالجص ولا بآدم شديد الأدمة، وإنَّما يخالط بياضه حمرة، وعلى ذلك تنزل رواية أنَّه كان أبيض.

---

(١) رواه أحمد (٧١٣٦)، والبخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) انظر: «هداية السالك» لابن جماعة (٣/ ١٤٢).

(٣) عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه كان إذا وصف النبي ﷺ قال: كان عظيم الهامة، أبيض، مشرباً حمرة الحديث. رواه أحمد (٩٤٤)، والترمذي (٣٦٣٧)، وسنده صحيح.

(٤) تقدَّم.

ورواية أنَّه كان أسمر(١)، فالبياض المثبت ما خالطه حمرة والمنفي ما لا يخالطها، وهو الذي تكرهه العرب وتسميه أمهق.

وفي حديث أبي الطفيل(٢): كان أبيض مليحاً مقصداً(٣).

أي: قصداً في طوله وجسمه، فلم يكن ضئيل الجسم(٤) ولا ضخمة ولا طويلاً ولا قصيراً، ولا أبيض شديد البياض كريهه، ولا أسمر شديد السمرة، وأشرف الألوان الأبيض المشرب بحمرة أو صفرة.

أمّا الأوَّل فظاهر.

وأما الثاني فلأنَّه لون أهل الجنة في الجنة، والعرب تتمدَّح به في الدنيا كما في لامية امرئ القيس(٥) وغيرها، فجمع الله للمصطفى ﷺ بين الأشرفين، ولم يكن لونه في الدنيا كلونه في الآخرة، لئلا يفوته أحد الحسنيين.

وفي الصحيح؛ أي: «صحيح مسلم» من حديث ثابت عن أنس: أنَّه كان **أزهر اللون**(٦).

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٠٣).

(٢) رواه مسلم (٢٣٤٠).

(٣) قال ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ٦٧): «مقصدا هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم كأن خلقه نحي به القصد من الأمور والمعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي التفريط والإفراط».

(٤) في حاشية (غ): «الضئيل بالضاد المعجمة المفتوحة فهمزة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فلام آخره: النحيف الهزيل».

(٥) قال امرؤ القيس:

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها غير الماء غير المحلّل

«ديوان امرئ القيس» (٣٧) (١١٦، ط: دار الكتب العلمية).

(٦) عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون. الحديث، رواه أحمد (٦٨٤)، والدارمي (١/ ٣١)، وابن سعد (١/ ٤١٣). ومسلم (٢٣٣٠)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٠١).

أي: نيره حسنه مشرقه مضيئه، وهو المتوسِّط بين الحمرة والبياض(١)، فالمراد أبيض ليس بأمهق ولا آدم وحينئذ اللون مستدرك.

وقد ثبت ذلك في عدة أحاديث عن عدة من الصحابة وقد وصفه بالبياض من الصحابة خمسة عشر إنساناً، ووصفه بالسمرة أنس وحده.

[﴿٣١٥﴾] **وفي الصحيح**؛ أي: «صحيح مسلم»(٢) وكذا غيره: أنَّه **أشكل**(٣) **العينين**؛ أي: والشكلة: **حمرة لدى**؛ أي: **في بياض العين**، يعني يخالط بياض عينيه حمرة، وذلك محمود محبوب، وهو إحدى علامات النّبوّة لما مَرَّ أنَّه [لما] سافر إلى الشام مع ميسرة، وسأل الراهب ميسرة، فقال: في عينيه حمرة لا تزول، فقال: هو هو.

وأما قول شعبة عن سماك معنى أشكل [العين] طويل شق العين(٤)، فقال عياض وغيره: إنَّه وهم إذ الذي في جميع كتب الغريب: أنّ الشكلة حمرة في بياض العين، يقال: ماء أشكل إذا خالطه دم.

وفي «القاموس»(٥) وغيره(٦): بياض مختلط بحمرة أو ما فيه بياض يضرب إلى حمرة وكدرة.

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٣٢١): «الزهرة البياض النير وهو أحسن الألوان».

(٢) عن سماك بن حرب قال: سألت جابر بن سمرة ﵁ عن صفة النبي ﷺ فقال: «**كان أشكل العينين**» الحديث. رواه أحمد (٢٢٠٠٢)، ومسلم (٢٣٣٩).

(٣) قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٤٩٥): «في صفته ﵇ كان أشكل العينين؛ أي: في بياضهما شيء من حمرة وهو محمود محبوب يقال ماء أشكلُ إذا خالطه الدم».

(٤) «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٧/ ٣٠٦ ت: د. يحيى إسماعيل).

(٥) «القاموس» مادة: (شكل).

(٦) قال الجوهري في «الصحاح» مادة: (شكل: «ورجلٌ أَشْكَلُ العينِ. ودمٌ أَشْكَلُ، إذا كان فيه بياضٌ وحُمْرَةٌ. قال ابن دريد: إنَّما سُمِّيَ الدم أَشْكَلَ للحمرة والبياض المختلطَينِ فيه.».

[﴿٣١٦﴾] **ولعلي** بن أبي طالب عند الترمذي في «الشّمائل» وغيره في صفة النبي ﷺ: أنَّه كان **أدعج**(١) العينين **وفُسِّرا** بألف الإطلاق؛ أي: وفسَّره الأصمعي وغيره **بشدة السواد في العين**، وقوله: **يرى** بالبناء للمفعول حشو كمل به.

وفي «الصحاح»(٢): الدعج محرّكاً سواد العين مع شقها.

وفي «النّهاية»(٣): الدّعجة السّواد في العين وغيرها، وقيل: هي شدة بياض البياض وسواد السّواد.

والقول بأنَّه أدعج قد استشكل بما قبله: أنَّه كان أشكل، ولا مخلص من ذلك، إلا بأن يقال إنَّ الحمرة كانت تعرض وتزول، فأخبر كل رآءٍ(٤) بما شاهده.

[﴿٣١٧﴾] **وفي الصحيح** من طريق ربيعة عن أنس: **أنّه جعد الشعر**(٥)؛ أي: متجعده متثنيَّه، والمراد به أنَّه **لا سبط** بفتح فكسر، أو فسكون، أو بفتحتين، **ولا بجعد** بكسر الموحدة التحتية وفتح الجيم وسكون المهملة، كما في نسخة الناظم، وصحَّف من جعله بالمثناة الفوقية وضم المهملة، والمراد أنَّه ليس نهاية في الجعودة وهي تكسُّره الشديد، ولا في السبوطة وهي عدم تكسره وتثنيه بالكلية، بل كان وسطاً

---

(١) قال علي ؓ في صفة رسول الله ﷺ: وكان في وجهه تدوير، أبيض، مشرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار. الحديث رواه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٣٠٤)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤١١، ٤١٢)، والترمذي في «الشمائل» (٧) وفي «جامعه» (٣٦٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٥٠) وفي «دلائل النبوة» (١/ ٢٦٩، ٢٧٠)، وسنده ضعيف، فيه إبراهيم بن محمد، لم يدرك علياً لكن له شواهد كثيرة.

(٢) «الصحاح» للجوهري (١/ دعج). (٣) «النهاية» (٢/ ١١٦) (د ع جـ).

(٤) في (ك): «واحد».

(٥) رواه البخاري (٣٥٤٨) (٥٩٠٠)، ومسلم (١١٣/ ٢٣٤٧).

بينهما وخير الأمور أوساطها، وقوله: **الخبر**؛ أي: انظر الخبر؛ أي: إلى قوله: في خبر الترمذي وغيره عن أنس(١): لا بالجعد القطط ولا بالسبط، وقوله في حديثه الآخر: لا بجعد ولا سبط.

قال الزمخشري(٢): [و] الغالب على العرب جعودة الشعر، وعلى العجم سبوطته، قال:

هل يُروَّين ذَوْدك نزع معد وساقيان سبطٌ وجعد

قالوا: يعني بالسبط: العجمي وبالجعد العربي؛ لأنَّهما لا يتفاهمان كلامهما، فلا يشتغلان بالكلام عن السقي، وقد أحسن الله لنبيه الشمائل، وجمع فيه ما تفرَّق في العرب والعجم من الفضائل.

[﴿**٣١٨**﴾] **وعن علي**؛ أي: وما رواه ابن عساكر(٣) وغيره عن علي من أنَّه **سبط**؛ أي: شعره سبط؛ أي: غير منثن بل هو مسترسل **لم يثبت إسناده**.

قال ابن عساكر: رواه من طريق مجمع بن يحيى الأنصاري، عن عبد الله بن عمران عن رجل من الأنصار، قال: سألت علي بن أبي طالب في مسجد الكوفة عن نعت رسول الله ﷺ فذكر حديثاً، فقال فيه: وكان سبط الشعر، ورواه من طريق آخر عن زيد بن علي(٤)، قال: وصف علي رسول الله ﷺ، فقال: كان سبط الشعر، وفي إسناد الأول مجهول، وفي الثاني زيد بن علي بن الحسين ولم يدرك علياً.

وكان كث ـ بفتح الكاف وشدة المثلثة ـ **اللحية**؛ أي: غليظها، كذا

---

(١) سبق.

(٢) «أساس البلاغة» (١/ ١٤٤) مادة: (جعد، ط: العلمية)، «الفائق» (١/ ٤٤٤ ت: بجاوي).

(٣) في «تاريخه» (٣/ ٢٦٠)، وسنده ضعيف.

(٤) في (ك) بزيادة: «بن الحسين؛ ولم يدرك علياً».

في القاموس[١] «كالصحاح»[٢]، واشتراط جمع مع الغِلظ القصر، متوقف على توقيف[٣] من كلام أهل اللسان.

قال الناظم: هكذا وصفه عمر بن الخطاب[٤] وابن مسعود[٥] وأم معبد[٦] وهند بن أبي هالة[٧].

وفي رواية حميد عن أنس: كانت لحيته قد ملأت من هاهنا إلى هاهنا، ومد بعض الرواة يديه على عارضيه[٨].

وفي رواية سماك عن جابر[٩]: كان كث شعر الرأس واللحية.

[﴿٣١٩﴾] وكان **أشعر الصدر**[١٠]؛ أي: كثير شعر أعالي الصدر والمنكبين والذراعين؛ أي: [كان][١١] على هؤلاء الثلاثة شعر غزير، وكان **دقيق** بالدَّال المهملة، وفي رواية: بالراء، **المسربه**[١٢] بفتح الميم

---

[١] «القاموس» مادة: (كثَّ).

[٢] «الصحاح» مادة: (كثَّ).

[٣] في (هـ): «توفيق».

[٤] أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٢٦٤) عن عمر بن الخطاب.

[٥] أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢٢٦) برقم (١٠٣٩٧) عن ابن مسعود.

[٦] قالت: وفي لحيته كثاثة. رواه الحاكم (٣/ ٩)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٢٧٩)، وسنده ضعيف.

[٧] قال هند بن أبي هالة: «كث اللحية» رواه الترمذي في «الشمائل» (١/ ١١، ط: دار الكتب العلمية)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٢٢)، والبيهقي في»الدلائل» (١/ ١٨٦ ـ ٢٨٧).

[٨] أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٢٧٨).

[٩] أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٢٢٢).

[١٠] «دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٢٨٧).

[١١] مضروب عليها في (غ).

[١٢] رواه الترمذي في «الشمائل» (١/ ١١) برقم (٨)، وسنده صحيح.
وفي المسربة قال ابن الأثير في «غريب الحديث» (٢/ ٣٥٦): «المسربة بضم الراء مادق من شعر الصدر».

وسكون السّين المهملة وبضم الراء وفتحها وهي الشعر المستدِق **من سرة له حتى تحاذي لببه** بفتح اللام والموحدتين واللبة المتطامن الذي فوق الصّدر ووصفها بالدقة للمبالغة إذ هي الشعر الدقيق.

وقد روى الترمذي عن هند بن أبي هالة(١): أنَّه دقّيق المَسْرَبَة.

ورواه ابن عساكر عن علي(٢).

وفي رواية: ذو مسربة(٣).

وفي أخرى: طويل المسربة.

وفي أخرى: كأنَّه قضيب من الصدر إلى السرة.

وفي أخرى: موصول ما بين الصدر والسرة بشعر يجري كالقضيب.

وفي رواية: كالخط، وفي أخرى: كالخيط(٤)، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك.

[﴿٣٢٠﴾] **وكان شثناً**(٥) بفتح المعجمة وسكون المثلثة، وقيل: بل بمثناة فوقية **كفه والقدم**؛ أي: كان شثن الكفين والقدمين، كما في حديث الترمذي(٦) وغيره عن البراء بن عازب وغيره.

وهو؛ أي: الشثن **الغليظ** من شثن بالضم والكسر، غلظ؛ يعني: يميلان إلى الغلظ من غير قصر ولا خشونة، فالمراد غلظ العضو في الخلقة، لا خشونة الجلد وهو محمود في الرجال، **قوة يستلزم**؛ أي:

---

(١) «الشمائل» (١/ ١١) برقم (٨). (٢) «تاريخ دمشق» (٣/ ٢٥٤).

(٣) «الشمائل» للترمذي (٧) وفي «السنن» له (٣٦٣٨).

(٤) «الشمائل» للترمذي (٨) و«السنن» له (٣٦٣٨) عن علي بن أبي طالب ﵁.

(٥) قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٤٤٤): «شثن الكفين والقدمين؛ أي: أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر. وقيل هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر ويحمد ذلك في الرجال؛ لأنه أشد لقبضهم ويذم في النساء».

(٦) سبق.

فإنَّه يستلزم قوة خاصة، فإنَّه أشد لقبضهم ولمشيهم، وهو مذموم في النساء، ولا ينافي ذلك ما ورد في الصحيح(١): من أنَّ كفَّه كان ألين من الحرير والديباج، لأنَّه جمع مع الغلظ والقوة لين الجلد.

وتفسير الأصمعي الشثن: بغلظ في خشونة، مردود، بل نقل ابن خالويه عنه أنَّه قيل له: ورد في صفته أنَّه لين الكف، فأقسم أنَّه لا يفسر شيئاً في الحديث أبداً، وبتسليمه فكان ربما حصل له عليه الصّلاة والسّلام خشونة في كفيه من جهاد، أو عمل في مهنة أهله.

وتفسير أبي عبيد(٢) له بغلظ الأصابع مع قصرها، رُدَّ بما جاء أنَّه كان سائل الأطراف.

فالتحقيق أن الشثن الغلظ من غير خشونة ولا قصر، والكف الراحة مع الأصابع، سُمِّيت به لأنَّها تكف الأذى عن البدن.

والقدم من الإنسان معروفة وتصغيرها قديمة وجمعها أقدام، وكان [**﴿٣٢١﴾**] **إذا مشى** على الأرض **كأنَّما ينحطُّ**(٣).

وفي رواية: يتحدَّر **في**؛ أي: من **صبب**(٤)؛ أي: من مكان عال، والصبب الحدور **من صعد** ـ بضمتين ـ، جمع صعيد، وهو خلاف

---

(١) عن أنس رضي الله عنه قال: «ما مسست حريراً قط ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت ريحاً قط، ولا عرقاً أطيب من ريح عرق رسول الله ﷺ». رواه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٢) قال أبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/٢٦، ط: الهندية): «وَقَوله: شثن الْكَفَّيْنِ والقدمين يَعْنِي أَنَّهُمَا تميلان إِلَى الغلظ».

(٣) رواه أحمد (٧٤٦)، والترمذي في «الشمائل» (٥) (١٢٥) (١٢٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/١٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٦٠٦)، عن عَلِيٍّ رضي الله عنه، جميعهم بلفظ «ينحط».

(٤) رواه الطيالسي (١٦٦)، وأحمد (٧٤٦، ٩٤٤)، والترمذي في «الجامع» (٣٦٣٧) و«الشمائل» (٥).

الهبوط(١) حين **يحطُّ** قدمه على الأرض(٢).

[﴿**٣٢٢**﴾] إذا **مشى كأنَّما تَقَلَّعَا** بألف الإطلاق، **من صخر** أي **قويٌّ مشى مسرعا** في مشيته، فيرفع رجليه رفعاً بائناً بقوة متداركاً إحداهما بالأخرى مشية أهل الجلادة والقوة، يريد أن مشيته مثل مشي القلعة بتحريك اللام وهي القطعة العظيمة من السّحاب، ولم يكن يمشي كمن يمشي اختيالاً وتقارب خطاه.

وروى الترمذي عن أبي هريرة: ما رأيت أسرع من مشيته ﷺ كأنَّ الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث(٣). ولا ينافيه ما رواه الترمذي(٤) عن [ابن](٥) أبي هالة من أنَّه كان يمشي هويناً؛ أي: مشياً هيناً، لأنَّ المراد أنَّه [كان] يمشي برفق وسكينة، ووقار وحلم وأناة [مع الإسراع]، وأنَّه لا يضرب بقدمه الأرض، ولا يخفق بنعله أشراً وبطراً، فعلم أنَّ عجزهم عن لحوقه المذكور في الحديث المتقدم ليس لأنَّه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل له قوله فيه غير مكثرت بل لأنَّه

---

(١) قال الأجهوري في شرحه: «ويحتمل أنه بالكسر صفة مشبهة» أو صيغة مبالغة؛ أي: من محل صعد؛ أي: مرتفع أو شديد الارتفاع، وهو المناسب لما سبق عن «القاموس»، وقد فسَّره الشارح بذلك أولاً... وفي كلامه تدافع ظاهر، وكذا قوله: «جمع صعيد خلاف الهبوط، فإنّ حقه أن يقول: جمع صعود خلاف الهبوط».

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٣): «في صفته ﷺ إذا مشى كأنما ينحط في صبب أي في موضع منحدر».
وقال ابن سلام في «غريب الحديث» (٣/ ٢٧): «الصبب: الانحدار وَجمعه: أصباب».

(٣) رواه أحمد برقم (٨٦٠٤)، والترمذي في «جامعه» (٣٦٤٨) وفي «الشمائل» (١٢٤)، وابن حبان (٦٣٠٩)، وسنده صحيح.

(٤) انظر: «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٥٦).

(٥) سقطت من (غ)، والصواب إثباتها، وهي مثبتة في (ك).

كان يبارك له في مشيته كما يشهد له قوله: كأنَّ الأرض تطوى له، فهو مع هون مشيته لا يُلحق، ومعنى قوله في رواية: ذريع المشي(١)؛ أي: واسع الخطوة.

وقال(٢) ابن القيم(٣) في رواية: كان إذا مشى تقلع، والتقلع: الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط في الصبب، وهي مشية أولي العزم والهمة، وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء(٤).

[﴿**٣٢٣**﴾] **يقبل كله إذا ما** بزيادة ما؛ أي: إذا **التفتا** بألف الإطلاق؛ أي: يقبل بكل جسمه إذا التفت فلا يسارق النظر، **وليس يلوي عنقاً تلفتا**؛ أي: ولا يلوي عنقه في حال تلفته، فإنَّ ذلك فعل الطائش الخفيف، فكان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً(٥)؛ أي: بجميع أجزاء بدنه، فإذا توجَّه إلى شيء توجَّه بكليَّته، ولا يخالف ببعض جسده بعضاً لئلا يخالف بدنه قلبَه، وقصده مقصده لما في ذلك من التلوُّن وأمارة الخفَّة وعدم التصوُّن.

قال الدلجي(٦): وينبغي أن يخصَّ ذلك بالتفاته وراءه، أما لو التفت يُمنة أو يُسرة فالظاهر أنَّه كان يلتفت بعنقه.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٥٦) وفيه: «مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ، إِذَا زَالَ زَالَ قُلْعاً يَخْطُو تَكَفِّياً وَيَمْشِي هَوْناً، ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ».

(٢) كذا في الأصل، وفي بعض النسخ «قول».

(٣) «زاد المعاد» (١/ ١٦٧، ط: الرسالة).

(٤) قال ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ١٠١): «في صفته عليه الصلاة والسلام إذا مشى تقلع أراد قوة مشيه كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعاً قوياً لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه فإن ذلك من مشي النساء ويوصفن به».

(٥) سبق.

(٦) «شرح الشمائل» للدلجي (٢٣٥/ و).

[﴿٣٢٤﴾] **كأنما عَرَقه** بالتحريك رشح بدنه الشريف **كاللؤلؤ** بهمزتين وتركهما، وبهما قرئ في السبع، وبهمز الأول دون الثاني وعكسه، وقد جاء في عدّة أحاديث: أن عرقه كان كاللؤلؤ، وفسَّره الناظم بقوله: **أي: في البياض والصفا**؛ أي: في بياضه وصفائه، فأل فيهما عوض من الضمير، وقوله: **إذا رُئي**؛ أي: إذا أبصره الناظر، وهو حشو كمل به الوزن.

وكان ريح عرقه أطيب من ريح المسك، ومن ثم كانت [﴿٣٢٥﴾] **تجمعه أم سليم**، سهلة وقيل: رملة، وقيل: الرميصاء؛ في قارورة، وهي بنت ملحان الخزرجية، أم أنس وكانت **تجعله في طيبها**.

قال أنس: فكان من أطيب الطيب(١) كما رواه عنه مسلم وغيره، وفي بعض طرقه: وهو أطيب الطيب.

فلذلك قال الناظم: **فهو لعمري**؛ أي: هو والله أطيب طيب و[هو] **أفضله**.

وروى البخاري في «تاريخه»(٢) عن جابر قال: لم يكن المصطفى ﷺ يمرُّ في طريق إلّا عرف أنّه ﷺ سلك ذلك الطّريق من طيبه.

قال ابن راهويه ـ أحد رواته ـ(٣): وكانت تلك رائحته بلا طيب.

وروى الطبراني والبيهقي عن وائل بن حجر قال(٤): كنت أصافح رسول الله ﷺ أو يمس جلدي جلده فأتعرَّفه بعد في يدي، وإنَّه لأطيب

---

(١) رواه الطيالسي (٢٠٨٧)، والبخاري (٦٢٨١)، ومسلم (٢٣٣١).

(٢) «التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٣٩٩، ٤٠٠، ط: دائرة المعارف العثمانية).

(٣) نقله الصالحي في «السبل» (٢/ ١٢٠) أيضاً عن ابن راهويه رحمه الله.

(٤) «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٠)، وانظر: «السبل» (٢/ ١١٨) حيث نسبه للطبراني من دون البيهقي، ولم أقف عليه عند البيهقي.

رائحة من المسك.

وفي حديثه عند أحمد⁽¹⁾: أُتي رسول الله ﷺ بدلو من ماء فشرب منه، ثم مجَّ فيه ثم في البئر، ففاح منها ريح المسك⁽²⁾.

وروى أبو يعلى: أنَّ رجلاً استعان به في تجهيز بنته، فاستدعى بقارورة وسكب فيها من عرقه، وقال: «**مرها فلتتطيب به**»، فكانت إذا تطيَّبت به شمَّ أهل المدينة ذلك الطيب فسمُّوا بيت المطيَّبين⁽³⁾.

وحديث خلق الورد من عرقه أو من عرق جبريل أو البراق؛ موضوع⁽⁴⁾، وجاء من وجه غريب: أنَّ ما كان يخرج منه تبتلعه

---

(1) رواه أحمد (١٨٨٣٨) ولفظه: «عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ وَائِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَهْلِي، عَنْ أَبِي قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ مَجَّ فِي الدَّلْوِ، ثُمَّ صَبَّ فِي الْبِئْرِ، أَوْ شَرِبَ مِنَ الدَّلْوِ، ثُمَّ مَجَّ فِي الْبِئْرِ، فَفَاحَ مِنْهَا مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ».

(2) رواه الطبراني أيضاً في «الكبير» (٢٢/ ٣١ رقم ٧٠)، وسنده صحيح.

(3) رواه أبو يعلى (٦٢٩٥) وفي «معجم شيوخه» (١١٨). وقال البوصيري في «الاتحاف» (٩/ ٩٨/ ٧٢٠٥): «رواه أبو يعلى بسند ضعيف؛ لضعف حلبس بن غالب. قال حسين سليم أسد في تحقيقه للمسند إسناده ضعيف».
وقال السيوطي: «موضوع»؛ كما في «الآلئ المصنوعة» (١/ ٢٧٤، ط: المنيرية).

(4) «اللآلي المصنوعة» (١/ ١٧٦).
قال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ١٣١): «عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الورد الأحمر من عرق جبريل ليلة المعراج وخلق الورد الأبيض من عرقي وخلق الورد الأصفر من عرق البراق**». قرأت بخط عبد العزيز الكتاني قال لي أبو النجيب عبد الواحد بن عبد الله الأرموي سعيد بن محمد والحسن بن عبد الواحد مجهولان وهذا حديث موضوع وضعه من لا علم له وركبه على هذا الإسناد الصحيح».
وانظر: «السبل» (٢/ ١٢٠) حيث ذكر من رووا هذا الحديث وحكم عليه بالوضع كذلك؛ فانظره إن أردته.

الأرض(١).

وأيَّده الحافظ عبد الغني بأنَّ أحداً من الصّحابة لم يذكر أنَّه رآه بخلاف البول، فإنَّهم كانوا يستشفون به كدمه.

ولهذا اختار جمع من الشافعية(٢): طهارة جميع فضلاته ﷺ.

[﴿٣٢٦﴾] **يقول من ينعته**؛ أي: من يصفه، إذ النعت الوصف بالجميل، والوصف أعم، والمعنى أن من أراد أن يصفه من الصحابة يعجز عن وصفه ﷺ، فيقول: **ما قبله أو بعده رأيت** أي ما رأيت قبله ولا بعده **قطُّ** أحداً **مثله**، هذا بعض حديث رواه الترمذي وغيره عن علي كرم الله وجهه، ولفظه: لم أر قبله ولا بعده مثله(٣)؛ أي: من يساويه.

ففي «الصحاح»(٤): أنَّه كلمة تسوية والمماثل هو المساوي، ولم يرد المشابهة مطلقاً لفساده والمثل لا يتصرَّف فهو نكرة تفيد نفي المساواة، في الذات وفي كل صفة، وإلا لوجد مثل ما، وأراد بالمثل من له قدر مساوٍ فقط أو مع زيادة فيلزم نفي الراجح؛ لأنَّه مثل وزيادة، أو نفي المثل مجاز عنه إثبات الرجحان كما في نفي الأفضل عرفاً، أو

---

(١) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأْتِي الْخَلَاءَ فَلَا نَرَى شَيْئاً مِنَ الْأَذَى؟ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ الْأَرْضَ تَبْتَلِعُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ؟**». رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٤٤، ٤٤٤)، وسنده باطل.

(٢) في (هـ): «أئمتنا».

(٣) في حديث طويل تقدم بعضه.

(٤) «الصحاح» للجوهري مادة: (مثل) وفيه: «مِثْلَ: كلمة تسوية. يقال: هذا مِثْلُهُ ومَثَلُهُ كما يقال: شِبْهُهُ وشَبَهُهُ بمعنًى. والعرب تقول: هو مُثَيْلُ هذا، وهم أُمَيْثالُهُمْ؛ يريدون أنَّ المُشَبَّه به حقيرٌ كما أنَّ هذا حَقيرٌ. والمَثَلُ: ما يُضرب به من الأمثال. ومَثَلُ الشيءِ أيضاً: صفتُه».

نفي المثل أعم من كونه مع انتفاء الراجح، فإرادته ذلك تشبه استعمال العام في الخاص.

قال بعض المحققين: والوجه أنَّ المعنى: من شأن كل من يريد نعته ذلك، ويلزم منه عدم المثل، وإلا لم يكن من شأن من رآه نعته بذلك، ولا ينافي سلب المثل هذا قول الصديق وقد حمل الحسن:

بأبي شبيه(١) بالنبي
ليس شبيهاً بعلي(٢)

وقول أنس: كان الحسن أشبههم برسول(٣) الله ﷺ، وقوله: لم يكن أحد أشبه بالنَّبيِّ ﷺ من الحسن(٤)؛ لأنَّ المنفي هنا عموم الشبه، والمثبت في كلام أبي بكر نوع منه، ولا تنافي بين ما ذكر في الحسنين؛ لأنَّ كلاً منهما كان أشد شبهاً من وجه.

روى الترمذي وغيره: أنَّ الحسن كان يشبه أعلاه ﷺ، والحسين يشبه أسافله(٥)، وقد عُدَّ ممن أشبهه غيرهما نحو خمسة عشر إنساناً(٦)،

---

(١) في (ك): «يأبي شبيهاً».

(٢) رواه البخاري (٣٧٥٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٥٢٧)، والحاكم (٣/ ١٦٨).

(٣) رواه عبد الرزاق (٢٠٩٨٤)، والترمذي (٣٧٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٥٤٣).

(٤) أخرجه ابن حبان (٦٩٧٣).

(٥) عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه به ما كان أسفل من ذلك. رواه الترمذي (٣٧٧٩)، وابن حبان (٦٩٧٤) وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب»، وقال الألباني: «ضعيف».

(٦) قوله: «خمسة عشر» هذا على قول أبي الوليد بن الشحنة الحنفي، فقد جمعهم في بيتين قائلاً:

وخمس عشر لهم بالمصطفى شبه … سبطاه وابنا عقيل سائب قثم
وجعفر وابنه عبدان مسلم أبو … سفيان كابس عثم ابن النجادهم =

منهم فاطمة الزهراء، ويحيى بن القاسم كان له محل خاتم النبوة شامة تشبهه، فإذا دخل الحمام ازدحم الناس عليه يقبلونه، ويصلون على المصطفى ﷺ.

= لكن أوصلهم العلامة أبو العبّاس شهاب الدين ابن اللبّودي إلى اثنين وعشرين وجمعهم في بيتين قائلاً:

شبه النبي ولداه سبطاه حافدهم   عبدان ابنا عقيل كابس قثم
وجعفر ابناه قاسم عثم سائبهم   مغيرة مسلم يحيى علي أبرهم

«النجوم الزواهر» لابن اللبَّودي (ص٤٣).

باب ذكر وصف أم معبد

٣٢٧ ـ تَقُولُ فِيهِ بِلِسَانٍ نَاعِتِ   أَبْلَجُ وَجْهٍ ظَاهِرُ الوَضَاءَةِ
٣٢٨ ـ الخَلْقُ مِنْهُ لَم تَعِبْهُ ثُجْلَهْ   كَلّا وَلَم تُزْرِ بِهِ مِنْ صَعْلَهْ
٣٢٩ ـ أدْعَجُ وَالأهْدَابُ فِيهَا وَطَفُ   مِنْ طُولِهَا أَوْ غَطَفٌ أَوْ عَطَفُ
٣٣٠ ـ وَالجِيدُ فِيهِ سَطَعٌ وَسِيمُ   وَالصَّوتُ فِيهِ صَحَلٌ قَسِيمُ
٣٣١ ـ كَثِيفُ لِحْيَةٍ أزَجُّ أقْرَنُ   أحْلاهُ مِنْ قُرْبٍ لَه وَأحْسَنُ
٣٣٢ ـ أجْمَلُهُ مِنْ بُعُدٍ وَأبْهَى   يَعْلُوهُ إِذْ مَا يَتَكَلَّمُ البَهَا
٣٣٣ ـ كَذاكَ يَعْلُوهُ الوَقَارُ إِنْ صَمَتْ   مَنْطِقُهُ كَخُرَزٍ تَحَدّرَتْ
٣٣٤ ـ فَصْلُ الكَلام لَيْسَ فِيهِ هَذْرُ   حُلْوُ المقَالِ مَا عَرَاهُ نَزْرُ
٣٣٥ ـ لا بَائِنٌ طُولاً وَلا يُقْتَحَمُ   مِنْ قِصَرٍ فَهْوَ عَليهِمْ يَعْظُمُ
٣٣٦ ـ بنَضْرَةِ المنْظَرِ وَالمقْدَارِ   تَحُفُّهُ الرُّفْقَةُ بِائْتِمَارِ
٣٣٧ ـ إِنْ أُمِرُوا تَبَادَرُوا امْتِثَالا   أَوْ قَالَ قَولاً أَنْصَتُوا إجْلالا
٣٣٨ ـ فَهْوَ لَدَى أَصْحَابِهِ مَحْفُودُ   أَيْ يُسْرِعُونَ طَاعَةً مَحْشُودُ
٣٣٩ ـ لَيسَ بِعَابِسٍ وَلا مُفَنَّدِ   بِذَاكَ عَرَّفَتْهُ أمُّ مَعْبَدِ

باب ذكر وصف أم معبد(١)

وهي بنت خالد الخزاعية، التي نزل عليها المصطفى ﷺ في خيمتها(٢) في ذهابه إلى المدينة، وذلك الموضع إلى الآن يدعى بخيمة أم معبد.

فلمَّا مرَّ بها وكان من أمره ما كان، فلمَّا جاء زوجها، قال: صفيه لي فابتدأت [﴿٣٢٧﴾] **تقول فيه** ﷺ، **بلسان** بالتنوين **ناعت** بغير تنوين؛ أي: بلسانٍ واصفٍ لمحاسنه الظاهرة، وهو رجل **أبلج وجه**؛ أي: أبلج الوجه، كما هي رواية مسلم: أي: مشرقه نيِّره، والأبلج والمبتلج المشرق النير المضيء، ولم ترد به بلج الحاجب، لأنَّها وصفته بالقَرَن الذي هو ضده، **ظاهر الوضاءة**؛ أي: ظاهر الحسن والبهجة والجمال، ومنه قول عمر لحفصة: لا يغرنَّكِ إن كانت جارتك أوضأ منك؛ أي: أحسن.

قال البراء بن عازب ﷺ: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن منه ﷺ(٣). رواه مسلم وغيره.

وقال أبو هريرة ﷺ: كان أحسن الناس صفة وأجملها.

---

(١) سبق أن ترجمنا لها وذكرنا مصادر ترجمتها.

(٢) في قصة طويلة. انظر: «طبقات ابن سعد» (١/ ٢٣٠)، و«المستدرك» (٣/ ٩)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٢٧٦)، و«الروض الأنف» للسهيلي (٢/ ٣٢٥، ٣٢٦)، و«دلائل النبوة» لأبي نعيم (١/ ٣٣٧ _ ٣٤٤)، ولها شواهد عديدة.

(٣) رواه مسلم (٢٣٣٧)، وأبو داود (٤٠٦٩) (٤١٨٣).

رواه الحسن بن الضحاك في «شمائله»(١).

وقال ابن عباس: لم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوءه ضوء الشمس، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضؤوه ضوء السراج(٢). رواه ابن الجوزي.

وقال أنس: كل شيء حسن فقد رأيته فما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ. رواه ابن عساكر(٣).

[﴿٣٢٨﴾] **والخلق** بفتح المعجمة وسكون اللام، **منه لم تعبه** بفتح المثناة الفوقية، وكسر العين المهملة، **ثجلةٌ**(٤) بمثلثة مضمومة وجيم ساكنة، وهي عظم البطن مع استرخاء أسفله، فالمراد: لم يوجد في بدنه شيء يعاب به ثجلة ولا غيرها، وروي بنون مفتوحة وحاء مهملة ساكنة؛ أي: لم تعبه رقة وهزال وضعف تركيب، من قولهم: نحل جسمه نحولاً.

قال العُتبي: ولم أسمع بالنحل؛ أي: بنون وحاء مهملة في غير هذا الموضع إلا في العطية.

وقوله: **كلا** ردع لمن عابه بشيء من ذلك، **ولم تزر** بضم المثناة الفوقية وسكون الزاي، والإزراء الاحتقار والاستخفاف بالشيء والتهاون

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٧٥)، وفيه: عن البراء رضي الله عنه (١/ ١٩٤): «كان رسول الله أحسن الناس وجهاً وأحسنه خلقاً ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير». ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٢٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه وسنده حسن.

(٢) «الوفاء» لابن الجوزي (١/ ٢٩٥، ط: دار المعرفة).

(٣) في «تاريخه» (٣/ ٢٦٧).

(٤) قال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ٢٠٨): «ثجلة؛ أي: ضخم بطن. ورجل أثجل ويروى بالنون والحاء: أي: نحول ودقة».

به من صعلةٍ(١) بفتح الصاد وسكون العين المهملتين، صغر الرأس، بل كان عليه الصَّلاة والسَّلام عظيم الهامة، وعِظَم الرّأس ممدوح محمود، لأنَّه أعون على إدراك الكمالات والإدراكات.

وقيل: هي الدقة والنحول في البدن.

وفي حديث الأحنف: أنه(٢) كان صعل(٣) الرأس(٤).

وفي رواية سليمان بن الحكم عن أخيه أيوب(٥): صقلة(٦) ـ بالقاف ـ وهي أيضاً الدِّقَّة والنحول.

وقيل: معناه لم يكن منتفخ الخاصرة ولا ناحل.

وروي أيضاً بسين مهملة على البدل من الصاد.

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٣٢): «لم تزر به صعلة هي صغر الرأس، وهي أيضاً الدقة والنحول في البدن».
قال ابن سلام في «غريب الحديث» (٣/ ٤٥٤): «في حَدِيثه ﷺ: «**استكثِروا من الطّواف بِهَذَا الْبَيْت قبل أَن يُحَال بَيْنكُم وَبَينه فَكَأَنِّي بِرَجُل من الْحَبَشَة أصعلِ أصمع حَمِش السَّاقَيْن قَاعد عَلَيْهَا وَهِي تُهدَم**». قَالَ الْأَصْمَعِي: قَوْله: أصعل هَكَذَا يرْوى فَأَما فِي كَلَام الْعَرَب فَهُوَ صَعْلٌ بِغَيْر ألف وَهُوَ الصَّغِير الرَّأْس وَكَذَلِكَ الْحَبَشَة وَلِهَذَا قيل للظليم: صَعْل».

(٢) يعني: الأحنف.

(٣) صعل: صغير.

(٤) قال عبد الملك بن عمير: قدم علينا الأحنف الكوفة مع مصعب، فما رأيت صفة تذم إلا رأيتها فيه، كان ضئيلاً، صعل الرأس متراكب الأسنان... إلخ. انظر: «سيرة أعلام النبلاء» (٤/ ٩٤).

(٥) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٤٤١): «وَرَوَاهُ ـ يقصد حديث أم معبد أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ الْخُزَاعِيُّ بِقُدَيْدٍ، إِمْلَاءً عَلَى أَبِي عَمْرِو بْنِ مَطَرٍ، قَالَ: ثنا عَمِّي سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَكَمِ».

(٦) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٤٤٢): «وَالصَّعْلَةُ: صِغَرُ الرَّأْسِ، وَيُرْوَى (صَقْلَةٌ) وَهِيَ الدِّقَّةُ وَالضَّمْرَةُ، وَالصَّقْلُ: مُنْقَطِعُ الْأَضْلَاعِ مِنَ الْخَاصِرَةِ».

واعلم أنَّه قد ورد في صفة المصطفى ﷺ في حديث أبي هالة(١): أنَّه كان بادناً(٢)؛ أي: ضخم البدن متماسكاً؛ أي: يمسك بعض أجزائه بعضاً من غير ترجرج، واستشكل كونه بادناً بما رواه البيهقي وغيره: أنَّه كان ضَرْب اللحم(٣). ليس بناحل ولا منتفخ، وفي المقتفى(٤): شحم بين شحمين لا ناحل ولا مطهَّم.

وأُجيب بأنَّ القلة والكثرة والخفة والتوسُّط من الأمور النسبية المتفاوتة، فحيث قيل: بادن أريد عدم النحول والهزال، وحيث قيل: ضرب أو خفيف اللحم أو متوسط، أريد عدم السمن التام، فالمنفي السمن التام والمثبت عدم النحول، فما كان سميناً ولا نحيفاً وكان سواء البطن والصدر؛ أي: بطنه وصدره مستويان كما أشار إليه وصف أم معبد المذكور، وصرح به ابن أبي هالة في حديثه، فهو عبارة عن كونه كان خميص الحشا؛ أي: ضامر البطن.

قال الزمخشري: والمراد أنَّ بطنه كان معتدلاً من غير اعوجاج فهو غير مستفيض، فهو مساوٍ لظهره، ولصدره عرض فهو مساوٍ لبطنه.

[﴿**٣٢٩**﴾] **أدعج**(٥)؛ أي: شديد سواد العين، **والأهداب** جمع هدب ـ بضم فسكون ـ الشعر النابت على حروف الأجفان التي تلتقي عند الغمض منه ﷺ **فيها وطف** بفتح الواو والطاء المهملة، **من شدة طولها**

---

(١) كذا في (غ) و(ك)، والصواب: «ابن أبي هالة».

(٢) سيأتي بالتفصيل. (٣) «الدلائل» (١/ ٢٧١).

(٤) لم أقف عليه في كتاب «المقتفى من سيرة المصطفى ﷺ» لعمر بن حبيب تحقيق د. مصطفى الذهبي، ط: دار الحديث.

(٥) قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١١٩): «في صفته ﷺ في عينيه دعج الدعج والدعجة السواد في العين وغيرها يريد أن سواد عينيه كان شديد السواد وقيل: الدعج شدة سواد العين في شدة بياضها».

أو هي بمعنى الواو؛ أي: في رواية، وطف(١)، وفي أخرى: **غطف** ـ بغين معجمة بدل الواو ـ ورجحها الحافظان عبد الغني المقدسي(٢) والقطب الحلبي(٣)، وهما بمعنى، وهو أن يطول شعر الأجفان ثم ينعطف.

وفي «القاموس»(٤): الوطف محرَّكة كثرة شعر الحاجبين والعينين، **أو** بمعنى الواو أيضاً؛ أي: وفي رواية أخرى: **عطف** بعين وطاء مهملتين محركتين. ؛ أي: في شعر أجفانه طول وانعطاف.

[﴿٣٣٠﴾] **والجيد** بكسر الجيم وسكون المثناة التحتية، وهو بمعنى العنق الوارد في رواية أم معبد؛ أي: وعنقه **فيه سطع**(٥) بمهملتين مفتوحتين؛ أي: طول وارتفاع، والسطع: طول العنق وارتفاعه.

وقوله: **وسيم**؛ أي: حسن مضيء مشرق، ففي حديث أبي هالة(٦)، أنَّ عنقه كان في صفاء الفضة، لكن ليس وصفه بالوسامة في حديث أم معبد، والصوت فيه، وفي نسخ: منه، **صحل** بفتح الصاد والحاء المهملتين؛ أي: **وصوته فيه غلظ**؛ أي: كان غليظ الصّوت، وقيل: هو كالبُحّة، بضم الموحدة ـ؛ أي: لم يكن حاد الصوت، وفي

---

(١) في «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (١/ ٩٥): «في عينيه دعج وفي أشفاره عطف. أو قال عطف. وروى وطف».

(٢) «مختصر سيرة النبي» لعبد الغني المقدسي (ص١٤٢).

(٣) في شرحه على سيرة عبد الغني.

(٤) «القاموس المحيط» (٣/ وطف).
قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٠٣): «وفي أشفاره وطف؛ أي: في شعر أجفانه طول وقد وطف يوطف فهو أوطف».

(٥) قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٣٦٥): «في حديث أم معبد في عنقه سطع؛ أي: ارتفاع وطول».

(٦) كذا في (غ) و(ك) والصواب: «ابن أبي هالة».

رواية: صهل بالهاء وهو قريب منه، لأنَّ الصهل صوت الفرس. وفي «النِّهاية»(١): فيه صَحَل بالتّحريك وصهل؛ أي: شدة وصلابة من صهيل الخيل، وكان مع غلظ صوته على غاية من الحسن.

ففي حديث عن أنس مرفوعاً: «**ما بعث الله نبياً إلَّا كان حسن الوجه حسن الصوت**»(٢)، ومن صفاته أيضاً أنَّه **قسيم**؛ أي: جميل الوجه، يقال: رجل مُقسم الوجه؛ أي: جميله كله، كأنَّ كلَّ موضع منه أخذ قسماً من الجمال، [﴿**٣٣١**﴾] **كثيف لحية** لفظ رواية أم معبد: في لحيته كثافة؛ أي: التفاف واجتماع وهو بمعنى كث اللحية المذكور في الحديث المار.

أزج الحواجب؛ يعني: مقوس الحاجبين مع وفور الشعر وطول في طرفه، أو دقيقهما مع طول والزجج ـ بزاي وجيمين محركاً ـ استقواس الحاجبين مع طول كما في «القاموس»(٣)، وفي «الفائق»(٤): دقة الحاجبين وسبوغهما إلى مؤخر العين، وقيل: فيه أزج دون مزجج؛ لأنَّ الزجج خلقة والتزجيج صفة والخلقة أشرف وعليه قوله:

وزججن الحواجب والعيونا(٥)

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٣).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٨٤٠)، وإسناده ضعيف جداً.

(٣) «القاموس المحيط» (زجج).

(٤) «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٢/ ٢٢٨).

(٥) عجز بيت من الوافر وصدره:

إِذَا مَا الغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً

وهو للراعي النميري في «ديوانه» (٢٦٩)، وفيه شاهد للنحاة في قوله: «وزججن الحواجب والعيونا»، فإن الفعل «زججن» لا يصح أن يتعدّى إلى قوله: «العيونا» إلا بتأويله بـ «كحلن» أو نحوه، وفي هذه الحالة تكون الواو قد عطفت مفرداً على مفرد. =

أي: صنعن ذلك بدليل عطف العيون عليه، والحواجب جمع حاجب، والحجب المنع ومنه حاجب العين وهو ما فوق العين بلحمه وشعره وموضعه غالبة، أو هو الشعر الذي على العظم وحده، سُمّي به لمنعه الشمس عن العين.

أقرن(١)؛ أي: متصل أحد الحاجبين بالآخر، كذا وصفته أم معبد. وعورض بما في رواية [ابن](٢) أبي هالة الآتية: سوابغ في غير قرن بالتحريك وجُمع بينهما بأنَّه كان بحسب ما يبدو للناظر من بُعد أو بغير تأمل، وأما القريب المتأمل فيبصر بين حاجبيه فاصلاً دقيقاً لطيفاً، فهو أبلج(٣) في الواقع أقرن بحسب ما يبدو للناظر من بعد أو بغير تأمُّل، والقول بأن القرن حدث بَعد فيه بُعد.

= انظر في ذلك: «العهد اللامع» (٣/ ١٥٨)، و«شرح شواهد المغني» (٢/ ٧٧٥)، و«لسان العرب» (٢/ ٢٨٧)، و«المقاصد النحوية» (٣/ ٩١)، و«الأشباه والنظائر» (٣/ ٢١٢)، (٧/ ٢٣٣)، «الإنصاف» (٢/ ٦١٠)، و«أوضح المسالك» (٢/ ٢٤٧)، و«تذكرة النحاة» (٦١٧)، و«حاشية يس العليمي الحمصي على شرح الشيخ خالد الأزهري» (١/ ٣٤٢) وغيرها.

(١) قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٥٤): «وفي صفته عليه الصلاة والسلام سوابغ في غير قرن القرن بالتحريك التقاء الحاجبين، وهذا خلاف ما روت أم معبد، فإنها قالت في صفته: أزج أقرن؛ أي: مقرون الحاجبين والأول الصحيح في صفته، وسوابغ حال من المجرور وهو الحواجب؛ أي: أنها دقت في حال سبوغها ووضع الحواجب موضع الحاجبين؛ لأن التثنية جمع».

(٢) زيادة من (ك) ليست في (غ) والصواب إثباتها.

(٣) قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٥١): «فأما الأبلج فهو الذي قد وضح ما بين حاجبيه فلم يقترنا والأسم البلج بالتحريك لم ترده أم معبد؛ لأنها قد وصفته في حديثها بالقرن.
وقال الزمخشري في «الفائق» (١/ ٩٧): «بلج الْوَجْه بياضه وإشراقه. وَمِنْه الْحق أَبْلَج».

قال الأنطاكي وغيره: العرب تستملح البلج، والعجم تستحسن القرن، ونظر العرب أدق وطبعهم أرق.

أحلاه من قرب له وأحسن؛ أي: من قرب منه وتأمله أبصره أحلى من رآه وأحسنه و[﴿**٣٣٢**﴾] **أجمله**؛ أي: أتمه حسناً، **من بعد وأبهى**؛ أي: ومن أبصره من بعد؛ أي: من مسافة بعيدة بينه وبينه رآه أجمل الناس؛ أي: أتمهم حسناً وأبهاهم، ولفظ رواية أم معبد: أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب؛ أي: من رآه من بعد رآه أجمل وأحسن هيئة وشكلاً من كل أحد، ووحَّدت الضمير حملاً على لفظه أو على الجنس، كما في حديث: «**خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يد**»(١)؛ أي: أحلى وأحسن هذا الجنس وأحنا وأرعا هذا الجنس، إذ الناس والنساء من أسماء الأجناس، **يعلوه إذ ما يتكلم**؛ أي: يعلوه حين يتكلم، فما زائدة، **البها** بالقصر للوزن وأصله المد. ولفظ أم معبد: إن تكلم سما وعلاه البهاء؛ أي: ارتفع وعلا بكلامه على جلسائه.

[﴿**٣٣٣**﴾] **كذاك يعلوه الوقار إن صمت**، لفظ أم معبد: إن صمت فعليه الوقار والرزانة [والوقار بفتح الواو الحلم].

وفي رواية: إذا صمت فعليه البهاء، وإذا نطق فعليه الوقار،

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: إنّي قد كبرتُ ولي عيالٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**خَيرُ نساء ركبنَ الإبل نساء قريش، أحناه على ولده في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده، ولم تركب مريم بنت عمران بعير قط**».

رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٣٠٣) برقم (٢٠٦٠٤)، والحميدي (٢/ ٢٣٥) برقم (١٠٧٨، ت: حسين سليم أسد)، وأحمد (٧٦٥٠) و(٧٧٠٩)، والبخاري في «صحيحه» (٣٤٣٤) تعليقاً، و(٥٠٨٢)، و(٥٣٦٥)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠١/ ٢٥٢٧)، والبيهقي في «سننه» (٧/ ٢٩٣) برقم (١٥١١٣).

منطقه بكسر الطاء، **كخرز تحدرت**، لفظ أم معبد: كأن منقطه خرزات نظم يتحدَّرن؛ أي: منطقة يشبه خرزات اللؤلؤ المنظوم إذا تحدَّرت من فيه وتساقطت.

[﴿**٣٣٤**﴾] **فصل الكلام** بصاد ساكنة؛ أي: بينه ظاهره، يفصل بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣﴾ [الطارق]؛ أي: فاصل وفسَّرت أم معبد الفصل بقولها: **ليس فيه هذر**[1] ـ بفتح المعجمة ـ؛ أي: ليس في كلامه تكثير بحيث يملَّه سامعة **حلو المقال** لفظ أم معبد: حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر؛ أي: ليس كلامه بقليل لا يفهم ولا بكثير يمل، وقد شهد له بذلك الأعاظم من كفار قريش وفصحاؤهم، فقال الوليد بن المغيرة: والله إنَّ لقوله لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة[2]؛ أي: بهجة ورونق وحسن.

ما عراه فتح المهملة؛ أي: لم يَغْشه ولم يكن كلامه **نزر**[3] بسكون المعجمة؛ أي: ليس بقليل يدل على عيٍّ المتكلم به.

[﴿**٣٣٥**﴾] **لا بائن طولاً** لفظ أم معبد: لا بائن من طول.

ولفظ أنس عند الترمذي وغيره: ليس بالطويل البائن ولا القصير[4]، وقوله: البائن[5] بالهمز وجعله بالياء وهم؛ أي: ليس بالظاهر

---

[1] قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٤٥١): «في صفة كلامه عليه الصلاة والسلام (فَصْل لا نزر ولا هَذْر)؛ أي: بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣﴾ [الطارق]؛ أي: فاصل قاطع».اهـ.

[2] سبق تخريجه.

[3] قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٣٩): في حديث أم معبد لا نزر ولا هذر النزر القليل؛ أي: ليس بقليل فيدل على عي ولا كثير فاسد».

[4] تقدَّم.

[5] قال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ١٧٦): «ومنه الحديث في صفته ﷺ: ليس بالطويل البائن؛ أي: المفرط طولاً الذي بعد عن قدر الرجال الطوال».

طوله: من بان إذا ظهر على غيره، أو فارق من سواه، ولا بالقصير المتردِّد.

ولا يقتحم بالبناء للمفعول. ولفظ أم معبد: ولا تقتحمه عين **من قصر**؛ أي: لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً، وكل شيء إذا ازدريته فقد اقتحمته، بل كان كل من وقع بصره عليه يهابه ويعظمه، وإليه أشار النَّاظم بقوله: **فهو عليهم يعظم**؛ أي: فهو يُعَظَّم عند كل من يراه، فمن رآه بديهة هابه، و[من][1] خالطه معرفة أحبه كما في حديث الترمذي وغيره.

[﴿**٣٣٦**﴾] **بنضره** بفتح النون وسكون الضاد المعجمة، **المنظر**؛ أي: بحسن منظره، والمقدار؛ أي: وعظم مقداره. ولفظ أم معبد: فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، والثلاثة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة، **تحفه الرفقة**؛ أي: تطوف رفقته به ويدورون حوله، ولفظ أم معبد: له رفقاء يحفون به.

وفي رواية: هو أزين أصحابه منظراً وأحسنهم وجهاً، أصحابه يحفون به **بائتمار**؛ أي: مع ائتمارهم بأمره واهتمامهم بشأنه.

[﴿**٣٣٧**﴾] **إن أُمروا** بالبناء للمفعول؛ أي: إن أمرهم بشيء **تبادروا** لأمره **امتثالاً**، لما أمر به، **أو إن قال قولاً أنصتوا لقوله إجلالاً** إعظاماً له.

[﴿**٣٣٨**﴾] **فهو لدى**؛ أي: عند **أصحابه محفود** ـ بحاء مهملة ـ أي: مخدوم.

قال في «النِّهاية»[2]: المحفود الذي يخدمه أصحابه ويعظِّمونه، **أي: ويسرعون** في طاعته، **طاعة له محشود** ـ [بحاء مهملة] ـ وهو من

---

(١) زيادة من (ك).

(٢) «النِّهاية» (١/ ٤٠٦).

تجتمع الناس حوله ويدنون منه ليمتثلوا قوله ويقتدوا بأفعاله.

[﴿٣٣٩﴾] **ليس بعابس**؛ أي: كالح الوجه لمن يخاطبه أو يجالسه، والعابس كما في «النِّهاية»(١): الكريه الملقى، ولا **مُفَنِّد**(٢) بفتح الفاء وكسر النون مشددة، بل كان وافر العقل كلامه كله حكم وأحكام ومواعظ وفوائد عظام، والمفند الذي لا فائدة في كلامه لقلَّة عقله، أو الذي يكثر اللوم وهو التفنيد، أو المنسوب إلى الجهل وقلَّة العقل، بذاك؛ أي: بهذه الأوصاف **عرَّفته** بالتشديد **أم معبد** لزوجها، فقال: هذا والله صاحب قريش، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلنَّ إن وجدت لذلك سبيلاً.

---

(١) «النِّهاية» (٣/ ١٧١)، وفيه: «(عبس) في صفته ﷺ لا عابس ولا مُفَنِّد، العابس: الكريه المَلْقَى، الجَهْمُ المُحَيَّا، عَبَسَ يَعْبِسُ فهو عابِسٌ، وعَبَّسَ فهو مُعَبِّس وعبَّاس».

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤٧٥): «ومنه حديث أم معبد لا عابس ولا مفند هو الذي لا فائدة في كلامه لكبر أصابه».

باب ذكر هند بن أبي هالة

٣٤٠ ـ وَابْنُ أَبِي هَالَةَ زَادَ لمَّا   وَصَفَهُ مُفَخَّماً وَفَخْمَا
٣٤١ ـ لِوَجْهِهِ تَلألُؤٌ كَالبَدْرِ   مُعْتَدِلُ الخَلْقِ عَرِيضُ الصَّدْرِ
٣٤٢ ـ عَظِيمُ هَامٍ وَاسِعُ الجَبِينِ   فَمٌ ضَلِيعٌ أقْنَأُ العِرْنِينِ
٣٤٣ ـ يَعْلُوهُ نُورٌ مَنْ رَآهُ إِذْ مَا   لَمْ يَتَأَمَّلْ ظَنَّه أشَمَّا
٣٤٤ ـ مُفَلَّجُ الأسْنَانِ سَهْلُ الخَدِّ   أشْنَبُ بَادِنٌ طَوِيلُ الزَّنْدِ
٣٤٥ ـ عُنُقُهُ يُرَى كَجِيدِ دُميَةِ   مَعَ صَفَاءِ لَونِهِ كَالفِضَّةِ
٣٤٦ ـ أزَجُّ فِي غَيرِ قَرَنْ إِذَا غَضِبْ   بَينَهُمَا عِرْقٌ يُدرّه الغَضَبْ
٣٤٧ ـ وَسَايِلُ الأطْرَافِ رَحْبُ الرَّاحَةِ   ضَخْمُ الكَرَادِيسِ ذَرِيعُ المِشْيَةِ

باب ذكر وصف هند بن أبي هالة(١)

مُخَفَّف اللّام، التميمي، الأسدي، ربيب المصطفى ﷺ؛ فإنَّه ابن خديجة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها من أبي هالة، وهالة: اسم لدارة القمر(٢)، قتل مع علي يوم الجمل، وقيل: مات(٣) في طاعون عمواس، وبقي مدة لم يجد من يدفنه لكثرة الموتى حتّى نادى منادٍ: وا ربيب رسول الله ﷺ، فتركوا موتاهم ورفعوه على الأصابع. وكان وصَّافاً؛ أي: يحسن صفة المصطفى ﷺ ويستحضرها.

[﴿٣٤٠﴾] **وهند بن أبي هالة بالغ**(٤) في وصفه وزاد على غيره من

---

(١) حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه هو الحديث الطويل الذي أوله: عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألتُ خالي هند بن أبي هالة ـ وكان وصافاً ـ عن حلية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتَعَلَّقُ به، فقال: كان رسولُ الله ﷺ فَخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذّب. الحديث سبق تخريجه.

وإسناده ضعيف جداً. فيه: جُمَيْع بن عمير، ضعيف رافضي، قال أبو نعيم: كان فاسقاً، وقال أبو داود: جميع ابن عمير راوي حديث هند بن أبي هالة، أخشى أن يكون كذّاباً.

انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٢/ ٢٤٢)، «الجرح والتعديل» (٢/ ٥٣٢)، «الثقات» لابن حبان (٤/ ١٥)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ١٥٣)، «تقريب» (١/ ١٣٣).

(٢) ثم استعمل في كلّ دائرة.

(٣) في (ك): «قتل».

(٤) أراد المناوي أنّه وصل في الوصف المبلغ، ولو استغنى عن هذا اللّفظ بغيره لكان أحسن.

واصفيه، **لمَّا وصفه** في حديث الترمذي وغيره في «الشمائل» وغيرها، لكونه أمعن النّظر في ذاته الشريفة؛ في صغره، ومِن ثم خُصَّ مع عليٍّ رضي الله عنه بالوصَّاف.

وأما غيرهما من كبار الصحب فلم يُسْمَع مِن أحدهم أنَّه وصفه كهُما، هيبةً له، ونظراً إلى أنَّه لا يقدر أحد على وصفه حقيقة، أو أنّه تعالى جعل بحكمته لكل أمر قوماً، على أنَّ هند إنَّما وصفه على جهة التمثيل تقريباً للطالب، وإلّا فكل وصف يعبر به الواصف في حقه خارج عن صفته، ولا يعلم كمال حاله إلا خالقه.

ولفظ حديث هند: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذَّب، عظيم الهامة رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته - بقافين - أي: شعر الناصية[١] فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه، إذا هو وفره، أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينها عرق يدره الغضب، أقنى العرنين له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله [أنَّه] أشم، كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم مُفلَّج الأسنان، دقيق المسربة كأنَّ عنقَه جِيْدُ دُمْيَةٍ في صَفَاءِ الفِضَّةِ، مُعْتَدِلَ الخلق بادناً متماسكاً سواء البطن والظهر، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس أنور المتجرِّد موصول ما بين اللبَّة والسرَّة، بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف أو قال: سائر الأطراف خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تقلعاً[٢] يخطو تكفياً، ويمشي هوناً ذريع المشية إذا أمشى كأنما

---

(١) غير واضحة في (غ)، ولعلها كما أثبت وهي ليست موجودة في باقي النسخ.

(٢) في (غ): «قلعاً».

ينحطُّ من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلَّ نظره الملاحظة يسوقُ أصحابه، يبدر من لقي بالسلام. انتهى(١).

وقد نظمه المؤلف بتقديم وتأخير.

فإن قلت: قد ترك منه أشياء لم يذكرها وذلك إخلال؟

قلت: كلَّا! لم يهملها عن ذهول، بل ذكر منها ما يتعلق بباب الخَلْق ـ بفتح فسكون ـ وترك منها ما يتعلق بالأخلاق فذكره في بابه فللَّه دره! ما أحسن وضعه!(٢) فقال: **مُفَخَّماً** بفاء وخاء معجمة(٣)، اسم مفعول؛ أي: معظماً في صدور الصدور وعيون العيون، لا(٤) يستطيع مكابر أن لا يعظمه وإن حرص على(٥) ترك تعظيمه كان مخالفاً لما في باطنه من تعظيمه.

وفخماً(٦) بفاء مفتوحة ومعجمة ساكنة أو مكسورة؛ أي [: كان](٧) عظيماً في نفسه، وعليه؛ فليس الفخامة والضخامة في جسمه.

وقيل: المراد الجسم وفخامة الوجه نبله(٨) وامتلاؤه بالمهابة والجمال.

وقيل: مفخم عند من لم يره قط، وفخم عظيم القدر عند أصحابه،

---

(١) أخرجه الترمذي ـ كما قال المؤلف ـ في «الشمائل» (٨)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣/ ٣٣٨).

(٢) في (ك): «وصفه». (٣) في (ك): «معجمتين».

(٤) في (ك): «ولا». (٥) في (ك): «جزم عن».

(٦) قال ابن الأثير في «جزم عن»: (٣/ ٤١٩)، «هي في صفته ﷺ كان فخماً مفخماً؛ أي: عظيماً معظماً في الصدور العيون ولم تكن خلقته في جسمه الضخامة. وقيل: الفخامة في وجهه: نبله وامتلاؤه مع الجمال والمهابة».

(٧) زيادة من (ك).

(٨) في (هـ) و(م): «نقله»، وفي (ك): «نيله».

فهو عظيم أبداً، وقيل: المراد بهما كثير لحم الوجنتين مع كمال الجمال[١]، وقيل: مفخم معظم عند الناس وفخم عظيم عند الله.

وبدأ الوصَّاف بالوجه دون الهامة؛ لأنَّه أوّل ما يتوجّه إليه النّظر وأشرف ما في الإنسان[٢] وغيره من كل حيوان وغيره، فقال: [﴿٣٤١﴾] **لوجهه تلألؤ كالبدر**؛ أي: لوجهه استنارة وضياء وإشراق كتلألؤ القمر ليلة البدر، وهي ليلة أربعة عشر سُمِّي بدراً؛ لأنَّه يسبق طلوعه مغيب الشّمس، فكأنَّه يبدر بالطلوع، والقمر ليلة البدر أحسن ما يكون وأتم، وشبَّه الوصَّاف تلألؤ الوجه بتلألؤ القمر دون الشمس؛ لأنَّ التّشبيه به يفوق التّشبيه بها من حيث إنَّ القمر حينئذ يملأ نوره الأرض أحوج ما كانت إليه، ويؤنس كل من شاهده، فهو مجمع النور من غير أذى ويتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس، ولأنَّه ظهر في عالم مظلم بظلام الكفر، ونور القمر أنفع من نورها، فنور وجهه أنفع من نور الشمس على أنَّه ورد تشبيهه بالشمس[٣] أيضاً.

روى الترمذي وغيره عن أبي هريرة: ما رأيت شيئاً قط أحسن منه ﷺ، كأنَّ الشمس تجري في وجهه، شبَّه جريانها في فلكها بجريانها في وجهه، أو جعل وجهه[٤] مقرّاً ومكاناً لها مبالغة في تناهي[٥] التّشبيه.

وفي «النِّهاية»[٦]: كان إذا سرَّ كأنَّ وجهه المرآة، وكانت الجدر

---

[١] «تاج العروس» (٣٣/ ٢٠٠، ط: دار الهداية).

[٢] ومنه قوله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه». رواه أحمد (٨١٢٥)، والبخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (١١٢/ ٢٦١٢)، وفي رواية: «إذا ضربت فاتق الوجه».

[٣] سبق.

[٤] سبق تخريجه.

[٥] في (غ): «تناسي».

[٦] «النِّهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٢٣٨، ٢٣٩).

يرى(١) شخصها في وجهه لشدة ضيائه وصفائه، ثم تشبيه بعض صفاته بالنيرِّين إنَّما هو جري على التمثيل العادي، وإلا فلا شيء يماثل شيئاً من أوصافه ﷺ فهو الخليق بقول القائلِ:

يا زينة الدين والدنيا إذا احتفلا وأظهرا ما عدَّاه من الزين

وقوله:

تحاسدت البلدان حتى لو أنَّها نفوس لسار الغرب والشرق نحوكا(٢)

معتدل الخلق بفتح فسكون، في جميع صفات ذاته؛ لأنَّه تعالى حماه وأمته من الإفراط والتفريط خَلقاً وخُلقاً، أو المراد أنَّه معتدل الصورة الظاهرة بمعنى أنَّ أعضائه متناسبة غير متنافرة، وكل متناسب معتدل وكل متوسط في كم وكيف معتدل، وكل مستقيم قويم معتدل، **عريض الصدر**؛ أي: لصدره عرض معتدل فهو مساوٍ لظهره وبطنه، فبطنه غير مستفيض ولا معوج.

[﴿٣٤٢﴾] **عظيم هام** ترخيم هامة بالتخفيف، وهي الرأس لكل ذي روح، أو ما بين حرفي الرأس أو وسط الرأس، ومعظمه من كل شيء، والمراد هنا الرأس كلها بدليل ما في حديث الحاكم عن علي: كان ضخم الرأس(٣).

وفي رواية لابن عساكر: عظيم الرأس(٤) وعظمه ممدوح [محبوب؛ لأنَّه أعون على الإدراكات والكمالات](٥) كما مرَّ.

---

(١) في (ك): «المرأة ترى».

(٢) هذا البيت للمتنبي يمدح به بدر بن عمار، وكان قد وَلِي ثغور الأردن. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٩٤).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٥، ٦٠٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه الألفاظ، ووافقه الذهبي.

(٤) «التاريخ» لابن عساكر (٣/ ٢٤٨ ـ ٢٥٧) من حديث علي رضي الله عنه.

(٥) ما بين المعقوفتين مضروب عليه في (غ)، وليس في (ك).

واسع الجبين هو كما في «الصحاح»(١) فوق الصدغ، وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها، والمراد بسعتهما امتدادهما طولاً وعرضاً وهو بمعنى صلب الجبين في رواية، وواسعة الجبين محبوبة ممدوحة عند كل ذي ذوق سليم وطباع قويم(٢).

فم ضليع؛ أي: ضليع الفم ـ بضاد معجمة مفتوحة ـ؛ أي: عظيمه أو واسعه، والعرب تمدح سعة الفم وتذم ضِيقه(٣)، وكان لسعته يفتتح الكلام ويختمه بأشدافه، وهو دليل على قوة الفصاحة، وقيل: هو كناية عن فصاحته.

قال الزمخشري: والضليع في الأصل [هو] الذي عظمت أضلاعه ووفرت فاجفر(٤) جنباه، ثم استعمل في موضع العظيم، وإن لم يكن ثم أضلاع، انتهى(٥).

ومن فسَّر ضليعه بعظيم الأسنان، ففي كلامه غائلتان: الأولى: أن المقام مقام مدح وليس عظم الأسنان بممدوح بخلاف عظم الفم، الثانية: أن المتبادر منه أن ذلك إنَّما هو من معاني الضليع بغير إضافة إلى الفم، فلمَّا أضيف إليه استبان أن المراد عظمهُ لا عظمُ الأسنان، وكما تتمدَّح العرب بعظم الفم، تتمدح بكثرة ريقه عند المقامات والخطب والحروب للدلالة على ثبات الجنان بخلاف الجبان، فإنَّه يجف ريقه في هذه المحافل.

---

(١) «الصحاح» (٣/ ٢١٥) مادة: (جبن).

(٢) مضروب عليها في (غ)، وهي في باقي النسخ.

(٣) قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٤٨١): «وفي حديث الاحنف خشيت أن تكون مفوهاً؛ أي: بليغاً منطقياً كأنه مأخوذ من الفوه وهو سعة الفم».

(٤) في حاشية (م، غ): «أي: عظم».

(٥) «الفائق» (٢/ ٢٢٩).

أقنا مقصورٌ بلا همزٍ ـ فهمزه الناظم للضرورة، وهو بقاف فنون مخففة من القنا وهو ارتفاع أعلى الأنف واحديداب وسطه وهذا معنى قول «النهاية»[(١)] ـ: هو السائل الأنف المرتفع وسطه، وقيل: هو نتوء في وسط القصبة، والأوّل أولى بالمدح.

العِرْنيْن[(٢)] بكسر المهملة وسكون الراء وكسر النون الأولى، ما صلب من عظم الأنف أو كله، أو ما تحت مجمع الحاجبين أو أوله، حيث يكون الشمم وجمعه عرانين، وعرانين الناس أشرافهم ووجوهم، ويكنى عن العزيز المحسود في قومه لما هو فيه من الشرف والسؤدد والعز، ومنه قوله:

إنَّ العرانين تلقاها محسَّدةٌ ولا ترى للئام الناس حسَّادا

[﴿٢٤٣﴾] **يعلوه**؛ أي: العرنين أو النبي ﷺ؛ لأنَّه الأصل لكن الأول أقرب، إذ العرنين أقرب، وجعله بعيداً من السِّياق لا يخلو من شقاق، **نور** بنون مضمومه، والنّور كيفية تدركها الباصرة وبواسطتها جميع المبصرات، هذا أجود التعريفات؛ يعني: يعلو الأنف وطول قصبته نور ساطع.

من رآه إذا ما لم يتأمل ظنَّه أشمَّا بألف الإطلاق؛ أي: من رآه حين لم يتأمله؛ أي: يمعن النظر فيه يظنه أشم، والتأمل إعادة النظر في الشيء مرَّة بعد أخرى حتى يعرفه ويتحقَّقه، والشمم ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاه وإشراف الأرنبة.

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ١١٦): «في صفته عليه الصلاة والسلام «كَانَ أَقْنَى الِعْرِنين» القَنا فِي الأنْف: طُوله ورِقَّة أرْنَبَتِه مَعَ حَدَبٍ فِي وَسَطِهِ. والعِرْنين: الأنْف، ومنه الحديث: «يَمْلِك رجُلٌ أَقْنَى الأنفِ» يُقَالُ: رجلٌ أَقْنَى وَامْرَأَةٌ قَنْوَاءُ». اهـ.

(٢) قال الصاحب في كتابه «المحيط»: «والعِرْنِيْنُ: الأنْف، والجَميع: العَرَانِيْنُ. وما ارْتَفَعَ من الأرْض. وأوَّلُ الشَّيْء. والعَرَانِيْنُ: الأشْرَافُ والسَادَة».

[﴿٣٤٤﴾] **مفلَّج** بفاء وجيم، وفي «القاموس»[1]: مفلج الثنايا منفرجها، وظاهره اختصاصه بالثنايا **من الأسنان**، ويؤيده إضافته إلى الثنيتين في خبر ابن عباس، وقول بعضهم: يحتمل أنَّ المراد الانفراج مطلقاً، يردُّه أنَّ المقام مقام مدح وقد صرَّح جمع بأن تباعد ما بين الأسنان كلها عيب عندهم.

قال ابن دريد وغيره[2]: ولا بد من الإضافة إلى الأسنان، قيل: ولعلَّه لاشتهار أفلج فيمن بعد ما بين يديه وقدميه، وأكثره يكون في العليا وقلته ممدوحة وكثرته عيب، قيل: والفلج أبلغ في الفصاحة، لأنَّ اللسان يتسع فيها بخلاف الألص.

سهل الخدِّ؛ أي: غير مرتفع الوجنتين، وهو بمعنى حديث البزار والبيهقي[3]: كان أسيل الخدَّين[4] وذلك أعلا وأغلا وأحلا عند العرب، **أشنب** ـ بغير تنوين للوزن ـ؛ أي: لأسنانه غاية البريق واللمعان والبياض، بحيث إذا تكلم يخرج كالنور من بين ثناياه، **بادن** ـ [بالتنوين] ـ؛ أي: ضخم البدن لا مطلقاً، بل بالنسبة لما مرَّ من كونه شثن الكفين والقدمين جليل المشاش والكتد[5]، ولمَّا كانت البدانة قد تكون من الأعضاء، وقد تكون من كثرة اللحم، والسمن المفرط الموجب لرخاوة البدن وهو مذموم، أردفه ابن أبي هالة الوصَّاف بنفي ذلك، فقال: متماسك؛ أي: يمسك بعض

---

[1] «القاموس المحيط» مادة: (فلج)، وقال أبو محمد عبد الغني المقدسي في «مختصر السيرة» له (ص١٥١): «والشنب في الأسنان، وهو تحديد أطرافها».
تنبيه: أفرد المقدسي فصلا كاملا في كتابه المذكور، للحديث عن غريب ألفاظ صفاته ﷺ؛ فلتنظره لِعِظَم فائدته.

[2] انظر: «لسان العرب» مادة: (فلج).

[3] أخرج البيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٤): «سَهْلَ الْخَدَّيْنِ».

[4] سبق.

[5] في (هـ): «الكتف»، وفي «القاموس»: مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس.

أجزائه بعضاً من غير ترجرج ولا استرخاء، فكان على الخلق الأول لم يضره السن، فهو لمَّا بلغ السن الذي شأنه استرخاء اللحم كان كالشباب⁽¹⁾.

طويل الزند لفظ الرواية: الزندين تثنية زند، كفلس وهو ما انحسر عنه اللحم من الذراع. ذكره الزمخشري⁽²⁾.

وفي «الصحاح»⁽³⁾: طرف الذراع من الكف وهما زندان الكوع والكرسوع، وهو ممدوح عند العرب، كما يمدح عندهم طول القامة، وكان طويل الذراعين والعضدين والساقين أيضاً.

[﴿٣٤٥﴾] **عنقه** ـ بضم المهملة والنون، يذكر ويؤنث ـ، **يرى** بالبناء للمفعول؛ أي: يراه الناظر، **كجيد** بكسر فسكون؛ أي: كعنق⁽⁴⁾ وهما بمعنى وإنَّما عَبَّر به تفنناً وكراهة للتكرار اللفظي.

وقيل: هو مقدَّمه، وقيل: مَقْلده⁽⁵⁾ **دمية**⁽⁶⁾ كعجمة بمهملة ومثناة تحتية، الصورة أو المنقوشة من نحو رخام أو عاج، فينحل الكلام إلى قولنا: عنقه عنق صورة مصورة من عاج.

قال البصري⁽⁷⁾: وفيه بحث لأنَّه إن أراد بالنسبة إلى بياض العاج،

---

(١) انظر: «النهاية» (١/ ١٠٧) مادة: (بَدُن)، و«مختصر السيرة» (ص١٥١).

(٢) «الفائق» (٢/ ٢٣٠). (٣) «الفائق» مادة: (زند).

(٤) قاله المقدسي في «مختصر السيرة» (ص١٥١)، وانظر: «النهاية» لابن الأثير (١/ ٣٢٤).

(٥) في حاشية (غ): «أي: موضع القلادة».

(٦) قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ١٣٦): «والدمى جمع دمية وهي الصورة». وبه قال المقدسي (ص١٥١).

(٧) هكذا في (غ)، وفي باقي النسخ: «المصري» وهو إمام له كتاب في اللغة وهو «التنبيهات على أغاليط الرواة» مطبوع، قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٨/ ٤١٧ ت بشار): «علي بن حمزة، أبو القاسم البصري اللغوي العلامة، له ردود على ابن الأعرابي، والأصْمَعي، وجماعة، ومصنَّفات مفيدة. وكان صديقاً =

فاللون قد مرَّ تفسيره، وهو بالنسبة إلى كل البدن وجميع الأعضاء، وإن أراد باعتبار تغيُّر عادة فقد يشركه في ذلك بعض الأطراف، ثم في أنواع المعادن ما هو أحسن نضارة من العاج كالبلَّور، فلم آثر العاج؟

والجواب: أن هذه الصورة قد تكون مألوفة عندهم دون غيرها، لكنه يفتقر إلى ثبوت ذلك، ولا يكفي مجرد الاحتمال، وإن كان من جهة الطول والاعتدال، فكان وصفه بهذه الأفعال مضافة إلى صنع الله أحسن من وصفه بالتشبيه بهذه الصورة.

نعم قال جمع: المراد هنا مطلق الصورة التي بولغ في تحسينها **مع صفاء لونه**؛ أي: لون عنقه **كالفضّة** فشبَّه(١) عنقه بالدمية في الاستواء والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال، وبالفضة في اللون والإشراق والضياء والجمال.

[﴿٣٤٦﴾] **أزجُّ**(٢) الحواجب؛ أي: مقوسهما **في غير قَرَن** بالتحريك، والمراد: أن حاجبيه سَبَغا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا، ولا تعارض بينه وبين حديث أم معبد كما مرَّ.

إذا غضب بينهما؛ أي: بين حاجبيه **عرق** كاسم(٣) أجوف(٤) يكون فيه الدم يدرُّه جعله الزمخشري(٥) من أدرت المرأة الغزل فتلته شديداً، فاعترض بأنَّه لا قرينة لهذا المجاز.

وابن الأثير(٦): من در اللبن إذا كثر؛ يعني: كان يمتلئ دماً إذا

= للمتنبّي تُوُفّي في رمضان». اهـ. يعني: سنة (٣٧٥هـ).

(١) في (ك): «تشبيه».

(٢) قاله المقدسي في «مختصر السيرة» (١٤٩).

(٣) في حاشية (غ): «كاسم».

(٤) في (ك): «كأنها جرف».

(٥) «الفائق» (٢/ ٢٢٩).

(٦) كذا السياق؛ يعني: وجعله ابن الأثير.. إلخ. وانظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ١١٢).

غضب، كما يمتلئ الضرع لبناً إذا أدر، فنوزع بأنَّه لا استقامة لهذا التجوُّز، وصار بعضهم إلى أنَّه من در السهم، إذا دار على الظفر، وكيف ما كان فالمعنى يحرِّكه **الغضب** ويظهره، وليس المراد أنَّه لم يكن، وأنَّ الغضب يوجده، بل هو موجود والغضب يظهره بإثارة ما فيه من الدم ويهيجه، وفيه دلالة على كمال قوته الغضبيَّة التي عليها مدار حماية الديار، وقمع الأشرار وكمال الوقار.

[﴿**٣٤٧**﴾] **وسايل الأطراف**(١) بسين مهملة ومثناة تحتية ولام، ممتد الأصابع طويلها، طولاً معتدلاً، بين الإفراط والتفريط من غير تكسر جلد ولا تشنج، بل كانت مستوية مستقيمة وذلك مما تتمدح به.

وفي رواية: شايل(٢) ـ بشين معجمة ولام ـ أي: مرتفعها، وهو قريب من سايل من قولهم: شالت الميزان ارتفعت إحدى كفَّتيه، والمعنى كان مرتفع الأصابع بلا احديداب ولا انقباض، وروي: ساين ـ بالنون ـ وهو معنى سايل؛ لأن اللام تبدل من النون، ولم يتعرَّض لشايل بالمعجمة أهل الغريب، لكنه قويم على قانون العربية مع ثبوت نقله عن الثقات، فلا التفات لجعله سهواً من الناسخ.

وفي رواية:ساير ـ بالياء [والراء] ـ وهو بمعنى طويلها، مأخوذ من الطويل من السير، ومقصود الكل أنَّها غير متعقِّدة كما قاله الزمخشري(٣).

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٤٣٤): «في صفته ﷺ سائل الأطراف؛ أي: ممتدها ورواه بعضهم بالنون وهو بمعناه كجبريل وجبرين».

(٢) قال الأزهري في «تهذيب اللغة»: «شال الميزان، إذا ارتفعت إحدى كفتيه لخفتها» مادة: (شال).

(٣) قال الزمخشري في «الفائق» (٣/ ٣٧٠): «والعيشومة: وَاحِدَة العيشوم وَهُوَ نبت دَقِيق طَوِيل محدد الْأَطْرَاف كَأَنَّهُ الأسل يتَّخذ مِنْهُ الْحصْر الدقاق».

رحب الرَّاحة واسع الكف حسّاً ومعنى، ومن قصره على حقيقة التركيب، أو جعله كناية عن الجود فحسب فغير مصيب، والراحة بطن الكف، قال الزمخشري(١): ورحب الراحة، دليل الجود، وصغرها دليل البخل.

ضخم الكراديس؛ أي: عظيم رؤوس العظام غليظها.

ذريع المشية بكسر الميم؛ أي: سريع هيئة المشي واسع الخطوة خلقة، فمع كون مشيه بسكينة كان يمدُّ خطوته، حتى كأنَّ الأرض تطوى له، قال في «المصباح»(٢): الذّريع كالسّريع وزناً ومعنى.

وفي «المفردات»(٣): الواسع يقال: فرس ذريع واسع الخطو.

وفي «الصّحاح»(٤): أصل الذّرع بسط اليد، والتّذريع في المشي تحريك الذّراعين. انتهى.

---

(١) «الفائق» (٢/ ٢٣٠).

(٢) «المصباح المنير» مادة: (ذرع).

(٣) «المفردات» (ذرع).

(٤) «الصحاح» للجوهري مادة: (ذرع).

فهرس الموضوعات

الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
فائدة دراسة السيرة	٦
محبة النبي ﷺ	٦
محبة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ وتعظيمهم له	١٠
الاحتفال بمولده ﷺ	١٥
الولاء والبراء	١٥
عبادة القبور والطواف بها	١٦
التوسُّل بذاته وجاهه	١٦
الغلو في النبي ﷺ	١٨
ومن الصور أيضاً: عدم محبة أصحابه رضي الله عنهم	١٨
المظاهرات	٢١
الرؤى والمنامات	٢٦
ما يلزم المحبين تجاه الحبيب ﷺ	٣١
كتاب الفتوحات ومنهج المؤلف فيه	٣٣
ترجمة المناوي	٣٦
وصف النسخ الخطية	٤٢
عملي في الكتاب	٤٥
صور المخطوطات	٤٩
مقدمة الشارح	٦٧
الكلام على البسملة	٧٢
لا أحد تسمَّى بالله قط	٧٨
معنى الرَّاجي	٨٦
الإشارة لشيء من ترجمة العراقي	٨٧

الموضوع الصفحة
الحمدلة ٨٩
معنى الصلاة من الله والملائكة والآدميين والجن ٩٣
معنى لفظ النبي ٩٤
معنى الرسول ٩٤
الآفات الأربعة التي يعصم الله منها الأنبياء عليهم السلام ٩٥
فائدة: أول من صنَّف في السِّيَر ٩٩
ذكر أسماؤه الشريفة ﷺ ١٠١
الاسم والمسمَّى ١٠٢
معنى الوضع ١٠٣
العدد لا يُخَصِّص فيه ١٠٤
من مزايا اسم محمد ﷺ ١٠٥
من أعلام نبوته ﷺ ١٠٨
معنى المقفى ١١٥
الحقيقة المحمدية ١١٧
الحاشر ١١٩
العاقب ١٢٠
الماحي ١٢١
نبي الرحمة ١٢٢
المتوكل ١٢٩
الأُمِّيّ ١٢٩
الرؤوف الرحيم ١٣٠
المزمل ١٣٥
المدثر ١٣٧
اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة ١٤٢
أسماء النبي ﷺ توقيفية ١٤٧
كُنَى النبي ﷺ ١٤٧
باب ذكر نسبه الزكي الطيب الطاهر ﷺ ١٥١
  معنى النسب ١٥٣
  الكلام على والد النبي ﷺ ١٥٥
  أنا ابن الذبيحين ١٥٧
  أصل خروج الدية مئة من الإبل ١٥٧

الموضوع الصفحة
شيبة الحمد ١٦٠
أول من حفر بئر زمزم بعدما طمتها جرهم حين خرجت من مكة ١٦١
أول من خضب بالسواد ١٦١
أول من تحنَّث بحراء ١٦٢
موت أبي طالب على الكفر ١٦٢
معنى العمر ١٦٣
أول من هشم الثريد للحاج ١٦٤
أول من سقى اللبن بمكة ١٦٩
أول من احتفر بالأبطح سقاية يشرب منها الحاج والناس ١٦٩
أول من أحدث وقود النَّار بمزدلفة ليراها من دفع من عرفة ١٧٠
من عظَّم لئيماً فقد شاركه في لؤمه ١٧٠
من استحسن مستقبحاً شركه فيه ١٧٠
من لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ١٧٠
من طلب فوق قدره استحقَّ الحرمان ١٧٠
العيُّ عيَّان : عيُّ إفحام، وعيُّ منطق ١٧٠
الحسود العدو الخفي ١٧٠
مذاهب العرب في تسمية أبنائها ١٧١
هو أوَّل من جعل في الكعبة السَّيوف المحلَّاة بذهب وفضة ١٧٢
يوم الجمعة وأول من أطلق عليه ذلك ١٧٤
أوَّل من قال : أمَّا بعد ١٧٥
معنى لُؤَيٍّ ١٧٥
معنى الفهر ١٧٨
سبب تسمية مدركة ١٨٥
تقسيم المال بين الأبناء عند الموت ١٨٧
معنى نزار ١٩٠
عدنان ١٩٣
اعتماد العرب على الحفظ لا الكتب ١٩٦
فائدة في الاختلاف في كراهة ذكر هذه الأسماء في السير ٢٠٠
مقوم والد أدد ٢٠١
ناحور ٢٠٢
تيرح ٢٠٣

الموضوع **الصفحة**

يشجب بن نابت ٢٠٦
أول من تسمَّى بإسماعيل من العرب ٢٠٧
خصائص نبي الله إسماعيل عليه السلام ٢٠٧
قصة حفر بئر زمزم ٢١٠
كل من كان من ولد إسماعيل يقال له: ماء السماء ٢١٣
نبي الله إبراهيم عليه السلام ٢١٣
أول من اختتن ٢١٥
أول من قص شاربه ٢١٦
أول من قص أظافره وعانته ٢١٦
أول من شاب ٢١٦
أول من تسرول ٢١٦
أول من فرق ٢١٦
أول من استحد ٢١٦
أول من خضب بالحناء والكتم ٢١٦
أول من اتخذ المنبر وخطب عليه ٢١٧
أول من اتخذ العصى ٢١٧
أول من رتب العسكر في الحرب ميمنة وميسرة وقلباً ٢١٧
أول من عانق ٢١٧
أول من ثرد الثريد ٢١٧
أول من راغم قومه إلى الله بالدعاء ٢١٧
أول من يُكسى يوم القيامة ٢١٧
أول من يُلبي يوم القيامة ٢١٧
تارخ أو تارح ٢١٨
أصل تسمية مدينة حران ٢١٩
آزر ٢٢٠
نوح عليه السلام ٢٢٧
إدريس عليه السلام ٢٣٢
يانش ٢٣٨
شيث ٢٣٩
أول الرسل ٢٤٠
نسب إبراهيم عليه السلام ٢٤٢

الموضوع الصفحة

قريش ٢٤٣
أبوي المصطفى ﷺ ٢٤٥
ذكر مولده الشريف وإرضاعه ﷺ وما وقع فيها من العجائب، والآيات الخوارق الغرايب ٢٤٩
الاختلاف في تاريخ وموضع مولده ﷺ ٢٥١
الكلام على ولادته ﷺ مختوناً ٢٥٣
من عجائب ولادته ﷺ ٢٧١
كلام المصطفى ﷺ أول ما وُلد ٢٧٩
حكم الاحتفال بمولده ﷺ ٢٨٠
مرضعاته ﷺ ٢٨٢
عدد مرضعاته ﷺ ٢٩١
زيارته لقبر أمه ﷺ ٣٠٢
باب ذكر كفالة أبي طالب له ﷺ ٣٠٧
قصة بحيرا الراهب ٣١٣
خروجه ﷺ في سفرة مع عمه الزبير ٣١٧
ميسرة رفيق النبي ﷺ في رحلته للشام ٣١٧
بداية قصة زواجه ﷺ من خديجة ﵂ ٣٢٠
باب قصة بناء الكعبة الشريفة ٣٢٥
لَعَقَة الدم ٣٢٨
قصة وضع الحجر الأسود ٣٢٨
بُنيت الكعبة عشر مرات وبيان هذه المرات ٣٣١
من دلائل نبوته ﷺ ٣٣٧
باب كيف كان بدء الوحي ٣٣٩
سِنُّه الشريف ﷺ عند بدء الوحي ٣٤٢
غار حراء ٣٤٣
اليوم الذي نزل عليه الوحي ﷺ ٣٤٦
معنى الغط ٣٤٩
أول ما نزل من القرآن الكريم ٣٥٠
ورقة بن نوفل ﵁ ٣٥٦
باب ذكر قدر إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة، أي الإرسال ٣٦٣
تحويل القبلة ٣٦٦

الموضوع ..... الصفحة
باب ذكر السابقين للإسلام ٣٦٩
أول من أسلم ٣٧١
أول من أسلم من الصبيان ٣٧٥
شبيه النبي ﷺ في خلقته الظاهرة (جعفر بن أبي طالب ﵁) ٣٩٧
أول من بنى مسجداً (عمار بن ياسر ﵄) ٤٠٣
قصة إسلام عمرو بن عبسة ٤٠٨
باب سبب إسلام عبد الله بن مسعود ﵁ ٤١٥
باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم ٤٢١
الدعوة السرية ٤٢٣
الجهر بالدعوة للإسلام ٤٢٥
باب ذكر تأييده ﷺ بمعجزات القرآن ٤٣١
إقرار المشركين بإعجاز وفصاحة القرآن الكريم ٤٤٨
وجوه إعجاز القرآن ٤٤٨
باب كفاية الله تعالى نبيه المستهزئين به من كفار قريش ومن تبعهم ٤٥٥
باب مشي كفار قريش في أَمْرِه ﷺ ٤٦٥
باب ذكر وفد نجران ٤٧٥
باب قدوم ذكر ضماد بن ثعلبة ٤٧٩
باب ذكر أذى قريش لنبي الله ﷺ ٤٨٣
ما لقيه عمار بن ياسر ﵄ وأمه ووالده مِن الإيذاء ٤٨٨
باب ذكر انشقاق القمر ٤٩٣
عدد مرات انشقاق القمر ٤٩٧
باب ذكر الهجرتين إلى النجاشي ٥٠٣
سبب الهجرة إلى الحبشة ٥٠٦
السابقون للهجرة إلى الحبشة ٥٠٧
قصة الغرانيق ٥١٣
صحيفة المقاطعة ٥٢١
باب وفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد زوجة المصطفى ﷺ وذلك في عام واحد ٥٢٧
باب ذكر وفد الجنّ من جنٍّ نصيبين ٥٣٧
باب ذكر قصة الإسراء ٥٤٣
الاختلاف في رؤية النبي ﷺ رَبّه ﷻ في الإسراء ٥٥٤

الموضوع الصفحة

باب ذكر عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل من العرب، وبيعة الأنصار لمَّا هداهم الله إلى الإسلام ٥٦١
بيعة العقبة ٥٦٨
باب ذكر الهجرة من مكة إلى المدينة المشرفة ٥٧٣
أول من هاجر: مصعب بن عمير ٥٧٥
باب ذكر مروره ﷺ بأم معبد ٥٨٣
باب ذكر وصوله ﷺ إلى قباء ٥٨٩
تاريخ خروجه ﷺ من مكة مهاجراً، وتاريخ وصوله ﷺ المدينة ٥٩٣
بدء الأمر بالآذان ٦١٨
دخوله ﷺ بأم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ٦٢٧
زواج عثمان بن عفان رضي الله عنه مِن أم كلثوم رضي الله عنها ٦٢٨
بئر معونة ٦٢٨
منع الحُمر الأهلية ٦٣٧
تحريم متعة النساء ٦٣٨
وقعة مؤتة ٦٣٩
وقعة الفتح ٦٣٩
وقعة حنين ٦٣٩
أخذ الجزية من مجوس هجر ٦٣٩
غزوة تبوك ٦٤٠
إيلاؤه ﷺ مِن نسائه شهراً ٦٤١
حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٦٤٢
سنة الوفود ٦٤٣
الأسود العنسي ٦٤٥
باب ذكر صفته ﷺ - أي: أوصافه الطاهرة - ٦٤٧
باب وصف أم معبد الخزاعية ٦٦٧
باب ذكر وصف هند بن أبي هالة له ﷺ ٦٧٩